

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب صفوة الاعتبار بمستو... ﴾

صحيفة

﴿القسم الثانى من الكتاب﴾

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

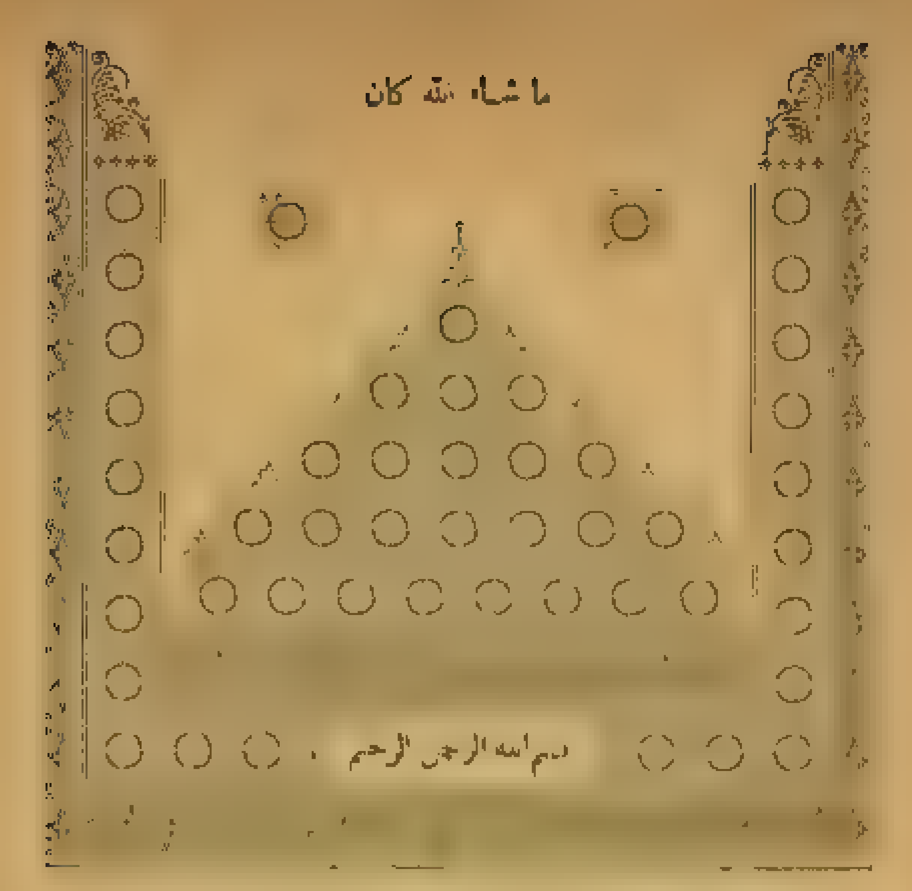
صحيفة

﴿تمت الفهرست﴾

هذا كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار
والأقطار تأليف الفاضل المحقق والأستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الأزكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
بعلومه
آمين

﴿الجزء الأول﴾

﴿طبعة أولى﴾
﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



✽ الحمد لمن هو مالك الملك والملكوت ✽ خالق النور والظلمة والضلال والهدى الى أقوم المسالك ✽
سبحانه الخالق الحكيم ✽ المبدع للكون وما فيه من حقير وعظيم ✽ رسم عليه
دلائل وحدانيته للمتدبر المتبصرين ✽ ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم ان
في ذلك لآيات للعالمين ✽ والصلاة والسلام الاكملان الأتمان على تاج العالم
المصون ✽ ومظهر الكمالات المسري به الى المسجد الاقصى والمقام المكنون ✽
سيدنا ومولانا محمد رسول الله ✽ الطاهر عنصره الشريف ✽ والمنزه جوهره
الروحاني ✽ من الكدر والاشتباه ✽ وعلى آله الطاهرين ✽ وأصحابه
✽ الذين جابوا الارض في هداية المخلوقين ✽ أما بعد فان الله جلت عظمته اقتضت
حكمته الباهرة ✽ ان ربط في هذه الدار الاسباب بالمسببات حسبما كانت أوطاره ✽
وأخفى مراده في المكونين ✽ وجعل مدار تكاليف الشرع هو اعتبار الاسباب
رحمة بالمؤمنين ✽ وتفويض ما وراء ذلك الى خالق المسبب يجري على مقتضى تقديره
في الازل وما يدرك أمر حكمته الا قليل من الكاملين ✽ وكان مما عرض للعبد
الحقير

الحقير * ان ابتليت بمرض اعيى علاجه أطباء قطرنا الشهير * وشرعني بالسفر
لاجل ذلك الغرض * فاستخرت الله تعالى واستشرت الاصدقاء لتحصيل ذلك الحق
المعرض * فجبت بحارا وقفارا * ومدنا وامصارا على حسب ما يسره المقدور *
وساعفت الوسائل الى الوصول الى مشاهدة ما فيه من المعمور * ورأيت بعيني الباصرة
والبصيرة * امورا عجيبة وخطيرة * أحببت نظمها في عقد التحصيل من الاهمال *
وتقديمها على ممر الملا اولى الكمال * كل سر جاوز الاثنين شاع * كل علم
ليس في القرطاس ضاع * وهي وان كانت بالنسبة الى ذوي الكمالات والفحول *
ليست مما يلتفت اليه أو يلاحظ بالقبول * لكنها على كل حال بضاعة من
علم * تلاحظ بالاغضاء لعين اهل الحلم * والمؤمل انه يعتني بها اهل وطننا
واخواننا المسلمين * ويهتدى بها الى حالة العالم بمثالها المبين (وسميتها) صفوة
الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار * معتمدا على اصل الخالق الحائل * وهو حسبي
ونعم الوكيل * فنقول هذه الرحلة مرتبة على مقدمة ومقصد وخاتمة فالمقدمة
فيها (ثلاثة) أبواب (الباب الاول) في السفر من حيث هو ويشتمل على ثلاثة
اصول (الباب الثاني) في السفر من ارض الاسلام ومن ديار الاسلام (الباب الثالث)
في تقسيم أحوال اهل الارض وبيان جملة اقسام ديانة وقانون دولة والمقصد فيه
ثلاثة عشر بابا (الاول) في سبب السفر (الثاني) في مملكة تونس (الثالث)
في مملكة ايطاليا (الرابع) في مملكة فرنسا (الخامس) في قطر الجزائر
(السادس) في مملكة انكلترة (السابع) في جزيرة مالطه (الثامن) في قطر
مصر (التاسع) في الحجاز وجزيرة العرب (العاشر) في بقية الممالك العثمانية
(الحادي عشر) في مملكة سويسره (الثاني عشر) في مملكة النمسا (الثالث
عشر) في مملكة رومانيا وكل باب يشتمل على فصول حسبما يقتضيه من الفروع (الخاتمة)
فيما ينبغي للامة الاسلامية تعاطيه من زيادة بث المعارف وما تثمره من الخيرات

(المقدمة وفيها ثلاثة أبواب)

الباب * الاول

(في السفر من حيث هو)

الفصل * الاول

﴿ فيما جاء في ذلك من الكتاب العزيز ﴾

(اعلم) ان الله تعالى قد أمر في كتابه العزيز بالسير في الارض للاعتبار والاستدلال
على وجوده ووحدانيته فقال تعالى قل سيروا في الارض في آيات من الكتاب المجيد وفي
بعضها قال ثم انظروا وفي أخرى فانظروا وكان العطف تارة بالفاء وتارة بثم اشارة الى ان
النظر والاعتبار كما يلزم في حالة السير يلزم بعده حتى لا يكون الزمن والعمر خاليا عن
فائدة صحيحة في نظر الشرع فأولا يحصل النظر الاجمالي في حالة السير ثم يحصل النظر
التفصيلي للاعتبار عند الانفصال عنه حتى يستقر في النفس نهاية التروي ولا يخفى ان
القاعدة الاصولية عندنا هي ان الامر (للوجوب) وهو حقيقة ولا يصرف الى غيره
الا عند القرينة الصارفة وقد اشتملت الآيات المذكورة على أمرين وهما الامر بالسير
والامر بالنظر فكلاهما واجب غير ان الاول واجب لكونه وسيلة للثاني والثاني واجب
مقصود لذاته وافادة ترتبه على ما يحصل بكل من (الفاء) و(ثم) بيد انه يحصل
بكل واحدة فائدة خاصة (فالفاء) تفيد ترتب النظر على السير بغير مهلة (وثم)
تفيد ترتبه عليه بعده حتى يكمل وجوده وبهذا تبين الوجه في العطف بهما ولا نحتاج
الى ان الاتيان (بثم) لافادة التفاوت بين مرتبتي الواجبين حيث ان احدهما مقصود
لذاته والآخر مقصود لكونه وسيلة كما ذهب اليه أبو السعود والقونوي لان هذا
لا يكون فائدة يستدعيها المقام بخلاف ما ذكرناه ثم ان كون السير واجبا كما ذكر هو
ما عليه المحققون وان سبق قلم الزمخشري وتبعه القاضي البيضاوي الى ان الامر بالسير
للاباحة والامر بالنظر للوجوب فقد ورد عليهم ان ذلك ينبو عنه المقام اما اولا
فلانه اخراج للامر عن حقيقته واما ثانيا فلا وجه لذكر اباحة السير للتجارة وغيرها
في سياق الانتقام للجاحدين ثم يعطف عليه ما هو واجب ولا يتم الا به واما ثالثا
فقد تقرر في الاصول ان ما لا يتم الواجب الا به يكون واجبا فكيف يكون النظر
في آثار المكذبين واجبا بدون سير فان قيل انما تقرر في ذلك في اصول الدين ان من
واجبات الديانة السير كما ذكرنا فالجواب ان معنى الوجوب معلق عليه اذ لم يحصل
الاعتبار المفضي للاعتقاد الا بالسير لانه يؤدي الى رؤية الآيات بالمشاهدة التي

فضلا عن التأثير فليس له غيرها أما إذا حصل الاعتقاد فلا داعي حينئذ للوجوب
السير وإنما هو مباح ولهذا كانت الآيات المذكورة في سياق الحجاج لا في الدين
وكأن ما ذكر هو الذي أدى ببعض المفسرين للقول بأن الأمر للإباحة وقد ذكر الغزالي
في الإحياء أن السير تعتريه الأحكام الخمسة من الوجوب والندب والإباحة
والكراهة والحرمة لأنه من الوسائل فيأخذ حكم ما قصد به وإذن فلك بيانات وبا ودا
تقرر أن السير واجب لأجل الاعتبار وهو أن له غرضه أشير منها ما دلت عليه
الآيات المذكورة من الاعتبار بعاقبة المكذبين للرسل ومنها ما دل عليه قوله
تعالى ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم فالناظر يرى من عجائب قدرة الله
جل وعلا من اختلاف الصنائع واختلاف لغات الأجيال واللغات والبشرة ما يقضي
بوجود واحد صانع ذلك الصانع في أوصافه إذ لو كان الأمر مستندا لطبيعة لجاءت
الخلائق على هيئة واحدة في جميع ما تقدم مع أنا نرى الاختلاف والتباين تارة مع قرب
المناخ وتارة مع بعده مع أن الأرض واحدة وعناصرها واحدة وأصل البشر واحد ومزيد
البسط لهذا في كتب الكلام (ومنها) ما دل عليه قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والأرض الآية فأمر تعالى بالاعتبار بما خلق من الأجرام العلوية وتركيبها ووضعها
وحركاتها كما أمر تعالى بالاعتبار بما خلق في الأرض من الجماد والنبات والحيوان وفي
ذلك الآية الجليلة المنظور فيه وقد فصله في آيات كثيرة منها ما يرشد للاستدلال على
وجوده ووحدانيته فقال في سورة الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى (الآية) وذكر أن الأجرام
العظيمة المشاهدة قد خلق كل منها في مركز مخصوص من الجو وله سير يمتاز به عن غيره
من غير اضطراب ولا تلاطم وليس لكل منها ما يعتمد عليه من الأجرام المرئية مع أن
الجرم منها في نفسه مركب على خلاف المعهود فلا بد أن يكون جميع ذلك لموجب
أوجبه فإن قيل إن موجبه هو وجود أجسامها وذواتها فهذا مردود لوجهين (الأول) أن
الأجسام متساوية في تمام الماهية فلو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصول
كل جسم في ذلك الحيز (والثاني) أن الخلاء لا نهاية له والأحياز المتوهمة في ذلك الخلاء
الصرف غير متناهية وهي أيضا متساوية ولو وجب حصول جسم معين في حيز
لوجب حصوله في جميع الأحياز ضرورة أن الأحياز متساوية وبه ثبت بهذا أن وجود
الأجرام الممكنة في أحيازها ليس هو لذاتها وإنما هو لمدبر حكيم قادر مختار كلامه

بما شاء (تم) كمال الاعتبار بترتيب تلك الاجرام العلوية وكيفية أوضاعها
وأشكالها العجائبة الى أن كروجه بالسير فى الارض فأرى ثم فى جهة القطبين لا أرى
من المناطق المعتدلة وكذلك ما أرى فى أحد نصفى الكرة لا أرى من النصف الآخر

(ثم قال تعالى) عقب الآية السابقة وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم
يتفكرون قال المفسرون انه تعالى لما قرر الدلائل العلوية أردفها بالدلائل الارضية
باعتبار ما بالارض وما احتوت عليه من عجائب قدرته فى حكمه الماضية

بوجوب وجوده تعالى فان حكماء المتأخرين الذين وصلوا بالمعارف والتحليل والآلات
الى ما لم تبلغه فلاسفة الاقدمين حتى زعموا انهم أكبر من سابقيهم وبنو خصائصهم فهؤلاء
هؤلاء القوم قد أقروا بانه لابد من خالق لما هو موجود ولذا يطلقون عليه كثيرا من الاسماء من
قولهم الحادثة والنواميس والطبيعة وغيرها وقد صرحوا بأن هذه عبارات اصطلاحية
ولا يفهمون حقيقتها أمور مجهولة بأنهم متبعوا الاعتراف بانه تم من هؤلاء الحكيم المتبحر
فيلكس لامروس وهو من مشاهير فحول علمائهم فى القرن التاسع عشر المسيحى
حتى ان كتابه فى الجغرافية الطبيعية الموسوم بالدروس الاولية عليه مدار تعليمهم
فى المدارس واختير للتعريب اليه لم يعمل به فى المدارس المصرية وقد صرح هذا
فى كتابه المذكور فى مبحث الحر وكرة الهواء بقوله واذ فرض وجود مثل الجوى من
الهواء فانه يتشتت فى الفضاء الى أن قال لكن الحكمة الالهية اقتضت الآن حفظ
الاشياء وضبطها فى مواضعها المشغولة هى طبيعة عن جذب قوة مجهولة ذاتا وأصلا تسمى
بالجذب وهى كما علمتها العقل لا بسبب اذ هذا الاجرام كثرة بعد الطبيعيين عنه
وتفتيشهم عليه لم يزل مجهولا الى الآن وعلى الدوام بدراسته معلوم ان لا يأخذ بطور هر
مثل هاته الكلمات العلمية التى يوضح بها سبب اوائل ما يتحيره مجهولة للحادث من
الحوادث فاذا قيل هنا مثلا ان الاجرام تزن أو تثقل لانها مجذوبة لغيرها أو انها جارية على
مقتضى نواميس الجذب كان ذلك الدور المعيب (انتهى كلامه) ثم ان الاعتبار بأحوال

الارض استدراكا ما فى الآية الكريمة هى من جهات أربع هيئة الارض وهى كونها
جرما عظيما حتى ان مقدار ما يصل اليه بصر الانسان منها يرى مبسوطا مع انها كرة قال
العلامة الرازى ما معناه انه لا ينازع فى كونها كرة الا من لا تدبر له (وقد) ألف الشيخ محمد
بيرم الثالث رسالة فى ذلك استدل على تكويرها بكلام الحكماء والفقهاء

واهل

واهل الباطن وها نحن نسرد هنا نبذة من ذلك مع اختصار وزيادة فاما كلام الحكماء
فانهم ذهبوا الى ان الاشباح من بعد غيبتها بارتفاع الشمس والكواكب في جهات من
الارض بخلاف جهات أخرى حسبما هو مدون في كتبهم من أجل الارتفاع واما كلام
الفقهاء فقد ذكر القرافي كثيرا من المسائل المتعلقة باختلاف المطالع في الصوم فيجب على
أهل المشرق برؤية أهل المغرب الهلال لان الوجوب معلق بشهود الشهر لطائفة
من الناس بخلاف الامساك والافطار فانه يكون لكل أهل قطر بحسب ما عندهم لان
الوجوب معلق بدخول الوقت لا كالصوم وذكر القرافي ان الصلاة في بعض الجهات تطول فيها
الاوقات وبعضها تقصر حتى يفقد بعض الاوقات كالعشاء في بعض الجهات الضاربة الى
أقاصي أحد القطبين وذكر في الفروق ايضا ان الاخوين متوارثان في يوم واحد وزمن واحد
منها لكن أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فان المغربي يرث المشرقي لان وقت
المشرقي متقدم في الوجود على وقت المغربي كالزوال مثلا واما كلام أهل الباطن فقد
سئل عن سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه عن ساعة الاجابة من يوم الجمعة الوارد
فيها الحديث بانها من عند جلوس الامام على المنبر الى قضاء الصلاة قال ان ذلك خاص
بوقت صعود امام المدينة المنورة وان كان ذلك الوقت لا يتحد في جميع البلاد من الله
بساعة النبي صلى الله عليه وسلم وجعلها تختلف باختلاف صعود الائمة على المنابر من
ذلك اليوم وجميع ما تقدم انما ينبني على القول بان الارض كروية ولو كانت بسيطة
لما اختلف شيء من ذلك اذ الشمس اذا ظهرت تظهر على الجميع في آن واحد ومن كلام
القطب سيدي أحمد بن عروس رضي الله عنه الصريح فيما نحن بصدده وهو من
أنواع النظم المسمى بالملحون قوله

واديا منها دلاعا ✽ تذكر كف في جملة ادلاع
ما خفوها من طماعا ✽ ورماتهم في برم الوقاع

وهو صريح في تكويرها ودورانها على ما سيأتي وليس في القرآن ما يعارض ذلك بل
من الآيات ما يشهد والمشاهد ابسط في نظر العين ولما كان خطاب التكليف
بجميع الشريعة المطهرة عاما لجميع طبقات الناس كان خطابهم على اسلوب تتدربه
كل على التوصل الى قدر مدركه حدا في مسائل التكليف المهمة كالاستدلال على
وجود الخالق وصحة الرسالة والعلم بحدود أوقات الصلاة والصوم ونحو ذلك اما ما
يكتفي فيه بالاستفتاء من الغير فلم يحصر اسمه الفقهاء (وقال تعالى) فاسئلوا أهل الذكر

من كانهم لا تعلمون وهذا أصل عظيم يجري في كثير من الأشياء وقد بسطه الشاطبي
في موافقاته (وثاني) الجهات المشار إليها في الآية الاستدلال بالجبال المعبر عنها
بالرواسي وأن عظم حجمها أو اختلاف أوضاعها واختصاص كل بحد محدود واختصاص بوجود
معادن بخصوصها تتفاوت الحالات ولو كانت بمحض الطبيعة التي هي أمر بلا مسمى لتساوت
في جميع الحالات مع أن هذه واختلافها هذا بحسب الظاهر وأما إذا دقق النظر
فيما تختص به مما تشتمل عليه من أنواع الصخور والتراب والطين والمعادن فذلك أمر
يحير العقول ويدهش الأذهان ومن أراد الاطلاع على أسرار ذلك فليراجع كتب
المطولات والكيمياء (وثالث) الجهات المشار إليها في الآية الاعتبار بالأنهار واختصاصها
بأحوالها التي هي عليها مما يقتضي وجود مخصص لها ولا غاية في نظم القرآن قران
الأنهار بالجبال إشارة إلى أن تكون الأنهار بسبب الجبال إما من الثلوج المذابة منها
أو من منابع لها من المعمورة فيها وكأن سبب كثرة هاته المنابع في الجبال هو أن الجبال
من أسباب جذب الأبخرة والأمطار على الدوام على سطح الأرض لا تكثر في باطنها
حفظها وفي الأراضي المنبسطة تتصاعد تلك المياه بحرارة الشمس وتعود أبخرة في أجسام
الأرض المتخلخلة بخلاف الأراضي دون الجبال فإن صلابتها تمنع نفوذ الماء بخارا كما
يمنعه من تأثير حرارة الشمس فلا يزال الماء يجتمع في تجاويف الجبال إلى أن يتكون منه
مقدار عظيم فيحدث قوة لانصبابه على ما حوله من الأرض وتتكون منه الينابيع
والعيون وتسيل جداول وأنهارا ثم تجتمع في حوض تتكون منه الأنهار وتعظم
وتصغر بحسب ما يلتقي فيه من الأنهار والينابيع (ورابع) الجهات المشار إليها في الآية
الاعتبار بما في الأرض من الثمرات وما كان منها زوجين ذكر وأنثى وهذا السر
الذي تحتوي عليه الآية على حقيقته الآن (قوله تعالى) ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين إنما علمنا به من ترقي العلوم الطبيعية والفلاحية وقد ثبت بالتجربة
والمشاهدة وقرره جميع الفلاسفة المتأخرين في كتبهم أن جميع أنواع الثمرات بل حتى
الزهور أصنافها تشتمل على ذكر وأنثى وإذا انفرد أحدهما عن الآخر لا تتولد الثمرة غير أن
بعض الأنواع تكون فيها الشجرة الواحدة مشتملة على أعضاء الذكر وعلى أعضاء الأنثى
وبعضها يحصل بالريح وهو المشار إليه (قوله تعالى) وأرسلنا الرياح لواقح وبعض
الأنواع تكون فيه شجرة الذكر منفردة عن شجرة الأنثى وهذا النوع الأخير كان معلوما
منذ سالف العصور لدى أهل النخل ولكن الآن قد تحقق أن جميع الأنواع لا تثمر إلا
بالتلاقح

بالتلاقح بين الذكر والانثى حتى اذا تتبع قطع أحد الصنفين من شجرة تشاءموا في نور
الآخر بجانبه ولم يكن في ذلك الموضع شجرة حرى مثلها فان ما في فيهما من النور لا يثمر
وقد حرروا ذلك وعلامات الذكر وعلامات الانثى في كل نوع بحسبه فسبحان القادر
الحكيم الذي أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حقا وصدقا بأوضح المعجزات فقد انبأ بهذا
منذ أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة عندما لم يكن هناك حكيم يختلج هذا بفكره فضلا
عن الامة الامية وهو أحدها لا يقرأ ولا يكتب ولا شك أن هذا انما هو بوحي من الخالق
الذي يعلم ما خلق سبحانه وتعالى ولدقة هذا الامر وغرابته قد اعترف منصفوا أهل هذا
العصر بأن الحكمة قد فارقت هذه الامة العربية منذ بعث بها رسولها واستندوا الى ما
اشتمل عليه القرآن من بديع الحكم فان معرفة كون الريح تلقح الاشجار لم تعلم عند
الحكماء الا في آخر هذا القرن والقرآن الكريم ناطق بها وقد قال مستر اجنبري (حرف ج
ينطق به بين ... او لشين) الانكليزي معلم اللغة العربية في مدرسة عمدة الفنون في بلد
أكسفورد الكائنة في لوندره ان أصحاب الابل قد عرفوا ان الريح تلقح الاشجار
والثمار قبل أن يعلمها أهل اوروبا بثلاث عشرة قرنا أول وكذلك كون الثمار تشتمل
على الزوجين وما دل ذلك الا بعلم الخالق لا بواسطة الانعامات والتجربات وتحليلات
كيماوية وبذلك يعلم حقيقة قول من قال ان القرآن لم يقصر على حقيقته وانما كانوا
يأولونه على قدر ما تصل اليه العقول وعلى قدر الحاجة في الاحكام ومما تقدم يظهر انه
لا حاجة الى تأويلات المفسرين في قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
حيث حملوا الزوجين على معان أخر كاختلاف الطعوم والغبرة مع ما يتبع ذلك مما هو بعيد كبعد
ما ذكرناه فان ما ذكروه لا يعد من الذكر الا بالنظر للتأويل وحيث تبينت الحقيقة فلا داعي الى
التأويل ويعلم مما قالوه من التأويل ويؤيد ما حررناه من الحمل على الحقيقة ان ما أولوا
به لا يستقيم على خط واحد في آيات القرآن العظيم الواردة في هذا المقصد كقوله تعالى
في سورة الحج وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل
زوج بهيج فان ما قالوه من اختلاف الطعوم أو الطبائع لا يطرد في جميع ما تنبته الارض
بل فيه المتوقف في ذلك وان كان بحسب التنصيص مختلف الانواع بخلاف ما قلناه فانه
مع الحمل على الحقيقة هو مطرد أيضا (ومما تقدم) يعلم وجه طالب العلوم الرياضية على
ما سيأتي في محله ان شاء الله تعالى حيث ان التعبير المتقدم في الجملة الشريفة انما يعني
بها كما ان تمام الآية يشتمل على اشارة غريبة من ذلك القبيل وهو الجهة (الخامسة) من

جهات الاعتبار المشار اليها. قوله تعالى يغشى الليل النهار فقد تقدم أنه تعالى بعد أن ذكر في الآية السابقة الدلائل العلوية ذكر بعده الدلائل الارضية ونسق فيها تعاقب الليل والنهار بجعله من الحوادث الارضية فقال المفسرون لظهوره فيها وان كان هو من متعلقات العلويات وهو الشمس واعلم أن مسئلة حركة الارض أى هل هي التي تدور أم الشمس هي التي تدور هي من المسائل العتيقة أعني ان ادلتها ظنية وكثير من علماء الهيئة هو على هذا النحو الى الآن كمسائل الابعاد بين الكواكب ومقادير اجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعلماء هذا الفن مقرون بذلك كما يأتي وبشهد له أنهم كانوا متفقين على أن بعد الزهراء من الشمس مقادير معلومة في سنة (١٢٩٣) كان اقتران الشمس بالزهراء يعني أن الزهراء تمر حائلة بين الارض والشمس فاعتنوا لذلك من قبل وارسلوا العارفين الى الجهات التي يمكن منها رؤيته ذلك لتحرير الرصد بالآلات فحرروا ذلك ووجدوا أن جميع حسابات السابقين خطأ فان البعد الذي حرروه اقل مما كانوا يحسبون وكذلك مقدار جرم الزهراء ومن الجائز أيضا ظهور الغلط في هذا التحرير في وقت آخر وحيث كانت المسائل في هذا الفن ظنية اختلف علماؤه في أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على أن ذلك من آثار تقابل الشمس والارض فقدماء الفلاسفة ذهبوا الى أن الارض هي التي تدور والذين بعدهم ذهبوا الى أن الارض مركز الافلاك وبدوران الافلاك يحدث الليل والنهار وأن الشمس هي التي تدور ومعه وبخاص بما يحدث منه الصيف والشتاء واشتهر هذا المذهب وزاد انتشاره عندما انتشر هذا العلم ونهض في الامة الاسلامية لما استفحل فيها العلم وكان ذلك المذهب هو المشهور حين أخذوا عنه العلوم الرياضية ثم أحيي المذهب الاول وتمكن الى الآن عند علماء العصر بهذا الفن وانكره المنتسبون للعلم من المسلمين ظنا منهم أن المذهب الآخر هو من عقائد الاسلام أو أن المذهب الآخر مصادم للنصوص والحق أن ليس شيء من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا وانما المدار عندنا على الاعتبار بالآثار المشاهدة من الليل والنهار واشباه ذلك وثبات جريان للشمس وأما كيفيته فلا تعلق لها بالعقائد وسير الشمس ثابت على كلا المذهبين لان المتأخرين يثبتون لها حركة رحوية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضا ثم حركة ثالثة لها مع جميع ما يتبعها من الكواكب حول شيء مجهول كأن هذه الدورة مجهولة المستقر أيضا وكأنها هي المشار اليها بقوله (تعالى) والشمس تجري لمستقر لها

ذلك

ذلك تقدير العزيز العليم وذلك أن المستقر أوتى به فيه منكرا للإبهام فيفيد أنه غير معلوم
للخلق ولهذا أوتى به مضافا الى الشمس باللام ولكان منكرا ولم يقل مستقرها بالاضافة
المفيدة للتعريف لان ذلك المستقر غير معروف وعلماء هذا الفن الآن من غير لساني
مقرون بذلك فهو (حينئذ) اجماعي بيننا وبينهم ثم ان كون حدوث الليل والنهار
هو من آثار دوران الارض ربما كانت آيات عزيزة تشير اليه فانها الآية المتقدمة فانه
(تعالى) بعد ان ذكر الدلائل على وجوده من السماء ذكر الدلائل الارضية وخلط فيها
الليل والنهار فيشير بذلك الى انهما من آثار الارض لان وجودهما وان كان يستلزم
الشمس والارض معا لكن تخصيصه بالانخراط في الدلائل الارضية يدل على تعلق
خاص وهو كون دورانها هو السبب على أن منطوق الآية فيه تدعيم لهذا حيث قال
يغشى الليل النهار فجعل الليل الذي هو ظلمة الارض يغشى به النهار الذي هو ضوء الشمس
فيه تلميح الى ان الارض هي التي تحدث ذلك بفعل الله ومن الآيات المشيرة الى ذلك
أيضا (قوله تعالى) والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا
يغشيها فجعل النهار الذي هو مقابلة وجه الارض للشمس جاليا لها والليل الذي هو الظلمة
لاصابة للارض مغشيا لها وأسند ما عليه ذلك لغير الشمس بل لفاعل آخر وهو الليل
والنهار الذي هو من آثار الارض وان كان هناك ثابتة تدل من الآيات على طلوع
الشمس وغروبها وغير ذلك يمكن تأويله باعتبار الابصار والعرف الجاري في اللسان
(ثم اعلم) انه لا يلزم من دوران الارض في السماء على ما يتوهمه غير العارف لان
السموات لا شك في وجودها بالنصوص القطعية عليها غير ان جرمها غير معلوم لنا وانما
نعتقد انها اجرام شداد هي بالنسبة لكل من على الارض فوقه كما هو المفهوم اللغوي
للسموات وأما ماهية اجرامها فالله أعلم بها ونعتقد انها سبع طبقات شداد ثم طبقة أخرى
تسمى بالكرسي ثم طبقة أخرى تسمى بالعرش ولا يلزم من كونها شدادا أن لا تخرقها
الكواكب بسيرها فان ذلك مشاهد لنا كما انه لا يلزم من سير الكواكب انعدامها
حتى يقولون ان الكواكب ملقاة في الفضاء لان ذلك متوقف على معرفة كنهها وهو
فوق عقولنا لان العقول انما تتوصل الى المعهودات للحواس وما لا تعهده الحواس يعسر
ادراكه على حقيقته ولهذا كان علينا ان نصدق الصادق ونكل معرفة ذلك الى خالقها
فقد قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه عند قراءته (قوله تعالى) وأكواب
كانت قواريرا قوارير من فضة ما معناه ان القوارير الزجاج الذي لا يحجب ما وراءه

والعصفة اذا ازرقت ماء ساحات ذات زرق لا يكون الا كثيفة فنهاية القصة هي نوع آخر
لا نعلمه ونكل علمه الى الله بل الاغرب أن مثل هاته المسائل أقرب ما يكون الى الذين
لا يعتقدون الشرع فقد قال أحد حكماء الغرب او من المتأخرين ما ترجمته ان للعقل
حدا محدودا لا يتجاوزه كما أن للبصر حدا محدودا لا يتجاوزه فانتهاب العقل في التوصل
الى معرفة كنه الاجرام العلوية وماهيتها كانتهاب البصر في أن يرى ما فوق السقف
من اسفله فهب انك اعنته بأعظم المرايا المكبرة فانه لا يمكن أن يخترق السقف حتى
يرى ما فوقه (اه) ويمكن لنا أن نفسر السماوات للمنكرين للسماء بوجودها على
مقتضى علم الهيئة لدى هم علماء الآن أجرام بعضها وجود كرة الهواء محيطة بالارض
وانها عظيمة شديدة حتى قرروا أن ذات الانسان المتوسط مضغوطة بما لا يكثر من
ثلاثة وثلاثين ألف رطل من الهواء ومع ذلك ان هاته الكرة العظيمة الشديدة تخرق
كيف اراد الخرق لها فلم لا يجوز أن تخرق الكواكب السيارة السموات على هذا القول
ثم ان هاته الكرة الهوائية نهاية ارتفاع سطحها الاعلى عن سطح الارض نحو ستة عشر
فرسخا وهي في ذاتها تخالف طباعها او ما فوقها ليس هواء ولا يوجد في الكون خلو
مطلق كما هو رأي قدماء الفلاسفة ومتأخريهم كما قرره الحكيم لامروس في كتابه السابق
ذكره فلم لا يجوز أن يسمى الشيء المحيط بكرة محدودة من الهواء بالسماء وما فوقه من حد آخر
بسماء آخر وهكذا وان كان فصل حقائقها لكنا نقول انها الاجرام من سير الكواكب
في مناطقها ومن ذات الارض فالارض التي يقع بها الاعتبار بالاوجه المتقدمة لا يكون
عز به الاعتبار عما فيها من اختلاف اقطارها حرا وبرودة ليلا ونهارا وجبالا وسكانا
الا بالسير ومشاهدة عجائب خلق الله فيها

الفصل الثاني

فيما ورد في السفر من السنة روى السيوطي في الجامع الصغير عن ابن السني وأبي نعيم
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) انه قال سافروا
تصحوا وتغنموا فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن في السفر ثمرتين راجعتين الى
الجسم زيادة على ما تقدم من الثمرات الروحية (الاولى) هي الصحة لما يشتمل عليه السفر
من الرياضات البدنية فلا يخلو عليه عن مشقة ولهذا رخص فيه من ارخص ما هو معلوم

في

في الفروع فقطع النظر عن العلة الباعثة عليه كما هو المذهب الحق واتعاب البدن بغير مصلحة وأما استنشاق الهواء السليم فهو ألزم للجسم من الأكل والشرب لأن الإنسان لا غنى له عن التنفس في كل لحظة بخلاف الأكل والشرب لإمكان الصبر عليهما مدة ما (وبيان وجه احتياج الإنسان إلى الهواء في كل لحظة للتنفس) هو أن الله قدر بحكمته تركيب الجسم الإنساني على أبدع وجه وجعل سبب قوامه هو الدم المصفى من الغذاء فبعد هضم الغذاء في المعدة يمتص ويصعد في قناتين توصلانه إلى القلب بعد اجتماعهما في قناة واحدة وهو إذ ذاك في لون البياض وقبيل الوصول إلى القلب يصب ذلك في قناة دم الدورة الراجع إلى القلب أيضا والقلب شكل صنوبري منقسم داخله إلى قسمين يمين وشمال وكل منهما منقسم إلى قسم علوي وقسم سفلي وبينهما حاجز وبعد يوصل بينهما الله غطاء ينفتح وينطبق فالدم المتقدم ينصب في الطبقة العليا من القسم الأيسر ومن هناك ينفتح الغطاء وينصب الدم في الطبقة السفلى ثم ينقبض الغطاء بسرعة ثم ينفتح أخرى وهكذا وكلما انطبق الغطاء ضربت جميع الأنباض التي في البدن فحركتها تابعة لحركة الغطاء قوة وضعفا سرعة وبطئا ثم يخرج الدم من القسم الأيسر السفلي في عرق عظيم هو مجمع عروق الأنباض فيصعد إلى أعلى ثم يتفرع منه فروع وهاتيك الفروع تتفرع منها فروع أخر أقل منها وهكذا إلى أن يعم جميع أجزاء البدن وهي عروق الأنباض وكلما انتهى نبض إلى جهة ينقى الدم منه عرق من عروق الشرايين التي لا تتحرك وهاته وتتقيها يرجع الدم إلى القلب فتكون عند اتصالها بالأنباض صغيرة الحجم ثم لا تزال تجتمع فتعظم إلى أن تصير عرقا واحدا فيصب في القسم الأيمن من القلب الذي هو مقسوم أيضا مثل الأيسر وحركته مثل حركته غير أن الدم يخرج من الطبقة السفلى منه في عرق يوصله إلى الرئة ولا يخفى أنه أي الدم إذ ذاك قد دار في جميع البدن ونقص من أصل كميته عناصر تجذبها العروق إلى اللحم والعظم وقد تغيرت عناصره وقل منه الاكسوجين وزاد فيه الحامض الفحمي حتى يتغير لونه ويصير أسود بعد أن كان أحمر ولو بقي على حالته لأضر بقاؤه في البدن لكن حكمة الله تداركت هذا الأمر باللطف فجعلت الرئة تجذب الهواء الذي هو مركب في حالة سلامته من الازوت وهو أكثر جزئه ولا يضر ولا ينفع الحيوان إذ الدم إذا كان مخلوطا مع قليلة الأجزاء ومن الاكسوجين الذي هو الجزء النافع لحيوان ذي الدم وقليل منه كمية الحامض الفحمي الضار للحيوان المذكور ومن شيء يسير من المائية كونه بخارا مائيا

دخل الهواء الرئة استرجع الدم منه الاكسوجين الذي فقده ودفع فيه ما غشه من
الحامض الفحمي المضر ثم أخرجته الرئة بالتنفس وأخذت هواء آخر لما ورد اليها من
الدم أيضا وهكذا في كل لحظة وعند ما يصفو الدم في الرئة برجوعه الى اعتداله ينبعث
منها في عرق عظيم ويرجع الى القلب من الجهة اليسرى على نحو ما قدمناه وهكذا
(فسبحان القادر الحكيم اللطيف) وبهذا البيان ظهر وجه احتياج الانسان للهواء
أكثر من الغذاء واذا علم ذلك علم وجه كون السفر مفيدا للصحة لان الهواء في الاماكن
المسكونة يكثر فيه الجزء الحامض الفحمي المدفوع بتنفس السكان بخلاف الاماكن
الغير المسكونة فان هواءها يكون أصفى وأنقى من غيرها والمسافر لابد له من قطع مفاوز
وبحار فيستنشق ذلك الهواء الحسن فيصفو دمه ويصح بدنه كما قال (عليه الصلاة
والسلام) وبما قررناه في التنفس والهواء علم وجه كراهة النفخ على الطعام شرعا
لان الهواء المدفوع به يكون حاملا لجزء كبير من الحامض الفحمي الذي هو مضر بالصحة
واعلم أن ما قررناه في حسن الهواء وسلامته للمسافر هو بالنظر في الغالب الاكثر فلا
يعترض عليه بان هناك اماكن خالية عن السكان ومع ذلك هي وخيمة لما يعرض لها
من تعفن أو غيره فلا يكون هواؤها صحيا لان ذلك قليل والحكم على الغالب (وهكذا)
القول في منفعة السفر في الربح المالي اذ شأن المسافر الاطلاع على أحوال التجارة والسعي
فيها فيربح دخله ولا يعترض بكون المسافر لا يربح اذا سافر لقصد سياسي او تنزهي
أو بدني او غير ذلك اذ مدار حصول الشيء على السعي في اسبابه

الفصل * الثالث

فيما ورد في السفر من كلام الحكماء والادباء اعلم انه قد ورد في مدح السفر كثير من كلام
العلماء والحكماء فلا نطيل بذكرها ونقتصر على كلام الامام الشافعي رضي الله عنه
حيث قال

تغرب عن الاوطان في طلب العلا * وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فقد جمع من فوائد السفر ما تتشوق النفوس الى اكتسابه

الباب الثانى

﴿فى السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان﴾

الفصل الاول

﴿فى النصوص الدالة على الجواز﴾

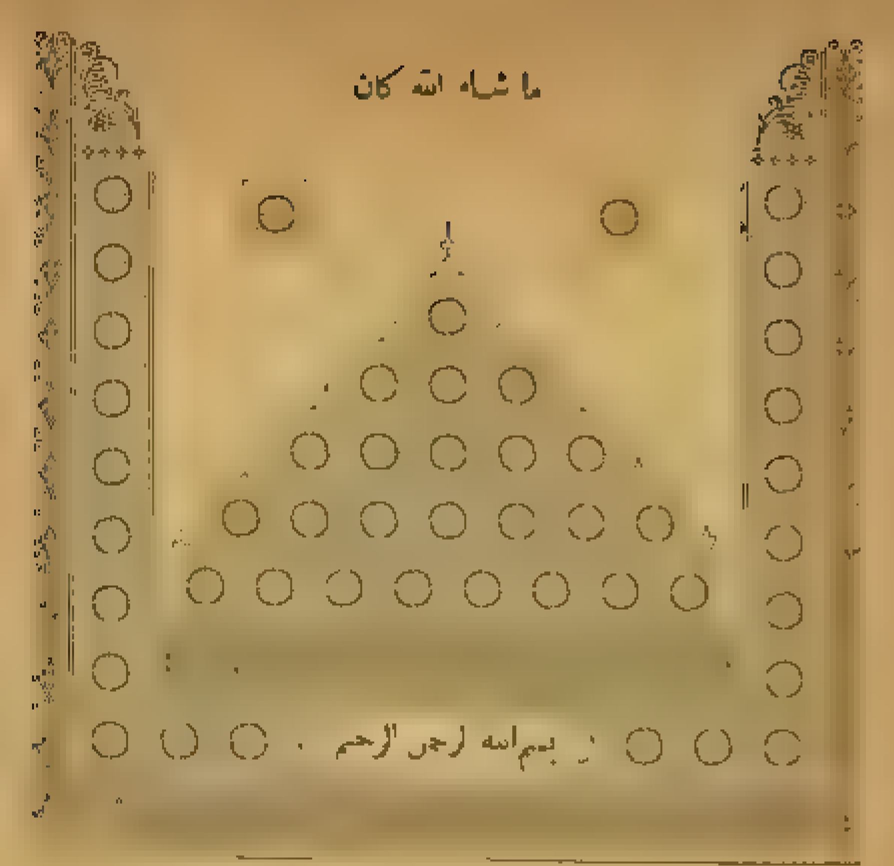
لاخفاء أن الاعمال بمقاصدها فاما أن يكون السفر لقصد صحيح شرعا كقصد مصلحة عامة أو مصلحة خاصة لا مندوحة عنها او يكون لمجرد توسع فى المال وتنزه وعلى كلا الوجهين فالسفر جائز غير انه يختلف حكمه بالنسبة للمروءة وحفظها حتى تبقى العدالة اولا تبقى بانهدام المروءة وها نحن ننقل ما اطلعنا عليه فى المسئلة ففى الفتاوى البيرمية نقلا عن خط الشيخ محمد بيرم الرابع ما نصه سئل جدى رحمه الله عن ركوب البحر والذهاب لدار الحرب هل يسقطان العدالة ام لا فاجاب بما نصه أما مجرد ركوب البحر فانه لا يمنع قبول الشهادة الا ان قصد به الهلاك واما الذهاب الى دار الكفر فينظر فيه للسبب الحامل عليه فان كان مصلحة عامة للمسلمين او خاصة بالذاهب كما اذا كان به مرض يعجز عن علاجه هنا فهذا لا بأس به ولا تسقط العدالة بسببه واذا كان لمرض التجارة والاستكثار من حطام الدنيا فهذا هو الذى تسقط به العدالة هذا ملخص ما فهم من كلام أصحابنا كما فى الوهبانية وشروحها والله تعالى اعلم انتهى وفى الفتاوى الهندية من كتاب السير بعد أن ذكر أن رجلا لا يخرج للجهاد الا اذا رضى ابواه او من يقوم مقامهما على التفصيل المقرر هناك قال وان أراد الخروج للتجارة الى ارض العدو وكرها خروجه (أى الابوين) فان كان امرا لا يخاف عليه منه أو كانوا قوما يوفون بالعهد يعرفون بذلك وله فى ذلك منفعة فلا بأس بان يعصيهما انتهى ذكر مسائل تحوم على أن المدار فى الجواز وعدمه على غلبة الظن بالامن فاذا حصل ذلك جاز له السفر ولو بغير رضى الوالدين فتلخص مما تقدم أن السفر الى ارض غير المسلمين جائز كيفما كان القصد على شرط الامن وانما يختلف الحكم بالنسبة للعدالة ولا يخفى أن العدالة مدارها على حفظ المروءة والتنزه عن الرذائل وسفاسف الامور فاذا كان يقتحم الاخطار فى السفر المذكور لمجرد زيادة فى التحسينات كالتنعم بالنظر أو بزيادة المال كان ذلك قادحا فى العدالة وان لم يكن محرما واما اذا كان

السفر المذكور لغرض صحيح ولو تجارة يحتاج اليها خاصة اوله واهله فهو مع كونه مباحا لا يسقط العدالة أيضا بل له الاجر الاخروى ان صحح النية وخلاصها التى هى أساس العبادة وقد علم مما مر أن شرط الجواز هو الامن وهذا الشرط لا يختص بأرض غير الاسلام بل هو شرط أيضا فى أى أرض كانت كما فى حواشى الشيخ عبارة على لامية الزقاق حيث قال فى أثناء الكلام على الاقامة بدار الحرب ان الانسان ان لم يستطع كف الظالم والعاصى تجب عليه الهجرة فاذا كانت تجب الهجرة منها فكيف يجوز الاقدام على الدخول اليها والله تعالى يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ثم ان الامن يعلم حصوله وعدمه من الباب الآتى فى أهل الارض لانهم يختلفون فى الصفات والاحوال

الفصل * الثانى

فى تطبيق الحكم على سفر العبد الضعيف الى ممالك أوروبا وسبيله من القصد والوجه الحامل لى على السفر الى ممالك أوروبا وهو اما التداوى بعد العجز عن علاج مرض فى بلادنا أو مصلحة أو ضرورة وكل الوجوه الثلاثة مما يسوغ السفر بلا سقوط العدالة واذا اعتبرنا ما حصل من ثمرته وأقمنا الحمل على جميع ما فيه الخلاصة فانى أرجو من كرم الله تعالى أن يعفو عن زلاتى ويعاملنى بمحض جوده وفضله سيما والبلاد التى قصدناها من بلاد الافرنج هى تامة الامن كما يعلم من الباب الآتى

القسم الثاني من
الجزء الاول
من صفوة
الاعتبار



(الباب الثالث)

في تقسيم أحوال أهل الارض الآن
وفيه سبعة وثمانون فصلا

اعلم ان الله جلت قدرته قد قسم الخلائق في هاته الارض وخالف بين عوائدهم واصطلاحاتهم ولغاتهم وان اتحد الجميع في أصول الاحتياجات كالطعام والملبس واللوازم وقد قدر الجغرافيون سكان كرة الارض من ثنى عشرة مائة مليون الى ثلاثة عشر مائة مليون وقسموا الارض الى أقسام خمسة وهي (آسيا) و (اوروبا) و (افريقيا) و (امريكا) و (استراليا) وهي أقسام اعتبارية اذ الارض واحدة وماؤها مشترك متصل

في القسم

(القسم الاول آسيا)

اعلم ان القسم الأقدم عمرانا والاكثر سكانا والاشرف معنى لما حواه من كونه مصدر
للديانات الالهية ودار الرسل (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ومنبع سطوع النور
العظيم الحاوى للذات الشريفة المحمدية (عليها أفضل الصلاة وازكى التحية) هو
قسم (آسيا) الشامل لمكة والمدينة والقدس وهو محدود شرقا بخليج برنغ والمحيط
الشرقى وجنوبا بالمحيط الهندى وغربا برزخ سويس والبحر الاحمر وغربا بالبحر الاحمر والبحر
الابيض وبحر مرمرا والبحر الاسود ونهر دون وجبال أورال وشمالا بالمحيط المتجمد الشمالى
وهذا القسم مشتمل على عشرين مملكة

الفصل * الاول

(في المملكة العثمانية)

اعلم ان أعظم الممالك الاسلامية في هذا القسم هو المملكة العثمانية لاشتمالها على
أعلى الممالك الاسلامية التي كانت سعيدة واعدادها تحت سلطنتها ولاشتمالها على
الحرمين الشريفين ولان سلطانها هو صاحب الحرمين الشريفين ولامتدادها على
ممالك وسيعة اسلامية في افريقية كما ان لها في أوروبا ممالك واسعة ويتألف من
المجموع مملكة عظيمة تحت سلطنتها العثمانية وتسمى [illegible] في ارض آسيا وارض
أوروبا وامرقها بين البحر الابيض والبحر الاسود فكان لها بذلك اوقع مقام في الاعتبار
وسكان هذه القطعة قدرهم مليون ونصف وأقسام هذه المملكة هي الاناضول وفيه
آسيا الصغرى والشام والعراق وديار بكر وأرمينية والجزيرة والحجاز واليمن ولها
في أوروبا قسم الروملي والحاقه ولايات عديدة وهي ايالة البلغار والروملي الشرقية وفيه
جزائر البحر الابيض التي منها ماله امتياز كجزيرة كريد وساموس ولها في افريقيا
ممالك أيضا وهي طرابلس ومصر وتونس وهاتان الاخيرتان لهما امتيازات خاصة
في الادارة وتشتمل المملكة الآن في الاقسام الثلاثة من الارض على نحو اثنين
وعشرين مليونا عدى الممالك التي لها امتيازات واذا ضم ذلك كان الجميع يناهز
الاربعين مليونا والذى يخص قسم آسيا فقط من السكان نحو ستة عشر مليونا وقد ابتدأ
تأسيس هذه المملكة من سنة ٦٩٩ تحت سلطنة السلطان عثمان في أرمينية

ولازالت تعظم الى ان بلغت نهاية السطوة على جميع ممالك المعمور ثم ابتدأت اوروسيا في حروبها ومداخلات الدول الاوروباوية تارة بالدفاع عنها واخرى للربح منها ولازالت بين الدول لها اعتبار وحكومتها شوراوية في الرسم لكنها الآن تحت الحكم العرفي ولم تزل سلاطينها يحصون على الامن في جميع انحاء المملكة وفي جميع انواع السكان الذين اغلبهم مسلمون وهم نحو ستة عشر مليونا وباقيهم اغلبهم نصارى على مذاهب شتى والباقي من ديانات مختلفة ولزيادة توطيد الامن واجراء العدل اسس المقدس السلطان عبد المجيد التنظيمات الخيرية في سنة (١٢٥٧) ثم اكدها ولده السلطان المعظم عبد الحميد بالقانون الاساسي الذي اصدره في سنة (١٢٩٣) وفقه الله لما يرضاه وبقية التفاصيل المتعلقة بهذه المملكة تأتي ان شاء الله تعالى في المقصد وقوتها المالية والحربية تأتي في آخر المقدمة في جدول قوات الدول بحول الله وارادته

الفصل * الثاني

﴿ المملكة الثانية هي مملكة فارس ﴾

وهي مملكة اسلامية قاعدتها ايران وعدد سكانها من الخمسة ملايين الى سبعة ما بين سنية وشيعية ولها تقدم في الحضارة وبعض رجال دولتها مهذبون لهم معارف كافية في السياسة ورئيس الدولة يلقب بالشاه وهو الآن الشاه ناصر الدين من آل البيت المطهر وقد التفت الى الاصلاحات التي يقتضيها الحال لما شاهده في اوروبا وغيرها عند اسفاره لها منذ استدعته الدولة النمساوية (في سنة ١٢٩٠) لحضور المعرض الذي فتحته فأجاب دعوتها كما اجاب السلطان عبد العزيز العثماني دعوة دولة فرانسا لمعرضها (في سنة ١٢٨٧) والشاه المشار اليه زار في سفرته المذكورة الدولة العلية فانه بعد ان وصل الى لندره على طريق (روسيا والمانيا رجع على طريق فرانسا ثم سويسرا الى ايطاليا ومن هنالك توجه للاستانة ولما علم السلطان بقصده لزيارته ارسل له باخرة جليلة ساطانية تكونه وجعلمن مدرعين يحفانه وارسل له فيها وزير البحر فركب الشاه الباخرة من احدى فرض ايطاليا بعد زيارته لملكها فوصل الى جناق قلعة في يوم الاحد (٢٢) من جمادى الثانية (سنة ١٢٩٠) فاطلقت له المدافع من القلعة واصطفت له العساكر وكان له هنالك الصدر رشيد باشا في باخرة سلطانية ومعه سفير الشاه في الاستانة والى جزائر البحر الابيض

الابيض وفي يوم الاثنين لاقاه في بحر مرمرا سفراء الدول في بواخرهم الرسمية ووجوه تجار الفرس في سفينة بواخر أخرى ولاقاه هناك أيضا فرقة من الاسطول العثماني فوصل في موكبه البهي الى الاستانة من يومه وأرسى قبالة قصر بكلربك المعد لنزوله فأطلقت له المدافع وتوجه السلطان لملاقاته في الباخرة ورحب به وآنسه وابتدأه بالكلام والمترجم بينهما ميرزا حسين خان صدر دولة الشاه ثم نزلا معا الى القصر وأطلقت المدافع من جميع الاسطول العثماني ثم رجع السلطان الى قصره بباشكطاش ثم زاره الشاه بعد الاستراحة وآنسه وكان كل منهما متقلدا بنيشان صاحبه وزينت له سائر الدواوين الملكية ومنازل تجار الفرس وحصل له من العناية ما أكد له مزيد الالفة بين السلطنتين ثم عاد الى بلاده وأخذ في فتح الطرق للتقدم لكن السير فيها بطئ . ثم عاد الى أوروبا سنة (١٢٩٥) لزيارة معرض باريس على وجه غير رسمي وازداد استبصارا فيما يبدو في اتخاذه وشرع في شئ من التنظيم سنة (١٢٩٦) تداركا لما يحيط به سياج الحفظ لامته ومملكته التي أخذت منها الروسيا قطعا عظيمة في أواسط القرن الحالي وهاته المملكة حكمها الآن استبدادي مطلق غير أن ما اطلعت عليه من الجزئيات يجري فيه الحكم الشرعي الاسلامي والغرباء لهم الامن من جهة الحكام اذا دخلوا المدن العظيمة منها وحلوا فيها ﴿أما غيرها﴾ فلا اطمئنان فيها الا اذا أخذ المسافر وصيات من رؤساء الحكام أو خفراء له وذيل هاته الدولة وشرحها يأتي ان شاء الله تعالى

الفصل ❁ الثالث

﴿المملكة الثالثة هي مملكة أفغانستان﴾

وموقعها شرقي فارس وقاعدتها كابل وقد كانت هاته المملكة مقرا للمملكة الغزنوية ثم السلجوقية ثم استقلت بولاية أحمد شاه في القرن الثاني عشر ثم دخلت تحت السابقة الذكر ثم استقلت في عشرة السبعين بعد الالف والمائتين داخلة للانكليز وسكانها نحو الستة ملايين وقيل ثمانية والاول أقرب أكثرهم أهل بادية وسكان جبال والديانة العامة هي الاسلامية السنية والحكم استبدادي مطلق ولا راحة تستقر فيها لكثرة الثورات وعدم انقياد القبائل ثم تعارض سياستي الروسيا والانكليز فيها حتى اعتز أميرها وحارب الانكليز فوقعت المملكة في قبضتهم وخذلته الروسيا حيث تم لها حل

قصدها من حرب سنة (١٢٩٤) بتسليم الانكليز لها ومن عادات هاته المملكة أن يكون نحو عشر السكان عساكر دفاعية عن الوطن وفيهم المشاة والخيالة وهم غير منتظمين ولا يبقون في الخدمة العسكرية الا نوبا والاهالي تقوم بهم فان كل مقاطعة أو ولاية يفعل بها مقدار معلوم من العساكر يلزمهم ثم هم يقدمون اللوازم على ما تقتضيه الحال وأصحاب الاملاك يقومون بالخيالة وغيرهم يقومون بالمشاة ﴿وأما الطبيعية﴾ فهم خيالة ومنهم مشاة وكلهم ملازمون للخدمة والدولة تقوم بهم وتجرى لهم مرتبات وحدث في خدمتهم بعض تنظيم في النوع الحديث منذ مدة قريبة وتقدير عددها مجهول

الفصل * الرابع

﴿المملكة الرابعة هي مملكة بلوجستان﴾

وتسمى سابقا بالسند أي داخلة فيه وموقعها جنوبي المملكة السابقة وعدد سكانها نحو المليونين وهم متفرقون تحت رؤساء شتى وأعظمهم الآن خان كلات والديانة الغالبة هي الاسلام على مذهب أهل السنة لكن كانت بالنظر لعادات الامم الاسيوية حيث كانت الغارات مستمرة بينهم وسفك الدماء فتجربه سيما في الاقوام المتركبين الذين بقوا في الجبال فهم لا يتقون هناك للحامين وحيث كانت أراضي هاته المملكة رديئة وموارد ثروتها وتجارتها قليلة لم يرغب فيها الانكليز ورضوا باستمالة رؤساء القبائل اليهم بعضهم بالارهاب وبعضهم بالارغاب وعلى ما تقدم يعلم حال هذه المملكة

الفصل * الخامس

﴿المملكة الخامسة هي مملكة الهند الانكليزية﴾

وموقعها على شاطئ البحر الجنوبي الهندي وتتوغل في دواخل القارة الى جبال هملاي وهي محدودة بالمملكتين الاخيرتين في الذكر من غربيها وهي مملكة عظيمة عدد نفوسها على ما يزيد عن المائة والتسعين مليونا من النفوس منهم مسلمون نحو أربعين مليونا وزادوا في السنين الاخيرة نحو خمسة عشر مليونا بدخول الاهالي في دين الاسلام طوعا ومدفوع لنظارات الآتي ذكرها والجميع تحت الاستيلاء الانكليزي غير ان بعضهم لهم استقلال في ادارتهم الداخلية وهم عدة ملوك وأمراء وعدد هاته الممالك

لمنازة ثمان عشرة مملكة وسبب استيلاء الانكليز على هاتيك الممالك الرحيبة على
وجه الاجمال ان هاتيك الممالك كانت في القرون الاخيرة انقسمت الى امارات وملوك
طوائف يتناحرون على مدى الزمن حيث قد ضعفت المملكة الاسلامية هناك عند
انقراض دولة السلطان محمود في اواسط المائة الثامنة الهجرية الموافقة للمائة الرابعة
عشر مسيحية ومن ذلك الوقت تزايدت المناقشات بين ملوك تلك الاقطار وزاد انقسامهم
الى حد ان صاروا مع ان نفس اجسامهم وحالتهم ليست مستعدة للحروب والاتعاب
لانهم اناس ضعاف الاجسام يميلون الى الراحة والتنعم باللذائذ الرائقة والتأنق في كل
الحسنة والاستكثار من المال والجواهر لا سيما اهل الاقطار الجنوبية فان حرارة
اقاليمهم تقرب من خط الاستواء ولهذا من قديم كانت سائقة للفاتحين متوالية عليهم
من غير تعب ويثبت لهم قدمهم على تلك الحالات التي تمت منها نفوسهم وظهروا اشد
الظهور لما يتم انضباطهم وقد كان اهل البرتغال من الاوروباويين قد عرفوا السير على
طريق رأس الرجاء الصالح من اوروبا الى الهند وتمكنوا ببعض مراكز في تلك الجهات
سنة (٩٠٣ هـ و ١٤٩٧ م) ثم قلدهم في التجارة غيرهم من الاوروباويين حتى
عقدت شركة انكليزية للتجارة في الهند وعينت اولا مدة نحو عشرين سنة ثم اعتنت
وحتموا [illegible] على قواعد [illegible] للحقوق [illegible] ما يمنع من تعدي اهل تلك الاقطار
الذين كانوا يحاولون تحصيل اموالهم لبعد المسافة وطول الطريق لدى طور رأس الرجاء
الصالح وكان هذا في سنة (١٠٥٣ هـ و ١٦٤٠ م) فنفقت التجارة الانكليزية هناك
وكثر خلطة الانكليز بالاهالي وتمرنوا اموالهم حتى سهل لهم التداخل في سياستهم
وتداخلوا في اموالهم وابتدأت تلك الجهة تجارية الى ان وقعت الحرب بين فرانسا وانكلترا
في سنة (١١٥٩ هـ و ١٧٤٦ م) فحينئذ ابتدأ النفوذ السياسي واخذت الشركة
وتسلط الانكليز على بعض الشعوب الهندية مع النفوذ لوجاهة في غيرها حتى ان
بنيان اعظم من الهنود مهر الكازي بمعرفة كارلو الذي ملك الانكليز في عشرة
الستين وسبعمائة والف اي حدود سنة (١١٧٥) وملك التي استولت عليها دولة
الانكليز بدون واسطة شركة التجارية هي الممالك المعروفة بحكومة الخلجان ومنها
جزيرة سيلان التي هي في الجنوب الغربي من الهند وسكانها نحو (٢٣٧٥٠٠٠) وكذلك
جهات تخلصت من جميع استولت عليها دولة الانكليز بلا واسطة ولهذا كانت ادارتها
هناك مخالفة لبقية ممالك الهند فلحكومة الخلجان ادارة منفردة تحت حاكم عام له

مجلس شورى ومجلس نواب للنظر في مصالحهم وتأليف ما يصلح بهم من القوانين أعضاؤه هم كل ذى وضيعة في تلك الحكومة من الاهالى وأعضاء أخر من الانكليزيين نوابهم الدولة ثم الرئيس العام هناك يرجع نظره لوزير المستعمرات لا لوزير الهند ويخاطبه بدون واسطة الحاكم العام في الهند (وأما بقية) الممالك الاخر فقد أخذتها الدولة من الشركة المار ذكرها ولم تزل سلطة الانكليز تتقدم هناك حتى استولوا على بنجالة في سنة (١٢٧٠ هـ و ١٨٥٧ م) وازدادت حينئذ السلطة تقربونفود وامتدت في تلك الممالك حتى دخلت في حوزتها جميعها من غير كبير مشقة الى أن حدثت ثورة عامة شديدة هائلة من الاهالى وأوقعوا بالانكليزيين الذين هناك أشد وقعة في سنة (١٢٧٤ هـ و ١٨٥٧ م) حتى آيس الانكليز من تلك المملكة وأيقنوا بتقلص ظلهم منها ولولا اغترار الافغانستان ومعاضدتهم للانكليز على قهر الهنود فقهروهم وقتلوا منهم خلائق لاتحصى ومثلوا بهم شرمثلة وعادت السلطة لانكليز بقوة سلطة تامة ولم يحصل للافغانستان الا التسلط على سياسته ومملكته بما لم يستقر حقه قرار الى الآن ثم ان

الانكليز لقبوا الملكة انكلترا امبراطورة الهند في سنة (١٢٩٣ هـ و ١٨٧٦ م) وعقدوا له في الهند موكبا حافلا لا يجمع بتقديره وحضره كل ملوك الهند الذين تحت ولاية الانكليز وحيث كان من الصاحب بمكان رأيت أن تثبت هنا ما ذكره أحد مراسلى

الصحف العربية في شأن ذلك الموكب ونصه بينما الناس في فترة وادا بالانكليز اخترعوا طريقة أنتجت جملة فوائد لهم ولرعيتهم وهاك بيانها مفصلا وهى تلقيب ملكة الانكليز بامبراطورة الهند فلهذا أجمعت جمعية عمومية من ملوك الهند ومن أمرائها في بلدة دهلى التى كانت قبلا تخت ملك ملوك الهند فبعد أن حضر جميع هؤلاء الملوك والامراء وأهل الثروة اعظمى ونصبوا خيامهم الفاخرة خارج البلدة كثرت الناس من كل فج عميق الى دهلى ما بين متفرج وتابع وما بين تاجر وصانع وعامل الى أن غصت المدينة بالناس وصار المحل الذى أجرته عادة في الشهر خمس روبيات مائة روبية والعجلة التى تكرى عادة بربع روبية بعشرة روبيات فكأن السماء أمطرت والارض أنبتت بنى آدم فان شارع دهلى عرضه أربعون مترا وكان المار فيه يخشى على نفسه من شدة الازدحام وجل هؤلاء الناس وصل الى دهلى بواسطة سكة الحديد فانها متشعبة في جميع أقطار الهند كتشعب عروق الجسد وهذه الجمعية الكبرى تسمى بلغة أهل الهند بالدربار فجميع ما شاهدته في هذا الدربار يعجز اللسان عن بيانه ويقلى عن حسابه

واقفا

واعلم أن شرح ذلك في فصلين (أحدهما) في كيفية دخول حكمدار الهند الى دهلي وكيف استقبله ملوك الهند وأمراؤها وكيف مشوا في صحبته واقتدوا في موكبه وخلف ركابه (والفصل الثاني) في صورة محاضرة أي هيئة اجتماع الملوك وكيف ألقى عليهم خطاب الامبراطورة وكيف تلقوه بالاحترام والقبول (أما الفصل الأول) فهو أنه في السادس من ذي الحجة سنة (١٢٩٣) بعد الظهر بساعتين اصطفت العساكر الانكليزية لابسين وهم في أحسن اللباس وعلى غاية النظام في الطول والاستواء من محطة سكة الحديد الى محل خيم الحكمدار وهو مسافة ثمانية أميال وازدحم من طرفي الطريق أكابر من الجانبين فبعد ساعة اذا بصوت المدافع ايذانا بوصول الحكمدار ونشر أول الموكب في المرور وكان أولهم فرقة من خيالة على خيل حمر غالية الحلية على لون واحد وسروج بلون واحد ولباس فرسانها بلون واحد وعددهم نحو الخمسمائة ثم اتبعتها فرقة أخرى خيالة نحو خمسمائة على خيل بيض بنظام كنظام ما قبلها ثم تبعتها فرقة أخرى خيالة نحو خمسمائة على خيل شهب في غاية ضخامة كنظام ما قبلها ثم أعقبتها فرقة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل ... كنظام ما قبلها ثم خيالة أخرى على خيل شقر ثم أخرى على خيل صفر ثم وثم الى أن مر نحو خمسة آلاف خيال جميعهم بهذا النظام ثم أقبلت الطوبجية ومعهم مائة مدفع جاءت بغاية الصنعة وحسن النظام وحسن الآلات وبعد مع كبر الخيل وحسن هيئتها ثم أقبلت فرقة ... وأول فيل عجيب الشكل ... أعلاه ... في رسم الهنود ... من شدة ... نحو ذراعين وعليها أطواق من الذهب ... وعليه تخت ... جميعه من الفضة الخالصة وتحت طول الى الأرض مرصع وعلى ذلك التخت اللورد ليتون حكمدار الهند وهو رجل ... جسيم أحمر اللحية وكان على يساره زوجته وحاشيته قبل ... في الحلية ... بنتان ... وراءهم نحو عشرة أو أقل من الفيل الأول في الحلية وعليهم أتباع ذلك الحكمدار وخدامه ثم جاءت أفيال أخر نحو العشرة وعليها بالحلى ... وعليهم حكمدار مدراس وأتباعه ثم جاءت أفيال أخر نحو العشرة وعليهم حكمدار بمبي وأتباعه ثم مرت أفيال نحو العشرة عليهم حكمدار لاهور ثم أفيال أخر عليهم حكمدار السند ثم فرقة أفيال أخر نحو العشرين وهي مركوب سلطان حيدر اباد وأتباعه وتحت الفيل الأول منها مرصع بالجواهر ثم فرقة أفيال أخر نحو العشرة عليها راجا جيت بور ودور راؤه (وهكذا) ثم أقبلت أفيال عليها أتباعها

ملوك الهند والراجات وعددهم نحو التسعين وكانوا كلهم خلف الحكمدار بغاية
الوقار والرزانة والخضوع والتؤدة ويقال ان عدد الافيال في ذلك الموكب نحو ألف
ومائتي فيل وليس فيها كلها أعلا من فيل الحكمدار (وهكذا) انتهى الموكب الذي
لم يسمع بمثله منذ زمن (آدم عليه السلام) على حسب مرتبه ولا أظن أنه سيحصل مثله
وكان ابتداء مروره من الساعة الثانية افرنجية الى الساعة الرابعة واعتقدت ان هذا
الموكب لم يسمع بمثله لا انا ولا سمعنا أن ملكا من ملوك الهند المتقدمين أطاعه جميع
النواب وجميع الراجات بدون توقف ولا مخالفة ولا توان او أتوهم مشوا خلفه في موكبه
وتحت ركابه وهو جالس بابهته على فيل أعلا من جميع أفيال الدنيا وجميع الملوك
ينقادون خلفه مع الادب والتؤدة وما أمكن لاحد قياصرة اوروبا العظام وملوكها
الفخام أن يحشر اليوم عسكرا مثل هذا العسكر ومن فيه مثل هاته المدافع فمن أين له أن
وما شابه بل تنقاد خلفه ومائتان وستون ملكا فوالله لم يكن لا لاسكندر في الشرق والغرب
الا هذا الموكب ابكاهم (انظر الشكل) في صورة حلقة أي كيفية اجتماع الملوك
وكيف ألقى عليهم الحكمدار خطاب امبراطورتهم وكيف تلقوه بالقبول والاحترام وكان
ذلك يوم (١٤) ذي الحجة سنة (١٢٩٣) بهيئة نصف دائرة جنوبي ونصف دائرة
شمالي وجميعه مسقف بالقماش وبين النصفين طريق فاصل للمرور فالنصف الجنوبي
عليه ملوك الهند أرباب التيجان وهو عبارة عن دكة مرتفعة مدرجة يبلغ عرضها نحو اربعة
أذرع وطولها نحو مائة ذراع وعليها كراسي الملوك مصطفة بحسب رتبتهم والنصف
الشمالي هو قسمان بينهما طريق فاصل وارتفاع الربعين نحو اربعة أذرع وله
درجات للصعود وفي وسط الدائرة دكة مرتفعة نحو اربعة أذرع مساحتها ... في جهة
ولها مرقاة للصعود اليها فهذه الدكة الوسطى جلس عليها حكمدار الهند ووجهه الى
جهة الجنوب جهة الملوك والربع الذي على يمينه جلس عليه الانكليز المتقدمون
أرباب المناصب والربع الذي على يساره جلس عليه أعيان أهل الهند وأمراؤها غير
أرباب التيجان وهم المدعوون للحضور وقطر هذه الدائرة نحو مائة ذراع وحولها دائرة
أخرى كبيرة جالس فيها الناس لها حاجز من درابزين خشب فاصل بين المتفرجين العوام
وبين مجلس الامراء والمسافة بين الدائرة الداخلة والدائرة الخارجة نحو مائة ذرع ومن
حول الدائرة الخارجة عسكر الانكليز قائما وخيالة مرتصين في ذلك الفضاء وعددهم
بالتقريب نحو العشرين ألفا وأكثرهم من الانكليز البيض وما فضا بين اجناس

وما

وما بعده على سنة أميال في صحراء واسعة بقرب جبل صغير يسمى جبل الفتح فان الانكليز
فتحوا دهلي من هذا الجبل سنة (١٢٧٤) ثم اجتمع الناس مزدحمون من كل فج عميق
ما بين ماش وراكب حتى ملؤا ذلك الفضاء فصار من بيده تذكرة العزيمة يدخل
في الدائرة الداخلية ومن ليس بيده تذكرة يقف خارج الدرابزين الخشب ففي الساعة
الثانية عشرة أقبل حكمدار الهند وهو لابس من فوق السترة والبنطلون جبة واسعة
الاكمام وطويلة الذيل وهي أشبه بالفرجية التي تلبسها كبار العلماء بمصر ولونها
رمادي وجميع أطرافها مطرزة بالذهب ومع الحكمدار زوجته ومن خلفهما ابن السلطان
لكهنؤ نواب أنجمن سلطان بتمثال في صورة [illegible] ولما صعد على درج التخت رفع
[illegible] أذيال جبته عن التراب الى ان استقر فوق التخت فجلسا على كرسيين
صغيرين خلفه وجلس هو على كرسي مذهب وزوجته على يساره ثم أخرج الحكمدار
من جيبه ورقة بيضاء أعطاها الى الكاتب [illegible] الصوت فقرأ الاولى وهي باللغة
الانكليزية ومضمونها ان الملكة لقبت بامبراطورة الهند وان جميع الامم ارتضوا
بذلك ثم قرأ الورقة الثانية وهي باللغة الهندية ومضمونها مثل الاولى ومعناها اقام
جميع ملوك الهند [illegible] بارك الله لها في هذا اللقب ونحن ايضا جميعا راضون بذلك
فاطلقت المدافع من طرف عساكر الانكليز ومن طرف ملوك الهند وشنفت آلات
الموسيقى بأحسن الالحان [illegible] في الساعة واحدة فكانت مدة جلوس
الملوك نحو ساعة ومدة جلوس الحكمدار وقراءة الورقة نحو ربع ساعة ثم تفرقت جميع
الملوك [illegible] من ألعاب البارود ما يعجز عن تصوره وكيفية وصول ملوك الهند
الى الدربار أن كل ملك قدم بعساكره من أتباعه وحشمه و[illegible] فلما وصلوا الى محل
الجلوس [illegible] الملوك وجلسوا على كراسيهم تجاه الحكمدار ووقفت عساكرهم
وأتباعهم خارج الدائرة وعددهم نحو التسعين ملكا وهم مرتبون بحسب العدد
(وهكذا) المدافع التي كانت تقابلهم بالسلام عند قدومهم أعني انه عند قدوم ملك
حيدر اباد على قلاع الانكليز أطلقوا له واحد وعشرين مدفعا وللحاج برودة كذلك
ومثلها لمهاراجا ميسور وتسعة عشر لمهاراجا كشمير وثلاثة عشر لنواب رامبور علي
خان لان رتبته بالنسبة لاقرانه هي العدد الثاني والخمسون (وهكذا) ينقص العدد
في مدافعهم الى آخرهم وهم نواب دجانة فلم يطلق له سوى ستة مدافع فكانت كثرة
الاطلاق باعتبار كبر دولتهم وكثرة ايرادهم واتساع دائرتهم بالحرية والتصرف المطلق

❊ وأكثر ملوك الهند من الوثنيين أما المسلمون فهم خمسة عشر ملكا ثم ان الانكليز
❊ استفادوا من هذا الدربار ثلاث فوائد (احداها) انهم جعلوا أهل الهند وملوكها
رعية لهم برضاهم واختيارهم لا بالسيف وعروق الغالب كما مر في الازمان السابقة
(الفائدة الثانية) انهم جمعوهم ليختبروا حالهم من جهة المال والقوة العسكرية وهل
عندهم أسلحة جديدة يخشى بأسها أولا فوجدوهم على الحالة الهمجية القديمة
في الاسلحة وآلات الحرب حتى ان بعضهم ليس لعساكرهم البنادق والقنابل أي المدافع بل
وبعضهم يحمل القوس والنشاب والرمح وبعضهم يلبسون الدروع والخوذ على العادة
الجاهلية فاطلعوا على قوتهم وعرفوا انهم ماداموا على جهلهم بالاسلحة الاوروباوية
فلا يمكن للعصيان الذي يوسوس بالعصيان أن يوسوس لهم (الفائدة الثالثة) أن تجار
الانكليز ربحوا من هذا الدربار عشرة ملايين ربحوها مما حصل عنه من رواج التجارة
وهي في العالم حتى فاق على معرض باريس في زمن نابليون حيث جلب اليه من كل
غريبة ونادرة وعجيبة فان عدد تذاكر سكة الحديد التي بيعت الى المدن الى دهلي بلغت
خمسمائة ألف تذكرة وبعض الوفود رحل من محل بعيد عن دهلي مثل أهل كلكوته
وأهل مدراس وأهل السند وأهل عمباي وأهل بشاور وكان بعضهم يركب في الدرجة
(الاولى) وبعضهم (في الثانية) وبعضهم (في الثالثة) فالدرجة (الاولى) اجرتها نحو
(عشرين) جنيها والدرجة (الثانية) اجرتها نحو (عشرة) جنيهات والدرجة (الثالثة)
نحو (ثلاثة) فاذا ضربت القليل في الكثير والقريب في البعيد كان المدفوع من
ما يوفي بعض غايته ملايين ليرة وجميع ملوك الهند حضروا ذلك الدربار امتثالا للاوامر
الملكية ما عدا ملكة نيور فانها اعتذرت بأنها في حالة الولادة ونواب وامير
وعالم على خان فانه قال بأنه مريض بداء البرص وانه لا يمكنه الحضور في جمع الملوك
الثلاثة وعظماء قومه (انتهى) ثم زار تلك الممالك ولي عهد الملكة فكانوا احتفلوا به
وهادوه بهدايا نفيسة ملوكية يأتي الكلام عليها في الكلام على معرض باريس من
المقصد ثم ان استيلاء الانكليز كما تقدم كان شيئا فشيئا فبعض الملوك والامراء سلموا اليه
السيادة وابقاهم على ولايتهم عند قصدهم بالحرب وأبقى لهم ما يملكون من المال
والجوهرات في خاصة ذاتهم وبعض التصرفات والتصرف الحقيقي بيد الانكليز سواء
كان في الادارة المالية أو السياسية (وأما العسكرية فالكل عساكر تحت أمره وكثيرا ما تأتي في

العساكر

العساكر الانكليزية لارهاب الولاة والملوك واخضاعهم فالتصرف حقيقة للانكليز
ليس للملوك الا هيئة ولاسم بحيث ان التصرفات تنسب اليهم لانهم كان اختصاص
الملوك والامراء صاحب لدخول [illegible] الى المواقف آيلة اليه فلذلك لم تزل الى الآن
ممالك مستقلة نادرة تحت ولايته فمنها ما يؤدي له خراجا ومنها ما يأخذ الانكليز من حكومته
مقدار ما يكفي للقيام بمصالحهم وما بقي يرجع الى حكومة الهند العامة وتصرفهم على نحو
ما سبق وقد قسم الانكليز الممالك الهندية عدى حكومة الخان المتقدمة الى
(ثلاثة) أقسام كبيرة فالقسم (الاول) مملكة بنغالة وقاعدتها كلكوتة وهي مقر
الحاكم العام ويتبع هذا القسم من الممالك المختارة بالادارة (احدى عشرة مملكة
(اولها) مملكة نظام وهي واقعة وسط أرض دكن بين مملكة بمباي من غربها وبين
مملكة مدراس من شرقها وجنوبها وقاعدة المملكة مدينة حيدرآباد التي سكانها نحو
اربعمائة الف نفس وللانكليز عساكر في ارض صغيرة من غربها تسمى سكندرآباد
وفي هذه المملكة مدينة تسمى اورنك آباد [illegible] عجيبة تحت الارض دالة على مهارة مهندسي
ذلك العصر عندهم وسكان هذه المملكة نحو عشرة ملايين وملكها من الهنود وله
زيادة ثلاث فرق من [illegible] للانكليز ويؤدي لهم خراجا معينا سنويا
وهي مملكة [illegible] (وثانيها) بوندلكند وهي عدة جهات كل جهة تحكم على
قبائل وجهات خاصة وعدد سكان هذه المملكة [illegible] على الجهات نحو ستة ملايين
ولكل جهة مركز تحت حكومته (وثالثها) مملكة بوبال وقاعدتها ايضا وسكانها نحو
ستمائة الف وسبعين الفا وتحكم بوبال (ورابعها) مملكة سندية وقاعدتها ايضا وسكانها
نحو مليونين [illegible] هذه المملكة [illegible] التي [illegible] الهنود [illegible] الغول
[illegible] (وخامسها) مملكة هلكار وقاعدتها اندور وسكانها نحو ستمائة
ألف وتحكمها [illegible] لاربعة لادرة في الدكن كانت هي مملكة
المهرجات سابقا (وسادسها) مملكة راجبوتانا وقاعدتها [illegible] وسكانها نحو ستة ملايين
[illegible] (وسابعها) مملكة جيبور [illegible] ملاصقة بالوراثة للانكليز من
[illegible] بشرط التصرفات [illegible] كما كان في عصره هذا
المحل وسكانها نحو ثمانمائة الف وتحتها جودبال (وثامنها) مملكة لادك [illegible] الامير
وسكانها نحو مائة الف وسبعين الفا [illegible] (وتاسعها) مملكة
[illegible] وقاعدتها [illegible] زيادة [illegible] في الادارة وسكانها [illegible] وقاعدتها على نهر

السند وتسمى اسكردو وتسمى هاته المملكة أيضا ببلاد البلتى (وعاشرها) مملكة
كاروود وهى صغيرة وعدد سكانها قليل ولها أمير (وحادى عشرها) مملكة سيرمور ومثل
المتقدم عليها وتختها ضمن (والقسم الثانى) من الاقسام الكبرى هو ممالك بونباى
ويتبعه من الممالك الممتازة خمس ممالك (وأولها) مملكة كاش وتختها بوهج
(وثانيها) مملكة كاتى وتختها كاتباى (وثالثها) مملكة كوى كووا وسكانها
نحو مليون وثمانمائة ألف نسمة وتختها اردوه (ورابعها) مملكة ساونت وارى وتختها
ساونت وارى (وخامسها) مملكة كولابور وتختها مدينة كولابور (والقسم
الثالث) من الاقسام الكبرى هو ممالك مدرس ويتبعه من الممالك الممتازة اثنان
(فأولها) ميسور وتختها ميسور وسكانها نحو ثلاثة ملايين (وثانيها) مملكة
ترافنكور وسكان هاته المملكة مليون وثلاثمائة ألف نسمة وتختها بلدة تريوان
درم ولكل حاكم مستقل مستبد فى الادارة على نحو ما تقدم ذكره فما تقدم هى الاقسام
الكبرى التى لكل منها أقسام صغرى تحتها وممالك ممتازة ترجع اليها كما يوجد
أربعة أقسام صغرى أيضا داخلة تحت الاقسام الاولى وغالب الادارة منه دة تحت
نظر الحاكم العام الانكليزى وهى أقسام أربعة داخلة تحت الانكليز وأدرجها
بعضهم مثل الاقسام الكبرى وهذه الاربعة أقسام (أولها) المسماة بولاية الشمال
الغربى (وثانيها) المسماة اود (وثالثها) المسماة بنجاب (ورابعها) المسماة
بالولاية الوسطى كما تقسم ممالك الهند الانكليزية مملكة كشمير لكنها إنما
كان لها زيادة امتياز ذكرناها منفردة وسيأتى الكلام عليها والممالك الممتازة ان كانت
اسلامية فرئيسها يلقب صاحب لانهم فى السابق كانوا نوابا للسلطان المغولى الذى تحته
بلد دهلى وان كانت الممالك الغير اسلامية فرئيسها يلقب براجه هذا (وأما كيفية
الادارة السياسية والعسكرية فى جميع الممالك الهندية فان جميع الاقسام ترجع الى
حاكم عام انكليزى يرتب من دولة انكلترا بواسطة وزارة الهند فى لوندره ثم هو فى نفسه
قد وظفته دولته بهذا الامر فى (سنة ١٢٧٥) ه و (١٨٥٨ م) ورتبت للهند
قانونا خاصا فمن مهمات كلياته أن الحاكم العام له النظر العمومى على أقسام المملكة كلها
وما يتبعها وتصرفه مقيد بمجلس شورى مركب من أعيان الانكليز المقيمين فى الهند ومن
أحد كبراء الاهالى وهذا المجلس رئيس عليه لدى هو الحاكم العام تحت احتساب
مجلس الندوة فى لوندره ومسؤول له والواسطة بين الدولة والحاكم العام هو وزير الهند
فى

فى لندره وله فى الوزارة مجلس عدد اعضائه خمسة عشر وكانيان ومن حقوق مجلس الهند
المذكور انشاء القوانين العامة فى الهند وتنظيم الادارة السياسية والعسكرية وانشاء
الاحكام العامة وما يشبه هذا المجلس اذا وافق عليه مجلس الندوة فى لندره يصير معمولا
به فى ممالك الهند ثم لكل من الاقسام الثلاثة الكبرى المذكورة حاكم خاص ومجلس
شورى مركب من أعيان الاهالى واعيان الانكليز تحت رياسة الحاكم ومن وظائف
هذه المجالس انشاء قوانين الاحكام الخاصة بقسمهم وعرضها على الحاكم العام وبعد
نظره هو ومجلسه فيها والتصديق عليها يرسلها الى الندوة بلندره كما تقدم كما ان للمجالس
الثلاثة المذكورة الاحتساب على سيرة الحكام فى قسمهم والنظر على الضابطة
المحلية وبالامور السياسية والاحوال الحربية ولهم النظر على الملوك والامراء الراجعين
الى قسمهم كما ان لحكام هذه الاقسام المقيدة تصرفاتهم بالمجالس قوة على التنفيذ بواسطة
القوة العسكرية ثم لكل قسم ولايات فرعية ومن الممالك والامارات المستقلة وكل من
هذه الولايات لها مجلس ادارة تحت رياسة الوالى او الامير او الملك ويتصرف بمشاركة
نظار المجلس فى الادارة السياسية والمالية والعسكرية والموظفون يكونون بحسب اهالى
الولاية اما من مسلمين فقط او هنديين فقط او مختلطين والتصرفات الصادرة من هؤلاء
سواء كانت حكمية او سياسية او مالية يمكن رفعها لمجالس القسم الراجعة الولاية اليه وله
تحقيق النظر فى الذى رفع على قوة تعديهم فى ذلك وهكذا الاحكام الشخصية فى كل
ولاية لها مجالس وقوانين يتصرفون بمقتضاها وهذه القوانين قواعدها الكلية هى
قواعد احكام الانكليز غير ان لكل ولاية قوانين خاصة مطابقة للعوائد والعرف
المتعارف فيها اما ما يرجع الى الزواج والارث ونحو ذلك فان الاهالى تجرى عليهم احكام
دياناتهم بواسطة مجالس من اهل الديانة ويمكن رفع احكامهم الى مجلس الولاية ومنه
الى غيره الى ان ينتهى الى المجلس العام والديانات التى لها متوطنون هناك من الدولة
هى الديانة الاسلامية والبرهمية وما اشبهها من الديانات المجوسية والوثنية ولهم
خرافات مبسوطة فى كتب الكلام والسكان الآن مختلطون من عرب وفرس
واوروباويين وهنود اصليين والمعارف عندهم الآن فى تقدم سيما العلوم الرياضية
والحكمية انشأ الانكليز هناك المدارس مشتملة على ما فى اوروبا من المعارف واقتدت
بهم الاهالى حتى ضعفت تجارة الانكليز عما ينتج من مصنوعات البلاد وللعلوم
الاسلامية بها نفاق السوق ولها فحول مؤلفون منهم سلطان بهوبال الذى طبع الآن

من تأليفه في مطبعته وطالع الممالك لعنايته كثير من تآليفه فمنها تفسير القرآن سماه فتح البيان في مقاصد القرآن نحا فيه التوسط بين المعقول والمنقول ومنها حصول المأمول في علم الأصول ومنها لقطة العجلان فيما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان وهو كتاب بديع فيه تحرير كثير من المسائل الأصولية والكلامية والعربية وله عدة تآليف أخرى وهذا العالم المشهور نادرة هذا العصر وبه مع اشتغاله بمهام السياسة التي تقلدها بالنيابة عن زوجته صاحبة بهوبال ملكة قد تبحر في الفنون العلمية سيما الشرعية وآلاتها وصاحبه في جمع تآليفه [illegible] بأهل اللغة العربية وعلى الخصوص في هذا الزمن الذي كادت أن تتلاشى فيه اللغة والعلوم من الأمة الإسلامية ومن أفاضل علمائهم في هذا العصر الشيخ العلامة رحمة الله صاحب إظهار الحق الذي ألفه بسبب مجادلات دينية حصلت بينه وبين القسوس البروتستانت الذين دعوا أهل الهند المسلمين إلى ديانتهم وأفضى الحال إلى مناظرتهم مع الشيخ المذكور وآل الحال إلى هزيمتهم إذ أبطل فأفحمهم بما بينه المذكور مستندا في رده إلى كتبهم وأدلة علمائهم مما ينبئ عن اتساع باعه واطلاعه وهذا التأليف قد ترجم إلى [illegible] لغات وهو بديع في بابه وقد صار الآن عزيز الوجود مع أنه طبع مرتين وشاعت منه آلاف من النسخ وفي هذه المملكة على ما أخبر (وبها أحمد) كما رأيته تقدم في الحذق والصناعات سيما النقش والترصيع في تحف وبضائع من قديم الزمان ومنسوجاتها وطرازها شائع في أغلب الأقطار كما أن أهاليهم لهم [illegible] الأرقام الحسابية ولذلك تسمى بالأرقام الهندية إلى الآن وهو اختراع عجيب تمثل جميع الأعداد في تسعة أشكال ويكفي للدلالة على ما كان عندهم من الحذق في الصنائع ما بقي في [illegible] الهائلة وما شيدت الكائنة في [illegible] وأن تلك المعابد محفورة في الصخر غاية في الصناعة والإتقان كأنه في [illegible] في جبل غرب مدينة [illegible] التي كانت تحت أيدي المسلمين هناك وفيها آثار بديعة ولا تزال آثارها باقية لمملكة كانت متسعة جدا فهواؤها معتدل ويمكن [illegible] فيها الأرض [illegible] في غيرها وتشتمل على أغلب النباتات المعروفة في غيرها ولها نباتات تختص بها كالخيزران وجوز الهند وغيرهما وقد امتدت بها الآن طرق الحديد وخطوط في أغلب الجهات كما أن المواصلات في أنهرها عظيمة متوفرة بالسفن كما أن الطريق الحديدي أعظم [illegible] وتلك أهم ما وصل إليه ومنه فرع من كلكوته إلى دكه ومنها إلى ميرزابور ومنها أيضا إلى دهلي ومنه إلى أباد إلى

بنباى

بنباى ومنها الى كوراتشي ومنها ايضا الى مدرس ومن هذه الى بيدول ومنها الى نيه باتام ومن مدراس الى كلكوته ومن كوراتشي الى حيدراباد ومن ملتان الى لاهور ومنها الى بيشاور ولا تزال يمدونها فى أعتاب الجبال حتى قربت الى حدود الافغانستان ويمكن ان تصل الى الصين والممالك العثمانية اذا لم يكن فى ذلك محذور بحيث ان السفر الآن فى الهند مع الامن فى غاية سهولة الوصول بالطرق الحديدية و العادية والانهر والترع كما ان اسلاك التلغراف قد وصل بعضها ببعض كما هو الواقع ورتبوا بحيث ان تكون تصل لها الاخبار من الهند على ثلاثة طرق (اولها) من الهند الى خليج فارس الى الممالك العثمانية الى قبة اوروبا (والثاني) من لندره الى جبل طارق الى مالطه الى السويس الى عدن الى الهند (والثالث) من لندره الى فرنسا الى الجزائر الى مالطه الى البقية مما تقدم ولا يبعد انه يصل ايضا على طريق رأس الرجاء الصالح فانه وصل من لندره الى هناك ومنه الى زنجبار ويبقى الاتصال الى الهند ومن أخشابها الثمينة العود القماري وأما قوة هذه المملكة الحربية والمالية فسنأتي ان شاء الله فى جدول الدول

الفصل * السادس

(المملكة السادسة)

هى مملكة بورمه وهى فى شمال الشرق من المملكة السابقة وعدد أهاليها نحو ثلاثة ملايين ونصف وديانتهم بوذية مشركون وحكومتهم استبدادية مطلقة وهم أهل مكر وخديعة ولباسهم ولوع الانهماك فى السموم والارصاد والسحر واكثرهم يعلم القراءة والكتابة ولاراضيهم منتج حسنة وتجارة واسعة مع مجاوريهم من الهند والصين وقاعدة المملكة مدينة آوا فى اقدميتها والآن مدينة مندلاى والداخل اليهم يكون فى قبضة البحث من حكامهم وان كان الانكليز فى هاته الازمنة مرشدا اليهم بعد ان أخذ منهم قسما فى سنة (١٨٢٥) وقد صار يأمرهم بالعدل حتى انكر على ملكهم فى سنة (١٢٩٦) قتله لغيب تصادين من الرجال والنساء والاطفال شرقيه وهم من عائلات الملك وكان يقدمهم قربانا لاجل استتباب الامن حوالي المدن ودخل هذه الدولة من جهاتها مجهول وقوتها من النوع الصغرى وكانها لابد ان تدخل فى حكم الانكليز

الفصل السابع

(المملكة السابعة)

مملكة سيام او صيام وهي جنوبي المملكة السابقة وشرقي بقية المملكة الهندية
الانكليزية وعدد اهاليها على ما نشروا في جريدة ما نحو عشرها نحو ستة ملايين ونصف
وديانتهم وحكومتهم مثل المملكة السابقة وعسكرهم اقل من سابقتهم لكنهم يوصفون
بالامانة وتجارتهم من معادن الذهب الابيض مع الهند والصين والاوروباويين وقاعدة
المملكة صيام في القديم والآن مدينة بنكوك والدخل والخرج والقوة كلها مجهولة
وهي في القوة على غير نظام

الفصل الثامن

(المملكة الثامنة)

هي مملكة كوشنشين الصين او انام وهي شرقي المملكة السابقة وعدد اهاليها قبل استيلاء
الفرنسيس على قسم منها ما بين اثنى عشر مليونا الى ستة عشر مليونا لكنها الآن نحو
تسعة ملايين وقاعدتها مدينة هوى وبلسان الهنود دوشواش وقيل وهو الاصل مدينة
هو ... وهي مربعة الشكل يحيط بها نهر هو من جنبين وترعة من احد جانبيها الآخرين
وعرض هذه الترعة سبعون ذراعا وكل ذكر عندهم ملزوم بالدفاع عن الوطن من سن
العشرين الى الستين وهم حذاق شجعان ويلبس الذكور حللا سوداء وهو سروال
وجبة الى الكعب والرجل لا يزيل شيئا من شعوره والاكابر يدوهم ... عاداتهم
السكر ولا ربا عندهم وعامتهم يعتقدون خرافات كثيرة والنسوة لا يعطين ويتعاطين
الاشغال مثل الرجال ولملكهم اعتناء بتعليم الاهالي العلوم الرياضية ويرسل خمسة عشر
تلميذا من ابناء اعيانهم الى فرانسا للتعلم في مدارسها وعند رجوعهم يخصصهم بعد ...
وهم يبثون علومهم في الاهالي وبعد استيلاء الفرنسيس على قسم من مملكته صار
محافظا على موالاتهم وحفظ عهودهم حتى ارسل سفيرا مخصوصا الى باريس مدة ولاية
الرجل الشهير تيارس رياسة الجمهورية الفرانساوية كما رتب هذا الملك جيوشه

على

على الطراز الاوروباوى وستة آلاف فى قوة العسكرية فى جدول الدول واما المالية فمجهولة
واما العادات الحكمية فلا تخرج عن عادات الممالك السابقة

الفصل * التاسع

(المملكة التاسعة)

مملكة كمبوديا وهى غربى بعض المملكة السابقة وجنوبى بعض صيام وعدد اهاليها نحو مليون وقاعدتها مدينة [illegible] كانت فى القديم والآن مدينة بنوم بنه و يقال فى ديانتهم وحكمهم وقوتهم ماهو واقع فى الممالك المجاورة لهم وقد استولى الفرنسيس على قسم من هذه المملكة عند مصب نهر كمبوديا وقد صارت هاته المملكة تحت حماية فرانسا من سنة (١٢٨٠ هـ و١٨٦٣ م)

الفصل * العاشر

(المملكة العاشرة)

هى مملكة ملاقا وهى شبه جزيرة فى الجنوب من مملكة صيام ويحيط بها البحر من جميع بقية الجهات وعدد اهاليها نحو ثلاثمائة وخمسة وسبعين الف نسمة والديانة الغالبة فيها هى الاسلام وحكمهم الصورى ملك مستقل مستبد لكنه مائل الى انكلترا واهل الجبال تعيش عزبتها تحت رياسة اكبرها وكل قبيلة تدافع عن نفسها ولذلك تعدها الجغرافيون منقسمة الى اربعة قواعد (الاولى) براك (والثانية) سلانكور (والثالثة) جوهر (والرابعة) باهنك واراضيهم غير مخصبة لكنها ذات معادن غنية واشجار لافوون كثيرة فتجارتهم فيه مع الصين واسعة وقد استولى الانكليز على جهات من هاته المملكة منها مدينة ملاقا

الفصل * الحادى عشر

(المملكة الحادية عشرة)

هى مملكة الصين وهاته المملكة هى أكثر ممالك العالم سكانا وأغناهم لاحتوائها

على أقاليم مختلفة ففيها جميع أنواع النبات والمعادن وتجارتها متسعة مع جميع الأقطار
ولأهاليها شهرة قديمة في الصنائع وأهمها صناعة الخزف فإنها اشتهرت بإتقانه على
جميع النواحي فيتنافس الناس في اقتناء أواني الخزف الصيني تنافسا كليا وبعضهم
يبلغ به درجة خارقة للعادة وللاعتدال سيما في أوروبا حتى تجد الواحد منهم يزين بيته
بترصيف تلك الأواني التي تتكلف عليه بآلاف الألوف وكذلك ملوك الهند وما والاه
يتنافسون في اقتناء الرفيع من أواني ذلك الخزف وقد يبلغ ببعض الناس اشتراء صحن
واحد بمال فربما فاق ألف فرنك وعلى وجه العموم كل الناس يرغبونه وحسبه فخرا أن هاته
الصناعة الآن انحطت في هاته المملكة عما كانت عليه بكثير لعدم الإتقان السابق
فالتنافس والغلو إنما هو في الخزف القديم وله صفات كثيرة يميزه بها عارفوه فمنها أنه هو
وإن كان كثيفا لكن النور يظهر من ورائه ومنها أنه إذا ضرب عليه يكون حسن
طنينه كأنه طنين معدن مطرق من المعادن العزيزة ومنها حسن الألوان به كما أنهم
لهم إتقان في صناعة النقش والتصوير في الحرير وغيره (وأما المعارف والعلوم)
فالظن أنهم كانت لهم في القديم فنون كثيرة ووقفت فيهم لم تعد وقفها بحيث يرون
أنفسهم أعلم أهل الأرض لكن في الواقع ليس لهم الآن شيء من الكماليات وهم
معروفون باعتقادهم في علم الطب واشتهاره عندهم الآن وقد أخذ بعضهم أخذ
بعض التعليمات من الأوروبيين واستخدموها في مدافعهم كالجبر والكيمياء لكن
لم يتجاوزوا إلى الآن المقدار الذي أخذوه ولم يخترعوا شيئا فيه وقد كانوا اكتشفوا
بيت الإبرة وقد أثبت بعض المؤرخين أنهم أول من اخترع الورق كما أن أهل
الصين اخترعوا البارود ولم يعرف أنهم استعملوه في حرب قبل استعماله فيه عند غيرهم
وإنما كانوا يستعملونه للإصلاح كدك التلال وغيره وإن وجد من آثار سلاحهم
قديما ما يدل على أنهم كانوا يستعملونه فيه وأول ما عرف البارود في حرب أتى من
العرب سنة (٧٢٧) هجرية وتمتد هاته المملكة من مبدأ الشطوط الشرقية من آسيا على
المحيط الشرقي إلى أن تتصل بأملاك الروسيا ومن الجهة الجنوبية تبتدئ من جبال
هملاي إلى سيبيريا من جهة الشمال فهي حينئذ تعد لضمن من تبتيه وما والاه
من الممالك الشرقية منه وعدد سكان هاته المملكة نحو الثلث من سكان العالم كله وهم
على ما عثر في سنة (١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م) قريب من خمسمائة وسبعة وثلاثين مليونا
من النفوس وهذا العدد يساوي نحو الضعف من سكان أوروبا كلها ومع هاته الكثرة التي

هم عاملوا كذوائف لمالف لا تكاد تجد منهم خارج مملكتهم إلا النادر القليل لاعجابهم
بأنفسهم ولأن اصطلاحات أحكامهم تمنع الخروج من أوطانهم إلا بإذن خصوصي مع
التشديد فيه حتى يتبين وجه الاحتياج لذلك السفر ثم مع ذلك إذا غاب المسافر عن وطنه
مدة ثلاث سنين يمنع من العود إليه والدخول فيه كما أن من أحكامهم منع دخول أجنبي
إلى أرضهم إلا برخصة مخصوصة فإذا نالها كان ابن ماحل مكرما محروسا (وأما) إذا دخل
بغير رخصة فلا يأمن على نفسه من الحكم ودوموا على هاته العوائد إلى أواسط
هذا القرن ثم أطلق الإذن لمن يريد السفر وصار يخرج منهم الكثير إلى الهند وجزائر
وإلى أمريكا والخارجون منهم براعة في التجارة وتكاثر الخارجون لضيق الأرض بهم حتى
أنهم في وطنهم يضطرون إلى السكنى على الألواح في الشطوط بل إنهم يعملون على الألواح
بساتين لأن الأرض لا تكفيهم لكثرتهم وإتقانهم أمور الفلاحة حتى إنهم يعملون من
أنواع المزروعات ما لا يعلمه غيرهم إلى الآن وهذه المملكة تنقسم إلى ثماني عشرة ولاية
تسمى كل واحدة منها بلغتهم سنغ (وأولها) محتوية على تخت السلطنة تسمى باكنغ
أو باو تشي لي ويبلغ عدد سكانها أربعين مليونا ثم إن كل ولاية تنقسم إلى أوطان
يقال للواحد منها بلغتهم فو وكل وطن من هاته ينقسم إلى أجزاء يسمى كل واحد منها
تشيو ثم كل جزء ينقسم إلى أقسام متعددة تسمى هيان وكانوا يمنعون إقامة نواب
الدول الأجانب في مملكتهم فضلا عن قاعدتها وحيث كانت دول أوروبا في هاته القرون
الأخيرة لهم مزيد الاعتناء بانتشار تجارتهم طلبوا من تلك الدولة الإذن لتجارهم بالاشتغال
في المملكة والإقامة بها كما يقيمون سفراؤهم عندهم وبعد مشقات شديدة حصلوا على
الرخصة في ورود تجارهم لكن بخصوص مراسي معلومة على البحر وكذلك السفراء على
شرط أن لا يبيت أحد منهم في البلد أو في بيوت بل يبيتون في سفن حول الساحل ثم
في أواسط هذا القرن أرادت الدول زيادة انتشار الخلطة والتقدم في الانضمام بأن يكون
لتجارهم الدخول إلى دواخل المملكة مع التعهد من الدولة بحمايتهم وأن يكون
سفراؤهم يقيمون في قاعدة المملكة وحيث كان أهل الصين شديد المحافظة على
عوائدهم امتنعوا من ذلك وحدثت من تجاسر الأوروباويين مهاوشة قتل فيها منهم أكثر
ممن وجد في مراسي المملكة مما لم يأذن له فيه فتعصبت حينئذ دولتا انكلترا وفرنسا
على محاربة الصين وحاربوهم فما كان يتضعضع أمرهم حتى وصلت عساكر أوروبا إلى
قاعدة المملكة وعقدوا صلحا على نحو ما طلبوا وبهذا يتبين للعالم حالة أهل المملكة في

الشجاعة والفنون الحربية لانهم مع كثرتهم المفرطة قهرتهم دولة الانكليز والفرنساوية
بما كروا له الالحاق من زمن ليس ببعيد بين اوروبا والصين وقد كان ذلك قبل فتح
خليج السويس الذي سيأتي الكلام عليه في المقصد ان شاء الله تعالى فكان طريق
الوصول اليها هو رأس الرجاء الصالح ثم ان لكل من الدولتين مراكز سياسية في الهند
لا سيما دولة الانكليز التي ممالكها في الهند اعظم من ممالكها في اوروبا لكن ههنا ملكوا
ما ملكوا ولو كانت دولة الصين على كثرتها لها الاستعداد الحربي مع الحرية
في السكان لامكن لهم الاستيلاء على جميع العالم وقصارى الامر المدافعة عن نفسها وكان
السبب في عدم استعدادهم كثرة استعمال الافيون الذي هو مضيعة للعقول والهمم وتداخل
بعضهم في مصالح بعض نسأل الله تعالى منها العفو والحماية عن رهابين تخلله لانهم
ادت المملكة ودفنت هذه الممالكة رحيبة منقسمة الى ثلاثة اقسام كبرى (الاول)
منشوريه وهو الجهة الشمالية الشرقية من المملكة (الثاني) المقاطعات الثماني عشرة
وهو الجهة الشرقية والوسطى من المملكة وهو الصين الاصلية وتغلب عليه اهل القسم
الاول ثم تغلبوا على القسم (الثالث) وهو الاملاك الاصلية من المغول والتبت
وغيرها وصارا الجميع مملكة واحدة ومن هذا يعلم انه لي ... الصينيون هم الذين
تغلب عليهم الصين المتقدم ذكره وأما منشوريه والمغول وغيرهم فهم توابع وأشد
الصعب انتزاعه (ولهذا) كانت السلطنة لغير الصينيين الاصليين ولما تفطنوا
في السنين الاخيرة لمخلفهم من قهر الاوروباويين لهم من جهة الانكليز
وفرنسا ومن جهة اخرى قهر الروسيا لهم من جهة الشمال ووجبت ... بعض
ممالك المغول منهم جدوا الآن في الاستحضارات الحربية حتى روى بعض
الاوروباويين عنهم انهم احدثوا ترتيبا في القوات الحربية يمكنهم من احضار جملة
ملايين من العساكر تحت السلاح وشرعوا في اقتناء الالات الحربية وجلبوا من
اوروبا الى البوارج الحديدية كثيرا واعمل في معاملهم لاجل ذلك وبذلك فقوات
البحرية تحضروا اهنا في معاملهم معامل لاجل السفن والمدرعات والبرود
وصنعوا في اوروبا كثيرا منها فان تم تحضيرهم على نحو ما تقدم يمكن ان يصيروا
على حالة هجوم بقوات مجتمعة (واما الديانة) فانهم ليسوا على دين واحد بل على
(ثلاثة اقسام) كبرى (اولها) واقدمها الدين الذي اسسه حكيمهم المسمى
عندهم ... وقيل انه كان اول سلطان في عائلة هيا ... قبل هذا التاريخ بنحو اربعة

آلاف

آلاف سنة وعقائد هذا القسم وفروع عباداته لهم فيها أناجيل يعتبرونها كأنها كتب
سماوية وفي القرن السادس عشر قبل التاريخ المسيحي هذب لهم تلك الديانة حكيمهم
المسمى كونفوشي ومجموع هاته العقائد الإقرار بالخالق سبحانه وتعالى وبالحشر ومن
أخلاقهم التسامح ولا يعيبون على ديانتهم أحد ولا يحتقرون ديانة من خالفهم (القسم
الثاني) هو الدين لدى أسسه حكيمهم لاوتسو ومجموع عقائدهم القول بالتناسخ
وعدد أتباع هذا الدين نحو مائة مليون (القسم الثالث) الدين لدى أسسه حكيمهم
المسمى بوذا وصاكا أو بدهه ويعرف بالمذهب البوذي وكان أول ظهوره أواسط القرن
السابع قبل الميلاد وعندهم من الكتب أناجيل عديدة منقسمة إلى مجموعين (أحدهما)
يقال له عيدجور وهو مائة وثمانية مجلدات والثاني يسمى ديدجور وهو مائتان وأربعون
مجلداً ويوجد من كل منهما نسخة تامة بمكتبة باريس الكبرى قيل إن مجموع (الثاني)
اشترته دولة الفرنسيس بأربعين ألف فرنك كما أنه يوجد أقسام أخرى من الديانات
كالبراهمة وغيرهم من عبدة الأصنام أو النصارى واليهود والديانة العامة فيهم هي
البوذية وهي نوع من الوثنية كما أن فيهم جماعة من المسلمين يبلغ في ما ينيف عن
الستين مليوناً وهؤلاء نحو أربعين مليوناً متفرقين في جملة أصقاعهم من الأهالي ومن
العساكر المسلمين الذين جلبهم ملك الصين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور
حيث ثارت عليه رعاياه واستنجد الخليفة على أن يؤدي إليه معلوماً إذا نجده فأرسل له
أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه ورغب منهم بعد ذلك بجوار لإقامة
في مملكته مع حسن التزوج ببنات الأهالي ومصاهرة الأعيان وأعطاهم ما يحتاجون
إليه فأقاموا على شروط وهي استقلالهم في إدارتهم الخصوصية وعباداتهم وإشهارها
فأجاز لهم مطالبهم لكن فرقهم على المدن العظمى في مملكته وصار في كل مدينة مدينة
مستقلة بالمسلمين على حسب كثرتهم وقلتهم مستقلين في أحكامهم الخصوصية متبعين
لشعائر الدين ولهم قضاة وأئمة بحيث لا يتداخل فيهم الحكم الصيني إلا في عموم السياسة
وهم في مدينة باكين قاعدة المملكة نحو عشرين ألفاً ولهم جامع ضخم قديم حسن
جداً ويدعونه بلغتهم هوي هوي ومساجد أخرى نحو العشرين منها اثنان لأهل
الشيعة حيث حدث فيهم هذا المذهب في القرون الأخيرة وأعلامهم أهل سنة على
مذهب أبي حنيفة وكذلك بقية المسلمين في الصين مثل ما ذكر من القسمين ومن عادات
هؤلاء المسلمين أن ينشروا في رأس كل سنة تقاريراً تشتمل على بيان أوقات الصلاة مكتوبا

بأعلاها من أركان الاسلام الخمس كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والصوم ولا يذكرون الركن الخامس وهو الحج قال بعضهم ان عدم اسقطوا ذلك لعدم تحمل مشقة الطريق لبعد مسافة الحج عندهم وأظن ان علة منع الخروج من ممالكهم هي الباعثة على ذلك والاولياء بمملكة الصين أشق في السفر من اهالي مصر وأقصى الغرب وداخل السودان فجرت على ذلك عادتهم ولو بعد انقضاء المانع وسهولة السفر بحرا في الاواخر ومن عاداتهم أيضا انهم يكتبون على أبواب الجوامع حروفا تبين أى محل الجماعة الاسلامية وان يكتبوا انسب جنس سوى معبد الله بالتحقيق ويسمون علماءهم لاو ... أى العالم الاكبر وأما أهل الصين فيسمون جوامع المسلمين ليطاسواى محل العبادة لاسموعبه وحيث كان الدين الاسلامي لا يعرفونه تحدا المشركين أسلم كثير من نسائهم وتزوج بنات النساء وتزوج من المسلمين وتناسلوا الى ان بلغ عددهم نحو الاربعين مليونا في هذا العصر ولم يزالوا على الاستقلال الادارى حتى حكى طرفا منه ابن بطوطة وهم عليه الى الآن ومن المسلمين ايضا أقوام في الجهة الغربية والغربية الشمالية من المملكة فهم الجنس المجتمع والمشرق وتسلطت على ممالكهم دولة الصين لا يزالون ينتهزون الفرص للخروج عنها فتارة يتمكنون من ذلك وتارة تعود للاستيلاء عليهم مثل مملكة كاشغار في الجهة الشمالية الغربية فقد استقلت تحت ملك في عشرة الثمانين وثمانمائة والف وهو الامير يعقوب خان الذى ولد في جوار خوقند وحصل العلوم في سمرقند واشتهر في أعظم مدارس بخارى مع مهارة في السياسة أهلته لان يكون مشيرا مصاحبا عند امير خوقند وأرسله حاميا لمحاربات الروس على قلعة اكمشيت ثم توجه الى كاشغار للحرب مع الصينيين وحصل على انتصارات عظيمة اورثته شهرة وثقة من المسلمين هناك وطمع في تخليص مملكة كاشغار من مملكة الصين ... وكسر لهم جيشا فيه أزيد من مائة الف مقاتل واستولى على جهات معتبرة حتى انفصلت منه مملكة الصين في سنة (١٢٩٣) وحيث كان بين عدوين مال الى مسالمة الروسيا وعقد معهم معاهدة تجارية ورام احكام وحدة الاسلام وبايع بالخلافة للسلطان العثماني وتلقبه الدولة العثمانية بالامير ... الخليفة وجلب من قاعدة الخلافة معلمين للفنون الحربية والصناعات الهندسية ونظم الجيوش فاخترمته المنية قبل رسوخ المملكة وتمام ... وتسعو المملكة فاستمرت دولة الصين الفرصة واستولت على الجميع والى الآن أحوالها مضطربة (وهكذا) أنشأت دولة اسلامية في أواسط الصين يعمل في الغرب تحت سلطنة

سلطنة رجل يسمى السلطان سليمان فى حدود الصين المذكورة وجعل قاعدة مملكته
مدينة قطابية وانشاء السلاح فى ممالكه وطلب التعرف به من الدول وانه متعاطن على نحو
الستين مليونا من مسلمين وغيرهم فلم يكن الاحتمال انتزعت منه السلطنة (ومن عجائب
مملكة الصين السور العظيم الذى يبتدى من الشطوط الشرقية ويمتد الى وسط المملكة
الى حيث العرض اربعين درجة شمالية والطول تسعة شرقيا فمجموع
طوله نحو الف ومائتين وخمسين ميلا وسمكه من الاسفل نحو خمسة وعشرين قدما ومن
اعلا نحو خمسة عشر قدما وارتفاعه ما بين خمسة عشر الى عشرين قدما وفى اماكن منه
حصون يبلغ ارتفاع بعضها الى اربعين قدما وهو مبنى بالحجارة والآجر والقرميد وبعض
اماكن منه فقط من بعض ملوكهم قبل التاريخ المسيحى نحو مائتى سنة وعشرين سنة
قاصدا به رد الهاجمات على المملكة الصينية لاصابة من المغول والقبائل الشمالية ولم
يجد نفعا اعادهم الذين استولوا على المملكة والسور الآن خرب فى جهات كثيرة وقد غلط
من توهم ان السد الذى بناه ذو القرنين لمنع فساد يأجوج ومأجوج محتجا على ما يقول
بان ليس فى الارض سور ذو عظمة غيره ورد قوله ظاهر لان الصفات المذكورة
فى القرآن للسد غير الصفات التى عليها هذا السور ثم ان صفات يأجوج ومأجوج
المذكورة فى النصوص المروية غير موجودة فى اولئك الاقوام وذات النصوص ايضا
على ان ذلك السد يدك قرب الساعة وتحدث منهم حوادث لم تظهر الى الآن ولا يكون
حينئذ ذلك السور هو السد ولا حق لبعض الاروباويين الآن لهم دعوى من بقية
البشر الغير متمدن من عجائب علماء وعليه وادعاء بلوغ الغاية فى العلوم حتى انهم
انكروا وجود السد لدعواهم ان كرة الارض صارت الآن معلومة ولم يجدوا فيها السد
فهذه الدعوى هى فى نوع منهم لعدمهم وما يقال ان اكتشافهم الآن تذكروا اكثر
من اكتشاف ارم السالفين لدى وصف البناء مؤلفاتهم وان احتمل اطلاع غيرهم على
ما اطلع عليه الآن او اكثر لكن لم يخلد له اثرا ولا يلزم من عدم وجود الدليل
انعدام المدلول اما الاحاطة بجميع كرة الارض وعلم جميع ما فيها فهو غير مسلم لوجود فيها
ان جميع علماء الجغرافية نصوا فى تأليفهم ان جهة القطبين لم يكن لاكتشاف عليها
الى الآن وان المجهول جهة القطب الجنوبى اكثر من المجهول جهة شمالى لانه فى
الجنوبى اشد انحرافا عن وصول الاشعة الشمسية لبعد سمتها ومن ان الاكتشافات
لا زالت تجد اشياء جديدة منذ اربعة قرون لم يكن امريكا معروفة عند علماء ذلك

العصر يرون أن ما وراء خط الاعتدال القطبي الجنوبي هو بحر صرف حتى أن من حكم
في وجود عمران وراء ذلك يعد واهما تارة وضعيف العقل أخرى ثم انكشف الدنيا تارة أخرى كما
يأتي الكلام عليه في أحوال أمريكا من حيث الواقع وجود ذلك العمران الذي يحسب
﴿القسم الثالث﴾ من أقسام الارض نحو ديمنسية كتشف استراليا التي هي
القسم الخامس من الارض والرابع لاكتشافات الجديدة على الآن في أمريكا وفي
غيرها ومنذ ار بع [illegible] اكتشف سواحل الانكليز [illegible] جهة الشمال
معمورة [illegible] لا يوف كبار لاذان كانوا من [illegible] ويلبسون
[illegible] ويقدسون [illegible] وكذلك كتشف منذ [illegible] قوم من المشرع على شواطئ الصحة
في شمالي أمريكا الشمالية [illegible] من جبال الثلج بيوتا ويجعلون لها ثقب لمعدة للسو
[illegible] الثلج [illegible] كي لا يمنع الصوت [illegible] مرور الرياح (وهكذا) لا يزال
الاكتشاف بقيام [illegible] الآية الكريمة في حكاية
حال ذي القرنين إلى بلوغه إلى يأجوج ومأجوج [illegible] من الموانع من جهة أحد
القطبين (إذ قال تعالى فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما
من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء
الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى
إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين
إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم
سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد
حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا
فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي
جعله دكاء وكان وعد ربي حقا الآية) وذكر أن ذا القرنين اتجه وانطلق قاصدا إلى أن بلغ
منتهى الارض من جهة الغرب فوجد الشمس هناك تغرب في ماء أسود كما هو
بالمشاهد في الطينة السوداء وهو واسم [illegible] البحر [illegible] البحر في الشدة عمقه يرى أنه
أسود وهي عينا ناظر أي [illegible] وما طلع عليه ذو القرنين الذي البحر
المذكور بالنسبة إليه ما هو إلا كالعين إلى آخر الآية ثم ذكر أتباعه الطريق إلى أن وصل

به

تعالى منتهى مطلع الشمس من الارض وهى ما وقع هنالك أيضا ثم ذكر انتهاءه لطرق
آخر قصدها ... اق أنه لما بلغ المشرق والمغرب توجه الى أحد القطبين وهو الذى
ذكر فيه قصة يأجوج ومأجوج وعلى ذلك فيكون ذو القرنين سافر الى أقاصى ثلاث جهات من
الارض والله أعلم أى القطبين الذى هو اليه الشمالى ويؤيد هذا ... مأخوذ من
السياق ما روى من أن سيدنا الخضر كان وزيرا لذى القرنين وانه اخذ معه أرض الظلمة
حتى وجد بها عين الحياة مع ان أرض الظلمة لا تكون الا فى أحد القطبين أو ما قاربه لانه هو
الذى يطول مغيب الشمس عنه كما هو معروف عند الحكماء وقد تكلم علماؤنا على عبادة هؤلاء
أحكامها فى الصوم والصلاة مقرر فى دواوين الفقه وانه ثبت فى أرض ... من امورها ...
... ثم ... قارات الارض ان كانت ... على حالتها الآن
... القصد الذى وصل اليه هو شمالى هذا اذا كانت هيئة الارض
اذ ذاك هى على نحو ما عليه الآن أما اذا كانت على شكل آخر فيمكن أن يكون القطب
هو الجنوبى أيضا والله أعلم بهذا لان الارض تتغير اشكالها على طول الزمان فقد
يحدث فيها من الزلازل العظيمة وانخفاض جهات من اليابسة وارتفاعات فى جهات من
البحر (وهكذا) فان امريكا على ما قيل كانت متصلة بقارة آسيا من جهة بوغاز برنك وان
ان جهة من مملكة تونس الغربية تسمى برج بوالشاهد فى محل ... كانت قديما
مرسى السفن فى دولة اسرطاجنة والآن صارت بعيدة عن ... والبحر يبعد عنها
نحو خمسين ميلا وكذلك فى جهة ... كان فيها بحر يدخل الى
دواخل القارة الافريقية والآن صار صحراء وهى المعروفة بالصحراء الكبرى وسيأتى بقية
الكلام عليه فى الكلام على تونس وكذلك خليج السويس كان بحرا موصلا بين البحر
الابيض والبحر الاحمر ثم ردم ثم فتح الآن على ما ... فى الكلام عليه أيضا فى محله (ان
شاء الله تعالى) وقد قال المفسرون فى قصة سيدنا (موسى) وسيدنا (الخضر) عند (قوله
تعالى) حتى أبلغ مجمع البحرين الآية ان المراد بمجمع البحرين هو محل اتصال بحر
الروم ببحر فارس وهل ذلك الا من السويس أو من مكان آخر ... فهو أيضا
بعيد المطلوب فتقلب حالات الارض لا تبعد أن يكون سد يأجوج ومأجوج جهة
القطب الجنوبى الذى هو وما قربه أكثر مجهولية من الشمالى جدا وآثار رحلة الجزائر
الى استراليا كالآثار الدالة على الاتصال ويؤيده أيضا أحد الصحيحين الصفات التى ذكرت
ليأجوج ومأجوج فى خلقتهم فى الاحاديث الصحيحة كما فى البخارى وغيره من الصحاح

وهى صفات تقرب كثيرا من الصفات التى وجد عليها اهالى الجزيرة التى ذكرناها قريبا
جهة الشمال واكتشفها الاسكيمو وشاع امرها وذكرها فى صحف الاخبار ورسمت
فى خارطات الجغرافيين ووصول ذى القرنين الى هاتيك الجهات وما وراءها ليس
بغريب اما اولا فلان صورة الارض اذ ذاك ليست هى التى عليها الآن فجهات القطبين
لم تكن على حالة لدرجة من البرودة ولذلك ادلة مسطورة فى كتب الجغرافية الطبيعية
تدل اصلها على مذهب المتأخرين الذى لا يخالف الشرع ان هيئة الارض كانت
كوكبا ناريا ثم انطفأت طبقتها العليا ولا تزال تبعد تلك الطبقة وعلى قدر ثخنها تبرد
وتنحصر الحرارة فى جوف الارض ومركزه وعندما وصلت الطبقة الى درجة من الاعتدال
الصالح لخلق من مخلوقات الله خلقه الله فيها (وهكذا) على التدريج الى ان تم ما اوجده
الله فيها واضمحل منها من انواع الحيوان ما لم تبق صلاحية له كنوع يشبه الفيل وهو
اضخم منه وانيابه مرتفعة الى فوق فانه الآن منعدم وهو معروف من الارض
واكتشف على عظامه فى طبقات منجمدة من الارض بالاخص جهة سيبريا ويشهد لصحة
هذا القول الاحاديث الواردة فى التكوين وان (آدم عليه السلام) خلق بعد الارض
بمدة طويلة وان الحيوانات خلقت قبل (آدم عليه السلام) بكثير الى غير ذلك من الصفات
الواردة عن الشارع فى كيفية التكوين وقد وجد فى سيبريا من عظام الحيوانات التى
لا تعيش الا فى الارض الحارة كالفيل وغيره بكثرة مما يدل على انه ليس مجلوبا وانما هو
حيوان اصلى فهذا ما يقضى بان تلك الجهة كانت حارة ليست على ما هى عليه الآن من
شدة البرد فيحتمل ان زمن ذى القرنين كانت الحرارة معتدلة فيه حتى يمكن الوصول
الى تلك الجهة بلا مشقة ولا يخفى ان التاريخ من زمن ذى القرنين الى الآن لا يقتضى
هذا التغير بكثير لانا نقول ان ذا القرنين هذا هو غير الذى ذكر فى اشعار العرب وانه
الصعب ملك من ملوك العرب العاربة معاصر (لابراهيم عليه السلام) او قريب منه هذا
هو الصحيح وان غلط الرازى وغيره فى توهمه انه الاسكندر المقدونى فقد زمنه لا يمكن
الوقوف على حقيقته وذلك ان ذا القرنين كان قبل (موسى عليه السلام) بكثير حسبما
تقدم فى كون (الخضر عليه السلام) وزيره وهو لديه وتعلم منه (موسى عليه
السلام) وجميع التواريخ المدعة يعتمد فيها المؤرخون على التوراة وهى قد وقع فيها
التحريف قطعا فى كثير من الآيات لا سيما ما يتعلق بالتاريخ فنعرض عنه احتياطا وبالغت
لعله ابن خلدون فى دعواه عدم التحريف بعد ثبوته بالعيان وقد اثبته الشيخ رحمة
الله

الله قدس سره في كتابه ونحو من الاختلاف الكثير في التاريخ بين نسخ التوراة
القاضي بعضها باجتماع (نوح وابراهيم) وبعضها بالبعد الكثير بينهما وجرى
مؤرخوهم انه مدة (٢٥٢) مع ان العبرانية تقضي باجتماعهما لان نوحا مات بعد
ولادة (ابراهيم) ٥٨ سنة والسامرية تقضي أن (ابراهيم) ولد بعد موت
(نوح) ٥٩٢ سنة واليونانية تقتضي انه بعده (٧٢٢) سنة والاولى يخالفها
لاجماع والاخرى بينهما التناقض التام وغاية الخلق أن (ابراهيم) لم يجتمع (بنوح)
في عصر (عليهما السلام) والاختلافات على هذا النحو وعدم التحرير في التواريخ
كثير جدا فلا اعتماد حينئذ على ما هو موجود من التوراة ثم أن متأخري المؤرخين
قد حدثت وبهذا لمن وجد وما استدلال من الآثار القديمة والاطلاع على لغات قديمة
لكن لم يطلع الى الآن على أدلة وجود هذه تثبت مدد من ذي القرنين على فرض تعينه
وكم مدة السنين بيننا وبينه وأما ثانيا فلانه يجوز أن يكون لدى القرنين اذ ذاك من آلات
حل الانتقال وتيسير السفر ما لا يعلم الآن ويدل عليه (قوله تعالى) في حقه (انا مكنا له
في الارض وآتيناه من كل شيء سببا) فانه يقتضي اتساع اقتداره وتهيء الاسباب
لقصده كعلم جر الاثقال مثلا الذي شوهدت الآن آثاره مما لم يقدر عليه متأخروا
هذه العصر وكذلك نحت الصخر الصم اللاتي لم نعلم كيفية قطعها ونقلها مع وجوده
وجد في مصر من صورة الملك الكبير الثاني ورعمسيس ما يقتضي علمهم بالقائم صور آلات
أخرى غير معلومة كما أن الكلام عليه في أحوال مصر فيمكن أن تكون حالة
الارض في هيئتها ولدى القرنين وعلمه وجنوده من المعرفة والآلات ما يتيسر
لهم به الوصول الى الاماكن الصعبة مما لم نعلمه الآن وأما قول بعض المؤرخين ان
الواثق من بني العباس أرسل متغربين الى السد فوقفوا على بابه ووصلوا الى عبرة من
الصفات التي ذكرت له مما لم يكن على تعينه ولم نعتمد عليه ميما ولم يتبين أولئك
المؤرخون مكانه وأغلب بعضهم كلامهم بانه في الجهة الشمالية الشرقية من آسيا
فلا يبعد أن يكون ما وصلوا اليه هو سور الصين وإذا فرضنا انه هو المراد بالسد في
النصوص الواردة يلزم حمل الصفات المذكورة فيها على بقاع من ذلك السور لكونه
من زبر الحديد ومفرغ عليه النحاس والصدفان (حينئذ) طرفان من ذلك السور كما
تأول صفات يأجوج ومأجوج الى ما يصح اطلاقها عليه من التتر والمغول ويكون
وعد الله الذي يدك فيه السد هو قرب الساعة ولا شك أن الساعة قربت كما علم به

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) في قوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة
والوسطى كأنه يشير الى مزيد القرب وكما (قال تعالى) اقتربت الساعة وانشق القمر الآية
فما بقي من الدنيا بالنسبة الى ما مضى شيء قليل جدا والطبيعيون أنفسهم مقرون بذلك
لما يستدلون به من كيفية تكوين الارض وارتباط الاجرام العلوية (وحينئذ)
يكون الفساد الموعود به في النصوص من أشراط القوم هو ما وقع من التتر المغول من
الفساد في الممالك وكفى بوقائع جنكيز خان وما فعله هو وأصحابه في البلاد مصداقا
لذلك فان من له الماما بتاريخه يرى فيه العجب العجاب وهي مصيبة عظمى لم تحدث على
المسلمين مثلها وغفل عنها تطاول الزمان وعدم علم الجمهور بها ولذا لم يصير لها اعتبار
الآن وكل هذه الاخبار تبعد دعوى ما يلزم له ... البلاد أو فرضنا الاحاطة حقيقة بجميع
أطراف الارض والحاصل انه مهما وجد ما نص عليه الصادق يلزم التسليم به والتصديق
به فان وجدنا ما يخالف ظاهره في الوجود وجب تأويله على معنى في الوجود أو يستحيل
مخالفته للواقع وقد نص على هذا العلماء الراسخين ومنهم سعد الدين التفتازاني
في المطول (ثم ان) بمملكة الصين من الانهر العظيمة الحاملة للسفن الشراعية والبحرية
ما أغناهم عن تكثير الطرق الصناعية في الارض (وأما الجهات) التي لا تصل اليها الانهر
فانهم يصنعون فيها ترعا متصلة بالانهر ميسرة للسير وحمل الاثقال حتى ان منها ترعة هي
من عجائب الدنيا ولها خصوصية وتجري ... وصنعت في عدة أجيال من الجيل
السابع من تاريخ المسيح أي القرن الثاني الهجري الى القرن الثامن من الهجرة ولم
تحدث فيهم الطرق الحديدية الى الآن (وأما المعادن) فعندهم أغلب المعادن
المعروفة ولكن لم تبلغ مهارتهم في استخراجها وتصفيتها ما يحتاجون الى جلبها من خارج
(وهكذا) نباتات هذه المملكة فيها أغلب نباتات المعمور لاتساعها واختلاف أقاليمها
وكذلك الحيوانات والهواء وقاعدة المملكة هي مدينة بكين التي هي من أعظم مدن العالم
سكانها أزيد من ثلاثة ملايين ولها سور يحيط بها وأغلب أبنيتها طينية وهي منقسمة
الى عدة أقسام لقصور الملوك فمنها طبقات والاهالي يتزوجون مرأة واحدة شرعية
ويتخذون غيرها كالسراري على أنهن خادمات لها ولهم شرائع في التعاهد والدلالة على
الميثوقية والعامة منهم ان الاغنياء والاكابر يتعاهدون الى الراحة حتى لا يكادون يتحركون
وتعاب هاته الصفة في بلادهم ومما من غرائب عاداتهم في ان بنت الاعيان اذا ولدت
يعملون لها حذاء من حديد أو ما أشبهه من الاشياء الصلبة ويلبسونه لها في سن المهد

وتترك

وتترك كذلك الى نهايتها فتكون أقدامهن صغيرة جدا بحيث لا تستطيع المشي
وكذلك كفوف يديها حتى لا تقدر أن تشتغل ولا ترفع شيأ مع الاعتناء بها فتصير
دائما ناعمة وكونهم يقدمونها في هذه الصغر دلالة على أنها لا تحتاج لعمل شئ بنفسها
وكل الضروريات وغيرها تقدمها لها الخوادم فيحملونها ساعات يحملوها على الاعناق
عندما تريد المشي الى جهة كانت وهكذا جميع الحركات ويستكثرون من الخدم على
قدر ابتساطه في المال والجاه وعادة الحمل على الاعناق جارية حتى في رجال الكبراء
والاغنياء وهذه العادة جارية ايضا في اهالي الهند (واما حكم) هذه المملكة المتسعة
فهو يرجع الى عقل واحد ذي حكم استبدادى مطلق ونوابه ووزراؤه يسيرون ويجرون أمر
المملكة على ارادته في جهات امرائه متبددون في التصرف في امارتهم تحت أوامر
السلطان امام لدى قائد ويعزلهم حسب ارادته ومع ذلك الاستبداد فانهم
لتحفظهم على العوائد القديمة تجد كأن أحكامهم قانونية لاجرائهم الحوادث شبيه بعضها
ولا يتجاسرون على خرق العادات القديمة في جميع تصرفاتهم لان أمرا كهذا يعطيهم وثبا
يقع لهم عنادا في ملكهم وربما ذهبتم الى الفساد او هيئة ولهم ايضا دواوين
يضبطون بها ادارات التصرف بالاموال ورزق لهم الكبراء الى جميع تصرفات
المملكة تجدها مشابهة انتظام مشابهة الى الدول الاوروبية وكان ذلك هو سبب قدم هذه
الدولة وعدم انقسامها لأن السلطان عندهم وان كان له ان يفعل ما يشاء لأنه لا يفعل
شيأ الا بعد ورود حال دونه وارباب مجالسه في جميع الامور وكل من امرائه لا يتصرف
الا بعد ورود جواب عموم ولا يتوقف احد في حده ابدا ذات الاب يكون من اصحاب
العلوم والمعارف لديهم ووجهاء الامة كما يشترط في كل موظف ان يكون متأهلا
ومدبرا بالحكمة التي تقلدها ومن عاداتهم الشنيعة بالعقوبات المتوطنة اذا ظلم أحد
الرعايا ولو في ادنى الاشياء يعاقب اشد العقاب وان انهم يطالبون كل على حسب خطائه
عما يقع على الاهالي من المصائب السماوية التي يكون في وسع البشر تداركها
كفيضان الانهر وسقوط الجدران ونحو ذلك كل ذلك ويعاقبون عليه بالعزل ولهم صحيفة
رسمية قديمة قبل أن تعرف الصحف في اوروبا بقرون رهافتون مجموعة تنشرها
يوميا ولا تحتوي الا على الحوادث الخاصة بدولتهم وتصرفاتها وحيث كانت الكتابة
عندهم صعبة جدا (لانها) علامات موضوعة على الحروف منها أصلية ومنها فرعية
تدل على الكلمات وكانت نحو اربعين وخمسين الف علامة وهي مستعملة الآن (أما)

العلامات القديمة التى لم يبق استعمالها الا نادرا فوضعوا صورا بعضها من الطيور بعلامة
وتسعة وأربعين شكلا (وفاذلك) كانت معرفة الكتابة عندهم قليلة جدا وقد عرفوا
صناعة الطبع قبل معرفتها فى أوروبا بكثير وهى على غير الصورة المعروفة الآن فانهم
كانوا ينقشون الكتابة فى ألواح بحيث تكون على عدد صفحات الكتاب الذى يريدون
طبعه وان شئت قلت يطبعون الكتب أولا كتابة بالنقش فى ألواح ويطبعون بها ما شاؤا
ثم يدخرونها الى وقت الحاجة فيعيدون الطبع متى أرادوا (وأما) الفلاحة فى المملكة فهو
كثيرا لكثرة موارد الثروة وفوكثرة السكان ومع ذلك هو بالنسبة لغنى الممالك لم يتقدم
الصنائع لضخامته وقيل نظرا لعظم المملكة وما فيها وقد تقدم ما فى عدم دولتها وما شرعت
فيه من القوة الحربية (وأما القوة المالية) فهى غير معروفة لاختلاف أنواع الايراد
وتعوده على أنواع التوظيف كل منهم له كيفية فى الاستخلاص على وجه من الاهالى

الفصل * الثانى عشر

﴿ المملكة الثامنة عشر مملكة روسيا فى آسيا ﴾

هاته المملكة تبتدئ من الشمال الاقصى من القارة ثم تنعطف مع حدود الصين الغربية
وتصل الى مملكة ايران من شمالها والى الممالك التى بينها من شرقيها وهى متقدمة
جدا ولا تزال تتوسع فى تلك الصحراء بأواسط آسيا بحيث تفرقوا بها وصارت تتغلب
عليهم بتسليط بعضهم على بعض وانتصارها لبعضهم حتى يتلقوهم شيأ فشيأ بحيث لم يبق
منهم الا القليل كما سيأتى الكلام عليه عند وصف ممالكها وهذه المملكة سيمر فى الكلام على
هاته الدولة فى ممالك أوروبا وكذلك تبعية تصرفاتها السياسية وغاية ما نقول هنا أن فيها
قسما يسمى سبيريا هو شمالى الصين فى نهاية شدة البرد وهو قليل السكان والحيوانات
الا بعض الحيوانات المتعودة على البرد كالدب الابيض والذئب ولكن قد اطلع علماء
الطبيعة على ان تلك الجهة كانت عامرة بانواع من الحيوانات التى ألف الجهات الحارة
كالفيل وبعض أنواع من الحيوانات فقدت الآن مثل حيوان أكبر من الفيل ويشبهه
فى الخلقة وله شعر صلب مستطيل عنقه من مبدأ رأسه الى مغرس ذيله يكون مرتفعا
مفردا عن بقية شعر بدنه وله أنياب طول مخاورة تشبيه مثل أنياب الفيل غير أنها
مرتفعة الى فوق واطلعوا على وجود هاته الانواع هناك بكثرة عظامها فى طبقات

سفلى

سفلى من الارض تدل على أن الطبقات الحية كانت حارة كما تقدم وهي الآن من شدة بردها
اتخذتها روسيا منفى لاصحاب الجرائم الشديدة فيصلون لها لا بعد فقدان أكثرهم
في الطريق ومن وصل منهم لا يبقى سالما وتحدث لهم وللسكان الاصليين أمراض
في الاعين من شدة الضوء المنبعث من سطوع الاشعة الشمسية في بياض الثلج المتكاثر
الدائم ويوجد في هاته المملكة أعني بقية مملكة روسيا في آسيا أنواع شتى من الفراء
العالي وفيها أنواع النبات المختلف الذي يوجد في أغلب الاقطار الباردة والمعتدلة
وتجارتها متصلة مع جميع الاقطار لكنها بطيئة عسرة لصعوبة النقل حيث لم تتم الطرق
الكافية لمواصلة الشواسع هاته المملكة المتسعة ولا دخل فيها بعد درجة المعارف والصنائع
التي يمكن بها منافسة الاوروباويين في هذا العصر ولا يخفى أن المملكة متسعة مثل هذه
تضم أصنافا من البشر لا بد أن يكون أهلها مختلفي الطبائع والعادات فالمسلمون
كالقرغيز والكرج هم أهل شجاعة وجلد وصبر على اقتحام المشاق مع تعصب لبعضهم
وغيرهم من المسلمين وغيرهم كاليهود والمجوس والداغستانيين هم أيضا مثلهم
أصحاب غيرتهم أقل من سابقيهم ودونهم أيضا في التعصب وقد استولت روسيا على هاته
الممالك تدريجا منذ نحو ثلاثة قرون وهي تغذيهم شيئا فشيئا ومع كون الروس استبدادية
فالمسلمون الذين طال استيلاؤها عليهم وتشاءموا المداراة تعاملهم الآن بالرفق وحرية
الديانة بحيث تكون الاذان والصلوات في المساجد وعقد الاحكام كلها قائمة وكذلك
تعلم العلوم الدينية والمعاملات هو أيضا مباح ولا يتعرض لهم بشيء وتجرى عليهم بقية
الاحكام الشخصية والسياسية مثل بقية الروسيين حتى في اتخاذ العساكر منهم لكن
أكثر العساكر منهم هم على غير نظام بل يسمى قوزاق نوع من الخيالة غير نظامية وأما
المسلمون الذين استولت عليهم من قريب فتجرى فيهم أنواع القهر والغلظة من الحكم
العسكري البحت مانعة منهم السلاح وذلك للتحرز من ثورتهم وتربية الجيل الناشئ على
المذلة والخضوع إلى حكمها ولله الامر من قبل ومن بعد

الفصل الثالث عشر

﴿المملكة الثالثة عشر مملكة هرات﴾

هاته المملكة موقعها شرقي ايران وغربي غرب الصين والهند وجنوب روسيا وشمال

أفغانستان وكانت تابعة لايران ثم استقلت منذ استقلال الافغانستان وأهلها مسلمون
سنيون والظن أنها لا تلبث أن تلتهمها احدى الدول المجاورة لها لصغرها بالنسبة اليهم
والاقرب رجوعها لايران باعانة الانكليز في هاته المدة لاتمام مآربه هو في الافغان
حيث انهم موافقون لهم في المذهب ويعدونهم بالاعانة على حرب الانكليز ولذلك أغرى
ايران بالحرب لهم ولا تنيلا عليهم بيد أن سياسة الروس عاكسات ذلك وعدد الاهالي
مجهول الحقيقة وعلى التخمين انهم نحو مليونين تحت ملك مسلم استبدادي مطلق من
ذرية أحمد شاه الذي أنشأ في أفغانستان وما والاها مملكة ذات شأن والاحكام الشخصية
شرعية ولهم أيضا أحكام سياسية لكن الموذ قليل لان أغلب السكان قبائل رحالة
فهم حربية البداوة وهم من أصل التركمان وكانت في المملكة مدن عظيمة في أودية بين
الجبال التي على جنوبي صحراء خوارزم هدمت كلها بقرب جنكيز خان التتري
وقاعدة المملكة مدينة هرات وهي مدينة مضيقة في نهر يتشعب في شوارعها
ودورها ولها تجارة حسنة في نتائج أراضيها لخصبها مع الممالك المجاورة وبها من النباتات
كل نباتات الاراضي المعتدلة لاعتدال هوائها وسلامته وكانت منبعا للعلوم ومنبتا
للعلماء الافاضل حتى قال ياقوت في المشترك ان علماءها لا تحصى كثرتهم الا الله وهي
الآن دون ذلك وانما فيها من العلماء بحسب الحال ولاهلها من الصنائع الجيدة السيوف
وآلات القطع لان تيمورلنك نقل اليها ماهري هاته الصناعة من دمشق فبقيت فيهم
الى الآن ولهم مهارة في صناعة البسط والاقمشة الحريرية ويقال في دولتها الحربية
والمالية ما قيل في أفغانستان على نسبة عدد سكانها

الفصل ❁ الرابع عشر

(المملكة الرابعة عشر هي أمارات التركستان)

هاته الامارات موقعها غربي الصين وشرقي وجنوبي بعض الروسيا وشمالي وشرق
هرات وبعض ايران وجميع السكان مسلمون سنيون وحقيقة عددهم مجهول وانما يقال
على التقريب انهم نحو سبعة أو ثمانية ملايين وقد كانت الممالك منقسمة الى (جملة)
أقسام كل قسم مستقل تحت حاكم يلقب بالخان (وهي) خيوه وبخارى وتشقند وخوقند
وقبائل التركمان الرحالة المعروفة بتيكي (وأما الآن) فان خيوه دخلت في حوزة الروسيا

وصارت

وصارت جزءا من ممالكها وان بقيت لها بعض امتيازات ظاهرية كابقاء خانها ولقبه
غير أنها في الواقع هي من ممالكهم الداخلة في حكمها وتحت أمرها (وأما بخارى)
فهي أيضا مثل خيوة غير أن امتيازاتها أكثر منها وعلى كل حال فكلاهما يصح أن يقال
انهما مستقلتان بالادارة الداخلية تحت الامر الروسي ويؤديان له الخراج السنوي ولهما
عساكر قليلة ربما تسمح لهما به روسيا للمحافظة على الراحة في المملكة ولا يقاتلان سوى فيما
تأمرهما به (وأما طشقند) فقد صارت ولاية روسية تحت حكم جنرال روسي فهي حينئذ
مشمولة بالكلام الذي سبق في أحوال مملكة روسيا (وأما خوقند) فولايات مستقلة
تحت أمارة خانها وحكامها السفدادى وعدد سكانها نحو مليونين (وأما قبائل التركمان)
فقاعدة مملكتهم هي (مرو) وموضعها جهة الشرق الجنوبي من بحر قزوين المشتملة
جميع خطوطها الروسية ويحد سكانها نحو مليونين ونصف لكنهم بدو واخضاعهم حقيقة
للعدوان واغلبهم قبائل لكل منها رئيس وكانها مع أخيتها لا تنثنيان أن تجمعها حواشيها اذ
الحرب الآن قائمة على ساق بين الروس وقبيلة تكي وقد كسروا الروس في هذا العام
وهو سنة (١٢٩٧) مرتين ولكن اظهارها للولايات تستعد لحربهم واخوانهم ممن
استولت الروس عليهم وغيرهم ينظرون اليهم كما كانوا هم ينظرون الى من جمعهم الى
أن يحكم الله الذي لا معقب لحكمه وتكون له الحجة البالغة (سبحانه وتعالى) حيث
تفرق المسلمون شيعا للاغراض والاهواء المتعصبة ولم يعرفوا الشرع في الاحكام
الكلية والجزئية واخذ الدواني لجهل والشهوات زائلة حتى تمكن العدو منهم
وصارت بلاد الاسلام ومصابيح العلوم لعبة بأيدي الاعداء وأصحاب الاهواء (ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم) فوا أسفاه على بخارى وسمرقند ونحوهما من مدارس
الدين في الفنون والعلوم الدينية ولو باضبطوا واها على تلك الدقائق والاستنباطات
والاختراعات لتأسيس العلوم وتهذيبها واتقانها ورحم الله أولئك الرجال الذين عمروا
الارض وحموا الدين ولم تزل الأمم تستمتع بمعارفهم الى الآن ولم يهملوا مسائل ولم يتعاطوها
حق عطاها حتى كادت أن تصير في خبر كان والله يرث الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين

الفصل ❁ الخامس عشر

﴿ في الممالك الخمسة عشر هي ممالك الأئمة في جزيرة العرب ﴾

هذه الممالك يحيط بها البحر من جهتين في الشرق خليج فارس ومن الجنوب المحيط
الشرقي ويحدها غربا بالحجاز واليمن من توابع الممالك العثمانية وعدن التابعة
للانكليز ومن الشمال العراق العربي للدولة العثمانية وهاته الممالك هي المعروفة
سابقا بنجد وتهامة واليمامة وأخلاقهم هي أخلاق العرب في هذا العصر من التجرد عن
أغلب الصفات التي كانت للعرب السابقين وأما الديانة في الجميع فهي الاسلام وأما
المعارف والعلوم فتكاد أن لا يعرف عندهم منها اسم ولا مسمى الا قليلا منهم في قليل من
علوم الدين والحاصل أنهم أمم يقرب منهم الجغرافيون بسذاجة لا بد من التشويش على البداوة
وأعلامهم رجال يسمون في الاحكام لمشايخ كثيرة يلقب كل رئيس منهم بالامام كامام
مسقط وامام رياض بنجد من الوهابيين أعنى أتباع عبد الوهاب الذين ظهروا في أوائل
القرن الثالث عشر ناشرين دعوة شيخهم محمد بن عبد الوهاب حيث كان مدعيا بحفظ
السنة وابطال البدعة فتجاوز الحدود حتى منع المباح وقويت شوكته وكثرت أتباعه حتى
تسلطوا على الحرمين الشريفين وقصفوا من العراق الى كربلاء وسطوا على تربته وهدموا
البناءات على القبور وأزالوا الكتابات التي عليها وأرادوا حمل الناس على الاتباع حتى
في العادات والاحوال الدنيوية وان اختلف الاعصار ولم يتقيد بمذهب خاص بل انه
يدعى العمل بالحديث على مقتضى ما يفهمه وسيأتي ما يتعلق بهم في هذا المتن في فصل من
المقصد عند الكلام على رحلتي من السفر الاول الى باريس وملخص الكلام أن هاته
الفرقة تجاوزت المقصد الصحيح في الدين الذي ينبغي التوسط فيه وان كانت تذييه كأن
بعض الرادين عليها تجاوز بما ذهبوا اليه وخرجوا بأعمالها كلها عن حدود الشرع بل
كادوا أن ينسبوها للكفر وقد ألفت فيها كتب كثيرة في الرد على مذهبهم من علماء مصر
وتونس وغيرهم لما استعمل أمراؤها القوة واستولوا على الحرمين الشريفين وشرت
دعوتها في تأليف خاص وبقيت على ذلك الى أن تجرد لها ابراهيم باشا من أمراء مصر
وقهرها وأسر رئيسها سعود بن عبد العزيز العنزي من ربيعة الفرس حيث كان هذا
من أعظم أنصار الوهابي والمتعصبين منه والناشر لمذهبه الى أن مات في خراصه وتلاشت
من ذلك الوقت تلك الدعوة والدولة ولم يبق لها اعتبار الا في نجد وامامها الآن أحد
نسل سعود المذكور وهو في التصرف أشبه بشيخ قبيلة بعيد عن الملك وانتظامه وشارته
وهكذا سائر الائمة المتفرعين بتلك الجهات ولا أخال أن لا يعتبروا ممالك مستقلة وانما
يعتبرون كأنهم قبائل في أطراف الممالك العثمانية غير خاضعين اليها ولو أنها أخذت

التصرف

التصرف بالدين والسياسة فانها ان اراد الله تصيرهم الى عين الكمال وتنتظم امورهم على أحسن ترتيب فينصلح حالهم ويتقوى بهم الدولة الاسلامية لان في اراضيهم اودية وسيعة خصبة وجبالاً غنية بالاشجار والمعادن لاسيما في تخومهم كما ان جبالها في الدنيا والرغبة فيها من جميع أهل العالم العارفين بالحال وكذلك عندهم من الحيوانات الانسية والوحشية ما هو مورد للثروة فكما امتدت الدولة العلية بالولاية على اليمن شيئاً فشيئاً الى العهد القريب كذلك ان شاء الله تعم كلمة الاسلام هناك على خليفة واحد وكان سبب بقائهم الى الآن لم تستول عليهم احدى الدول هو اتساع اراضيهم وكون اعدائهم نصارى ووثنيين واكثرهم قوم رحل فلا يضبطون بسهولة لانهم يتحيزون الى الدواخل والدولة العلية يسهل عليها ذلك لاتحاد الدين والاستيلاء على اعلى حدودهم ولا يصعب عليها المدد والاستعانة بمن جاورهم وبالعلماء في هدايتهم حتى تجري فيهم التراتيب الشرعية وتنتفع بهم الامة كما ينتفعون هم بالعدل والتمدن والمعارف ولا شك ان لاستعدادهم اعتبارا عظيما عندما يتقدمون لاسيما واصل العربية لم يزل فيهم سابقة وثقة محمد أصدق قابلية للتقدم من غيرها وشاهده ما حصل من العرب بعد غرس الحكمة فيهم بالدين الاسلامي واهم هؤلاء الصومال واشهرها الآن هي قبيلة ... وطها امام وقد ادخل تحت طاعة قبائله طائفة في هاته السنة وهي (سنة ١٢٩٧) وله نوع اعتناء بالانكليز كما يأتي في الكلام على زنجبار من أفريقية.

الفصل ❁ السادس عشر

(المملكة السادسة عشر)

هي مملكة نيبول وموقعها بين جبل همالاي الوسطى وبرامبوترا وبين سكين من شرقيها وكماوون من غربيها فهي واقعة بين الصين والهند الانكليزية فلها الصين من الشمال والشرق تقريبا والهند من الجنوب والغرب والشرق وعدد سكانها نحو مليونين ونصف وعموم دينهم مثل أوربيين من المجمع من الدول الشرقية مع شجاعة وكذلك أحوال ديانتهم

الفصل * السابع عشر

﴿ المملكة السابعة عشر ﴾

هي مملكة بوتان أو بهوتان وهي أرض بين جبال هملاي وآسام وهي شرقي المملكة السابقة وتفصل بينهما قطعة من ممالك الهند الانكليزية تحدها جنوبا الهند الانكليزية وكذلك شرقا وغربا وتحدها الصين شمالا وسكانها نحو مليون من المجوس وديانتهم بوذية ولهم ملكان أحدهما ديني ويعتقدون حلول الاله المسمى عندهم بوذا فيه ويلقبون هذا الملك دورمه رجا والثاني هو الملك السياسي وبيده القوة الحربية والملكية ويلقبونه دب رجا ويتصرف في العسكرية بواسطة أميرين أحدهما في مشرق المملكة والثاني في مغربها وهم في تحزبهم مع القبائل غير خاضعين للحكام

الفصل * الثامن عشر

﴿ المملكة الثامنة عشر ﴾

هي مملكة كشمير الشهيرة بعمل الشالات من المنسوجات الرفيعة وتختها مدينة كشمير وقد صارت دولة مستقلة من سنة (١٢٦٣ هـ) و(١٨٤٦ م) غير أنها تؤدي خراجا سنويا إلى الانكليز وموقعها في الشمال الغربي من ممالك الهند الانكليزية فيحدها جنوبا ما ذكر وشرقا الصين وشمالا التركستان المستقل وغربا أفغانستان وأهلها نحو ستمائة ألف لكنها زادت اتساعا بما استولت عليه من قبائل الجبال التي فوق السند وأهلها مسلمون ولها ملك بإدارة استبدادية شبه القانونية وعليه نظر الحاكم العام الانكليزي في الهند لكن لكثرة امتيازه يذكر كأنه مستقلا وكذلك يرسم في الخرائط

الفصل . التاسع عشر

﴿ المملكة التاسعة عشر مملكة اليابون ﴾

هذه المملكة هي أول ممالك الجزر التابعة لآسيا وهي متكونة من عدة جزر شرقي مملكة الصين وكانت في القديم تابعة للصين وأهلها مثل أهل الصين في الشكل والعادات

والعادات والحذق بالصنائع وعددهم نحو ثلاثة وثلاثين مليونا وثلاثمائة ألف وستمائة
وخمسة وستين نسمة استقلوا في أحكامهم وملكهم وفي أواخر هذا القرن أعني منذ
نحو عشرين سنة استولى على ملكهم رجل عاقل من عائلة الملك وشمر عن ساعد الجد في
احداث عصر جديد للمملكة حتى خرجت عن أن تشبه ممالك الشرق وصارت كأنها
دولة ومملكة أوروباوية تعد من أعظم الممالك ذات القوة والشأن والتمدن
والتقدم والمعارف والصنائع وذلك أنه تولى ملكهم المسمى الميكادو وكان حدث السن
ذا أخلاق حسنة وتربية صالحة وكان معجبا بأحوال الاوروباويين لقدومهم الى
دولته للسياحة والتجارة وكان سمع من أحوال أوروبا وتقدمها ما هو معروف ورأى من
تقهقر مملكته وما جاورها ما أوجب له العزم على تغيير حالتها ولكنه خشي من تمسك
قومه بالعادات القديمة التي يحافظون عليها كأهالي الصين لكنه استعان بالحالة
الخصوصية بها أمته وهو التحمس بالحوادث الجديدة فابتدأ بتغيير زي المتوظفين ورؤساء
الدولة وحملهم على الزي الاوروباوي وبقي هو في ذاته على الزي القديم مختبرا لأفكار
القوم بذلك فلم ير منهم الا الاسراع والاستحسان لما أمر به فلم يلبث أن عززه في نفسه
وأرسل سفراءه الى اوروبا لاستقراء ما فيها من أصول المنافع والصنائع وآلات الحرب
وحركاته وجلب المبادي المحتاج اليها في مملكته من علماء وآلات وغير ذلك ثم ألزم أمته
باعطاء الحرية العمومية حيث كانوا تحت حكم الاشراف بمعنى أن كل عائلة شريفة تملك
قسما من الاراضي ومن فيها من الناس يكونون تحت عبوديتهم وامتثال أوامرهم
فأبطل هاته العادات وانتقى من قوانين ممالك أوروبا ما اصطفى في نظره وصلحه على
مقتضيات عادات بلاده وأمر بالعمل به كما أمر بإحلال الطريقة العسكرية في حركات
الحرب المعمول بها في أوروبا وألزم كل ذكر بلغ سن العشرين بالانتظام في سلك
العسكرية للدفاع عن الوطن على قانون معروف وفتح المكاتب والمدارس في العلوم
الرياضية وغيرها وكثر منها التكثير اللازم وألزم الاهالي بعقد شركات للبريد وأنواع
التجارة والفلاحة وفتح الطرق الحديدية واستخراج المعادن وزيادة على ما عليه من
الاصلاح الاوروباوي من الطرز الجديد أحدث معامل في مملكته وأنشأ السفن حتى
كانت عدته احدى عشرة مدرعة وبالجملة فان انقلاب الدولة بالنسبة لهذا الملك وتقدم
هاته المملكة في أسرع وقت من عجائب هذا القرن التي تحدث في التواريخ وستأتي
قوتها الحربية والمالية في جدول الدول وعلى ما تقدم تعتبر كاحدى الدول

الاوروباوية الاول المتقدمة وفيها من الثروة والتمدن والعلم ما في ممالك أوروبا وما في
مملكة الصين وقاعدة هذه المملكة مدينة جدو في جزيرة نيبون التي بها جبال بركان
كثيرة ولاجل ذلك يكثر فيها الزلازل ومعادنها غنية وأصل ديانتهم كديانة أهل الصين

الفصل * العشرون

﴿ المملكة العشرون مملكة أتشين ﴾

وهي قاعدة جزيرة سومطرى وهذه الجزيرة خصبة جداً وفيها معادن جيدة ومغاص
على اللؤلؤ ونقطة واحدة لاستواء الى جنوبي وهواؤها على العموم جيد في الجبال
ردىء في الاودية وسكانها نحو ثلاثة ملايين وكان من الحق ذكرها في اتباع الدولة
العثمانية لكن التغافل من بعض المتوظفين أوجب اهمال الدولة العثمانية أمرها على
ما سيأتي وأوجب التكلم عليها استقلالاً وذلك أن هذه المملكة كانت في الزمن
القديم تحت دولة من المجوس الى أن فتحها السلطان (جوشاه) من أمراء الهند في
رمضان (سنة ٦٠١) وأسلم كثير أهلها وتمذهبوا بمذهب الشافعي وفي
(سنة ٩٢٢) في ولاية سلطانها ([illegible]شاه) بايعت الخلافة السلطان (سليم خان)
وحصلت منه على فرمان يقتضي قبول حمايتها وأقام سلاطينها على ذلك الى وزير سنان
باشا ثم جددت السلطان عبد المجيد (سنة ١٢٦٧) وأرسل الى سلطانها (علاء
الدين منصور شاه) فرمان البيعة ونيشاناً مرصعاً ونشرت على قلاعها وسفنها الراية
العثمانية وعدة سلاطين تلك المملكة الى (سنة ١٢٩٣) ستة وثلاثون سلطاناً
ويقتضي ما لهم من الرخصة في ادارة المملكة مع ترك للاجانب وعدم الاشتراط في جهات
الهند ونحوه عقد أحد سلاطينهم المسمى علاء الدين بن محمود شاه سنة (١١٥٥) معاهدات
مع الهولانديين على أحوال تجارية وسياسية ومنها أن لا يمنعهم التعدي على أحد من رعايا
أتشين ولا التعدي على حقوق أراضي المملكة ثم معاهدة أخرى مع الانكليز سنة (١٢٤١)
أيام السلطان جوهر العالم شاه . وبعد ذلك وقع الغلط الكبير الصادر في مملكة أتشين
فاما الانكليز فقد أوفوا بعهدهم الى الآن وأما الهولانديون فأخلوا بالعهد منذ
سنة (١٢٨٠) فاستولوا على بعض جوانب من المملكة لكن لما كان أهلها اوربيين مع
سلاطينهم وبينهم عداوة سكتت دولة أتشين على الاستيلاء عليهم كما هي العادة في هذا
الزمن بالمسلمين من التهاون بتعصبهم بدخول الأجانب فيهم حتى تمكنوا منهم

جميعاً

جميع الاقطار التابعة لها ثم لازالت هولاندة تقتحم في أبواب التسلط على المملكة الى ان فتحت عاصمتها سوماطرة سنة ١٢٩٣ وكان سلطانها اذ ذاك حديث السن وهو (محمود شاه علاء) وعند غيبة الناظر عليه ومدبر اموره المكلف له الامير عبد الرحمن الزاهر حيث توجه الى الاستانة لاستنجاد الدولة العلية أيام السلطان عبد العزيز رحمه الله فلم يساعد واشتدت الحرب بينهم ولازال الهولانديون يتقحمون في تملك المملكة الى الآن وان وجدوا من الحمية والشجاعة ما عاقهم عن انفاذ غرضهم عن عجل لكن اعانهم خذلان بعضهم لبعض مع عدم آلات الحرب وعدم معرفة آلاته الحديثة وأما فوق هاته الدولة الملية والحربية مع مدهم معلومة وكانها لا تلبث ان تصير من أتباع هولاندة كما وقع في جزيرة جاوة وجزائر و نواق وغيرهما مما استولى عليها الفرنسيس والهولانديون وغيرهم من الدول الاوروباوية فان لكل من هاته الدول مستعمرات في هاته القارة في خطوط الهند وفي شرقيه وجزره وتجري فيهم أحكام الدول المتغلبين لكن ليست كأحكام عمالتهم واعالي أحكام استبدادية عسكرية بمراعاة العوائد للاهالي ولما كانت هاته المستعمرات لا تبلغ الى مستعمرات الانكليز لم نذكرها على حدتها مثل ماذكرنا الهند الانكليزية والله ميراث السموات والارض

﴿القسم الثاني من الارض﴾

هو قارة أوروبا هاته القارة يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا الجهة الشرقية فتتصل بقارة آسيا المار ذكرها والحد بينهما هو جبال ارل ونهر دون الذي مصبه في البحر الاسود ثم يحدها جنوبا البحر الاسود وبحر مرمرا والبحر الابيض و بوغاز جبل طارق وغربا المحيط الغربي والمانش وشمالا المحيط الشمالي والمانش والبلطيك والمحيط القطبي وهاته القارة لا تعرف بالسعد الحافظ وحظ لديم اركانه فتكاثر عدد افراد الانسان وتنفس كدلالة ع الارض جانبا لدفاع المكرمة الانوار الالهية والمقاتني البعث الدنيوي فان هاته القارة كانت قد ابتدت مدة وهي في الحضيض الاسفل مابين جهلاء وخراب ودثار وتوحش فيما سلف من العصور الى أن حدثت فيها دولة الروماني واليونان ونشأت فيها المعارف ورتق فيها التمدن والصنائع لكنها لم تلبث ان عادت كما كانت عليه من التوحش والبربرية لانحصار تلك المبادي الحسنة على افراد وان كانوا كثيرين في مراكز مخصوصة وانحصار السلطة القهرية في تلك المراكز فزال التقدم بتقهقر تلك السلطة غير انها حدثت بها تمدن آخر في مدة الامير خورشيد سلطان المعاصر للخليفة هارون

الرشيد الذي أكب على المعارف ولوازمها اكبابا وبث منها في مملكته ما وسعه الامكان
غير انها قد فترت بعده أيضا وشرع فيها التمدن منذ خمسمائة سنة على خلاف المعهود
سابقا وامتد فيها تدريجا الى أن بلغت في هذا العصر الى الدرجة القصوى من التهذيب
والتمدن والمعارف الدنيوية حتى صار لاهلها الوجاهة والمزية على جميع أقسام الارض
ودونك العمود من الاخبار لذلك الترقي وحاصله ان أهالي اوروبا استفادوا من العلوم التي
باللسان اللاتيني واليوناني اللذين جمعت عليهما الكنيسة وكان أهلها في مدة الجهل
العام يبذلون أقصى الجهد في الحفظ على تعلم ذينك اللسانين وترقى تلامذتهم
في العلوم الموروثة من الرومان واليونان كما استفادوا من الامة العربية في المغرب
بمجاورتها في الاندلس وأخذوا عنها العلوم الرياضية وتهذيب الاخلاق والعمرانيات التي
علمتها المسلمون بالاسبانيا مع ما جمعوه من الاقطار الشاسعة والفتوحات لتمدنه ثم فارقوها
واتصلوا بالتجارة حتى ان ملك صقلية دعا اليه العلامة الادريسي وألف عنده كتابه
الغريب المسمى نزهة المشتاق في الجغرافيا واستفادوا ايضا من الاسلام في المشرق في مدة
حروب الصليب على الطوائف ومن تعلم منهم من ملك الترقي واتقوا يدونون المعارف فانتشرت
فيهم في جهات عديدة في وقت واحد فكانت في القرن الثالث عشر المسيحي الموافق
للقرن الخامس والسادس الهجري مدارس في العاصمة وغيرها في كل من فرانسا وايطاليا
والمانيا وانجلترا واجتهدت من ذلك الوقت كل جهة في ترقيتها والتشبث بالوسائل التي
لا تحوجها الى غيرها وأعظم الوسائل التي أعانتهم على بلوغ المعارف صناعة طبع
الكتب التي كثرت بها الكتب ورخصت حتى تيسر الاطلاع عليها حتى لعديمي الثروة
ولما انفتحت بصائرهم وعلموا ان العوائق عن بلوغ المقصود منحصرة في عدم انتظام
الادارة والاحكام على مقتضى المصلحة وعدم صرف النظر الى منافع الامة حيث لم تكن
لهم شريعة تضبطهم وانما الملوك المستبدون هم الذين يتصرفون كما ارادوا وجذبوا
اليهم العلماء بالترغيب والترهيب فأسلموهم الى العامة الى ان وصلوا الى درجة
الاضمحلال حتى اذا انفتحت بصائر الامم شرعوا في جهات الى تقييد التصرف من الملوك
بمشاورة رؤساء الامم ووجهائهم وان تكون الادارة على قانون معلوم موافق لعادات الامة
وما يقتضيه حالها وان يستوي الشريف والمشروف في الحقوق الشخصية وان لا يمتاز
قسم من الناس بالاشياء الضرورية كالعلوم والاراضي والتجارة وغيرها فحصل هذا
المقصود في بعض تلك الممالك باراقة الدماء الغزيرة بين الملوك المستبدين وبين الامة

وفي

وفي بعض الممالك تفطن عقلاء ملوكها الى وجوب العمل بذلك الوجه اما لحذقهم وايثارهم للمصلحة العامة على الخاصة بهم حيث علموا انها أي الخاصة لا تدوم الا بدوام الامة فآثروا مصلحة الامة او اتقاء من ايلولة امر المملكة الى ما آل اليه غيرها مما لا ثمرة لهم في الاصرار على منعه فبادروا الى منح الاهالي القوانين والحرية قبل قصدهم وما حصل في احدى الممالك اجراء القوانين على أي وجه من الوجوه المتقدمة الا اخذت في الترقي والثروة لانكشاف الظلم المؤذن بالخراب فحسنت احوالها وكثرت سكانها وعمرت ارضها وكثرت صنائعها وانتشرت فيها المعارف وزادت اتقانا واختراعا وامتدت تلك المملكة بسعودها على من لم يجارها فيما هي عليه وجرى العمل على ذلك النحو في جميع ممالك اوروبا تدريجا الى ان عم جميعها ولم يبق منها الآن مخالفا لبقيتها الا مملكة الروسيا بحيث يصح ان يقال ان جميع اوروبا كانها مملكة واحدة على خط واحد وغاية الاختلاف بينها انما هو بزيادة الثروة والقوة والحضارة اما اصول هاته الاشياء فهي موجودة في الجميع ولذلك نتكلم على هاته القارة كلاما عاما ونذكر اسماء ممالكها وقواعدها اذ هذا كاف في المقصود من هذا التأليف حيث ان المقصود هو معرفة الممالك الآمنة من غيرها سعيا ونحن سنذكر ان شاء الله تعالى في المقصد تفاصيل عن ست منها مما يقاس عليها غيرها اذ هي متشابهة على التقريب وانما تنفرد دولة الروسيا بالمخالفة لبقيتها واما الدولة العلية فقد تقدم الكلام عليها في قسم آسيا فاحكامها جارية في الجميع على السواء غير انها لما كانت لها في قسم اوروبا ولايات مختارة وولايات غير مختارة نعيد ذكرها هنا ايضا وعلى ذلك فنقول ان اوروبا تنقسم الى دول جنوبية ودول وسطى ودول شمالية وجميعها ثمانية عشرة مملكة كلها نصرانية الا الدولة العلية كل منها مستقل عن الآخر وان كان بعضها يتألف من اكثر من مملكة واحدة فالدول الجنوبية ستة وهي الدولة العلية والجبل الاسود واليونان وايطاليا واسبانيا والبرتقال والوسطى ستة ايضا وهي فرانسا وسويسرا والبلجيك واوستريا والمجر والرومانيا والشمالية ستة ايضا وهي الروسيا والسويد والدانيمرك وهولاندة والمانيا وانكلتيرة

الفصل * الحادي والعشرون

فاما الدولة الاولى فهي الدولة العلية وتختها القسطنطينية فحالتها العامة تقدم الكلام

عليها وأما الخاص منها بهاته القارة فان لها ممالك رحيبة فمنها ما هو ممتاز ويؤدى
اداء سنويا معلوما وادارته فى نفسه مستقلة كولاية البلغاريا التى قاعدتها صوفية فانها
بعد معاهدة برلين الناتجة من حرب سنة ١٢٩٤ التى سبق تفصيلها فى القصد الثانى ان شاء
الله تعالى صارت هاته الولاية امارة نصرانية مستقلة وادارتها على نحو الادارات العامة
فى ممالك اوروبا ذات القوانين التى يرد الكلام عليها عن قريب ان شاء الله تعالى
واغلب سكانها بلغاريون وبقية سكان الامارة من المسلمين واليونان وكل منهما فى اشد
الضنك لاسيما المسلمين من قساوة القسم الغالب الذى صارت له السيادة على الجميع لانهم
وان كانوا ظاهرا ادارتهم حرة قانونية لكن الباطن استبداد بهم تحت اشارة الروسيا
المتعددة المبادى بالامارة المذكورة وهاته الامارة ليس لها حق فى انشاء حصون على
حدودها والحصون التى كانت فيها للدولة تهدم بمقتضى معاهدة برلين وعساكر الامارة
يكونون من الاهالى واغلب رؤسائهم الآن من الروس والى الآن لم يتعين مقدار الاداء
السنوى الذى يلزمها اداؤه للدولة العلية بسبب تراخى فى اجراء جميع فصول معاهدة
برلين وكذلك للدولة العلية فى هاته القارة ولايات اخرى مستقلة فى الادارة وما زاد من
دخلها عن مصارف مصالحها الداخلية يؤدى الى خزينة الدولة الا الكمرك والدخان
فهما راجعان للدولة وهذه الولايات نصرانية وشرطها واليها ان يكون نصرانيا يولى
من الدولة بعد موافقة الدول عليه ولا يعزل قبل تمام خمس سنين واما العساكر فليس
لها ان تتخذ جيشا ومتى حدثت حوادث اهلية لا تعادل الاحكام وحفظ الراحة المعتادة وان
احتاج الحال الى قوة عسكرية فان الدولة ترسل للوالى مقدار ما يطلبه لذلك وللدولة
ان تقيم فى الحصون والحدود عساكر على حسب ما تقدره لها بشرط ان لا يكون على
الاهالى منهم اذى كلفة او تضييق وهاته الولايات هى ارميلى الشرقية واكريت والسوسام
والاحكام الجارية فيها قانونية بواسطة مجالس من الاهالين كما ان للدولة ولايات اخر
فى هاته القارة ليس لها امتياز عن غيرها من جهة الممالك وهى ولايات الرميلى كادرنة
وشقودرة وسلانيك وجزائر البحر الابيض والبوسنة والهرسك وكلاهما تحت تصرف
النمسا وهما من حقوق الدولة ولذلك كان علمهما العلم بحيث يشترك من علم اوستريا
وعلم الدولة معا والخطبة باسم السلطان العثمانى والموظفون العثمانيون ان صعدوا
فى نظر الوالى الاوستورياوى يبقون كما ان اوستريا ادخلت عساكرها مشتركة للعساكر
العثمانية فى صنجق نوفى بازار مع بقاء الادارة بيد الدولة وكل ذلك بموجب معاهدة

برلين

براً ويحدها أملاك الدولة في أوروبا الآن شمالاً نهر الطونة وغرباً النمسا والصرب
والجبل الاسود وبحر البنادقة ويحدها جنوباً بوغاز القسطنطينية وبحر مرمرا وبوغاز
جناق قلعة وبحر الجزر والبحر الابيض واليونان وشرقاً البحر الاسود وبحر الجزر

الفصل * الثاني والعشرون

وأما الدولة الثانية وهي الجبل الاسود فانها استقلت بعد الحرب الواقعة سنة ١٢٩٣
وكانت تابعة للدولة العلية ولاربابها تلقب بالامراء ثم ضم اليها قطع من ممالك الدولة
العلية وصار الآن سكانها نحو ثلاثمائة ألف ويحدها اي المملكة شمالاً في البعض
أوستريا وغرباً بحر البنادقة ومن بقية الجهات الدولة العلية وقاعدة المملكة ستني

الفصل * الثالث والعشرون

وأما الدولة الثالثة وهي اليونان فانها كانت تابعة للدولة العلية أصالة واستقلت في سنة
١٢٤٦ وكان اذ ذاك عدد سكانها نحو ثمانمائة الف فتكاثروا الى ان بلغوا الآن الى
ما يزيد على المليون ونصف ولهذا الجنس الشهرة التامة في التقدم وفنون العرفان في
الاعصر السابقة الا انهم لم يبقوا على ما كانوا عليه ولهم الآن اعتناء زائد بالاسفار
وقوة البحر وهذه المملكة شبه جزيرة في البحر الابيض يحيط بها من جميع الجهات الا
الجهة الشمالية فيحدها الدولة العلية ولها جزر تقرب منها تابعة لها وقاعدتها أثينا

الفصل * الرابع والعشرون

وأما الدولة الرابعة وهي ايطاليا فقد كانت منقسمة الى عدة امارات وممالك ثم في أواسط
هذا القرن أخذت في الاتحاد الى ان تم اتحادها بجعل مدينة رومة تختاً لها في سنة
١٢٨٧ وصارت دولة من الدول العظام سكانها نحو سبعة وعشرين مليوناً ويحدها
البحر الابيض من الغرب في البعض وفي الباقي فرانسا ويحدها جنوباً البحر المذكور
ويحدها من الشرق بحر البنادقة في الجل وفي البعض أوستريا ويحدها شمالاً أوستريا
في البعض وفي الباقي سويسرة وفرانسا وسيأتي مزيد الكلام عليها بمرادها في المقصد
ان شاء الله تعالى

الفصل الخامس والعشرون

وأما الدولة الخامسة فهي دولة اسبانيا وقد كانت متلاشية في شمال الأندلس ولما أكب المسلمون هنالك على شهواتهم وجاوزوا بالظلم بعد ان بلغوا الدرجة القصوى من العدل والمعارف والقوة حتى فتحوا قسما عظيما من فرانسا تركوا ما كانوا عليه واقتسموا الملك طوائف كما قال شاعرهم

مما يزهدني في أرض أندلس * ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب سلطنة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

حينئذ استعادت دولة الاسبانيول بذلك الانقسام والظلم واعانت بعضهم على بعض واستبدت بالبلاد الى ان استولت على الجميع وفعلت من التوحش والقسوة ما تقشعر من سماعه الآذان حيث ألزمت المسلمين بتبديل دينهم او القتل فهرب من قدر منهم على النجاة او نجا فاتوا حفاة عراة وتشتتوا في المغرب والجزائر وتونس ايدي سبا ثم استفحل امر تلك الدولة اي الاسبانيول الى ان كانت هي وحدها اذ ذاك ذات التقدم على سائر الدول الاوروباوية لما ورثته من ثمرات تمدن المسلمين ومبانيهم وكانت وحيدة في القوة البحرية حتى ان أول من اكتشف امريكا كان من سفرائها كما يأتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وعمرت مستعمرات في امريكا والبحر الهندي واوربة غير انها وبعد ما تمكن فيها الاستبداد جرى عليها سنة الله في أرضه وتقهقرت الى ان كادت أن تتلاشى وخرج عنها كثير من مستعمراتها وخربها الظلم ونقصت فيها الانفس والاموال واستمرت الى ان استفاقت الامة من سباتها وثاروا ثورة واحدة حتى حصلوا على ترتيب دولة قانونية واستمر امرهم في تحصيل مقصودهم بضع سنين وهي من سنة ١٢٨٦ الى سنة ١٢٩٣ فاستقر حالهم على حكومة حرة وملكوا عليهم ابن ملكتهم السابقة التي ثاروا عليها بعد ان صيروا الحكومة جمهورية ثم عدلوا عنها وراودوا أحد عائلات ملوك أوروبا فملكوا عليهم ابن ملك ايطاليا ثم بدا له منهم ما اوجب خلع نفسه وأوصلوه الى بلاده عن رضاهم وعادوا الى الجمهورية فانتقض عليهم انتظامهم وأغلب الاهالي فاستقر رأيهم على ابن ملكتهم المذكور على ان يكون تحت القوانين المرتبة وخاصة الاهالي فقام حالهم بذلك واقبلوا على اصلاح شؤونهم بيد ان ذلك لما كان حاصلا من عهد قريب وبعد

حروب

حوب أهالية لم تتراجع دولتهم الى ان تعدمن الدول الاولية وسكان هاته المملكة عدى ما بقى لها من المستعمرات سبعة عشر مليونا ولها مستعمرات فى امريكا وفى شطوط افريقيا وآسيا وبحر الاقيانوس يبلغ عدد سكانها نحو سبعة ملايين وهاته المملكة يحدها جنوبا بوغاز طارق والبحر الابيض وشرقا البحر الابيض فى البعض ووراثة في الباقى وشمالا المحيط الشمالى وغربا المحيط المذكور ومملكة البرتقال وقاعدتها مدريد

الفصل • السادس والعشرون

واما المملكة السادسة وهى مملكة البرتقال فقد كانت قسما من الاندلس ثم اسبانيا وعند تقهقرها انه استقلت عليها وامرت القوانين فكانت مستقيمة السيرة على قدرها وسكانها نحو اربعة ملايين ونصف ولها مستعمرات فى شطوط افريقية واسيا والهند يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ويحد هاته المملكة غربا المحيط الغربي ومن بقية جهاتها اسبانيا وقاعدتها اشبونة بالقصبية لعربية ومرفوعة الآن فصارت لربون

الفصل ✽ السابع والعشرون

واما الدول الوسطى فاولها دولة فرانسا ذات الثروة والشأن المتقدمة فى التمدن والسطوة والعرفان وسيأتى تفصيل الكلام عليها ان شاء الله تعالى واعا نقول هنا ان هاته المملكة حوت من المحاسن والصنائع ما فرطها به معاصروها ومنافسوها ولولا تقسيم أهاليها لاحزاب مع سرعة الحمل بينهما لحازتها دولة وهى تشتمل على نحو ستة وثلاثين مليونا من النفوس ولها مستعمرات فى جميع القارات يبلغ عدد سكانها نحو ستة ملايين واستقلالها قديم وتختها مدينة باريس ويحدها جنوبا البحر الابيض وبطاليا وسبانيا وشرقا ايطاليا وسويسرة وروماينا والجيك وشمالا البلجيك والمانش والمحيط الشمالى وغربا المحيط المذكور وهى من اقدم الدول الفاقوية وان طرأ عليها فى الوسط شئ من الاستبداد لكنه ازاحته وحكومتها جمهورية وقاعدتها باريس

الفصل ✽ الثامن والعشرون

وثانيها دولة سويسرا ويحدها جنوبا ايطاليا وشرقا أوستريا وشمالا المانيا وغربا فرنسا

وقد كانت تداولها كل من فرنسا والمانيا مدة قرون وفي خلالها يحصل لها في بعض الاحيان استقلال الى أن تم استقلالها وعرف جميع الدول الكبيرة وضع أتم لاستقلالها وذلك (سنة ١٦٤٨) أي أواسط القرن الحادي عشر الهجري وولاياتها على ثلاث وسكانها نحو مليونين ونصف وحكومتها جمهورية حاكمة عليها المجالس العليا ينتخب أعضاؤها من أنفسهم سبعة أشخاص لمدة ثلاث سنين يكونون هيئة وزراء في ادارة الامور على نحو ما يتفق عليه المجالس وينتخب هؤلاء السبعة رئيس المدة عام واحد يكون هو رئيس الدولة العام وتخت المملكة مدينة بارن

الفصل * التاسع والعشرون

وثانيتها دولة البلجيك ويحدها جنوبا وغربا فرنسا وشمالا بحر المانش والمحيط الشمالي وشرقا المحيط الشمالي وهولاندة والمانيا وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وتخت المملكة مدينة بروكسل وكانت من ملحقات فرنسا ثم استقلت بأمرها مع اتحادها بهولاندة بعد سقوط نابليون الاول ثم استقلت بنا (سنة ١٨٣٠) مسيحية الموافقة (سنة ١٢٤٦) هجرية فبلغت أقصى العمران والثروة

الفصل * الثلاثون

ورابعها مملكة دولة النمسا المركبة من دولتين مستقلتين وهما اوستريا وهنكاريا ولكل منهما لها ادارة خاصة بجميع داخليتها ووزراء يباشرون الادارة في كل منهما ولهما ملك واحد يلقب بامبراطور اوستريا وملك هنكاريا ولهما قانون معلوم في كيفية الاتحاد والانفراد وحدود كل منهما ومنه أن يكون وزير الخارجية وعلاقة مقيدا في كل من المملكتين ودولة أوستريا من أقدم دول اوروبا وكانت في مبدئها صغيرة ثم تعاظمت ودخلت في العصبة الالمانية حيث ان من أهاليها قسما عظيما من الجنس الالماني وصارت لها الرياسة على العصبة مدة الى ان نزعتها منها دولة بروسيا (سنة ١٢٨٤) في حرب عاضدتها فيه ايطاليا واستقرت الآن منفردة عن العصبة الالمانية وعدد أهالي هاته الدولة نحو سبعة وثلاثين مليونا ويحدها جنوبا رومانيا والصرب والدولة العلية وبحر البنادقة وايطاليا وغربا سويسرة والمانيا وشمالا المانيا والروسيا وشرقا الروسيا

اوستريا وروماليا وقاعدة المملكة الاولى هي مدينة فينا وقاعدة الثانية هي مدينة
بست وتحت تصرفها بوسنة وهرسك

الفصل * الحادي والثلاثون

وخامسها دولة الصرب وقد صارت دولة مستقلة بعد حرب سنة ١٢٩٣ وكانت امارة مستقلة بالادارة تابعة للدولة العلية وتؤدي لها الخراج وبمقتضى معاهدة برلين صارت دولة مستقلة يحدها جنوبا الدولة العلية بامارة البلغار وغيرها وشرقا هي ايضا ونهر الطونة وشمالا النمسا المذكورة والنمسا وغربا ولاية بوسنة وهرسك الراجعة للدولة العلية وتصرفها بيد النمسا وعدد سكانها مع ما اضيف اليها بمقتضى المعاهدة المذكورة نحو المليونين وقاعدتها بلغراد

الفصل * الثاني والثلاثون

وسادسها دولة الرومانيا يحدها جنوبا الدولة العلية بولاية البلغار في البعض وفي الباقي نهر الطونة ويحدها شرقا البحر الاسود والروسيا وشمالا الروسيا والنمسا وغربا النمسا وقاعدتها بخارست وعدد سكانها نحو خمسة ملايين ونسبة احوالها مثل الدولة المتقدمة في الذكر لكنها متقدمة في التمدن والمعارف والقوة وعندما كانت تابعة للدولة العلية كانت تسمى بالولايتين اي الافلاق والبغدان حيث كانت منقسمة اليهما ثم اتحدتا في عشرة السبعين والثمانين والف تحت امير واحد ثم استقلت بمقتضى معاهدة برلين بعد ان دخلت في اعانة روسيا على كره من الاهالي ولا زال الواجب المرتب الى الآن

الفصل * الثالث والثلاثون

واما الدول الشمالية فالدولة الاولى منها دولة انكلاتيرة السابقة في الحرية والثروة وهي جزيرتان منقطعتان في المحيط الشمالي يحيط بهما البحر من جميع الجهات واقرب جهة من القارة يساميها مملكة فرانسا ويفصل بينهما بحر المانش وضيق جهة منه بينهما نحو عشرين ميلا وسكانها نحو ثلاثين مليونا وقاعدتها مدينة لندرة ولها مستعمرات في جميع اقسام الكرة كمثل بلاد الهند وجزره وعدن في آسيا كما تقدم الكلام على ذلك

ومنه راس الرجاء الصالح وغيره فى افريقيا ومنها آيالات فى امريكا الشمالية واخرى فى الجنوبية واعظم جزائر اوستراليا وعدد جميع من بتبعها فى المستعمرات نحو مائة واسعين مليونا وسيأتى الكلام على هاته المملكة مفصلا فى بابها من المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الرابع

﴿والثلاثون﴾

والثانية منها دولة هلاندة ويحدها شمالا وغربا البحر المحيط الشمالى ويحدها جنوبا البلجيك وشرقا المانيا وقد كانت دولتها دولتى جرمانيا وبورصاوسبانيا الى أن اتفقت مع البلجيك بعد سقوط نابليون الاول ثم انفصلت عنها البلجيك سنة ١٨٣٠ م و ١٢٤٨ هـ وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف نفس ولها مستعمرات فى جزائر الهند وجاوا وسومطرا وامريكا وافريقيا عدد سكانها نحو عشرين مليونا من الانفس وقاعدة المملكة مدينة هاك

الفصل * الخامس

﴿والثلاثون﴾

والثالثة منها دولة المانيا المتألفة من ستة وعشرين دولة كل منها مستقل بادارته الداخلية ولهم قانون فى الوحدة ومجلس يشترك فيه الجميع بعدد أعضائه على قدر نسبة سكان الممالك المشتركة فيه والرياسة على جميع تلك الدول الآن لدولة بروسيا وملكها يلقب بامبراطور المانيا ويحد جميع المملكة شرقا الروسيا والنمسا وبحر البلتيك وشمالا البحر المذكور والدانيمرك وغربا هلاندة والبلجيك وفرانسا وجنوبا سويسرة والنمسا وعدد سكان الممالك احد واربعون مليونا والقاعدة الكبرى للجميع هى برلين وهذه أسماء الدول المتألفة منها المشتركة مع عدد السكان وأسماء القواعد

عدد سكان الممالك	أسماء القواعد	أسماء الممالك
٢٥ و ١٧١ و ٠٠٠	برلين	بروسيا
٠٤ و ٨٦٤ و ٠٠٠	مونيخ	باوير
٠١ و ٨١٨ و ٠٠٠	اشتوتكادر	فورتمبرغ
٠١ و ٤٦١ و ٠٠٠	كارلس	بادن الكبرى
٠٢ و ٥٦٠ و ٠٠٠	درازد	الساكس
٠٠ و ٠٩٧ و ٠٠٠	بوستراتس	مكلنبورغ ستراتس
٠٠ و ٣١٦ و ٠٠٠	أولدنبورغ	اولدن بورغ
٠٠ و ٢٨٦ و ٠٠٠	ويمر	الساكس ويمر
٠٠ و ١٨٨ و ٠٠٠	مينجن	الساكس مينجن
٠٠ و ١٧٤ و ٠٠٠	غوطا	الساكس كوبرى غوطا
٠٠ و ١٤١ و ٠٠٠	الثنبورغ	الساكس الثنبورغ
٠٠ و ٠٧٥ و ٠٠٠	رودولستد	اشفارزبورغ
٠ و ٠٦٨ و ٠٠٠	سوندرسوزن	شوارشبورغ سوندرسوزن
٠٠ و ٠٨٩ و ٠٠٠	شلايز	أوليس شلايز
٠٠ و ٠٤٥ و ٠٠٠	غرايز	أوليس غرايز
٠٠ و ٢٠٣ و ٠٠٠	ديسو	انهالت
٠٠ و ٣١٢ و ٠٠٠	ابرونزويك	ابرونزويك
٠٠ و ١١١ و ٠٠٠	ديتمولد	ليب ديتمولد
٠٠ و ٠٣٢ و ٠٠٠	بوكيبورغ	ليب شاومبورغ
٠٠ و ٠٥٦ و ٠٠٠	ادرسن	فالديك
٠٠ و ٨٠٣ و ٠٠٠	درمستاد	ايس دارمستاد
٠١ و ٥٤٨ و ٠٠٠	(كولما)	(استرسبورغ) (ميتس) الالزاس واللورين
٠٠ و ٣٦٠ و ٠٠٠	هامبورغ	بلدة هامبورغ
٠٠ و ٠٥٢ و ٠٠٠	لوبك	بلدة لوبك
٠٠ و ١٢٣ و ٠٠٠	بريم	بلدة بريم
٤١ و ٠٠٣ و ٠٠٠		

وكلاهما ذات قوانين والسياسة الخارجية مشتركة لهما الدولة الرئيسة

الفصل السادس

والثلاثون

والرابعة منها دولة السويد المتألفة من دولتي السويد والنورويج وكل منهما مختصة
بادارتها الداخلية والوزارة والسان والعساكر بحيث لا يجمع بينهما الا كون الملك
واحدا والسياسة الخارجية ايضا لحكومة السويد وكانت مملكة بديعا ذات عظمة
فانفكت عنها الدنمرك واخذت قسم عظيم منها الروسيا واستقرت على المملكة التي هي
عليه الآن بعد فقدها فنلانديا الارل مجموع سكان المملكتين نحو ستة ملايين
ونصف يخص السويد نحو اربعة ملايين ويخص النورويج نحو مليون ونصف وقاعدة
الاولى استكولم وقاعدة الثانية كرستيانيه وبعد المملكتين المذكورتين هما ممتدتان
الى نهاية القطب الشمالي في الجنوب بحر البلطيك وخليج بوتنيه وشمالا المحيط
الشمالي في القطب وغربا خليج السويد والبحر الشمالي وبحر لاسكندنافيا الذين
هما من المحيط الشمالي وشرقا الروسية في البعض وفي الباقي خليج الفاصل بينهما

الفصل السابع

والثلاثون

والخامسة منها دولة الدانمرك وانفردت عن السويد والنورويج في اواسط القرن
الثالث عشر من الهجرة ثم في اوائل عشرة الثمانين ومائتين والف هجرية حاربتها كل
من بروسيا والنمسا وانتزعا منها ولايتي الشلسويغ وهولستين التي هي اول شرارة
القدحت لانقلاب الموازنة السياسية في هذا القرن كما يأتي تفصيله في المقصد عند ذكر
ايطاليا ان شاء الله تعالى فاستقرت المملكة شبه جزيرة ممتدة من الجنوب الى الشمال
ويحدها جنوبا حيث تتصل بالقارة المانيا البروسيانية وشرقا خليج السويد وبحر
البلطيك الفاصلان بينها وبين السويد وشمالا الخليج سكاجراك الفاصل بينهما ايضا
وغربا البحر المحيط الشمالي وسكانها نحو مليون وثمانمائة الف ولها مستعمرات في جزائر
البحر الشمالي من اوروبا ولها في امريكا بعض مستعمرات ومجموع سكان مستعمراتها
نحو مائة الف وخمسة وعشرين الفا وقاعدتها كوبنهاغ

الفصل

الفصل الثامن

والثلاثون

والروسية منها دولة الروسية وهي بالنظر لسطح الأرض هي أكبر الممالك وقد تقدم
الكلام على حدودها من آسيا وأما في أوروبا فحدها شمالا البحر الشمالي وشرقا جبال
أورال ونهر دون الفاصلان بين آسيا وأوروبا وجنوبا البحر الأسود والروميللي والنمسا وغربا
ألمانيا والسويد وعدد جميع سكان المملكة بين آسيا وأوروبا نحو نيف وثمانين مليونا
من النفوس منهم نحو ستين مليونا من المذهب المسمى ارثوذكس وهو مذهب اليونان
من المسيحيين وكذا منهم نوع آخر المسمى بالسلاف وبقية العدد ومقداره نحو عشرين
ملايين مسلمون والباقي من مذاهب شتى من الديانة المسيحية وغيرها والدولة على
المذهب الارثوذكس وهي وإن لم تجبر غير أهل ذلك المذهب على تبديل ديانتهم أو
مذهبهم [illegible] تمنعهم من حرية المذهب وشعائره وتجبرهم على تعليم أبنائهم
في مكاتبها وتجبرهم أيضا على ترك لغتهم ولا يخفى أن أهل هذه المملكة تبعث في الاتساع
وكثرة الاجناس لاسيما تكون من ممالك شتى حتى قبل أن اتحدت الاصلية فيهم نحو قرون
الخمس عشرة وهذه الدولة تكونت على أصقاع المذكورة في مدة قليلة فان هذه
المملكة كانت قديما لا يعرف منها إلا أهل الجنوب باسم [illegible] إلى أن أدخلت المسيحية
فتأسست في روسية أوروبا سلطنة عظيمة من أمة [illegible] ثم تلاشت بالحروب الأهلية
وتعديات الأمم الشرقية على أوروبا وتمادت على ذلك إلى أن استولى على أغلبها
التتار مدة توغان ابن جنكزخان ثم استقلت بسبب المملكة سنة ١٤٨١ م
و٨٨٦ هـ على يد إيوان الملقب بالأمير الكبير وحصلت له ولذريته القبائل المذكورة
منها روسية الأصلية ثم انقطعت عائلته وحدث في المملكة فتن أشرفت بها على
الاضمحلال إلى أن تولاها ميخائيل رومانوف وهو الذي أسس العائلة الموجودة الآن
وذلك سنة ١٦١٣ م و١٠٢٢ هـ وأخذت في الراحة الأهلية وضم ما كان
خرج عنها إلى أن تولاها بطرس الأكبر محيي ثاني للدولة فهو الذي أسس [illegible] بين
التمدن واجتهد في ترقيها وكان مع مريديه [illegible] بالسياسة وباشرتها بنفسه
تحمل أتعاب السفر الشاق في ذلك الوقت [illegible] صانع [illegible] على الأقدام
ومكث مدة في ترسانة هولاندة ليتعلم صناعة العمارة حتى تقن تعليمها وجلب للمملكة
معلمين من عدة صنائع وأخذت من ذلك الوقت في الترقي والاتساع مع [illegible]

خلفه ومهارتهم في الفنون الحربية والمكايد السياسية الى ان انتهت الآن الى ما هي عليه
من مزيد القوة والاتساع وذلك انها تقدمت في المعارف والحرب مثل قدماء ممالك اوروبا
لما كادت ان تسلم من الدولة بسبب ان قدمها على اصول الاستبداد اوجب قلة الثروة
والمعارف ولم تقدر على الانحصار كل ما تقدم . وان كان القيصر الموجود الآن وهو
الاسكندر الثاني قد حرر الفلاحين من رق الاعيان لهم حيث كان سابقا ان قسم الاعيان
من المملكة من ملك مع اراضيها كذلك فيها من البشر ويستعملونهم استعمال العبيد
بحيث يتصرف فيهم تصرفه في المتاع كما جرت تلك العادة جارية في اوروبا حتى ان الفلاح
اذا اراد ان يتزوج مثلا لا بد له من سيده بان يعرض ليلة عرسه الى سيده ولا يمكن له ان
يدخل قبل ان يسارره على سيده وان اراد الاختلاء بها فله حق ذلك وقس على
ذلك من انواع الشناعة . فني سنة ١٨٦٧ م و ١٢٨٤ ه ابطل قيصر اسكندر
الثاني ذلك الحكم وحرر الفلاحين وامد رعاياه بالمكنة وهي من قبيل الاستبداد
المطلق بمعنى ان رئيس المملكة ويلقب عندهم باكبر رعاياه قيصر او امبراطور ومع انه عام
معنى الرياسة الدينية وهو الذي يتصرف في الكليات والجزئيات على حسب ارادته
واختياره ومن ينوب عنه في الوقت يتصرف مثل ذلك تصرف باسم الاكبر ولا كبار
رياسة التصرف في النيابة وفي المال وفي العسكر وفي المخصصات ومع ذلك لهم ترتيبات
ومجلس لتدبير الملك وادارة الولايات وقد هيئته المجالس المجلس المسمى بمجلس
السلطنة وهو مجلس تشريع وادارة وحكم ويستشار في جميع الامور ما عدا السياسة
الخارجية فانها مختصة بالملك ويستعين بوزرائه فيها وهذا المجلس النظر في احداث
القوانين واجرائها وتعيين المداخيل والمصاريف وتدقيق النظر في محاسبات الوزراء وترفع
اليه الاحكام المقتضية التمييز ويتركب من الوزراء واعضاء العائلة الملكية واعضاء
ينتخبهم الامبراطور لمدة حياتهم وحضور الاعضاء فيه على نوعين فالاول لازم محصور
والثاني يحضر بالاستدعاء الداعي لقضية وله تقاسيم في الادارة كل قسم منها يعتني بما
يتعلق بالوظيفة المجلس الثاني هو مجلس السناتو الذي اسسه بطرس الاول ووظيفته
حراسة القوانين والمراقبة على سير كبار المتوظفين والولاة والحكم النهائي في الجنايات
السياسية الاخص ومن رئيس خاص يعينه الامبراطور وهو ينقسم الى اقسام مراكزها
في عدة جهات من المملكة في المدن الكبيرة ويجتمع في اوقات لاجتماعاته العامة
المجلس الثالث مجلس ينظر في خصوص العرائض المقدمة للامبراطور وهو المشتمل

من

من الحكام عرض تورطهم على أحد المجلسين المذكورين سابقا المجلس الرابع المجلس
الديني المركب من أساقفة الديانات الكبيرة ووظيفته تسمية كبار الكنائس والنظر
في إدارتها الذي أعضاؤه الامبراطور والمجلس الخامس مجلس الوزراء المؤلف من تسعة وزراء
و كثيرا ما يقسم الامبراطور وزراء زائدا وزراء البيت والمجلس السادس مجلس الرقيب العام
أعضاؤه مثل الوزراء ثم إن المملكة تنقسم إلى أقسام وهي أيضا تنقسم إلى أصغر منها إلى
آخره سواء كانت في المدن أو في البوادي فالأقسام الكبار المتصرف فيها هو الوالي
العام البلدي وهو الطالب للامبراطور بجميع ما يحدث في ولايته ولذلك كان له
الاطلاق أيضا في إمضاء ما يراه مجلس الولاية أو رده وهكذا كل رئيس في قسم أصغر
منه هو طالب ان قوده فلا حدوث ان كان لكل منهم مجلس مركب من أعضاء من
أهل المكان وفي كل قسم كبير جمعية تسمى جمعية الاعيان عدد أعضائها على حسب
الدوائر والشعبات (?) راجعة لذلك القسم ورئيسها لقب عادة أول الاعيان ووظيفتها
تعيين غالب المتوظفين في كل ثلاث سنين إذا أمضاه الوالي أو الامبراطور وفي كل مدينة
أو قرية مجلس الذي تحت رياسة أحد أعيانهم والذي ينتخب أعضاء المجلس والرئيس
هو البلدية من البلدان ويعني بالبلدية هو الاعيان والأواسط من الناس وأما أصحاب
الخدم في المدينة فليس لهم هذا المقام ووظيفة المجالس البلدية إدارة الأشغال العامة
ومصالح البلدان والحكم فيما يحدث بين البلدية في التجارة كما أنه يوجد في هذه الأقسام
مجالس للحكم في الجنايات ومجالس للحكم في الأمور المروية (?) ومحل الحكم ما لها رئيس
القسم كما تقدم كما أن لكل مشيخة البلاد جمعية من كبار الأشراف (?) لفصل تورطهم وتسمية
الأدباء اللازم للدولة وتعيين من يدخل العسكر ورئيس هذه الجمعيات هم أقدمهم
في المشيخة ولهم الخيار أيضا في تعيين رئيس الجمعيات ومن جملتهم مجلس الصلح وهو للذي
يوضح المتوظفين عن تحرير أمورهم والحكم في الجنايات الخفيفة والمسائل التي لا تبلغ
أربعمائة فرنك ومن قواعدهم أن لا يحكم أحد بمضي حكمه على شرط تقييده
في دفتر مخصوص لذلك مع أحكام الحكام وهي شفاهية ويشترط في الشهود ان يكونوا
أصحاب عرض وأن لا يقصر سن أحدهم عن الخمس والعشرين سنة وفي خصوص
الولايات التي في حدود المملكة يوجد حاكم عسكري مع الحاكم المدني وله الرياسة عليه
وبخصوص ولاية فنلاند وزارة خاصة في قاعدة المملكة ومجلس سناتو يعينه الامبراطور
في كل ثلاث سنين وتخت جميع المملكة هي صان بطرسبورغ فدار هذه المملكة وان

كانت لها مجالس وقوانين وكثير من منوطهم التنظيم الأهلي لكنها في الواقع استبدادية حيث ان حواء كل شئ وتنفيذه منتاط بالامبراطور ثم بخاصته ولهم الخيار في تنفيذه وتعديله من غير قيد مع حيث لا يتحقق ان ذلك رئيس وان كانت اغراضه لا تعم جميع الجزئيات لكنه له حواشي وأتباع فرعي لكل منهم أغراض أو حواشي ولكل منهم علائق وأغراض فيتسع الخرق في الإدارة والإدارة وتجري الأمور على الشهوات ولهذا لما كثرت الصحف الحرية في سن المملكة وكثرت فيها الصحف الاجنبية وكثرت المدارس التي تعلم أصول التهذيب وكثرت المواصلة بتقيد ممالك أوروبا بالطرق الحديدية انبعثت بصائر أهل المدن الكبيرة في الروسيا وعرفوا الأمر منهم المدن ثوار في جهات من المملكة حصل منهم سنة ١٢٩٦ ثورات عديدة ولازالت مستمرة إلى الآن لكن تارة تشتد وتارة تضعف في طلب الحرية وتقوى بمثل ما فيه أوروبا وزادهم حالاعي دعتهم أو من دولتهم عند اعلان الحرب على الدولة العلية سنة ١٢٩٤ الآتي خبرها في المقصد ان شاء الله تعالى حيث حررت أهل الملة انهم أحسن ادارة منهم وحالات لهم ولا ... رغم ... واموالنا تحكم على جيرتنا وتمنع غيرنا وتحرق لأجلهم دماءنا وأموالنا ونحن في حالة أنفس منهم وكان لسان حالهم يقول

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم

فالحاصل ان ... كقال ... التي تعتمد بالصعود والقوة بمجرد حذق أمر ... القيصر ولان كان له التصرف المطلق لكنه دائما يراعي مصلحة المملكة ويقدمها على حظوظه الخاصة ولا يصرف من أموال الدولة الا في ... وهو في ... الاقتصاد ثم انه ... رجال الدولة بين ... ولا ... من منصبه الا ... حتى ان وزيره الأكبر الآن وهو غرتشكوف له في الوزارة سبع وعشرون سنة مع كبر سنه الذي ... ولم يغيره بل له مرض مرضا شديدا في هذه السنة وهي سنة ١٢٩٧ واضطر للاستعفاء فلم يعفه وجعل له نائبا عنه لمباشرة الأشغال إلى أن تمر له مباشرة ... وعاده ... في مرضه ثم انه استعفى مرارا ولم يجبه إلى ذلك وهو رأي ... رغبة ... ولذا يحسن العارفين وهكذا أسلافه فان الوزير نسلرود الذي كان قبل غرتشكوف ... في الوزارة ثلاثين سنة وبذلك حصل التقدم للدولة وصارت مدنها الكبيرة لا يفرق بينها وبين

مدن

مدن أوروبا القانونية لا في الادارة الحكمية ولا السياسية ولا التحصين الشخصي أما
عسكرهم من بقية المماليك فكانوا في الماضي عبيدهم يستعملون للرعاة حتى حكى لي أحد
السواح الثقات أن مشايخ القرى يضربون الرعية بالسياط وهم مارون بالطريق
ولا يأمر الشيخ أحدا بشيء إلا ويقدمه لموجع ضربا لأجل ذلك فرآه السائح فتعجب السائح
من ذلك وقال له يا أيها الشيخ لا لزوم لهذا الإكرام حيث ان الواقعة هي ان السائح لما قدم
للقرية وبيده توصيات من الحكومة في الالتفات اليه من الرعية وإكرامه عمد شيخ
القرية لذلك وأمر في الحال أحد الأهالي بإحضار إحدى الدواب من عنده وأمر آخر
بالإتيان بأكل الطيب من عنده أيضا وشفع الأمر بالضرب والشتم فقال له السائح
القولة المذكورة فأجابه بدعواه ان هذا الكلام ان هؤلاء الكلاب لا يصلح فيهم
إلا هذا العمل الذي رأيت منهم ما أمرت به لا ما يكون من أمري عن طيب نفس لما
أجابوا لشيء وكلام هذا الشيخ وإن أمكن أن يكون فيه مبالغة لكنه لا يخلو عن الصحة
لأن الأهالي الذين أنهم تربوا على السذاجة الجبرانية ولم تهذب أخلاقهم مع نشأتهم على
الذل والهون والتحكم الشديد فوطن منهم الحال كثير اعتادوا على عادة عجبا بالوعد
ما عن لما صدروا بذلك وأوا أن رفقهم يؤخذ منهم فورا وحب المال مجبولة عليه
الطباع فيتكاسلون عن أداء عمله إلا بالعصا فيصنع حكامهم ذلك الصنيع ولو أنهم
عودوهم من الصغر والنشأة على مكارم الأخلاق وإكرام أصحاب المروءة وأدوا لهم سائر
الحقوق ووفوا لما حادوا عن طبع سائر البشر وعلم أن في أقسام هاته المملكة قرى أما
كثير من السائحين منهم أهالي ولاية فارس لدين أسلموا منذ العصر الأول أو قيل إنهم
أسلموا في عصر بني مروان في كبد القرن الأول من الهجرة وقيل في خلافة المأمون وقيل
في خلافة الواثق ابن أخيه وتشرفهم بالإسلام بإسلام ملكهم أما المماليك خان بن ملكي
خان في خلافة المعتمد فتسمى بالأمير [illegible] وفاء دولة لولاية [illegible] المذكورة
في كتب العقد للإخلاف وحروب العشاء على أهلها في مدة الصحابة حيث لا يعرف
فيه التدقيق وإنما أوردت بالذكر مع تحول الحكم الكل ما قرب الى أحد العهدين لا أنها
هي التي كانت إذ ذاك معروفة بإسلام أهلها ولم يحدث الخلاف في الحروب الا في المائة
السادسة ولا نص عن المتقدمين وقد أورد المشارق تأليف بديع أحد علماء هذه البلدة
في هذا العصر وهو علامة هارون بن بهاء الدين المرجاني من شهاب الدين البلغاري
أبدا القول بالحروب وفيه نص بديع وقول مصيب اختصره [illegible] بالسيد محمد

صديق خان في لقطة العجلان فلله الحمد على وجود أمثالهم في هذا العصر الذي تعرف فيه الدين وصلاح العلم ونبت المدينة وتقع على عرض خمس وخمسين درجة شمالا ونحو سبع وأربعين درجة طولا شرقيا من باريس وهي على نهر الفلكي الشهير

الفصل * التاسع والثلاثون

وخلاصة الكلام على جميع قسم أوروبا هو أن يقال ان جميع الممالك المار ذكرها الا ما استثني كلها ممالك قانونية يعني ان ادارتها منحصرة في السياسة بأمور معدودة مكتوبة يعلمها الخاص والعام ولا يجوز التصرف بمجاوزتها والمباشر لاجرائها هم الوزراء بإذن رئيس الدولة على اختلاف لقبه من امبراطور أو ملك أو رئيس جمهورية وعدد هؤلاء الوزراء يضاف بحسب كبر الممالك وصغرها حتى تحتاج الادارة الى زيادة الفروع أولا وأصول الادارات التي لا بد منها في كل مملكة هي ادارة الداخلية ثم الخارجية ثم المالية ثم الحربية وقد يتفرع من هذه فروع على حسب الحاجة ولأهميتها تفرد بوزارة مثل فرعها من الاحوال فان ثمة وزارة للاحكام والعدل والمعارف والأشغال العامة ولذا بانفرادها يجعل لهؤلاء رئيس في الاغلب يكون أحدهم وتارة يكون منفردا لرأيهم عند الاجتماع وينفذ ما يتوقف على جمعهم ورئيس المملكة ينتخب هذا الرئيس وهو يعين لصاحب المملكة بقية الوزراء ويوظفهم وليس له بعد ذلك الا امضاء تصرفاتهم أو تبديلهم ان وقف دولاب القانون وما يمين من التصرف انما التصرف فيه بواسطتهم ثم يتعقب على الوزراء مجلسان أحدهما مجلس الأعيان من الأمة واختيار أعضائه بيد صاحب المملكة وبواسطة ذلك تتوارثها بعض العائلات وقد تنتخب الأهالي بعض الأعضاء في بعض الممالك والثاني مجلس النواب أي نواب الأمة تنتخبهم الأهالي لمدة معلومة بطريقة الحرية في الاختيار على شروط في المنتخب والمنتخب تؤول الى صفات تثبت حق الغيرة على الوطن ومعرفة مصالحه والأهلية للنيابة ومجموع المجلسين يسمى مجلس الأمة أو المملكة فاذا رأى هذا المجلس فسادا في تصرف أحد الوزراء أو مجموعهم أصر المعترض عليه على رأيه لزمه الاستعفاء لأنه يتصرف على خلاف ارادة الأمة وهنا يكون لصاحب المملكة حق في قبول عرض المجلس وابدال المعترض عليه أو يأذن للأمة بانتخاب مجلس آخر بعد حله للأول فان وقع انتخاب الأمة على أناس

موافقين

موافقين للمعترض عليه بقي الامر على ما هو وان اتفقوا اهل المجلس الاول معهم او غيرهم ممن يوثقون في رأي اليق لصاحب المملكة حينئذ لا بد له من عزل المعترض عليهم وتوظيف غيرهم ممن يوثق برأي الامة هذا زيادة على ما لهذا المجلس من حفظ جميع القوانين ومراعاة مصالح المملكة في المال والسياسة والاحكام وعقاب المذنبين من الموظفين ولو من الوزراء غير ان مباشرة العمل انما تكون بيده وانما هي ان تكون الى من وزير او مجلس حكم او صاحب المملكة وهذا هو اصل ادارتهم السياسية واما اصل الادارة الحكمية الشخصية فهي متفرعة عن السياسة ولا تسلط للسياسة على الاحكام الشخصية وهم يوظفون القضاة بانتخابهم وانتقالهم لدرجة اعلى وتصرفهم منوط بمجالس متعددة الاعضاء ووراءها مجالس اخر لرفع المحكوم عليه شكواه من المجالس التي حكم بها ووراء ذلك انتخاب مجالس الامة والاحكام يعتمدون فيه القوانين مرتبة برضاء مجالس الامة وتكون الاحكام علنية الى غير ذلك من الاوجه التي يقربه لجهة الانصاف ودفع الظلم فهذه هي الاصول المعمول بها وتختلف فروعها بحسب الممالك وعاداتها وليس قانون الاحكام متحدا في جميع الممالك بل عما يخد بجميع على اصل الجنايات كالقتل مثلا فهو ممنوع في جميعها ومرتكبه يعاقب في الجميع وان اختلف عقابه بحسب العادات كما ان من الاصول المتفق عليها ان يكون نفع ما تأخذه من الاهالي الى دولتهم يصرف في تحسين المملكة وروحها واصلاحها كسد الجسور والطرق الحديديه وتنظيف الطرق زيادة على انشائها وكذلك كل ما يؤدي لتوسيع التجارة والمعارف والفلاحة وغير ذلك مما يعود على المملكة بالتحسين والتحصين

﴿القسم الثالث من الارض﴾

هو قارة افريقيه هذه القارة صارت الآن جزيرة قطعية جدا يحيط بها البحر من جميع جهاتها فيحدها شرقا المحيط الشرقي والبحر الاحمر وخليج السويس والبحر الابيض ويحدها شمالا البحر الابيض وبوغاز طارق والمحيط الغربي ويحدها غربا المحيط الغربي ويحدها جنوبا المحيط الجنوبي وقد عرفت جميع شطوطها وما قاربها على التحقيق وبقيت دواخلها غير مسبورة على التحقيق الى الآن لشدة نموها حيث كان خط الاستواء قسمها وصعوبة السفر من توحش اهلها وقلة الماء والمسرق وتشتمل هذه القارة على ستة واربعين مملكة ما بين مستقل وتابع لغيره فما الجهة الشمالية من القارة

فانها الشهيرة لندرة وما كتبت بتقدمها غيرها من القارات في العصور السابقة
ولازالت الى الآن مرعية الاعتبار

الفصل * الاربعون

فاول دولها سلطنة مراكش وتحدها غربا البحر الغربي وجنوبا الصحراء الكبيرة
وشرقا ولاية الجزائر والصحراء المذكورة وشمالا البحر الابيض وبوغاز طارق وهي مملكة
متسعة اختلف المغاربيون في عدد سكانها من جملة ملايين الى ثلاثة عشر مليونا
والاقرب للصحة على حسب ما سمع من اهلها الذين لهم خبرة باحوالها ان سكان
المطيعين للحكم نحو سبعة ملايين ومبتدا الحكم نافذ من الشمال الى مادة
روديه في الجنوب وهي تبعد عن مراكش من جنوب نحو مسيرة ستة أيام وموقعها جهة
السوس الاقصى وهم يتسمون بالاسلام وهم أكثر من الخاضعين للحكم وليس بينهم
من امارات خضوع لا لحضرة باشاه المغرب وهم على ربع من الهيئة وتماسه
الجاهلية وجميع السكان مسلمون الا نحو ثلاثمائة الف من اليهود وبعض اعرابهم
من الافرنج في المراسي وحكومتهم استبدادية في السياسة واغلب الاحكام الشرعية يحكم
فيها بالشرع والمباشر للحكم هو شخص يسمى ناظر او [illegible] والمذهب العام هو
المذهب المالكي ولهم مفتون يوليهم القاضي وبعضهم يوليه السلطان وهؤلاء المولون
من السلطان يستشيرهم القاضي عند طلب الخصم الشورى في حكمه او عند توقف
القاضي في وجه الحكم وهكذا في كل مدينة او قبيلة قاض وجميع ما يرجع الى تلك
المدينة من الايالة يرجع الى ذلك القاضي وله نواب في القرى الصغيرة وفوق الكل
قاضي فاس وهو قاضي القضاة وفي فاس قاضيان لانه الآن كل منهما مستقل بجهة
من المدينة وما يتبعها لانقسامها الى فاس القديمة وفاس الجديدة ثم في هاته المدة زيد
قاض ثالث دون الاولين في رتبة واعطاه وصفة نائب عن قاضي فاس القديمة
لان هذا مع كبر علمه ومزيد فضله استعفى مرارا معتذرا بكبر السن وضعف البدن فلم
يساعده السلطان لذلك ووضع له ذلك النائب وهذا القاضي هو الذي يولي جميع
القضاة الا قضاة مراكش فلا دخل له فيهم لانه لا اذا اراد السلطان ان يولي احد علماء
فاس قاضيا بمراكش فحينئذ يستشير قاضي فاس في تعيين القاضي وكل مكاتب يشتمل

على

على قاص له ولا يسعى في عزوهم فأشد لهم فصل لنوازل العادية والسياسية وبعض
التعصبات والدولة مركبة من السلطان والوزير والحجور ومن الصبايا وكتبة
ورؤساء الجند وكتاب سياسية. أما السلطان فإن عائلته شريفة ثابتة النسب برسول
الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل لهم بعض أهل المملكة وأتوا بجدهم من ينبع النخل
من المدينة المنورة منذ نحو ستمائة سنة لتبرك بهم في صلاح ثمار نخلهم حيث بانت
بركات آل البيت في حياة أخرى من المملكة ثم عند وقوع حروب أهلية وانقسام
المملكة إلى أو نصف بادى عندهم وأتى بجدهم من المملكة وبايعوه في الثلاثين بعد
الألف ثم انحصرت سياسة المملكة في ولده من بعده ولم تزل إلى الآن وبهم أمكن المتولي لا يعهد
إلى من يعين من عائلته وعلى لدار يوطنه منهم من رآه أهلا في كبار الأعمال وعند فقد
السلطان تجتمع أعيان الأمة علماء وأهلها ويعينون لا أهلى ويعينون أحدا من العائلة
ويبايعونه بالعاصمة وبقية أعضاء العائلة تجب عليهم ترتبة العمل ومن يوظفه منهم
السلطان يشتغل بوظيفته ومن لا وظيفة له يشتغل بصناعة يعيش منها وهي لا تكون
إلا أنه كالتجارة والتدريس والفلاحة ومع ذلك يجعل لهم من بيت المال شيء لا يكاد
يسد من عوزهم وأما الوزير فيختاره السلطان ولا يكون لا عائلة ولا عشيرة من الأهالي ومع
وربما قلم على اطلاعه في دول المغرب أن يكون الوزير هو وزير الإنشاء
ولذلك يجب أن يكون ماهرا في فنون الأدب مع مشاركة حسنة في غيرها ولعمري ان
صناعة الإنشاء في الدول بالممالك العربية كادت الآن أن تكون مقصورة على دولة
مراكش وأما غيرها من الدول العربية فقد تبدلوا وكادت كتابتهم أن تخرج عن
الأسلوب العربي بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية بخلاف كتاب
المغرب وهذا ديدنهم من قديم ومما يحسن ذكره هنا أن حمودة باشا رحمه الله الرجل الشهير
من أمراء العائلة الحسينية بتونس المتولي في أوائل هذا القرن كان وقع في أيامه ولاية
قحط شديد اضطر بسببه لطلب الميرة والحبوب من سلطنة المغرب لأن أرضها كانت
خصبة في ذلك العام ولم تمكن المرسى لقلة ورود بواخر من الأقطار ممهلة في ذلك
الوقت وكان من عادة سلطنة المغرب أن تمنع خروج الحبوب من مملكتها فأرسل حمودة
باشا العالم المدرس سيدي إبراهيم الرياحي لطلب ذلك اليوم ووجه معه مكتوبا كان من
جملة عباراته تبين أذن بخروج فضم إليه وعرفه بني عبارة بربرية اعتادها كتاب
التونسيين في الأوامر الرسمية ولما قرأه ثابت الكاتب تعجب وزير السلطان بدولة المغرب من

تلك العمارة واشتد حنقه منها كيف يطلب السلطان منه ولولا تجربة سيدى ابرهيم
فى العلوم لجاب لهم [illegible] ثم قال لهم انها عمارة غريبة وهى جديدة فى صورة الجرائد ما
بتحقيق الاجنبية فيقاه السلطان ومابعده جملة جديدة [illegible] يكون دائما مشغولا
[illegible] كما لدى تحج [illegible] المساوى من الاخذ [illegible] الاذن عليه ثم قال
لهم وعلى [illegible] العمارة [illegible] السلطان [illegible] لا يرحم عصابة سلامية
وبر كذم [illegible] يكون [illegible] من جهل [illegible] وتراث الحال [illegible]
[illegible] رحمه الله [illegible]
[illegible] الشكى
كيفما كانت الدعوى ويكون قبل جلوسه [illegible] وزير [illegible] فى جميع من
ورد ذلك الوقت [illegible] بيان دعوى كل واحد ثم [illegible] مجلس السلطان بوقوف وزيره
[illegible] وكبار الاعوان [illegible] السلطان فيقراه ويأذن
بادخال المشتكين على حسب ترتيبهم فى كتاب التقرير [illegible] من المشتكى دعواه
[illegible] على التقرير [illegible] هى أن السلطان يجيب
[illegible] فى [illegible] ثم [illegible] وزير لقضايا ما امر
[illegible] جميع المشتكين وتطبيق شكواهم
على التقرير يوقع السلطان على التقرير فى كل [illegible] رفع [illegible] الى ذلك
الوزير [illegible] الدولة [illegible]
القديم فى الامم التى لم يتسع [illegible] على الشعائر الدينية
وسوق العلوم [illegible] جدا بحيث لا [illegible] فى كل وقت ومن أهم
[illegible] وأما العلوم [illegible] منقطعة عندهم بالمرة
أوان [illegible] القديم وذلك مثل علم الاسطرلاب
والهندسة [illegible] ودعوى فى علم [illegible] وسر الحرف وكذلك علم
الكيمياء [illegible] فى البحث عنه رجال واموال
من [illegible] السكان [illegible] البربرية [illegible]
[illegible] المدن [illegible] جيدة [illegible]
[illegible] وكل قادح فى العدالة [illegible]
فى التجارة بحيث [illegible] على البحر [illegible]

ويرسلون

ويرسلونها منهم الى اقاصى الممالك فالعائلات لا تزال التجارة وراثة بها في ممالكهم حتى
لا تكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة في احدى قارات اوروبا وآسيا وافريقيا الا وفيها من
تجارهم من له مزيد الرواج والثروة ولهم براعة في ادارة التجارة يشاركون بها
الاوروباويين ولا يزالوا يحترسون من تداخل الاجانب في حول ممالكهم حتى انهم
يمنعونهم من السكنى في غير المراسي التي على البحر وسفراء الدول يسكنون في مرسى طانجه
ومن اراد منهم مواجهة السلطان يرسل اليه يطلب ذلك فيرسل له السلطان حرسا
مخصوصين ويقودونه من هناك الى تخت مملكته وينزل في احدى القصور الملكية
ويعين له يوما للمواجهة فيخرج فيه ويقف في ساحة بظاهر رحبة معلومة وتقف
العساكر والمتوظفون يمينا وشمالا ثم يأتي السلطان راكبا في حشمته وحاشيته وهم
مشاة الى ان يقرب من السفير فيتعرض له وعند الوصول اليه يوقف السلطان [illegible]
جواده ويسلم على السفير ويلقى اليه السفير الكلام الرسمي المعهود للاستقبال فيجيبه
السلطان على ذلك ويعطيه الاذن ويعين له وزيرا يتكلم معه في مأموريته ويقر
في سيره ويتصل الموكب وبعد ذلك يقع التعرض لمأمورية السفير الى ان يستقر
الرأي على شيء ويعود السفير الى البلاد التي جاء منها [illegible] ومن عوائدهم في امن
الطرق ان كل قبيلة حول احدى الطرق يكون كفيلا بامن الطريق التي في حدود
معلومة ثم يدخل المسافرون في كفالة غيرها وهكذا بشرط ان لا يسافروا ليلا وان يعطى
على كل دابة اجرا مخصوصا لتلك القبيلة وهذا الامر لا يختص بالمسافرين [illegible]
[illegible] لاحد المسافرين تغرم القبيلة التي وقع في حدودها ذلك الحادث [illegible] وقت
المرور فيجب على المسافر ان يبادر الى احد [illegible] القائمة على الطريق [illegible]
وهم يرحبون به ولهم منازل كثيرة حول الطرق وكذلك البريد له في كل [illegible]
[illegible] المكاتب و[illegible] الكامل [illegible]
لا [illegible] عرض او غيره ويشتغلون [illegible] في كل [illegible]
بريدها [illegible] ما لم يعرض امر [illegible] يرسل بريد خاص [illegible]
على حسب [illegible] المكان [illegible] البريد سرعة في [illegible] بريد الدولة [illegible]
[illegible] يرسلونه من واحد الى آخر الى ان يصل [illegible] واصحابه ركب ولا يسمع [illegible]
[illegible] ان [illegible] المملكة [illegible] يسكنون في المدن وغيرها على صفة [illegible]
ان عوائدهم القديمة معهم تداوروا [illegible] الشرع في [illegible] واداباتهم حتى [illegible]

عليهم بأنها مداخلة الدول بواسطة الجمعيات اليهودية في ممالك أوروبا وكانت أرسلت في
أوائل هذا القرن دولة الانكلاتيرة نائبة من لدنها [illegible] العوائد [illegible]
لعاملهم قائلا ان الحكومة [illegible] هذا الملك وأن الاهالي [illegible]
بجميع الاوامر في الحكومة مراقبتهم بقدر الامكان [illegible] على اليهود بذلك اذ امتنعوا من
قبول تلك المنح وأرسلوا الى أوروبا فأبدوا دعواهم على عدم [illegible] ولا تداخلوا فيها
وعاندوا الحكومة [illegible] بذلك [illegible] والامان على [illegible]
[illegible] وأعلى ما كانوا عليه [illegible] أمران أحدهما ظاهري وهو
ان ديانتهم قاضية عليهم بتحمل الهوان والشوق الى خروج المسيح الذي يقودهم على
دعواهم [illegible] والباطني [illegible] الاهالي عليهم وعدم معارضة
الحكومة فهم [illegible] في هلاك وعلى فرض أحد الدول لثارهم فما
فائدتهم [illegible] وصرح بذلك بعض رؤسائهم لانهم أحرص الناس على حياة في
هاته المدة وهي سنة ١٢٩٧ [illegible] اليهود [illegible] الجمعيات [illegible]
[illegible] مع اليهود [illegible]
ذلك القبيل [illegible] ولم يزل [illegible]
عند [illegible] ولكن مريد التداخل [illegible]
على ما يوافق [illegible] دعت دولة [illegible] دول أوروبا [illegible] مؤتمر [illegible] في
أحوال اليهود ورعايا الاجانب في مملكة المغرب لان اليهود [illegible] بالرحيل الى بعض
الممالك الاجنبية ويحصلون منها على الحماية ثم يعودون الى المملكة المغربية ويتمسكون
بما كان لهم [illegible] وعدم اجراء الاحكام والعادات عليهم [illegible] الحماية
الاجنبية فلم تعترف لهم الدولة المغربية بذلك وتقول إما أن تكون أجنبيا فلا تدخل
للمملكة وإما أن تكون أهاليا فتجري عليك أحكام [illegible] ودولة
اسبانيا تريد الانتصار للمحميين وان يكون لهم [illegible] في دواخل المملكة بدعوة انهم
[illegible] وبعض الدول [illegible] في المملكة [illegible]
والدولة المغربية مصرة على الامتناع و [illegible] المعاهدات [illegible] المأخوذة فعقدوا
لذلك مؤتمرا في مدريد في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٧ وكانت كل من دولتي فرنسا
وانكلاتيرة مساعدة للدولة المغربية أما فرنسا فلحفظ [illegible] في الجزائر وهي قد رأت
من أهالي الجزائر [illegible] شديدة [illegible] عليهم منذ [illegible] سنة وهم لا زالوا يجددون

الثورة

الثورة عليها مهما سنحت لهم الفرصة مع قلة الفائدة بالنسبة للخسارة وتريد توكيد
المودة مع دولة المغرب لكي لا يحدث لها اعتداء تهاجيان في الجزائر معها وهي تعلم ان
الاستيلاء على المغرب غير متيسر لها لمزاحمة دول اوروباوية قوية في ذلك واما انكلتره
فتريد استقلال دولة المغرب وثبوتها لكي لا تراه في خلع طارق دولة قوية يمكن
أن تمنع الانكليز من المرور به الى البحر الابيض كما تخشى ايضا من انها اذا اظهرت لها
التشدد عليها ربما تميل الى دولة اخرى ذات اقتدار وتحالفها ويصير الجميع ضدا
للانكليز في وقت الحاجة ومثل ذلك تعتبر دولة اسبانيا فكثيرا ما تظهر المودة لدولة المغرب
رجاء ان تمكنها من التعدي على احد شطوطها ولا اقل من ان يكون مجرد دافع لها حتى
تخشى اسبانيا ويوجد عندهم [illegible] هجوم المغرب على الجزائر وبقية
الدول لا ارب لهم هنالك ولذلك يظن ان لا يحصل ضرر على هاته الدولة من ذلك الوقت
لان اسبانيا وحدها لا تقدر [illegible] مساعدة الدول اليها وهي [illegible] ولان كانت قادرة
على التسلط على المغرب لكن لدول [illegible] المذكور [illegible] تعارض
[illegible] مقاصدهم [illegible] كل واحد لابد ان يظهر [illegible] المملكة حتى تراعي
[illegible] الاوروباوي [illegible] الشرع [illegible] اهل المملكة الا
ما امر به الشرع لان [illegible] بالاصلاح ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ان صناعة
النقش في الحصر على ظواهر [illegible] في الغرف [illegible] حديدة لها [illegible] عليهم
[illegible] المملكة وكذلك [illegible] الجلود وما [illegible] الحربية فان لهم قبائل مخصوصين معفون
من جميع الاداء للدولة وهم [illegible] بحمايتهم مع [illegible] الدولة [illegible] والسلاح
و [illegible] وعلى [illegible] قبائل زيادة على الزكاة والعشر [illegible] يدفعوا للدولة مقادير معينة من
الخيل [illegible] حدوث الحرب [illegible] جميع المملكة اداء ما [illegible] من الكراع والذخيرة
ولا زال سلاحهم على الطرز القديم وكذلك حركتهم العسكرية [illegible] منذ نحو ثلاثين
سنة ابتدأ بتنظيم العسكر على الطرز الجديد [illegible] على ستة عشر الفا
[illegible] ولكنه انخرم وهرب اغلبه [illegible] السلطان المتولي
الآن وهو مولاي حسن في تنظيم الجيوش على مقتضى الطرز الجديد وارسل تلامذة الى
مدارس فرانسا [illegible] الفنون الرياضية والله [illegible] المملكة

الفصل الحادى والاربعون

{ المملكة الثانية }

هى مملكة الجزائر وهى شرقى السابقة وبعدها شرقا تونس وجنوبا الصحراء وغربا مراكش وشمالا البحر الابيض وهى تابعة لفرانسا من سنة ١٢٢٧ وسيأتى تفصيل الكلام عليها فى المقصد وعلى ما نقول هنا ان عدد سكانها نحو مليونين ونصف واكثرهم مسلمون وقاعدة المملكة هى بلد الجزائر والاحكام السياسية والضبطية فرنساوية والاحكام الشخصية بين شرعية اسلامية وبين قانونية فرنساوية

الفصل الثانى والاربعون

{ المملكة الثالثة }

هى مملكة تونس وسيأتى تفصيل الكلام عليها فى المقصد الثالث ان شاء الله تعالى ولنجمل هنا انها مملكة اسلامية تابعة للدولة العثمانية مستقلة بالادارة وحاكمها السعيد باى عصر وسكانها نحو مليون ونصف وقاعدتها مدينة تونس وبعدها شرقا وشمالا البحر الابيض وغربا الجزائر وجنوبا الصحراء الكبيرة وطرابلس

الفصل الثالث والاربعون

{ المملكة الرابعة هى طرابلس الغرب }

وهى مملكة اسلامية من عهد سيدنا عمر رضى الله عنه وكانت فى ايام دولة الرومان والقرطاجنيين فى غاية العمران والخصب وان كانت لم تبق على بهجتها لكن الآثار القديمة دالة على اتساع منابع المياه من العيون والآبار وحفظ ماء المطر فانها الآن قليلة الخصب والسكان فسكانها لا يتجاوزون المليون والمعمور منها اودية خصبة وقاعدتها طرابلس ويتبعها ولايات مثل برقة وغدامس وفزان وبنغازى وهذه الاخيرة تارة تفرد بالادارة وتارة تتبع طرابلس وقد استولت الدولة العثمانية على هذه المملكة فى المائة العاشرة من الهجرة سنة ٩٥٨ وذلك ان الدولة الحفصية التى قاعدتها تونس لما ضعف

أمرها واستبد عليها الولاة في الأطراف كان من جملة من عصى عليها والي طرابلس التي
كانت تابعة لها وجار في الأهالي فجهز إليه السلطان الناصر لحصره وغلبه وولى على
طرابلس أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص فقبل الولاية بعد امتناع طويل على شروط
أولها البقاء بها إلى أن يعيد البلاد إلى أحسن ما كانت عليه من العمار والراحة الثاني أن
يستقل بالإدارة مدة ولايته بحيث لا يعارض ولا يرد أمره في شيء الثالث أن ينتخب مقدارا
من الجند بحسب إرادته لإبقائهم في خدمته فأجيز له ذلك وبقي في الولاية إلى أن مات
وولي ابنه الذي هو على شاكلته فاستقر العدل والأمن في مملكته حتى بلغ النهاية
واعتادت الأهالي على الراحة وتركت السلاح لعجزهم منه ما بعد حتى كان ذلك سببا
لطمع العدو فيهم وذلك أنه قدمت إلى ثغر طرابلس سفينتان مشحونتان تجارة فاشترى
جميع ما فيهما رجل واحد وبقيت السفن خالية فدعى من فيهما للوليمة أعدها لهم وبعد
حضار الطعام أخذ لؤلؤة فاخرة ذات قيمة عظيمة ودفعها إلى الخاوون فرآها منهم وذهب بها على
الطعام قائلا هذا الكرم مقام العدل ثم أحضر بطيخة خضراء وأراد قطعها فلم يجد سكينا
فسأل منهم سكينا ولما سئل عن سبب عدم السكين عنده قال إن الأهالي قد تركوا
من حمل السلاح إلا في أيام الظلم والعدوان ولما استقر الأمن والعدل صار السلاح
ينقل له بيارو من جملة أهيبي الأهالي فتعجب المدعوون وبينهم من الاسبنيول
القائم في ذلك الوقت كما يرد ذكره في تاريخ تونس وأحد أمراء أصحاب الـ... من دولتهم فأرادوا
وهجمت في طرابلس وكان عند ذهاب السلطان الحفصي مستعدا إليها على أنه عمات
عيش قاير على طرابلس وامتلكتها باسم أحمد الحفصي الابن المذكور وجار في البلاد
أشد الجور هو والاسبنيول ولما رأى ذلك السلطان الذي هو أحد ممالك إيطاليا
تداخل بين الأهالي بالإمداد ووعدهم بحماية من الظلم وأنهم إذا أطاعوه حماهم من
الظلم ولا يتداخل في أمورهم وإنما يستولي على الحصون فقط فكان ما كان وأجرى
فيهم الأمر أولا على نحو ما وعد ثم ابتدأ بالتداخل في أمرهم فامتنع بعض أعيان الأهالي
وتحصنوا في (تاجوري) وكانت الحرب بينهم قائمة غير أنهم عجزوا لضعفهم عن
الاستعداد للمقاومة فأرسلوا وفدا منهم إلى الاستانة مستنجدين بالدولة العثمانية في انقاذهم
ودعوها للاستيلاء على جميع البلاد حيث كانت هي إذ ذاك أقوى دول الإسلام وجمعت
تحت رايتها أغلب الممالك الإسلامية كمصر والشام والعراقين ولما وصل الوفد إلى
الاستانة تعجب من شكلهم كل من رآهم ولم يجدوا أحدا يفهم لغتهم حتى صادف أحد

الطواشية في القصر السامي الى الجمع المختلف المتزوج فيهم وكان عالما باللغة العربية
فهم القصد وكان هو الواسطة في ابلاغ مهمات الدولة فارسله هو الى تلك البلاد
وارسل معهم مع جانب فضيه لاجل ان يجلبوا الامر على الدولة لكنه ما ان وصل ذلك
الوالي وعلم حقيقة الامر ارسل يتنصل للاخبار الى الدولة وان اسطولها متوجه
الى الاستيلاء على تونس على اهبة السفر تحت رياسة عثمان بيك وامر بتسريح
عسكر طرابلس أولا فانفك من ايدي الدولة بامان وبقيت مستقلة بالادارة ويرسل
للدولة عام الهدايا واعانات في وقت الحرب الى ان عصى يوسف باشا فوقعت محاربة
الدولة في أواسط هذا القرن أي سنة ١٢٥١ واستولت استيلاء بالكلية على المملكة
وصارت ادارتها مثل ادارة سائر الولايات العثمانية ومركز الولاية مدينة طرابلس الغرب
وسكانها يميلون للبداوة ولو اهل المدن وحدودها شرقا مصر وشمالا البحر الابيض وتونس
وغربا تونس وجنوبا الصحراء الكبيرة

الفصل * الرابع والاربعون

المملكة الخامسة هي مصر واجمال الكلام عليها انها مملكة اسلامية مستقلة بالادارة
تابعة للدولة العثمانية وقاعدتها مصر ويتبعها ممالك مثل النوبة ودارفور وكردفان
وبلاد وغيرها من ممالك السودان وجميع سكانها مختلف في عددهم من الثلاثة عشر
مليونا الى الستة عشر مليونا والاخير باعتبار الاضافات اللاحقة بها أخيرا وحكمها ظاهرا
قانوني بين شرعي وسياسي وحدودها شمالا البحر الابيض والعجم وغربا طرابلس وشرقا
الشام وجزيرة العرب والبحر الاحمر وجنوبا الحبش والسودان والصحراء الكبيرة
وتفصيل الكلام عليها يأتي في المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس والاربعون

المملكة السادسة هي الحبشة ويحدها من جميع جهاتها السودان المصري وعدد اهاليها
خمسة ملايين على التوحش والبربرية والديانة عندهم غالبا نوع من النصرانية
واليهودية والوثنية أعني انها كانت نصرانية ثم امتزجت بنوع من تلك والحكم
استبدادي متوحش ولا يعرفون حقائق العلوم ولا التمدن ولذا لا يعلم كم دخلها

ولا

ولانزحوا وهى لاتزال فى ضعف من الحروب الاهلية وبين أهلها كثير من المسلمين
دخلوا الاسلام من عهد البعثة

الفصل * السادس والاربعون

المملكة السابعة هى مملكة زنجبار وموقعها على شطوط افريقية الشرقية على المحيط
الشرقى وقاعدتها فى جزيرة امام الجزيرة وهذه المملكة هى سلطنة عربية من قديم وتارة
تكون تابعة لامراء من ملوك جزيرة العرب وتارة تستقل وفى أواخر هذا القرن
تحول ملكها الى احد أعقاب ملوك جزيرة العرب وهو المسمى بالسيد سعيد من أعيان ملوك
الاسلام المتأخرين فعبر السيد سعيد البحر واستولى على زنجبار وجعلها قاعدة المملكة
وانشأ فيها الحصون ورتب فيها الادارة الملكية مع نشر الدين الاسلامى وكان
من أتباع المذهب [illegible] كما انه [illegible] عربيا [illegible] من [illegible]
ذات [illegible] ومن عمل مدركة السياسة [illegible] القوات الاوروباوية [illegible]
أنظارهم الى الجهات الشرقية وعمرها كما حصل بالفعل فى شطوط أفريقية والهند [illegible]
حيث [illegible] دولة لا [illegible] حتى تكون دولة [illegible] المملكة من [illegible]
[illegible] لانها أقوى دولة اوروباوية [illegible] فى [illegible] أمر [illegible] أولى على
[illegible] أحد ولديه وهو المسمى [illegible] على زنجبار ولده
الآخر المسمى [illegible] بين الاخوين [illegible] الحرب
فتداخلت [illegible] دولة الانكليز [illegible] على [illegible] زنجبار الى امام مسقط مقدارا
[illegible] بحيث ان المملكة [illegible] من [illegible] والثانية أقوى وكانت المملكة الاولى
ثم [illegible] مملكة الزنجبار واعتبارها بعد فتح خليج السويس لاعتناء سلطانها السيد
برغش [illegible] وقد زار سلطانها السيد برغش عاصمة
أوروبا فى أوائل عشرة [illegible] الثمانين والف واخذ [illegible]
[illegible] فى [illegible] هى أساس [illegible] ودخل
هاته المملكة [illegible] فى جدول دخل الدول وأما عدد السكان فهو نحو
مليونين تقريبا

الفصل * السابع والاربعون

المملكة الثامنة هي مملكة برنو وهي في دواخل افريقية في الجهة الشمالية الشرقية
ويحدها شرقا وادي وجنوبا الاراضي المجهولة وشمالا الصحراء الكبيرة وغربا قبائل
بمبرا وهي مملكة سودانية اسلامية بعضها في صعوبة وأحوالها مشابهة لمملكة مراكش
وملكها من نسل العرب ومن الاشراف وتخته كوكة او لوكة قرب بحيرة تشاد
اكبر بحيرات دواخل افريقية وهذا التخت منقسم الى قسمين كل قسم له سور وفيه
ميدان للتجارة منها الى مملكة فصبح واحوى انسب [illegible] الحنفية وسلطانها مستقل
ويلقب في عرفهم بالشيخ ومن دونه يعرف بالاطم وله اقتدار وتوسم بالعلم ويقال عنه
انه يقرا درسا من تفسير البيضاوي ودرسا من صحيح البخاري ولهذه المملكة قبائل تؤدي
خراجا له وهي مركى وشمته ادوزا ومندرا ولوكون وطهه صنا ثم في [illegible] وعبردواد اطاب
برنو جيش من السودان على انواع عسكرية وبه عسكر خاص يقدمه بين يديه على
احسن صورة وانكل خيله اشد [illegible] لهم رماح وادراس من الحديد والكل في ذراعيه
حلق من حديد ماسكة زنديه علامة على القوة ولا لبس لهم الا عمايم مخمرة الصورة
واصابعهم خواتم من حديد [illegible] حدث الفرس [illegible] ولا يلبس
العمامة الا سلطان وهي عمامة كبيرة ولدولة [illegible] مواصلة ومهادات
لا عجيبة الجمراوة الى الاكتشاف ويقال انه يقدر ان يعسكر من الفرسان اريد
من [illegible] الف من عموم الاهالي ويستعمل عندهم الاسلحة النارية واللغة الدولة هي العربية
وفيها اهالي وعدد السكان باعتبار الاضافات نحو [illegible] ملايين تقريبا

الفصل * الثامن والاربعون

لا يخفى ان بقية افريقية لما كانت غير ممكنة فحق اكتشاف مجهولها وليس لاهاليها
من التقدم ما يعادل غيرها من الممالك فقد سمى الجغرافيون الى احد عشر قسما كبرى
فاولها ما يسمى ببلاد السودان ويحده شرقا ولايات مصر السودانية [illegible] دارفور ويحده شمالا
الصحراء الكبيرة ويحده غربا سينيغامبيا ويحده جنوبا كينيا العليا وبلاد [illegible]
وهذا القسم يشتمل على عدة ممالك وقبائل مستقلة ﴿تنبيه﴾ لما كان غالب اسماء

هاته

هذه الجهات والقبائل منقولة من لسان أعجمي الى الفرانساوي ومنه نقلنا أعلامها وربما وقع تحريف في الاسماء ولكن على كل حال يفيد تقريبا المقصود بالمادة ومن ممالك هذا القسم سلطنة برنو المتقدمة وأكثر الممالك التي فيه أهلها مسلمون وفيهم علماء أجلة فحصل الأسف الى هذا العهد ولكن الاطلاع على تفاصيل أحوالهم النسبية الحالية كان عسيرا اكتفينا بذكر الاجمالي

الفصل * التاسع والاربعون

مملكة واداي وهي مملكة اسلامية لها ملك مستقل ولها تجارة واسعة مع مصر وطرابلس الغرب ولاهلها وقار عظيم بالعهد كما في نقل ان أحد أهالي واداي ادعى عليه بالاسر قيد في طرابلس والحال انه حر وبذلك سأل صيانة من التهمة الذي هو مباح للعرف من الوقوع في الحرام حسبما يشهد لذلك ما كتبه عالم أفريقية سيدي ابراهيم الرياحي من ان الملكة وشيخ الاسلام بتونس لا يجد بالك عند أمره حتى ليحدد فكتب اليه كل من العالمين المذكورين كلاما حميدا في استبرائه ثم ان ذلك الاسير بعد ان أقام مدة وصل فيها الى سن الشيخوخة بطرابلس عتقه مالكه ورجع الى بلده كان عبدا وبعد نحو عشر سنين قدم على معتقه ومعه هدية نفيسة وفاء بعهد الصحبة ومعه تجارة وقضى أمره ورجع الى بلاده وعدد أهالي هاته المملكة نحو اربع مليونين ووصف وشحتها مدينة ورة وعادات هاته المملكة وأحكامها على نحو مملكة برنو تقريبا

الفصل * الخمسون

في قبيلة ممالك القسم المسمى بالسودان وهي قبيلة كانم بو وهي في الجهة الشمالية من برنو وقد كانت سابقا قائمة بنفسها ثم صارت الآن تابعة لواداي المتقدمة مع امبدر وقاعدتها ماو ثم قبيلة باكرمي وهم تابعون لواداي أيضا باعتبار وقاعدتهم ماسنا وهي غربي الماية ومن عوائدهم ان عندهم نوع من الخز يصير بيوته كبيرة جدا بحيث يكون ارتفاعها نحو عشرين ذراعا وتسعها نحو مائة وعشرين ذراعا وهاته الممالك التي قبلها هي دول أعظم محيزة في قسم السودان المسمات تشاد فواداي من شرقها وكانم من شمالها وباكرمي من جنوبها ويليها قبيلة موزكو ومن غرب

عاداتهم ان الرجل والمرأة اذا تشاجرا وابتدأ احدهما بالكلام خط الآخر خطه بالخيط حتى اذا انتهى صاحبه تبع هو واوقف صاحبه عن فعله لكي لا يقطع عنه الكلام ولذلك ترى اذواقهم متفوقة عن [illegible] لاجل ذلك وبه عن نهم [illegible] الاسرى بل [illegible] تعظنوا به [illegible] اصابه مرض أكلوه [illegible] يعرف ذلك لا يصرح احد بمرض للخوف على نفسه

الفصل * الحادى والخمسون

مملكة فلاتا ومركزها [illegible] بالذهب التى [illegible] افريقية من السودان [illegible] بلادهم وهم خاضعون الى فلاتا وهؤلاء [illegible] يسكنون [illegible] على ماهم [illegible] بلادنا كانوا ولهم [illegible] ودرو واعظم لادللتجارة عندهم [illegible] واهلها مسلمون ولهم مصر [illegible] كبير [illegible] السيادة على جميع [illegible] ومن بادى وكانوا ولدبث [illegible] فلاتا [illegible] ومن [illegible] بحر [illegible] واعظم [illegible] ولهم عليه قوة [illegible]

الفصل * الثانى والخمسون

البلاد المتحدة المسماة بركو [illegible] من تمبكتو وكورماو [illegible] وقد كان الجميع تحت سلطنة واحدة [illegible] احد [illegible] من كبار [illegible] سيدى احمد [illegible] ووصل [illegible] جميع البلاد [illegible] الى ان [illegible] فى امرالامر [illegible] الى ان قتل [illegible] فى سنة [illegible] من الحرب [illegible] ذلك فى حدود سنة ١٢٨٣ [illegible] وهم [illegible] وهم تجارة مع المغرب [illegible] الآن [illegible] تحت [illegible] متعاضدين على [illegible] الحروب والتوارك من الشمال ثم يلى هاته المملكة من غربيها [illegible] (بمبره) [illegible] وهى القبيلة مستقلة تحت رياسة حاكم [illegible] بها مكان كان [illegible] قبيلة بربا والآن لا يعلم [illegible]

(القسم

﴿ القسم الثاني ﴾

هو أراضي سانيغال أو سانيغامبي وهو يشتمل على عدة أمم ويحده شمالاً الصحراء وشرقاً قسم السودان وجنوباً مملكة جبال الاسد وكينيا العليا وغرباً وبعض الجنوب المحيط الغربي وفيها جبال كثيرة ونهران عظيمان وعدد جميع سكانها نحو اثني عشر مليوناً وقد استولى الفرانسيس والانكليز والبرتقال على أكثر شطوطها

الفصل * الثالث

﴿ والخمسون ﴾

في المستقل من سانيغال قد بقيت دواخلها مقسمة الى عدة حكومات أكبرها ثلاثة الاولى بالس الثانية ماندنيك الثالثة كيبولوس ثم البقية صغار منه ودون

الفصل * الرابع

﴿ والخمسون ﴾

ممالك تيماني وسولیما وفولاه في جنوب سانيغامبيا بين كينيا العليا وتحتها فالاباو وارهذه قبائل كورانكو وتحتها كورا كونكا

﴿ القسم الثالث ﴾

هو كينيا العليا وفيها قبائل وأقسام وهذا القسم ممتد على شاطئ البحر الغربي ... ج ... الى الشرق ثم الى الجنوب الى مبدأ خط الاستواء القائم للمار ويحده جنوباً كينيا السفلى عند خط الاستواء والمحيط الغربي وغرباً المحيط وشرقاً بلاد الكفرة ومنها الاقسام السودان في الاغلب وفي الاقل سانيغال

الفصل • الخامس

﴿ والخمسون ﴾

أول أراضي هذا القسم هي المسماة كرومان وهي في داخله من الاصل وهي هناك ذات أخلاق حسان وهم أقوياء لهم أعراب ويروون بالعهود وهم في شمال كينيا العليا وعلى الاحوال يجمع سكان كينيا العليا نحو عشرون من السودان وبينهم مسلمون ونصارى ارتحلوا الى هناك ومنهم من صار لهم فيها مستعمرات

الفصل السادس

﴿والخمسون﴾

في مستعمرات الانكليز بهذا القسم وهي الاراضي المسماة جبال الاسد وسكانها من السودان وتختها فريتون

الفصل السابع

﴿والخمسون﴾

في مملكة ليبريا هي مملكة جمهورية مستقلة تسمى ليبريا سكانها من السودان المتوطنين من امريكا وتعرفت بها دول اوروبا من سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٧٤ م وسكانها نحو خمسمائة الف من السودان ولها مجلس نواب الى غير ذلك من سمات الدول المتمدنة ولغتهم الانكليزية وساعيهم تحرير العبيد السود في الدنيا وموقعها على الشاطئ الغربي المذكور وتختها مدينة منروفيا وتحت هاته الجمهورية ولاية اخرى شأنها الجمعية المحررة المذكورة ومن قانونها ان لا يدخلها الا السودان الذين يقسمون ايمانا على ان لا يشربوا مسكرا واسم تختها هربر

الفصل الثامن

﴿والخمسون﴾

في ارض شطي اصيل وهي تلي المملكة المتقدمة وهي من اراضي كينيا يحدها الخط المذكور جنوبا واقرب خط الاستواء ولم يمكن للسواح التوغل والاقامة بها لفساد هوائها وان اصطلح المرتاديون اماكن اقاموا بها وشرق الارض المذكورة الارض المسماة بشاطئ الذهب سميت بذلك لمعدنه واستعمرها الانكليزيون ببلدان كثيرة

الفصل التاسع

﴿والخمسون﴾

في دواخل كينيا العليا وفي دواخل كينيا عدة ممالك سودانية منها قبائل فلاني كانوا

عصبة

مصبه ضد صوب قبائل اسهانتي التي هي في الدواخل المذكورة وهم مثل امة قوية
مخوفة لسفكهم الدماء حتى انهم يحبون لا دميين في حفر كبيرة ثم وعند انتصارهم
وتختهم يسمى كوماسي

الفصل * الستون

في غينيا العليا ودواخلها ثم شرق الشاطئ لذهب شاطئ لممالك مسمى
باسم القاره الزنجية هناك ثم في دواخله ممالك داهومي وبه سكانه نحو ثمانمائة ألف
من السودان ولملكها شرطة عشرون ألف من العسكر منهم خمسة آلاف نساء ويضحون
المئات من الآدميين في اوراحوم تختهم (أبوميه) ثم في شرق ماذكر ممالك (هوسا وتكا
وأتاكال) وهوسي (وباني) وشرقيها ممالك (برنا) ثم الى ان تصل الى حرب ممالك
برنو وماجاورها وقد تقدم ذكرها وثم قبيلة (أكاس) الذين التجؤا من كثرة
الحرب بمعهم الى جبال صخرية وسموا هناك بالداهمين بها وعددهم نحو مائة
ألف تحت رياسة رئيس منتخب منهم وهم بئس حرب واسلحتهم كثيرة وواسطلا الى
مملكة تنبكتو وشرق الساقطة مملكة بنبي وشرق هاته شطي كالابار ثم جنوبي هاته
محاذيا على الشاطئ مستعمرة فرنساوي يسمى كابون وهو نهاية ممالك كينيا العليا

﴿القسم الرابع﴾

﴿من الاقسام الكبرى من افريقية الجنوبية﴾

الفصل * الحادى

﴿والستون﴾

في ممالك رأس الرجاء الصالح في نهاية الجنوب على الشاطئ من الخط الجنوبي رأس
الرجاء الصالح وهو مستعمرة انكليز وتختها بلد الرأس سكانها ستمائة الف وبها
شمالا في داخل القارة ولايات صغار وهي ناما كاس وكوراناس وبوشمس

﴿القسم الخامس﴾

﴿من الاقسام الكبرى بلاد الكفر﴾

وهو شمالي الرأس وهو أراض واسعة عظيمة تنتهي الى الشاطئ الغربي والشاطئ

الشرقى وتتوغل فى القارة وتسمى بلاد الكفر ومنهم قبائل الزولوس وقبائل ماتابل وجمهورية نهر أورنج وجمهورية ترانسفال وبلاد البتشوأناس وبلاد ناتال

الفصل * الثانى

﴿والستون﴾

فاما الزولوس فهم أقوياء أشداء أهل حرب وقد حاربوا الانكليز سنة ٢٩٦ كما هى عادتهم معه ومات فى هاته الحرب ابن نابليون الثالث مبرا ور الفرانسيس لترؤسه على عسكر انكليزى ثم دور الانكليز الزولوس وأسروا ملكهم الذى اعتقد نفسه كشاؤن الاول وحصلوا الى الانكليز على شروط استقلال ادارتهم

الفصل * الثالث

﴿والستون﴾

واما اراضى ماتابل فسكانها الكفار وهولانديز وزولوس وباستوس وبربريس وهتنوط وجيوم نحو أربعمائة ألف نسمة وتختها ماريس بورك

الفصل . الرابع

﴿والستون﴾

واما جمهورية نهر اورنج وهى شمال رأس الرجاء وسكانها من الكفر المدعون بوشوانس وهولانديز وتختها بلوم فنتين ولهم رئيس ومجلس شورى ومجلس نواب وديانتهم بروتستانت وهناك قبيلة من الكفار مستقلة تسكن بالجبل الازرق

الفصل * الخامس

﴿والستون﴾

وأما جمهورية ترانسفال وهى واقعة فى بلاد الزولوس وعددهم نحو ثلاثمائة ألف وثلاثين ألفا وتنقسم الحكومة الى أربعة أقسام بكل مجلس ورئيس ومعتمد وكاتب وتختها

وقصبتها بورتس نوفو ومن قوانينهم ان رئيس الجمهورية ومعه اثنا عشر عضوا للادارة الحكومية يبقون ثلاث سنين

الفصل * السادس

﴿والثلاثون﴾

واما مملكة بادجوبه وقصبتها كرومن ومن حواضرها مملكة ونانتو وهم فاسدوا الاخلاق حتى شبهونهم بالمعزل وعقولهم رديئة حتى انهم يدخلون فانظرهم يمشون على ايديهم وارجلهم كالحيوانات وفي كلامهم باصقين لسانهم ثم وفي شمالي نهر اورنج صحراء تسمى كلاهاري لاماء فيها ولا نبات الا ما اصاب المطر فتنبت عروقا وبطيخا بكثرة ويوجد الفيل هناك بكثرة والجاموس والزرافة والنعام والكركدان وهناك نوع من البشر وحشي يصطادونه كما تصطاد السباع ثم اراضي ارنبيز يسكنها نوع من السودان يسمى ماتبونا والنيقي وكولولو وغيرهم

﴿القسم السادس﴾

من الاقسام الكبرى كينيا السفلى وهي على شاطئ المحيط الغربي يحدها شمالا كينيا العليا وغربا المحيط وشرقا بلاد الكفر وجنوبا قسم الراس وهي ارض غنية بها نوع من الشجر عجيب يسمى بابنب يدوم من الاربعة الى خمسة آلاف سنة وساق شجرته محيطه يحوي من ذراعا وبها نوع من القردة اكثر شبها بالانسان لكن بها نوع من الذباب قتال للماشية واغلب السكان من السودان وحشيون ومنقسمون الى عدة ممالك

الفصل * السابع

﴿والثلاثون﴾

في ممالك كينيا السفلى فالاولى تسمى لوانغو وقصبتها بونى ثم مملكة كاكونكو وقصبتها كينكلي ثم مملكة انكويو وقصبتها كانبندا ثم مملكة كونكو وقصبتها بنزا كونكو ثم مملكة انكولا تحت استعمار البرتغال وقصبتها سان بولو ثم مملكة بنكولا تحت البرتغال ايضا وقصبتها صان فيليب وهذه سكانها نحو ثلاثة ملايين من السودان ولكل حاكم وفي جنوبيها صحراء سيمبازي

﴿ القسم السابع ﴾

من الاقسام الكبرى هو المسمى موزمبيك وهو شمالي بلاد الكفر على الشاطئ الشرقي للمحيط ولا يعرف منه الا الشط وهو مستعمر للبرتقال وينقسم الى سبع حكومات

الفصل • الثامن

﴿ والستون ﴾

في عمالات هذا القسم وهي مركز وانهنباني وسوفالا وسينا وكيليماني وموزمبيك ودلكادو ويحد هذا القسم شمالا الممالك الزنجبارية التي تقدم ذكرها

﴿ القسم الثامن ﴾

من الاقسام الكبرى قسم سوماليس وهو في الشرق الشمالي من زنجبار ويحده شمالا بوغاز عدن وشرقا المحيط وجنوبا المحيط وزنجبار وغربا زنجبار

الفصل • التاسع

﴿ والستون ﴾

في عمالات هذا القسم سكانه من بربر وبقية الشعوب والعرب والسودان وهاته المملكة هي المسماة بزيلع وكانت شعوبها بالدولة العلية ثم سلمت الى مصر بارادة في حرسه وفي نهايته اسمها بلاد عدل وعاصمتها حكام مسلمون ولهم امام من العرب وفي الشمال الغربي منها بلاد هرر وقاعدتها مدينة هرر وسكانها نحو الثلاثين الفا كلهم مسلمون على اوصاف جيدة وبلادهم حصينة ذات اسوار والتجار آمنون ولهم تجارة واسعة مع اليمن وغيره مع خصب الارض وسلامة الهواء في اغلب الجهات وهي داخلة في الممالك التابعة لمصر

﴿ القسم التاسع ﴾

﴿ من الاقسام الكبرى ﴾

هو القسم المجهول وهذا القسم الكبير الاوسط من افريقية الجنوبية مجهول ويحده شرقا زنجبار وما حولها وغربا كينيا السفلى وما حولها وشمالا برنو وما والاها وجنوبا بلاد الكفر ويعرفونها خط الاستواء وتمتد جنوبا نحو عشر درجات وكذا شمالا

ولا

ولا يعرف منها عند الجغرافيين الا ثلاث سلاسل أولها سلسلة كازمب وقمتها لوسندا وثانيها اوبيام ورى وقمتها كرخ وثالثها اوحيجى وقمتها كاولى

﴿ القسم العاشر هو الجزائر البحرية ﴾

وأما الجزائر التابعة لافريقية وهى فى المحيط كلها الا عبارة عن الجزر المتفرقة فى المقابلة لجون كينيا فى سواحل المحيط وانما اشتهرت لكونها مات بها نابليون الاول منفيا فى أسر الانكليز وأغلب تلك الجزائر فى قبضة دول أوروبا الا ما يتبع زنجبار وكذلك ما يتبع جزيرة مادغسكار التى هى الجزيرة الوحيدة فى افريقية فى المحيط الشرقى تجاه شاطئ موزمبيك كما سيأتى

الفصل ❀ السبعون

فى مملكة مادغسكار او كسكار وهى من الجزائر الكبيرة المعتبرة فى الدنيا وهى غنية وفيها انواع من السباع اسمه ماكى وهاى هاى وغيرها من الحيوانات الغير المعروفة وسكانها نحو خمسة ملايين وكلهم من السودان ونوع يسمى هوواس يظن انهم من نوع سكان الهند وعددهم نحو مليون نفس والدين العام هو الكفر من عبدة الاوثان ويجمع تحت حكم واحد وعليهم ملكة اسمها رانافولو الثانية وقد امرت باحراق جميع آلهتهم وهدم جميع معابدهم وامرتهم بالديانة البروتستانت فاطاعوها وهم على ذلك الا ان الكثير منهم بالاسم فقط لانهم لا يعتقدون شيئا وكان ذلك الامر فى سنة ١٨٦٨ وتخت المملكة المدينة تاناناريو وقد اكتشف هذه الجزيرة العرب قبل ان يعرفها أهل الصين وأهل ملاى

﴿ القسم الحادى عشر ﴾

من الاقسام الكبرى قسم الصحراء وتنقسم الى ثلاثة أقسام (أولها) صحراء المغرب (وثانيها) الوسطى أو بلاد التوارك (وثالثها) الشرقية أو بلاد التيبوس فالاولى هى بين مراكش وسنيغال على شاطئ المحيط الغربى والشاطئ فى البحر علوه صخرا والرياح العربية تخرج من البحر لا تحدث ... وقد تحقق ان وسط هاته الصحراء يكون الرمل دائما منتقلا الى الجهة الجنوبية الغربية وكان ذلك أحد أسباب عدم النبات بها وتسمى هاته الصحراء بالساحل ويوجد بها عدة جزائر

بالنبات على خط واحد لوجود ماء جار على خطها تحت الارض او ندى والقوافل
تتردد دائما على بعضها لتستقى من آبارها او لتتزود من عشبها

الفصل * الحادى

﴿والسبعون﴾

في ممالك الصحراء الغربية ويسكن جهاته الآن في بعض الاوقات نوع من البشر يسمون زنقا وكذلك التوارك والعرب يجذبهم الى هناك ربح تجارة العبيد وكلهم يتعيشون من القوافل المارة عليهم وتارة يسرقونهم وتارة يبادرون معهم هدية الطريق والاصابون من سكان الصحراء المذكورة مسلمون وهم مركبون من عرب بنى حسن الدين يقال انهم رحلوا من اليمن في القرن الحادى عشر ميلادية وفيها عمالة تسمى تيريس في شمال الصحراء على الشاطئ تأتيها الجيوب من العرب والبيضان ورعاة يرعون حيواناتهم من ارجاء الكثيرة العشب وسكانها اولاد دليم وهم اقوياء شداد متسلطون ويحرقون الصحراء بحيث السير بها ويقتلون باهب في حدودها بلاد بها تشرف فسبخة بتروديها الملح يجىء اهالى الصحراء الى بلاد تنبكتو وكان في صحراء المغرب مملكة تسمى ادرار على نحو ثلثمائة ميل من سنيقال وبها جبال كثيرة وبلاد وقرى وتختها يسمى وادان وسكانها من عرب وبربر ثم حوازنتا عابت كان يسكنها فالاي راعانا وتختها تيشيت ثم حوائز والاتاكى الجنوب لعرب في بلاد اهل صاربه في الجنوب تخته كتانرا ويعرف ماسينال بلاد ترزراس وبركاس وبلاد سيدى هاشم الذى كان دخل الى مراكش

الفصل * الثانى

﴿والسبعون﴾

في ممالك الصحراء الوسطى واما صحراء الوسطى فيسكنها العرب المنتقلون الى هناك بالاستيطان والتوارك ويمتدون من حدود فزان بلاد طرابلس الى بحيرة تشاد ومركز قوتهم في رباط على شكل مثلث وبه جبال كثيرة ونهيرات وثلاثة جبال كبرى بجبل يسمى غات وخارج المثلث المذكور جهة الجنوب لغربى بلاد اداراود وبقية الجهات صحراء والتوارك يسمون انفسهم ايموشاغ بمعنى مستقلين واشراف واسم التوارك اطلقه

عليهم

عليهم العرب وهو عين الشاركين ادركهم تحقق في الصدر الاول (وأما) الآن فهم
مسلمون ولغتهم تسمى تاماشك وينقسمون الى عدة قبائل توارك هقار في جبال هكار
وتوارك أزقر في جبال غات وتوارك مريدير في جبال [illegible] وتوارك عوفاس وفي
الجنوب جهة تنبكتو توارك السراح وتوارك أنتهو وأولاد احمد والقبائل وتاغوى
وجميع هؤلاء القبائل ينقسمون الى اربعة أقسام كبرى وهي توارك هكار وتوارك ازقر
في غات وتوارك كلوى وتوارك والى منيدب في شرق تنبكتو والقسمان الاولان معروفان
بالكثرة لتجارتهم من حرير ويدعون بأنهم أشراف لعربوهم بحسان الخلقة
شجعان يحملون الرماح والسيف والمخلة أي البندقة والسكين ويركبون المهاري
المدربة للغاية مع قوته ويلبسون قميصا أبيض أو أسود وعلى رؤسهم شواشي طوال ولثام
بحيث لا تظهر الا أعينهم ولهم ملك يحكم مع كبار القبائل وولد أخت الملك هو وارث الملك
(وهكذا) قانونهم وحكمهم ليس به [illegible] بل لهم نوع من الحرية ومن عاداتهم
أن لا يتزوج الرجل الا امرأة واحدة شرعية ولهم [illegible] الآن للاسلام [illegible]
[illegible] فيها كما هي حالة [illegible] ولهم [illegible] كبيرة [illegible] ولهم [illegible]
وابل تحمل الاثقال وهجائن للركوب ولهم نوع من الخيل من أجود الجياد وفي جزائر
الصحراء لهم نخيل كثير ولقبائل [illegible] هم الحارسون للقوافل المارة في بلادهم بين
شواطئ [illegible] فيه [illegible] واسود [illegible] مسونة [illegible] وبلادهم من [illegible]
[illegible] ثلاثة وثلاثين يوما [illegible] والا [illegible] حذا [illegible]
وهو أصعب طريق بين السودان وطرابلس ومن شهر [illegible] الى [illegible]
في بلاد غات اريد من ثلاثين ألف جمل بأحمالها وفي الجنوب الغربي هضاب على
جبال هقر تكادان تسمى [illegible] بقية لا يماثلها جبال ذات آكام وغابات ووهادات
تسقى من عيون غزيرة ويدوم فيها الثلج من دسمبر الى مارس ومن هاته الجبال منبع
أعظم أنهر الصحراء المسمى ايغرغر ويذهب جهة الشمال ويضيع [illegible]
في حدود الجزائر وهي مسكن توارك [illegible] جاورهم [illegible]
واكبر بلدانهم تسمى [illegible] وفي الشمال الغربي جهة [illegible] توات
المكونة من عدة جزائر نباتية متقاربة و[illegible] نوع من الشجر يسمى كرنك هو أحسن
فحم للبارود وأرضهم خصبة لجميع النبات ولهم حيوانات كثيرة والسكان [illegible]
مسلمون متصلبون ويتجرون مع المغاربة والجزائريين ومع غات والسودان وأكبر

مدنها بتميوم وادرار وتامنتيت وتجتمع الطرق فى ماـدأولف ولذلك كانت موقعا مهما للحروب وفى الجنوب بمملكة ابر فى طريق السودان وهى مكونة من جبال صخرية وفى الاودية نبت كل نباتات وفى شهر سـتمبر تنزل أمطار غزيرة والسكان يسمون كاوى أصلهم ما بين التوارك والسودان وتحتهم يسمى اوكاديس ولهم ملك بيكل بها وفى حدود السودان بتوغل فى الجنوب بالة دامركو وفى الغرب بها أقرب نهر دوربيا بالة والى مابدن وبها بلدة مروك لوقوعها على الطريق بين تنبكتو وغات

الفصل * الثالث

﴿ والسبعون ﴾

فى مملكة الصحراء الشرقية وأما الصحراء الشرقية فالعادة انها من مربع فهى ليست كبقية الصحراء لان بها الصعود نوع من الوبى بكثرة وبها جبال لونها رصاصى أو أصفر وبها رابى الرمل رحالة الى جهة الجنوب وجهة الغرب وسكانها يسمون تيبوس من السودان من نوع افانورى النبات مراريو ومنقسمون الى عدة قبائل وهى الرشاد وقران وبركو وباتلين وغيرها والطريق ما بين مرزوق الى كوكا مارة على سلسلة من الجزر النباتية طويلة جدا وأكبرها تسمى كوار وهو حقيقة عبارة عن عدوها بقمها ويوجد فى هذا القسم جزائر أخر وهى تاسدى وبركو وموقعها ما بين مرزوق وواداى ثم جزيرة كوفارا التى بها بلدة كابو لوا ذمة فى شمال وجهة الشرق من هذا القسم تسمى ليبيا بها بعض جزر ما مع الآن لمصر وهاته الاماكن التى عبرنا منها الجزر تسمى فى العرف بواحات (والخلاصة فى مربقية) ان جميع سكانها عدى الممالك الشمالية والممالك التى على الشطوط نحو ماثة مليون وأهم الشطوط بيد ممالك أوروبا ولهم فيها حكم استبدادى عن عائلاتهم وتدعى انهم يستعملون القوة القاهرة توحش السكان وبقية السكان غير الممالك التى مر ذكره بتحصيل حالتها هم أناس متوحشون كالحيوانات اكلهم ودأبهم غزو بعضهم بعضا ولبعضهم رؤساء يلقبون بألقاب الملك ويجرون الحكم الفورى ولهم عادات مبنية على خرافات وعامهم اشد الناس تعلقا بالسحر ورعبا منه ويعتقدون أن له من التأثير أمورا عجيبة يكاد السامع أن لا يفهمها حتى ان بعضهم يستعمل السحرة فى الحرب بل ويعتقدون فيهم

الاحياء

الاحياء والاماتة ومن هذا القبيل فى حكاية ما يعتقدونه ما أخبرنى به ثقة عدل راويا
عن ولده الذى هو شاهد له انه رأى من عجائب سحرهم ان قبيلة وفدت من داخلهم
للتجارة ويرحلون لاجلها الى بلد هى من بلاد السودان فيتهيأ لذلك كل عام
نحو ثمانية أو عشرة من كبرائهم أهل السحر ويعلنون بذلك دلالا للناس بأن يأتوهم
بأثقالهم وركائبهم المريدين للسفر ويستودعونهم عندهم الى ان يجتمع منهم آلاف
كل منهم يحمل بضاعته على عاتقه ويسافرون (هكذا) حتى اذا مات أحد المستودعين
اجتمع السحرة وذبحوا ذبيحة من نوع شجر عندهم لكى لا يفقد جسمه ثم يأخذون ذنب
بقرة مستودع فيه السحر على زعمهم ويحكونه بيده ثم يوقفونه ولا يزال سائرا معهم الى
الابل فيجذبها (وهكذا) ذهابا وايابا وبضاعته على عاتقه وهو ميت الى ان يرجع الى
صاحبه. ولولا تواتر الاخبار بمثل ذلك فى أنواع سحرهم لما أثبتناه هنا فلنعلم بأحوال
ما يعتقدونه وديانتهم شتى من أنواع الكفر وبعضهم يعتقد الالوهية فى ثعابين
أو عقارب أو حيات أو اصنام أو ملوك حتى اعتقد قوم منهم فى صائغ أبيض انه ابن الشمس
وعبدوه ولما اراد الرجوع خاف على نفسه من قصدهم على ابقائه بين أظهرهم الى
ان اختفى وفرّ وهكذا يعتقدون الالوهية فى كثير من الحيوانات وبعضهم له لباس
وبعضهم عراة بالمرة ولذلك كانت الحيوانات المشتركة وبعضهم يستتر على العورة
الغليظة وبعضهم يلبس شيئا من الثياب وبعضهم يسكن تحت السماء ويتقى البرد
والحر بظل الاشجار وبعضهم يتخذ بيوتا من الخيم أو أغصان الشجر وبعضهم له قرى
وهم يتفاوتون فى هاتيك الحالات شدة وضعفا وفى هؤلاء الاقوام كثير من المسلمين وهم
على توحشهم أحسن حالا من غيرهم لان الديانة هذبت من أخلاقهم نوعا ما وان كان
بعضهم لا يعلم من الديانة الا الانتساب اليها وبعضهم يعلم الكلمات الخمس الواجبة اجمالا
من غير معرفة تفصيلها واذا قام أحدهم الى الصلاة يصير يركع ويسجد من غير عدد
مخصوص لانهم انما يعلمون وجوب الصلاة التى هى قيام وركوع وسجود من غير تفصيل
ولا عدد ولا ترتيب وهكذا يوجد فى افريقية أقوام ينتسبون الى الديانة النصرانية
واليهودية وليست على قواعدها المعروفة ولا تزال الاوروباويون يرسلون دعاة
لادخالهم فى النصرانية هم وغيرهم من أمم تلك القارة كما يرسلون سواحا للكشف عنها
وتحقيق ما فيها وكانها الآن ثابت ان تصير مطمح الانظار ومحط التقدم فقد اعتنوا من كل
الجهات بالبحث عن ذلك رغبة فى ازدياد التجارة والربح ونجح كثير من سواحهم فى

الحصول على اكتشافات نافعة من خشب أشجار وكثرة سكان ووفور معادن وغير ذلك
من حيوانات وحشية وأهلية لها فائدة في التجارة والأعمال في صنع البلدان التي
شاهدوها اكتشافات مفيدة وعلى الاجمال فان بقاع افريقية لا زالت غير معروفة حق
المعرفة الآن لأبنائها منها مدة وقد رأيت أبيات للشيخ أحمد بابا التنبكتي وهو عالم مشهور
من علماء السودان في أواخر عهد القرن العاشر من المائة ... وقالوا لا نجم مارا على المغرب
وتونس وهذه الأبيات تفيد معرفة أسماء قبائل من السودان ومعرفة ديانتهم وهي

كل لدى من صنعه فيش قدما * عالت بالكفر عليه فاحكما
كذاك كرم كنه كل ويربا * تنبع وبركيس وبون كنبا
فهم مجوس فيهم السباء * وبينهم مجوس والشرع
وحكم بالاسلام بلاد برنو * كشنكاع وككو وسغو
مولى وكوبر وصنفى كذلك * وجل فلات وبعض زكزكا

﴿ القسم الرابع من الارض ﴾

هي قارة أمريكا يدعى علماء أهل العصر ان هذه القارة كانت مجهولة عند القدماء
الى سنة ١٤٩٢ مسيحية الموافقة لأوائل القرن التاسع من الهجرة فاكتشفها رجل
اسمه كريستوف كولومب وهو من أهالي جنوة متقنا صناعة الملاحة وهي اذ ذاك
تستلزم معرفة الحروب لكثرة الحروب البحرية سيما وشغوفه بأوروبا وكان الذي في
فكره وجود أرض وراء المحيط الغربي وأخرى لحالة استدارة الأرض ومعرفته بالجغرافيا ورسم
الخارطات فسعى الى ذلك مع ملك البرتغال ثم مع ملك جنوة وخاب أمله وبعد المحاولات
الطويلة مع ملك اسبانيا في مدة ثمان سنين حصل على المساعدة بثلاث سفن
والعهد اليه بأن يكون خليفة الملك على ما يكتشفه وأحد العشر من المداخيل لنفسه ثم
بعد مقاساته شديدة له من الملاحين الذين أرادوا قتله لبأسهم من نجاح كان سعيه بالنجاح
بعد سبعة وعشرين يوما من شاطئ اسبانيا الى جهة الغرب وأول جزيرة اكتشفوها
سماها سان سلفادور ولا زال يكتشف جزائر ... الاخرى كانها في غاية النضارة
وسبب هذه الاهالي وصلاحهم حتى انهم عراة ... ورجالا ولونهم ذهبي ويتخذون بيوتا
من أغصان الشجر وبعض الجزر يبنون اخرى من الحجارة والطين وكشف فيها على
البطاطس والتبغ اللذين لم يكونا معروفين من قبل وهكذا اكتشف بها على
الطماطم

لطماطم التي يقول انها هي السبب في حدوث المواد الطرية في القارات لانه لم يكن
معروفا حدوث المرض من قبل حتى سمي بالحب الافرنجي نسبة الى الافرنج لانه عرف منهم
مع انهم للطماطم سيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على وجه تسميته من اوروبا بالافرنج
ثم ان كلمبوس رجع الى سبانيا وعاد بطول وعاد كرا كثيرا كان اتى به سابقا فلم
يبق هذا ثم قدم بعد مدة رجل يقال له امريكوس وهو الذي اكتشف على امريكا
الجنوبية فوصف جميع القارة وتحقق انها كانت معروفة سابقا وكذلك طرقها
من جهة المحيط الغربي ودليله انهم اثبتوا ان اهالي النورويج كانت لهم تجارة ومعاملة
مع اهالي كرينلاندا من امريكا الشمالية من القرن الثالث والرابع من الهجرة حيث
ذكروا ان رجلا من اهالي اسكلاندة التي هي الآن من ممالك انكلتره وكانت اذ ذاك
تحت حماية النورويج فدفعته الرياح في ذلك الزمن في البحر الشمالية الى ان وصل الى
كرينلاندا ثم رجع الى بلاده وصار لهم اتصال معهم غير انهم لم يتمنوا زيادة اكتشاف عما
عندهم ذلك مع ان القارة كبيرة جدا وكذلك رأيت في خريدة ابن الوردي انه قال
ما معناه ان وراء الجزائر الخالدات وبحر الظلمات جزائر عظيمة جدا وبها خلق كثير وقد
وصل اليها احد الفرنجة على غير قصد عند رده الرياح ثم رجع منها بعد ان ايس من
الحياة ووصفها باوصاف جميلة مما يدل على انها اكتشفت من بعد واتصل في البحر الغربي
بحر الظلمات لانه تتكاثف فيه جهة الشمال الابخرة حتى يصير بلا ظلام الليل والنهار
كله ومعناه لان جميع الغربي من اوروبا امريكا حتى تنظر الى وجود قدرها
ان تصرخ بعد كل دقيقة ببوق اخبار كي لا تقع سفنها تصادم مع غيرها لان نور الشمس
محجوب ونوره [illegible] بالاحرف [illegible] كاثف الابخرة وكذلك نقل لي انه رأى في بعض كتب
الشيخ محيي الدين ابن العربي ان وراء الصين امما من بني آدم وعمرانا وهو في القرن
السادس رضي الله عنه فدل هذا على معرفة هذه القارة من قديم واعلم انه مع تمام
[illegible] هذه القارات لم تعرف الا منذ [illegible] ثم [illegible] ذاته القارة العظيمة التي تعد
خامس الارض المكشوفة هي محيط بها البحر من جميع جهاتها وبعضها عن غيرها
من القارات الا جهة القطب الشمالي الى اربعين درجة عرض وغالبا فهي مجهولة كما
ان القليل من الجهات الشمالية وسط القارة لم يعرف بالتحقيق وهكذا الوسطى من
الجنوبية وجميع القارة تنقسم الى شمالي وجنوبي ويوصل بينهما برزخ من الارض
ضيق يبلغ في بعض الجهات الى اربعة وعشرين ميلا يسمى برزخ باناما وقد اردت في

هاته المدة جميعه فرساوية نرقه حتى يتوصل من المحيط الشرقي الى المحيط الغربي
بقصر في المسافة وكأنه يتم عن قريب وسكان جميع هذه القارة يبلغون الى نحو اثنين
مليونا ولو اضيف اليهم ازيد من مائة مليون يسعهم الارض وقامت بمجموع لوازمهم وأكثر
أولئك السكان من أهالي أوروبا وآسيا وافريقيا ولا يصلون فلا يكونون ثم تنقسم القارة
الى عدة دول

الفصل الرابع

﴿والسبعون﴾

المملكة الاولى دولة أمريكا المتحدة وموقعها في أمريكا الشمالية وتمتد من الشرق الى
الغرب على جميع القارة ويحدها شرقا المحيط الغربي ويحدها غربا المحيط الشرقي
ويحدها جنوبا خليج مكسيكو ومملكة مكسيكو وخليج كاليفورنيا ويحدها شمالا الاملاك
الانكليزية والبحيرات الشمالية وسكان هاته المملكة نحو ستين واربعين مليونا
منقسمون الى ستة وثلاثين حكومة كل حكومة مستقلة بادارتها الداخلية ويجتمعون في
الاصول العامة مما يعود الى مصلحة المجموع وتحت الجميع بلاد واشنطون يتركب فيها
مجلس من جميع الحكومات وينظر في مصلحة الجميع ورئيس هاته البلاد هو رئيس
جميع الدول التي هي جمهورية وهي التي لها المعاملة السياسية مع الدول الاجنبية
ورياسة العساكر البحرية والبرية لدوله وقوانينها تماثل سير الدول الاوروباوية الاكثر
حرية وتقدما ولا زالت تتقدم في الحضارة والمعارف والقوة حتى كان لها الشأن العظيم
وصار لها الاعتبار التام عند جميع الدول وكانت سابقا من مستعمرات الانكليز
ثم استقلت سنة ١٧٨٩ أوائل القرن الثالث عشر هجريا وهاته هي أسماء الحكومات
المركبة منها مرتبة وهي (نيوهمشير) و(ماساتوست) و(رد ايلاند)
و(كنكتيكوت) و(نيويورك) و(نيوجرسي) و(فنسلوانيا) و(دلاوار)
و(مريلاند) و(ورجينيا) و(كرولينا شمالية) و(كرولينا الجنوبية) و(جاورجيا)
و(مين) و(فرمونت) و(مشيغان) و(أوهيو) و(اندبانا) و(الينوى) و(كنتوكي)
و(تنيسي) و(الاباما) و(فلوريدا) و(مسيسپي) و(لوسيانا) و(وسكونسن)
و(ايووا) و(ميسوري) و(اركانساس) و(كنساس) و(نبراسكا) و(ارجون)
و(منيسوتا) و(تكساس) و(كاليفورنيا) و(واشنطون) وهاته الاقسام تكونت

شبا

شيأ فشيأ واول ماتم منها الثلاثة عشر الاولى فانها تمت كما تقدم ثم منها ما تم فيه
شروط العمران والدخول فى العصبة قبل ولم تزل بقيت عدة أقسام الى الآن تتمم
فى استعدادها لكى تدخل فى العصبة وسكان هاته الممالك من الغرباء وأطردوا السكان
الاصليين الى شمالى القارة والاصليون يسمون بالهنود لشبههم بهم فى اللون والخلقة وقد
تهذب منهم أفواج ولازال أغلبهم على التوحش يسكنون مع الوحوش أما الغرباء فقد
بلغوا الغاية فى التمدن والحرية فمن حريتهم ان ولى رئيس الجمهورية عندهم رجل
صناعته الاحذية حيث كان مستكملا شروط الانتخاب ووقع عليه الانتخاب وذلك فى
عشرة الثمانين ومائتين والف كما تقدموا فى فنون المعارف الرياضية والسياسية
واخترعوا أشياء عجيبة من الكهربائية والأبخار فاول ماعرف استعمال البالون أى القبة
الهوائية للاطلاع على احوال العدو فى الحرب فى هاته المملكة عندما كانت الحرب
مستمرة بين الحكومات الشمالية من الدولة المذكورة والحكومات الجنوبية منها
التى نشأ بسبب منع العبودية فان الجنوبيين أصروا على ابقاء حق العبيد وبسبب
الحرب بينهم عدة سنين وذلك فى عشرة الثمانين من القرن الثالث عشر من الهجرة
فمن الاختراعات فى ذلك الحرب ان أصعدوا ركابا فى قبة الهواء متصلين باسلاك
كهربائية يخبروا امراء الجيش باحوال جيوش العدو ومروره وجبال أوروبا ومن
ثمرات قوة الاجتماع التى ظهرت عندهم الطريق الحديدية التى وصلت بها شطوط
المحيط الشرقى بشطوط المحيط الغربى وكان يوم تمامها يوما مشهودا احتفلت له جميع
البلاد وآخر مسمار انتهت به صناعة الطريق صنع من ذهب ودق بطرقة من فضة
وربطت به عند آخر دقة أسلاك الكهربائية الى جميع البلاد فعند آخر دقة على المسمار
حصل العلم بجميع ذلك فى آن واحد ودولتهم عظيمة بالمعادن جدا سيما معادن
الذهب فى كاليفورنيا الذى نقص به الذهب مصرا عظيمة وهكذا الصنائع والتجارة مع
الامن العظيم والاطمئنان لهم وقد تملكت هذه الدولة بالشراء من الروسيا
أملاكها جهة الشطوط الشمالية من جهة غربى القارة

الفصل * الخامس

(والسبعون)

فى بقية ممالك أمريكا الشمالية (أولها) مستعمرات الانكليز فى القسم الشمالى

حدود للعقبة السابقة الا ان كامريكية وهي يجرى فيها الحكم الانكليزى بنوع اعتبار (وثانيها) ما يلى ماذكرناها وهو قسم التوحش بين الاصليين وبقيدنا. قدام المريده للدخول في العصبة السابقة

الفصل * السادس

﴿والسبعون﴾

(وثالثها) مكسيكو وهي في البلاد المتحدة جنوبا واستقلت اواسط هذا القرن فسلط اسبانيا عليها ولكنها لم تزل امره في جميع انواع ... حتى لا امن لاختلاف سكانها وحكومتها الآن جمهورية وعند اكتشاف الاسبنيول لها وجدوا فيها ... بها التمدن ... والموجود بها من آثار المدن يدل على تقدم اهلها ووجودهم قديما وعدد سكانها نحو ... مليون وقاعدتها مكسيكو

الفصل * السابع

﴿والسبعون﴾

(ورابعها) امريكا الوسطى وهي في السابقة جنوبا وحكمها الجمهورى وهي اقرب الى الحرب لانتظام ... بين اهلها واستقلت ايضا عن اسبانيا في اواسط هذا القرن

الفصل . الثامن

﴿والسبعون﴾

(وخامسها) الجزائر الكبيرة المتفرقة وهي تابعة لامريكا وتحت حماية الدول متفرقة من اوروبا كانكلترة واسبانيا وفرنسا وهولاندة والدانيمرك والسويد كان لهؤلاء الدول املاكا في القارة الجنوبية واكثرها لانكلترة واسبانيا وانكلترة وحقيقة عدد السكان مجهولة لكثرة التوحش وعدم اعتناء الكبرى للدول بتهذيبهم وقد جربوا ان كل من تعدى هذا حد الاستقلال ... وعدد السكان ... في هذه ثم بقية القارة الجنوبية تشتمل على دول شتى

الفصل التاسع

﴿والجنوب﴾

فالدولة السادسة كولومبيا المنقسمة الى ثلاثة أقسام كل منها مستقل تحت الحكم الجمهوري وعدد جميعهم نحو ثلاثة ملايين وهم على حالة التأخر وموقعها من مبدأ البرزخ الموصل بين القارة الجنوبية والشمالية الى قرب خط الاستواء متصلة بالشاطئ الغربي والشمالي والشرقي

الفصل الثمانون

(والسابعة) دولة بيرو وسكانها نحو مليون ونصف وحكمها جمهوري وموقعها على الشاطئ الغربي جنوبي المملكة السابقة

الفصل الحادي

﴿والثامنة﴾

ثم البرازيل شرقا تمتد في الشطوط الشرقية وعلى جميع سواحل القارة لدولة الثامنة وهي برزيل وسكانها نحو عشرة ملايين ونصف وحكمها ملكي مقيد بقوانين ويوجد فيها عدة آلاف من المسلمين أصلهم من سودان افريقية ولكنهم لا يعرفون الا كلمات قليلة على سبيل الاجمال كما يستفاد ذلك من رحلة عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الذي كان اماما في بعض السفن المدرعة العثمانية وسافرت الى البصرة على طريق البحر المحيط الغربي على مدار طارق وصادفتهم زوابع صيرتهم عن غير قصد الى شطوط برزيل ولما خرجوا الى التمتع في البر أقبل عليهم أقوام مسلمون وطلبوا ابقاء الامام عندهم لتعليم الديانة فبقي هناك مدة وألف رحلته المختصرة المترجمة الى التركي المسماة مسلية الغريب وكان سفره سنة (١٢٨٢) فلا يبعد أن يكون في جميع امريكا أمم كثيرة من المسلمين ولا يجدون من يهديهم ولا حول ولا قوة الا بالله

الفصل * الثانى

{والثمانون}

وبين بيرو وبرازيل الدولة التاسعة وهى بوليفيا سكانها لايبلغون نصف مليون وحكمهم جمهورى

الفصل * الثالث

{والثمانون}

والدولة العاشرة هى الشيلى سكانها نحو مليون وربع وحكمها جمهورى وموقعها على بقية الشطوط الغربية الى نهاية القارة فى الجنوب

الفصل * الرابع

{والثمانون}

والدولة الحادية عشرة دولة سيوداس ايرس ويقال لها لابلاتا وهى وسط القارة الجنوبية تحدها شيلى من الغرب والمحيط الشرقى وبرازيل من الشرق وسكانها مجهولو العدد وحكمها جمهورى

الفصل * الخامس

{والثمانون}

الدولة الثانية عشرة أوروكواى هى جنوب برازيل سكانها نحو مائة وخمسين الفا تحت الحكم الجمهورى المستقل وهى على الشاطئ الشرقى الجنوبى

الفصل * السادس

{والثمانون}

والدولة الثالثة عشرة هى بقية أمريكا الجنوبية المعروفة بتاكونى وأهاليها من الاصليين هناك طوال شداد متوحشون يقال تقريب عدهم مائة وخمسون ألفا فى ثلاث الاراضى الواسعة

الواسعة وموقعها على الشاطئ الشرقي في نهاية القارة جنوبا وغربا الشيلي والحاصل ان
غير الدولة المتحدة لم يكن في امريكا من الدول ما يعتبر داخلا لاقسام المذكورة لان
كانت تحت أحكام منتظمة لكنها لم يتسع فيها نطاق المعارف والتقدم واشتغالهم بالحروب
الاهلية عما يصلح شأنهم جميعا وأغلبهم حديثو عهد بالعتق من تسلط الدول
الاوروباوية عليهم الذين كانوا يجرون فيهم الحكم الاستبدادي الظالم وأما أقاليم فانهم
من الاهالي الاصليين الذين اما انهم تناسوا التمدن أو لم يعرف فيهم ولم يحسن الغرباء
معاشرتهم وانما عاملوهم معاملة الوحوش وأطردوهم وأبعدوهم من ديارهم فبقوا
على الجهل والتوحش وفي بعض الاماكن لا تساعدهم طبيعة الاقليم على شيء فقد ذكروا
ان في الجهات القاربة لاقصى الشمال قوما ينحتون من الجليد بيوتا ويجعلون لها
مصاوي صغيرة ويسدونها بطبقات من الجلد الصقيل لتمنع مرور الهواء ولا تمنع الضوء
ويبقون في تلك المدة البرابيا الى الشتاء الطويلة التي هي أغلب أيام السنة عندهم
ويكنسون عادة لحم البحر ويأكلون لحمه ويوقدون شحمه ومن أغرب ما يحكى عنهم
انهم يطبخون اللحم المذكور في قدور من الخشب وصورة طبخهم انهم يتخذون من
بعض الاشجار التي تنبت في الارض الجليدية قدورا يضعون فيها قطعا منها اللحم
ويصبون عليه الماء ثم يأخذون حجارة ويحمونها في النار الى أن تصير حامية جدا
فيلقونها في القدر قطعة أو بعض الماء بحرارتها ثم غيرها وهكذا الى أن يصل الطبخ الى
الاعتدال الذي اعتادوه وربك يخلق ما يشاء ويختار وهو القادر المتعال

﴿القسم الخامس من الارض استراليا﴾

هي مجموع جزائر جهة الجنوب من المحيط الشرقي قبالة الهند والظن انها كانت متصلة
بشبه جزيرة سمطرا فقطعتها زلازل هائلة قديما كما يتبين من النظر الى الخريطة
ويدعى ان أعظمها اكتشف منذ أقل من مائة سنة والحال ان بها نحو مليونين من
البشر وفي لونهم السواد في أشكال من جهة التعليل بأن سواد اللون من كثرة الحر تحت
خط الاستواء مع ان عرض أعظم جزيرة هناك يبتدئ من عرض خمسة وثلاثين جنوبيا
وذلك العرض من المناطق المعتدلة مع ان الاهالي الاصليين سود وكانوا متوحشين وانما
يعترفون في شدة التوحش وضعفه وقد أخذت بعض الجهات في التمدن شيئا ما وكل هاته
الجزائر تحت تسلط دول أوروبا وأغلبها تحت الدولة الانكليزية وقد جعلت أوستراليا

منفيا لاصحاب الجرائم العظيمة من المغرب والحكم المشدد هناك تهذبوا وتقدموا شيأ
فشيأ الى ان انكروا على الدولة الانكليزية في الحرب التي لهم لانهم ليسوا باهل
لما اضرتهم ثم احدثوا استقلالا دونهم برضاء الدولة الانكليزية ولا زالوا تحت حمايتها
وبقية سواحل البحر مجهولة الى الآن وهكذا جهة قطب جنوبي واكتشف الروسيه
منذ اربعين سنة على ارض في تلك الجهات واسعة ولم يروا فيها سكانا والى الآن لم يزل
البحث على ما فيها وما وراءها وكذلك سنة (١٢٩١) اكتشف نوتية من النمسا
ارسلتهم دولتهم للاكتشاف على احوال القطب الشمالي في بابور تاه التعبير فرجعوا
بعد عامين بعد ان خلصتهم بابورة روسية عندما كادوا يهلكوا لانكسار بابورهم
بالجليد ورجوعهم في قوارب صغيرة واخبروا باكتشافهم لارض واسعة في درجة
ثلاثة وثمانين وانهم لما انتهوا الى رأس فيها سموه رأس او... وجدوا بحرا جهة
الشمال ما شاء الله عليه من الجمد لا يحصل حول البراكين الجليدية وحدس بذلك علماء
هذا الفن على ان حرارة من الكهرباء بجهة القطب يمكن معها الحياة والسكنى او بعض
المناطق المتجمدة وهو يؤيد ما قلناه في بحث الاسد هذا الكلام على الصين والله اعلم
بما خلق وذرأ وهو الحكيم الخبير

الفصل * السابع

﴿ والثمانون ﴾

وحيث قد تبين في هذا الباب احوال الممالك وما هي عليه من الاحكام والامن
ناسب ان نذكر هنا خلاصة في اسماء الممالك ومواضع بلدانها وعدد سكانها وكمية
عساكرها وعدد سفنها الحربية ومقدار دخل حكومتها ومقدار خرجها وكذلك كمية اسماء
الدولة والخارجة بعنوان المملكة وكم على حكومتها من الدين وكمية ما مد من طرق
الحديد ومن السفن بذلك دون الممالك ومرتبها في الاعتبار وهي بيان لتفاصيل جهاتها
من عدة مواد وتنوعات كلها في سنين متقاربة من سنة (١٢٨٨) الى سنة (١٢٩٧)
بحيث لا تتجاوز العشر سنين واعتمدنا على هذا لان الاعداد المذكورة في الاغلب
يتغير بعضها بطول المدى لكن في الاغلب لا تتغير في اقل من عشر سنين الا بامور
جزئية الا ان يطرأ على مملكة من الممالك حادث غير عادي بحرب هائلة او غيرها كما انا

لم

لم نعتبر فيما نقلناه الاعداد القليلة بالنسبة الى ما يقتضيه كل نوع من الانواع المذكورة لعدم الجدوى فيه بالنسبة لما نحن بصدده سيما وكثير من تلك الانواع هو من اصابه فيصعب ربالتدقيق الا في بعض مواد في بعض المبانات

﴿ جدول احصاآت المالك ﴾

﴿المقصد﴾

﴿وفيه أبواب﴾

الباب * الاول

﴿في سبب سفري﴾

﴿فصل﴾

قد عرض للعبد الفقير السفر الى أوربا ثلاث مرار الى هذا التاريخ وهو سنة (١٢٩٧) فاما في مرتين وهما الاولتان فكان السفر لاجل التداوي فقط على ما سيأتي بيانه واما المرة الثالثة فكانت لما ذكر ايضا واشغال سياسية أوجبها الوزير ثم عند رجوعي من هاته الثالثة نقض المذكور عزله وحملني على مفارقة الوطن حفظا لما يوجب الله على حفظه فوجهت القصد الى أداء حج المفروض وتشرفت بزيارة أعظم الرسل (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آله الكرام وخلفائه الاعلام وأصحابه الفخام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) ثم استقررت بالسلطنة العلية العظمى ثم سافرت الى أوروبا رابعا سنة (١٢٩٨) وعدت الى الاستانة وسنفرد كل مملكة شاهدتها بباب خاص نذكر فيه أحوالها وما شاهدته فيها كما اني في هذا الباب اذكر المرض الذي حملني على السفر وما فعل في التداوي شرحا وما عولجت به وحيث كان لاصل النشأة والاقليم دخل عظيم في اصلاح كما ذكره الاطباء المتقدمون والمتأخرون لزم أن نذكر طرفا من حال النشأة ونفرد كل قسم من هاته الامور بفصل خاص والله المستعان

فصل

﴿في نشأتي﴾

اعلم ان نهاية ما اعلم من نسبي هو ما يذكر وهو اني محمد بن مصطفى بن محمد الثالث ابن محمد الثاني ابن محمد الاول ابن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم وهو الجد الاعلى قدم الى تونس عند قدوم سنان باشا وزير الدولة العلية مع العساكر العثمانية لفتح تونس من يد الاسبنيول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ثم اقام بها وتزوج بابنة ابن الابار أحد وزراء الاندلس وعقبها صاحب القصيدة التي استغيث بها على لسان

صاحب

صاحب الاندلس سلطان المغرب للاندلس عند قدومه عليه مستنصرا من عدوه
(ومطلعها)

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

ثم تناسل منه الى حسين الاخير مفترقين في سلك الوظائف العسكرية او الملكية مع
التحلي بالآداب العلمية فتزوج حسين هذا ابنة طاهرة من ذرية المولى الشريف سيدي
(حسن الشريف الهندي) انتهى رضي الله عنه وبارك في آل بيته العامر السعيد
الى قيام الساعة وولدت له محمد بيرم الاول ومنه دخل النسل الى سلك العلماء الى
الآن وارجو من كرم الله ان يديم ذلك في أعقابنا ما قدرهم بالوجود واستعمل العلم في
هذا البيت ولله الحمد حتى سمعت من شيخنا العلامة شيخ الاسلام محمد بن الخوجه يورق
جدي محمد الثاني بقوله ابو يوسف الثاني وموافات هذا الجد تشهد لشيخنا بصدقه
وكذلك بقية علماء بيتنا [illegible] عدة قطع متعددة وتقلدوا في الوظائف العلمية الى
رياسة الفتوى وتلقب منهم اربعة بشيخ الاسلام ولما تأهل (والدي قدس الله
روحه) للزواج زوجه أبوه بابنة وزير البحر محمود بن محمد خوجه وولدتها من بيت
العمادي الشرف المعروف وقد الف الجد محمد بيرم الثاني تأليفا في التعريف
بنسبه الجثماني والروحاني بالرفع به الى نفسه والعبد مذيل عليه بذكر من لم يحوه ذلك
التأليف من فروع هذا البيت وما ذكر في هذا الفصل انموذج منه وكانت ولادتي
في سنة (١٢٥٥) ثم اشتغلت بالقراءة والتعلم متمرنا الى ذلك الى أن وليت خطة
التدريس سنة (١٢٧٨) وكذلك مشيخة المدرسة العنقية ولم يكن لي هم بشيء من
أحوال الدنيا الا مطالعات الحوادث السياسية الداخلية والخارجية الى ان توفي
والدي رحمه الله ونفعه سنة (١٢٨٠) فاضطررت الى دارة خزائنه ولم يكن لي الا محض
الوداد مع سائر السكان لبعدي عن مواقع التحاسد بينهم وتحري للحفظ حتى ان خطة
التدريس والمشيخة المذكورتين انما قبلتهما بعد الالحاح عند وفاة عمي شيخ الاسلام
محمد بيرم رابع واضلال الخطتين المذكورتين بسبب موته حيث كانت مشيخة المدرسة
اليه وانحلت وظيفة التدريس بسبب انتقال صاحبها الى ما فوقها وصاحب ما فوقها
ترقى الى مشيخة الاسلام وهو شيخنا العلامة محمد ابن الخوجه المشار اليه آنفا وبقيت على
ذلك مرتاح البال سليم الوداد الى ان ولي الوزارة الكبرى بتونس الناصح الامين خير
الدين باشا وتعاطى الحكومة الشوروية في اجراء العدل فرأى اجتهادا منه في [illegible]

المتأهل للحفظ ان يستعين بالعبد في بعض الخطط حسن ظن منه فلم يسعني الا مساعفته لما كنت منه على علم من توغله في حب العدل والميل الى القوانين والشورى حتى كان أول ناشر لمفاخرها في قطرنا بتأليفه اقوم المسالك مع تمنعي سابقا عن كل وظيفة لما أعلم من خمول الانصاف وظهور الاعتساف وعندما غلب على الظن حصول لعدوى بولاية الشهم المذكور أجبت استدعاءه وقلدت رياسة جمعية الاوقاف التي هي من مبتكرات الوزير المذكور في تونس اذ رتب قانونا لها يحفظ الاوقاف وينظم ضبطها لم يسبق اليه فاستعنت الله وبذلت مقدوري للوفاء بما عهد الي ثم ضم الى ذلك ادارة المطبعة وهكذا دأبت ما استطاعت غيرتي في ذاتي نفحات من الانفاس الذكية والبدنية ما لم تحمله نفسي بل وكذلك الحالة المالية لان المرتب الذي جعل لي وان كان في نفسه نظرا للبلاد وافرا لكنه كان غير واف بما اعتدته من المصاريف التي كنت أحصل على الوفاء بها من دخل أملاكي ومعاطاة تجارتي ولما استغرقت الوظيفة الاوقات للقيام بها حق القيام تعطل المدخل السابق فوصلت الى الاحتياج بل وطالما صرت أبيع من كسبي شيئا بعد شيء للوفاء بحاجات المعاش ولا اعد ذلك منا في حب القيام بحق الوطن بل اني أحمد الله تعالى على ما أنعم

فصل

في مرضي وما عولجت به حيث كان فصل بيتنا متوارثا فيه ضعف الابدان وكثرة الاسقام حتى قال الجد الثاني في تأليف سماه الثمار الجنية بعد الكلام على اقرانه شرح صدر الشريعة على الوقاية والسبب في طول مدة قراءته له كثرة ما كتب على مباحثه المهمة من التعاليق المختصرة والمطولة مع الشغل بحفظه القصر والضعف البدني الى ان قال فانا أهل بيت باض السقم في بيتنا وفرخ وشوى وشاع فنسأله سبحانه ان يجعل ما فاتنا من القوة في ابداننا قوة في ديننا وان يعافينا ويعفو عنا ويمن علينا على الاسلام بلا محنة انه جواد كريم وقد كان الجد المذكور مبتلى بمرض عصبي أعيا علاجه أطباء زمانه الى أن حصل له ارتعاش في أصابع يديه وهو مع ذلك يطالع ويؤلف الى أن توفي سنة (٢٤٧) وهو ابن اربع وثمانين سنة لا يفتر عن التحرير والمطالعة قدس الله ثراه كما ان والدي رحمهما الله ونفعنا كان بها من الاعياء معتريها بكثرة في

ركبتيها وهو من الامراض العصبية وكذلك كان بها مرض عصبي في معدتها فلما
تقدم كان مزاجي منهما المرض العصبي لانه من الامراض التي يجري بها التوارث ولما
شققت على الاشتغال له كبره وتعبدني وكانت طبيعتي في اوائلي مائلة الى الحرارة واشتد
حرقي في الصيف كنت استحم بالماء البارد بعد انتهاء شغل نحو سبع ساعات تقضيها
للنشاط والارتياح للاستعداد بذلك على الاشتغال عشية وتكررت ذلك مرتين او ثلاثا
وبعد آخرها احضر لي وجع شديد بكدة لا يطاق يبتدئ من فم المعدة ثم يمتد الى الجنبين مع
مصاحبة الاسهال وتطول مدته من الساعة الى الساعتين وتكرر ذلك مع شدته ولم
ينجع فيه شيء من علاج اطباء البلاد مع تنوعه وكثرة اجتماع الاطباء اليه بحيث لم ابق
وصادف من مشاهيرهم لم احضره فرادى ومجتمعين وعندما ارسى عليه صلحهم هو استعمال
الملح المسمى بكلورتو مرونا الذي يستخرج من روح [illegible] ويستعملونه محلولا في
الماء المقطر وزن بعض قمحة من الملح المذكور اي عشرة من مائة من غرام واحد
في ستة غرامات من الماء المذكور ثم اوزن منه حقنة صغيرة تعمل عن ماء واحد الا ربعا
من الماء المذكور ويحكمون ادخال [illegible] في رأس ابرتها بالوسط ومنه في
[illegible] فاعدة ثم يمكثون [illegible] ثم يجذبونه الى ان ينفذ شيئا منه في
اللحم يدخلون [illegible] ويعيدونها الى [illegible] الى ان لا يبقى لا [illegible] آخرها [illegible] الجلد
ويبقى محلها [illegible] وحينئذ نعمل الماء المذكور تحت [illegible] لون الابرة وقد
تم حينئذ عمل الملاح [illegible] او [illegible] لا [illegible] الله وعاد
الحال على ذلك مع كثرة ترددا [illegible] كل يوم مرة او [illegible] يومين مرة وبعد كل نوبة [illegible]
في [illegible] ويورث ارتخاء وصعوبة [illegible] كالاعمى [illegible]
فيلزم [illegible] شدة [illegible] الى ان باب الطبيب فما اتى لا وجد في اخذ
في الالم احد عظماء [illegible] بصار [illegible] في مصر [illegible] دو روبارة
[illegible] في [illegible] مع شدة [illegible] نحو غاية اشهر [illegible] على
الحكيم الماهر لنصوح منها بنى بالسفر الى اوروبا وقد كان اشار على بذلك من قبل
الامر [illegible] غيره من الاطباء [illegible] العلاج في البلاد
الكي [illegible] رأيت من [illegible] الامر وزيادة الضعف [illegible] لي كلام [illegible]
استشارة الاطباء ووفقوه وكان قصده من السفر (اولا) [illegible] من اسباب
الضغط [illegible] من [illegible] الذي من المعدة [illegible] من اسباب [illegible]

(وثانيا) الارتسح لي من الاشغال الفكرية التي لم يمكن لي التخلص منها في البلاد (وثالثا)
الاقامة بمشاهير الاطباء الذين لا يوجدون عندنا كما سيعرف في محله وهذا الاخير هو
الذي اوجب تعييني لوجهتي الى خصوص اوروبا وسافرت حينئذ وكان ذلك في دجنبر
وجمعت بمشاهير من اطباء ايطاليا وفرنسا واستقر رأي اغلبهم وعلمائهم على ان المرض
عصبي مع ضعف شديد في الدم ومركزه ما بين اعصاب المعدة والقلب وعالجوني بالمياه الباردة
حد المنعشة بقوة وذلك بأن اضرب بها كفي القدمين ثم الساقين ثم فقرات الظهر ثم
المعدة ثم الوجه والرأس ويتم جميع ذلك في دقيقتين او ثلاث ثم تنشف البدن بخرق من
الكتان مع عنف وضرب خفيف واستعمل ثم ألبس الثياب ويداوم المشي بالمحل نحو
نصف ساعة واريد الى ان يصير البدن ويحصل شيء من العرق او دلك حوالى فقرات
الظهر بخرقة من الشعر الصلب ثم امرار اسفنجة مبتلة بالماء البارد على ذلك المحل عند
النوم مع تكبيس الاعضاء والظهر بالايدي وطول هذا العلاج بعض النفع غير ان شدة
البرد هنالك مع حرارة بلادنا في اقليمها المعتدل اوجبت على الاطباء الاشارة بالعود الى
الاقليم مع التوصية بالتحذر من الاسباب المثيرة للمرض ككثرة الشغل وربما كل
لعسير الهضم ثم تعهد الاستحمام بالبارد وشرب ادوية عديدة منها شيء قليل من
روح الزئبق واشباهه من اجزاء يسيرة من نقو قرنفل لقمع التخدير منه مدة وخف
المرض عند الرجوع الى الوطن حتى لم يضطرني الى الحسنة نحو ثمانية
اشهر لكن المرض لم ينقطع وعاكان بأي نسبة ربما اعود الى الاسباب التي لم احد
عنها بدونه عاد الالم ... وصرت للعود بالخصوص باريس التي وجدت
بها مهرة من رؤساء الاطباء وهو الحكيم شاركو وقد ورد الخبر بأنه كشف علاج
جديد من المعادن والمساعدات الكهربائية التي يسرد الكلام عليها ان شاء
الله وصورة العلاج بالآلات على نوعين احدهما مسكنة للهيجان العصبي وهي آلة
مركبة من ثمانين اسطوانة مقسمة الى قسمين كل قسم يشمل اربعين اسطوانة ويوضع
كل قسم فوق القسم الآخر وكل اسطوانة مركبة من طبقتين احداهما نحاس
والاخرى روح التوتيا المسماة بزنك وانشيه دقيقة من الورق وفي مركز كل اسطوانة
عمود من سلك حديدي يحركها وتصل الجميع عنقه من الكاوتشو ويغمس الجميع
في ماء مخلوط بالنشادر وهذا الغمس لا يلزم في كل مرة بل اذا حصل ضعف في عمل
الكهرباء ثم يخمد من القاطر ويوضع في صندوق من خشب بداخله صفيحتان من

الفولاذ

الفولاذ موصلان للكهربائية بسطح الطبقة العليا وفي هذا السطح بيت ابرة ومسامير من
نحاس مسطحة الرأس منقوش عليها أعداد من عشرة الى اربعين وهكذا شمالا
وعمودان قصيران مثقوبان بهما تدار على مركزهما ويوضع موصلاهما على حد
المعلوم من المسامير المذكورة على المسامير اليمنى واليسرى على المسامير الشمالية وعلى
بيت الابرة صفيحة من خشب وعند ارادة العمل بهذا الصندوق المذكور يلزم وضعه بحيث
يكون طرف الشوكة المتحركة على بيت الابرة متوجها جنوبا وشمالا ثم تدار اليدان لتحريك
القوة الكهربائية وتوضع احداهما على أحد الاعداد المناسبة لقوة الهيجان وقوة
المريض ايضا وهكذا الاخرى بحيث لا يبلغ بهما الى نهاية العدد من الجهتين التي هي
درجة الغليان في القوة الكهربائية لان ذلك يخشى منه من لصاقه على الانسان ثم
ويوجد سلكان من الفولاذ محكم اطرافهما بخيوط الحرير حتى لا يبدو منهما أقل جزء ويوضع
كل منهما في احد العمودين المثقوبين ويحكم ربطهما كما هنالك بلوالب وفي رأس طرفيهما
الاخرين شبه ختم من معدن ملفوف في خرقة تبل بالماء المحلول لتوصيل الكهربائية
وكل من تخليه يمين مثبت بيكه المعدن ويسمى احد السلكين بالموجب
والاخر بالسالب تبعا لنوع تيار الكهربائية والموجب هو الذي تكون به الدورة
من جهته في درجة اعلى من الجهة الاخرى واذا اتفق تماس طرفيهما او اتصالهم
بوصل بينهما رأيت الابرة في بيتها تضطرب عيانا وهي لا يشتد اضطرابها بل بحسب على
حسب الدرجة المحمولة عليها قوة الكهربائية واذا حصل شلل في المريض يوضع الختمان
على المريض بقرب العضو الاشل على هيئة التقابل بين السلكين ففي بضع ثوان يمكن
الهيجان بأعصابه من غير ان يحس المريض بأدنى حركة او الم ويسمى هذا النوع من
الكهربائية الساكنة وهاته الآلة من اختراع كشاف طاروقية وعندما كان
يعتري المريض بالدور ضيق الصدر كان الحكيم يضع الختم الموجب على الصفحة
ما كان السالب على الجهة بعيدة من أحد طرفيها الى الطرف الآخر فكان اذا قرب
من الحاجبين أري كان العرق يتحرك من عيني متواليا ويلزم ازالة السلك شيئا فشيئا بأن
يرفع بعض أطرافه ثم ثم الى ان ينفصل جميعه واما الآخر فينفصل دفعة واحدة والآلة
الثانية للكهربائية هي آلة لتقوية الدم والاعصاب وصورتها مربع من خشب عليه
اسطوانتان من البلور مركوزتان على قطع من الكاوتشو (هو نوع غروى يحصل
ويتصلب مستخرج من صمغ الاشجار) غير ان احداهما محيط بها الكاوتشو الى نحو

الثاني منهما والثانية الى محور مربع ويوجد عليهما السطح قطعة عظيمة من النحاس حاوية
الوسط وفي أوسط كل من الاسطوانتين البلوريتين رباط من نحاس وبه موضع لوضع
قطب أحد الدائرتين الآتي بيانهما وهذا القطب وسطه مجوف وظاهره كاوتشو يتصل
بدائرة سميكة جيدة من الكاوتشو أيضا وأحد طرفي قضيب الحارق للاسطوانة البلورية
متصل بدائرة صغيرة من نحاس كما أنه في محور الربع السفلي من الاسطوانتين موضع
لقطب دائرة مثل تلك الكهربائية من البلور ومسامير كردها على القطب من الكاوتشو وبقية
قضبان من نحاس واحد طرفه طرفها الحارق الاسطوانة البلورية متصل بدائرة من خشب
لها يد تدار بها وعلى حد نهايتها على الوضع مثل من جهة مركزية يتصل بينها وبين
الدائرة النحاسية التي فوقها المتصلة بنصف دائرة الكاوتشو وسورها حاملة لدائرة
الخشبية محور كل من دائرة البلور ودائرة الكاوتشو ثابت وضعوهما بين الاسطوانتين
وتمد احداهما على الاخرى نحو اصبع عرضا ومركز الكاوتشو أعلى من مركز البلور ثم
ان دائرة البلور تحتك بها آلة فوق وسادتين لاصقتين في خشبتين وسادتاه
محشوتان بالشعر وطولها بقدر نصف قطرها بعضهما او بعدهما وتلتصقان بجانبي
الدائرة البلورية بينهما بحيث يلتصق بكل من سطحيها احداهما حتى اذا دارت حصل
حك بينهما وبذلك كل الوسادتين تغشى بحجر من الكهربائيات متحولة لاجل حدوث
الكهربائية ثم يتصل باحدى الاسطوانتين البلوريتين عند مركز قطب الدائرة قوس
من نحاس متحرك ومتنازل بحيث ان ذاك يتصل طرفه بالاسطوانة الكبرى النحاسية وفوق
هاته الاسطوانة حلقة من جنبها خارجة من رأس الاسطوانة البلورية يوضع فيها رأس
قضيب من نحاس وذلك رأس منحني لا يمكن ان يخرج من الحلقة وهو رأس القضيب طوله
أربعون ثلاثة أقدام وجميع تلك الآلة توضع على مائدة من خشب مرتفعة على
الارض نحو ذراعين ونصف بأرجل متينة لا تضطرب عند ادارة الآلة ويكون وضعها
في محل خالي من الندا بعيد الهواء بعيدا عن الاشجار والعرض وعشرة أو اثني عشر
ذراعا ووضعها هي في المحل بقرب بعيدا عن الحيطان في الاقل ذراعين واذا كانت
الكهربائية ضعيفة يربط برجل القوس عند الاسطوانة بلور سلسلة من أي معدن
وجد ويربط طرفها الآخر بحائط ويوضع كرسي أرجله من البلور لتبعد عن
الآلة بقدر ذراعين ويوضع عليه حرف القضيب السالك في الاسطوانة النحاسية
ويجلس على الكرسي المريض وتدار الآلة اما باليد او بالبدو ويقع القوس النحاسي

وعند

وعند ذلك يمتلئ الجالس بالكهرباء من غير أن يحس بشيء الا اذا قرب منه جرم معدني
بمقدار يسير فيه وبين الجالس شرر يشبه البرق ويحس به الجالس ضربا واخزا لكنه
لا ادمية له وزيادة لدواء يأخذ الحكيم عصا من نحاس وبيده التي يمسكها من البلور
وفي أحد طرفيه بواسطة سلسلة معدنية متصلة بالارض وللحذر من مس الحكيم سلاحها
جعلها مقبضة من النحاس موصولة بيد من البلور يمسك الحكيم بيده اليسرى لئلا يبعد
جرم السلسلة عن جسمه من غير تعطيل لحركتها واتصالها بالارض حيث كانت تمر
في حلقة الواسطة ثم يصوب رأس القضيب الذي بيده وهو مخروط محدب صوب
المريض الجالس على الكرسي على الجهات التي هي محل الألم وحينئذ ترى شعلة
من النار زرقاء المنظر خارجة من رأس القضيب ويحس المريض بريح باردة واصلة
اليه وان قرب منه القضيب خرج الشرر وتارة يعوض رأس القضيب بكورة نحاسية
توصل به وتارة يعوض بكورة خشبية متعددة الانواع من صلابة الخشب ورخاوته
لان الصلب أشد كهربائية ويستعمل من ثلث الانواع على حسب قوة المريض ويدام
العمل من خمس دقائق الى عشرين دقيقة تدريجا مع تأنس المريض ونشاطه وحصل
لي بهذا العلاج مدة أربعين يوما نفع عظيم ولكنه تجدد كاد ان ينقطع به الألم بالمرة
لا لكن قلة الاعتناء بها وعند الرجوع الى الوطن اكد على الحكيم الحذر من الاسباب
وتعهد العلاج المذكور وشرب مقدار صغير من محلول الذهب لدى بان اشربه ايضا
من ست قطرات في نصف كأس من ماء الى خمس عشرة قطرة بالتدريج قبل الاكل صدورا
ومساء وعند النوم فكنت استعمل آلة الكهربائية الدوائية التي ظهر نفعها غير ان الاطباء
اوصوني على عدم ملازمتها دواما من تأنيس البدن ولذلك تركتها مدة ثم لما كنت
شربت المياه مستحماتها والعرق يتهادى من الآلة التي عند الحكيم في باريس ان
ي أخذتها تدريجا باليد والاخرى تدريجا بالبخار لكثرة استعمالها حيث يصحبه كثير من
وأما التي عندي فتلحق فيها بيد لادمي اذ لا يدوم العمل بها اكثر من عشرين دقيقة في اليوم
ثم عند تركي للعلاج بها مدة كنت أخاف من اشتداد الألم الذي تظاهر بخيلة من
حدوث بعض الدوار والارتعاش والخفقان الذي هو من علامات الهيجان للنوع الثاني من
المرض وهو عبارة برد شديد في الاطراف وصعوبة في النبض مع ألم عام لا أقدر أعبر عنه
ولا أعلم محله اين هو مع ارتعاش في الاعضاء وحصر في الريق وصعوبة في ابتلاع
الريق واضطراب وضيق في النفس وهذا الهيجان لا تنفع فيه الآلة المكهربة الا اذا كان

شديدا واما اذا كان خفيفا فلا ومن عجيب عوارض هذا النوع من الهيجان شدة السمع
حتى كنت أسمع اخفى الاشياء البعيدة التي لا يسمعه الحاضرون معي مع التأذي من شدة
صوته عندي وصلابته اذا كان الصوت قريبا مني حتى يترجم من حدة عندي السكوت
وربما تأذيت من صوت نفسي وهكذا الشم فقبل حصول الهيجان كنت أشم ما لا يدركه
أمثالي لكن وقت الهيجان يصيبني زكام مفرط وربما انه اذاية لا يسكنها ولا يمكن
الحمية الا بعده وهي أشد على من هيجان الوجع ولذلك كنت أستعمل عند تعطيل
اشاهد بالالة الملاحية شرب ماء الذهب المذكور وقد قلت للحكيم عند وصفه
هذا الدواء انه من تجربتنا هذا الاعصار أن كل الذهب انقوى معلوم عندنا وقد كان
الامام ابن عرفة في المائة الثامنة والتاسعة يرد كل يوم بندقيا (البندقي نوع من سكة
الذهب منسوب الى البندقية وزنه نحو نصف دينار ذهبا) على دجاجة ويطعمها جيدا
ويأكلها وقال البندقي كثير وقلت له حيث ان الذهب غير محلول فلا يأخذ منه البدن
الا مقدار ما تحمله المعدة وما عداه يذهب في الفضلة فقال هو على كل حال فلو هذا
المضمر فصل في الاقتصاد لم يعني الا التسليم وهذا العلاج بالمعدن كنت استعمله قبل
السفر ثانيا لكن على ظاهر الجسد وذلك بأن يوضع شيء من أحد المعادن كالنحاس
ويجعل منه نحو سوار فاذا دار في المريض ابتداء نوع ملايم دليل عليه والا يبدل بمعدن
آخر وقولي ان كنت الطبيب مساوي ولم التفت الى قوله الى أن أصغى لي بعد الحكيم
شاركو امر مساوي وحوته فوجده صادقا فاعانه من مجلس من اطباء باريس وصار
معمولا به عندي ووجدت قريبا بين المكنيطية اي حركة الى اطباء الباريس كسنة ونحو
ومن مآثر الطبيب باريس فات الاول كان يستعمل المعدن ويبقيه اياما وكل
المعادن التي جربتها لم توافق سيما نحاس فانه يحدث لتحسير الا الذهب فما جربته ابدا
حتى تحير وعيت أعصابي وكان العرق الذي يأتي من الألم حارا على خلاف ما كان
من برده ولما أعلمت بذلك الحكيم شاركو أن السبب المباشر هو فعل وأن يجرب
المعادن فأعطاني ميزان القوة وقبضت عليه بجهدي وقيد الدرجة وكذلك علم ميزان
النبض ثم أول ما بدأ به من المعادن معدن المغنطيس وهو على هيئة قطعة من حديد
موضوع على ماسة واصبعه مدراي لأعلى ويحمل واصلا بينه وبين البدن قطعة من
ورق فما لبثت نحو دقيقتين الا وحصل هيجان عظيم في الارض حيث منه وكان تادي
مجلا باستعمال حقنة تحت الجلد ... السبب واستعمل الالة الكهربائية لساكنة

المار

البارد كرها لفصل السكون حصل الله وتبين ان ذلك لبدن غير ملائم وهو نظري
ووافقني عليه الحكماء ركوا وان كان الطبيب خبيرا ويرى انه موافق حتى انه لما
احدث تأثيرا دل على تأثير البدن منه لكني أقول ان البدن يتأثر منه بالضرر
لا النفع ولم أعد اليه ولا لغيره ذلك اليوم حذرا على البدن من كثرة الاضطراب ثم جربنا
الصابون وهو ايضا عبير ووافق كما تقدم غير انه لم يحدث شيئا كما جربت له صحة
فلم توافق ولم تصادف بدليل موازنة بين القوة والنبض ثم جربته للبدن فكان ملائما
لحرارة البدن وزيادة القوة ونشاط النبض ولذلك استقر الرأي على عمله لكن
لا يكتفي فيه بالاستعمال على ما هو عليه وقته بل بالتمرين ايضا في نحو ما تقدم وكل
ممن كان تجربته في يوم خاص كما علمت قبل الصدر الثاني بعلماء الامور وبواسطة
باشرة طبيب كبير وفوورا في كميته واوقاته كيفية رآها الطبيب تقتضي كثيرة
فلما استعملتها مع او طبيه اكثرت على اليوم حتى كدت ان اكون ما غسلتان
واربعين ساعة غسلا والمقدار هو قدر مقدار نصف كل ساعة من الماء المذكور وبعد
رجوعي من باريس والعلاج بالكهرباء على نحو ما مر ثبت على المداومة وبه تجدد
عام لسنة ايام حيث ترك كثيرا الاتعاب العسكرية والمدنية وحوادث في البلاد اوجب
جميع الى سفرنا الى باريس والاشتغال بعمل المدرسة مع مصاحبة الاتعاب
العسكرية وحب عدم تدفع العلاج السابق ولم يحصل الانتفاع ما لعادت بعد فراغ
المشروع وحدث خلل في الوطن غير العالي واخلاق الحكومة ونشأت اوربا
بخصوصه غير مائز كنه عليه كأني انبت شيئا عن غير امر وتحقق لدي ما كنت ارجوه
من الدوام لكل ناصح أمين عن عدم تعالي عن سوء الاعمال كما سيرد شرحه ان شاء الله
تعالى وعزمت على التوجه لبيت الله الحرام ملتجئا الى الرسول عليه الصلاة والسلام
لكشف الضر الخاص والعام وفزنا بحمد الله بالمرام ولازلنا نؤمل الفتح مما تعلقنا به
فيه ومنه حسن الختام

فصل

(في حكم التداوي شرعا)

اعلم ان التداوي مندوب بالحديث والقرآن عظيم كما في (قوله تعالى يخرج من بطونها

شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) ودلت الآية الشريفة على أن العسل دواء
للآلام يشفي منها كما بينه الحديث الشريف الوارد في صحيح البخاري وغيره من
قصة الصحابي الذي قال (للنبي صلى الله عليه وسلم) إن أخي يشتكي بطنه فقال له (صلى
الله عليه وسلم) اسقه عسلا ثم عاد وأعاد الشكوى وأعاد له (صلى الله عليه وسلم) صفة
الدواء ثانيا ثم رجعت الشدة أيضا ثالثا وقال الصحابي قد سقيته وما زاده إلا استطلاقا
فقال (صلى الله عليه وسلم) اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك وفعل الصحابي
وشفي المريض ومن الحديث يؤخذ أن شفاء الناس هو تقديمه لهم من أمراضهم حيث
قال صدق الله أي في قوله فيه شفاء للناس ثم يدل الحديث أيضا على أن استعمال
الدواء لابد فيه من مقادير وأوقات ولذلك أمره بالتكرار لأنه تعالى كما أراد في حصول
الشيء سببا في المرض أراد في خصوص مقداره وأوقاته وعليه ينبغي أن يستعمل الدواء
إذا لم ينفعه في المرة الأولى ولعله لم يكن هو المقدار الكافي لما يستعده بدن
المريض والله سبحانه وتعالى حكم في الأشياء لم تصل عقولنا للاطلاع على تفاصيلها
فيلزمنا اتباع عادات العادة والتجربة على حصوله سببا لاستدعاء مقتضى الحكمة الربانية
ومن ادعى عمل الأشياء بالطبع لا يسعه إلا أن يعدد ما يختار به سوى أن ما دام كان معها
كذا وإذا عاكس قرينه إلا إذا كان ذلك المانع وهكذا كل لهم كلام يعززون من أول
الأمر فيقولون أن الشيء الفلاني يؤثر كذا بخاصية حدثت له في ذاته ثم يعكس لهم به
التماثل الأولى والحق أن ذلك جميعه بخلق الله وجعل بعض الأشياء أسبابا عادية
يخلق عندها ما أراده بسابق حكمته وبما تقدم أحسنت الآية على جواز استعمال
الأدوية نوعا ووقع الخلاف في جواز استعمال المحرم دواء ووقع الخلاف في الترجيح عند
الحنفية ومحل الخلاف هو ما إذا تعين الشفاء في خصوص ذلك المحرم ولم يوجد شيء آخر
حلال يقوم مقامه أما إذا وجد فلا يصح (حينئذ) والقول بالإباحة يستدل بالضرورة
وأنها مبيحة للمحظور فيكون كالمضطر من الهلاك جوعا في أكل الميتة ومقتضى تجويزهم
الكتابة بالدم على جبين صاحب الرعاف الذي ينقطع عنه هو ترجيح التداوي بالمحرم
لأن الكتابة بالدم ليس إهانة للحروف ولا سيما إذا كان من أسماء الله وذلك محرم قطعا
وأعطاه للضرورة ولا يكون إذ ذاك حراما والذين يحجبون من الترجيح بقوله (صلى الله
عليه وسلم) لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم فإن الشيء إذا تعين فيه الشفاء يرتفع عنه
التحريم وبيان هذا المعنى هو أن يقال إن الأشياء المحرمة إنما حرمت لما فيها من المفاسد
والمضار

والمصير للمخلوق لانه تعالى منزه عن الاحتياج لشئ وكلما ورد به الشرع فانما هو
لمصلحتنا المنافعة فنؤمر به اولما بضررنا فننهى عنه وحيث لم يكن في طوق عقولنا
الاحاطة بعلم جميع ذلك لان بعضه يتوقف على علوم تشيب المراد وهو نعلم ان خالقنا
الرؤف العالم بنا ورسوله هو الرؤف الرحيم بخلق الله ونحن على يقين من ذلك وتبعه الحمد
فما علينا الا ان نتبع ما شرع لنا وقيل ونعلم ان ذلك هو الصالح بنا كتسليم الابن
لابيه العاقل وتسليم الجاهل لنصيحة الخبير من غير بحث عن موجب تكاليفه مع ان المشبه
به يمكن فيه حصول الاعلام بالبواعث ، بل انه ترك حذرا من فوات الغرض واطالة
الامر بخلاف المشبه وقد علمنا بعجز عقولنا عن ادراك جميع مصالحنا بتمامها ولذلك
ما امكن ادركه قلنا انه معقول المعنى وما لم ندرك علته قلنا انه تعبدي والكل
معقول في نفس الامر فالذي يحرم اذا اضطر للتداوي به ليس المعنى انه يرتفع الضرر
الذي حرم من اجله بل ان ضرر الحاصل الذي يراد دفعه به اعظم من الضرر السابق
فيرتكب اخف الضررين كما هي القاعدة الشهيرة فحرمة الخمر مثلا لتوقع مؤديه الى افساد
العقل اذا غص الانسان وخشي الهلاك جاز له شربه لدفع الهلاك الذي هو اعظم ضررا
من توقع مؤديه لافساد العقل ولا يقال انه على هذا يلزم التوقف في كل جزئية على علم
مفسدة هذا المحرم الذي اريد استعماله وموجب اجله ومقايستها بالمفسدة التي يراد دفعها
به مع انهم صرحوا بعدم علم جميع والمطلوب بالجواز لم يخصص وما علمت مراتبه وتبين
بينها لانا نقول ان قواعد الكلية في مثل ذلك كافية في حصول المقصود وقد علمنا منها
حفظ النفس هو ثاني مرتبة بعد حفظ الدين وجميع الاشياء المبحوث عنها آيلة الى حفظ
النفس من الهلاك والهلاك اعظم مفسدة ومضرة من كل ما يمكن ان يكون في الاشياء
المحرمة من اسباب التحريم الراجعة الى اجزاء خاصة من النفس كالعقل مثلا فيقدم
حفظ النفس جميعها عليها ولا يمس ذلك الدين لان محله القلب اي الروح التي هي محل
الاعتقاد وذلك لا يخرج منه الا عند حلول فيه كما هي العبارة المشهورة ولذلك صرح
الفقهاء بانه لا يفتى بالردة مطلقا حتى يثبت اضطراب العقيدة والعبادة بالله ولو صرح
في الفتاوى ببعض اشياء انها مكفرة فلا يعول عليها ام نجمع لشعائر الظاهرة فهي
من الدين ايضا ومنها حفظ النفس وقد علمنا من الشرع تقديمها على كل ما سواها
الا الاعتقاد وحده فانه يجوز تلاوتها في القتال على الدين وهكذا على شعائره فانهم صرحوا
بان من تركوا جماعة الاذان يقاتلون حفظا للدين وتقديما له على النفس لكن ذلك

اذا كان منبعثا من الاستخفاف الراجع للاعتقاد مادامت بحب التأويل أو لعدم المنبئ عن
صحة الاعتقاد فلا يقاتلوا (حينئذ) ولهذا لم نؤمر بقتل تارك تحية ولو بوجوب
الامام المعصوم مع انها من شعائر الدين وعلى ما تقدم يعلم جواز الذبح لحد ذري من الحيوان
اولا مانع لانه قد ثبت بالتجربة المفيدة للقطع انه حافظ من الهلاك أو مما يقرب منه
ومن هذا الباب تجويزهم للكتابة بالدم مع انه فيه استخفاف بالحروف التي مرجعها
الدين وبيانه أن الاستخفاف محل القلب والاعمال الظاهرية دالة عليه وأحدث مقام
الحرمة بسبب دلالتها الا انها مع هلاك النفس تعارض مع ما يدل على الاستخفاف فقدم
دفع الهلاك المتيقن بسلامة الاعتقاد وغاب ذلك الدلالة لارتكاب أخف الضررين
فان قيل كيف يكون أخف الضررين مع ان الآخر مرجعه للدين وهو مقدم على
النفس فالجواب أن الدين قد علمت انه سالم وهو الاعتقاد ولم يبق الا الدلالة في مقابلة
النفس التي هي محل الاعتقاد والقيام بجميع التكاليف فلذا رجحوها كما صرحوا
به في جواز التيمم لخوف المرض في ان ذلك ليس تقديما للنفس على الدين بل من باب
تقديم أغلب الدين على بعضه لان لا سلامة لنا الا بسلامة الطهور والصلوات الكثيرة
وغيرها من التكاليف بخلاف ما اراه الهلاك فتسقط عنه جميع التكاليف المتعلقة به
فلا يسوغ له ان يسعى في ابطاله تكاليف كثيرة لاقامة عبادة واحدة فهو (حينئذ)
من باب أخف الضررين كما تقدم واعلم ان بعضهم توقف شديدا في دعوى جواز مثله
الكتابة بالدم لحفظ النفس من الرعاف (الخ) وبيانه ان صاحب الفصول العمادية
وغيره ممن نقل عنهم الشيخ بيرم الثاني في كتابه حسن النبا في جواز التحفظ من الوبا قد
صرحوا بأن تعلق الاسباب بمسبباتها على ثلاث مراتب أحدها التعلق القطعي "وهو
ما لا يتخلف فيه المسبب عن السبب الا على وجه خرق العادة كالشبع للآكل والري"
للشرب وثانيها الظني "وهو ما يكثر فيه ارتباط المسبب بالسبب وقد يتخلف نادرا ومثلوا
له بالادوية مع الامراض وثالثها الوهمي "وهو ما لا يرتبط فيه المسبب بالسبب الا نادرا
ومثلوا له بالكي والرقى مجمعين على ذلك وعلى انما اختلفوا فيه هو ان تعاطي القسم الثالث
هل هو مخالف للتوكل أم لا واحتج صاحب حسن النبا لكونه غير مخالف للتوكل
راد على صاحب الفصول بثبوت الرقيا من (النبي صلى الله عليه وسلم) وكذلك الكي
فليراجع ما أطال به هناك فأنت ترى أطباقهم على جعل الرقيا من الموهوم وما تقدم
من الكتابة بالدم للراعف ليست هي الا رقيا فكيف ينطبق عليها شرط جواز استعمال

يحرم

المحرم وهو نعمته لاشفاء وأين التعين من الوهم وكيف يقدم على أمر محرم بإجماع لأمر
موهوم فعلى الآخذ للأحكام الشرعية التثبت وعدم الاغترار بما قد أصبحت درجة
المفتي لكي لا يضل ويضل بغير علم ولا يغتر بمجرد وجود المسائل في كتب بعض المتأخرين
فكثيرا ما زلقت الأقدام من بعضهم فنقلوا عنه غيره كأنه المذهب الذي عنه لا يذهب
والله يعصم المسلمين من مزالق الشبهات وكان منشأ ذلك القول هو ما قاله صاحب النهاية
في بحث جواز التداوي بالمحرم إذا تيقن فيه الشفاء وسبق لذلك مثالا وهو جواز كتابة
الفاتحة بالدم للراعف على جبينه وأنفه لكنه قيد ذلك بحصول العلم الذي هو اليقين
وذلك على معارض الفقيه أن يدل زعمه القول حيث قال وبالقول أيضا أي إذا حصل
العلم ومن المعلوم أن الفقهاء يصورون المسائل ولو مستحيلة تقريرا للحكم الشرعي
أن يصور فرض لا يقدر فيه على أسباب الأحكام وليس كلامه دالا إلا على الجواز في
تلك المسألة لأنه من قبيل العلم وقد علمت أنها من قبيل الرقيا والرقيا من الموهوم فلا يجوز
الاستناد إلى كلامه مع الغفلة عن قيده الذي هو العلم ولم نر في كلامهم من يسوغ
إطلاق العلم على الوهم وغاية ما قالوه في المسألة أن بعضهم حمل كلام حذاق الأطباء
على ما يحصل به العلم ونقل العلامة السيد ابن عابدين في حواشي الدر أن أهله من
التوسع في إطلاق العلم على الظن أقول ذلك لأن مسائل علم الطب على قسمين
أحدهما ما يرجع إلى علم التشريح وكيفية تركيب الأبدان وهي قطعية والثاني
ما يرجع إلى الأدوية ومسائله ظنية كما تقدم ثم اعلم أن تعاطي الأسباب بأقسامها الثلاثة
التي قدمت في صدر هذا المبحث هو من أعمال الكاملين في الدين ولا ينافي التوكل
على سنة وقد بسط المسألة سيدي النابلسي في كتابه حسن النبأ المشار إليه وحققناها بما
كتبناه على باب لا يلدغ (المؤمن من جحر واحد مرتين من البخاري) وخلاصة الكلام
أن العمل بالأسباب مع التوكل على الله في نجاحها هو المشروع ومخالفة ذلك سوء أدب
مع الخالق جل وعلا فيعصي الإنسان من حيث يظن أنه يطيع وقد صرح بمثل ذلك
العارف الشعراني في المواثيق والعهود حيث قال إن التوكل لا يشرع إلا مع الأسباب
أو عند فقدها أما مع إمكانها فهو كالعاصي و كلامه (رضي الله عنه) يقين الوجه
في الفرق بين حالتي (النبي صلى الله عليه وسلم) مع صاحبه الصديق (رضي الله تعالى
عنه) فإنه (عليه الصلاة والسلام) لما هاجر إلى المدينة اجتمع قريش على أذيته
لم يكن له (عليه الصلاة والسلام) من الأسباب الحامية منهم مع كثرتهم وشدة عداوتهم

واتفقهم إلا الاعتماد على أمر الله له بالهجرة ووعده له بإبلاغه إلى المأمن وانتصار
الدين وظهوره لما بادر واختفى في الغار مع صاحبه (الصديق رضي الله عنه)
وخرجت قريش في طلبهم ووصلوا إلى الغار ولم يكن لهم مانع ما من رؤيته ولدخول
إليهم مع شدة حرصهم على ذلك كان (سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه) خائفا فزعا
يدعو الله (والرسول عليه الصلاة والسلام) مطمئن بما وعد له ما أخبره الله به لا تحزن إن
الله معنا وفي غزوة بدر لما أعد (الرسول صلى الله عليه وسلم) العدو لعدوه الأسباب
للقتال والتقى الجمعان للصدام كان (الرسول صلى الله عليه وسلم) يدعو الله بإلحاح
حتى قال اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعدها في الأرض أو كما قال وكان (الصديق
رضي الله عنه) يقول له لا تحزن إن الله منجز لك ما وعدك من النصر ولا شك أن (النبي
صلى الله عليه وسلم) أكمل حالا من جميع الخلق فكيف اختلف حاله في الواقعتين مع
أن ظاهر الأمر فيهما واحد (وصديقه رضي الله عنه) فالوجه يتبين مما أورده الشعراني في
القاعدة المذكورة وهو أن حال الغار ليس فيه مجال للأسباب لم يقدموا فليس هناك
إلا التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مطمئنا لأنه أكمل توكلا وأما
حالة الغزوة فهي حالة الأخذ في الأسباب ثم التوكل معها ولا يسوغ التوكل البحت
ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مجتهدا في الدعاء لتكون الأسباب ناجحة وليس
للأمة إلا اتباع الرسول فالعمل بالأسباب عند وجودها مع التوكل على الله في
نجاحها هو المشروع ولا يشكل على هذا ما ينقل عن كثير من الصالحين من تركهم
للأسباب وخرق العادة لهم لأنه مندوم بما أورده أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات
من أن هؤلاء وإن خرقت لهم العادة لكنهم لم يخرجوا عن الأسباب لأن خرق
العادة من الأسباب الخفية واستشهد لذلك بأدلة تشفي الغليل ويشبه ما وقع
من العارف الرباني الإمام في علم الباطن والظاهر سيدي (عبد العزيز المهدوي) شيخ
مظهر العلم (سيدي محيي الدين ابن العربي) الحاتمي الذي ألف لأجله الفتوحات
المكية وخاطبه في رسالة له بقوله يا ولي فإنه قد ذكر عنه أن أحد الصالحين كان
مارا بطريق فوقع في جب فمر من السابلة على ذلك الطريق ورأوا الجب فقالوا إن
هذا الجب يضر بالسابلة لو وقعوا فيه في الطريق فأتوا بقطع ووضعوا هذا الحجر العظيم على
فمه وسدوه فعلوا من غير أن يعلموا بالصالح الواقع فيه وحصره وبيأسه من نجاتهم ثم قال
لا ألتجئ إلى مخلوق والله أعلم تعالى وبعد مرور السابلة جاء سبع وحفر حتى فتح فم البئر
وادلى

وأدلى ذنبه الى الرجل الصالح فقال ان هذا اذن من الله تعالى فقطع الذيل للسبع
وأخرجه للسبع من البئر وذهب الى حال سبيله وهو مناديا يقول قد نجيت من الهلاك
بالهلاك وسئل الشيخ سيدى (عبد العزيز) كيف يصح هذا العمل من هذا الرجل
الصالح والحال انه مخالف للشرع لان (الله يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وعدم
اعلامه هولا سالة من باب الالقاء باليد فأجاب سيدى (عبد العزيز رضى الله عنه)
بأن التكاليف الشرعية العملية هى ثانى رتبة من التكاليف الاعتقادية وذلك الرجل
الصالح علم من نفسه ركونها للاسباب وعدم صحة توكلها فقهرها حتى يثبت صحة
الاعتقاد الذى هو الدرجة الاولى فهذا كان الرجل قد عمل بالشريعة بوضع درجات
التكاليف مواضعها هذا محصل كلامه (رضى الله عنه) وبه يعلم ان كل من ارتكب
منهم مخالفة لاسباب لابد أن يكون له حامل خاص والا فهم (رضى الله عنهم) أشد
محافظة على الشريعة فلا يغتر أحد بأن أحد لهم مخالفة لمشروعية الاسباب بل يحمل
كل منهم على أمر خاص يليق بحاله وفقنا الله للاهتداء بهداهم

الباب الثانى

(فى قطر تونس)

لما كان مسقط الرأس فى هاته البلاد وهى منبت الآباء ومستقر الاجداد ونحن بصدد
التعريف والكلام على ما شاهدناه فى الاقطار على حسب مشاهدتنا لها فى التواريخ لزم
بالضرورة تقديم الكلام على الوطن الثابت حبه فى القلب الثبات الحسن

فصل

(فى التعريف بالقطر التونسى)

اعلم ان موقعه فى شواطئ افريقية الشرقية الشمالية على البحر الابيض ويحده البحر
المذكور شمالا وشرقا وطرابلس الغرب فى بعض الحد الشرقى والصحراء الكبيرة جنوبا
والجزائر غربا ويبتدئ شمالا من عرض سبع وثلاثين درجة وسبع عشرة دقيقة
وعشرين ثانية هذا عند أعظم المرامى هناك وهى مدينة بنزرت ويمتد من هناك
الى الجنوب الى ان يدخل فى الصحراء الكبيرة من غير تعيين لحدود انما أشهر المدن جهة

الحد الجنوبي هي مدينة توزر وهي واقعة في عرض اربع وثلاثين درجة واحدى عشرة ثانية وعشرين دقيقة وهذا القطر طوله من الشمال الى الجنوب اكثر من عرضه من الشرق الى الغرب فمن على ساحل البحر يبتدئ من عرض درجة (٣٧) ودقيقة (١٩) وينتهي معموره الى درجة (٣٣) ودقيقة (١٠) ويبتدئ في الطول الموسوم على باريس من طول درجة (٩) ودقيقة (٢٢) الى نحو درجة (٥) ودقيقة (٥٠) وبه رأس داخل في البحر يسمى رأس ادار وهو اطول رأس في البحر الابيض ويتصل بيقينه بقارة بالمكان المسمى دخلة المعاوين كما ان له رؤوس اخر وهي الرأس الابيض ورأس ازبيب الانسان ورأس سيدي علي المكي ورأس جبل المنار ورأس المهدية ورأس كبودية ورأس ويتبع هذا القطر عدة جزر صغيرة اعظمها جزيرة جربة جهة الحدود الجنوبية ثم قرقنة وهي امام صفاقس ثم جزيرة الكلاب والجواميس وجالطة وبه جملة احوال كبيرة احدها جون سيدي ابي سعيد وهو قرب الحاضرة وجون قابس جهة الجنوب وجون الحمامات وجون بنزرت وجون وبه ثلاث بحيرات اولها بحيرة الحاضرة وثانيها بحيرة المروقة عند بنزرت وثالثها بحيرة بين (وأم لاسرر) وليس به الا نهر واحد وهو مجردة ومنبعه من ولاية قسنطينة التابعة للجزائر وقدرها من ... قامع زيادة ... الجداول ... تنصب فيه الى ان يخرق القطر متوسطه من الغرب الى الشرق في جهة الشمال من القطر وتزداد مياهه ابتداء بما ينصب فيه من الجداول الى ان ينصب في البحر ... ولا يعمل الا القوارب الصغيرة في الصيف واما في الشتاء فيمكن انه يحمل السفن الكبيرة لا ... واذا تكاثرت الامطار فانه يفيض ... على اراضي ... وربما حصل منه بعض الضرر واما الجداول فهي ليست بكثيرة ... ولكنها ... لاغلب الجهات ومنها ما يجري دواما ومنها ما يجري عند نزول الامطار ومن اشهرها ... الجداول ... ومنبعه من جبال ... الجهة الجنوبية ويخترق ... ثم ينحدر الى ان يصب في البحر ... عن الحاضرة ... وكثير منها ... عن ... عند كثرة الامطار ... لكن لا يحصل منه ضرر ... يكون ... حيث ان ... فلا ... الكثيرة ... والعيون فليست كثيرة في عموم القطر لكنها تكثر جدا في الجهة الشمالية

الشمالية في جبال ماطر وجبال طبرقة وجبال باجة وفي الكاف عين عذبة جدا كثيرة ماء وعذوبة وبرودة حتى تقع الخضرة في الصيف بقدر ان يرفع شبا من فم الماء الجاري عند منبعه ثم تنحدر من الجبل وتنتشر في البسيط مهملة وكذلك في سبيطلة عين عظيمة وفي زغوان وجقار عيون كثيرة وبعضها وهو أكثرها مجلوب الى تونس الآن في قنوات من حديد مع آثار القنوات القديمة التي كان جلب فيها الرومان الماء من هناك الى قرطاجنة وكذلك في الجريد عيون غزيرة عذبة الماء وحارة كما يوجد بالقطر مياه كثيرة معدنية أشهرها ماء حمام الانف النابع من جبل أبي قرنين وهو ماء حار فيه عدة حمامات والماء نابع من عدة عيون أحسنها عين حمام العرباب ثم عين الحمام الكبير وله نفع عظيم لعدة امراض وقد افردت منافعه وكيفية استعماله برسالة خاصة للحكيم الكبير وترجمها وطبعها [illegible] الاول قدس [illegible] وهذا الحمام يبعد عن الحاضرة نحو عشرة ميلا جهة الجنوب الشرقي مطل على شاطئ البحر جامع للنزهة والتأنس حيث كان على الطريق العام الموصل الى الساحل وغيره من أكبرها [illegible] ودرجة حرارة مائه من (٤٨) الى (٤٩) من ترمومتر سانتي غرام الذي هو ميزان الحرارة الذي صفره من الجمد والمائة درجة هي درجة غليان الماء وكل لتر منه تزن ألف غرام وعشرة غرامات وسبعة صانتي غرام ومقدار الماء المطلق المقدر بزنة ألف غرام والغرام هو نوع من مقادير الموازين كل ثلاثين غرما بأوقية وتفصيل الاجزاء التي في هذا الماء من المعادن هو ما يأتي بيانه

صانتي غرام	غرام	
٠٠	٠٢٨	ففي كل ألف غرام من الماء الكور حامض فحم الحجر
٠٠	٠١٢	حامض المانيزيا
٠٠	٠٠٠	حامض الحديد قليل
٥٣	٠٠١	الجبس
١١	٠٠٠	ملح دسود
١١	٠٠٠	ملح بوتاس
٧٥	٠٠٩	مانيزيا كلورور صوديوم
٩٠	٠٠١	كلورور كالسيوم
٠٠	٠٠٠	كلورور مانيزيوم

٠٧ ... كلورور دى بوتاسيوم

٠٧ ... آسيد سيليسيك أى طين البلور

وفى كل كيلو (٢٢٠) ملى ميتر ومربع من الحامض الفحمى وفيه (٢) مليغرام من برومور وما نيزيا واصطلاح هاته الاعداد معلوم فى الحساب وكذلك يوجد فيه حمام قريب البعد عن الحمام السابق بجوار بنى مبلا فى الجهة الشرقية الجنوبية منه وهو اكثر عيونا واشد حرارة وله نفع عظيم فى كثير من الامراض العصبية وامراض المواد الطبيعية ومن غريب خواصه انه اذا وضعت دجاجة فى مجرى الماء قريبا منه نحو بضع دقائق يزول ريشها تماما بل ان بعضا من الاهالى يضع قدرة للطعام هناك فيطبخ اللحم احسن طبخ وهكذا غير الابيض الدجاج فمع شدة تلك الحرارة ومع سهولة طبخ البيض فانه لا ينضج ولو بقى هناك يوما تاما هكذا يروى عن كثير واخبر وقد تقرب من اجزاء ماء حمام لاس وكذلك يوجد قرب رأس الجبل من وطن بنى زرت حمام معدنى غير انه لا يستعمل الا عند بعض البوادى واهل القرى هناك ولا شهرة له مع انه كثير النفع وكذلك يوجد فى الشيصة مياه معدنية نافعة للشرب والاستحمام وهى مشهورة كغيرها من منابع الثروة والتقدم واما جبال هذا القطر فتتصل به سلسلة جبال اطلس التى تبتدئ من عرض (٢٨) درجة وتنتهى فى عرض (٣٧) فى مملكة المغرب واعلى رؤوسها بين فاس ومراكش وارتفاعه على سطح البحر ثلاثة عشر الف قدم ومائة قدم وفى اختراقها القطر لتونسى عدة فروع اشهرها جبال مطماطة وجبل طبرقة وجبل الرقبة وجبل زغوان وهو اعلاها وجبل الرصاص وجبل ابى قرنين ومناخ هاته الجبال هى الجهة الشمالية والغربية الشمالية ثم لا تزال تنحصر وتضيق عند توجهها للغرب مارة بقرب سواحل البحر الى ان تتصل بجبال الودارنة من عمل الاعراض وعدى هاته لا يوجد جهة الجنوب الا ربا لا اعتبار لها وليس منها جبل بالكاف الا جبل ابى قرنين فان الآثار دالة على انه كان فى الاصل بركان حيث يوجد فى قمته العليا وهدة مدورة الآن مع منابع الماء الحار المتدفقة منه ومع الاحجار البلج الكائن فى احد رؤسه التى بقرب البحر فى الجهة الشمالية منه المعروفة بضربة السيف الحادث ذلك لانحدارها بسبب الزلزال الشديد الذى هو من علائق البراكين وقد عثر على [illegible] فى الحد الجنوبى (الصحراء) الكبرى وقد قال قوم انها كانت بحرا متصلة بالبحر الابيض قريب من شطوط قابس ويستدلون به الارض السباخية التى بين الشاطئ المذكور

والصحراء

واخبر ابو ابام فرديناند بالمبعوث الرحال الشهير مباعل خليج السويس ان بحر خليج
قابس الكائن بصحراء افريقية . فريقية وحدها ان جميع احجار اعلامن سطح الصحراء انما
تحمل المعادن الكبيرة وان الحجر هذا الى طبقة حجر بلا غشاوة تقبل ورأى قوم
... ع ذلك ولكن المرء مشتغل الآن بجلب ... في امريكا وعرف الكلام والعمر في
بحر الصحراء (واما) معادن القطر المصري لم تزل في عهد الامراء ولا شك انهم عرفه
فانهم قد اعتقدوا بعض منه لأن المعروف هو الرصاص والمعدن في كل من جبل رصاص
ومعدنه واوله ... صنعة للاكثر وآثار قديمة الرومانية العجيبة لا زالت الى الآن
ويستخرج المعدن منه لانتاج كثيره المحتى ان الاعراب تأخذه مما تريد ولهذا
صار اسم المعدن عنوانا على الجبل وقد ... في ورده في خروده الى احد الطليان ثم
استملك منه في مجمعه ... ولم ... ابيهم الى الآن من غير حصول فائدة لهم ولا للبلاد
وفاتهم الآن بيد شركة ... هي صاحبة امتياز ... احد ... واضطر من اعاد لها
اسم ... الجديدة انها ستقدم ... ولكنها الى الآن لم تحدث فيه شيئا كما
يوجد المعدنان ... كدران ... من جبل زبنو وكذلك ... اسبيده كما يوجد
... من الذهب وفي ... ولا ... يوجد فيه ... والزئبق ويوجد الحديد
في ... الاحمر ... وفي ... وهو ... يستخرج في كلاهما كما يوجد
... في ... الاحمر وهو ... ويوجد فيه ... تجري ... كما يوجد معدن
المرمر ... بالاحمر ... صحراء ... كانت ... الرومان والقرطاجنيين في ... كالمرمر
الشهيرة وهو ... وآثار تخرج ... قديمة ... تعدد ... بوادي ... ان
اوى ... كما يوجد الرخام الاسود في جبل ... كل ... بطن ... ويوجد الكدل
الرخيم الصلب في جبل ابي ... وهو ... الى الآن ويسمى محله مقطع الحجر
وكذلك في جبل الاحمر ... كما ... في ... عربية ... مستخرجة ... ترب
المحروسة وفي ... اغراب ... واما ... والارباب دولة ... احد علماء
الطبيعيات بطلب من الحكومة ... في جميع مصر بتدقيق وكتب ما يشتمل
عليه من المعادن ومقدار درجتها واما كنها لكن ... التقارير لم تصل للحكومة
الترفية الى الآن ... ... حصة جدا ... المعادن
وانها ... كثرة ... شقائقها ... بجد ... باسم فريقية من
باب اطلاق الاسم على ... وهو جميع ... الاصل الاسم خاص

بهذا القطر فهي به جميع ما اتصل به من القارة ويوجد بعده بقية الجهة الاكثر خصبا
منه بخصوص هذا الاسم وهي الجهة الشمالية الشاملة لماطر وباجة وما بينهما فانها
الى الآن تسمى على لسان العام والخاص بافريقية فيزرعونها بدون انقطاع كافة فصوله
وينقسم القطر الى ثلاثة أقسام باعتبار الخصب فالجهة الشمالية التي هي أكثر
جهاته الاكثر خصبا على مرور السنين فالمزارعون هنالك لا تكاد تجد سنة
لا يربحون فيها من مزروعاتهم ولا أقل انهم لا يخسرون شيئا وعلى الخصوص في هذا
جهة جبال ماطر كما ان الخصب في هاته الجهات لا يتجاوز الحدود المتعارفة في الربح
وأما القسم الثاني وهو الجهة الوسطى من القطر والجهة الشرقية من الجنوب على
قرب من البحر وذلك كالساحل والقيروان والأعراض وصفاقس وخصب هذا القسم
باعتبار السنين وما يمر بها من المطر قلة وكثرة وحيث كان نزول المطر في تلك الجهات قليلا
فكذلك الخصب قليل ففي العشر سنين مثلا يحصل عندهم الخصب مرة أو مرتين
لكنه خصب خارق للعادة ويكاد السامع ان لا يصدق به لولا ما شهد به العيان وتواتر
النقل فيه حتى ان احد القطعان رجلا زرع في أرض الساحل التابعة لمدينة سوسة
ربع قفيز فجاءه الحاصل مائة قفيز وخمسة عشر قفيزا وبلوغ هاته الدرجة قليل والكثير ان
من يزرع قفيزا يأخذ من السنة عشر قفيزا الى الخمسة والثلاثين قفيزا وقد حكى لي الوزير
أبو محمد خير الدين باشا عندما كان وزيرا بتونس في نائب احدى الدول ما يحصل بتلك
الجهة من عظم الخصب وان الامير احمد باشا كان أتى في أحد أسفاره بجذر من شعيرة
واحدة أنبتت ستمائة سنبلة وأريد الظهور على وجه استبعاد الحقيقة وسكت
الوزير عن ذلك ثم أرسل الى عامل القيروان وجلاص أن يبعث عنده باسنان ما زرع
على أعظم جذورها كثرة سنابل فأرسل اليه صندوقين مختومين بكل واحد منهما
جذر واحد فاستدعى الوزير ذلك النائب وبعض من الاعيان وأراهم الجذور
فاعتنوا بأنهم لم يابعوا عن المنبت ووجدوا أصله شعيرة واحدة وعدوا كم تفرع
في أحدها فتجاوزوا في العد لاربعمائة والخمسين وبقي نحو الثلث بلا عد وقالوا يكفي
الذي تحصل منه هذا العدد وبه ان يتجاوز حتى الألف وبعظم طول السنابل أيضا حتى
يحجب الفارس مرسه اذا مر فيه والعادة عند فلاحة تلك الجهات ان يزرعوا حبات
الشعير كزرع الشعراء فيكون بين الشعيرة والشعيرة مسافة فسيحة وأما بقية السنين
فاما ان يخسروا رأس المال أو بعضه أو يحصل لهم ربح يسير وذلك لقلة نزول الامطار

بتلك

تلك الجهات لخلوها عن الجبال المرتفعة والأشجار الطويلة وأراضي هذا القسم
يلزمها لبذر القليل بالنسبة للقسم الاول فان مقدار من الارض الذي يبذر فيه قمح في
القسم الاول يبذر فيه في هذا القسم اربع واقل وأما القسم الثالث فهو غير صالح
لزرع الحبوب بالمرة وهو الجهة الجنوبية المسماة بالجريد لانها أراضي منسفة من الرمل
وقريبة الى الصحراء الكبيرة ولا تصيبهم الامطار الا نادرا واذا اصابت اضرت أهلها لان
نباتهم اكثره النخيل ولا يضر بثمره التمر العجيب (والمزروعات) هذا القطر فاغلب
زراعة أهله في القسم الشمالي والاسم هي الحبوب من القمح والشعير واقل منها
الذرة والفول والدرع والجلبان والحلبة الحلوة والكروية والبسباس والتابل والحبة
السوداء والكتان والقنب والاوبياء والبطاطس والحمص والعدس ولكثرة حسب
هذه الاشياء كان هذا القطر يسمى بمخزن حبوب رومة ويزرعون من البقول الطماطم
والبصل والفلفل والكرنب والبوكار الفناوية أي البابا والملوخية والفلفل
الاخضر والاحمر والمعدنوس والسلاطة والكرفس والدباء بأنواعها والقرع والشبث
والثوم والخس والسكوربا والقرصا والفجل والاسفاناخ والكرافس والمرداقوش
والبطيخ الاحمر والاخضر والقثاء والكمثرى والبوبش والاسفلفنيا وفيه
أنواع برية عجيبة في الرفعة والنظر لا يعرفها الا خالقها ومنها الحلفاء والبابونج
والزعتر وهو غير مستعمل وفيه من الازهار المنتشر زهرها الياسمين وينبت بسائر
أصناف الريحان وغيره من انواع الازهار الكثيرة وهكذا الورد والنسرين بأنواعهما
والفل والقرنفل على أنواع شتى وغير ذلك من الزهور البهية التي تكسب بهجة تكون
جبال هذا القطر وأوديته وبساتينه أيام الربيع وأوائل الصيف روضة
ذات ألوان النبات المخضر به الارض وأنواع الزهور والنور المختلف الاشكال
والروائح ومما ينبت به القرنبيط الخارج من حرشف الذي يقال له الخرز
والكروم ويوجد فيه جميع النباتات من الكلأ المرعى من احسنه لهذه الحيوانات
المحمر وفي الجهات الشمالية (آجام وغياض) وغابات عظيمة عديدة وأشهرها غابة
طبرقة يستخرج منها الاخشاب لبناء السفن والحطب وأعواد السقوف من الطرفا
وغيرها مع ما فيه من الدوام والصلابة ثم مع كثرتها فتجارة الاخشاب المجلوبة من اوروبا
رائجة في اغلب مواضع القطر واتساع له بات شجر عظيم قد حدثني ثقة انه رأى في
غابة طبرقة شجرة من الزيتون أحاط بساقها عشر رجالا كل منهم فاتح يديه ناحية

[illegible] صاحبه ونجد [illegible] غابات هي الدرو والصفصاف والبلوط والسماق
والقسطل والزان والعرنان ومنه يخرج الخدف [illegible] شجرة
وشجر البطم والدردار والعرعار وغيرها من غابات أخر ([illegible]) [illegible]
[illegible] ولا حشائشه فوق [illegible] كالعر [illegible] وقشرها [illegible]
للصبغ [illegible] وأكثر هذا في جبل [illegible] وكل [illegible] من غير
[illegible] لا لحفظ [illegible] الحكومة [illegible] وهي مخصصة
بأحشاب [illegible] كما هو معلوم على نوع من شجر العرنان [illegible] للدبغ و [illegible]
[illegible] أراضيه وتستنبت في جميع [illegible] شجرة [illegible] في الجهة
[illegible] وكيفية غراسته على أنواع [illegible] من [illegible]
بأوراقها [illegible] وتغرس [illegible] من فروع [illegible] وأردؤها [illegible]
يقطع من فروع الشجرة [illegible] في [illegible] فروع [illegible] ذراعين
في [illegible] وعرضهما [illegible] عادة [illegible]
الذي [illegible] بالمرقين [illegible] عندهم [illegible] شجرة
[illegible] حديد [illegible] حيث أن [illegible]
القاعدة كذلك إلى أن يبقى [illegible] للأصل [illegible] البداكي [illegible]
[illegible] على [illegible] ومنه [illegible] شجرها
[illegible] شجرة الزيتون [illegible] الأرض [illegible] وهو المسمى
[illegible] هذا النوع [illegible] كثير [illegible] وغيرها [illegible]
[illegible] والقيروان ومنها [illegible] من [illegible] ولكن ليس كل شجرة [illegible] من
أول الأمر [illegible] عدد كثير [illegible] في مكان مخصوص [illegible]
[illegible] من نباته [illegible] كل شجرة [illegible] وهذا [illegible] الأكثر [illegible]
ولا [illegible] باتقانه [illegible] والاعاب في هذه الشجرة [illegible]
[illegible] الأفق [illegible] من ماء [illegible]
أنواع كثيرة مختلفة في [illegible] كثرة [illegible] هو النوع الأسود [illegible]
الحجم وهو العام ويختلف [illegible] على حسب الأرض التي يزرع
بها [illegible] في الجبل [illegible] الكثيرة الحجارة يكون [illegible] ربوت
* هذا القطر [illegible] زيتون [illegible] وتنقية [illegible]

لا يكاد يوجد أصلا . [illegible] ومن أنواع [illegible] الحسنة الطعم النوع المسمى
بالمرسلين وهو أخضر [illegible] يحمل إلى أصول [illegible] ويتقن صنعه أهل زغوان
[illegible] وأهل الحضرة [illegible] أيضا [illegible] الأحمر والأخضر ومثله النوع
المسمى [illegible] الكبير [illegible] الأسود [illegible] ومن أنواعه [illegible] المسمى بالمكي
وهو [illegible] إلى [illegible] من مصر [illegible] نوع الأشجار [illegible] البرتقال
[illegible] وفيه أنواع وهي [illegible] وأغرب نوع
لم أره في غير هذا القطر [illegible] برتقال المكي وهو [illegible] فيه
حلاوة [illegible] ومنها [illegible] الليمون الحلو والليمون الحامض
وفيه نوع [illegible] في جميع الفصول [illegible] الكرمزي [illegible] أنواع الكل زمن
من فصول [illegible] بأنواع [illegible] كثيرا [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] ومنه نوع
يسمى [illegible] رأيت من الأقاليم [illegible]
[illegible] نوع كثيرة منه الأحمر والأسود والأبيض والأخضر والمركب
[illegible] المكي وهو [illegible]
والورد [illegible] وهو نوع [illegible] من شجرة
[illegible] شوك كثير [illegible] في
الشرق [illegible] وهو [illegible] في هذا القطر
[illegible] أهل [illegible]
مع قلة ضرره [illegible] ومن طبيعته
[illegible] في [illegible] أي في [illegible] الأمصار ولذلك صار الهندي أهم
أسباب [illegible] كما [illegible] في هذه [illegible] أي ورق الدخان والنشوق
فأما ورق الدخان [illegible] لا [illegible] نوع منه وأما ورق النشوق فإنه
أعلى من جميع أنواع ما يزرع منه في [illegible] ما يزرع منه في جهة [illegible]
[illegible] وقد كانت فيه أرباح
للقطر [illegible] الخارج [illegible]
بالإطلاق حيث كان [illegible] أيضا [illegible] والعناب
[illegible] والرمان [illegible] والورد [illegible] لا يفرق [illegible] أنواع

وهى التمر الاخضر والاصفر والرطب وما فى تحريه ذلك انواع عديدة بعضها [illegible]
نوعا ويحتوى على جميع ما علمناه لا ادرى رؤية وسماعا والنوع المسمى بالدوم الذى
لا يصلح حلاوة ولذته [illegible] منه [illegible] رغبة فيها الى غير ذلك من سائر نباتات
الاقاليم المعتدلة لا سيما بجبل الشمالية بكثرة المياه فانه يوجد بها حتى بعض
نباتات الاقاليم الباردة [illegible] على [illegible] ضرورة [illegible] كما [illegible] من جبال [illegible]
والخصب (والهواء) هذا [illegible] ومعتدل لا غاية والحرارة الجوية [illegible]
الحر والبرد [illegible] على [illegible] فى اى وقت [illegible]
صيف [illegible] يؤدى [illegible] حتى [illegible] وفى غير ذلك لاعتداله [illegible]
ويشتد البرد فى الشتاء لكن لا يصل الى تجمد الماء او نزول الثلج [illegible] فى جبال
الشمال المرتفعة يحصل تجمد فى كل سنة [illegible] الثلج فى بعضها ولو فى الصيف لكنه
قليل والجهات [illegible] الهواء موافق للصحة [illegible] حسنة الهواء جدا
[illegible] للمرضى ولو عرض [illegible] لدى احسن علاجه الهواء [illegible] ارتفاع [illegible]
الجهات الحسنة المشهورة المكان المعروف برأس [illegible] وهو [illegible] الشمال [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] وهو [illegible] الى [illegible]
[illegible] الجريان [illegible]
[illegible] وكذلك
من الاماكن [illegible] التى هى قاعدة [illegible] وهى
على [illegible] رأس [illegible] على [illegible]
من [illegible] وهى فى [illegible]
[illegible] بانواع [illegible] من هذين المكانين
هو [illegible] على الحاضرة [illegible] الشمال [illegible]
من [illegible] هواءه [illegible] ومزارع [illegible] وعيون
[illegible] واطام [illegible] الى [illegible] على ان هذا
المكان احسن هواء من جميع جهات القطر ان اهله لم [illegible] كثيرا من الامراض الوبائية
مع ان كل تلك الامراض عمت القطر [illegible] مرارا ولم يعلم ان احدا من اهل ذلك
المكان اصيب بشئ من ذلك بل [illegible] عند الحلول به [illegible] من [illegible]

ما

ماشاء الله غير أن هذا المكان به عاهة عظيمة هي كثرة الحيات المؤذية والله لطيف
كما يوجد بالقطر جهات وخمة ردية الهواء والمياه كمعمل الجريد وقابس خاصة في عدة
أماكن تسمى بها ديغاب على أهاليها الامراض وترى وجوههم صفراء والواردون عليهم في
أول زمن يمرضون لا سيما في الصيف والماء ربما تعدم فالهواء معتدل ملائم
(وأما حيوانات) هذا القطر ففيه أغلب حيوانات أقاليم الاعتدال أهلية ووحشية فمن
الوحشية الاسد وأغلبه في الجهة الغربية ويضرب المثل بجرأة أسد عرب من أقسام تلك
الجهة ويوجد في كل الاحراش الملاصقة للعمران والضبع والذئب والثعلب والفهد والنمس
وهو ابن مقرض والخنزير وحمار الوحش والغزال والارنب والبربل والقنفذ ونوع ل
والورل والجرذ على أنواع والجراد وقد كان حل ومرح في جبال ماطر وجبل
الشكل الذي يحيط به بحيرة [illegible] كل وهي الحلوى فتمايل [illegible] كانوا هو على ملك
الحكومة وتوحش بحيث صار أذا يحتاج الى شيء منه يلزم صيده وقد أخذ منه
الحكومة أو بعض رجالها [illegible] لا [illegible] وقد [illegible] في المدة الكثيرة صيد الولاة
وعدم مواصلة [illegible] ويوجد في القطر (من الحشرات) الثعبان ولا سيما في جبال
الودارنة فانه يعظم جدا لكنه غير مضر هنالك حيث يكون مما كثيرهم كأنه من الحيوانات
الأليفة كبعض أشباهه وهم لا يؤذونه وهو لا يضرهم ولا ينصرهم ويبلغ طول الواحد الى
ثمانية أذرع وعلى أريد من شبريت وأما في جهات الجريد والصحراء فهناك أنواع من
الثعبان مضرة ومنه نوع يسمى بالزريق رقيق ذوي حدة اذا قصد شيأ يضربه بحدته
كالسهم وكذلك الحيات القتالة ويوجد بكثرة في الشيكاو [illegible] من الجريد والعقارب في
الجهات عموما كثيرة جدا خاصة في الجريد وهي مؤذية ولا سيما في القيروان وفي بعض
الجهات لا أذية منها كما في [illegible] بل لا يكاد توجد هنالك وفي جبل [illegible] توجد
بكثرة صغيرة الجرم لا أذية منها وكذلك يوجد العنكبوت وتارة يعظم الى أن يصير في حجم
العصفور الصغير وهو قاتل الأذية وكذلك يوجد النمل على انواع شتى وكثيرا ما يضر
بالزرع من القمح والشعير وكذلك الجراد يأتي في بعض السنين ويدمر النبات جميعا اذا
كان كثيرا والخنفس على أنواع شتى والوزغ والحرباء وغير ذلك مما هو قابل للوجود في
هذا القطر (وأما الحيوانات) الأهلية فيوجد منها الخيل ومنها الجياد العتيقة العراب
وأكثر ألوانها ازرق أي الأشهب المشوب بالسواد وبقية الالوان كالأحمر والكميت
والأدهم والأشهب موجودة أيضا بكثرة غير أنها أقل من الأول ويوجد بقلة

البازي والصقر وهذا الجنس يستعمل للركوب وجر الآلات بأنواعها
والحرث ومثله البغال وأما الحمير فهي موجودة بكثرة لكنها لا تستعمل لركوب أهالي
المدن وأعيان القبائل بل عادتهم الاستخفاف بركوبها وإنما تركب من عامة الأعراب
والسوقة وتستعمل للحمل ومثل ذلك الإبل ولا تركب إلا كما هو في [illegible]
يوجد [illegible] والمعز والكلاب على أنواع [illegible] (وأما الطيور)
في هذا القطر فمنها [illegible] على أنواع والأوز [illegible]
وهذا النوع [illegible] في تونس [illegible]
[illegible] رومي وآخرون [illegible] وكذلك يوجد
الحمام على أنواع شتى [illegible] وأما الوحش فمنهم
[illegible] وأما [illegible] أي [illegible] وهذا النوع [illegible]
[illegible] وإن [illegible] في [illegible] شرقية
لا فرق [illegible] وفي البلاد الباردة [illegible] وفي البلاد
الحارة [illegible] الحمام [illegible]
ودجاج [illegible] والعصفور [illegible]
[illegible] وأس [illegible]
وأما [illegible] والكركي [illegible]
والبط والإوز [illegible] (وأما [illegible]) [illegible]
تونس وهي في عرض ست وثلاثين درجة [illegible] وأربع [illegible]
شمالا وطول [illegible] درجات شرقا [illegible] ساحل [illegible]
سيدي أبي سعيد على [illegible] منه [illegible]
[illegible] القوارب أحدهما [illegible] في حلق الوادي والثاني [illegible]
[illegible] تسمى شكلي [illegible] على [illegible] البلاد مرسى
للقوارب الحاملة للبضائع [illegible] ومرسى حلق الوادي [illegible]
المرسى أي مرسى بحيرة [illegible] طريق [illegible]
[illegible] تسمى [illegible] وهي صالحة [illegible]
في جعل [illegible] المرسى [illegible] وعند ذلك [illegible]
وهاته [illegible] أكثر [illegible] من [illegible] المرسى [illegible]
الأمن

الا من جهة الشرق فان حدها هنالك هو البحيرة المذكورة كما ان السور ابتدى فيه من
جهة الجنوب ولم يتم ما بين باب الفلة وباب القرجانى وفى السور تسعة أبواب أولها فى
قرب نهاية السور عند اتصاله بالبحيرة من جهة الشرق الشمالى ويتجه الباب الى
الشمال ويسمى باب الخضراء ثم يليه (باب) ابن عبد السلام ثم باب سعدون ثم باب
حومة العلوج ثم باب سيدى عبد الله ثم باب سيدى قاسم ثم باب القرجانى ثم باب الفلة
ثم باب عليوة وهو فى نهاية السور من جهة الجنوب الشرقى عند اتصاله بالبحيرة أيضا
وللمدينة القاعدة حصون على كل باب الا باب حومة العلوج وفى خلال السور حصون
أخرى كحصن القصبة وهو أكبرها وهو مبنى على أعلا ربوة فى البلد لان البلد جاءت
فى سفح ربوتين متصاعدة فيهما أحداهما ربوة القصبة والثانية ربوة القرجانى ومن
الحصون حصن درب بن عال وحصن سيدى يحيى وبخارجها أيضا بقرب منها حصون
فمنها حصن الجلاز على أعلا رأس فى جبل الجلاز من جهة الجنوب للحاضرة ومنها حصن
الرابطة فى الجهة الشمالية الغربية فى الجبل الاخضر وبقربه حصن فليفل وحصن
زوارة وامام حصن القصبة داخل المدينة بطحاء عظيمة وفى جهتها الجنوبية سراية
المملكة التى بناها حمودة باشا ولا زالت معتنى بها الى الآن وهى مقر الحكومة والوالى
عند وجوده بالحاضرة وفى جهتى الشرق والشمال من البطحاء سوق ذو حوانيت وامامها
مظلات مرفوعة على أعمدة من الرخام وفى جهتها الغربية الحصن وبوسطها جنينة وفوارة
لها من ماء زغوان ويحيط بالمدينة فاصلا بينها وبين الربض طريق متسع واشهر
الاماكن الرحيبة بالحاضرة بطحاء رمضان باى ويقربها مركز الضابطية وبطحاء المر
بربض باب الجزيرة وكذلك بطحاء المركاض امام القشلة المنيفة وبطحاء الحلفاوين
بربض باب السويقة وبه أيضا البطحاء الثانية وبين الربضين بطحاء باب البحر وهى أنزه
وأرحب الاماكن وحولها بناءات أنيقة وبوسطها جنينة وفوارة ويخرج منها طريق عظيم
متسع الى مرسى البحيرة وذلك المكان هو منتزه الاهالى فى عشايا الصيف لان حول
الطريق العريض أشجارا وقهاوى وملاهى وحول باب البحر وبقربه حارات الافرنج
ويتصل بها حارات اليهود وماء زغوان مخترق لاغلب جهات البلد فى قنوات من حديد
واغلب الاسواق متصل بعضه ببعض وقد كانت كل صناعة لها سوق مخصوص لكن
الآن وقع بعض تداخل ومناخ هاته الاسواق هو بالجهة الغربية من المدينة حول جامع
الزيتونة الذى هو بقرب القصبة المار ذكرها وجامع الزيتونة هو أول جامع بنى بالحاضرة

وكان تجديده سنة ١٤١ حسبما كتب ذلك على أقواس بيت الصلاة بأقوس
بالوجه الخارج للصحن ونقش عليه تاريخه بلفظ ﴿ألم﴾ وهذا الجامع هو أعظم جامع
بالحاضرة وهو بركة أهلها ولا يخلو من رجل صالح وهو منبع العلوم وبحث فيه فحول
علماء قديما وحديثا وإن كان أقدم منه في البناء جامع القصر لأنه كان كنيسة قبل
الفتح فصار جامعا وتشتمل الحاضرة على سبعة جوامع لخطب الحنفية وأعظمها جامع محمد
باي بحاضرة وبجامع سيدي محرز بن خلف وبقية الجوامع والمساجد الجامعة نحو ثلاثمائة كلها
مالكية وأعظمها جامع الزيتونة وفي الحاضرة زوايا كثيرة منها ما به ضريح سادات من
الصالحين كزاوية سيدي محرز بن خلف عماد البلد رضي الله عنه وزاوية سيدي
علي بن زياد من كبار أصحاب مالك بن أنس وزاوية سيدي أحمد بن عروس وزاوية
سيدي منصور وغيرهم رضي الله عنهم وبها نحو أربعمائة زاوية وسكان الحاضرة
تقرب عددهم نحو مائة وعشرين ألف نسمة منهم نصارى وآخرون أتباع للدول
الأجنبية نحو عشرين ألفا ويهود نحو أربعين ألفا والمسلمون ما بين أهالي أو جزائريين نحو
ستين ألفا وقرب الحاضرة على نحو ثلاثة أميال من جهة الشمال الغربي باردو التي
هي مقر الحكومة وتشتمل على قصور الملك ومساكن الوالي وقرابته وعلى جامع واحد
وحمام وطابية حصينة وحول الحاضرة إلى مسيرة تسعة أميال قرى وبساتين عامرة
وأحسن تلك الأمكان المسمى منوبة لاشتماله على قصور جميلة في بساتين متسعة وبها زاوية
حول زاوية الولية الصالحة السيدة عائشة المنوبية وهي في الجهة الغربية من الحاضرة
على مسيرة تسعة أميال وفي الجهة الشمالية على بعد أربعة أميال قصر السانية مع حسن
هوائها ثم في الجهة الغربية بساتين مرنوق وصاحبه قاضي ... وأبهى مكان حول
الحاضرة وبعدها عنها نحو سبعة عشر ميلا على شاطئ البحر لدى ... اسمه ... القطر
وقال أبو عبد الله الباجي المسعودي فيه عدة موشحات منها قوله

يا شاطئ المرسى السلام * عليك يا نزهة العيون

وأشهر أماكنها العبدلية المشتملة على سوق وقصور يسكنها ولي العهد في الولاية للأمر على
باي وفي الجنوب الشرقي من الحاضرة على بعد تسعة أميال منها مرسى حلق الوادي
التي هي أكبر مراسي القطر وبكثرة سكانها صيفا حيث ينتقل الوالي وحكومته إليها وكثير
من اليهود للنزهة بها ويبلغ سكانها ذوات إلى نحو ثلاثة آلاف وقد أحدث خارج سورها
بنايات كثيرة نحو المدة حديثة في شرقيها على ترتيب هندسي وبينها وبين مرسى

قرطاجنة

وصاحبة المقدمة بالدخول لنارها أقرب الى الثانية وهي مقر اتراه أهل الحاضرة
في الصيف تشتمل على أربعين أو خمسين دارًا أغلبها أنيق متقن مطلة على البحر بحيث
يرها القادم في البحر على أحسن منظر لتصعدها في الجبل مع تزويق لابنيته وان كانت
طرقها وسخة وقد التفتوا في المدة الأخيرة الى شيء من نظافتها وتشتمل على ضريح
الولي الصالح سيدي أبي سعيد الباجي وعدة من الأولياء رضي الله عنهم وتنسب
البلدة الى سيدي أبي سعيد كما انه بين هاته البلدة وبلدة حلق الوادي عدة قرى
في مكان مدينة قرطاجنة العتيقة التي هي الآن خراب ولم يبق منها الا الأطلال الماثلة
وقد كانت مدفونة بالتراب ثم في هاته المدة الأخيرة فرغت منه ووجدت حيطانها
وطابقها الأسفل كما هي جديدًا وهي نحو احدى عشرة ماجلا متصلة ببعضها ومدولا
تحتاج لا لشيء يسير من الاصلاح وهي من المباني العجيبة التي تقصدها السواح
لرؤيتها كما ان حول تلك القطعة لا تزال يستخرج منها الصور المجسمة والاسطوانات
المرمرية من الارض بعد ثقبها على الاشياء العتيقة ويستخرج منها التصاوير
والسلام وصناديق من رخام عليها كتابات عديدة وهي قبور الاقدمين وتارة يستخرج
بعض فصوص منقوش عليها تصاوير وكتابات ودور وقبور ظاهرة منقوش به حجارة
وآنية من الجزف ومن شأن الساكن أن صناع الجبل اذا وجدوا شيئًا لا يستثنى بمجموعها
الآثار الكثيرة كما يستخرج أحيانًا قطع من السكة ذهبا وغيره والحاصل انه تبت
أمها وما حولها الى جبل الحاوي لا زالت تشتمل على عجائب من آثار الأقدمين
ومن القرى الواقعة هناك الآن أشبه شيء بالخراب المعلقة ودوار شط طانم بينهما
وبين حلق الوادي بساتين قرطاجنة على شط وهي جميلة ذات قصور رائقة وفي الجهة
الشمالية الغربية من الحاضرة البساتين مكرة رمت بدلك انها كان يزرع بها قصب
السكر بكثرة وتسقى من عين عذبة عند معمارة تحت الارض لا يعلم منبعها وماؤها هي
آتية من الشمال الغربي ذاهبة الى الشرق الجنوبي في قنات من البناء المتقن والآن عليها
آبار كثيرة ويسكن من الثقة ورصدت تلك الجهة كانها حلاوة وليس بها قصبة واحدة
سكرية لدمارها واوهمه رديئة من السبخة التي هي شمالها الشرقي بينها وبين بستين
قمرت التي هي ورشاطئ البحر قمة الى الجبل تحوي فيها جبل عظيم من الرمل المتنقل
أهلكت أغلب بساتين تلك الجهة وهي آتية من الشمال عادية للشاطئ ذاهبة الى
الجنوب وكانها من الرمل التي يقذفها البحر بعد التصعيد منها على نهر مجردة والمدينة

الثانية في القطر هي القيروان وهي اختطت الصحابة رضوان الله عليهم عند الفتح
في مكان صالح معيشة حيواناتهم وقريب من طبيعة أرض الحجاز لأنسهم بها وبعيدة
عن البحر حذرا من هجمات المحاربين قبل التمكن وهي في الجنوب الغربي من الحاضرة
في طول (٤٥) ثانية و(٣) دقائق وعرض (٤١) ثانية و(٣٥) دقيقة وبها الجامع
الكبير الذي بنته الصحابة ثم جدده بنو الاغلب عندما كانت تلك البلدة هي قاعدة
القطر ولا زال بعض سقوف الجامع مما صنعه الاغالبة الى الآن كأنها قائمة وضريح
الصحابي سيدنا أبي زمعة الانصاري رضي الله عنه وعليه بناءات ضخمة ومدارس
للعلوم وأوقاف كثيرة ولتلك البلدة سور وضريح السيد خارج السور وفي أسوارها منافذ
ضيقة معرجة الخروج منه راجلا عند غلق الابواب وعلى السور عدة حصون وهي
الآن ليست على ما كانت من العمران وسكانها الآن نحو عشرين ألفا كلهم مسلمون
ولا يدخل البلدة غير مسلم وهم قائمون بجميع ما يحتاجون اليه من صنائع وتجارة ولا زال
العلم في أهلها وبالجامع الاعظم وبمدارس البلدة دروس في علوم شتى (ثم ان
القطر) التونسي ينقسم الى عدة أعمال بالنظر الى السياسة (١) فالحاضرة وما حولها الى
نحو عشرين ميلا من كل جهة عمل (٢) ويليه من الجهة الشرقية الجنوبية عمل
الوطن القبلي وهو ينقسم الى الجزيرة ثم يلي الحضرة وقاعدتها الدسليان وسكانها
نحو أربعة آلاف نسمة والى الوطن وقاعدته بالدنابل وسكانها نحو خمسة عشر ألف نسمة
وفي الجميع أزيد من ستين قرية فما يتبع الاولى المنزل وبني خلاد ولصعمة وأقليبية
التي هي حصن على رأس ادار وما يتبع الثاني بني خيار وقربة والحمامات وهي حصن
في الحوت المعروف بها وفي ذلك الرأس الطويل مقر السادات العلاويين الثابتي الشرف
رضي الله عنهم ثم يلي ذلك جنوبا (٣) عمل الساحل المنقسم الى وطن سوسة ووطن المنستير
ويتبع كل منهما عدة قرى فما يتبع سوسة بلد ساكن أهاليها أشرف والقلعة
الكبرى والقلعة الصغرى وغيرها وسوسة التي هي القاعدة ذات سور وحصون وهي
مرسى على البحر وبها جامع عظيم وسكانها نحو ستة آلاف نسمة ولهم حضارة وبقايا
من العلوم ومما يتبع المنستير بلد المهدية ولها حصن وسور وجامع وهي مرسى تجارية
أيضا ولها قاض خاص وأكثر سكانها حنفية من أبناء الترك الذين استوطنوا تونس
وعدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ويتبعها أيضا بلد جمال وبلد الامارة وغيرها
والمنستير هي القاعدة ولها سور وحصون وهي مرسى تجارية أيضا وسكانها نحو

سبعة

سبعة آلاف نسمة وهى دون سوسة فى الحضارة والمعارف ويلى هذا العمل (٤)
عمل صفاقس وهو جنوبى السابق على شاطئ البحر وقاعدته مدينة صفاقس وسكانها
نحو عشرة آلاف ولاهلها الشهرة بالتجارة فى دواخل القطر وفى الممالك الاسلامية ولهم
مزيد محافظة على الصلوات فى المساجد ولهم تقدم فى العلوم الدينية والادبية وهذه
البلدة لها سور وحصون وهى مرسى تجارية ايضا وتأوى اليها سفن الحكومة فى
الشتاء لانها امن مرسى للسفن وشاطئها مدور جدا ويتبعها جزيرة قرقنة التى بها قرى
ولاهلها صناعة الحلفاء والحبال ثم يلى هذا العمل على الشاطئ الجنوبى (٥) عمل
الاعراض على جون قابس التى هى قاعدة العمل وسكانها نحو تسعة آلاف وهم على
البداوة ولهم مرسى قليلة التجارة وهذا العمل ينتهى الى غاية الحدود من جهة الجنوب
والجنوب الشرقى الى طرابلس ثم يلى هذا العمل فى الشرق (٦) عمل جربة التى هى
جزيرة فى البحر وعدد سكانها اربعون او ثلاثون الفا متفرقين على عدة قرى ولهم شهرة تامة
بالتجارة فى سائر الممالك الاسلامية ويلى عمل الاعراض من غربيه (٧) عمل الجريد الواصل
الى نهاية الحدود الجنوبية فى الصحراء وهو منقسم الى اربعة اقسام الاول فى جنوبيه وهو
وطن الوديان والشبيكة وتامغزة ويليه شمالا وطن نفطة ويليه شمالا وطن توزر ويليه
شمالا وطن قفصة وهى بلدة لها حصن وقاعدة جميع الجريد هى توزر وقد كانت منبعا
للعلوم ولا زالت فيها بقايا وعدد سكانها نحوا من سبعة آلاف ثم يلى هذا العمل (٨)
عمل القيروان وقد مر ذكرها لانها المتقدم على غيرها ويلى عملها شمالا (٩) عمل
اولاد سعيد من البوادى سكان الخيام ويليه فى الشمال الغربى (١٠) عمل رياح
المشتمل على بلد زغوان فى جبلها الشهير وعلى بلد تستور وعلى بلد مجاز الباب وغيرها
واكبرها تستور وعدد سكانها نحو اربعة آلاف وهذا العمل يتصل بعمل الحاضرة
(وحينئذ) فقد عرفنا جهة الشط الجنوبى الشرقى الى الحدود ثم ما والاه من دواخل القطر
وبقى علينا قسم جهاته الغربية والشمالية اما الغربية فيتصل بعمل الحاضرة
(١١) عمل طبرقة وقاعدته طبرقة وهى مرسى الآن فى عهدة التاجر (١٢) ثم عمل
تبرسق وهى قاعدته وسكانها نحو الفى نسمة (١٣) ثم عمل باجة وهى قاعدته وهو
عمل كبير وقاعدته ذات حصن وقصر للباى والوالى الذى يباشر بالعسكر كل صيف
الى هنالك فى القديم وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة (١٤) ثم عمل الكاف وهى
قاعدته ولها حصن وهى فى راس جبل وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة ويتصل

جملها الى نهاية الحدود الغربية غير أنه لا يصل الى الشط من جهة الشمال فثلاث الجهات
هي الاعمال الشمالية وتبتدئ من جهة [illegible] بحيرة سكانها (٥) بوادي
وبها حصون وبلاد (١٦) عمل جبال ماطر وهي قاعدته وسكانها [illegible] في اسفل من
البوادي ثم بلاد (١٧) عمل بنزرت وهي قاعدته وهي مرسى [illegible] الوصول لها
بعض [illegible] في منفذها الى البحر ويمكن أن [illegible] المدينة في أمان ولها
اعتبار عظيم في التمكن من البحر الابيض وسكانها نحو ستة آلاف نسمة ولها حصن وسور
والماء يجري اليها في قنوات من [illegible] خليج يوصل الى
بحيرة [illegible] متصلة بالبحر بشكل [illegible] كالجزيرة [illegible] كثيرة
لمرية الصيد ويتبع هذا العمل بلاد غار الملح التي هي في نهاية تحدها شمالا من الشرق
وسكانها نحو [illegible] ويتصل بها [illegible] من جهة [illegible] على ذلك فقد
تصور [illegible] هيئة تقسيم ارض هذه المملكة [illegible] بالشعر
الى [illegible] (ن ص) أهالي هذه المملكة هم
من البربر كانوا [illegible] كانهم [illegible]
شيء من عادات [illegible] صورة
صاحب مصر وكذلك [illegible] بالاصالة ثم
استوطن به [illegible] الاندلس بعد المائة [illegible]
بهم وكذلك في [illegible] تنتهي الى [illegible]
الاندلس ومن عاداتهم التي اسسوها [illegible] وبحار [illegible]
وكانها مؤسسة [illegible] على شكل [illegible] المشرق [illegible]
واختلط [illegible] بالقباطين ثم وفد عليهم [illegible] اصلا [illegible] ولكن
الاكثر منهم النوعان [illegible] الاسلام [illegible] اليهود
أغلبهم في الحاضرة وباقيهم متفرقون في [illegible] كما في [illegible] النصارى
الاوروباوين [illegible] من الانكليز [illegible]
الطليانيون ثم الفرنساويون ثم [illegible] الفرانسيس
والاوهد الفرنساويين [illegible] لاهالي الاصليين كانوا في
صدر [illegible] على مذهب أبي حنيفة [illegible] المعز بن
باديس فحملهم على اتباع مذهب مالك وذلك في حدود سنة (٤٠٧) واتفقوا على ذلك

الى

الى ان جاء الترك فكانوا هم وإياهم على مذهب أبي حنيفة ولذلك كان أكثر الاهالي مالكية وهذا بيان أسماء القبائل والاشارة الى اماكن اقامتهم (١) الحاصرة (٢) القعرون (٣) أولاد خليفة من جلاص جنوبي القيروان (٤) الكعوب والكوازين منهم غربي القيروان (٥) أولاد بدر منهم مثل السابقين (٦) أولاد سنداس منهم مثلهم (٧) كسرى في الغرب جنوبي منهم (٨) الساحل (٩) المثاليث حول صفاقس من غربيها وجنوبيها (١٠) صفاقس (١١) جربة (١٢) الاعراض (١٣) نفات في الاعراض (١٤) نفزاوة من الجريد في جنوبيه الغربي (١٥) الورغمة في جنوبيه (١٦) الحامة في جنوبيه الشرقي (١٧) توزر في شماله (١٨) نفطة في وسطه (١٩) الشبيكة ومادر في نهاية الجنوب منه (٢٠) قفصة في شماله (٢١) أهل بيت الشريعة من عرب دريد رحالة ما بين الجنوب الغربي والغرب الشمالي (٢٢) أولاد سيدي تليل في تلك الجهات (٢٣) أولاد سيدي عبيد مثلهم (٢٤) أولاد عزيز من الهمامة ما بين القيروان والجريد والاعراض وهم رحالة في تلك الاراضي الرحيبة (٢٥) أولاد معمر منهم مثلهم (٢٦) أولاد رضوان منهم مثلهم (٢٧) الحمادنة في غربيهم (٢٨) أولاد ونيس من الفراشيش في جهة الغرب الجنوبي (٢٩) أولاد ناجي منهم مثلهم (٣٠) أولاد علي منهم مثلهم وجميع رحالة في تلك النواحي (٣١) تشقة في الغرب المتوسط من القطر (٣٢) سواد قرب الساحل (٣٣) أولاد مهنة مثلهم (٣٤) أولاد بوغانم في الحدود الغربية (٣٥) رعانة منهم (٣٦) شارن منهم (٣٧) الهمامة منهم مثلهم (٣٨) أولاد يعقوب درهم (٣٩) النوايل مثلهم (٤٠) ورغة في جبال الشمال (٤١) الحمامسة وهم في جبال الكاف (٤٢) الكاف سبق ذكره (٤٣) ورتان في الجنوب من الكاف (٤٤) أولاد عيار قربهم (٤٥) أولاد عون قربهم (٤٦) جندوبة شمالي الكاف (٤٧) أولاد بو سالم قربهم (٤٨) الرقبة شرقي الكاف الجنوبي وغربي جنوبي باجة وفيها جبال ووديان من سكان الجبال (٤٩) باجة سبق ذكرها وتتبعها جبال تشتمل على قبائل شتى غير خاضعين حقيقة للحكومة تتعذر محاربتهم لوعرة وكثيرا ما ترسل عساكر لأخذ الضرائب منهم وكثيرا ما يؤدون لها مقدارا عن غير تحقيق لعددهم وكسبهم وهم عمدون وامرة ومقعد وجبرو شجيبة (٥٠) تبرسق سبق ذكرها (٥١) رباح

تقدمت أيضا (٥٢) الجديدة ورادس كل منهما قرية لها عامل مخصوص والاولى
كانت مدينة ظاهرة في ولاية اجدابيات فأتى عليها البلى حتى عادت في بعض سنى
وكانت مستقرة ومستمر حفده (٥٣) ثم المرسى وحلق الوادي وقد تقدما (٥٤)
أريانة وحمام كذلك (٥٥) بنزرت كذلك (٥٦) ماطر وبجاية تقدما وقد
تقدمت (٥٧) لوطن القبلي كذلك (٥٨) قفصة (٥٩) طباش (٦٠)
عربي ليس لهم مقر لهم متفرقون في الاوطان (٦١) أولاد سعيد في القصبة
في الشمالي الشرقي لمجردان (٦٢) السواسي جنوبيهم (٦٣) الطرابلسية
متفرقون في الاوطان (٦٤) العربة كذلك (٦٥) العروش الرقاق الاولى كذلك
(٦٦) العروش الرقاق الثانية كذلك (٦٧) دريد رحالة ما بين الغرب والجنوب
(٦٨) عربهم وتابعون اليهم (٦٩) أولاد حسن حنفيو المذهب من دريد (٧٠)
وطنيسة اتباع جلاص (٧١) اولاد سيدي عبد القاهر في الجهة الغربية الجنوبية
(٧٢) طبرية تقدمت (٧٣) ابة في الشمالي الغربي من الحاضرة على نحو ثم
عشر ميلا وعدد جميع السكان نحو مليون ونصف لان تحقيق العدد عسير ووجود بعضهم
وكثير من أعراب الأعراض مثل ورغمة وكذلك في لية نحو لا يعرف عدد ذكورهم
البالغين القادرين على التكسب فضلا عن غيرهم والذي يعرف عدد الذكور البالغين
من بقية السكان الغير العاجزين عن التكسب وهم مائة وسبعة وعشرون الفا عدا
سكان الحاضرة والقيروان والمنستير وصفاقس لاستثنائهم من الاداء المرتب
على الرؤس

فصل

﴿ في إجمال تاريخ هذا القطر التونسي ﴾

ويشتمل على ثمانية مطالب (الاول) في نبذة من تاريخه القديم (الثاني) في علاقته
بالدولة العثمانية (الثالث) في سياسته الخارجية (الرابع) في سياسته الداخلية من
العائلة الحسينية (الخامس) في وزارة مصطفى خزنه دار (السادس) في وزارة خير الدين
باشا (السابع) في وزارة محمد خزنه دار (الثامن) في وزارة مصطفى بن اسماعيل
(المطلب الاول) في نبذة من تاريخه القديم اعلم ان هذا القطر تداولته ولاية الرومانيين
والفراعنيين منذ قرون عديدة قبل البعثة وصدر من زمن الخلفاء الراشدين الى ان

افتتح الخليفة الثاني (سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) مصر ووصل أمير جيشها الفاتح الى برقة بين طرابلس ومصر فأرسل يستأذنه في فتح أفريقية يعني بها تونس كما تقدم بيان وجه التسمية في الفصل السابق فأرسل اليه يقول ما معناه انها لغدارة المغدور بها ماؤها قاس مفرقة لقلوب أهلها لا تفتح مادمت حيا الخ وكان وجه ذلك سياسة منه (رضي الله عنه) لخبرته بالامور وهو علمه بالاختلاف الدائم بين أهلها الذي صار طبيعة لهم بحيث لا ينقادون لبعضهم ولذا شوهدت شوكتهم وصاروا الموع لاجانب المتولين عليهم بحيث لا يعهد منهم قيام شأن أنفسهم بل تسلم أنفسهم الانقياد الى الغريب عالا تسلمها الى واحد منهم والدليل على ذلك أن هذا القطر مهما تغلب عليه أجنبي انقاد له أهله الى أن ينقرض أو يستولي عليه أجنبي آخر وحيث كانوا على تلك الصفة فلا استيلاء عليهم ولان كان ممن لا يعرفه لا تؤمن عواقبه أما (أولا) فلان الجيش اذا استقر هنالك ربما سرت اليه طباع أهل الاقليم كما هو شأن الطبيعة البشرية من سريان الطبع بالمخالطة والملازمة فيقع بينهم التنافر الواجب التحذير منه وأما (ثانيا) فاذا غلب الجيش الاسلامي ولاة القطر الذين هم أجانب من الرومان لا بد أن يرجعوا الى بني جنسهم ويستمدون الكرة على المسلمين وهؤلاء لا يمكن لهم الاعتماد على أهل القطر في امدادهم واعانتهم لما تقدم من طبعهم وأنهم طوع الغالب كيفما كان وذلك لا يجدي معه ردّ هجومهم لعدل المسلمين واستقامة أمور دينهم ودنياهم لتنافي أصل الطباع من النفرة عن التعاون وميل كل لخويصة نفسه والعامل الديني وحده غير مجد لانه يلزمه رسوخ وتخلق ومع ذلك قليل من يكفي له ذلك فقد قرر (أبو اسحاق الشاطبي) في موافقاته أن العلماء على ثلاثة أقسام الاول من يبلغ به العلم الى درجة تصير النظري في حقه ضروريا لاطلاعه على أسرار العلوم وتخلقه بها حتى يصير العلم له طبيعة راسخة يرجع اليها رجوعه الى سائر الضروريات ولا يمكن له العمل على خلاف ذلك كما لا يمكن للانسان العمل على خلاف الضروري وهذا القسم قليل ما هم والقسم الثاني اطلع على أسرار العلم لكن اطلاعا محتاجا الى المراجعة والتذكر والتدبر وهؤلاء لا يجرون على مقتضى العلم الا بكلفة من خوف لوازع الظاهري فرأيهم ينقادون اليه بالتسليم وهو في حقه خفيف فأدنى درجاته تؤثر المطلوب منهم والقسم (الثالث) هو الذي لا يطلع على شيء من أسرار العلم وانما يسمع تكاليفه وينقاد اليها بالتقليد البحت وهذا لا يحمل نفسه على مقتضاها الا بالوازع الظاهري وهو القسم الاكثر والاغلب في الوجود وهذا أقيم في الدين

وازع الحكم لحرس الدين الشامل لجميع أقسام التصرفات الدنيوية والاخروية ولاية الا ان
أهل القسم الاول يلزم أن يكونوا معصومين وذلك لا يصح لانا نقول تصدر منهم الخطيئة
على وجه الندرة كما نقل الخواص في بعض الاحيان هذا اجمال كلامه وأنى لاهل
أفريقية اذ ذاك وبلوغ رتبة القسم الاول هذا على فرض اسلامهم وأما اذ رضوا
بالطاعة وضرب عليهم الخراج فالامر بين مع أن المتعاهدين للمسلمين وسط الغرب منهم بعيد
جدا وهو جزيرة العرب حيث كانت مصر اذ ذاك في أول فتحها ولم يستقر قرارها وليس
من المعقول الرغبة في الفتوح بالتهور وعدم تقدم ما يدفع أشكال ذلك وهو كيف يثق
سيدنا عمر رضي الله عنه عن ان الاسلام في افريقية متماديا وذلك انتهاء بل هو
تفرق أهلها مع أن الامر حديث الاسلام ليس بمتمكن ثباته في قلوب أهل الاقاليم ويؤيد
ما قلناه أن سيدنا عثمان رضي الله عنه لما ولي الخلافة واستقر اذ ذاك أمر الاسلام في
مصر وكان الجيش الاسلامي قريب منه ومدد أمرهم بفتح افريقية ففتحت سنة ٢٩ على
يد سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه مصحوبا بعشرين ألفا من الصحابة
والتابعين رضوان الله تعالى عليهم وكانت سبيطلة هي القاعدة الثانية في اقطار وهي
مركز المشاورة واجتماع أهل الحل والعقد لكي يكونوا احرارا في مرضاتهم لبعدهم
عن الملك الذي مقره في قرطاجنة وما جرى عليه امرهم سنعرف به ابنه وحيث كانت
تفاصيل التواريخ لهذا القطر قد تكفلت بها مؤلفات منفردة ومن أجلها الحلل
السندسية ولا يمكن استيعابها في هاته الجملة لانها خارجة عن المقصود الذي هو معرفة
الحالة الراهنة واما الذي يتوقف عليه المقصود هو بيان ما عليه الحال لكن هذا لما
كان له مساس بامور سابقة لزم بيان مقدار الحاجة لتتبين الاسباب ومسبباتها ولذلك
نذكر جملة الدول التي توالت هذا القطر من حين الفتح في جدول مع ذكر صفة الدولة
اجمالا وتاريخ مدتها بداية ونهاية واسماء اصحاب الملك الى أحمد باشا من امراء الدولة
العلية العثمانية ومنه نأخذ في ذكر بعض التفاصيل التي يتوقف عليها المقصود حتى
يكون المقصود مستوفي البيان ان شاء الله تعالى

تاريخ

﴿تاريخ الولاية﴾	﴿والاسماء﴾	﴿الملاحظات﴾
٠٠٢٩	عبدالله بن أبي سرح	عامل للخليفة ثم من بعده عمال لوالي مصر التابع للخليفة
٠١٥١	عمر المهلبي أول دولة المهلبيين	تابع للخليفة المنصور العباسي وهكذا من بعده تابعون للعباسيين مع الاطلاق في التصرف بجميع وجوهه حتى الحرب والصلح
٠١٨٤	ابراهيم بن الاغلب هو أول دولة الاغالبة	مثل السابق وتوارثها بنوه
٠٢٩٧	دولة العبيديين وأولهم عبيدالله المهدي	في نفس الامر مستقلة وفي بعض الادوار تظهر الخضوع للعباسيين وطورا للفاطميين بمصر
٠٣٦٥	دولة صنهاجة وأولهم المنصور بن يوسف	مثل السابقة
٠٦٠٣	دولة الحفصيين وأولهم الشيخ عبد الواحد	مستقلين واستولوا على المغرب ودانت لهم مصر والحرمين الشريفين برهة من الزمن
٠٩٨١	الدايات والبايات المراديون والباشوات منهم	اتباع للدولة العلية العثمانية فتارة يكون صاحب التصرف يلقب بالداي وتارة يلقب بالباي وتارة بالباشا
١١١٧	الحسينيون أولهم حسين باشا ابن علي تركي	اتباع للدولة العلية باعتبار في التصرف
١١٥٣	ابن أخيه علي باشا	مثله
١١٦٩	محمد بن حسين باشا ابن علي	مثله
١١٧٢	أخوه علي باشا	مثله

﴿تاريخ الولاية﴾	﴿الأسماء﴾	﴿الملاحظات﴾
١١٩٦	ابنه حمودة باشا	مثله
١٢٢٩	أخوه عثمان باشا	مثله
١٢٣٠	محمود بن محمد باشا	مثله
١٢٣٩	ابنه حسين باشا	مثله
١٢٥١	أخوه مصطفى باشا	مثله
١٢٥٣	ابنه أحمد باشا	مثله
١٢٧١	محمد بن حسين باشا	مثله
١٢٧٦	أخوه الصادق باشا	مثله

﴿المطلب الثاني في علاقة القطر بالدولة العثمانية﴾

اعلم أن سبب استيلاء الدولة العثمانية هو أن الدولة الحفصية ضعف أمرها أخيرا الى أن استولى الطليان على ماراباس وحربه ثم أنقذتها الدولة العثمانية سنة (٩٠٨) وامتد أمرها الى القيروان واضطرب من أهلها اذ كانت الدولة العثمانية هي زاهرة أعلام الدول الاسلامية واستقلت الجزائر وكثرت حروبها للاهالي وكانت قاعدتهم تلمسان وخشي الاهالي من استيلاء الاسبنيول عليها وكان أحد كبراء رجال الدولة العلية المسمى خير الدين باشا وأخوه عروج غازيان في البحر فاستصرخهم أهل بجاية للنجاة من ربقة الاسبنيول فاستولى خير الدين عليها وانقادت له سائرها الى الجزائر وخطب للسلطان سليم العثماني وذلك في حدود عشرة الثمانين والتسعمائة ثم أنقذ تونس أيضا من جور الحفصي والاسبنيول ثم استعان آخر الحفصيين حسن الحفصي بالاسبنيول وعاد الى تونس فأنقذها ثم سنان باشا سنة (٩٨١) ورتب بها جندا من عسكر الينكشارية قدره أربعة آلاف وعلى كل مائة رئيس ورجع الجميع الى الوالي الملقب بالباشا وهو اذ ذاك حيدر باشا ثم وقع تشاجر بين الرؤساء آل الى حرب واستقر قرارهم الى تسليم الامر الى واحد منهم يلقب بالداي وجعل على خلاص الجباية مولى يلقب بالباي وفي عهدته تأمين السبل وجباية القبائل ويسافر لأجل ذلك مرتين في السنة أحدهما شتاء الى الجهة الجنوبية والثانية صيفا الى الجهة الشمالية ويسافر في عسكره ولهم من العساكر المشاة وهم اذ ذاك الينكشارية ومن هم الفرسان المتوطنين في الحكومة ولهم جراية

ويدعون

ويسمون بالحوانب والصبايحية وعلى كل خمسمائة رئيس يسمى بالآغا وكل قسم يسمى
بوحق وجميعهم سبعة أوجاق لكل وجق مركز من القطر كما يستصحب الباي في سفره
قسما من فرسان القبائل يسمون بالزواوية ويسمى جميع الجيش المسافر فيه الباي
محله وجرى العمل على ذلك غير أن رياسة التصرف العام تارة تكون بيد الداي
وتارة تكون بيد الباي تماما منه واحيانا يحصل الباي على رتبة لباشا من الدولة
العثمانية واستقر الامر على ذلك الى أن كثرت الحروب الاهلية ما بين البايات والدايات على
حوز الرياسة العامة وملت الاهالي من ذلك فنادوا بطيب نفس واختيار منهم بحسين
ابن علي تركي جد العائلة الموجودة الآن اذ كان اذ ذاك آغة وجق باجة وسلموا له امر
الولاية العامة بعد قتل كل من الباي والداي السابقين وأقرت ولايته الدولة العلية ولا
زالت الولاية متوارثة في عائلته كبيرا عن كبير الا ما ندر من ولاية حموده قبل محمود بعهد
من أبيه وكذلك أخوه عثمان وأمضت الدولة العلية ذلك له في حياته ومنذ ذلك التاريخ
استقرت الرياسة العامة للباي وصار هو الذي يولي الداي الى أن انقطع هذا اللقب
وعوض برئيس الضابطية في سنة (١٢٧٧) في ولاية الصادق باشا غير أن استقرار
الولاية هكذا على نحو ما مر لم يكن بتعهد من الدولة العلية رسميا بالكتابة وانما اقتضاه
جريان العمل وذلك أن الدولة العلية كانت عادتها في الولايات اطلاق التصرف
للوالي بحيث يكون له التصرف في بعض الممالك لاتساع أطراف الممالك مع صعوبة المواصلة
الا بعد مدة مديدة لا سيما في مثل الاماكن التي طريقها البحر من مقر الخلافة كتونس
وطرابلس والجزائر ومصر وغيرها وتسمى عندهم بالاوجاق ومن كمال الاطلاق الذي
اضطر اليه البعد اختيار الوالي لانه اذا مات الوالي أو وقع ما يوجب عزله بتغلب غيره أو
بثورة عليه يسلم أهل الحل والعقد في تلك الجهة لواحد منهم لاجراء ما لا بد منه وما يصل
الخبر للدولة الا بعد مدة وحيث لم يكن من قصدها الا اتحاد الممالك الاسلامية واجراء الشرع
فيها والادلاء بالخضوع للخلافة والانقياد اليها واداء الواجب لها من مال أو غيره لم يكن من
فائدتها مخالفة ما يراه أهل الحل والعقد في أصقع الواقع به الواقعة لان ذلك لا يحصل لها
فائدة بل ربما توقع حصول غير فائدتها المذكورة (ورب البيت أعلم بما فيه) ولذلك تولى
هي من ارتضوه لحفظ امورهم وحفظ حقوقها والمتقرر في هذا القطر التونسي من
الحقوق التي رسمتها الدولة العثمانية فيه عند نفوذه هو اعانته بالسفن الحربية وما يلزمها
في الحروب وهدايا ترسل من الوالي الى دار الخلافة عند ولايته أو عند ولاية سلطان

أو عندما توجد مناسبة للإهداء والأغلب في الهدايا سابقا أن تكون من نتائج البلاد
كالخيل والحيوانات الغريبة من صحرائها والمنسوجات الحريرية والصوفية ومنها راية
عظيمة منقشة تصنع عند ولاية السلطان فقط ويكتب فيها آيات قرآنية وأبيات من
البردة وتزركش بالفضة ومنها أيضا السروج المحلاة وصحاف المرجان وأعواد الطيب
والأسلحة المرصعة بالمرجان ونحوها ثم زال [illegible] والشمع ثم توسع في هاته الهدية
حتى صارت من المصاغ والجوهرات النفيسة وقد بعثت في بعض الأحيان حلي ما يوفي
فرنكا وما يساويه من الجوهرات وكذلك ترتب على القطر من الأشياء التي هي علامة
على التبعية الخطبة باسم السلطان وترفع نوع راية الدولة ورسم اسم السلطان على
السكة وإصدار هدايا تهم للذات السلطانية والصدر الأعظم مع خواص الوكلاء
كتقيات باشا وأمير عسكر وأمثالهم وما عدا ذلك فلم تكن حالة القطر تقتضيه ولذلك لما
رأى وزير الدولة سنان باشا احتياج حالة القطر إلى رؤساء من أهاليه يقومون بها
ضرورة بأنهم من يلزم لحماية القطر من الاستعدادات الحربية وما يلزم إليه من المصالح
العامة ولم يرم بشيء آخر ثم قدم عثمان باشا في حدود سنة (١٠٤٣) انتقد حال القطر وما
تقتضيه حالته من استمرار الأمر وأرسى دخوله في حلق الوادي وخرج له أولاد الأعيان
ذوي الجاه من كبراء جنود تونس واجتمعوا على مصالح بلادهم وبعد أن تحقق عنده
انقيادهم لطاعة الدولة وعدم الاقتدار على الاستبداد من هؤلاء رجعوا وبقي الأمر على
ذلك إلى أن بدى للدولة العلية أبدان صدر الدولة في شأن ولاة الأقطار من إطلاق
التصرف إليهم لما تفاقم حال ظلمهم وعدم نفاذهم أحيانا لأوامرها ومنهم حسين باشا
والي الجزائر الذي تسبب بعماله في دخول الجزائر تحت الفرانسيس بحربهم وكان ذلك
الاختلال في دولة السلطان محمود وصدر أمر ولاية محمد خشني الباشا المذكور من
وصول النوبة إليه في التغيير وازداد خوفه بسبب ما كان حصل من قائده من تعرضه
بالامتناع من نزول عثمان باشا في حلق الوادي عند قدومه لإرادة الوجهة للجزائر
لعزل واليها لدى عقد الحرب مع الفرانسيس وجزائه نزول الأرتال فاعتذر له بأن
الكرنتينة أي تحفظ من المرض العام لا تبيح نزوله وأكرم مقدمه وهاداه في ذلك وكان
السبب الحامل له على الامتناع هو أن دولة الفرانسيس لما أخذت بحرب الجزائر بعد
التشكي للدولة العلية كاتبت حسين باشا والي تونس بالإنذار بأنه إذا أعان بشيء يلحق
الحصار والحرب به مع إلحاق الحاق على ما وقع لوالي الجزائر حتى والي تونس أن يعد مرور

قبطان

فطلب باشا اعانة الجزائر لانه لا يمكن مروره بدون حامية فاذا دخل الجزائر بحامية من
عسكر تونس بعد هذا الفرنسيس اعينهم وابصارهم ثم احتلت العرب غرور باشا تركي في وسط
الولاية هاجوا المنافق عليه ويوم من التشكي من المتولي كيفما كانت سيرته ثم ان الحديد
يساعدهم على مرادهم كيفما طلبوا وقد كان ذلك من اعماله التي سبق بها القدر لانفاذ
الامر في الجزائر ثم ان احمد باشا سبق واضاف الى ذلك فتح الباب من الدولة العلية في
مقدمات ما كان يعتاده وهو طلبهم من تونس الاداء السنوي والخراج ويمنعه الترك بعد
المرة الى ان توجه لها عالم القطر الاول في سيدي ابراهيم الرياحي وواجه السلطان
محمود وقبل اعتذاره وسكت عن طلب الخراج واصطلحت مع الباشا القدوم بعده
لدار الخلافة ولم يكن معتادا منذ ابتداء الحال الى الآن وطلبت منه ادعب ان
تكون حالة تونس مع الدول مادون حص ولاية الذي يصب بامر السلطان والاختيار
لاصحابها من الوالي ويدفع في كل عام حساب دخل الحكومة ومصروفاتها وفق ما
للدولة في طرابلس ما وقعت فيه في الجزائر ولابنها من التعبير وكذلك في مصر لكنها
باعتبار قوى خوف الرجل وجعل يرد كل الابواب لاطمئنان على ابقاء عادته
المألوفة ولا تكلف بشيء ولا قطر من غير ابده ... الاستقلال لا هو ولا من سلف من
آله فضلا عن الدخول في حماية دولة اجنبية ... الامر زيادة المواصلة منه مع دولة
فرانسا والمدارات ... من المعاهدات مع ... لو تريد الدولة
العلية ... ما حصل عليه من دولة فرانسا هو ... حمايته وحماية
امتيازاته الجارية بها ... (وشهد) ... ولاية العائلة الحسينية
المستقرة لا ... ان الدولة العلية في سنة (١١٥٣) اعطت جزيرة طبرقة التي هي من
القطر التونسي الى دولة جنويز ... ولم تحز جزيرتها بشروط التي
ضمنتها الدولة وهي ان لا يكون لهم بها حصن ... حدد حدودا
ثم خالفوا الشروط ولذلك افتك جزيرتهم علي باشا والي تونس ... في تلك السنة
وفي سنة (١١٨٤) حصلت وحشة بين فرانسا وبين علي باشا الثاني والي تونس من جهة
الخلاف في الامير لدى احدهم من تونس من مرسى قابل سقيلاء الفرنسيس عليها
وكذلك صيد المرجان الذي ابيح للفرنساوي ... بعدد معلوم من القوارب واداء
معلوم ... ثم الخلاف الى ان جاء الاسطول الفرنساوي الى حلق الوادي تونس ورمى ما من
الحصون وكان اذ ذاك رسول الدولة في تونس قادما لطلب اعانة لصعن الحرب على العادة

في حرب الدولة اذ ذاك مع الروسيا فتداخل رسول الدولة في المنازلة وأبرم الصلح على أن
تدخل كرسكا في عهدة فرانسا وان ترد الاسارى الذين أخذوا بعد استيلاء الفرانسيس
عليها وأن يمكنوا من صيد المرجان بخمس مئين مستقلة تأتي عشرين ورقا لا غير وان يمكنوا
من شراء ثلاثة آلاف قفيز قمحا ويخرجونها من غير أداء صراح عليها وأن يدفعوا ما جرت
به العادة عند عقد الصلح من الهدية ورجعت بعد ذلك الاقامة الحسنة المعتادة بين تونس
وفرانسا على يد رسول الدولة العلية وكذلك أرسلت خمس سفن حربية بجميع لوازمها
لاعانة الدولة في حرب الروسيا المذكورة سنة (١٠٨٥) وفي سنة (١٢١٣) أمرت
الدولة العلية حمودة باشا بحرب الفرانسيس حيثما اعتدوا عليها باستيلائهم على مصر فامتثل الامر
وقطع المخالطة مع القنصل وأرسل سفنه الحربية لاعانة الدولة غير أنه تحمى العناية عن
أموال تجار الفرانسيس في بلده ولم يتعرض لسفنهم التجارية حتى قال تجار الفرانسيس
اذ ذاك نحن بلا قنصل أحسن حالا من وجود القنصل وأعلم الباشا الدولة بسبب تلك
المعاملة وهو كثرة المخالطة التجارية المتقادمة الموجبة لاشتراك مال التونسيين مع مال
الفرانسيس فلو تعرض لاموالهم لكان تعرضا لمال التونسيين أيضا وانه تمت عليه من
بعض الجهلاء من الداخل والخارج وعند وقوع الصلح رفعها له ناپليون الاول وصارت
بينهما مهاديات واعترف بالكمال وفي سنة (١٢٣٦) أرسلت الدولة العلية رسولا آمرا
بحفظ الوحدة وترك الحرب بين تونس والجزائر وعمل بامره وفي سنة (١٢٣٧) أرسل محمود
باشا سبع سفن حربية ثم أردفها باثنين لاعانة الدولة على حرب اليونان وفي سنة (١٢٤٣)
أرسل حسين باشا اسطولا حربيا لاعانة الدولة في حرب اليونان واحترق مع جملة سفن
الدولة ومصر والجزائر بعمل اساطيل الدول كما في تفصيله في بابه وفي سنة (١٢٥١)
أرسل مصطفى باشا والي تونس هدية لقبطان باشا عند قدومه على طرابلس انتزعها من
أيدي آل قرمانلي ثم طلب قبطان باشا الاعانة الحربية من تونس فأرسل والي تونس في
تلك السنة ثلاث سفن حربية وأتبعوها بتسع سفن تجارية حاملات ثلاثمائة من الخيل وفي
سنة (١٢٥٥) طلب أحمد باشا والي تونس تقليده رتبة مشير مع هدية فاخرة فأنعمت
الدولة عليه بذلك ثم زادته نيشانا آخر يرسم في غطاء الرأس والآن زال من رسم الدولة
ولم يزل معمولا به في ولاة تونس وفي سنة (١٢٥٦) أمرت الدولة العلية والي تونس بالعمل
بالتنظيمات الخيرية وقرئ أمرها في موكب مشهور وأجاب عنه أحمد باشا الوالي بالامتثال
غير أنه طلب وقتا للعمل مع مراعاة ما يلزم من التغيير بسبب عادات البلاد ثم ألح عليه في
اتمامها

تمامها سنة (١٢٥٠) فأرسل هدية فاخرة منها سفينة حربية ومائتين وخمسين ألف
فرنك وطلب الأمر للقبض على بايات قسنطينة وفي سنة (١٢٥٧) ابتدأ الوالي المذكور
أمر تنظيم المولد النبوي فقال بعض حكومته أو أعيان أحمد باي أي شيء يناسب
أن تخرج من باردو راكبا فقال تخرج لنا كما يكفي في الوقوف بين باردو وجامع
الزيتونة فلم يفعل ذلك لما عين الشيخ محمد ولم ينزل أن يفعل مثله لاحتساب الأدب
معه وإن حدث لخط الوزير المذكور وفي سنة (١٢٥٩) حدثت نفرة بين دولة
الصاردو ووالي تونس أحمد باشا كادت أن تفضي إلى حرب بسبب منع الوالي خروج بعض
إلى سردينيا القبض حصل بالقصر وكانت الشروط مخالفة فأرسلت الدولة العلية رسولا
خاصا للبحث عن السبب وأمر الوالي بعمل ما يراه بالصلح فبذلك تقرر باقي النازلة وفصلت
بصلح يبقى به كل على ما كان وقد دفع مخصوص [illegible] الصاردو في شراء الميرة وفي سنة (١٢٦٣)
أرسلت الدولة رسولا مخصوصا للوالي المذكور أنبأه من جملة مقصودهم مع [illegible]
ملك المال السنوي وتأييد الوالي في الولاية مدة حياته وأجاب بالفرح وأقبل
الكسوة التي أرسلها وجميع الامتيازات ومنها شغل الولاية لآله عند موته وفي سنة (١٢٦٥)
أرسل عباس باشا والي مصر مكتوبا ودادا على وجه الأخوة يوضح فيه للوالي المذكور
بترك الأوهام التي [illegible] له وبه [illegible] للاستمالة وبالنتيجة مدارة مع أن [illegible]
دفعا لما يتوهم حوله ولاة تونس وأنه لو يسعه [illegible] الاتفاق في الدين و[illegible]
للاستمالة يكون له الحظ الأوفر فأجابه بأنه عبد للدولة ولم يخطر بفكره شيء مما نسب له
وقصارى أمره التمسك بالامتيازات التي جرى بها العمل والجارية من القديم في القطر
التونسي ثم أرسل عباس باشا رسولا من العلماء وآخر من العسكر للاجتماع مع الوالي في
مقصود الدولة فسرهم بما به أمنه من [illegible] للجامعة الإسلامية والخضوع للدولة العلية
في ما جرى من الامتيازات للإيالة منه عدم [illegible] بقدوم الوالي للأستانة وفي سنة
١٢٦٣ وقع خلاف بين والي تونس أحمد باشا ودولة فرانسا في شأن قبيلة من جبالية
باجة حيث أن القبيلة مقيمة في حدود تونس وتابعة لتونس وتابعة للجزائر فاستولى
الفرانسيس على الجميع فعمل الوالي أحمد باشا وكتب إلى القنصل فأجابه القنصل
بمضمون مكتوب دولته وهو أن فرانسا تعطي إلى تونس أرضا أخرى عوضا عن هذه بعد
تحرير الحدود فأجابه الوالي بما نصه أما الحادثة وأما تحديد التحديد أراد لبعض
الأعمال الجزائرية من غيرها فمعلوم أنا نتوقف فيه على المشورة من جهة الدولة العلية وإن كان

إذا لتصرف العام في الإيالة بمقتضيه اختيارنا من المصلحة أما تقبض منها أو تبدل
بعضها ولا يعين مناب هذا الإعلام أولا ما للسلطان وتقرير ما أنشئ ما من الضرر بسبب
ذلك لخزانة الدولة اهـ وفي سنة ١٢٧٠ أرسل أحمد باشا أربعة عشر ألف عسكر با
جميع لوازمهم الضرورية من الحربية وفرقة بحرية ومتفرع منها نحو ثمان لإعانة
الدولة العلية في حرب القريم وفي سنة ١٢٧١ [؟] أردف ابن عمه محمد باشا عدد ولاية ذلك
العسكر بأربعة آلاف وخيل وعوضا نحو سنة ١٢٨١ أرسلت الدولة العلية رسولا
مخصوصا هو حيدر أفندي لما أوجبه حال الثورة العامة في القطر التونسي وبيانها وأرسلت
الى الحكومة ... بالاعانة على ما حصلت فيه من الضيق وفي سنة ١٢٨٨ [؟] أبرم
الفرمان الآتي ذكره الذي استقر به القرار وفي سنة ١٢٩٣ أرسلت الإيالة نحو مليون
ونصف فرنك لإعانة الدولة على حرب الصرب وفي سنة ١٢٩٤ أحضرت الإيالة نحو
ذلك القدر لكنه لم يصل منه الى خزانة الدولة العلية الأول من [illegible] في صرف
منه على تهيئة العساكر التي قدرها نحو أربعة آلاف في كسوتهم ونحو للإرسال
وحصل الصلح قبل سفرهم وهم في انتظار من الدولة العلية لحلولهم إذ لم يكن بالحكومة
مدد يعين على ما عليه وبعدها بحول الأحوال كما أرسلت الولاية في تلك السنة
للإعانة المذكورة نحو ... بغل وأربعمائة حصان ومارد على ... الأهالي
بقي عند الحكومة التونسية وما تقدم كله زيادة على إرسال التي تواردت في أغلب
الأحيان بين التابع والمتبوع الذي هو كثير وها أنا أثبت هنا نص المكاتيب
التي أرسلت من ولاة هذا القطر في النصف الأخير من هذا القرن حتى يتيقن منها
زوال كل شبهة ولبس كما كان قبل هذه المكاتيب لأن المكاتيب كانت ترسل باللسان
التركي ولما تقادم عهد ولاة تونس استحبوا الأخير على جهور باللغة التركية وكان
أحمد باشا صاحب المكتوب الأول ذا اعتزاز وتمدد وكره وأراد أن يمضي كلاما بالإبهام
استراتيجيا كبيره ويكتب باللغة العربية ودولة الدولة د كثير من الكتاب عربي
ولا يسعها ... قراءة شيء التي هي الخ ... وكان إرسال هذا المكتوب
مع عالم القطر سيدي (براهيم الرياحي) في العرض الذي قدمت الإشارة إليه وهو
طالب العفو عن الأداء لسيئي وهو نص المكتوب (ابو م) بإشاعة عليك تتوجه اليك
بأفاح أبواب القبول والإقبال ومانح لم أني لا ... على أبل تتزعمت في
العصمة والجلال ولا تزال عادة الإهمال بحص الرحمة والإفضال فاقت عليهم حابة

نعرض

تعرض عليه الاحوال ويدفع عنهم ما بهم من الاختلال ويسوسهم للاصلاح في الحال
والمآل وصلى على سيدنا (محمد) خاتم الرسل ونبي الانبياء عند اشتداد الازمة
والاهوال وعلى آله واصحابه الذين ورثوا في الاقوال والاعمال وسرت مكارمهم
مسرى الامثال وبعد فهذه نبذة عن الايام جديدة وسير ايامها في الاعمال الحميدة
الدولة العلية والسلطنة العثمانية والمملكة الخاقانية التي رفعت من الملة
الحنيفية اركانها وشيدت من معالمها بنيانها واقامت للحق قسطاسا وميزانا وروت
احاديث العدالة بما يشهد صاحبها وورثت ملوكها الارض وهم صالحون سلطانا
فسلطانا حتى استقر الوجود بمشيئة الواحد المعبود وهو مولانا السلطان محمود اللهم
اعنا على ما اوجبت له من فروض الطاعة وأيد الحق بجهد الاستطاعة واحفظنا
برعايته وعدله من الاضاعة واجعل الامة في حفظه الى قيام الساعة واعطف قلوبهم الى
سماع هذه الضراعة من الملك ومن يطلب من الحاجة على لسان اخذ القسم على طاعته
فيما يأتي من غرضه امام الزمن وبكلمتها وما هو خلاف فرض على اهل الارض
وهي عندهم في فرض فانه لم يعرض لحال عالم فهو من العرض توسع
شعائر الاسلام فربما يبعدها عن استعمار اراضيك الحرام وصالحه ومواردها الاسعر
في السنة امام شأن اهلها العيش من الحرث والبر والصوف والوبر يملون في
تحصيلها من الخير والبر هذا على ما يبدو من الخدمة ويوجد غيرهم يتكل على دله
ومعداره كافة ذلك لا يعرفه بحسب اتباع العادة في تحصيل من خصبائه ولا يحفظ
مدة وبما دام عزائم لهذه الدنية لا يصل من ذلك اثر في ولو في سبيل شرف هذه
المقام دخل نظر يحدث ما يحصل بالخطر ويلزمه ضرورة لحفظ عربانه وحمايته
اوديته وتأمين سكانه واصلاح مرتبه وبادائه جاهه واحتشاد في كل جهة
وبلاد التأمين الجبال والوهاد وردع اهل الفساد ويلزم لهما كل الكسوة والطعام
والمرتب على الدوام ولابد لهذه العدد من آلات وعدد وقوم هذه الاموال وهو
السبب في عرض الحال بان الدخل على قدر الانفاق وقد ثبت هذه الله بما عاق
واذا كانت الرعية في شقاق وترعها الرق والاشفاق كان ذلك ذريعة للعاق وسلما
للشقاق وربما رعوا للدولة شيوخها وولدانها وكهولها وشبانها يسوقهم الطمع
ويقودهم الامل الى من في طاعته اثبات منها واعز فالسلطان ظل الله في ارضه
يأوي اليه كل مظلوم وهذا من الواضح المعلوم وعند كم حسبه امير البلاد وحفظها

من طرق الفساد عن معظم الحماة والاجناد ومربى الاثامة أحوالها ونهب راحة
شيوخها وولدانها وتحصن الخارق لامانها وما تحدثه خلالها تسديه خلالها وعلى
هذه السيرة ولاتها لا يسعون لا نعصم مالا ولو سطر لذلك آمالا الا ما يقتضيه
الحال من العادات المألوفة والمراسم المعروفة يصدهم عن ذلك عدم البدار لا زهد
الابرار والله اعلم على الاسرار وعاد ساطعا من الكلام في حال هؤلاء الاسلام بطور
لانهم عصابح الاسلام أن لا قوة لخدمة الا بالله على آداء لما في كل عام هذه ضراعة
رعيتك المتمسكين بطاعتك المتحرين عصابتك المرتجين امانة واطانك قد
تأمليها من يدى ما نشرت الخافى به وهمتك العثمانية وندب فيها من الواجب في
حتى هو غرة داعي وصدق والمأمول من ذلك همة النظر في هذا القطر بعين
الرحمة وهو المالك في حوزة الدولة العلية وثقله في هذا النظر شديد فارحم ابنها
الى صرعتها ولا تفرق عن الاطلاق جماعتها فلا يرحال وما قربناه بعض من الاسباب
والعمل وهو فكره واعتقد الخلل وتحدثه الطالب لابتقوى رجل قصى الى
نقص وحال أو ثقيل يقطع من رعيته الامل وبصف سبب ذلك هذا الامر
وشد الخادم للاستمداد من كرم مولانا السلطان وانتصر به من حوادث الزمان
هذه رسالة من به مقتداره ولم يكن بيده اختياره على لسان مملكة تونس مع
قدوتها الموس صالح مصرها وامام عصرها شيخ الجماعة ومفتيها الذي دعت له البلاد
بديمها وثالث به الافق امامها السارية ركابه في النواحي السيد ابراهيم
الرياحي وجهتها التماوا ... ومن سعد بربه ... سعفرت انهم ات أعم بها منا
ولا تحمل ملالا ولا لثامة وعن عثرات ... الطافنا والهمة الامانة أوطننا انك
على كل شيء قدير وكتب في أواخر ربيع سنة (١٢٥٤) وفيما كتبه أحمد
باشا المذكور في تبرئة ... عارى به من ارادة الخلافة وصدق الجناب القصد وبلوغ
الآمال ونجاح ... جناب ركن الدولة وشمس شموسها وقطب رحاها صدر صدور
الكبرا ومركز دائرة الوزرا المشار اليه بالمعظم والصدر المفخم السيد مصطفى رشيد
باشا ... الرحال وقبلة الوجوه ... من الله ما يؤمله ويرجوه (اما بعد) تقدم
ما يجب للسلطنة من فروض الطاعة بحسب الاستطاعة فان هذا العبد الذي مات
في خدمة الدولة ... وعش في ... الدولة العلية ثابتة الاساس
معلومة في الناس واضحة وضوح الصبح غنية عن الشرح كما ... سلطان
زماننا

وما نشأ من كرم الطبع وطول الباع أمر انعقد عليه الاجماع وما على الصبح غطاء
وما على الشمس قناع والامان الذي مهده لاهل الايمان واضح للعيان لا يختلف
فيه اثنان ولا يخطر بالبال ما ينافيه لانه من العهد الذي عاهد الله عليه
وطالما في هذا العبد الوفود الى الحضرة العليه ومشاهدة الانوار الجديدة لو ساعده
الزمن وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن وما قصده والله عدم الامان لانه من
المستحيل لا العقليه مع انه لم يصدر منه خلل في عمل ولا نية فاعتلال النفس بأن التوجه
اليها هو تعرض لعناية الدولة وانه من تمام هو محض ما لها في هذا القطر من الصولة
ونوه واجب الخدمة على التعرض لزيد النعمة والنصح في خدمة السادات مقدم
على نفع خاصة الذات وتصورت بالضرورة على المعنى المألوف والمسلك المعروف
من تعرض الى الباب العالي بتقديم الهدية طبق الاصول لاعتياده في هذا الوقت
الذي أشرقت عليه الانوار العثمانية وحفته الشوكة الخاقانية وان كانت الدولة
في اضعافها غنية فراعني الاماني مكتوب الوزارة من انه صدرت المساعدة من
حضرة صاحب الخلافة بالتحصيل بتوقيعه وان عهد بالوكلاء لنظام صار في خبر القبول
تقتضي ارجية السلطانية فهم العلم من التوقيف عدم القبول ومن عدم القبول
نقصان الرضاء وفي المكتوب المذكور ما يشير الى ذلك مع ما بلغه الرسول من تعبير
الاشارة بصريح العبارة كان ذلك سهم رمي في صميمه فحزن لذلك الفؤاد وماج في تيار
الافكار اذ لم يصدر منه ما يقتضي ذلك وما عندكم في عمر ممالك أما كون سلامة
تونس وسعادتها متوقفة على تأييد الروابط المذهبية مع الدولة العلية فهو من المعلوم
ضرورة وجاحده منكر للبديهيات وأما التبعد والتوحش الموجب لانواع الاذى
فحاله [illegible] خلاف ما انطوى عليه الضمير أو فعلا يقتضي نوعا من التغيير (أما
والحالة هذه فان العبد لم يجحد حقا معتادا ولا اضمر زيادة نقصانا ولا وهم الاسباب
الشبيهة مؤاذا ولم يصدر منه الا المعلوم بطول الازمان واقر السادة القادة من آل
عثمان والاصل بقاء ما كان على ما كان فلا مغايرة والحالة هذه بالنفس ولا بالوطن
أما النفس بوجود الامان من ظل الله في أرضه والقائم بواجب الاسلام وفرضه
وعبد الله أعربه وبنيه بخبرة وشفقته على الرعيه بأكثر من هذه لا تمال حرية
وأما الوطن فانه في حماية دولته محوط بصولته يدافع عنه بقوته ويكافح من
ناواه بشوكته ولا منافاة بين [illegible] على القطر الاسلامي وحمايته وبين التفصيل

باستمرار دولته واستغفر الله ان يحصر بالطلب والجليل الجليل ما لا أقدر أن أؤديه من
توهم الاستقلال أعوذ بك (نعم) منه هذا المقال كيف متابرا طرفي كل
جمعة تنادي بصنعته مع الشكر على تواتر عادته ولا تروج الدرهم والدينار الا
باسمه العلي في سائر الامصار وشرف الطالب هذه سجية وما حداه له الصناعة لعلمه
وأهليته له من المراتب السنية بحصص وصلاح وكمال عدلها وعدم امكان لحضور
هذا العبد الشكور اذا كان سببه صلاح الامور والمثابرة على دوام حفظ الجمهور
لا يتوقع منه قصور وخلاف الشر في مدارك العقول معقول ومنقول وصدق
الخدمة يقتضي التصديق في القول هذا وطالب الورقة داسه رزقه ورد بأمر
نهيها وأمرها من العبد الفقير ان يودع لأمانتها ما في الضمير يوجب ان شرح باقي
وما أعرف بأنه طوبى فقول وانه شهيد على سري وعلانيتي هذا العبد الذي
شب في طاعة الدولة العلية وربي في حال رضيتها الجلية وتغذى بلبانها وعاش
باحسانها وتفضل بأمانها وتشرف بخدمة سلاطينها من بيت هو عاشر آن في
الخدمة وهو مما للدولة من النعمة أعظم أمانيه دوام رضى مولانا السلطان وطول
أمد الاعيان وان تبقى خدمته على سنن أبيه وجده ونيل هداه وسعادة جده ومن
هذه الامانة المستودعة على هذه الجنة لا يراع لها مرتب ولا يتكدر لها شرب
بحماية القوة السلطانية وشوكة الخلافة وبهذا الحال حفظ ذاتها وصلاح
جماعتها وهو السبب في اجتماع الكلمة لهذه الأمة المسلمة وبه يقول (واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) واختلاف هو لذ الآفاق لا يبقى الطاعة والاتفاق
ولا يكون ذريعة للافتراق وتلك البلدان مادامت محفوظة مع ذواتها والمأمول
من الحضرة العلية أدام الله نصرها أن ترى هذا العبد في مقصد صدق وحققت
ان نطق بحق ان يرق لهذه الفئة الطائفة ويرحم ضراعتهم ويجمع بافاضة عدله
الجميع جماعاتهم حاشا فضله وانصافه ان يفرع حزبة يفصل بها اسلافه بل المأمول
من كرمه زيادة وهو الحري لما آثر اسلافه العادة هذا ما في الجنان نطق به اللسان
بلا شبهة ولا تمويه ولا خواطر تنافيه فاذا تعد الله در بالقبول فهو المضمون المأمول
وان كانت الاخرى فالله مع الصابرين وهو حسبنا لا نعبد الا إياه حتى نصوم
والله يعلم اننا ما غيرنا ولا أضمرنا غير ما لدينا ويوم تبلى السرائر تسأل عما
ضمرنا وهذا المكتوب بشرف بلوغه الى الباب العالي المستوجب لكل الثقة الى
الثقة

الثقة بما حصل المؤمن محبة أقرانه لنباهته فيه الذي هو أمير لواء عسكر البحر ومعه الكاتب الثقة الحبر العميد لمخيم الذاعلي لدنياوى وجناب لوزرة يتق بأن ما يلقى الى الحاملين من ثقل يحصل للعبد الفقير على أحسن حال والمرحوان يعودوا بالتحبير بسط النفس وتبديل الاسى والتدبير للدولة العليه الجديدة من لا يحاول حدده وهو أعصى ثمن عندعدده والسلام وكتب فى ٢٠ ذى القعدة سنة (١٢٦٥) (ومنها) مكتوب من أحمد باشا المذكور صحبة مع العساكر المرسلة فى حرب القريم مخاطبا به لصدر الاعظم (ونصه) أما بعد تقديم التحية المناسبة بتلك الوزارة العلية والخدمة الراسخة الجلية فهذا أمير لامرائه واحد أعيان الكبراء الثقة العمدة فارس هذا الميدان ابن ارشيد وهو معظم قدركم بهذه المدة المبلغة السابق تقريره الحافل وزيركم ووجهنا معه بفرقة محمد أمير الالوا والتدبيرى مالا عبد اللدبير من لا سخيا عند حضوره على الباب العلى وبسهل الاذان ذلك على قدر العبد الفقير لا على قدر الدولة ذات العظمة والصولة والاعتماد على الوزارة العظمى فى الاخبار وتقرير وجهه لحال نيل الامل وتحسين الاعمال والمأمول من وزارتكم لجوده اصغات انتهت البائع عنه حسن الالتفات والجد فى طاعة الله وخدمة الخلافة واحدة والمطوع على دعوة متعاضده والانفاس متواردة والمأمول ان يرى أمير هذا الجيش من عنايتكم فوق الامل والله يسدده الى مرضى العمل وينصر مولانا السلطان ويعلى سطوه أركان الايمان ويديم وزارتكم ركنا منيعا وكهفا رفيعا والسلام وكتب فى شوال سنة (١٢٧٠) (ومنها) مكتوب من محمد باشا عند ولايته على القطر بعد تولية والده توجيه لمأمورية رسال نجدة عسكرية لحرب الروسيم وهدية مالية مصاحبة للمكتوب (ونصه) اللهم بالثناء عليك نتقرب اليك وبالصلاة على رسولك وخلفائه المتأخرين نسلك سبل المتقين ونشكر نعمك ذوى عباب كرمك وهو باب الدولة العلية العثمانية والسلطنة المحمدية الخاقانية المصدوعة بالاعمال والنية المقصودة لبلوغ الامنية الوارد فضلها على الاقصى من كل ثنية والشمس من مدح المادح غنية وكفاها ان رفعت من الملة الحنيفية اركانا واقامت للحق قسطاس وميزانا وروت أحاديث العناية محاسنها وورثته ملوكها الارض وهم الصالحون اعلانا بتقليد سلطانا من سمى ذى النورين الى من اختاره عبد مجيد اعباده وأقام به شرائع دينه وفروض

جهاده ولولا مباعثته وإمداده ويسر على يديه مصالح أرضه وبلاده لا زالت القلوب
بطاعته مولعة والسيوف والأقلام بخدمته منصرعة ولا زال في الأقطار بحرها
عامية لها منصبه وعاذا أحيي تلك الحضرة العلية الشامخة والقدم التي في كل فصل
راسخة ضاق نطاق العبارة ولم يبق الا حسن الاشارة والرجوع الى السنة وتحية أهل
الجنة السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله من عبيد نعمته الى كف منه نشأ على خدمته
محمد بن خديم الدولة حسين باشا باي (أما بعد) فالمعروض على تلك الحضرة وهلها أول
الامر ونمو الامر ان رهين نعمتكم وعبيد دعاتكم وغامر هذا البيت في خدمتكم
ابن عم عبدكم ومقام أخيه المشير احمد باشا باي صار الى عفو ربه فداء الحضرة السلطانية
متزودا علامات تليه من طاعة الخلافة وخدمتها باعز ولسنة وفي كحيل بادر أهل الايالة
التونسية عموما وخصوصا وكونوا بابا مرصوصا لى هذا العبد اشعروا القوا اليه مقاليد
أمورهم والصرف في حفظ ثغورهم وجمهورهم فقام العبد بها وجمع عليه من جمع
الكلمة الاسلامية ولم عاني الا بالسلطنة العلية رحيم من رعى الخلافة في ذي
البلاد وزوال روعة العباد وسد طرق الفساد واعتصاما بحبل الله جميعا ولي العبد
الفقير سابقة تنبئكم [illegible] على عادة سلافه المتقدم مع [illegible] الاطايب
الكرام ووسيلة هذا العبد انه نشأ في ظل سلطنتكم وسعى [illegible] نعمتكم [illegible] من
نعمكم الانواع والاجناس [illegible] من عنايتكم [illegible] به في الناس والكريم
يرى [illegible] الخدمة [illegible] وقد ترجى العناية من ذلك الباب اعتمادا على فضل
ذلك الجناب ولا يجب بمثله من الاسباب وعادات السادات سادات العادات والامل
ان تقر بخدمة عبدكم على خدمة من مضى حتى يرى من ظل الله رضى والله ما لى
في نيتي فيما عرضت من امنيتي قبل حلول منيتي وقد بذل العبد خدمته بما كانت
اليه فيه مع من تقدم واحده والقلوب والجوارح عليه متعاضدة وهو ارسال طائفة من
العسكر اعانة لتلك الهمة القليلة التي تقدمت وبحسن القبول قوبلت والامل الذي
عليه المعول ان يشملها الفضل الاول وهو واجد لها ومنتهى طاقة الضعيف وعلى
قدر المهدي الهدية في هذه الاعانة لجهاديه وعزم السلطنة [illegible] والامل [illegible] يقتضي
الاغضاء عنه بقدوم ذلك عبد السلطنة المكتفي بوثوقه وأمانه وسياسته ونجابته أحد
خواص عبدكم وبعد ابنه محمد أميرالاي وهو نائب عن العبد العاجز في [illegible] الوصل
الذي وسيلته الرجاء والامل وفضل الكرام لا يتوقف على ملاحظة عمل اللهم أعنا على

ما

ما أوجبت هذه السلطنة من فروض الطاعة وتأدية الحق جهد الاستطاعة وعصمنا
بيدها أطول من الاضافة وأحلنا من رضاها على سنن السنة والجماعة (اللهم)
انا اليه ناظرون وعن أمره صادرون ولانجاز وعدك في نصر من ينصر دينك منتظرون
فما فقد شيأ من وجدك ولا خاب من قصدك آمين يارب العالمين وسلام على المرسلين
والخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وكتب في شوال سنة ١٢٧١
(ومنها) مكتوب من محمد الصادق باشا عند ولايته في طلب الولاية والتقرير مثل
السابق (ونصه) الحضرة العلية الخاقانية السلطانية أدامها الله بالعز والابهة واثقة
من عدلها وفضلها ببلوغ الامنية وتشمس عن مدح المادح غنية خليفة
(رسول الله) وظل الله في الارض الحامي لشعائر الاسلام من سنة وفرض من اختاره
الحميد سبحانه للخلافة وزين عاطر صيته أوصافه وحلى بعدله كل اكنافه (اللهم)
يا كريم يا مجيد أدم له النصر والتأييد والخير المزيد والعمر الطويل المديد في الزمن
السعيد والعيش الجديد وأعن العبد على ما أوجبت له من فروض الطاعة وأهل
السلطنة فيه وفي عقبه الى يوم الشفاعة (أما بعد) السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله
فان العبد الشاكر على وفور نعمته المثني في نعمته السابغ في محاورته معرض
للاعتاب العالية ومتبع لما وصل المولى به نعم مقدمته حميد الاب العالي بوفاة
أخي وللحضرة العلية طول العمر ودوام الامر فصبر العبد على القضاء ورحمه بانه حيث
توفي في خدمة الخلافة ترجمة والرضى وحفظ العبد العاجز [illegible] على العادة المقررة
من أسلافه السادة وحمله ليان الاصل عند السلطنة العلية نخبة الاعيان
وصفوة الاقران وزير أجرا أمير الامراء خير الدين بطال على لسان العبد السعيد
الفضل المعتاد من الباب السلامي لاعتاد وعلى عادته هذه البلاد وقدم العبد من
قدره ما حقق لعظمة السلطنة من ذكره وان كان مقام السلطنة الكبير يسمو على
التقدير ويرى انه صل بالقبول فالمأمول فالممدوحة رحله لباب الفضل وينظر
وفاء من وضع الامل موضعه مثير الوجود وبه أسأل ان يجمل بقاء أمير المؤمنين
ويعزز به الدين ويقوي شوكته حبل الله المتين ويحيي بعدله سنن الخلفاء الراشدين
ويديم الخلافة فيه وفي عقبه الى يوم الدين آمين يارب العالمين والسلام على أمير
المؤمنين من عبد نعمته المخلص في خدمته المؤمل لعميم نعمته الفقير الى ربه تعالى المشير
محمد الصادق باشا باي وفقه الله كتب في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢٧٦ وكاتب
فيه ذكر الصدر الاعظم عالي باشا (ونصه) الصدارة العظمى والركن الاعظم الاحمى

والرتبة الشامخة تشهد بها صدارة ركن الدولة وعز الوزارة ومنتهى الآمال ومصدر
الاشارة ومن لا تفي بمحاسنه عبارة الوزير الشهير الصدر الاعظم السيد محمد باشا
لا زال كاسمه مختار سعيد الآراء محمود الآثار ومناقبه تخلدها أقلام الاقدار (أما بعد)
تقديم التحية المناسبة للوزارة العلية المستمدة من أنوار الخلافة المجيدية فان العبد
الفقير قدم للباب العالي حمروده أخيه انا لله وانا اليه راجعون ومن أهل الانابة قدموا
العبد الفقير الساعي بجمع الكلمة من هذه الامة المسلمة واجتهم بحفظ مصلحة الوطن
وقت ما رآه المرحوم مستحسنا فهو عنده مستحسن والآن وجهنا لبابكم لسدتنا العلية
ومنبع المصالح الجمة عند السلطنة بخدمة الاعيان وعمدة الاركان وزير البحر أمير
الامراء ابننا خير الدين وفي رفقته أمير اللواء ابننا حسين لعائلة الفضل له اياد من
السادة افادة لسلامة الاجداد وجهتنا همة العدية على قدر العبد الفقير لا على قدر
السلطنة الكبير كما يرى جنابكم السامي تقييد ذلك وجنابكم بصدور من مجاريه
من المسالك والحقيق بالأمور الوزارية من عظمى تمثل رسل العبد المائل بحسن
القبول كما هو المعروف من آثاركم والشائع من أخباركم وبرجوع الرسول بفضل
السلطنة قرير العين مسرور الفؤاد ودمتم دوام ملككم الاسعد وطلوع البدر على ممر
الآماد والسلام من معظم قدركم العالي وشاكر فضلكم المدرار والداعي لكم الفقير الى ربه
تعالى المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله وكتب في ١٨ ربيع الثاني سنة
١٢٧٦ والمكاتيب على هذا النمط كثيرة وكفى في اعلان الولاء في جميع مكاتيبهم
الرسمية بلقب المشير من المدى منحتهم به الدولة العلية بقول بعضهم من المشير فلان
باشا باي وهاته السياسة هي التي يدين بها اهل القطر التونسي كلا منهم ذات الدين مع
التمسك بالامتيازات الحاصلة الآن وأهمها ما لآل حسين بن علي في الوراثة بلا تعاظم
بهم ومعرفتهم طبائع أهل القطر ومقادرهم وطاقاتهم واعتدال ما نابها من سياسته وان كان
الامر على البرهان انا شاع في أذهان بعض من لا خبرة له ان احمد باشا شق عصا
الاسلام ومن بعده من بعده وكدروا ان لم يرضوا أهل تونس بالكهر ارضاهم بالغاء لهم معاونه لم
يأت بشيء أمر بالوعاء امرا عمده على الامتيازات التي اوجدتها العادة ورام أن يجعل
ربحا على عمر الطريق المألوف ولم يحصل الاسقاط طلب الاداء السنوي وهاته
الى بقية مدة عمره ولم تات الى ان عملكه من عدم الانقياد لما طلب منه الذي نراه
للجمهور انه شبه خلاف ورجع موقف بيدار الى اسمه على ما كان عليه الذي هو

ق

في أواخر عهده بهذه الدار وعزمه هو وابن عمه من بعده على التوجه الى دار الخلافة كما
هو مشهور عند خاصتهم وقال ان تخوفنا من الدولة العلية انه اراد ان يجربه الى العدم
ومعاذ الله ان اكون سببا في خروج هذا القطر الاسلامي من يد المسلمين وخروج روحي
أهون علي من ذلك هذا ان الدولة تغيرت من يوم هذا الملك المستعصم وزينته بعد
أمير امرائهم كاتبهم الخاص الوزير أحمد بن أبي الضياف

﴿المطلب الثالث﴾

في سياسة الدولة الخارجية (اعلم) انه لم يكن من الدول جميعا معارض للسياسة
المتقدمة حتى ان الدولة الانكليزية كانت مرتقبة لحرب ولاة القطر معارضة لكل
ما يخل بالنسبة للدولة العلية كما بينا في ولاة مصر الدول والاولاة وقد كانت تشدد في ذلك
بواسطة وكلاء التونسيين على الخزنة حتى انها لم تود ان تقبل أحمد باشا في سفره الى أوروبا
الا بوصفه مقدم الدولة العلية وعدلت عن زيارتها لاجل ذلك ونحو ذلك حيث كانت
تقبل رجاله بلا اعتبار ثم حدث ترتيب اعلنت وقصرت من ممالكها رجالها الذين
مع من يريد زيارة التونسي الدولة كي يوجه اعانة في الجهات التي لها فيها منافع مع
وجود الاعتقاد الرسمي للدولة العلية الذي كانت تقوم حوله وتتقيد بذلك عند
الحاجة وأما دولة ايطاليا فانها كانت في المدة السابقة متصرفة ولها احوال وصار لها
اعتبار التمدن في السنين الاخيرة كانت موافقة لسائر الدول رسميا ولها تشوق الى
نزع بعض مواطنيها لما صارت تنزع اليه دولة فرنسا من عبر الطرابلسية الرسمية وذلك
لان اتحاد ايطاليا صارت من جملة الدول العظام في النفوذ في بحر الابيض وتطلب المدائن
التي تتاخمها في حدودها من وحدة ايطاليا وجعل تختها مدينة رومة احيت رسم خريطة
الاستيلاء على قرطاجنة تذكارا لتلك الرومانيين غير انها لم تحم حول ذلك تحاشيا جهارا
لما تقدم من حق الدولة العلية ولان دولة فرنسا لم تشر لواء السعود ومن سياستها لا توافق
على ذلك فصارت ايطاليا محافظة على ابقاء ما كان على ما كان وأما دولة فرنسا فانها لم
تخالف تلك السياسة ولم يكن بعد أمر تونس وعلاقتها بالدولة العلية الى ان استولت على
الجزائر بالاسباب التي سترد في الباب الخامس عند الكلام على الجزائر ففي ذلك التاريخ
صارت متحذرة من زيادة تداخل الدولة العلية في القطر التونسي لاسباب (منها) ان
الجزائر اصلها تابعة للدولة العلية ولم يكن استيلاؤها عليها بحرب مع الدولة العلية وانما
اضطر اليه الحال في الانتقام من والي الجزائر لاهانته نائب فرانسا (ومنها) ان تونس

الاستيلاء على الجزائر اعانتهم بعد سنين وحروب طويلة مع أهلها ودمار لأهلها وبلاد يئون
في عقيدتهم بالخلافة للسلطان العثماني (ومنها) ان مجاورة دولة دونه تستقل الدولة
العلية توجب مشاحنات تقتضيها المجاورة وتدعى احدهما الأخرى بدولة تخالف
ما اذا كان الجار ضعيفا واضعف هو الآن بتوهم ويتبع ونواهيه فتجد وتمام احدا الجزائر
سنة ١٢٤٥ فقدمت ورقة من الاسطول الذي كتب على شروط الجزائر وطلب
رئيسها من والي تونس زيادة في الشروط منها ان لا تختص الحكومة التونسية بغير
بل ولا تتجر ومنها ابطال التلصص بالسفن على السفن التجارية وابطال ملك الاسرى
وابطال ما اعتيد من الهدايا وان يكون لمراكب اوربا التعامل في القطر مثل تعامل أهله
فتقدم الوالي معه ذلك على كره وسجل وأرسل الى دولة فرانسا معلنا بأن الشروط أخذت شبه
غصب وكانت اذ ذاك دولة فرانسا في شغل من الثورة على ملكها وعدلت تلك الشروط
بعض التعديل فظهر تلك الاسباب رموز من مراعات مصالحها ومداخلتها في حراسة
سياسة تونس والذي استقر عليه القرار من الدولة الفرانساوية من ذلك التاريخ الى الآن
هو ما يشير اليه ما رأيته بخط أمير امراء الحكومة أبي العباس الوزير احمد بن أبي
الضياف رحمه الله ما حاصله رأى احد نواب تلك فرانسا وهو لونرتايب في خلوة قال له انك كنت
تروم الاستقلال فلا سبيل اليه والذي نعتقده هو ان فرانسا تحمي بسياستها حالتك التي
انت فيها الآن بحيث لا يتعدى عليك احد من جهة البحر واما البر فقد تركت فيه من
جهة طرابلس وأساس حالتك هو التحبب الى الرعية والرفق بهم ومعاملتهم بالشفقة
رحمه الله اهـ وهذه السياسة التي صرح بها امثال فرانسا هي السياسة المعول عليها
عند عقلاء الفرانسيس فقد بلغ بها حتى قال أحد كبار جنرالات الفرانسيس وأحد حكام
قطر الجزائر بقصد التبليغ الى الحكومة التونسية والحال انه عسكري والغالب على الحزب
العسكري هو الميل الى الاستيلاء وذلك سنة ١٢٩٥ عند ختام مؤتمر برلين في شأن
الحرب الاخيرة بين الدولة العلية والروسية وقد شهر ذلك ان بعض نواب الدول
في المؤتمر المذكور او مشاحنة نائب فرانسا في تسليم قبرص الى الانكليز أو عزالته على غير
المعرفة الرسمية بان تستولي فرانسا على تونس ارضاء لها ولم تقبل فرانسا ذلك وصار الجنرال
المذكور يقول انه قال لوزيركم وباي هم تعرفون من هي الدولة التي تصدقكم في
تأكيدكم فان هم يقولون لكم بأنا نريد الاستيلاء عليكم ليبعدوكم ويغرروكم فنحن والآن قد
أعطوكم لنا وأبينا من الاستيلاء عليكم فتعرفوا من هو الصادق وتحققوا انا لم نمتنع من
الاستيلاء

الاستيلاء عليكم بمجرد حب البلاد لان مصالح الدول لا تتداخل فيها التعصبات
وانما منعنا العدم فائدتنا لان فائدتنا في تونس ان كانت هي المال فهي فقيرة
وخالية وفرانسا ليست بمحتاجة وان كانت هي تكثير الارض ففي الجزائر اراضي
وسيعة ولا زالت الى الآن خاوية محتاجة الى العمران فالاولى بنا تعمير أرضنا قبل ان
نأخذ ارضا أخرى خالية وهي مصلحة انما في ان نرسل عساكرنا لاطلاق رصاص
عليهم في قابس والحال انه ما ذكرتم غاية ما نطلبه منكم هو الهناء والراحة في داخليتكم حتى
نرتاح نحن براحة جوارنا وأما اذا أحدثتم الاختلال في داخليتكم وأحوجتمونا الى
اطلاق رصاص لاجلكم فالاولى ان نطلقوه لاجل انفسنا لان ما كنا نتباعد عنه
توقعونا فيه الخ فكلامه صريح في ان سياستهم هي ابقاء تونس على ما هي عليه
وكذلك سمعت من أعيانهم في السياسة انهم كما لا يريدون هم الاستيلاء على تونس
لا يريدون غيرهم ان يتولاها مصرحين بحقيقة سياستهم التي وفى بها كلام الجنرال
المذكور مع الاعتراف منه لدول في المؤتمر باعطائهم شيئا لا فائدة فيه من زيادة على ما هم
حاصلون عليه وهي رغبة أدبهم في تونس بان يكون لدولة فرانسا المزية الاولى بها
وتتقدم على غيرها في النفوذ السياسي والتجري بحيث تكون كل مصلحة مهمة لا يقدر على
عملها الاهالي او الحكومة تسلم الى الفرنساويين ويرغبون في ان تكون الادارة في
الداخلية محكمة لتكثر العمران والثروة ليزداد بذلك متجرهم وحركتهم ونفوذهم لكن
على وجه في الادارة لا يمكن ان يتعطل به قصدهم ويرى بعضهم ان من أسباب التعطيل
ان تكون الحكومة قانونية شورية بادعاء انها لتعارض مصلحتهم في بعض
الاحيان باستناد الحكومة في الامتناع من الاجابة الى بعض مقترحاتهم لرأي الامة التي
هي مقيدة به وذلك عندهم مما لا يمكن ان يعارض لانه هو القاعدة الاساسية في مملكتهم
وما عدى ما تقدم فلا أرب لهم في الاستيلاء على الاحكام أو معارضة لوصلة مع الدولة
العلية التي لا تنقض هاتيك الاساسات فهاته هي مقاصدهم فلو تجدد بيد الادارة
في الحكومة قادرة على الامتناع منها ودفع عاديتها ومنها عدم الاستواء في الحكم لكان مما
يعين على الراحة ورجال الدولة الفرنساوية قابلون لاصلاح الاحكام واطرادها كما
سيأتي بيانه ومثل ذلك تقييد الحكومة بالقانون الذي لا تعدو حدوده ويتبين رجال
الدولة الفرنساوية أن التقييد بالقانون لا يفوت مصلحتهم المذكورة لان عقلاء الامة
باجتماعهم تكون حالتهم أدعى الى ما يزيد في خير الوطن وما يدركه أفراد المستبدين

في تونس بالتصرف من وجود مراعاة لدولة قوية مجاورة بحيث يكون مجموع العقلاء
للامة على وجه أتم مما هو للافراد ويراعون مقتضى الاحوال مما هم يفرقون بين
ما هو لمن ذكر وما هو للافراد في خصوص الصفة ثم يجب لا يرضى عموم الامة لو هم على
تفاصيله ولأجل ذلك ألحت دولة فرنسا على تونس في تأسيس التنظيمات سنة ١٢٧٤ كما
سيصرح وقاصدة بذلك دولة الانكليز حتى يرد اصول الدولة الاولى وكان في آثاره اصول
الدولة الثانية ونحن من قدامهما في اجراء الامر مختص بالشريعة وجعل الدولة
العثمانية واسطة المحاضرة وقصدهم رأس الاصول المساواة ويقصدون ان
ذلك عن معارض لصالح وهم الخاصة وان يتفقون معهم في طبعهم في بعض الاحيان الا
الى موافقة الدولة المتسبب الى ان الحكومة شورية يحصل منها تعطيل مقاصدهم
ويسعون الى دولهم الاصول على ما يوافق سلوكهم وربما شاروا الى فوات مقصود
دولتهم اذا اتبعت رأيهم فتسقط دولتهم الى السلوك على ما يشيرون اليه حيث ان الدول
العظيمة تراعي الوصول الى مقاصدها في الخارج بأي طريق أمكن وتمكنوا من ذلك
الوسائل ويجعل تحت يدي اسطولا قويا ولا معارضة من سيرتهم في داخلهم وسيرتهم
في الخارج سيما في الجهات التي لهم فيها مآرب فربما يكون في ذلك ما لا يمكن تصور
مثله في داخليتهم ووجه ذلك هو التوصل الى نفع دولتهم لان مثل تلك المنافع اذا ساغ
ان تعقد لاجله الحروب التي تراق فيها الانفس وتضيع بها الاموال من الطرفين فمتى
يتوصل اليها بوسائل أخرى أيا كانت فهو احسن واولى ولهذا لا ترى لهم تلك السيرة
في الجهات التي لا مقاصد لهم بها بل تراهم هنالك يسيرون على خصوص سيرتهم في داخليتهم
وسيأتي لهذا مزيد بيان في الخاتمة ان شاء الله تعالى اذ المقصود هنا خصوص ما تعلق
بالقطر التونسي من جهة سياسته الخارجية وحاصله من جهة فرنسا ابقاء تونس على حالتها
واعتباراتها والامتناع من زيادة الاتصال بالدولة العلية ولذلك لما قدم نجيب باشا الى
طرابلس لانتزاعها من يد آل قرامانلي سنة (١٢٥١) أرسلت فرانسا اسطولا الى
حلق الوادي حذرا من قدوم الاسطول العثماني الى تونس وتخوف اذ ذاك والي تونس
مصطفى باشا من أن يتهم معه في ذلك وكتب قنصل فرانسا بأذنه وبعد ان خاطب
الدولة الفرانساوية وجهت أجفانها الحربية على مقتضى المحبة والمودة وقابلتهم
باكرام لان شفوقه في مراسي الفرانسيس كشفوقه في مراسي عمالته وكذلك شفوق
الفرانسيس عندنا وأما اقامة الاجفان في هذا الوقت بحلق الوادي فهو بأمر مولانا

السلطان

السلطان بقربنا وفيما اذا استبد قبطان باشا بشيء تنتج لنا مضرة في الحال أو في المستقبل من
جهة الدولة العثمانية أدام الله لها وجودها الامارة بما تنظر في جنابنا الحاضر بقربنا
ومعلوم انك تحت طاعة مولانا السلطان في أمره ونهيه وباسمه مخصص في جوامعنا وعلى
سكتنا فلا يصدر بينكم ما يغضبه أو يخالف أمره أو يعارضه بشيء فالمراد ان تعرف الاميرال
بهذه المضرة التي تتوقعها والاعتماد على كمال عقلكم في حسن التبليغ وشقوف
الفرنسيس مهما قربنا أو في المرسى قرب جانبنا ونقبلها بالاكرام على مقتضى قوانين
المحبة ولا زلنا الا الخير والعافية وكتب في (١١) جمادى الثانية سنة (١٢٥٢)
وأجابه القنصل عما نصه بعد المقدمة وصلنا المكتوب الذي تشرفنا به من عند
السيادة وأطلعنا عليه الاميرال لاندي وعلمنا جميع ما تضمنه وجوابه عليه هو ما نذكره وهو
ان جنابكم أعلم بأن واحدا هو خارج من الاتفاق الذي اقتضاه نظر الدولة الفرانساوية
في ارسال هذا الاسطول لسواحل تونس وانتم لا يمكن لكم ان تمنعوا دولة الفرنسيس من
ذلك وهو ارسال شقوفها لسواحل تونس ولاجل ذلك لا يوجد عليكم لوم ولا عتاب من
جناب الدولة العثمانية لانه لا وجه لذلك والدولة الفرانساوية تعلم تحقيق حالتكم مع
الدولة العثمانية وهنا مرام دولتنا أن ترعى ما يوجب لكم اعتبارا مع دوامكم ولهذا
مراد الملك أن تبقى حالة دولتكم مع الدولة العثمانية على العهد القديم السابق من غير
تبديل ولا تغيير لكن الدولة العثمانية لا يمكن لها ان تخترع أمرا جديدا تتضرر به مصلحة
الفرانسيس في ناحيته التي تحت يده في أفريقية ولاجل ان يمنع ما عسى ان يقع من
المضرة أرسل الملك اسطوله لتونس ليمنعه قدوم قبطان باشا لاجل التصرف بما هو
مأمور به والاميرال لما بلغه ان قبطان باشا أتى لطرابلس وأعلن ان مراده الاتيان لتونس
في ذلك الحين أرسل الاميرال جفنا من الاجفان التي تحت حكمه هنا ليعلم قبطان باشا ان
حبيب السلطان الصافي وهو ملك الفرانسيس لا يمكن له ان يقبل هذا التعدي بوجه
من الوجوه في المملكة التي تحت يده في افريقية لان قدوم دونانمة السلطان لتونس
يقوي اقبال باي قسنطينة الذي عقدنا معه في الايام مكالمة وقد كان بيننا
وبينه حرب فلاجل ذلك علم قبطان باشا ان لا يقدم ويرجع للمحل الذي جاء منه فان
صمم وعزم على القدوم فان للاميرال واجبا ان يصده ويمنعه بالمدافعة القوية
بالقوة اهـ فأنت ترى ان هذا صريح بحالة المطلوب مع تصريحه بان الدولة العثمانية هي
دولة تونس لكنها باختيارها كما هو صريح عبارته لمن تدبرها فيهمه وهي السياسة

الخارجية لهذا القطر واستقر عليه الى سنة ١٢٨٠ التي حصلت فيها الثورة العامة
الآتي بيانها فنادى الاهالي بالتشكي للدولة العلية وقدمت شكايات شعبية وكتابية
لدولتها حيدر افندي عند قدومه بالاسطول العثماني مع أساطيل الدول وطلبوا
بواسطته تداخل الدولة العلية في تحسين ادارة القطر حتى ان بعض البلدان طلبوا
الانضمام الحقيقي للدولة ورفعوا العلم العثماني وتداخل في هذه الثورة نواب الدول
كل على حسب ما تقتضيه سياسته فأثرت الحالة في الوالي ووزيره مع ما هو معلوم من الحالة
السياسية السابقة واتجه الرأي الى ان يرسل بالشكر للدولة العلية عن مساعدتها ويطلب منها
تحرير الروابط والامتيازات كأنها عالم يتق منه معدل القائد فسافر بذلك الوزير خير
الدين مع التفويض التام وقص على الصدر الاعظم وهو اذ ذاك فؤاد باشا مطالبه
وحصلت مذاكرات مع رجال الدولة عديدة تحت الاتفاق على أصول الروابط المبنية
على العوائد المعروفة الآتي بيانها في نص الفرمان الآتي وتلقى الوزير خير الدين مع
مزيد الترحاب به من الدولة ما يشافه للوالي شفاها من خطاب جلالة السلطان عليه عبارة
الاعتراض على تصرفاته التي هوت بالقطر الى الخراب وتلقى ذلك ايضا من فم السلطان
عبد العزيز نفسه ثم رجع بمكتوب من الصدر فؤاد باشا يحتوي على الاصول
التي وعد بانها سيصدر بها الفرمان الذي صدر لاذن السلطان به ولم يساعف الوقت
العجلة بصدوره ثم كتب الوالي بشكر ذلك واستنهض صدور الفرمان مرارا فيرد
الجواب بالوعد وكان جميع ذلك فيما بين الى سنة (١٢٨٨) وكانت فرانسا
اذ ذاك في شغلها الشاغل من حرب المانيا لها فاطمأنت بصليا من جهتها وظفرت
تأثير الالتجاء الى الدولة العلية وسنحت لها فرصة وهي ان وزير الحكومة التونسية
مصطفى خزنه دار اكرى ارضا وسيعة تسمى بالجديدة الى شركة ايطالية وارسل
الوزير احد اعوانه الى تلك الارض رائما للتنبيب اصبح الكراء مع ما فيه من ايطاليا
من جهة تونس فادعت الجمعية حصول ضرر لها من تعدي تابع الوزير لو بيعت من
الذهب على سطح تلك الارض لما وسعتها وامتنع الوزير من تحمل ذلك واعلن قنصل
ايطاليا بقطع المخالطة وتهدد الوالي وجهزت ايطاليا أسطولها للاستيلاء لولا تعرض
الدولة العلية الذي حجزها عن ذلك وانفصلت النازلة بالشروط التي ارادتها دولة
ايطاليا في محضر التي ادعت به الجمعية ولم تختص بالواقعة فقط بل هي عمومية فتيقن
الوالي ان لا نجاة الا باحكام الوصلة مع الدولة العلية بأمر اي يحصل منه الراحة

فكتب

فكتب الوالي بسخط صدارة الفرمان وكتب الوزير خير الدين للباب العالي مكتوبا
في بيان الأخطار المحيطة بالإيالة المتداركة بالدولة العلية بحفظها فورد الجواب
من الصدارة بأن نازلة الفرمان مهما تقتضي إرسال من يعتمد من الوالي نتماهم في
النازلة مع تلميح أو تصريح باستقباح السيرة التي عامل الوالي والصدارة ذلك على باشا
ففهم رجال الحكومة أن الدولة غير راضية بأن يبقى الفرمان على ما في مكتوب الصدر
السابق فوجه الوالي الوزير خير الدين بالتفويض الذي (نصه) من عبد الله سبحانه
المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المشير محمد الصادق باشا باي سدد الله تعالى
أعماله وبلغه آماله إلى الهمام الأفخم أمير الأمراء الأفخر الفاخر الدين الوزير المباشر أدام
الله حفظه وأجزل من السعادة حظه (أما بعد) فلما اقتضى ما تحققه من صدقك
واستقامتك وكفايتك وخدمتك للأبواب العلية السلطانية العثمانية أعز الله نصرها
وأدام الله نفوذها للكلام فيما يؤكد أصول عاداتنا الأكيدة المعروفة الآن وما
تتصل به مع الدولة العلية في ذلك بالكتابة ومشافهة في حقه فوضنا لك في ذلك
التفويض التام بحيث لم نستثن عليك في ذلك فصلا من فصول التفويض ولا معنى من
معانيه وأقوالك فيما ذكر مقام أقوالنا نصا تاما عن وفاق ذاته والترامه واسأله
أسأل الكريم التوفيق والإمداد وبلوغ الآمال والإسعاد ومع التفويض المتقدم
ومعرفة لعادات الأكيدة فإن الوزير المذكور لم يتمم شيئا مع الدولة إلا بعد أن عرض
على الوالي الشروط التي استقر عليها رأي الفرمان وقبول الوالي لها مع الاستحسان
تمم الفرمان مع الصدارة في مدة محمد نديم باشا وقاسى الوزير خير الدين متاعبا من
أمثال رجال الدولة العلية في زيادة شروط الاعتبار وناضل الوزير خير الدين عن
حقوق عاشهد له بصدق الوفاء والبراعة في السياسة ولم يرد في الفرمان
كتوب الصدارة إلا طائلا ورجع الوزير خير الدين بالفرمان على التاريخ أعلاه
وتبعه بالنيشان المجيدي المرصع للوالي ولعدة من كبار رجال الحكومة
... أقامه مدة لاحتجابها حيث كان في الأستانة
مرض الكوليرا ومن استبشار الوالي به وبشكره على عمله أرسل له أمير لواء العسة
مصطفى بن إسماعيل وهو إذ ذاك أعز المقربين إليه فوجهه من خارج محل الاحتفا
وأبلغ إليه التشكر وبات ليلة ورجع في الباخرة الخاصة التي قدم فيها ولما قدم الوزير
المذكور بالفرمان المشار إليه عقد له موكبا على ما يمكن من المواكب وألبس

الوالي النيشان ثم تشرف بالفرمان وعظمه ثم قرأه علنا (وهذا نص) تعريبه بتعريب
الباب العالي الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر
الثاقب متمم مهمات الأنام بالرأي الصائب ممهد بنيان الدولة والإقبال مشيد أركان
السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى الوالي بتونس الآن
الحائز الحامل للنيشان المجيدي الشريف من رتبة الأولى مع النيشان الهمايوني
العثماني المرصع وزيري محمد الصادق باشا أدام الله تعالى إجلاله آمين ليكن معلوما
عندما يصلكم توقيعي الرفيع الهمايوني هذا أنه قد وجهت وأودعت من جانب سلطنتنا
السنية إدارة الإيالة التونسية التي هي من ممالك دولتنا العلية المحروسة الموروثة إلى
عهدتك ذات اللياقة والأهلية كما وجهت سابقا إلى عهدة أسلافك من قبل لظهور حسن
السيرة والخدمة وثمرتها إلى طرفنا الملوكي الأشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار
ذلك قرين العلم الحاصل بالعالم فمولانا السلطان على مقتضى الشيم المرضية التي جبلت
عليها هو الدوام في ذلك المسلك المرضي والجد والاجتهاد في كل ما يقتضي عمران ممالكنا
الشاهانية وسعادة أهاليها التبعة دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحتهم حتى تستديم بذلك
استحقاق عنايتي الشاهانية واعتمادي السلطاني المدولي في حقك وبذلك تعرف قدر
تلك العناية والاعتماد وتشكرهما ولما كان المقصود الأصلي والمراد الحقيقي لسلطنتنا
السنية هو رفاه تبعة الإيالة المومئ إليها راجعة لدولتنا العلية وعواقبها وتأسيس
أبنية الأمن والراحة لسكانها ولما هو معلوم من البديهيات أن السلطنة العزيزة لا يسرها
ولا تودها صرف الهمة والعناية لما فيه حصول الإصابة لتمام استحصال هاته
المطالب وورد الطلب المندرج بكتابك المخصوص الموجه من طرفك أخيرا إلى جانب
حضرتنا العلية قررت وأبقيت إيالة تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة مع ما تال
بضم امتياز الوراثة وبالشروط الآتية وحيث إن مرغوب السلطنة ... بيانه
... وتزايد عمران تلك الممالك الشاهانية ... بقية
وتأمين لواردات الكل من الحكومة ... ال
ما كان يرسل باسم معلوم من الإيالة ... بموجب البيعة المقررة
المشروعة رعية لأهالي تلك الإيالة (ولما) كانت الإيالة المشار إليها من الأجزاء المتممة
لممالكنا الموكية صدرت إرادتنا السنية بأن يكون لوالي تونس مرخصا له في تولية
المناصب الشرعية والعسكرية والملكية والمالية وعزلها لمن يكون من أهلها

وفي

وفي عزل منها بمقتضى قوانين العدل وفي اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الاجنبية كما كانت سابقا ماعدا المواد السياسية الآتية العائدة الى حقوقنا المقدسة الملوكية وتنفيذها ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود وضبطها مما يكون اجراؤه راجعا الى حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم في الولاية وتقديم العروض بطلب الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنتنا السنية يرسل له الفرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشيرية الهمايوني كما جرى العمل بذلك الى الآن شرط أن تستمر الخطبة باسم السلطان وتزين به السكة التي تضرب هناك علامة على الارتباط القديم الشرعي لايالة تونس بمقام الخلافة الجليل وأن يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنتنا السنية مع اجنبي يرسل العسكر من تلك الايالة اعانة بقدر الاستطاعة وفق ما جرت به العادة القديمة في الجميع ومع تلك المواد يكون امر الولاية بطريق الوارثة مخصوصا بعائلتك على أن تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجرى الادارة الداخلية لتلك الايالة مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي تقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في النفس والعرض والمال ولأجل الاعلام بما ذكر صدر هذا الفرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايوني وأرسل موشحا بأعلاه خطنا الهمايوني مناطا في الخلاصة بأن الذي هو منوط بنا انما هو صلاح حال تلك الايالة المهمة ومآل نيتكم وتقوية تلك الحالة لا واستكمال أسباب السعادة والرفاهية والامنية بمقتضى نيتنا الخالصة فعليك بعدلنا السلطاني ومأمولنا العطفي الملوكي أن يبذل من جهتك الجهد في حصول ما ذكر من حيث كان عمام المحافظة على حقوق سلطنتنا السنية المتعلقة بتونس من قديم الزمان وعلى أمنية الاهالي القاطنين بتلك الايالة المودعة لعهدتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط استمرار الوارثة الاساسية المقررة فيقتضي ان تكون ساعيا في تحرى تلك الحال دائما سرمدا ومتباعدا عن وقوع الحالة والحركة على خلاف ذلك واذا عرفت ذلك فلابد أن تعرف انك ومن يقوم مقامك في امر الولاية بالتوارث من اعضاء عائلتك قدرها له النعمة العلية الشاهانية وتشكرها فعلى ذلك تسعى لتحصيل رضاى السلطاني بالسرعة ومزيد الاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة حرر في اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ثمانية وثمانين ومائتين وألف ونشر الفرمان في صحف الاخبار وحصل لذلك من عموم

الأهالي أفراح خارقة للعادة في ذات الحضرة وفي سائر بلدان القطر وفي سائر قبائل
العربان كل على حسب عوائده ودامت الزينات أزيد من ثلاثة أشهر متوالية والسبب
في ذلك أملهم التعلق بالوالي والاستقرار أمره على أساس متين له وأملهم انقطاع الساعي فيه
من كان قبله ولم يحصل عليه كما تقدم مع الارتياح من مقاصد الأجنبي التي وقعت وأما
الأهالي فحصول مرغوبهم من تمام الاتصال بالدولة الإسلامية مع شروط الأمن لهم
وحسن الإدارة فيهم من ولاة أمورهم المخصوصين بهم والمحبوبين عندهم وإن لم يجر العمل
فيهم على وجهه مما أبقى اليأس وخاف حذرهم ولم يحصل من الدول الأجنبية أدنى
إنكار ولا معارضة لتصديق الفرمان المذكور إلا دولة فرنسا فلم توافق على الاعتراف
به وبقي الأمر على ذلك مرتجيا إلى الآن لكن المقاصد والسيرة الصادرة من الوزير الحالي
مصطفى بن إسماعيل وما شاء أعوانه لا ترينا كما تجدون ما هو منتهاه فيهم من عيب
هم صائرون إليه فهذا هو خلاصة البيانات الخارجية لهذا القطر إلى هذا العهد وهو
جمادى الثانية سنة ١٢٩٧

تنبيه قد حدثت حوادث مهمة بعد أشرنا إليه بعد الفراغ من هذا الجزء نوردها ذيل
وبعدها إن شاء الله تعالى بعد الكلام على سياسة فرانسا الخارجية

﴿ قد تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني ﴾
أوله مطلب في السياسة الداخلية
من المملكة الحسينية

﴿جدول الاحصاآت﴾

جدول الاحصاآت

الديانة	التجارة فرنك	سكك الحديد أميال	الديون فرنك	الخرج فرنك
اسلام	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٨٦	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٦٨٠٠٠٠٠٠٠
اسلام	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٥	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٩٠٠٠٠٠٠٠
اسلام	٤٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠	١٢٧٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠
اسلام	م	لا	٤٠٠٠٠٠٠	م
اسلام	م	لا	لا	٥٤٥٠٠٠٠٠
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	٢،٣٥٠٠٠٠٠	لا	لا	١٧٥٠٠٠٠
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م

الدول	الثغور	السكان عدد النفوس ملايين	العساكر وقت الحرب	السفن حربية	الدخل فرنك
عثمانيه	القسطنطينيه	٢٢٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٧٨	٣٦٨٠٠٠٠٠٠
مصر وتوابعها	مصر	١٦٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	١٣	٢٠٦٠٠٠٠٠
تونس وتوابعها	تونس	١٥٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٢	١٤٠٠٠٠٠٠
المغرب	فاس	٧٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الفرس	طهران	٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	لا	٩٢٠٠٠٠٠٠
افغانستان	كابل	٦٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
بلوجستان	كلات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
[illegible]	برك	٧٥٠٠٠	م	م	م
هرات	هرت	٢٠٠٠٠٠	م	لا	م
خوقند	خوقند	٢٠٠٠٠٠	م	لا	م
التركمان	مرو	٣٥٠٠٠٠	م	لا	م
مسقط	مسقط	٢٠٠٠٠٠٠	م	م	م
رياض عربيا	رياض	٣٠٠٠٠٠	م	لا	م
عرب الجزيره		٢٠٠٠٠٠	م	لا	م
كشمير	كشمير	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
تبتي	[illegible]	٣٠٠٠٠٠٠	م	م	م
الزنجبار	زنجبار	٢٠٠٠٠٠٠	م	٥	٢٧٥٠٠٠٠
برنو	كوكوا	٨٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	م
وداي وتوابعها	وره	٤٥٠٠٠٠	م	لا	م
فلاتا	ساكاتو	٦٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
تمبكتو وتوابعها	حاسان	٤٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عادل وتوابعها	هرر	٨٠٠٠٠٠	م	م	م
الصحراء الغربيه	كرعبره	٢٠٠٠٠٠	م	لا	م

اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
نصرانيه	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	م	لا	١٨٠٠٠ ..
مشركون	م	م	٧٠........	٢٩ .....
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
نصرانيه	م	لا	لا	٢......
د[illegible]يه	١٦٥٤.......	..١٤	٢.........	٢٦ ...
نصرانيه	٢٨٢٥.......	٩...	١.......	١٣٨٤٠ ...
نصرانيه	م	٥ .	٧.....	٦٢٤ ..
نصرانيه	م	.٨..	٢........	١٣٠ .....
نصرانيه	٨..........	٢٥...	٢٤٢٩٣.. ...	٢٦٦٧ ..
نصرانيه	م	٢...	٢٥.......	٢٧٠ .
نصرانيه	٤	٢٤٠	١٠٦	٣.. ..
نصرانيه	٣..........	٦٠ .	١٥.........	١٥٩.......
نصرانيه	٨٠	لا	٣.........	١٤... ..
نصرانيه	٣٦٢.......	٣...	٣٥.........	١ ....
نصرانيه	١٦..........	٢٧...	١٩٤٨.......	١٨ ....
مختلطه	٣..........	١١...	٢٨.........	١٢....... .
مختلطه	تارم	م	تارج	تاج
نصرانيه	٢٥.........	١٠٢٨	٢١٥........	٢٢........

م	لا	م	٤٠٠٠٠٠٠٠	ادلى وغيرها	البورنه
م	لا	م	١٠٠٠٠٠٠٠		جزائر تيموس
م	م	م	٥٠٠٠٠٠	ادوح	الحبشه
م	لا	م	٢٥٠٠٠٠٠	صدلاى	بورنو
م	م	٤٠٠٠٠	٦٥٠٠٠	بانحوت	صدم
م	م	م	٩٠٠٠	بوشوشى	كوشن [illegible]
م	م	م	١٠٠٠٠	موجيه	كيددنا
١٨٠٠٠	٢٧	٥٠٠٠	٥٢٧٠٠٠	باكين	اصين
٢٩٠٠٠	١٢	٥٢٣٠	٢٣٠٠٠	جدو	خاپون
م	لا	م	٢٥٠٠٠٠		تبوت
م	لا	م	١٠٠٠٠٠		بوتان
١٥٠٠	م	٥٠	٣٠٠٠٠	جديس	الجزر الاسود
٣١٠٠٠٠٠	٣٠	١٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠	اتنه	[illegible]
٢٩٠٠٠٠	٨٧	٨٢٩٨٢٧	٢٧٠٠٠٠٠	رومه	ايطاليا
٥٨٨	٨٢	٢٠٦	٢٦٠	مدريد	[illegible]
١٣٠٠	٥٠	٧	٨	ربو	[illegible]
٢٩٦٧٠٠٠	٥٤	٢٤٢٣١٦٤	٤	پاريس	فرانسه [illegible]
٣٧٠٠٠	لا	٣٠	٢٥	باب	[illegible]
٣٠٠٠٠٠	م	٢	٥	پورتكال	بلوث
١٠٨٧٥٠٠٠	٧	٩٤٠٠	٣٨٥٠	فيينا	نمسا [illegible]
٤٠	لا	٢٢٥٠٠	٢٠٠٠٠	بلغراد	صرب
١٠٠٠٠	م	١٤٠٠٠٠	٥٠٠٠	بخارست	اروماجه
١٨٣٠٠٠٠	٢٨٣	٥٤١٢٢٥	٣٠٠	لوندره	انكلتره
١٣٠٠٠٠	لا	٤٩٠	١٧٥	كانكونه	[illegible]
تابع	لا		٥٠٠		[illegible]
٢٢٠٠٠٠٠٠	١١٨	١٤٠٠٠	٢٢٨٠٠٠	[illegible]	[illegible]

[illegible]	٣	٢٥	٣٥	١٣
[illegible]	١١	٧٧٠	٢١٣	٢٣٠
[illegible]	٣٠	٥٤	٣٠	٣٠٠
[illegible]	٣٠٠	٩٠٠٠	٩٥	٢٠
محافظه	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	٦	٧٤	١	١٧٥
[illegible]	م	٥٧	١	١٢٥
[illegible]	٢٨٧٧٥	لا	م	٨
[illegible]	م	لا		م
[illegible]	٤٠	٣٧	٤١	٣٠
[illegible]		١	١٨	٢٨٤
[illegible]	م	م	م	م
[illegible]	م	٤٠	٢٠	٨٥٠
[illegible]	م	م	م	م
[illegible]	٢	م	م	م
[illegible]	٥٢٥	٣	٤	١

المانيا	برلين	٤١٠ ٠	١٥ ٠٠٠	٧٢	٩٣٣٤ ٠٠٠٠٠
اسويد ونروج	استوكهولم	٥٥٠ ٠	١٤ ٠٠٠	١٢٨	١٣٦ ٠٠٠٠
ايرلند	كمبرغ	١٨	٤١٠	٣٧	٧٠٠٠٠٠٠ ٠
اروسيا	سان پترسبورغ	٨٢ ٠	٥ ٠	٢٢٥	٢ ٠٠
ماس وماحاوره	[illegible]	م	م	لا	م
تيمك	كوك كوكا	م	م	لا	م
كرمان		م	م	لا	م
لمبريا	روده	٥ ٠	م	لا	م
قالكي ما [illegible]		م	م	لا	م
ده جبه	اوچ	٨ ٠	٢	لا	م
لمس وماه		م	م	لا	م
اورج بمات ره		م	م	لا	م
مار[illegible]دان	د ومان	م	م	لا	م
اص. لمن [illegible]		٠٠٠٠٠ ٠	م	لا	م
[illegible] كو	تيارهو	٥ ٠	م	لا	م
امريكا	[illegible] دوب	٤٢ ٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	١٧٨	٢ ٠ ٠
مكسيك	مكسيكو	٩١٢٤ ٠٠	٢٢٤ ٠	٩	١٢٥ ٠٠٠
امريكا لوسطا	گواتمالا	٢٥٨	م	لا	٨٠ ٠٠٠
كلوميا	سنتي دو كوبا	٣٠	م	م	م
پرو	ليما	١٥٠ ٠	٢٠٠ ٠	٢٥	٣٠٠٠ ٠٠٠٠
برزيل	ريودوجانيرو	٦٥ ٠٠	٦١١٢٤١	٨٧	٢٨١٠٠٠ ٠
بوليه	شوكيزاكا	٢٥	م	لا	م
شيلي	سانتياغو	٢٢٥٠	م	م	٨٥٠٠٠٠ ٠
اوروگواى	مونتويدو	٢٥ ٠٠٠	م	م	م
پاتاغونيا	[illegible]	٢٥	م	م	م
ارجانتي	بونوس ايرس	١٨٧٧٤٩٠	م	م	١٠٥ ٠٠٠٠

ملاحظات

كل ماهنا اعتبار الصادر والى فى سنة ١٢٩٧

١٠٦٢٥٠٠٠٠	عدد نفوس المسلمين المستقلين باحكامهم
	ينضم عليهم عدد نفوس المسلمين الذين هم تحت احكام غيرهم
٩٠٠٠٠٠٠٠	فى الصين
٤٠٠٠٠٠٠٠	فى الهند
٨٠٠٠٠٠٠	فى الروسيا
٣٠٠٠٠٠٠	فى فرانسا
١٠٠٠٠٠٠٠	فى بقية الممالك
١٢١٠٠٠٠٠٠	
١٢١٠٠٠٠٠٠	
٢٣٧٢٥٠٠٠٠	
٢٩٧٧٤٠٤٩٠	عدد نفوس النصارى
٧٨٩٣٠٠٠٠٠	عدد نفوس الباقى من المشركين وغيرهم
١٤٢٤٢٩١٤٩٠	

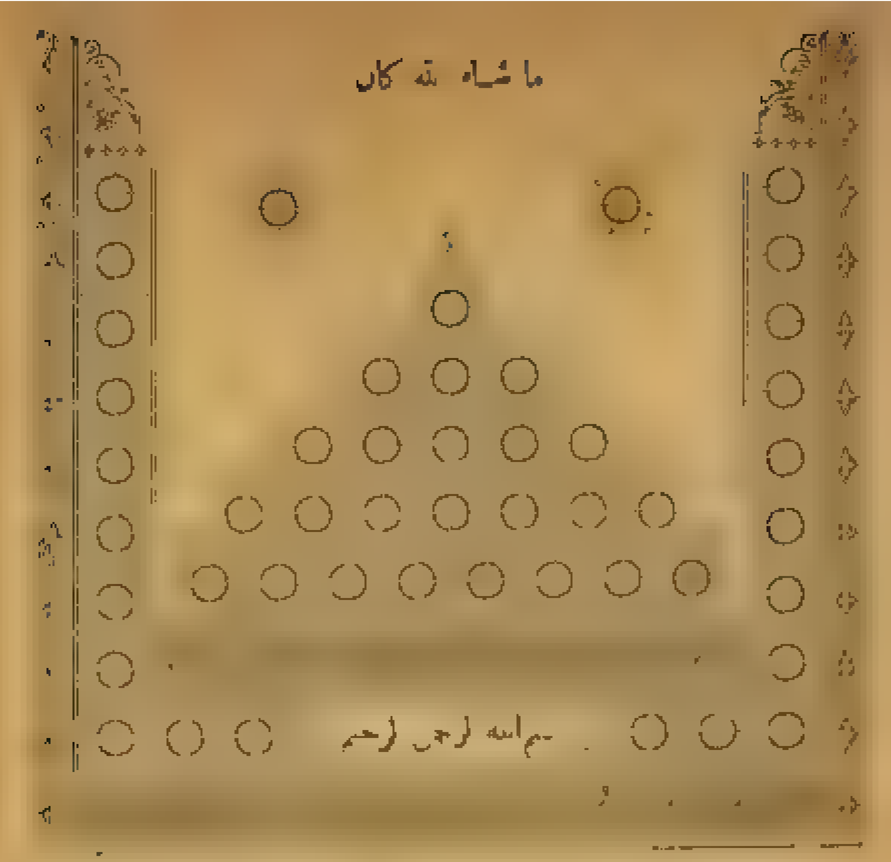
﴿الجزء الثاني﴾

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار

والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الاذكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿طبعة اولى﴾
﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

● (اعراب الرحم) في البادية الداخلية من الايالة حيث ينتهي اليهم منذ وات دولة الحسينية هذا العصر لتونس كان مدار امرهم رفق بالاهالي وتحبب واتباعهم عن معاملة الاثقال رفاهية وعنايه بالسبب التي تعلل بها تابعهم واخونهم هي (ماذي)

● قوله صاحب الطابع يعني حافظ ختم الوالي وهو موريته هم الكاتب وهي شرة الموظفين في سائر مباشرة الوالي ويكون هو الواسطة بينهما وثانيهم باش كاتب وله رئاسة الكتابة ومحاسبة العمل ورأي في كل الاحوال وثالثهم خزنه دار وهو حافظ مال الحكومة في قصر الوالي ورابعهم باش اغه وله رئاسة اعوان او حاق الخيل وخامسها كاهية وله نيابة الوالي في الاحكام وسادسها امين الترسخانة ولعهده ما يرجع الى البحرية وسابعها باش حانبه وهو الواسطة بين الوالي والمشتكين اليه مع رياسة الحوانب وهم الاعوان المحيالة للحكومة وهذه الوظيفة مقسومة الى شخصين احدهما باش حانبه ترك والاخر باش حانبه عرب وهذا له نفوذ على الاخر وثامنها باش مملوك وله رياسة

رئاسة ادارة العسكر الاميري وثانيها الداي وله الحكم في الجنايات مطلقا الا القتل فهو
خاص بالوالي وله حفظ الراحة في خصوص الحاضرة وثالثها شيخ المدينة وله الحكم
في الابل وحفظ المدينة بالليل من السرق ويرجع اليه سائر المعاملات العرفية وخصومات
الحانات في الديون كما ان في كل ربض شيخ الخصوص حفظه بالليل وحادي عشرها آغة
القصبة وله الحكم في العسكر الينكشاري والجنايات الخفيفة ومثله آغة الكرسي
بالمحافظ درجة من السابق وثاني عشرها رئيس مجلس التجارة ومعه عشرة أعضا
ينتخبون اكثرهم التجار ولا يحكمون الا في مهمات السكك ومنها ما يتصل بالخصومات
التجارية البحرية وثالث عشرها كاهية دار الباشا وله فصل الجنايات الخفيفة حول
الحاضرة وبالدهم أهم الرتب السياسية والعسكرية وأما الدينية فأولها الباش مفتي
الحنفي أي رئيس المفتين ثم المالكي ثم المفتي الحنفي ثم المالكي وقد يزاد على واحد
في كل من المذهبين ثم قاضيا المحلة من كل مذهب قاض ثم قاضي باردو ثم قاضي محلة أي
العسكر السائر مع ولي العهد لجباية ثم قضاة المدن الكبيرة ومفتيها وقضاة المدن الاخرى
وأئمة جوامع الخطبة ثم احباسها ولا يفتون حتى في المدينة واستقر هؤلاء
أصحاب الاحكام وهناك وظائف دينية كالمدرس والامام والخطيب وصاحب الولاية
أي الامير مجلس يوم عمل يسمى المحكمة صباحا في المشتكين من العسكر والموظفين
ومن الحرابة وقطع الطريق ومثال ذلك امور المعاملة من الناس فهي للحكام
الشرعيين وبورقا غيره عامة وحضرات الجمعة يباشرها الداي وله الحبس مع
لاجنب اشاره المسمى بالبكراكه وله الضرب ثلاثمائة سوط فقط واعظم به من مانع
حدود الشرع وهكذا كل نازلة ونهائيا يرجع الى حكامه مع مرتبتهم مع التوقير التام
للحكام أهل الشرع ونفوذ أحكامهم ولو على ذوي المناصب العلية ويجتمع رؤساء
المفتين والمسيوب والقاضيان وقاضي باردو يوم الاحد بحضرة الوالي وترد عليهم سائر
النوازل المهمة في الحقوق الشخصية وليس للوالي الا تنفيذ ما يحكمون به مع غاية
التعظيم والتوقير ولا زال جاري من هذا العمل الى الآن بحيث ان هيبة العلماء وتوقير
الشريعة لا زالت في القطر التونسي على بعض ما يجب لها من الاحترام وكذلك سائر
الشعائر الدينية ولقد ادركت ان سب الدين لا يمكن ان يكنى عنه بهاته العبارة تعظيما
وتوقيرا بل يكنى عنه بسب المنكر وترى الكبير والصغير يقول من سب المنكر اذيب
الرصاص في حلقه كأنه هو حكمه المعروف وكذلك سائر العبارات الفاحشة مما يكنى به

عن العورات لاتذكر أبدا ومن يذكرها في خلواته يعد من السفهاء ولقد شهرت في هذا
المعنى الحال ولله الامر (وأما) ما يتعلق بالجباية وصرفها فقد كان لا يؤخذ من الاهالى
الا العشر المجبوب من القمح والشعير ثم عشر الزيت واداء مالى حسب مقدار مرتب
العساكر ابتداء ثم بعد الاكثار به قسم على المدن والقرى يؤدى عن منه أقساطا في السنة وهو نزر
يسير ثم العاشر وهو المسمى في العرف بالقانون ثم مداخيل الارضين والاملاك الراجعة
لبيت المال مع ضرائب ضعيفة على القبائل مثل البلدان المار ذكرها عوضا عن زكاة
المكاسب يوزعها على أفرادهم مشايخهم وعرفاؤهم كل قبيلة بحسب حالها ولما
امتدت ايدى العمال بما يسمونه لحوه وهو اخذ ما يقدمه أهل العمل للعامل يوم
الضيافة ثم ما يقتطعه منهم باسم وجبة أي هبة ثم المفروض على الجناية بالمال جعل لذلك
حمودة باشا على العمال أقساطا يؤدونها تسمى بالاتفاق وهو في الواقع [illegible] ما يأخذونه من
الاهالى ثم زيد على ذلك ما يسمى بالمطلب وهو ما يحمل رشوة للواسطة بين الوالى والعامل
وأحدهما اما أن يعطى متوافقا للحكومة أو يأخذ الكل على حسب قربه من الوالى ثم
ان جميع ذلك مشروط فيه أن لا تشتكى منه الاهالى فاذا ضجت منه واشتكت للوالى
من عاملها عزله حالا ولو لم يؤخذ منه الا مقدار مجحف بالاهالى فانه تجاوز الحد
ثم يصرف جميع ما تقدم في مصالح الحكومة واقتصر من مرتبات العساكر وقوتهم
ومرتبات المتوظفين على غاية الاقتصاد وهي مرتبات ضعيفة والناس اذ ذاك معتمدون
يعتمدون على الحرف يكتفون بمصنوعات القطر في اللباس والمسكن والمركب يكفيهم القليل
لاسيما العلماء فقد رأيت بخط بيرم الثاني جد أبيه في حساب خاص شهريته بيان مرتباته
ومرتباته من الاوقاف والحكومة يبلغ مجموع شهريها الى ثلاثين [illegible] أرباع
الريال التونسى وهذه مع ما هو عليه من جميع وظائفه العلمية وهي رياسة الفتوى ونقابة
الاشراف ومشيخة المدرسة الباشية ودرس وذلك في أوائل هذا القرن ثم كان له كما
لبقية الخاص الشرعي جراية من الطعام وهي اثنا عشر قفيزا قمحا وثلاثة أقفزة شعيرا وثمانية
عشر مطرا زيتا وكان ذلك كافيا له ولعائلته وأبنائه وكانت ولاة القطر من بني حسين بن
علي يعتنون بالاقتصاد وحمل الاهالى عليه بأوجه سياسية منها أن حمودة باشا رأى
كثرة لبس الشال الكشميري أي المجلوب من الهند لدى الاهالى وحصر من الشال الممنوع في جبة
عددا ولبس هو منه وألبس رئيس الكتبة أيضا وخرج بذلك اللبس يوم العيد لتلاقي
وفود الهناء والصلاة وكان في اثناء اقبال الاعيان على هنائه يلتفت الى رئيس الكتبة
ويقول

ويقول حيرة بعض الشان هذا صنع الله لنا فنارا ولا اضاعة أموالنا خارجها والاعيان
يسمعون وهم لا يدرون بقتال الكشميري فودوا ان لم يكونوا اليوم من محفل حتى ان
من بعضهم من قبل الدخول عليه ارسله وسفارة من غيره لقتال الحربي وانكروا من ذلك
التاريخ عن الكشميري وله وقائع عديدة مثل هذه وهو في الحقيقة أعتل فروع ذلك
البيت الذين اسسوا على المعرفة اشياء مما لم يكن فيه من الحصون والقتل والسفن
والمحاجر حتى ان مبانيه الخاصة به لم تزل متقنة الى الآن كبستان منوبة الذى صار
قشلة للخيالة وداره بتونس المسماة الآن سراية المملكة واعانه مقام وزيره يوسف صاحب
الطابع الملقب بأبي محمد من كثرة اياديه في طرق الرفع والانصاف والاقتصاد الذى
لم يكن القصر يتحمل سواه حتى ان حسب الاثبات المتوسع في الرفاهية زيادة عما تقدم
توجب حكومته في دين قدره خمسة ملايين ريالات اى ثلاثة ملايين وثلث باع مهاريتي
سنا الافرنج ولم يكن اعتصاره لهم فيثا عن ذلك ولا تمثيلا كبير صاحب الطابع
الا ان بشروطه الشديدة على الوالي في مصر بعيدا عن التصرف في المال وفي العمال
واستيفاء ولو في أغلب ما يصرف وصيانة ذهب واحتياط على خاصة مصاريفه
الذاتية ونفقات الاهالي اولى ولاينظم ما ينسب الى تعطيل الدين وعجز خزينة
الحكومة وموجبات لا قتصاد الكلي هي ضعف واردات الحكومة للاقتصار على
الحد في المدخل الشرعية أو ما هو شبيهة كما هو في توزيع حريات العساكر نقطا
على الديانة والسعر على ما تدعيه الديانة بما في جلب الاحوال الامامية كالعقاب
بالمال على ربح من منعه شرعا وامثاله كما تقدم طرف منه مادامت الرعايا راضية به ثم
ان الاقتصار على ذلك لا يجمع به مبالغ تقتضي الترف لان طبيعة أرض القطر ولان
كانت غنية غرابة كثرة توالي الحروب وعلى الامراض والمظالم في الدول السابقة أفنت
من السكان اقدارا وافرة فقد نقل بعض المؤرخين ان عدد سكان افريقية في صدر
الاسلام ويعني بها ما يشمل برقة الى المغرب الاقصى ليبيا وطرابلس وتونس والجزائر
هو نحو عشرين مليونا مع ان عدد الجميع الآن لا يبلغ ستة ملايين ثم مع قلة السكان ضعفت
أعمالهم واقتصروا على الحالة وبقيت الارض معطلة لوجود موانع تعوق عن الحصول بصناعة
الفلاحة وتعمير الارض وتكثير الانتصار ومنها خوف صاحب الثروة على نفسه وماله
فيرى انه يعمل لغيره فيرجع عنه الباعث ومنها الاكتفاء بما خف لسهولة الرحيل في
الفتن ومنها عدم التمرد اد كثرت الغلال وتعوق صعوبة نقلها للمدن وعلى تقدير

وصولها لاتحدها مشتريا المنع اخراجها من القطر لاجل الحروب المستمرة مع أوربا الا لبعض
الاجناس أحيانا لوقوع الصلح معهم فاذا بقيت البضائع في البلاد رخص سعرها لزيادتها
على قدر الكفاية واستمرت السيرة على نحو ما ذكر الى (ولاية أحمد) باشا فأخذت الحكومة
في طور جديد ونحو ما لا هو على مقتضى قاعدة الناس على مذهب أمرائهم وذلك ان
هذا الوالي كانت له همة عظيمة أكبر من حالة القطر وقد وجد في ولاية أبيه ابتداء
تنظيم العسكر النظامي فاعتنى به وبمهماته وتنظيم رؤسائه ثم حدث في زمنه هيئة
الحكومة تحضيرا لاخراجها عن المقام الحقيقي [illegible] في مكاتيبه ألقابا تشعر
بالاستقلال كاطلاق لفظ الدولة والمملكة [illegible] ذلك
كل [illegible] حتى [illegible] الالقاب
[illegible] الجمعية [illegible]
بشيخ الاسلام في [illegible] أهل [illegible]
على [illegible] ثم [illegible] ثم [illegible] الامر
[illegible] المسماة بالاد [illegible] ثم [illegible]
[illegible] من الحرير [illegible]
والظهور في هيئة [illegible] للموت [illegible] بعض
الكبراء وتشكل للوظائف السياسية وزراء ولقب كل منهم بالوزير في خطاباته الرسمية
الا اذا عرض ذلك في مكاتيب الدولة العلية فانه يتحاشى عنه وأول من لقب بتلك الالقاب
في هذا القطر هم الوزير مصطفى صاحب الطابع وهو رئيس الوزراء عند اجتماعهم
وصاحب التقدم عليهم لسنه وسابق تربيته للوالي لكنه لا تصرف له في شيء [illegible] ثم
الوزير مصطفى خزنه دار وزير العمالة أي الداخلية والمالية ثم مصطفى آغا وزير الحرب
ثم محمود كاهية وزير البحر ثم جوزاف راءو وزير الخارجية وفي آخر مدته لقب الذي يوزير
التنفيذ وهو اذ ذاك كتخدا وكان كل من هؤلاء الوزراء [illegible] فيما يتعلق
بوظيفته ولا يتداخل واحد في وظيفة الآخر بشيء ولا نفوذ لاحدهم على الآخرين
ورئيسهم الا الوزير الاول لكنه [illegible] وقوله مغري الوالي كان يقتصر على
نصح الوالي [illegible] أو [illegible] له رأيه عندما يستشيره وصاحب النفوذ الحقيقي هو
مصطفى خزنه دار لتقريب الوالي اليه ولان مقتضى وظيفته التعلق بالاهالي و[illegible]
وجميع أصحاب الادارة وحيث كان هذا التنظيم يستدعي زيادة المصاريف والميل

الى

الى الترف مع ما فى نفس الوالى من الكرم على أهل اصطفائه وكبراء العساكر
دعاه ذلك الى زيادة الضرائب على الاهالى باعمال موجبها انفاقات الظهور وأوجبت
الفقر وزعيم ذلك القمارة محمود بن عياد باتحاد مع الوزير مصطفى خزندار مع
انحصار جميع أنواع مصاريف الحكومة فى يده من قوت العساكر وملابسهم وجميع
المهمات للحكومة ولبيت الوالى ولذلك وظائف تسمى وهى الرابطة وهى قبض
الاعشار ودفعها والكوشة وهى عمل الخبز والغابة وهى قبض اعشار الزيت وغيرها
والمرفة وهى شراء جميع مهمات الحكومة والوالى وانحصر جميع ذلك وغيره فى ابن
عياد وتمادى الوالى على المذكور وكادت ان تنحصر فيه ولايات جميع العمل ووظائف
سائر جبايات الاموال المشتركة بينه وبين ذوى اليد وقدم ابن عياد لاقتداره على
ارضاء الوالى باحضار دفعة لاور عدا ما يطلبه من المهمات والاموال وامتدت يده بزيادة
الظلم على سائر جهة الحكومة خاصة فى مضاعفة ومن اشتكى لا يجاب الا بقول الوالى
الخاص مع عملك وتوصل الى كتب الاوامر بخطه مراهم والوزير ويمضيها له الوالى
من غير علم احد مع تحصيب الوزير لذلك عند الوالى بان ما يصنعه ابن عياد يكون غريمه
حاضره فى ما لم الوالى عنده بالاستيلاء على كسبه وجمع ابن عياد بذلك اموالا
عريضة قدرها ... وحصل الانكليز بتونس الذى أقام بها ما ينوف من
العشرين سنة فى رسالته التى الفها فى حقائق طريقة تلزيم مداخيل الحكومة بثمانين
مليونا وهو المشتهر على السنة العامة فى تونس وأرسل ابن عياد تلك الاموال الى فرانسا
واحتال على السراح للسفر الى هناك للتداوى عند ما علم هو وشريكه ان عاقبته وخيمة
واحس عبادتهما وسرحه الوالى ولم يحاسبه الوزير حتى سافر من غير حساب فلما سافر
الى هناك احتمى بدولة فرانسا وأعلن بعدم الرجوع كما طلب الحماية شريكه وحصل
على الاذن بها غير ان دولة فرانسا تفطنت للامر ورجعت عن حماية الوزير وعلمت ان
سببها هو حب انتهاب بلاده وهو عندهم من أعظم الذنوب كما هو فى نفس الامر لكن ابن
عياد ... بل تجنس بالفرانساوية وحصل عليها بالفعل قبل
الاطلاع على أعماله لم يكن فى وسع دولة فرانسا نزع ما ناله اذ قوانينهم لا تسمح بذلك
وعند ما علم أحمد باشا بما مناع ابن عياد مع الاموال لمدر يعة التى نهبها ولم يحاسب على
تصرفه فيها لمصادفة الوزير النصوح خير الدين واتفق الفريقان على تحكيم امبراطور
الفرانسيس نابليون الثالث فأمر بعقد مجلس من ثقات المعتبرين فى الوزارة الخارجية

للنظر في النازلة وعرض الوزير خير الدين مطلب الحكومة وعرض ابن عياد مطالبه وألف كل منهما نحو ثمانية عشر رسالة في النازلة وارسى الامر فيها بعد عدة سنين على صدور الحكم من الامبراطور وخلاصته

﴿ريالات﴾

٠٤٤١٧١٤٩٠	ثبوت مال على قبل ابن عياد للحكومة
٠٢٠٩٠٢٧٥٠	وثبت عليه أيضاً بعنوان رسوم بالمكس وتذاكر سراح
٠٣٥٠٠٧٤٢٤٥	
ـ ٧٨٤٥٩٠٧	وثبت لابن عياد على الحكومة
٠٢٧٢٢٨٣٣٧	فاذا طرح ذلك من مجموع ما ثبت للحكومة بقي

قبل ابن عياد سبعة وعشرون مليونا ومائتان وثمانية وعشرون ألفا وثلاثمائة وسبعة وثلاثون ونصف كما صدر الحكم عليه بمحاسب في تونس على الرابعة وغيرها مما لم يمكن الحساب عليه في باريس وقد افردت هذه النازلة بتأليف مخصوص للوزير خير الدين حيث كان له خبرة بالنازلة لانه كان عينه الوزير خير الدين عند حضوره فيها وعند [illegible] الالداد في نازلة محمود بن عياد وما نسجت هاته النازلة لاعدم ما ثبت في الحكومة نازلة مثلها اذ الوالي مرض في ذلك الاثناء بمرض الفالج وطالت مدته واستبد الوزير مصطفى خزنه دار وعوض ابن عياد بالة نسيم [illegible] ووضعه نائباً عن الدولة وكذلك عوض ابن عياد جماعة للعمال بعد بن عياد وغيره ولم يمكن لبقية الوزراء انهاء الامر الى الوالي لمرضه وبقي الحال على ذلك الى ان توفي ذلك الوالي سنة ١٢٧١ في نصف رمضان ولم يترك على الحكومة ولا دانق من الدين بالرغم ولا بد من امرها الا مما لا يمكن خلو الوجود منه كدفع أثمان بعض مهمات مما لم يحل أجله واتفق اهلها على عدم حصول الدين من ابوير خير الدين لان الوالي كان أرسله لعقد قرض في فرانسا عند رحيل عسكر لحرب الروسيا سنة ١٢٦٩ ولم يمكن له معارضته لانه مستبد لكنه تشدد في شروط القرض وسوف حتى توفي الوالي المذكور وتعهد وريثه محمد باشا على عدم الاقتراض ومع ما تقدم فاحمد باشا مدة حياته لم يستبد عليه وزيره بما ترجمته في اقطارها احياء العلم بعد ان كاد يندثر فرتب في جامع الزيتونة ثلاثين مدرسا كل واحد برتبة قدرها ستون ريالا في الشهر وهذا المقدار اذ ذاك له موقع عظيم لم يتقدم له في مقادير مرتبات العلماء ثم رتب اثنى عشر مدرسا أخرى برتبة خمسة عشر ريالا في الشهر وخصص للاولين موار ثبت

من

من لا وارث له الراجع ذلك لبيت المال وللتأمين احباسا تلاشت بها أيدي المعتدين كما
أقام بجامع الزيتونة خزائن كتب بها ما ينوف بعدة آلاف مجلد ووقع من ذلك احياء للعلم وكثرة
العلماء بالقطر ومنهم من يقول بعز عهدهم ولا زال ذلك مستمرا بسعيه. ولما ولي محمد باشا في
سنة ١٢٧١ لم يغير شيئا من نظام الحكومة لكنه جعل أكبر همه رفع المظالم على
الرعايا وحماية ثروتهم لما كان يتيقنه من الاضرار التي كانت حاصلة لهم وأبقى وزراء
ابن عمه على ما كانوا عليه من حالتهم في خزينة دار المملكة على أمره وقد وزيره
لما صح لديه ما عمل الذي صاحب الطابع وكان كالباحث عن حقيقة إعلامه
عن سعي الجميع بما يرد عليه (والسبب) في ذلك هو تخوفه مما عمل من تقدم أحد
أدرته للوزارة المقدمة وهي وزارة العمالة فأبقت نفسه من ذلك وأعد وعاهد
مصطفى خزنه دار على الاقدام به وتعديه على عمر إذا أتى في الوزارة فسارع الوالي
وقال للاعين انا عن مصطفى خزنه دار لعله عالم بما عبره من أسرار الحكومة
وأموالها الى غير ذلك ولم يزل به الى أن أقره وعاهده على المعاونة والنصح وأما الوزير
مصطفى صاحب الطابع فقد أعفاه من الوزارة من غير مباشرة وأما محمد كاهية وزير
البحر فقد توفي وولي عوضه الوزير خير الدين وفتح الوالي أمره بنقص كثير لعساكر
بعد انفصال حرب القرم مع الروسية مع مراعاة ضبطهم لما في الخدمة وقدر لمعارف
على قدر مجالسه وجعل عسكرهم صنف مرتب مع ابقاء المقام وكذلك أسقط جميع المظالم
عن الأهالي وعوضها بأداء واحد على كل فرد ذكر بالغ قادر على الأداء وهو ستة وثلاثون
ريالا في سنة أي ثلاثة ريالات في الشهر وهي قدر يسير لكنه لذي لا تحصى ... مع
امكان ضبطه وصونه أيدي العمال عن التعدي فيه مع تحصيل المعونة بالمال وعمم ذلك
الأداء على جميع الناس ... بالسوية ولم يبق عليهم غير الاعشار الحبوب من القمح
والشعير وعشر الزيت أو عوضه من الفلوس بقانون جعل أي الخراج على أعداد النخل
ولم يستثن من ذلك أحدا الا أهالي المدن الكبيرة وهي تونس والقيروان وسوسة والمنستير
وصفاقس فأبقى بها أنواع الأداء السابق المختلف الأسماء وهي أنواع المكاسب وقد اقتضت
الأمة ذلك أعلى بالسرور والابتهاج لا لسادات العمال وبين الاشراف من أهالي الوطن
القبلي لعدم مساعدة ذلك لهم وكذلك ضبط اعشار القمح والشعير وجعل على كل ماشية
قدرا معينا هو أقل ما يمكن حصوله في العادة الا أن يكون نحو المرة وإذا ندت أسقط
بعضه عن صاحبه وذلك المقدار هو ربع العشر من كل نوع وان زاد العشر الحقيقي على

ذلك القدر فهو موكول الى ديانة صاحبه يدفعه ان شاء كل ذلك تحاميا عن أبواب المظالم
وكذا رتب اعشار الزيت وجعل لها مكاييل منضبطة ولا يأخذ الا العشر وشيئا يسيرا
مقدار ما يجب للكراء والمصرة وشدد النكير على العمال فيما اعتادوا من مد أيديهم الى
شئ زائد من الرعايا لانه جعل لهم مرتبات على حسب أتعابهم يأخذونها من الحكومة
ولم تمنعه جنسية العامل وقرابته لانه كان صادعا في الحق حتى عزل أصهاره أخذا بما أخذوه
من الرعايا وسجن بعضهم عقابا لهم وسجن أتباعهم الذين شركوهم في الاخذ وتوسعوا
فيه ولذلك امسك الوزير مصطفى خزنه دار وصار على حذر لا يقدر اوامره الوالي
المذكور وكان هذا الوالي شديدا على الحكم ولو بالقتل فيما يراه من الحقوق واشتد
خوف الوزير منه باطلا اذ ان حصل من أحد أتباع القائد نسيم اليهودي سب الدين
الاسلامي علنا في مجمع عظيم من المسلمين وكان امر الدين اذ ذاك وشعائره بالمكان الاعلى
على ما تقدم بيانه فاهتزت البلاد وتداعت للقطر جميعا وقد رأوا ان الرجل لا تناله الاحكام
لانه اعتاد الاقدام على مثل ذلك اعتمادا على الاحتماء بسيده الذي هو من خواص الوزير
وبلغ ذلك للوالي وقد كان منذ قريب قتل عسكريا بالقتل له يهوديا على مقتضى المذهب
الحنفي من قتل المسلم بالذمي مع ان احكام قتل النفس في القطر جارية على
مقتضى المذهب المالكي لانه يرى القود مطلقا [illegible] وهو اوفق لحالة أهل القطر
ولمذهب أغلبهم وهذا المذهب لا يرى قتل المسلم بالكافر غالبا والى عادة البلاد
وأجرى حكم المذهب الحنفي فلزمه نظر للعصيان العام وجه النازلة الى المجلس الشرعي
فحكم المالكية بقتل اليهودي [illegible] أهل الحسبة وكذا حكم الشيخ بيرم الرابع
بالموافقة مع نقل نصوص مذاهبهم على استحقاق التعزير بالقتل [illegible] وهو المعنى في
معروضات أبي السعود وقع [illegible] ما طلبته العامة فان الوزير عارض انتصارا لتابعه
في انفاذ الحكم وطلب من الوالي ان يحكم هو في الجاني بغير القتل [illegible] فامتنع لما تقدم
واحتال الوزير حتى جعل قنصل الفرنسيس يتداخل في النازلة وابتدأ الوالي الحكم
وتنجيزها [illegible] فرصة [illegible] بواسطة قنصلها الى ان أتى الاسطول الفرنساوي
في أواخر سنة ١٢٧٤ وألح رئيسه وقنصلهم وقصدهم [illegible] على انشاء عهد
الامان [illegible] كل منهم عمل الدولة [illegible] تنظيمات خيرية حتى صرح
[illegible] وزير الخارجية [illegible] في [illegible] المرسل في ذلك الشأن الى قنصله الامور بقرائنه
على الوالي وتفاوض الوالي مع خاصته ووزرائه في ذلك واستقر الامر على انشاء عهد
الامان

الامان وقرئ في موكب شامل لجميع المتوظفين وأعيان البلاد ونواب الدول ورئيس
الاسطول العثمانى (ونصه) بسم الله الرحمن الرحيم نحمده سبحانه لدى أوضح للحق
سبيلا وجعل العدل لحفظ نظام العالم كفيلا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا
ووعد العادل وتوعد الجائر ومن أصدق من الله قيلا والصلاة والسلام على سيدنا
محمد الذى مدحه فى كتابه العزيز بالرحيم ووصف له تفصيلا وبعثه بالحنيفية السمحاء
فبينها تبيينا وفصلها تفصيلا ورتلها كما أمره بلاغة وبيانا وتحريما وتحليلا فلن
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وعلى آله وأصحابه الذين قاموا
على معالم الهدى علما أن قد هدى ودليلا وفهموا الشريعة فصلا وتأويلا وأبقوا
مراسم العدالة وأحكامهم العادلة أمانا جليلا ونسألك اللهم توفيقا يوصل الى
الاستمساك برضائك توصيلا وعونا على أمور الامارة التى من جاهد فقد جعل عينا كفيلا
فهو توكلنا عليك وفوضنا اليك وكفى بالله وكيلا (أما بعد) فان هذا الامر الذى
قلدنا الله منه ما قلده واسنده الينا من أمور رعاياه ثم القرو [illegible] أسنده الينا
فيه حقوقا واجبة وفروضا لازمة لانتظام الاحوال العامة التى عليها الاعتماد
ولولا ما بها يقوم حق الله وحق العباد فقد صنا الصنيعة لله فى عباده وأرضه
وبلاده والامل أن لا تنبغى فيهم حقوق الله ظلما ولا هضما ولا يعرض لهم فى قائمة
حقوقهم ظلما وانى بنصرف عن هذا القصد عليه رتبته من يعلم أن الله لا يظلم مثقال
ذرة ولا يعزب [illegible] فقد قال النبى المعصوم لأواب ياداود انا جعلناك
خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وسيرى الذى آثر فى
قبول هذا الامر على خطره ومشقته لوطنى على ذاتى وعمرت خدمته العسكرية
ولبثت فيه غالب أوقاتى وقدمت من التضحيات فى الحياة ما علم خبره وظهر بعون
الله أثره فما أثمرت الآمال وتشوقت النفوس الى غرات الاعمال وتقصت عن التعدى
أيدى العمال واستقصاء المصالح يقتضى تقديم حال ومن راقها حاجة وقد عرضها
بسبب التعذر الى الاهمال ورأينا غالب أهل القطر لم يحصل لهم الامنية باجراء
ما عقدنا عليه النية وجرت عادة الله أن العمران لا يقع من نوع الانسان الا اذا علم أن
براءته هى الامن له والامان وتحقق أن سياج العدل يدفع عنه خوف العدوان
وان لا وصول لهتك سترمن حرماته الا بحجة الدليل ووضوح برهان ولا يكفى لتحققه

الواحد والاثنان فاذا رأى الجاني تعدد لانه رغما ان كان متصفا بصدده وقانون
يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه وقد رأينا سلاطين الاسلام والدول العظام الذين على
سياستهم المدنية بعمل الاعلام في العصر والايام يؤكدون الامان من اعظم
للرعية ويرونه من الحقوق الواجبة للرعية وهو امر يستحسنه العقل والطبع
واذا اعتبرت مصلحته فهو مما يأمر به باعتباره الشرع لان الشرع جاء لاخراج
المكلف عن داعية الهوى ومن التزم العدل واقسم عليه فهو اقرب للتقوى
وبالامن تطمئن القلوب وتقوى وقبل هذا كان بنا الامان له الاركان ونص الاعيان
بعزمنا على ترتيب مجالس ذات اركان للنظر في احوال الجنايات من نوع الانسان
والمتاجر التي بها ثروة البلدان وشرعنا في وضع اصوله السياسية على ان لا يصادم القواعد
الشرعية هذا واحكام الشرع محفوظة على اصلها والله يهدي من يشاء الى ... اساعه
وهذا القانون السياسي يستدعي زمنا لفرز ترتيبه وتدوينه وتهذيبه وارجو الله
الذي ينظر في المواد ان تستقر بهذا الترتيب احوال الرعاية ولاصالة ما ورد عن
السلف الصالح من اعتبار السياسة وانا العبد الفقير اقل الرضا ان يرى تطمئن له
النفوس وتكون بمنزلة في النفس منزلة المشاهد المحسوس وتأسيسه على (١١)
قواعد الاولى تأكيد الامان لسائر رعيتنا وسكان ايالتنا على اختلاف الاديان
والالسنة والالوان في ابدانهم المكرمة واموالهم المحرمة واعراضهم المحترمة الا بحق
يوجبه نظر المجلس بالشورى ويرفعه الينا ولنا النظر في الامضاء او التخفيف ما امكن
او الاذن باعادة النظر (الثانية) تساوي الناس في اصل قانون الاداء المرتب
او ما يترتب وان اختلف باختلاف الكمية بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته
ولا يحط عن الحقير لحقارته ويأتي بيانه موضحا (الثالثة) التسوية بين المسلم وغيره
من سكان الايالة في استحقاق الانصاف لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية
لا بغيره من الاوصاف والعدل في الارض هو الميزان المستوي يؤخذ به للحق من الباطل
وللضعيف من القوي (الرابعة) ان الذمي من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع
من اجراء ما يلزم ديانته ولا تمتهن مجامعهم ويكون لهم الامان من الاذاية والامتهان لان
ذمتهم تقتضي ان لهم ما لنا وعليهم ما علينا (الخامسة) انما كان العسكر من اسباب حفظ
النوع ومصلحته تعم المجموع ولا بد للانسان من زمن يشتغل فيه بمعيشته والقيام على اهله ولا
نأخذ العسكر الا بترتيب وقرعة ولا يبقى العسكري في الخدمة اكثر من مدة معلومة كما

ضرره

محرره فى قانون العسكر (السادسة) ان مجلس الشرع فى الجنايات اذا كان الحكم فيه
بعقوبة على أحد من أهل الذمة يلزم ان يحضره من يقع عليه الاختيار من كبرائهم تأنيسا لنفوسهم
ودفعا لما يتوهمونه من الحيف والشرع يوصى بهم خيرا (السابعة) انا سنجعل مجلسا
للتجارة برئيس وكاتب وأعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايا أحبابنا الدول للنظر
فى نوازل التجارات بعد الاتفاق مع أحبابنا الدول العظام فى كيفية دخول رعاياهم
تحت حكم المجلس كما يأتى ايضاحه تفصيلا قطعا لتشعب الخصام (الثامنة) ان سائر رعايانا
من المسلمين وغيرهم لهم المساواة فى الامور العرفية والقوانين الحكمية لا فضل لاحدهم
على الآخر فى ذلك (التاسعة) تسريح المتجر من اختصاص أحد به بل يكون مباحا لكل
أحد ولا تتاجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها ويكون الاعتناء باعانته عموم المتجر ومنع
أسباب تعطيله (العاشرة) ان الوافدين على ايالتنا لهم ان يحترفوا بسائر الصنائع والخدم
بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتى يمكن ان تترتب مثل سائر أهل البلاد لا فضل لاحد
على الآخر بعد الاتفاق مع دولهم فى كيفية دخولهم تحت ذلك كما يأتى بيانه (الحادية
عشر) ان الوافدين على ايالتنا من سائر اتباع الدول لهم ان يشتروا سائر الاملاك من الدور
والاجنة والارضين مثل سائر أهل البلاد بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتى تترتب
من غير امتناع ولا فرق فى أدنى شئ من قوانين البلاد ونبين بعد هذا كيفية السكنى بحيث
ان المالك يكون عالما بذلك وداخلا على اعتباره بعد الاتفاق مع أحبابنا الدول فعلى
عهد الله وميثاقه ان نجرى هذه الاصول التى سطرناها على نحو ما بيناها واوردها ابيان
لعهدها وأشهد الله وهذا الجمع العظيم المرموق من الجمع فى حق نفسى وعلى من
يكون من بعدى ان لا يتم له أمر الا باليمين على هذا الامان الذى بذلت فيه جهدى
وجعلت سائر الحاضرين من نواب الدول العظام وأعيان رعيتنا شهداء على عهدى
والله يعلم ان هذا قصدى لدى أظهرته وجمعت له هؤلاء الاعيان وأشهرته هو ما أودعه
الله فى نيتى واجراء أصوله وفروعه فورا أعظم أمنيتى والله مطلوب بعهده ومن عاهد
الله فليوف بعهده والحق هو العروة الوثقى ولا أحرى بالأخذ وأبقى واستخلف من
لدى من هؤلاء الثقات الحماة الكماة ان يكونوا معى فى اجراء هذه المصلحة
يدا واحدة بقلوب صحيحة متناصحة فرحا لهم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون اللهم من أعان على مصالح عبادك فكن
له معينا وأورده من توفيقك عذبا معينا اللهم اجعل لباس عنايتك واعانتك مددا

وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ومنك الاعانة على ما وليت ولك
الشكر على ما أوليت المهدي من هديت والمحرك فيما وصيت هذه مقدمة اقتضتها
الاستشارة وراءها لعبد الفقير بالخيف الخ فاعملا لا لهم بركة القرآن واسرار الصحة
والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد باشا باي صاحب المملكة التونسية
في ٢٠ محرم الحرام سنة أربع وسبعين ومائتين وألف من كاتبه المشير محمد باشا
باي ونصه على ما نقل وكيل (ثم عقد الولي) مجلسا الوزير مصطفى خزنه دار
وزير العمالة وأعضاؤه مصطفى آغه وزير الحرب وخير الدين وزير البحر والوزير
اسمعيل السني والوزير محمد وكاتب اسراره أحمد ابن أبي الضياف وأمرهم
باستخراج أحكام سياسية تقتضيها أعمال الحكومة واستخراج أحكام مرعية في
الحقوق الشخصية تجري بها الحكم في القطر وأذن أن يكون شيخ الاسلام محمد بيرم
الرابع أحد أعضائه فامتنع من الحضور دون مشاركة من العلماء الحنفية والمالكية
واستقر الرأي على صهره الشيخ محمد ابن الخوجه المفتي الحنفي والشيخ محمد بن حسين
رئيس الفتوى في المذهب المالكي والشيخ محمد [illegible] المفتي المالكي وهؤلاء الاعلام
الاربعة هم أكبر علماء القطر ذلك فحضروا الى أن تمموا وكتبوا بأن كل
منهم شرحا مفردا على الاحدى عشرة قاعدة المار ذكرها أبدوا فيه الاحكام الشرعية
المطابقة لتلك القواعد فاقتصروا على ذلك متعللين بأن الذي بدا لهم من معززي الجماعة
هو الباعث للسياسة السامحة من عمل الناس الى معاداة الشرع بل وربما عارض
ما يصادم القواطع وحيث كان عمل الناس على ما يستقر عليه رأي العالم لم يأمنوا ان
يسند الى المجلس ما يخالف الشرع ويعمل ذلك على عهدتهم ولذلك تبين لكل من
المرسي [illegible] ولذلك لا بد ان الصواب في غيرها كما على ما يتقرر ان شاء الله
تعالى في الخاتمة ولم يتم هذا المشروع في مدة الولي المذكور مع حرص العامل عليه
وتأكيدهم بانه لا محيص عما التزمه عليهم بانه عن دولتهم ولم يخل الولي بذلك
لانه مجبول على حب العدل واعاقه عن اتمامه الاجل وفي آخر مدته أمر الوزير باتفاق
مع روش قنصل فرنسا حيث كان العامل مرابطا على ما أتى وصله الاولى جلب ماء
زغوان الذي كان جاريا بالقرطاجنة في قنوات من لدن وعلى حنايا بأعلى يد جمعية
فرنسا وية في قنوات من حديد ويوصل الى المرسى والحاضرة وغاعصر من ثمنه للديار
وللازارع يوفي بالمصروف عليه في مدة يسيرة وينشأ منه فوائد للزراعة حول الحاضرة

والمرسى

والمرسى وكان الوالى معرضا عن العمران والفلاحة والمرسى أيضا وهى معطشة من قلة
المياه الحلوة وفوق على دبش وتفوا على جانبه وعلى بابه وراء فلاة فرانساجية خارج
باب البحر من الحاضرة مقدار للجميع قدره اثنا عشر مليونا تدفع على قمانة أربعة كل
وسط فى سنة بثلاثة ملايين وقد عدد بعضهم ذلك مبدأ عن الفقر حيث آل الى دين الربا
ويحق أنه لوم على الوالى فى ذلك لان الحكم على ما هو موجود وعلى اعتبار ان الامر
على الاستقامة ولا يعول على فساد غيره وان بناه على شىء من أعماله هو فى نفسه
سليم اذا المدينى فيابه على ما ربه والنظر فى الحقيقة للعمل من حيث هو فينظر فيه
هل فيه مصلحة أم لا وحاصل ذلك البناء على الكيفية المذكورة فيه مصلحة وهو تعطش
البلاد فى أغلب السنين لان شرب أهل المواضع المحروسة فيها ماء المطر ومن بئار جهتها
ماؤها غير خالص لعذوبة تسمى بركلاب ويستعمل لغسل الصابون ومياه سواقى حول
الحاضرة لان آبارها ماؤها ملح لا يصلح للاستعمال لتطيب البيوت وكثيرا من السنين
تحصل الشدة للاهالى من قلة الماء سيما حتى يباع ثمن القربة مقادير وافرة مع التعب فى
جلبه ثم عزم الوالى باه فلاحة ترغيب السكان فى العمران الذى أغرا قبلهم عليها على
ما سيرد يستدعى جلب الماء الحلو على ان ماليه الحكومة ذلك وادية بتلك المقدار لان
الفلاحة التى هى ركن وقد هذا القصر قد تكاثرت فى تلك المدة وأديات عليها الناس
اقبالا عجيبا حتى علت أسعار الاراضى والكراء وعلت أسعار الحيوانات وغلى فرس
الاسير المسمى بالحماس غلوا فاحشا حتى باع فرس الحماس الى ألف وخمسمائة ريال
وذلك لكثرة سنعماء الاهالى سبب الاعراس وبعضهم من صناعة الخماسة لاقتدار كل على
أن يصير فلاحا مستقلا بنفسه وينتج من ذلك ثروة للحكومة وزيادة على المعتاد مع
نقصان المصاريف على العساكر وكان دخل الحكومة فى الاول نحو ستة وعشرين
مليونا فى السنة وبيان تقريبه ما يأتى

(ريالات)

٠٩٧٠٠٠٠ عدد النفوس التى تؤدى الجباية ٢٧٠٠٠٠ على كل نفس
ريالات ٣٦

٠٦٠٠٠٠٠ مدخول مكس الغلال فى الحاضرة المسمى فندق الغلة

٠٥٠٠٠٠٠ دار الجلد أى محل دبغ الجلود

٠٥٠٠٠٠٠ كمرك الدخان

﴿ريالات﴾	
٠٦٠٠٠٠٠	كمرك السلع الداخلة والخارجة
١٠٠٠٠٠٠	سراح خروج الزيت والقمح والحبوب
١١٠٠٠٠٠	قانون زيتون الساحل وصفاقس
٠٩٠٠٠٠٠	قانون نخيل الجريد
٠٥٠٠٠٠٠	محصولات المدن وغيرها أي الاداء على ما يباع في الاسواق
٠٥٠٠٠٠٠	لزامات صغيرة في الحاضرة وغيرها كالحوت والحبل وغيرها
٢٧٥٠٠٠٠	اعشار القمح والشعير على كل ماشية ربع قفيز قمحا ومثله شعيرا وعدد ١٢٠٠٠ الموازي يجتمع من ذلك ثمرة ٣٠٠٠٠ قفيز ونصفها شعير ١٥٠ الاول وسعر ٧٥ الثاني
٠٣٠٠٠٠٠	عشر الزيت متوسطا كل سنة ٥٥ رزتا ١٢٠٠٠ سعر ٢٥ المطر
٢٢٩٥٠٠٠٠	الجمع

فالحكومة التي دخلها ما تقدم ومصاريفها لاعتيادية لا تتجاوز الاثني عشر مليونا والآن
أحمد باشا مع كثرة عساكره ومصاريفها كان دخل الحكومة زمنه نحو خمسة عشر مليونا وبالي
الثمانية عشر ومصاريفها مثل ذلك لانه لم تكن شيء ومحمد باشا نقص كثيرا من العساكر
ولم يكن مصروفه الاعتيادي يتجاوز الاثني عشر مليونا ثم انه صار من غير اعتيادية جميعا
نقص ذلك وما داخلها الا تبله واذا دفع من دخل الحكومة ثلاثة ملايين في المدة
أربع سنين لمنفعة عامة لا يكون فيه ضرر ولا فساد على مثل ذلك اشترى له الوزير
المذكور من خزنة الدولة مجموعا قيمته خمسة عشر مليونا فقط تمامه ارسالا يكون ذلك
ذخرا للحكومة وصار غالبا من اجداث من دخائرها الثمينة في مصر بعد حرب اروسيا
لان المال الخاص يحول اليه اعتمد والايدى تخلاف الجوهرات مع ما في طبع الوالي
من الميل الى طبائع الاقدمين ومنها دخار المصوغ وهو ولان كان مصرفه فيما يتعلق
بذاته وجوده بالنسبة لاسلافه لكنه يؤثر الاقتصاد والاعادة واباح للحكومة ان يستاطف
لهم لكي يقصدوا في مصروف بعوم وقد قدم عليه اولى الامام الشريف سيدي محمد
الشريف في رمضان وكان محبا للشرف مضمه المهم شانه هل تونس الاسلامية

فادخله

فأدخله القصر وجره مجللا معه من البساط ومؤانساته فعرض في أثناء الخطاب لومه للشريف
على التقصير في القدوم إليه فأجابه معتذرا ببعد مسكنه حيث كان مسكن الوالي بالمرسى
وبتعب الركوب على ظهر مركوب للوصول إليه لأنه ليس له كروسة أي عجلة فأجابه
الوالي بأن ملاك مثله الكروسة مضرا بما لزمها من المرتب السنوية وهو لا يبخل عليه
بإعطاء كروسة له بلوازمها ولكنه يخشى عليه كثرة مصاريفها فلذلك رأى أن يعطيه ثمنها
وثمن ما يحوجها على شرط أن يشتغل به في ماله ويدخل في مصالحه وأما ركوبه فإنه مهما أراد
الركوب يرسل إليه ليبعث له كروسة ليركبها وأعطاه خمسة آلاف ريال وأرى أنه من
نصح الأصدقاء وله في مثل ذلك كثير من المساعي سيما فيما يعود إلى تكثير الفلاحة
وغراسة الزيتون والأشجار من الأهالي حتى رغب أهالي الحاضرة أيضا وأنشأوا في مدينة
المصيرة ما ينيف على ستين ألف شجرة من الزيتون في أرض تعرف بسيدي حوحه
من مرناق وتوفي رحمه الله ولم يترك على البلاد ولا دانقا دينا بالربا إلا الأموال المقسطة في
مقابلة الأشياء المار ذكرها وبقايا أثمان أشياء الإصلاح لا مرض مثله مع أنه ترك
خزائن من الذهب مملوءة مسكوكات الذهب التي أنشأ ضربها كما ترك خزانة مهمة جدا
ملآنة بالمصوغ والياقوت الأبيض المسمى بالألماس أو الدياماند المتقوم من النياشين التي
أعطاها وأخذها من أصحابها وعوضها بنياشين من الفضة على حسب مجرى الدول وعوض
أصحاب رتب العسكرية علامات في أعناق لباسهم وقد كان كل من أرباب نياشين
الافتخار ومن أهل رتب العسكرية له نياشين من الدياماند مختلفة النوع والمقاسة
على حسب الرتب فمنها نيشان يبلغ خمسة عشر ألف ريال ومنها دون ذلك وهي كثيرة جدا
فاجتمع منها مع ما اشتراه مقدار وافر يعرف ذلك كل رجال الحكومة وأتباعهم بل وجميع
آل بيته واستولى أخوه محمد الصادق باشا في (٢٤) صفر سنة (١٢٧٦) ولما كان
هذا الوالي يتقي الصعوبات ويأتمن من يرى أمانته ويطلق له التصرف من غير معارضة
كانت الوقائع تختلف في مدته اختلافا بحسب الوزير الذي بيده التصرف مع أن
الوالي معتمد فلذا لزم أن نذكر كل وزير بانفراده والوقائع التي جرت مدة ولايته ومع أنه
لأن الوالي يأتمنه ويعمل على رأيه وهي القاعدة الجارية بها عمل الممالك المتمدنة
لوقت شروعها وهي جعل محتسب من الأمة لمراقبة أعمال الوزير حتى لا تضر به
ولا بالأمة غيره بنسب إلى الوالي تعميم أمر الحكومة فأطلق عليها لقب الدولة
وعلى نفسه لقب الملك وأدمج ذلك في ألفاظ القانون المسمى بقانون الدولة ووزع منه

تسجيعا على سائر الدول ليكونوا شهداء عليه وسلم بيده الى يد الامبراطور نابليون الثالث
نسخة منه عند الاجتماع به فى احرنو وكتب اللقب ووزنه باسم الوزير فى مكاتيبه
للدولة العلية وقيل له فى ذلك من بعض رجال حكومته فقال لدولة لها السيادة علينا
وطاعتها واجبة ولكن لا نهين انفسنا وكذلك اخترع زيادة النيشان وقلدها نفسه
ورجال حكومته وغيرهم فمنها نيشان العهد وهو مرصع بالياقوت الاحمر والاخضر جعل
لابسه قانونا وعددا وبقيه شرائط ابيض مثل الذى سبق ذكره فى اختراع احمد باشا
ومنها نيشان عهد الامان على شكل آخر وخصصه باصحاب المباشرة فى نوازله الى غير
ذلك من الاشياء التى مدارها على الابهة مع رأفة طبعه ورقة قلبه وأول ما افتتح به
حكمه باليمين اللازمة فى قبول بيعته على مقتضى عهد الامان وهو رد عند البيعة العامة
التزاماته

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تبارك من جعل الامان أقوى اسباب العمران والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
وصحبه ومن تبعهم باحسان (اما بعد) فيقول العبد الفقير الى ربه المشير محمد الصادق
باشا باى وفقه الله لما يرضاه وأعانه على ما أولاه انى قبلت البيعة من الاعيان الحاضرين
على ما وقع الالتزام به فى العشرين من محرم الحرام سنة (١٢٧٤) من المرحوم المقدس
أخينا المشير سيدى محمد باشا باى وهو عهد الامان السائر المشتمل على الاعراض
والاموال والاديان وما حواه من القواعد واللوازم والاركان وحلفت وأحلف بالله وعهده
وميثاقه على مقتضاه وان لا أخالفه ولا أتعداه وهذا الكلام صدر منى ونقله الناطق
به عنى وخطى وختمى فيه أقوى شاهد وأوضح اعلان لكل من حوى هذا الديوان من
الرعية والسكان وعلى مقتضاه عليكم السمع والطاعة وبذلك تم مع الجماعة حرر يوم
السبت الخامس من صفر الخير سنة (١٢٧٦) ثم التفت الى الوزراء فوجد الوزير
مصطفى خزنه دار هو صاحب الشفوف على الكل لاتفاق أغلب أتباع الحكومة عليه
وانقيادهم اليه رغبة ورهبة لما له من اليد وكذلك معامل الدول فسلم اليه أمر الحكومة
واقتصر بالوزير الاكبر واقتفى منفذا رأيه ملازما للصبر على نفعه فى كل أمر حتى فيما يعود الى
خاصة ذاته فكثيرا ما كان يلبس الوالى ثيابه ويتقلد منطقته منتظرا ركوبه الى الحاضرة
فى كل يوم من رمضان لكون عادته ذلك ويبقى منتظرا الوزير ليركب معه لانه لا يركب دونه
فيرد عليه رسول الوزير معتذرا له بانه غير قادر فى ذلك اليوم على الخروج لمرض أو شغل

فيلوى

فلوى المولى عزمه ولا بتوجهه للحاضرة وحده وكان لا يباشر فيها شيأ من الادارة وانما
يذهب لمجرد التنزه والتفرج على الاسواق من شبابيك قصره وحيث علمت ما تقدم نذكر
لك بعض حالات هذا الوزير وما طرأ من تصرفاته كما نذكر لك غيره من الوزراء

﴿ المطلب الخامس ﴾ في وزيره مصطفى خزنه دار (اعلم) انه رحل أصله من قرية قرب
ساقس جاء الى تونس وسنه دون العشر سنين واخذه أحد البايات ورباه وعلمه القراءة
والكتابة وبعض الفروض العينية كالتجويد والوضوء والصلاة ونشأ على مسايرة أخلاق
سيده بشوش غير متحمس غيورا على من ينتمي اليه جالبا لهم الارباح بكل وجه كما انه
كان غيورا على تقرب أحد من المولى ومع ذلك كان كثير الاعتقاد في الصالحين ومن انتمى
الى معرفة الحدثان مواظبا على قيام الثلث الاخير من الليل وله فيه اوراد مخصوصة الى أن
يصلي الصبح ثم ينام وكان أولا قليل الكبر بنفسه كريم كثير العطاء لحاشيته ثم صار شحيح
النفس حريصا على الامساك والادخار ولم يعهد له مباشرة أحد بشتم أو كلام منكر مدة
وزارته على طولها وهي خمسة وثلاثون سنة الا رجلين فقال لاحدهما على زبد
وللآخر حمزة بن هاشم وكان لا يقدم اليه أحد بطلب شيء منه الا بعده بقضاء حاجته كيفما
كان حالها مع انه ربما كان الوفاء ببعضها غير ممكن وقد يرى له في ذلك فتح باب من ملاقاته تأبى أن
يقنط الطالب ويؤيسه بل يصرفه بالوعد وان كان عازما على عدم اعطائه ويرى ان تعليق
الآمال أولى من الاياس منها ولذلك كثيرا ما حصل منه خلف ما يعد وصاهره أحمد
باشا على أخته ثم ولاه خزنه دار ثم لما أحدث أحمد باشا القاب الوزراء ولاه وزارة
العمالة وهي عبارة عن التصرف في الداخلية فاركن اليه محمود بن عياد وتشاركا سرا حتى صار
المحتسب واختص عليه شريكين وحصر دخل الدولة وخرجها في محمود كما تقدم ولا تعلق
بمصلحة حصول خروج محمود الى مراسا من غير حساب وخيانة محمود وظهور عقد
الشركة مع مصطفى خزنه دار وطالب على يد مجلس الحكم رام الشريك بدفع نصف
قيمة المال لخلو يده لاصلاح الحكومة واستولت هي عليها بعد خروجه من تونس وعرض
هذا الحكم على الوزير مصطفى خزنه دار بواسطة قنسل فرانسا في تونس كما أظهر ان
شريكه خزنه دار كاتبه بطلب حماية فرانسا كما قرره في الصحيفة الرابعة من الرسالة
الاولى التي عرضها على مجلس التحكيم وبعد ان كاد يحصل على الحماية عدلت فرانسا
عن ذلك والحال انه لم يبدله من سيده موجب لذلك بدليل بقائه على منصبه وتصرفه الى
ان مات سيده ثم بعد فر محمود بن عياد استعوضه بمحمد بن عياد وجعله سمسارا على بيع

الوصف فكان المتولي يدفع ما تفق معه عليه والمعزول يغرم ما يدعى به عليه أهل
عمله مع كونه مضطرا إليه لأنه ما دفع المال لشراء الوظيفة إلا ليرجع بما تغش به وما
يدخره للمستقبل وعظم بذلك الخطر والفقر على الرعايا حتى شاهدت قبيلة أولاد عيارات
كثيرا منهم يستقطون حب الزيتون بالأجرة لأربابه وعندما يتم عملهم يأتون إلى
الفلاح ليحاسبوه عما اجتمع لهم من المال ومعهم أحد أتباع هذا العامل فيعطى لهم جميع
أجرهم بعد إخراج مقدار ما أخذوه لقوتهم ويرسله الفلاح معهم إلى دار العامل ليقبضه
لأنه حاجر عليهم في قبضه وأشباه ذلك كثيرة كما أنه استعوض عن ابن عياد فيما يتعلق بشراء
مهمات الحكومة ودفع أموالها أناسا منهم عصبة الذي وقع منه أمور عجيبة منها أنه
ولي على أعشار الزيت ودفعها في مصار بقرب المدينة ومنها الإجحاف في مؤونة العساكر
فكان يدفع لهم الردئ من الزيت زيادة على مضاعفة الكيل من الدافع بل من سوء
عمله أنه كان يدفع للعساكر أرواح الزيت الذي يحصل في قعر الحلة ولا يسيل منها كما
كان يخلط ما لصق ببطان مواجل الزيت ودنانه المسماة بالجرار وما اجتمع من ذلك
الدسم الوسخ يغلى في الماء المسخن ويدفع للعساكر على أنه زيت والأرباح التي تحصل
لعصبة كان يصرفها لمصالح الوزير خزنه دار ومنها أنه ابتدأ في بناء جامع قرب باب
القرجاني ونسبه إلى نفسه مع أن المصروف عليه من مال الحكومة بعضه منه على يد ابن عياد
والبعض الآخر كان صرفه على يد عصبة المذكور والدليل على أن ما صرفه لم يكن له أنه
مات معدما ومع ذلك لم يتم الجامع إلى الآن وقد بنى الوزير خزنه دار سبيلا ببطحاء القصبة
ووقف عليه حوانيت بجواره ولا زال مستقرا إلى الآن وقد استعوض عن ابن عياد أيضا
اتفاقا نسيم شمامة وجعل وظيفته كونه قابض الأموال وكان يشتري المهمات بسعر
ويحاسب بها على الحكومة بأضعاف كما أنه حصل بسعي الوزير المذكور بناء أعدة
زوايا فيها تجديد زاوية الولي الصالح القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
الكائنة بجبل الجلاز بنيت على شكل حسن متقن حيث كان الوالي إذ ذاك أحمد باشا
تلميذا للشاذلي رضي الله عنه وكذلك جددت زاوية الولي الصالح سيدي علي الحطاب
رضي الله عنه الذي هو أحد تلامذة الشاذلي الكائنة في الجهة الغربية من تونس
تبعد عنها ثمانية عشر أو عشرين ميلا في الوطن المسمى بالمرناقية وبنيت أيضا بناء حسنا
ومنها زاوية الحاج علي شيحة الكائنة قرب الحلفاوين من ربض باب سويقة من
حاضرة تونس وهو منتسب للولي الصالح سيدي عبد السلام الأسمر رضي الله عنه وبنيت

بناء

بناء حسنا ومنها تجديد بناء زاوية الولي الصالح ملاذ أهل تونس وعمدتهم سيدي محرز بن
خلف رضي الله تعالى عنه وهو رجل كبير في العلم والصلاح من كبار رجال مذهب
الامام مالك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبنيت بناء حسنا وما صرف على جميع ذلك
من مال الحكومة كما انه استوهب من الوالي محمد الصادق باشا سبخة السيجومي التي
بقرب الحاضرة من الجهة الغربية الجنوبية وأنفق على تنشيفها عدة مئين من الالوف
من مال الحكومة وجعل لذلك خندقا عرف في وادي بن حمال الآخذ المعروف ببئر القصعة ثم يمر
على الوهاد المعروف بحيرة باش حانبه ثم يصل الى الأرض المعروفة بجدار ابن عروس
وهناك يتصل الماء المنحدر من السبخة فحصل بذلك تلف الاراضي التي على مصب ذلك
الخندق لانه لم يجعل له سبيلا الى الوصول الى البحيرة مع كون مائه مالحا اجاجا وتعطلت
منه بسببه الطريق الموصلة الى مرناق والى حمام الانف ثم ماء الامطار من الجهة الجنوبية
في وقت الشتاء أتعطل طريقه الاصلي من الوحل فصار الطريق الشتوي أيضا امامه معطلا
أو صعبا جدا مع ان نفس السبخة لم تنشف لان ارتفاع قعرها على سطح البحيرة انما هو نحو
مترين ونصف متر ويلزم لانحدار الماء في الاقل صانتي مترا لكل مترو طريق الخندق
لما كانت طويلة لم يكن فيها الانحدار المطلوب فلم تنشف السبخة وقد أنذر بذلك أحد
حذاق المهندسين وقال لا يمكن تنشيفها الا بنفق تحت جبل المنوبية لقرب المسافة
الكافية للانحدار فلم يعمل بقوله ولم يحصل المقصود وبقي الامر على ذلك الى ان سد
الخندق في بعض جهاته باذن الحكومة في وزارة خير الدين لرفع الضرر عن الطريق
وعن الاراضي المشار اليها جميعها كما شرع في عمل طريق صناعي بين تونس وحلق
الوادي فعمل بعضه من جهة حلق الوادي نحو اربعة أميال ومن جهة تونس نحو ستة
أميال ثم ترك واما الذي من جهة حلق الوادي فابطله جعبة طريق الحديد واما
الذي من جهة تونس فلم يزل مستعملا لكنه محتاج الآن الى التدارك بالاصلاح لانه
ضروري في وقت الشتاء حيث ان الارض التي بجانبه المسماة بالحصر اصعب المرور
لكثرة الوحل ولما ولي محمد باشا واقر الوزير المذكور بمساعدة الوزير اسماعيل السني
حصل الاغراء للوالي على محمد المرابط امير امراء عساكر القيروان وصهر أحمد باشا وعلى
صالح شيبوب امير لواء عساكر الملح وغيرهما من خاصة أحمد باشا من أبناء البلاد
فنزعت رتبهم واستوصلت جميع أموالهم وسمع الثقات من وزراء أحمد باشا الحاضرين
مواطن الاغراء شدة تعاظمه من ذلك ولما وقع استقراره بالوزارة عند محمد باشا بوسطة

ما تقدم أراد أن يبرهن على صدق ما وصفه به الوزير إسماعيل المنشي من الصدق
والنجابة وعلم ما لا يعلمه غيره فطلب من الوالي عمل حسابه عما مضى وبعد تمامه جاء
بالدفاتر وبتلخيصها وعرضه على الوالي محمد باشا ورأيت في صورة الموطن خط الوزير
ابن أبي الضياف ما نصه وقال له بمحضر الوزراء ورجال الدولة هذا حسابي قد صحت
في مدة خدمتي ما هو مرقوم في هذا التلخيص وصرفت في المدة ما هو مرقوم أيضا وكان
المصروف أكثر وأنا غير طالب له ولم أدفعه من مالي وليس على دولتك المباركة دين
فقال له بعض الحاضرين من الوزراء بديهة أنا أول قادح في هذا الحساب ومن أين جاءت
هاته الزيادة وأجابه الوزير بلين وسياسة لك أن تطرق في فصول القبض هل سقط منها
شيء وفي فصول الدفع هل زاد فيها شيء بما ورد لك تجده خاصا بي ولي أن أطالبه لو
استحللت الخيانة ولهذا أتيت بالدفاتر أعلم بها كل من يريد الانتقاد بعمل القادح
الخ والكاتب المذكور عالم بالبلاغة جيد وربما يقوله تحمر أي تحصل من الجواب
لانه قرر أن المال من الأشياء التي لا توجد ذاتها بالقسمة فلابد إما أن يكون من فصول
المقبوض شيء لم يرسم كأن يكون المقبوض من الطرق التي لا تتقيد كالأخماس أعمال
زيادة على الموظف أو تكون بعض وجوه المصروف لم تصرف حقيقة أو يكون المقدار
الحقيقي متفاوتا دون ما رسم في الدفتر أو يكون الدافع دفع من عنده أو اقترض وهذان
الأخيران قد قرر الوزير بعدمهما وإقرار الإنسان ماض عليه فلزم بالضرورة أحد
الوجوه السابقة ولعلها هي المرادة بقوله أصابني ثم إنه في مدة محمد باشا لم تقع مصادرة
لأحد من العمال لما تقدم من سيرة ذلك الوالي وإنما قال إنه حصلت له حصص من المال
والمصوغ من أملاك الخائنين لما رجع وبقي المصوغ يكون له قد نيفت المقادير
وفي آخر مدة الوالي المذكور لما ارتفعت قدمه حصل الاخذ للوزير من بعض العمال
بدعوى أنه مع شدة الوالي في قبض أيديهم لا بد أن يسرقوا وحمل أحمد زروق حملا قال
لمخليفة لمساس مشاركا لسعد بن عبيد مع أنه تحذر من أن يظهر أدنى شيء من الرعايا
وقد أدركت المضرات حذاق القطر حتى قال أحد علمائه قصيدة يستغيث بها القطب
الصالح سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه لما دهى القطر من تلك الأعمال

﴿مطلعها﴾

كادت تنطر رجالها بالباس * فمغوثنا يا أبا العباس

(الى ان قال)

أنا البك نبث ما قد نابنا * من مكر ذي شر شديد الباس
درب على دعم الفضائح قائم * متجوز ناه عن مدى القسطاس

﴿ثم قال﴾

نشبت مخالب كيده في قطرنا * وبدت مضرته على أجناس
ومراده والله يمحو رسمه * إلحاقه بالأربع الأدراس
خفيت مدارك كيده فتحيرت * في غورها النبها من الأكياس
حار اللبيب ولم يفد تخمينه * مع ضربه الأخماس في الأسداس

﴿ثم قال﴾

واستأصل الأموال من أربابها * ورماهم بالذل والإفلاس
كل تراه وقد أمض فؤاده * يشكو القديم وللجديد يقاسي

الى آخرها وهي طويلة مع ان ما بين وظيفة المشتكي والمشتكى منه مما يؤيدان الشكوى عن غير أغراض شخصية ودليل صدقها الخارج ثم لما تولى محمد الصادق باشا وكان الوزير بحث له ما هو منه تبرعه من الصلابة حمد الوزير في تمام قوانين عهد الأمان سيما والبلد كانت مستعدة له من قبل لاطمئنان على صحته بدليل ما جرى بعد والده من قبله بسبب عموم العدل الذي يستدعي تجلي الإنصاف على نفاذها فتمها وشرع في العمل بها في ١٥ شوال سنة ١٢٧٧ وحلف الوالي على انفاذها وعدم نقضها وكذلك سائر المتوظفين واستغرقت جميع مداخل الحكومة في المصاريف التي نظمت وكثر المتوظفون وبكثرة على مقتضى القوانين وزيادة ووفرت المرتبات على ضوء مرسوم في القطر حتى صار لذات الوزير وحده من المرتبات ما بيانه في السنة

ريالات	
١٤٠٠٠٠	مرتبه على الوزارة الكبرى
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة العمالة
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة الخارجية
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة المال
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على نيشان آل بيت الوالي الذي هو حامل له
٣٨٠٠٠٠	الجمع

مع انه يصرف مصاريف غير ذلك من أموال الحكومة كما تبين من الحسابات في الحكومة

وجعل القائد فيهم لا يدفع الى دخل مال الحكومة لاسقاط مصادر ربحه بزيادة
على الارباح من شراء المهمات واستغرق بمثل ذلك جميع مداخل الحكومة ثم جعل جميع
المال المطلوب لتلك الاقدات المذكورة كهامش ماعون وغيره ديانا بالربا واستقرض له ايضا
بالربا من اوروبا بقدر نحو تسعة عشر مليونا فرنكا حسبما هو محرر بالتقرير المطبوع
بخطه وخط المجلس الاكبر وقد برح اذ ذاك الخفاء وبان لعقلاء رجال الحكومة سوء
تصرفاته فكان أعظم المصادين له من كان أكثرهم قربا اليه والحواء ابه في الكف
عن تلك السيرة فصار لهم بالمرصاد وصار يشينهم عند الوالي ويقدح فيهم ضد ما كان يقول
فيهم لانه علم حالة الوالي وانقياده اليه ورام بعض المعاونين او ببانة صورة لان مقصده
الامن على خصوص ذاته قد حصل بظفر بان الوالي على رايه وابعد كل احد منه الا
الخدمة لخدمة ذاته واشتدت المناحنة بينه وبين الوزير خير الدين الى ان استعفى
من وظائفه ثم تبعه الوزير حسيب والوزير مصطفى أغه والوزير رستم وخلا الجو لخزنه دار
وأحدث السيرة في طور آخر حيث رام ان يضاعف أداء الجباية على الاهالي وتصييرها
اثنين وسبعين ريالا على الرأس عوضا عن الستة والثلاثين ريالا التي اسسها محمد باشا وطلب
موافقة المجلس الاكبر فامتنعوا واشتد هو بافضائهم مع تحذير العقلاء له من بعض ايهم
مع ان الاهالي في ثروة من اثر سيرة محمد باشا تقويهم على الدفاع عن نفوسهم مع ما استأنسوا
به من تلك السيرة وعلمهم بان العدل والانصاف قد شملهم بالقانون وان لهم الكلام في
حقوقهم فامتنعوا قاطبة وأراد غصبهم على ذلك فثار القطر كله ثورة واحدة لم تعهد من
قبل على غاية من الرياضة والامن حيث لم يتعرضوا بالاذية لاحد مع امن السبل وكثرة
الغادي والرائح وضبط كل جهة بيد أهلها لردع السفهاء وحفظ الراحة والامن وكان
متولي أكبر الجهة الغربية والمتفق عليه أكثر قبائل الاعراب رجلا يسمى علي بن غذاهم
وذلك سنة (١٢٨٠) ولا زالت هذه الثورة تسمى ثورة بن غذاهم وكاتب الجهات بانا اخوان
ووطننا واحد وليس المراد منه الافساد لواجب حفظ الامن والراحة وتأمين السبل ولا
نتعرض لاحد بشيء سوى اتباع الحكومة فاذا أرادوا غصبنا على الظلم ندافع عن انفسنا
وأنذرت القبائل عمالهم الذين كانوا بين أظهرهم بان اردتم تتوجهوا الى الحاضرة
أوصلوه بأمان ومن أراد الاقامة مكفا عن التداخل في أمرهم أمنوه بأمان ولما توجه أمير
الامراء فرحات الى الكاف لاجبار قبائل ماجر على ذلك الاداء تعرضوا له وقتلوه وشدد
العسكر عليهم علي بن غذاهم وقال لهم أصل اتفاقنا انما هو على الدفاع عن أنفسنا وما ضركم

قدوم

قدوم ارسال الامداد اليكم فهذا هو اعلى انصحكم وكاتب المذكور رئيس الفتيا العلامة
الشيخ أحمد بن حسين وطلب منه التوسط في الصلح مع الحكومة وحاصل مطالب الجميع
ابطال لاداء الجديد وعزل الوزير مصطفى خزنه دار ومحاسبته فامتنع الوالي اولا من
جميع مطالبهم واشتد الكرب على الحكومة حتى لم يبق أمر الوالي نافذا الا في الحاضرة
وضواحي عشرة ميلا حولها واشتد الخوف في الحاضرة وقدمت اساطيل الدول واسطول
الدولة العثمانية وفيه مرسول سلطاني نزل في قصر المملكة بالحاضرة وقد جاءت نواب
الدول في النازلة وفي قبائل القطر وابدا لهم كل عال وفق مسعه وكان من جملة الحاح
قنسل الفرانسيس على الوالي لارجاع الراحة عزل الوزير خزنه دار لكنه خاطبه بذلك
شفاها كما هو مشهور في البلاد ورأيته بخط الوزير ابن أبي الضياف واصر الوالي على
الامتناع الى ان أحضر الوالي عسكرا قبالة وجهه تحت رياسة اسماعيل السني ليل
الاعراب له لصدقه ثم جاءه الوزير رستم عند مرض الاول ووقع الاتفاق مع جمهورهم على
اعطاء الوالي الامان الى الجميع واسقاط الاداء المطلوب ومطالبهم الاساسية وكتب الوالي
بذلك أوامره وباشر باعطاء الامن لكل من وفد عليه من رؤساء واشهر الوزير الفرصة
لابطال القوانين بدعوى ان الثورة قامت لابطالها وما هو كذلك من أحد لان
أصولها لاتنافي الشرع بدعوى بعض ما تكلمت فيه ... من هو مرجع مجاوزتك نعم أنكروا
كون قوانين الاحكام الشخصية لم تكن شرعية في كثير من المسائل ونسبها الجهلاء الى
انها كانت مخالفة للشرع لحكامهم وزيادة ثم هيئة الحكم على خلاف ما تعودوه في هيئة
الاحكام الشرعية وللتصريح بقصر الاحكام الشرعية على أبواب خاصة دينية ولعدم
ادخال الحكام الشرعيين في الحكم بالقوانين ولان بعض من ادخل في الحكام لا خبرة
له بها حتى خرج عن صورة العدل تعصبا لنفس المعاصرين ولانه أجريت القوانين دفعة
واحدة في جميع الانحاء حتى في القبائل التي لم يوجد فيها من يعرف القراءة
والكتابة التي هي ضرورية في التوظف وصاروا يخبطون خبط عشواء وكذلك ما
للاهالي من التطويل الزائد في الاحكام على ما هو عادة الاشباه في مبدئها فهو في الحقيقة
راجع لاصلاح نفس القوانين لا كره ذاتها بدليل ان مجلس الاكبر لم يتعرض له
أحد من العامة والخاصة بالقدح فيه لانعدام اشتماله على افراد من جهة المملكة
حذاق لكي يعرفوا بما يليق بأحوال عرف القطر والحال ان مجلس الاكبر هو
روح القوانين لما عنته على أساسها الكل الذي لم يكن له قصد سوى الامن على نفسه

وقد وجد الوالي لا يجتني منه أشاع هو ومن كان على شاكلته ان الناس يملون
ابطال القانون وقد ذاع عقدت تلك الاشاعة وابطل القانون والدليل على ان الناس
لم يطلبوا ذلك المكاتيب التي أرسلها قنصل الانكليز تحجيلا على ابطال المجالس
وهو ومنها قاض بموافقته قنصل فرانسا على ذلك وان كان سر الامر والاعراض قنصل
فرانسا بابطالها ما ذكر في سياسة مرسابتون ونص تعريب مكتوب قنصل الانكليز
الاول في غرة ابريل سنة (١٨٦٤ م ١٢٨٠ هـ) المعروض على جنابكم الرفيع اني أرى
من الواجب علي ان نذكر جنابكم في هذا الوقت لدى أحواله المستجدة بكم الرفيع
توقيف ترتيب الخنن المؤسسة على تجربة في بلادكم وان هاته الترتيب وقعت
الوصاية في شأنها وكان ترتيبها ملاحظة لدولتين الحبيبتين الانكليزية والفرنساوية
وجنابكم وعدهما اذ ذاك رسميا بابقائها وابقائها على جميع قوتها وعدم تغييرها وكل
لدولة الامبراطورية الفرانساوية ورد له الاذن من دولته كما ورد لي الاذن من دولتي لانهما
على اتفاق واحد في النازلة وفي الحث على طلب ترتيب المجالس اعتناء بسرعة الفصل
نوازل الجنايات والنوازل المتجرية الاما يلزم من الوقت لعمل القانون المتجري ولما كان
الاذن المذكور الصادر لنا من دولتنا لدى تشرفت بعرضه على جنابكم بمكتوبي
المؤرخ في (١٧) اشتنبر سنة (١٨٥٧) وهو نص المكتوب الذي خاطبتم به موسيو
روش نصه ولم تزل المكاتيب موجودة يجب ان تكون مع نواب الدولتين في هذه
المملكة على مقتضاها ولهذا يجب ان نطلب من جنابكم شدة حرص امرائكم على بقاء
المجالس وهو المبادرة الى المجالس اعتناء أو عود بها منذ زمان طويل ومقتضى
ما تقدم من الاذن طلبت مشاركة قنصل جنرال دولة فرانسا في هذا الخطاب كما يطلع
جنابكم على نص مكتوبي اليه وهو موسيو دي بوفال هذا وزيادة على الوعد
رسمي الذي اعطاه جنابكم لي ملكة انكلاتيره ووزرائها بحفظكم الترتيب المبنية
على الجنان والتمدن التي أعطاها جنابكم لبلاده لا يخفى عليكم ان دولة انكلاتيره عقدت
مع دولتكم شروطا تقتضي دوام الترتيب المذكورة لانها هي المحافظة لحقوق رعايا
انكلاتيره في هذه المملكة ومع وجود ذلك فتبديل ترتيب الحكومة الآن والرجوع
الى الكيفية القديمة بدون سبق اعلام لدولتي الانكليزية والفرنساوية مقصود
جنابكم يظهر منه في السياسة انه فعل يدل على نقصان الاعتبار ولا شك في عدم وقوع
ذلك من جنابكم مع دولتين حبيبتين وانما يظهر منه انه غير صواب مع الدولة
الانكليزية

الانكليزية التي في شروطها الاخيرة صدقت امان الحكومة التونسية وصحة الدولتين
الى جنابكم توجه على عدم الزيادة في الميثاق او جودة في حكومتكم عطائب تشق
في هذا الوقت ولكن وجبات خدمتي لزمتني ان اطلب منكم رعي مادوام الاصول
المؤسسة عليها الادارة الحكومية وخصوصا اني اترك لجنابكم انتخاب الكيفية التي تظهر
لجنابكم انها الاوفق ومناسبة لاجراء تلك الاصول والخصوص المتقدمة في التمدن ربما
لزمهم في ازمان متعددة بدون ان يتعرضوا للاصول المؤسسة عليها قوانينها تبديل كيفية
العمل بها وهذا الباب مفتوح لتونس اقتداء بالدول الاوروباوية الذين لا شك في
فطنتهم وحكمتهم وهذا الامر فوري الاهمية حيث ان تشكي الواقع من زيادة الاداء
ومن تطويل المجالس في الحكم يمكن دواؤها بما تعتني به البلاد وترجع الى حالها
الاصلي وهذا اعظم دليل على حسن اخلاق الرعية المستحسنين هذه التراتيب لانه لم يوجد
في تواريخ تونس مثل سيرة الاهالي في هذا الزمن لما لهم من الشكايات وهم مقتطعون
على عوائدهم السابقة في سالف الزمن لكن لم يتعرضوا بالاحتجاج الا لاحقا من اداء
ثقيل ووقف عوائدهم اهـ ثم كاتب الوالي ايضا عامل تعريبه في مايه سنة ١٨٦٤ ،
الواضع اسمه اسفله بتشريف بتحريرها في جوابي لما عثرت ان التحول الغير المترقب
الذي عرض لحكومة تونس رأيت من مقتضى الود ان لا اعطل تحرير علمها
لا يقتضيه الحال ومع ذلك حيث لم ياتني اعلام رسمي منكم بشرح كيفية مقدار التوقف
الوقتي الذي وقع في دوام العمل بذلك الامر فقد وجب على الواضع اسمه ان اطلب
التعريف في ذلك كما انه يجب عليه الخاصة بمقتضى هذا المكتوب على ما حصل
لدولة بريطانيا العظمى من الحقوق التي لا نزاع فيها في شروط ومواضع على جناب
الباي عاهدة متفقة بينهما بمقتضى التوقف الوقتي المذكور لو وضع اسمه يقرر
للجناب ان تلك الحقوق معتمدها لاعتماد العهود ويلزم شرح لاسباب المبني عليها
تقريره وهو ان المرحوم سيدي محمد باي والجناب العلي ادام الله عزه لما اصدرا عهد
الامان فيهما ووزراؤهما والمنوب و لفيف وجميع علماء الشريعة حلفوا عليها
واكدوا بينهم باستدعاء حضرة وكلاء الدول لاجانب بانهم يحافظون على لوازم عهد
الامان بجميع شروطه وبانوا ان عهد الامان جزء من شروط الشريعة الشريفة
والعلماء الكرام المذكورون ورجال الدولة اشهدوا الله على صدق نيتهم في ابقائها
على الدوام والاستمرار من يوم صدورها فصاعدا وان دولة بريطانيا العظمى اعتقدت

على الوفاء والاعتقاد الذى لا يمكن منه فسخ لعهد الامان بمقتضى هذه الايمان وعقدت
ؤمع على جناب الباى اباه اقامتها باموره منصوصة فيه فينتج من ذلك ان الحقوق المعطاة
لرعية الانكليز ولوازمها النامية لتلك الحقوق بمقتضى الاتفاق المذكور معتمدها هو عهد
الامان والقوانين الناشئة منه وبذلك صار حقا من حقوق الدولة الانكليزية ان تقتضى ان
تعلم بسبب ذلك على حقيقة الحال فى شأن عهد الامان هل هو عامل بجميع شروطه
أم لا وكذلك توقف القوانين الناشئة منه هل هى مما يحذروبة ثم هل الحكومة
التونسية مرادها ان تجرى فى المستقبل الاصول المقرر به على صورة مناسبة لحفظ
مكاسب الانكليز فى المملكة التونسية وتأمينها والواضع اسمه طالب بحرص واجتهاد
لا ينافى الادب والتواضع جوابا شافيا باشارة للاستفهامات المذكورة ليخبر بها دولة
المملكة المعظمة وكذلك ان الواضع اسمه يبقى و يحفظ على لسان دولته فى حقها على جميع
الحقوق ولوازمها والكفالات التى أعطيت لرعايا الانكليز بمقتضى ما هى مبينة
بالاتفاق المذكور ويقرر أيضا ان ذلك الاتفاق اتفاق عمومى لا يحتاج فيه من الجانبين
أنه واعاد الكتابة فى نوابه الوارد لاواخر صفر سنة (١٢٨١) ونص تعريب المكتوب
الواضع اسمه أسفله نائب وقنصل جنرال حضرة المعظمة ملكة بريطانيا العظمى قد
تشرف بمخاطبة الجناب العلى بمكتوب مؤرخ فى مايه سنة (١٨٦٤) طالبا منه
الشرح فى شأن التوقيف الوقتى الذى وقع فى رسوم العمالة بسبب أمر تدبيره وقع وقد أبقى
وحافظ على لسان دولته فى حقها عن الحقوق التى يستعمل النزاع فيها الحاصلة لدولة
المعظمة المالكة بموجب اتفاقها المعقود مع على جناب الباى بمقتضى عهد الامان
والقوانين الناشئة منه وتوقيفها بعض الحقوق المذكورة وان الواضع اسمه لا يمكن ان لا
يحصل له فى النازلة شىء من الفكر لانه يرى انه مضى شهران ونصف ولم يتشرف من
الحضرة برد الجواب عن مكتوبه وان اعانة الحكومة التونسية لم تقع معارضة غير
ضرورية فى سبيل اطلاق عملها وانما الواضع اسمه أتاه الاذن بعد ذلك فى تقويمه عهد
الامان سنده مع أن دولة المعظمة المالكة لها اعتقاد بان عهد الامان لما كان مبنيا على
شروط الشريعة الشريفة لا يمكن نقضه الا بنقض نص الشريعة ولم تتخيل ولا يخطر
ببالها بوجه من الوجوه ان السادة الاجلاء المفتيين والمدرسين للشريعة الذين حلفوا
يمينا على ابقاء عهد الامان ان يرضوا بان يشيع فى العالم ما لا يناسبهم من وقوع اخلاف
فى وفائهم بما عاهدوا عليه ومع ذلك دولة المعظمة المالكة ترى فى الامور المتعلقة باتفاق

عمومى

عمومي يتمادى بين الحكومة التونسية أعظم اعتمادها دون الاعتقاد العمومي وهو صدق
الباي ومحبته في اجراء العمل كما يجب بمقتضى الاتفاق المذكور واذ ذاك الوضع اسمه
برهوان على جنب الباي يتصل بالجواب عن الاسئلة المبينة في مكتوبه المؤرخ في مايه
وذلك لاعلام دولته بجواب مقنع فأجابه الوالي في ذلك التاريخ بان عهد الامان باق
على قوته ومفهومه ولو كانت الاهالي طلبوا ابطال القانون لما استطاع القنسل
ان يعمل ضد الرأي العام فعبارته صريحة على انه قد صرح بما هو
مطلوبهم كما هو بيان تدبر عبارة مكتوبه وكذلك ما نسب الى قنسل الفرانسيس ولو
كان امتناع الاهالي من القوانين ووجود القنسل للوالي أعظم حجة في الحال بدليل انه
يحتج به في خلواته على من لا يقدر على معارضته ومن وقتئذ تسلطت أيدي العدوان
على الاهالي بسلب الاموال والقتل والضرب بالسياط المؤدي الى القتل لان الوزير
اشتد حنقه عليهم حتى دخل عليه أحد الاعيان يوما وهو يقول طلبوا دمي فلا أرضى
الا بدمائهم طلبوا مالي ولا أرضى الا بأموالهم واذا اراد طلب دمه هو طلب عزله وقد
اعتادوا في بعض الوزراء السابقين قتلهم بعد العزل فطلب العزل يؤدي للقتل والافتراس قد لا
لم يطلبه أحد أما المال فهم قد طلبوا احسانه وأول ما كوتب بعد ابطال القوانين التجأ بها
لاهل الحاضرة مع انهم هم وحدهم الذين بقوا خاضعين للحكومة الا انه كثر بينهم
الكلام في انصاف مطالب الاهالي فاخذ احد اعيانهم المسمى محمد بن مصطفى عجم الشهير
فيهم بالوجاهة بمجرد تهمته انه اغرى بعض غلمان القصر الاميري بالهروب وجلد خمسمائة
سوط مؤلمة بحضور احد خواص الوالي لاتقانه واستكمال العدد وسجن مع الاعمال
الشاقة في الكراكة وثم محمود بن سالم احد الاعيان من التجار واحد أعضاء مجلسهم
ادعى الوزير انه يشتكي به لاسيما من جماعة المجلس وسجنه ومن أغرب الامور انه لما اخذ
أهل السجون بالوزير طالبين تسريحهم او بيان ما هو مطلوب فيه ارسل الى جماعته يسألهم
ماهي شكواكم التي معناها رحل في جانب ان جنابه أعلم بها منهم لانه اعتقدها حتى
عاقب الرجل بالسجن كما حصل ان حال الحكومة اشبه شيء انه حجر على الوزير اسماعيل
السني الذي اعتمد في حل عقدة الثورة وعلى أمير الامراء رشيد الذي سافر بالعساكر الى
الاستانة في حرب القريم وأمير اللوا الشريف السيد حسن المقرون الذي له اليد
البيضاء في حفظ ارجاء الثورة في الحاضرة وحسين ورديان باش اوخصرف وعلى حسوان
ويوسف الجزيري أمير اللوا وحسن المدلي أمير الالاي والسيد محمد المقرون ومحمد بن الحاج

رئيس عساكر زواوة الذى جعلوه له عند عدم وجود غيرهم فى الثورة واعانه عبد الستار
فجبر على جميع هؤلاء فى الخروج من بيوتهم ومخالطة الناس لانه كان يوجس منهم
الاعتراض على التصرفات ثم قتل الاولين فى بضعة دقائق من غير سماع منهم لدعوى ولا
حجة ولا استشارة وارتعدت البلاد لذلك وشنعت الفعلة سيما الفرانساوى والانكليزى
ونصلوا تنصلا شديدا فكاتب الاول اى الفرنساوى الى الوالى بما نص تعريبه انى اقوم
بخدمتى التى ما فى اتمامها وهى اعلام دولة الامبراطور بالحادث الموجع الذى لوث
قصر باردو بالدم فان الفريق رشيد وزير الحرب كان رئيس العساكر التونسية فى حرب
القريم والفريق اسماعيل السنى صهر جنابكم وقع قتلهما فى القصر بمجرد تهمة لا
يقع اعلامهما من صدرت ومن غير ان ذوى وجه من اوجه الحكم فيتعسر لى السكوت فى
مثل هذا الامر وكان همى ان اقرر لجنابكم التأثير الذى لا بد ان يسمعون ذلك وفى سيرى
هذه سمعت اذن جناب دولتى التى استحسنت فعل المذكور استحسانا تاما وان كنت
ماذونا باعلام دولة جنابكم واعلام حضرتكم العلية فيما بالتأثير الذى وقع بجناب
دولة الامبراطور من قتل الشخصين المذكورين وما تتوقف دولة جنابكم فى عمالها الثلاث
المسؤلية العظيمة كما لى ما دون ان اسال اقرار جنابكم لتشويش الواقع من مشاق هذه
الاحوال التى لم تزل تعظم من سائر جهاتها (انتهى) وكتب الثانى اى الانكليزى
للوالى ما نص تعريبه ان المحوط لمشاهدة التى تماح الوضع منه اسدل هذا
المكتوب فى عرضه على جنابكم فيما يتعلق بالامور الوحشية التى وقعت بقصر باردو فى
شهر تاريخه لابدانها الحادث حصلت لجنابكم بانها صادرة من التأثير القوى الذى عندى فى شان
همة جنابكم ومصالحكم وفى شان التأثير الموجع الذى سيسمع بكثير من ذلك ودولتى
لا توافقنى اذا ادعيت التداخل فى تصرفات الدولة الداخلية التى تظهر لجنابكم استعمالها
لحفظ الراحة العامة من مقاصد بعض الاشرار وبعد الشرح والتفصيل الذى تحصل منه
جنابكم على لا يبقى لى شك فى وجود جميع كلا ذمة اطوار لجنابكم توقع مقاصد موجهة ضد
ذاتكم العلية لا تلافها فى قصركم هذه ولا شك بان دى كونكم كبير الدولة ان يكون لكم
الحق فى استعمال سائر الطرق اللازمة لحل تلك العقدة التى مؤداها اتلاف ذاتكم العلية
وخراب المملكة ولكن بسبب كون جنابكم هو شخص الدولة المرتفعة شرعا فصلحتكم
تقتضى ضرورة انكم لا تهملوا الاتباع للشرائع وعلى مقتضاها وانها احسن حماية لكم
ولا يبعدنها الا التعدى عليها بفسادها وبعد ان راعيت نفس جنابكم وتأملتم فى الاحوال

لاشك

لاشك انكم تحققتم ان الخطر الحال الذى كان فيه جنابكم لم يكن حجة كافية فى قتل
فريقين من دولتكم لان فى تباعدكم عن طريق تمييزكم المعتاد بعداً عن القواعد السالفة
المرتسمة فى القوانين التى تنعمت بها بلادكم وعلى وان توقعت بالضروب الموجعة الخارقة
للعادة فانها لم تزل موجودة مع ان دولتكم مطلوبة بالشروط المنعقدة بينها وبين
بريطانيا العظمى وجنابكم معترف بهذه الحقوق عينه لاعتراف لانكم لم تتوقفوا فى
اقراركم الرسمى بانكم تحترمون القواعد المذكورة وذلك فى مكتوبكم لمستر وود المؤرخ
فى (١٨) اغسطس واستفسار عن مدة توقيف القوانين وقد حصل لى سرور لما حقق
لى جنابكم بانه لا يقع فى المستقبل مثل هذه الامور الموجعة التى وقعت وابعد القول
جنابكم الى التداخل فى البحث عن جرم اجنبيه التى يمكن ان الشخصين المذكورين
ارتكباها لان السبب ... انكم اتى كثير من ادلتكم كاف لى بان جنابكم كان متحققا بانهما
قتلا على حق ومع هذا التحقق كان ... كيفية الحكم تكون على الصورة التى تقتضيها
القوانين دفعا لما عسى ان يتهمكم به عدوكم فان جنايتهما تثبت ولا ... شك فى
مساعدة ان القوانين هى اقوى العمامات التى تستند اليها الملوك كافراد الناس وقد
رأينا فى كل وقت ان كل من ... يستعمل القوة المادية فى تصرفه يكون سببا
لاعدائه فى ان يعملوا ... آثار ... من فضلكم الساعة فى هذه
المعروضات فانه لم تفسد الامور والاحوال التى ... ولا يتيسر لاحد
اصلاحها ... الطلب من فضل جنابكم ان تتذكروا ان بلادكم تبعد كثيرا
عن اوروبا وانها اذا لم تتقدم مع تقدم العصر فان قواعد التمدن المتداخلة فى كل مكان
تعمها ولا يتيسر التصرف الآن كما كان فى زمن الجدود لان كل عصر له احكامه واحكام
هذا العصر لا تقتضى ان الحكم الذى يقع على الامرى الذين لم يزالوا فى العسكر ان الامير
يتصرف فيهم بما عنده من القدرة ويرى ان الحق له فى الامر بما به فى نازلة شخصية بل
يلزم توفية حق المتهمين لدى مجلس وان يسمع مقالهم ويحاضرون على انفسهم ويبرؤون
انفسهم من التهمة الموجهة عليهم فاذا ثبتت جنايتهم فالقانون يحكم وبهذه الكيفية
تستعطفون على همتكم ولا تأخذون من القانون الا ربيع العلى فى حق الملك وهو العفو
عن المحكوم عليه (انتهى) ثم جمع الوالى جميع رجال الحكومة واخبرهم وانا فى ذلك
اليوم الوزير خير الدين البلاد الحسن بقوله الفراشين التى ذكرت لا تتبرأوا فضلا عن القتل
ثم على فرض صحة التهمة فبعد ابقائهما كان الواجب اقامة الدعوى عليهما وسماع

حوانيتهما علاوة الى غير ذلك من الاعمال الوحشية ونية محققة في قتل الشهيدين هي
التهمة باهانة أخ الولي محمد العربي الباي على الحروب مع انه لم يذكر في معرض لاحسان
معه الارشيدا ولم يعرج على [illegible] ولم يسمع الدعوى ولا قامت
عليه حجة وادمج في اثر ذلك نفي جميع من تقدم ذكره وكان في اثناء ذلك الوزير [illegible]
خارج المملكة لما توقع من عاقبتها بعد تسليمه في جميع وظائفه [illegible] الحق عنه
ولحق به الوزير رستم ولم يبق من يعترض على التصرفات من رجال الحكومة واما اهالي
بقية القطر فقد احدث فيهم ما ذكرنا خبره وسبق ذكره من تسليط الحزب [illegible] على الحزب
الباشي الى ان خضدت شوكته والصق بالارض ثم كر على هذا الحزب ايضا ولحق بصاحبه
فعاثت ايدي الاول بأهل الساحل وقتلوا النساء والصبيان مع عسكر الوزير احمد
زروق الموصى بالنكال واحدث فيهم ما تقشعر منه الجلود من قتل اربعة من
رؤس الساحل حكما هناك واما الى اهل [illegible] الشرعي [illegible] رئيس العسكر احمد
زروق فالبسهم [illegible] واحكم الاغلال والقيود في اعناقهم وارجلهم وامر بازالة عمامة
رئيس المفتين [illegible] وعامل وفد صفاقس بما يقرب من ذلك [illegible] القاضي
وحكم ايدي النهب في الجميع وقد رايت خط الوزير الكاتب لامير اللواء في معرض
ما حصل من احمد زروق ما نصه وبالجملة فجميع ما ينسب في هذه الوجهة لاحمد زروق
[illegible] لانه مقيد التصرف بما يرد اليه في الامر في كل نازلة [illegible] صدق
نسبة ما ذكرناه الى صاحب التصرف وان كان احمد زروق قد تنوع فيما صنع حتى رآه بعض
رجال الحكومة [illegible] الى جامع الزيتونة وهو لابس [illegible] وقد جرى العمل باحترام
الجوامع بعدم دخولها بالنعال فقال له في ذلك [illegible] من الناس [illegible] قوله لولا انى
[illegible] في هذا الجامع خيل أهل الساحل مع ان أهل الساحل معلوم اسلامهم وعلى
فرض [illegible] لا يسوغ له ذلك [illegible] اهانته وهذا لم يحل احمد
زروق لم يزل مقربا عند الوزير [illegible] الى ان انفصل عن التصرف ومن تصرفاته في تلك
الوجهة [illegible] الشيخ محمد [illegible] رئيس الفتوى بالاعراض وغرم أهالي تلك الجهات
اموالا كثيرة افنت الطارف والتالد وبقوا في قيد ديونها المثقلة للاجانب الى هذا الوقت
بحيث يصح أن يقال ان جميع ما يمكن ان يباع قد بيع وما لا يباع كالاوقاف وجميع ما
يحصل من كسب ابدان أهل الساحل كله دفع للاجانب بسبب ديونهم ولو افردت نازلة
الساحل وحدها بتأليف لجاء مستكملا زيادة على القتل والسجن مع الاعمال الشاقة

وضرب

وضرب أسماء الوجوه أو القتل حتى ان الوزير خزنه دار المذكور لما رأى خروج
الضرب عن حده في البلد الشريف على يد عمر من أهل مساكن ممن نفي منها الى عمل
حكم الوالي أطلق سراحه وأرسل الى الاعوان وقال لهم ان سيدنا أمر بضرب هؤلاء
لا بقتلهم فان قتل آلات تحضره ولا أعلم الامر الى ان ذلك هو دأبه كما تقدم من
عدم مكافحة لاحد بالوجه وسند جميع الاعمال للولاة وأما جهات القطر الاخر
التي سافر اليها العسكر تحت أمر الوزير المذكور فيها من المضرات ما وقع فالاولى انه
اقتصر على مجرد قيد الطاعة وجمع الاموال لم يكن لاحد الى سبيل سائر القبائل ولي
أذن عن انحطاط سمعة الاوامر في ترددها في سلك الحكم لعصم ومن ذلك
المدرج حتى تغير الوزير خزنه دار عادة لما ذكرنا من تصرفات العمال على
غير الوجه المعقول وكذلك العسكر لدى سامورحت مرة ولي عهد الولاية أمير الاعمال
أبي محمد على باي لعدله على عزمه ذكر سنة فيها في الصوص كثير من
رؤساء تلك الجهات والعسكر عليه ثبت السيرة بعد الحراب حتى أرسل معه ابراهيم
ابن عباس الرياحي قائد وبيد أمر أمير الاعمال باتباع ذلك ونبذ ذا رواكي لاحد
لامر سبيلا للاستدراج الناس مع ما هم فيه من العسر وضيق بسبب ذلك من
جدب ودفع المال في عامهم هذا من العسرة عن ثبت السيرة وكان ذلك سببا للوثوب
لاخيه واتهم مستشاره بتقريب محمد الطاهر الزوش بادية الاهالي ونسب اليه بعض
ما تقدم من ابراهيم بن عباس المذكور في اقرب بجمعه كانت امرائهم الوزير
أحمد بن أبي الضياف المذكور في وصف استشاره رأيه ما صار عندي الحيلة
في الوساطة بينه وبين الناس ووجدت بذلك سيرته الى ذلك هو الامر في عهد المكان
في اشتماله على أعمال استشاره ونوصل الوزير خزنه دار على ما تقدم الى اقتصار الامير
المذكور بالعسكر على عادة اسلافهم وسقوطهم عن ذلك سفر أحمد زروق المذكور
ثم ان ماردته كل من الامير وسيدي والوزير سنتم وقد ضرفت أيدي العمال والبعوث التي
وجهها الوزير خزنه دار والي بادين من قبائل الجهات الغربية والشمالية يأتون نحو
المستشين وأعلامهم ذكر في خدمة الطاعة وان فرد لاهالي وارجاعهم للسكون بلاد
الجنس ولا ذنب لهم الا كسبهم وأوجهوا في صحن القرح من قصر الحكومة بيد ووجوه
بيد الوالي وخاصتهم بهولاء عفا الوزير لامر قتلهم وابنه شعلانه في قتل أعوان
المرتبين ثم حكم عليهم باعلامه بالعصا ورأيت بخط الوزير الكاتب المذكور في قصة هؤلاء

الزهد لدين محمد الشيخ ادريس المنسوب الى اصلاح الحاج محمد الصالح صاحب زاوية تماله
فاقضه ضربة بعث مجرده لعدم ... الى ما كرم الله من ابدان بني آدم ... وحده على وجهه
ووضعه على الارض موثوق اليدين والرجلين وقام يضرب في ارشادك ... اكبر
يوم من اولاد الفراعنة ووقع في خلال ايام الضرب قدم اليه الحكة لانه كاذب فيما ولم
يقع الضرب يوم قدم هو حسبه ووقع الشماعة منه عند مشاهدته جثث الجماعة لقطيعة
الشماعة ولما تم الضرب باعداده وارتابه ... وابتلاؤه واعلاؤه ومات منهم بسبب
الضرب الذي لا تحمله القوى الحيوانية علي بن عباس شيخ تالة وخرجت روحه قبل كمال
عدد الضرب ... لعدد الضرب ... ومات بعد الضرب الحاج مبارك شيخ
الطريقة ... المار ذكره ولم يسمع منه حالة الضرب الا قوله يا ربي يا ربي الى ان اغمي عليه
والحاج صالح ... من بيوت ... وغيرهم وعدد من مات بالضرب في اول من
عشرة ايام ستة عشر رجلا ... كلامه مختصر ... خلائق من الاعمال الشاقة
... على ... لا مان ... قطب ... سيدي أحمد
التجاني رضي الله عنه و ... في حبس مظلم ... الى ان مات وكذلك كثير من ... ولا
يمكن احصاؤهم ... في الآفاق ... حتى ...
... الثورة وقعت ... الطاعة ...
... وكان ذلك ... حسب ... وذكر
اسباب ثورتهم من ... وعدم ... الطريقة ... واتى
على ... ثم قال ... الثورة ... ولا شدة ولا ...
... وكان ... الاسلامية ... الذي ... الى ...
... ومع هذا التعذيب في الابدان ... على اموال ... على
آخرها ولم يبق ... ومن كان له ادنى شيء
من القوت كان يخفيه ... لا ... ولا حد ذكر لي
احد ... في البراري لجلب ...
... على ظهر ... اعوان العامل ... في ...
... من ... ذكر لي أحد الثقات من ... يوما
... العامل المذكور ... على ...
على خلاص ... يعمل غاية جهده بحيث ... ما يجده ... وجد

عنده

عند نفقاتها ومن وجد عنده نزراً ما ومن ومن الى ان قال وفى اقرب وقت تخلص
مال الدولة ونرجع حقوق عائدة براهيم وبخروجها يدخل الدولة لا يتجزأ عما القصد
مال وزيره فلما تحقق بطلان هذه مقدمة ذهب ذلك العزم هذا كان بعد تأكيد
الامن لدى جميع رعيته فالكاتب والكلام من بادية اهم هو شيء على الحق ووجد
ذكر لوزيره حسين فحل الخروج من العسكر تولى بادية عند قدوم اهل الساحل تدين
تخفى ساية وجبهة بكره مع وجوب لوفاة الهدية وشرعه وما كفى اسس ماهم
عليه من الفقر المدقع او بعضه حتى لم تعهد ذهبهم الجوع والحمد القسيين عن
حبس الغلال كثرة عمومن فناء الاموال التى تعمر بها الارض فى الفلاحة وشتت
فى العسكر حتى اهل الحاضرة لا يباع مكاسبهم المكاسب فيه اهل القطار فاقبلت افواج
الاعوام ترهم من كل حدب ينسلون وجوههم الى الحاضرة والمدن وما وصل اليها الا
القليل امشومرض تحمى الجينة فيهم ومن مرضهم نوبا فى حلاتى لاتحصى
وبعث اكثرهم فى الفلاة وحش نعمد ان امات منهم اكوام اسدا وفرادى
ساعد الاحد وصل الى الحاضرة مات منهم ما اكثرهم فى الطرقات ثم تمرادرادى
اهل الحاضرة عانه وتلك الماكن وقفت امهم جميع برنسها القدس سيدى حسين
شريف عسلامة واذن لولى فى مقصدها وجعلوا يحملون المال من الاهالى كل على
حسب استطاعته على حالة ضعفهم الى الشدة اتى ولذا كان الحق كثيرا منهم
بالثلث لوادين المساكين وشرب حصته عن ساعد الحد وحصت بعض الامر بالقوت
والمسكن وان كان المرض فتك بهم وصاروا الى حالة صعبة لا توصف وقت فيهم الموت
الى ان صاروا يرمون جثثهم فيادون فى نعش واحد وجوههم بسبه وقد كتبت اصدق
وهو عالم بوصف الحالة فى هذه المدة ماعابنى ان ارسل اليه ... من صرف ثمن لله
المذكوره فى القطر المولى واصور ذلك بصورة واقعة تاريخية جعلها نصل وتبارأها
بعض ملوك السابقين فى القرون الاربعة وصار ارى بعض ملوك السابقين فى القرون المتوسطة
من تاريخ المسيح عليه السلام رؤيا وله امرد ابحث عن معبر يعبرها له وهو يعتقدهم
المعلمين ان اصحاب التنجيم هم الذين يزعمون معرفة علم الحدثان فحضر المعبرين
بين يديه وقال له انك لى رأيت البارحة فى المنام لنى امره ولا يوجد به عندى من مقام
فرعون فى مصر فى ايام يوسف الصديق عليه السلام وذلك انى رأيت ثلاثة جرذان مجتمعة
فانتهت اولا فلم استكشاف حالها ثم عنت ثانية فرأيت جرذة من تلك الجرذان على عتبة

من الضعف والهزال بحيث [illegible] لو [illegible] ولا تستطيع الثبات على رجليها ورأيت
الجرذ [illegible] الدهن [illegible] في [illegible] ثم نهضت الجرذان [illegible]
ورأيت [illegible] كل [illegible] ورأيت الجرذان
[illegible] تحت الحالة [illegible] وهم يتقاودون
فاقتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون [illegible] رؤياي [illegible]
ان [illegible] وانكما [illegible] ما الجردة [illegible] والتي
[illegible] وانت ايها الملك [illegible] فيه صلاح [illegible]
وتقودانت [illegible] الى ما [illegible] كانوا لا [illegible] وكتبت الى صديق في [illegible]
ما [illegible] حال رؤيا [illegible] لا [illegible] ● في هاته
الحضرة ● [illegible] من النفوس الشريرة ● فوحق يوسف عليه السلام اني
[illegible] الملك رؤيا ● على [illegible] البلاد ● ولو رأيت [illegible] الامرار ● [illegible]
[illegible] ولو لبثت [illegible] ● من [illegible] ● وثعالب تغتال ● مجتهدة في [illegible]
الرحال ● [illegible] الرجال ● [illegible] لابتلاع الاموال ● [illegible] حال
[illegible] من رام [illegible] ● [illegible] شعاب الجبال ● [illegible] الجبال
وهوت الاباتة الى الزوال ● وتمكن من [illegible] ● وتقاربت [illegible] حال وانقطعت
الآمال ● [illegible] ● [illegible] ● واستراح من [illegible]
[illegible] ● [illegible] على ذلك [illegible] ● [illegible]
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ● [illegible] ● [illegible] والله
العظيم ● ونبيه الكريم ● [illegible] الى [illegible] ● فانتسى [illegible]
[illegible] ● مع ما انا عليه من الوحدة [illegible] شفيق ● او قريب [illegible] عند الضيق
ولم [illegible] ● [illegible] ● [illegible] ● وصفات
الرحمن ● اني عرضت [illegible] املاكي ● [illegible] ● [illegible] بالاثمان
ولم احد [illegible] ● ولو [illegible] ● فالناس [illegible] في
[illegible] ● [illegible] في [illegible] ● [illegible] ●
ويقولون هل من مزيد ● وترى [illegible] ● [illegible]
شديد ● الى غير ذلك من [illegible] ● وجرت [illegible] ● [illegible] الطريق
● وصباح على الابواب [illegible] ● [illegible] ● حتى [illegible] السابق
بالسق

بالسرقة فلا تسأل عن القلوب وما دهاها من الخطوب وقد فوضنا الامر الى علام الغيوب
اهـ ومع تلك الحالة في الاهالي عاينا ما رجموه به الوالي من تحرية خمس عشرة ألف ريال
وله العذر لانه كثير ما يرى أتباعه بل قبل عائلته حاوية الى بعد نصف الليل حتى يرسل
وزيره أحد أعوانه الى جيد بن عياد [illegible] عمل الحرفة يستقرض ما يمكن ان تتعشى
به عائلة الوالي والوزير عاينا بمقدار ما يكرمه على اولئك العساكر سبعة آلاف ريال وان كان
سيدي حسين الشريف الح عليه في اعانة لصاحب مرارا فيعطيه من خزنة الحكومة كما
انه في هاته الشدة [illegible] البلاء على كثير من الاهالي والاجانب مرارا علنا وقاموا بكثيرين
قوتا وكسوة ومكنا ودوا [illegible] لله [illegible] وفي أثناء المدة هرب [illegible]
نحو الوالي الى جبل باجة حيث كان أهله اذذاك ثائرين بعدان [illegible] مثل ذلك في البيت
الحسيني منذ نحو مائة سنة وسبب ثورته لضيق الحال الذي حصل له من تعطيل مرتبه ومثله
[illegible] ثم آل [illegible] وذلك [illegible] ولا عادة [illegible] ولي العهد بالعسكر وارجع [illegible] العامة ثم
[illegible] ترك [illegible] هذه وبينما كان الفقر على هذا الحال والاموال المتخلصة لم تكف
ومهمات الحكومة تستقرض من أروبا قرضا بعد قرض فأول استقراض كان خمسة
وثلاثين مليونا [illegible] ثم لان الدين السابق الذي قدره تسعة عشر مليونا ولم يزل باقيه لم
يتخلص الى ان تشكل الكومسيون [illegible] وهكذا كل قرض يدعى فيه مثل
ذلك ويبقى الاصل على ما كان واشترى من تلك الديون [illegible] باضعاف قيمتها بلغت
أكثر من [illegible] زيدت فيه طبقة
وصار شكلا [illegible] لارباب ذلك الفن وقد شاع عند [illegible] والعامة ان [illegible] من شراء
تلك السندات [illegible] الاربح من الوزير مع أصحابه ثم [illegible] من القرض وقد
[illegible] تلك الاصول [illegible] باصلاحه وذلك عند عجز الحكومة
عن [illegible] وذهبت [illegible]
[illegible] ان أصل شرائه الاحاجة اليه سوى تحصيل
ربح [illegible] الربح من الاستقراض لدفع الثمن وشاهده ما وقع في شراء مائة مدفع
[illegible] الذي باع تلك
المدافع [illegible] ألف [illegible] ثم من [illegible] وأجابه
[illegible] أردان يربح خمسين ألف في هذا البيع وأما لا نقدر على منعه
[illegible] صالح حكومة تونس فرجعت [illegible] ذلك هكذا [illegible]

قد صادف [illegible] تلك الدفاتر [illegible] والمدون [illegible] ألف
فرنك لأنه [illegible] على الأرض [illegible] مثل [illegible]
الاستقراض [illegible] أحد [illegible]
[illegible] الذي [illegible] في حكومة
تونس [illegible] قدره ثلاثة آلاف [illegible] أي ستة آلاف ريال في السنة
قد رجع [illegible] بعد ثلاث سنين [illegible]
البلاد وهي [illegible] ان تجارة الرجل التي يعرض
فيها [illegible] تصدق على [illegible]
[illegible] كل ذلك من [illegible] للوزير المذكور [illegible] ذلك [illegible]
المذكور مع زيادة [illegible] من الحكومة لأنه يسوق أصحاب المرتبات
[illegible] حتى [illegible]
كامل ثروته ثم لأمر [illegible] الى [illegible]
[illegible] الثورة العامة على [illegible]
[illegible] في [illegible]
وأرادت الحكومة [illegible] الآتي ذكره [illegible]
المذكور [illegible]
فإذا بالوزير خزنه دار [illegible] أعيان تونس [illegible]
[illegible]
للوزير خزنه دار [illegible] المذكور [illegible]
[illegible]
[illegible] الى القنصلات [illegible] الحكومة
[illegible] الى [illegible]
المذكورين [illegible] الوزير خزنه دار [illegible]
من [illegible] وكتب [illegible] بوزارة القنصلات [illegible]
[illegible] الحكومة [illegible] الوزير [illegible]
الخصومة نحو [illegible] سنين ولا زالت الى الآن [illegible] الديون في أوروبا [illegible]
ان الله [illegible] كل مرة لأجل خلاصه [illegible] الأقراض حتى جعلت

ورئيس الوزراء يرددون كل ما يلقنه [illegible] حتى ان رياض باشا المستشار
المالي ووزير [illegible] [illegible] ومستندات على المالية
باسم [illegible] [illegible] المالية [illegible] وترتب على الحكومة بذلك
أربعون [illegible] أصحاب الأموال [illegible] فلذلك عدل
الوزير الى [illegible] على أحمد [illegible] فتأتي بيده
يتصرف فيه [illegible] الحكومة وهي [illegible] الكونترولات
واستعان في [illegible] [illegible] الحكومة [illegible] واستغنى
به عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وفي [illegible] [illegible] أصبح [illegible] [illegible]
[illegible] وقيل انه شاركه في [illegible] الحبوب وصيرها وقيل لأنه مورد
مصالح الحكومة أمير لاو [illegible] [illegible] على عمل ابن [illegible] له
[illegible] الى [illegible] قبله [illegible] في [illegible] لتقوس من نظام محمود
ابن [illegible] [illegible] المذكور [illegible] له لا الاحكام ومع ذلك
فان [illegible] المذكور لم يقصر [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] المال والحبوب لم [illegible] الاعتبار ولا [illegible] أهل
[illegible] [illegible] لارباح [illegible] [illegible] الحكومة [illegible]
[illegible] [illegible] الحكومة [illegible] رأى [illegible] المالية
[illegible] المذكور [illegible] [illegible] [illegible]
المالية ثم رأى الوزير [illegible] أموال الحكومة [illegible] [illegible]
الاجانب لاموالهم في وزارة المالية بالاسم الى الوزير الشيخ [illegible] رياض باشا
لكي [illegible] المصالح [illegible] [illegible] ولا رضى والاموال [illegible]
الوزير [illegible] من العمال [illegible] [illegible] له مطالب على
الحكومة مالية سواء كان من العوائد أو المرتبات ومنهم [illegible] تذاكر [illegible] من المالية
[illegible] وزير المالية [illegible] [illegible] الوزير في مصالح على [illegible] بيان
وكانت [illegible] [illegible] [illegible] وزير المالية [illegible] على [illegible] لولي
[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وذلك معلوم عند الجميع
ولذلك لم يعترض على طلب وزير المالية [illegible] [illegible] على ان ما يمكن ان [illegible]

العمال الى الحكومة لتمسك به الاجانب أصحاب الديون كانت تخدمه أعوان الوزير
خزنه دار من الطرفات حتى وقعت خصومات شديدة من الاجانب في مثل ذلك ولما كثر
تقيل والعمال من الاجانب في نواب القطر و ... حاله وانه تلزم مساعدة الحكومة
للاهالي الرجوع شيء من رهنه كان الوزير خزنه دار يقول لخواصه عجبا لهؤلاء القوم أوانا
المطلوب باعانة ... للفلاحة ... بكثرة الحرث والارض موجودة فما
منعهم عن ذلك كأنه لا يعلم لسبب تكبه اذا تكاثرت الاجانب فاعطى الى الكنت
صانسي المرايساوي اربعمائة ماشية ارضا اى نحو اربعة آلاف وستمائة هكتار حساب
كل ماشية مائة واثنان وتسعون حبلا او نحو خمسون دراعا ... ومن
مدرجة على أربعة قساطيط ومن شرطها ان تكون قابلة للزرع والسقي وان تمون
جميع الادوات التي بواسطته والتي بدون واسطة في جميع ما ... من
الحيوانات ونتجها ولم ... ذلك الحكومة ... تحصيل ... كما منح لجمعية
انكليزية احداث طريق حديدية من تونس الى حلق الوادي ومنح لجمعية ... صيد
نوع من السمك كبير يسمى التن في مصيد ... ايضا معدن جبل الرصاص
واكترى لها الارض المسماة بالجديدة التي حصلت فيها الخصومة التي اشار اليها ... كلام
على سياسة القطر الخارجية ... كل مضغة ... الصعوبات ... بالعدم
المائدة ... اضطراد الحكم وزادت المشاكل بكثرة الديون وعدم المال وروج في القطر
سكة من النحاس كل قطعة منها بنصف ريال وكان مقدار ما روج منه نحو اثنى عشر
مليون ريال ... لامتناع الاجانب من قبولها في أثمان سلعهم ... العامة
لاهل القطر وبلغ سعر الصرف الى ان النابليون بالفضة تصرف ... ريالا وبلغ
سعر الويبة من القمح الى العشرين ريالا بسبب السكة وبعد ما ... الحكومة
منها واشتد الحال ... السكة النحاسية الى اصلها حقيقة وهو ...
قد ... الريال ... الريال وضاعت على الاهالي ... لا ... زاد على ذلك
مما جلبه ذلك النوع من السكة ... وكثيرا ما اصيب بالخسارة اهل الحضرة ... وكانت
قطعة من غرم المال ... الاجانب في ... ديونهم ...
وقطع ... مع الحكومة ثم استرضته واستقر الرأي على تشكيل
لجنة مختلطة من الاهالي والاجانب وسميت بالكومسيون المالي ونص الامر الصادر في
ترتيبه ﴿ أما بعد ﴾ فقد اقتضى نظرنا المصلحة ... مملكتنا والرعية ... ترتيب

حكومتنا

كومسيونا ماليا على صورة الامر الصادر في الرابع من ابريل من العام الفارط المؤكد بامرنا
المؤرخ في التاسع والعشرين من مايه الموالي للشهر المذكور على الكيفية الآتية
﴿الفصل الاول﴾ الكومسيون الذي صدر به امرنا المؤرخ في الرابع من ابريل سنة
١٨٦٨ يجتمع بحاضرتنا في مدة شهر لمارس ﴿الفصل الثاني﴾ ينقسم الكومسيون
المذكور الى قسمين متميزين قسم العمل وقسم النظر والتصحيح ﴿الفصل الثالث﴾
قسم العمل يتركب على الصورة الآتي بيانها وهي عضوان من متوطني دولتنا احدهما
نحن انتخبناه وباطرمالي وراسيس انتخبه نحن انتخبناه بصلاحية تعيينه من طرف
دولة جناب الامبراطور ﴿الفصل الرابع﴾ قسم العمل هو المكلف بحصر المداخيل
التي يتيسر للدولة ان تخاص بها ذلك ﴿الفصل الخامس﴾ قسم العمل يحصل دفترا
فيه يقيد جميع الديون المنعقدة خارج المملكة وداخلها وهي التذاكر المالية ورقاع
سلفي عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٥ وأما الديون الاخر فتحصر بكمبرانوات وعلى حاملي
تذكرها ان ياتوا بها في خلال مدة شهرين وكذلك يجري قسم العمل في الاعلان من ذلك
في جرنالات تونس واوروبا ﴿الفصل السادس﴾ مهما اراد قسم العمل الاطلاع على
جميع الحجج الصحيحة المتعلقة بالمداخيل والمصاريف فان وزارة المال تجيبه لذلك حق
الايجاب ﴿الفصل السابع﴾ بعد ان يقع حصر مداخيل الدولة ومقابلتها بجامعة
المصاريف مزادا عليها مبلغ الدين يبحث قسم العمل عن توزيع المداخيل العمومية على
وجه الانصاف باعتبار جميع الحقوق على طريق العدل وكذلك يحصل تحريره المداخيل
التي يمكن زيادتها على جميع الضمانات السابق تعيينها لارباب الديون ﴿الفصل
الثامن﴾ قسم العمل له تحصيل جميع الكوبونات والمرتبات المتعلقة بالدين العمومي
وغيره بكل ما يلزم من الاعانة لانه بذلك لانفاذ التام ﴿الفصل التاسع﴾ قسم العمل
يتولى قبض جميع مداخيل المملكة من غير استثناء ولا يسوغ خراج تذاكر مالية من اي
نوع كان الا بموافقة قسم المذكور على ذلك بعد التفويض اليه في ذلك من قسم النظر
والتصحيح واذا اضطرت الدولة لعمل سلف ولا يسوغ له ذلك الا بموافقة القسمين وجميع
التذاكر التي تخرج في مقابلة المبلغ الذي يعينه الكومسيون لمصاريف الدولة يكتب
باسم الكومسيون ويعلم عليها قسم العمل وقدر هذه التذاكر يلزم ان لا يتجاوز المبلغ
المحدد في قائمة المصاريف ﴿الفصل العاشر﴾ قسم النظر والتصحيح يتركب على الكيفية
الآتي بيانها بمعنى من عضوين من فرانساويين ينوبان عن حاملي رقاع سلفي عام ٦٣

وعام ٦٥ ومن عضوين انكليزيين وعضوين فرانساويين نوابا عن حاملي رقاع الدين الداخلي وهؤلاء الاعضاء يكونون بوكالات مخصوصة من قبل حاملي رقاع السلفيين وحاملي كوبونات بمملكتنا ويصدر لهم اعلان في ذلك من تحت نظر قسم العمل

﴿الفصل الحادى عشر﴾ قسم النظر والتصحيح له الحكم في جميع تصرفات قسم العمل وهو المكلف بتحقيقها وبالموافقة عليها عند الاقتضاء وموافقته ضرورية حتى ان الذي يستقر عليه رأى قسم العمل مما يتعلق بالمصلحة العمومية يصير بذلك واجب العمل به

﴿الفصل الثاني عشر﴾ اذنا وزيرنا الاكبر بالعمل بما تضمنته الفصول الاحد عشر المذكورة أعلاه ونعين عضوين وناظر المالي الفرانساوى المذكورين بالفصل الثالث في أقرب وقت ممكن كتبت الامضاء شرفها لا أعلاه بسراية حلق الوادي في السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ١٢٨٦ ستة وثمانين ومائتين وألف فانتظم هذا الكومسيون واستولى رياسته الوزير خير الدين والعضو الاول في قسم العمل هو صاحب رتبة الوزارة في فرانسا ويليت والعضو الثاني الوزير محمد خزنه دار وسيأتي تفصيل ما نشأ عن هذا الكومسيون وجمع ديون الحكومة فكانت ما يأتي

جملة الجوامع	فرنكات	
	٣٥٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من دار ارلانجي بباريس لايفاء الدين السابق الذي لم يحصل ايفاؤه وقدره نحو تسعة عشر مليونا كما تقدم
	٠٩٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من بينار بباريس سنة ١٨٦٣
	٢٥٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من دار ارلانجي وغيره سنة ١٨٦٥
٦٩٠٠٠٠٠٠	٦٩٠٠٠٠٠٠	الجملة تسعة وستون مليونا
٦٩٠٠٠٠٠٠		

الاستقراضات الداخلية المعروفة بالكونسوليدات

جملة الجوامع	فرنكات	
٦٩٠٠٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠	الاول
	٠٩٩٧٠٠٠٠	الثاني
	١٧٨٥٠٠٠٠	الثالث

الرابع	٧٨٠٠٠٠٠	
	٤٨٨٢٠٠٠٠	٤٨٨٢٠٠٠٠
جملة الدين العبر المنصبط بالتذاكر الرائجة		٣٦٨٠٠٠٠٠
		١٥٤٦٢٠٠٠٠
جملة الفوائد المتأخرة تقريبا		٠٢٠٢٨٠٠٠٠
ريالات		١٧٥٠٠٠٠٠٠

جملة صرف تلك الديون بالريالات التونسية	٢٨٠٤٣٧٥٠٠	
فاذا أضفنا الى ذلك مداخيل الحكومة من وقت تعطيل القانون الى انتصاب الكومسيون الذى هو سنة ١٢٨٦ بحساب كل سنة خمسة عشر مليونا ريالا الذى هو اقل ما يمكن نظرا الى ما تركها عليه الوالى السابق محمد باشا ونظر الدخلها فيما بعد فيكون المجموع لستة سنين	٠٩٠٠٠٠٠٠٠	٠٥٨١٥٠٠٠
	٣٧٠٤٣٧٥٠٠	٢٣٣٤٥٠٠٠٠
تقريب الغرم الذى دفعه السكان على مصاريف الثورة لانه ثبت بالحساب ان اهل الساحل وحدهم دفعوا من ذلك عشرين مليونا	٠٦٠٠٠٠٠٠٠	٠٤٠٠٠٠٠٠٠
ما اعانت به الدولة العلية الحكومة وقت الهرج	٠٠١٦٢٥٠٠٠	٠٠١٠٠٠٠٠٠
ما اهداه صاحب القرض الاول باسم المارستان واخذته الحكومة	٠٠١٦٢٥٠٠٠	٠٠١٠٠٠٠٠٠
	٤٤٣٦٨٧٥٠٠	٢٧٥٤٥٠٠٠٠

فكانت جملة الاموال التي خاضت فيها الحكومة في مدة نحو سبع سنين مائتين وخمسة
وستين مليونا فرنكا وصرف منها بالالتزامات ومرفوضا ثم مع مزيد التضييق على
بتعجيل الجرايات حتى امتدت الايدي الى الاوقاف وعطل ارسال مال الحرمين الشريفين
من اوقافهما مدة سنتين وكذلك عطل مرتب المدرسين والعلماء من بيت المال لدى
احداث الاستيلاء للحكومة على ما بيد امناء البلد وتحصل من تلك الاموال في
المصرف ما يمكن ان يذكر وبعد سوى ما تقدم ذكره من الدين وبلغ مال مجموع ذلك الى
ثمانية عشر مليونا وانضاف الى ذلك ما صرف للعسكر والحكومة ... عند ان
... وكان بواسطة الوزير المذكور كان مجموع ذلك ما يزيد على خمسة مليون
ريالا وحيث كان الحال مما لا يمكن ... على الوالي بان ... وزيره خزنه دار انه
خزن في بعض ما ملكت اربعة عشر مليون دينار كالاحتياط لما عساه ان يقع لان
الثورة العامة احدثت ما يخشى منه ولا بد ان يكون له من خارج المملكة وذكر ذلك
له مرة بحضور احد قناصل الدول ثم طلب هذا القنصل اسقاط اضافة عنه تلك الملايين
عند عزله ومن وقت انتصاب الكومسيون المالي قصر يد الوزير خزنه دار عن
التصرف وكاد ان يكون اسناد الوزارة اليه اسما بلا مسمى ومع ذلك اشتد الضيق
ورام ان يبرأ ... بواسطة الوالي لاطلاعه على حقائق الامور وعلمه ان رجال الحكومة
لم يطلعوا على ما كانوا عليه من الاتفاق على لوربروبيق على ذلك الى ان ظهرت نازلة
ارلانجي البنكير ... مالي وادعى به البروسياني وكان ذلك في خلال محاربة ... سائم
المانيا وشدد القنصل البروسياني في مطالبه ولم يكن للحكومة مال وتاهل الوالي ان
يستقرض من وزيره المال المطلوب ودفعته الحكومة وقرضها بالارهن آجام وغابات
صرفه بفائدة عشرين في المائة في السنة ثم ظهرت نازلة ... ان
الكومسيون المالي لما حصر جميع الديون وحدها في دين واحد جعل له رقاعا جديدة
وشرع في ابدال القديمة بالجديدة وقد ... ان الرقاع الجديدة المقدرة ... ما ضبط
من مقدار الدين لا تفي بالرقاع القديمة التي حاملها اصحابها للتبديل فاستقرى الكومسيون
اسباب ذلك وتبين بعد ما افصح الكومسيون المالي ووجهت له الحكومة حسابا ...
فيه بيان حساب الرقاع ... سنة ١٨٦٣ و سنة ١٨٦٥ وبعد طرح الرقاع
التي رجعت بالخلاص للحكومة في ... وبعد طرح ... على يد
البنكير الاجنبي للحكومة من ديونها فلم يعتبر الكومسيون في ديون الحكومة الا ما بقي

من

من رقاع السلفين المذكورين المصرح أنفسهما المذكورين لأن كلا منهما هو خلاص اقتداره
من الدين وأذن الكومسيون بطبع عدد من رقاع جديدة مقدارها في من الدين ولما
شرع في تبديل الرقاع وجد في رقاع سلف سنة ١٨٦٣ أكثر مما كان قدره على
مقتضى الحساب الرسمي المشار إليه فظن أول الأمر أن ذلك مزورة مثل في جميعها ولم
يعهد فيها علامة التزوير فحاول حينئذ الكشف عن منشأ هذه الزيادة واستخبر من الوزير
خزنه دار عن الألفي رقعة المشار إليها على يد دار ارلانجي وما كان فيها فلم يجب وأصر على
السكوت مدة أكثر من سنة مع تكرر السؤال له كما يتبين ذلك من تقرير الجلستين
المنعقدتين من الكومسيون في ١٥ أغشت سنة ١٨٧٢ وفي غاية سنة ١٨٧٣ ولما
ألح الكومسيون على الوزير في طلب الجواب زعم أن الحكومة لم تتصل بالرقاع
المذكورة من دار ارلانجي وهي المطالبة بذلك لكن الكومسيون فضل أن يطلب
من ارلانجي بيان تحري فيما بيدهم من الاطلاع على الحساب مع الدار المذكورة وعلى
الرسائل الواردة منه لكي يتحقق في الحقيقة ما هو الواجب فأذن الولي في ذلك واطلع
عليها الكومسيون وثبت عنده أن الدار المذكورة سلمت تلك الرقاع للحكومة وكان من
المعلوم لدى الكومسيون أنه كان بين الوزير خزنه دار وبين رشيد الدحداح المتقدم
ذكره معاملة خصوصية وأن الوزير رهن عنده سبعة آلاف رقعة من سلف سنة ١٨٦٣
فتصور الكومسيون أن يطلب بواسطة نائب رئيسه وهو [illegible] الوزارة من
رشيد الدحداح المذكور جريدة أرقام الرقاع المذكورة كما طلب من دار ارلانجي
جريدة أرقام الألفي رقعة التي ادعى الوزير أن الحكومة ما اتصل بها فاتصل بالجريدتين وكشف الحال
أن الألفي رقعة رهنها الوزير خزنه دار عند الدحداح بعد خلاصها فعرض نائب
رئيس الكومسيون على الكومسيون تقريرا مفصلا فيما ثبت لديه في المادة ونصه عن
تقرير جلسة الكومسيون المؤرخ في ٤ يونيه سنة ١٨٧٣ وملخص تقرير الجلسة
أن الرقاع المذكورة سلمت في ١ فبراير سنة ١٨٦٤ للحكومة التونسية على يد
نسيم النائب عن دار ارلانجي وقيدت في الحساب الواقع بين الحكومة والدار المذكورة
المؤرخ في ١٧ مايه سنة ١٨٦٧ ثم رهنها الوزير مصطفى على يد الدحداح القاطن في
باريس ومن استعمال الرقاع المذكورة على الوجه المذكور أضر بالحكومة وأرباب
الديون وأن رأي الكومسيون أجمع على طلب التعويض والخسائر من الوزير مصطفى
المذكور اهـ وعلم الوزير بما وقع ونصحه الوزير خير الدين بفصل النازلة عن عجل

حالي لثباته لاتباع الاحكام وبلغ ذلك للوالي من بواسطة مصطفى بن اسماعيل اقرب
المقربين لديه لمنصب الوزير خير الدين في انتهاء نظام خزنه دار بينه وبين القيام على ان
الوزير خير الدين مصادق حقيقة لذلك الوزير وان كانت له عليه يد المنة والمصاهرة لما ذكر
من سيرته فامتلأ وطاب الوالي من انكاره اعمال وزيره ولم يزل الوزير مصرا على الامتناع
من بيان توجهه في رواج تلك الرقاع نائيا الى ان وجه الوالي نائب رئيس الكومسيون
بمحضر المذكور وعرض على الوالي ملخص المزلة وطلب منه امضاء الحكم فباشر الوزير
نائب رئيس الكومسيون بكلام شديد الى ان انتهره الوالي وقال له ان جوابك لاما ان
يكون بالحجة في تبرئة نفسك وتقديم حق لدى عليك وانفصل الموطن وبقي الوزير
مصر الوالي فلكنه لم يكن يفي به بعزل فكاتب الوالي بالاقرار ما قد لا اذ في رقعة
وطلب عزله وادى الكومسيون ما طلبه واستتبع الوالي موافقة الدولة وتبقى عدم
لحوق ضرر عزل الوزير بعد ان حصل جميع الجهات امر بعزله في غرة رمضان سنة ١٢٩٠
وكان مدة تقلده منصب الوزارة في سنة [illegible] وارتجت البلاد عند سماع عزله فرحا
وكان لا يصدق العموم بذلك لشدة تمكنه من الوالي حتى يقول من بعض المحبين
ابنه له انه يعدم ثلاثة من يكون مع وطنه بمنزلة الاب ومع الباي في منزلة الاخ ومع
الدولة في القانون بمساواته من آخر مدة احدث ورأت البلاد عند عزله ولم يسمع عن
ذلك هذا القدر واتفق جميع الاقوام جميع البلدان والقبائل يحرضون على عزله وافراده من
خواص حاشيته ومن توحد بهم وبحملهم على بعضهم وافراد يبلغونه للاجانب ورام من له
وجاهة منهم ان يتداخل في ارجاعه لمنصبه ارقى لا يوان بواسطة الوالي كاتحاد المتوظفين
فامتنع الوالي وجميع اتباعه يرودون كل وجه لارجاعه حتى سافر احدهم الى اوروبا الى
الاستانة وتحقق برجال الدول وسأل في الموصل امور لانهم يعدون يتداخل في توليته وربما
في حكومة نعزه في ادارتها وحيث تبقى الوالي كثرة الاموال التي توصل اليها الوزير
المذكور من اموال الاهالي والحكومة سيما الاموال التي احدها بيده الاكبر يتذاكر
على المالية مكتوب وبيده ولان وزير المالية قد تذكر من المال لا مرالا اما بقي محمد
في مصالح على يده الخزينة من الاين المال وبعض محطه على القبض مع انه لا وظيفة له
رسمية تقتضي صرف تلك الاموال ومع عدم بيان الجهة المصروف فيها المال فاراد
محاسبته ومحاسبة ابنه على اموال الحكومة فتبرا الوزير خير الدين من مباشرة ذلك
على ما جرت به العادة من ان صاحب الوزارة ثم مثل ذلك مع كل المتوظفين وتعقد
لذلك

لذلك مجلسا مخصوصا برأسه ولي عهد الولاية الامير أبو الحسن علي باي واعضاؤه المفتي الحنفي الشيخ أحمد بن الخواجه والقاضي المالكي الشيخ محمد الطاهر النيفر والوزير محمد رشيد كاهيته ووكلت الحكومة في طلب حقوقها الشيخ عمر بن الشيخ أحمد كبار المدرسين بالجامع الاعظم وارسل الى الخائن يدعوه ليبين له سماع الدعوى كما ارسل الوزير خير الدين مكتوبا الى الوزير السابق يعلمه فيه بعقد المجلس للتأمل في مادة المطالب المتوجهة عليه وعلى بنيه وحوزيه فامتنع من الحضور ولما الح عليه بالحضور أرسل الى قنسل فرانسا يطلب حمايته وتوجيه أحد اعوانه ليحميه بعد ذهابه للمجلس فتعجب القنسل من الطلب واجابه بانه لا يتداخل في أحكام البلاد سيما ولم يجر عليه حكم يقتضي مثل ذلك ثم أرسل وكيلا عنه من أحد رعايا الاجانب فلما دخل الى المجلس ساله الرئيس هل هو داخل تحت أحكام البلاد أم لا فاجابه لا وتفاوض المجلس في قبوله وعدمه على تلك الصفة وظهر لهم انه يمكن ان يكون الوكيل داخلا تحت أحكام البلاد ليؤاخذ بأعماله واقواله فيما يتعلق بوكالته وفيما يعود اليه ولما علم الوزير خزنه دار بذلك أرسل ابنه الثاني محمد الناصر الذي هو بريء من جميع الاعمال السابقة وجعله وكيلا عن والده واخيه وعلم ماهي مطالب الحكومة بهما وحيث علم ان الحجة قائمة عليهما ركن الى طلب الصلح فصالحته الحكومة وقال بعض الاعيان ان الصلح كان لا ينبغي وقوعه لان المال مال بيت المال فاما ان يتحقق مقداره ويؤخذ بتمامه وعلى فرض لدده يجبر بالحبس ولا مقالة لاحد اذا كان يصدر الحكم عليه من ذلك المجلس واما ان تثبت براءته ولا يؤخذ منه شيء واجاب الوزير خير الدين بان الاختيار يحصل منه القيل والقال سيما وشيعته يشيعون ان اصل المطالب غرضية فقصد التداخل لا الحسب في امره وحيث طلب الصلح بادرنا له حبرو ووقع هذا الصلح بخمسة وعشرين مليونا فرنكا وملخص صورة الصلح هو ما يأتي بيانه

		فرنك
أصل المبلغ الذى صولح عليه يطرح منه ما اسقطته عنه الحكومة		٢٥٠٠٠٠٠٠
		٠٥٠٠٠٠٠٠
		٢٠٠٠٠٠٠٠
بيان ما دفع	فرنك	
ما سبقه الحكومة فى مقابلة من أرض دار السكة	٠٠٦٠٠٠٠٠	
ما هو بقية قرضة طبرق جربة	٠١٢٢٥٩٢٢	
ما دفعه عينا	٠٠٢٠٠٠٠٠	
قيمة ما باعه من الريع والعقار والمنقول وسفينتان وقصر الحلفاوين والخشب المقطوع من طبرقة	١٠٩٦٤٠٧٨	
	١٣٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠
فرق ... ستة ملايين ... لا ... ملايين فى سنة ... لولا ... الحكومة فى ... بشرح ... وبالجميع وبعد شاهد من عدول الحاضرة		٠٧٠٠٠٠٠٠
... ما سقط عنه فى مقابلة اسقاطه الاتفاق فى ... دار السكة لدى ... العيد بن عياد		٠١٠٠٠٠٠٠
		٥٥٠٠٠٠٠

فكان الباقى من الحساب المذكور ستة ملايين ونصفا فرنكا ... الاصابات التى حلت عليه منهم لدعوى الافلاس وذكر الاعيان المقادير التى دفعها لم يكن ... من ... الاماثل ألف فرنك وما بقى من ... كاهل ... من الولاة ... رسومها ... من الحكومة ... كانت الحكومة وهبتها له ... التى اشتراها من الحكومة ... ألف ريال ... ودفع فى ثمنها ارض ... الحمام المذكور الذى كان أخذ

جميعه

جميعه هبة من الوالي الحالي ثم مدة أربع سنين عند الصلح المشار اليه عرض ان تكون
قيمة ذريته الباقية المذكورة أربعة ملايين ونصف فرنك وهو ما ينافي دعوى الافلاس أيضا
ان كثيرين ممن لهم علاقة بالكومسيون المالي وبعض ادارة المداخيل علموا ان الوزير
المذكور كان قبل عزله يرسل من يختص له قوائص أربعة وعشرين مليونا فرنكا من
خصوص الدين التونسي ثم بعد ابرام الصلح صدر له اذن الوالي بأن يصحب له من شاء
ويذهب أين شاء داخل القطر وخارجه والعود اليه متى شاء هو وأبناؤه الا زوجة زوج
ابنته الأكبر لكونها من عائلة الوالي ولم تكن عادتهم تسمح بخروج أحد منهم
خارج القطر ولم يبق عليه الا الاجتماع بالوالي وكان يظن ذلك بسعي الوزير خير الدين
المتولي بعده لكنه كشف الحال انه من ذات الوالي لانه دام على الامتناع من مواجهته
حتى بعد انفصال الوزير خير الدين عن الوزارة وبقي الوزير المذكور على حالة انفراده في
قصره بالحاضرة يتردد عليه قليل من اتباعه ولا أجانب الى ان توفي سنة ١٢٩٥ رحمه
الله (المطلب السادس) في وزارة الوزير خير الدين هذا الوزير أصله من أبناء الجراكسة
القاطنين في جبال القوقاز ونشأ بالقسطنطينية ثم نشأ في تونس بقصر الوالي أحمد باشا
واستكمل القراءة والكتابة والتجويد والفروض العينية وجد في ذهنه فأقبل بها على
تحصيل الفنون العسكرية والسياسة والتاريخ ومشاركة في الفنون الشرعية حصلها اعتناقه
أهلها ومطالعة الكتب وتعلم اللسان الفرنساوي وكان فصيحا في العربية عارفا بالتركية
والفرنساوية شديد التوقير للشريعة والعلماء محافظا على شعائر الدين عالي الهمة وقورا
حتى يحاله من لم يخالطه متكبرا ذا فطنة نافذة ورأي حسن القبول عند عامة الناس سريع الطبع
ثابت العزم لا يتزلزل عن رأيه حازما في العمل ترقى في الخطط العسكرية في مدة أحمد باشا
مع سعاية أبيه وقربه للوزير مصطفى خزنه دار حتى صاهره على ابنته ثم ولاه أحمد باشا
أمير اللواء الخيالة سنة ١٢٦٦ ولما وقعت حرب القريم أرسله أحمد باشا المذكور الى
باريس ليبيع مجوهرات للحكومة يستعين بأثمانها في مصاريف العسكر المرسل لاعانة
الدولة العثمانية وناضل هناك على التعرض في ارسال العسكر بما تقدم شرحه ولم
يبع الجوهرات الا بعد عرضه لأثمانها على الوالي أحمد باشا مع انه فوض اليه وأنكر عليه
التأخير بسبب الاستشارة وكتب له تفويضا تاما كما كلمه في تلك الوجهة بعقد قرض مع
احدى ديار المال فباع الجوهرات وأرسل ثمنها وحاسب عليه وقدره نحو مليونين فرنكا
وأخذ حجة تامة من محمد باشا في الحساب وبراءة ذمته وماطل في العقد للقرض وكيفية

شروطه لما يترتب عليه من المضرة على القصور وألح مرارا الى ان توفي الوالي المذكور
ووافقه خلفه محمد باشا على عدم القرض وقد رأيت بخط كاتب اسرار الولاة الوزير
احمد ابن أبي الضياف في هذا الغرض ما نصه وشكر رأي محمد باشا خير الدين في عدم
الاستقلال وانقاذه البلاد من هاوية لج ثم عرض للوزير المذكور في اثناء مدته
المذكورة هروب ابن عياد وتكليف الوالي احمد باشا الوزير المذكور بخصامه ودام في
خصامه من مبدأها من سنة ١٢٦٩ ومنتهاها سنة ١٢٧٣ ونجح في عمله بما
تقدم شرحه عند الكلام على ولاية احمد باشا وأرخ الوزير أحمد بن أبي الضياف
في ذلك ما نصه ولو تم مراد ابن عياد ووجد من خير الدين ذا صغية لمواعيده لكانت
المملكة في أمر لو قسنا هذا الكثير بما يبدو من الاوامر والرسوم الى من قال لولا تدارك
ألطاف الله على يد خير الدين الخ ثم في سنة ١٢٧٢ قدم الوزير خير الدين من فرانسا
لتهنئة الوالي محمد باشا فأكرم مقدمه وعرف له نصحه في النوازل المذكورة ورقاه الى
رتبة امير لواء وعاد لاتمام الخصومة المذكورة فولاه محمد باشا وهو غائب وزارة البحر
لموت صاحبها مع وكاهيته سنة ١٢٧٣ وعند ابرام الحكم على ابن عياد رجع
الوزير خير الدين الى تونس واعتنى بمباشرة وزارته مع اعتماد الوالي عليه في الاستشارة
في حالة حلق الوادي التي هي أعظم مرسى في القطر عمارة واصلاحا ورتب هيئة خدمة
الوزارة بتقييد المكاتيب الصادرة وضبط جميع الحركات اليومية في دفاتر وكان أول
من عرف ذلك في القطر وكانت الامور تجري بلا ضبط وحصل انه أقام لاجانب الذين
استولوا على أكثر أراضي تلك البلاد بلا وجه عمل معهم ما لا يشق على ثلاثة أو خمسة فمن
كانت بيده حجة من الوالي في الاذن بالبناء جعل له عليه كراء الارض حاويا بسنويته على
حسب الكراء المؤسس لورثته ... بعده ومن كانت بيده حجة في البناء من
خصوص وزير البحر فإن له أن يقيم البناء مدة حياته لخصوص ذاته ومن بعده ترجع
للحكومة وان امتنع فيسلم ماذا أو تراضى مع الحكومة في شراء الارض أو كرائها ومن لم
تكن بيده حجة لزمه التوافق مع الحكومة أو هدم ما أنشأه ووقفه على ذلك ونقل للدولة
وحصل من ذلك نفع كثير وتحصل من الكراء المؤسس ما هو وقف الآن على جامع حلق الوادي
وقام به احسن قيام ثم أحدث محلا للاعتبار بما تحتاج اليه السفن من الادوات الحديدية
والخشبية وأبدل الجسر الذي كان على الخليج بجسر حسن متين وأوسع الطرق ونظمها
وبنى محلا للادارة للوزارة حسنا وجعل امامه بطحاء وحسن كثيرا من المعاقل الحربية ثم لما
أنشأ

إنشاء عهد الأمان كان الوزير المذكور فارس ميادين إنشاء القوانين الميالة للحرية
والعدل وكان المحلي في نفوس رجال البلد بمروءته وفصاحته وعدم استحيائه من الحق حتى أن الوالي
المذكور لما أراد حل مادة عوان وجمع رجال حكومته واستشارهم وكان أعلمهم
ذهب إلى عدم الموافقة فاحتد عليهم الوالي بقوله أعطيت كلمتي للقنصل بالموافقة على حله
فتنفس الوزير خير الدين وقال أي فائدة لجمعنا حيث أعطيت كلمتك وحيث تم سماع هذا
الخبر من سيادتكم كدر ذلك جميع أمرائهم الوزير أحمد بن أبي الضياف ولما ولي على
القطر محمد الصادق باشا أرسل الوزير خير الدين المذكور إلى الدولة العلية لطلب فرمان
الولاية على العادة وتقبله منه الأستانة وقضى مأموريته ولما أحضر الوالي المذكور
القوانين كما مر ولي الوزير خير الدين عضوا في مجلسه الخاص الذي يرأسه بنفسه كما ولاه
رئاسة المجلس الأكبر أي مجلس النواب ودون في مبدأ الأمر نائبا للوزير مصطفى
صاحب الطابع وهذا هو الرئيس الأول عبر به أحد أقارب الوجيه فقدم مراعاة لمقامه
وسنه وتحرز منه ومداراة عن لوم تلك العقود من أصدقائه رحمه الله كي يصرح للوزير
خير الدين بحث وقدمه حتى إن القانون بعد تمام ترتيبه جمع الوالي أعضاء المجالس
حسب الاقتضاء وأمرهم بقراءة القانون وقدم منادي قبل العمل به ولم يحضر الرئيس الأول
وقام مقامه الوزير خير الدين وتولى شرح ذلك الوزير أحمد بن أبي الضياف بما نصه
وأبدى في تقرير مبادئ القانون وبسطه وتفسيره من حسن البيان وفصاحة اللسان
ما أعجب السامع وشنف المسامع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اهـ وعرف له بالفضل
كل من حضر من العلماء وغيرهم ثم توفي الرئيس الأول وصار الوزير خير الدين هو الرئيس
بالاسم والرسم والعمل وقد كان على عزم إكمال القانون ومراده تحقيقه فهو من ساعد
السعد وطفق يبرهن على المصالح ويفتح البصائر إلى مرآها ويتقلد الأعضاء لسد أبواب
المفاسد إلى أن نشبت مخالفات التصديقات بينه وبين الوزير السابق كما تقدم شرحه
واضطربت أعضاء المجلس ورأى أن المآل إلى جعل المجلس صورة بالانفاذ لأغراض
غير عادلة فاستعفى عن الرئاسة وبقي عضوا في كل من المجلسين وقال في ذلك الوزير
أحمد بن أبي الضياف واستعفى المجلس بأسره أي استعفاء متربا بجميله ووفائه وإنصافه
الخ ثم أرسله الوالي سفيرا عنه إلى دولة سويد والبروسيا والنمسا وغيرها وهلاندا
مكافأة بإرسال نيشان إلى ملوكهم عما أرسلوه إليه من النياشين إكراما له على إنشائه
القوانين وكذلك لدولات غير دول أوروبا فيها عضوية بمعرض على المجلس الخاص

ان فواضل الاوقاف تصرف للقيام بالعسكر ووافقه أحد العلماء المالكية معتمدا
الفتوى بما جرى عليه العمل من غير المشهور من مذهب امام دار الهجرة مالك بن أنس
رضي الله عنه من ان فواضل الاوقاف تصرف في طرق البر ورأوا أن القيام بالعساكر
من طرقها فقال لهم الوزير خير الدين محتجا بان القيام بالعساكر له نصيب معلوم شرعا
من بيت المال فان كان النصيب المعين شرعا صرف جميعه على العسكر ولم يف بذلك
فحينئذ ينطبق النص ونوافق على ما ذكرتم وأما اذا كان دخل بيت المال يصرف
في غير وجوهه الشرعية كما يعلمه الجميع فلا أرى انطباق النص على ما ذكرتم ولعمري
انه لهو صميم الحق ثمرة لعلم تحقيق المناط وان ذهبوا الى العمل بما رأوه وكان ذلك
من أسباب ايغار صدور الخاصة والعامة كما تقدم ولما رأوا أن يضاعفوا الاداء المسمى
بالاعانة وهو الذي كان سببا في الطامة الكبرى كما قال الوزير المذكور والى
تسمية ما رأيته بخط الوزير ابن أبي الضياف المعاصر في المجلس ياسيدي ان أخفيت
ما ظهر لي من نصح سيدي وبلادي اكون خائنا الامانة الاستشارة نرى ان هذه الزيادة في
مال الاعانة تؤدي الى زوالها بالمرة او تلجئ الى مال أكثر منها من تسيير الجيوش لغصب
الناس ولا تصدق السنة التي بعدها بمقدار الاعانة الاولى هذا باعتبار القدرة على
الغصب ولعمري انها مقالة دين ونصح نجد ثوابها يوم تجد كل نفس ما عملت الخ كلامه
وصرح بمثل ذلك في المجلس الاكبر أيضا ولما لامه بعض أعضائه من عجبا أوجب تأليمه
قال اني رأيت السقف يريد أن ينقض ولم استطع استدراكه ولا وجدت أذنا صاغية
فخرجت من تحته وعلى نحو بصيرته تمثل ابعد الشؤون في الوزير خير الدين في
بيته مقبلا على شؤون نفسه لاعتنائه بالحكومة المحروسة في الشر يتوجه الى
الوالي بالسلام عليه او عندما يدعوه لامر ما كما وقع عند قتل الشهيد بن اسماعيل السني
ورشيد لان الوالي جمع عند ذلك جميع رجال حكومته واعلمهم بالقتل ورأيت في صفحة
المواطن بخط الوزير ابن أبي الضياف الذي كان حاضرا فيه ما نصه وقال لله الوزير
المنصف أبو محمد خير الدين نرجو الله أن يكون هذا حد البأس وان لا تقع ندامة على
هذا الاستعجال بعد وصولهما الى محله وما الان فمع الزمان ينافي هذا الاستعجال
فاغتاظ الوالي وكاد ان يسطو به الغضب لولا لطف الله بخير الدين الخ وله في امثال
ذلك من النصح والاقدام كثير وفي اثناء استعفائه كان التزاور بينه وبين الوزير مصطفى
خزنه دار مستقرا لقرابة المصاهرة ولا يتداخل معه في رأي من تصرفاته كما ان لا عيان من
المتوظفين

المتوظفين والاهالي يزورونه ولا يعوض معهم في شيء من أحوال سياسة البلاد متجنبا
القيل والقال مشتغلا في انس وراحة بال بخواص من أصحابه مقبلا على مطالعة
الكتب والتأليف فألف كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وهو أول كتاب
مبتدع في السياسة التي يقتضيها العدل والشرع وكفى بتقاريظ العلماء فيه مع أن
الرجل اذ ذاك بعيد عن شائبة التملق اليهم لا سيما دون الاجانب في طلب أموالهم وأنشئ
الكومسيون المالي باتفاق الدول دعا الوالي الى رياسة ذلك الكومسيون فامتنع ولما
ألح عليه الوزير السابق قال له ما معناه ان الحال قد بين التباين بيني وبينك
في طريق السياسة وانت رجل مقتدر والذي لك التقدم على فان وافقتك خنت ديني
وأمانتي وان خالفتك صرت الى العداوة معك والاولى بقائي على ما أنا عليه فاجابه بترك
جميع ما مضى وان الحال قد بلغ نهايته وانه لا بد في المستقبل الا الاصلاح وموافقة
الرأي فاعاد الوزير خير الدين مقالته وان يتبع الوزير مصطفى خزنه دار لا يوافق السيرة التي
يراها وما كد له مزيد الموافقة في عدة مواطن وقبل اذ ذاك الوزير خير الدين رياسة
الكومسيون ومن هذا الوقت وهو سنة ١٢٨٦ تنسب التصرفات اليه وان رجع
الوزير السابق عن وعده وعمل للوزير خير الدين سببا ذلك مناقضة ما بالكلية ثم
تم للوزير مصطفى خزنه دار مراده الى ان فصل عن الوزارة المرة كما تقدم شرحه
فاول ما ابتدأ به الوزير خير الدين من الاعمال انه رأى تداخل الكومسيون المالي في
مالية الحكومة يتسع نطاقه الى التداخل في السياسة كما يقتضيه صريح فصول تركيب
ذلك الكومسيون وقد رأى انه يعطل تصرفه ويحجر الوالي في أمور هي من خصائصه وطمعته
من مباشرة العمال في استخلاص الاموال وغير ذلك وتوقف عن امضائها الوزير السابق
لانها تؤول الى خروج التصرف عن يد الحكومة أيضا فاشتكى أعضاء
الكومسيون الى جانب الى قناصلهم بأن أعمال الكومسيون توقفت لان أساسها
توقفت الحكومة في امضائه فكتبت القناصل للوالي بالتعجيل والحث على اجراء ما التزم
به للدول الثلاثة وهي فرانسا وايطاليا وانكلترا فجمع الوالي جميع رجال الحكومة
وعرض عليهم الامر وكان من الحاضرين الوزير احمد ابي الضياف وكتب حينها
رأيته بخطه فيما وقع في المجلس ما نصه وتكلم الوزير خير الدين بالخاص عما يكتب على
صفحات الايام الى ان قال نحكم دولتنا الى هذه المدة ونا عبيد نخدمه سيدنا او بلادنا
على كل حال ونطالب لا غنية من جمعكم هل اعطيتم في قلبكم افضل وان اعطيتموني لا اجمع

للمهروب وإنما أقول أخدم برهة من الزمان وأتأخر ليتقدم غيري من أمثالي يخدم مثل مدتي وهلم جرا فضمن تحجيج له لإعانة كل على حسبه وانفصل الوطن إلخ وأمضى الوالي مطلب الكومسيون وخاطب القناصل بذلك وكان ذلك مما يجر إلى إبداء الحكومة صورية لأن خلاص الأموال يستدعي تحسين الإدارة وهو يستدعي العدل وبتداخل الكومسيون في جميع ذلك وتفزع إليه الأهالي ولا يبقى للحكومة إلا الغرور ولذلك أشار الوزير خير الدين على الوالي بخطة تقضى معها حقوق الكومسيون وتحفظ بها حقوق الحكومة وما موهها وهو تنصيب رئيس الكومسيون بوظيفة وزير الوالي في رتبة الوزير الأكبر بحيث يشاركه عند حضوره وينفرد عند غيابه وتنتقل خدمة الكومسيون إلى محل الوزارة ويكون مصدر جميع الأعمال واحدا فاستحسن الجميع ذلك الرأي ووظف الوالي الوزير خير الدين وتسمى باسم الوزير المباشر وترتب أشغال الوزارة على الصورة الآتية وهي الوزارة الكبرى وتنحصر بها جميع شعب الإدارة إلا الوزارتين الآتيتين يعني أن الوزير الأكبر ثم الوزير المباشر هما اللذان يباشران جميع المصالح إما بواسطة أو بدونها ثم قسم دائرة الوزارة إلى أربعة أقسام (فالقسم الأول) تحت رياسة مستشار ويرجع له جميع الأمور السياسية العامة والأحوال المالية الخاصة بدخل الحكومة وخرجها دون ما يتعلق بالكومسيون المالي (والقسم الثاني) تحت رياسة مستشار ويرجع إليه ما يتعلق بشكايات الرعية من المتوظفين والعكس (والقسم الثالث) تحت رياسة مستشار ويرجع إليه ما يتعلق بالحقوق الشخصية ثم اتحد هذا القسم بالقسم الثاني (والقسم الرابع) تحت رياسة مستشار ويرجع إليه ما يتعلق بالخارجية كما جعل كلا من وزارتي الحربية والبحرية مستقلا بنفسه كل منهما له وزير مرتبط غير أنه تحت نظارة الوزارة الكبرى فهذا ما يتعلق بكيفية الإدارة وأما ما يتعلق بتحصيل من الإدارة فإن ديون الحكومة حصرت فكانت مائة مليون وخمسة وسبعين مليونا فرنكا كما تقدم تقريبه آنفا وكان الفائض الذي يدفع سنويا نحو العشرين مليونا فرنكا فأسقط من الأصل نحو مليون فرنكا ثم طرحت العشرون مليونا التي هي الفائدة التي لم تدفع وجعلت دينا بلا فائض بسندات من الدخل المضروب جديدا على البضائع الداخلة للقطر وبقي المقدار الذي يؤدى له الفائض نحو مائة مليونا وخمسة وعشرين مليونا فقط فجعل به فائضا خمسة في المائة وصار مقدار الفائض السنوي نحو ستة ملايين فرنكا وخمسمائة ألف فرنك الذي هو نحو الثلث مما كان جاريا

وخصص

وخصص له أنواع مخصوصة من مداخيل الحكومة لأن نوب أصحاب الديون وهم قسم النظر من الكومسيون المالي لم يرضوا بأن الحكومة تعهد لهم بدفع الفائض بل أرادوا ان تكون ادارة المال الراجع اليهم تحت أيديهم فحصل لذلك مجلس سمي مجلس الادارة أعضاؤه أجانب منتخبون من قسم النظر من الكومسيون وعددهم خمسة وعضو تونسي فقسم العمل ووضع اليهم قسم المداخيل الراجعة الى الفائض تحت احتساب قسم العمل ثم قسمت مداخيل الحكومة الى قسمين (القسم الاول) يتولى قبضه ذلك المجلس والانواع التي سلمت الى ذلك هي ما يأتي بيانه مع بيان تقريب دخله حسب الميزانية المسلمة من الوزارة السابقة

فرنكات	
٠٣٥٠٠٠٠	لزمة فندق الغلة أي الاداء على الخضراوات والفواكه المباعة في الحاضرة
٠٤١٢٠٠٠٠	محصولات سوسة والمستير أي الاداء المرتب على نحو ماذكر على بيع الحيوانات وغيره
٠٠٩٧٠٠٠٠	الرحبة أي الاداء على بيع حبوب القمح والشعير وشبهه
٠٥٠٠٠٠٠٠	القمرق أي الاداء على السلع الداخلة والخارجة للحاضرة من الممالك
٠١٠٠٠٠٠٠	خروبة الاكرية بالحاضرة أي ما يؤدى على كل ريال المنقسم الى ستة عشر خروبة خروبة واحدة أي جزء من ستة عشر على كل مكان يكرى
٠٠٤٥٠٠٠٠	قمرق صفاقس
٠٠٠٨٠٠٠٠	قمرق وادي قابس
٠٠١٢٥٠٠٠	قمرق سوسة والمستير والمهدية
٠٢٢٠٠٠٠٠	قمرق الدخان أي انحصار بيع ورق الدخان به والمستنشق في الحكومة
٠٠٥٥٠٠٠٠	قمرق الخمر أي ما يؤدى على المسكرات
١٨٤٢٠٠٠٠	

فرنكات	
١٨١٢٠٠٠	نقلت
٠٠٤٥٠٠٠	فندق الباص أى ما يؤدى على بيع اللحم
٠٠٦٠٠٠٠	الجبس أى انحصار بيع الجبس فى الحكومة
٠٠١٠٠٠٠	صيد الحوت أى الاداء على صيد السمك وانحصار اماكن البحر فى صيد الحكومة
٠١١٠٠٠٠	الملح أى انحصار بيعه أيضا فيها
٠٠٥٥٠٠٠	الاداء على النشف والقرنبيط أى الاسفنج ونوع لعله المسمى بالقرنبيط
٠٨٥٠٦٠٠	قانون الزيتون فى وسق والمنستير والمهدية وصفاقس أى الخرج على شجرة الزيتون عوضا عن العشر
٣٠٢٢٠٠٠	
٠١٥٠٠٠٠	قانون زيتون الوطن القبلى
٠١٠٠٠٠	محصولات صفاقس مثل ما بيناسا ما
٠٠٩٠٠٠٠	محصولات جربة وقرقنة
٠٠٨٠٠٠٠	محصولات بنزرت
٠٠٢٠٠٠٠	محصولات حلق الوادى
٠٠٠٨٠٠٠	زمة صيد المرجان أى القدر الذى يؤدى على ذلك من الفرانسيس
٠٠٨٥٠٠٠	محصولات الوطن القبلى
٠٣٠٠٠٠٠	التمبراى لاوراق المختوم عليها من الحكومة ليكتب فيها الاحتجاجات حيث لا تصل حجة فى غير ورقة مختومة
٢٦٤٠٠٠٠	السراحات أى الاداء على ما يخرج من القطر من الحبوب والزيت والتمر والصوف والصابون
٣٥٠٥٠٠٠	

وقد أقيم الحساب على مقتضى هذه الميزانية فم توقف فى أغلب السنين لاغلاط الذى وقع فى

في تقدير فصل المراجات وهو الاخير لان ذلك غير صحيح كما ابانه الواقع وسبب ذلك عدم
امكان ضبطه في الوزارة السابقة بقرب تقريبا بالقياس على سنة كانت خصيبة مع الغلب
في الثمن الى اروبا ولذلك لزم الحكومة ان تكمل من دخلها الخاص ما ينقص من ذلك
الدخل عن الوفاء بالفائض حسبما هو مشروط في اللائحة التي جعلها الكومسيون المالي
اساسا لاعماله فان مقتضاها ان فائض الدين الذي هو ستة ملايين ونصف فرنكا كما تقدم ان
وفت بها المداخيل المعطاة لمجلس الادارة فيها ونعمت والا فالحكومة ملزومة بان تكمل
من باقي مداخيلها ما يوفي بذلك المقدار غير انها في السنة الاولى لا تكون ملزومة الا
بكمال خمسة ملايين وما نقص يذهب مجانا على ارباب الديون وفي السنة الثانية تكون
ملزومة باكمال خمسة ملايين ونصف وفي السنة الثالثة تكون ملزومة باكمال ستة ملايين
وفي السنة الرابعة تكون ملزومة باكمال ستة ملايين ونصف وهكذا فيما بعد للاسباب
التي تقدم شرحها في ضمن الفصول ومن الشروط ايضا ان الحكومة لها ان تستقرض
من خزانة مجلس الادارة مليونا متى ارادت لسبب قوي على ان ترجعه قبل مضي ستة
اشهر ولا تؤدي عليه فائدة ومنها ايضا اذا زاد دخل القسم المذكور من المداخيل على
المقدار اللازم فانه يبقى منه نصف مليون للاحتياط وما زاد على ذلك يشترى به رقاع من
الدين وتستهلك وهكذا في كل عام الى ان يزيد الدخل على ثمانية ملايين فرنكا فان
ما زاد يقسم ايضا فالنصف يلحق بما تقدم في استهلاك راس مال الدين والنصف الآخر
تصرفه الحكومة على نظر قسم العمل من الكومسيون في المصالح العامة كالطرقات
وغيرها (واما القسم الثاني) من مداخيل الحكومة وهو ما بقي من انواع المداخيل
كاعشار الحبوب والزيت وخراج النخيل ومدبغة الجلد والاداء على الرقاب المسمى بالمجبا
او الاعانة الذي هو نحو خمسة ملايين ونصف فرنكا فانه يتولى قبضه قسم العمل من
الكومسيون وهو الذي يتولى دفعه الى الحكومة على مطابقة الميزان الذي يعمل في
راس السنة لمصاريف الحكومة في مصالحها ومرتبات العائلة الاميرية ولسائر الموظفين
ويكون ذلك بطاقات لاذن حافظ الخزنة بالدفع صادرة من الوالي غير انه لا يختمها بامضائه
ما لم يعهد عليها بالامضاء اعضاء قسم العمل من الكومسيون اعلاما بان الدفع موافقة
لاصول الميزان المالي ولا يكتب من تلك البطاقات في وقت من الاوقات الا مقدار ما في
الخزنة من المال بحيث لا تقع المماطلة لصاحب البطاقة من القابض الذي هو حافظ
الخزنة حتى ربما يضطر صاحبها الى اسقاط شيء مما اندفع اليه او انه يبيعها للغير

مما يوجب احداث دين جديد على الحكومة هذا هو الرسم الذى جرى عليه العمل فى
القاهرة وغيرها وقع ما يحتاجه على وجه تصعب مراقبته فهذا ما يتعلق باحوال الديون وما
جرى عليه العمل فيها وقد رفعت مع نقصها فى السنين الاولى على نحو ما تقدم من مداخيلها
المعينة لها ثم فى بعض السنين كملتها الحكومة من مداخيلها وفى بعضها زاد الدخل
المعين لها حتى اشترى منه شىء من أصل الدين وفى بعضها رهنت الحكومة دار الجلد التى
مدينتها لاكمال الفائض بحيث ان جميع مدة تصرف الوزير خير الدين لم يبق على
الحكومة شىء من فائض الدين وانتسق دفعه فى اوقاته ثم حصل هذا الوزير معاهدة
معتبرة مع سائر الدول الاجنبية على ان يزاد فى اداء القمرق على السلع الداخلة من
ممالكهم الى القطر بمقدار المزيد خمسة فى المائة وعين هذا القدر الى استهلاك الدين
الذى يبقى بلا فائض واصله فائض الديون السابقة الذى لم يدفع وقدره نحو عشرين
مليونا على نحو ما تقدم ثم بعد خلاص ذلك الدين يرجع ذلك المقدار مع بقية دخل القمرق
الى فائض الدين المتحد واستهلاكه وصار اداء القمرق على السلع بالمزيد والمزيد عليه
ثمانية فى المائة واما ما يتعلق بتحسين الادارة المالية والحكمية فى القطر فاحدث أمورا
عديدة نافعة فمنها انه ابطل أنواع المظالم التى تقدمت كيفيتها وكميتها فى السنين المتقدم
ذكرها وجعل على كل ذكر بالغ قادر على التكسب اربعين ريالا تونسيا فى السنة مدرجة
على أربع سنين (ففى الاولى) يدفع المطلوب خمسة وعشرين ريالا (وفى الثانية) يدفع
ثلاثين ريالا (وفى الثالثة) خمسة وثلاثين ريالا (وفى الرابعة) أربعين ريالا ويجرى بها
العمل من غير زيادة وشدد فى الاخذ على أيدى العمال بحيث لا يمد يد أحد منهم لشىء
زائد عما ذكر وجعل لهم أجرهم ستة فى المائة يأخذونها من ذات الاموال المستخلصة على
أيديهم الراجعة للحكومة منها اربعة للعامل وريالان للشيخ ثم أبطل هذا الاجر وعوض
بواحد على كل عشرة تستخلص من الدافع زيادة على العشرة بحيث صار على كل نفر
أربعة وأربعون ريالا فى السنة وذلك الواحد الزائد يجمع عند العامل ويأخذ هو النصف
والنصف الآخر يقسم بين مشايخ العمل ونواب العامل المسمين بالخليفات (ومنها) جعل
قانون معلوم للرسل الحكم فى استخلاص الاموال سواء كانت راجعة للحكومة أو للاهالى
أو للاجانب بحيث يأخذ المرسل نصف ريال على كل عشرة يستخلصها من المأخوذ اذا
كان رسولا من الحكومة أى من أعوان الوالى اما اذا كان من أعوان العامل وغيره من
الحكام غير أهل الشرع فانه يأخذ ربع ريال على كل عشرة وقد كانت قبل ذلك على

حسب المشيئة (ومنها) ترتيب استخلاص أعشار الحبوب التي اضطرب حالها أيضا فقرر
عشر كل ماشية أي ما يحرثه الرجل او حدفي السنة الواحدة على الحيوانات المناسبة
بحسب كل جهة وبذرها مما يطلق عليه اسم الماشية هنا الثلاث في خمسة ويبات قمحا
ومثلها شعيرا الذي هو أقل ما يمكن ان يكون عشر الخارج من النبات في أعوام السنين
وما زاد على ذلك من العشر الحقيقي فهو في عهدة ديانة صاحب الزرع بدفعه ان أراد
واذا أثبت صاحب الزرع ما احتاج زرعه فانه يسقط عنه مقدار ما ضاع له ويؤدي أجرة
الكيل والتقييد والنقد بزيادة عشرة ريالات على كل ماشية هذا كله في الجهات التي تدفع
العشر من ذات الحبوب السابقة وأما الجهات التي تدفع عوض ذلك دراهم لبعدها عن
محل الدفع فان الدافع يدفع خمسين ريالا على كل ماشية في كل سنة زيادة على أجرة
المقاصي وهذا المقدار يراعى فيه حالة صاحب الفلاحة لان ثمن خمسة ويبات من
القمح وحده تبلغ الخمسين ريالا بحسب ثمن كل ويبة عشرة ريالات الذي هو السوم في
أغلب السنين وروعي فيه أيضا جهة الحكومة لما يلزمها من كثرة مصاريف الحمل لعدم
الطرق الصالحة ثم ان ذلك المقدار قسط أيضا تدريجا على أربع سنين يبتدئ بثلاثة
ويبات ونصف من كل نوع على حدته ويزيد في كل سنة نصف ويبة الى ان يصل في
العام الرابع الى خمسة ويبات من كل نوع ومثله ما يقابله من المال وقد تم من ذلك
عمران الايالة بدليل انه عند ولاية المذكور وزيرا مباشرا لم يكن في الايالة عشرة آلاف
ماشية ارضها مزروعة وعند خروجه من خطة الوزارة تركت في المملكة اكثر من مائة الف
ماشية مزروعة (ومنها) التخفيف على خراج الزيتون المسمى بالقانون في الوطن القبلي
الذي كان اجحف باهله في المدة الماضية حتى صار أصحاب الاملاك فيها يتركون ولم
يقبل منهم وأمروا البوادي باحراقه للاستراحة من مطالبه فنزل من ربع الريال والنصف
ريال على كل شجرة الى اثنا عشر ناصري على كل شجرة والناصري هو جزء من تجزئة
الريال الى اثنين وخمسين ناصري ثم اسقط عن أصحاب الزيتون احدى وثلاثين الف
شجرة زيتون احترقت واسقط عنها اداءها اويه بعلم مقدار ما كانوا يعملون ومقدار
نقصان العمران فيما سبق ونشر ذلك في العدد الثاني من رائد سنة ١٢٨٦ الذي هو
الصحيفة الرسمية للحكومة ثم اسقط هذا الاداء بالمرة ورجع الامر الى الوجه الشرعي وهو
العشر على ما يحصل من الزيت وفرح بذلك أصحاب الاملاك وأقاربهم فرحا شديدا
لارتياحهم من اعباء ذلك الثقل العظيم (ومنها) تخفيف قانون نخيل بلاد نفزاوة من عمل

الجريد حيث كان المقياس لغرس الخريص يجمع له غيره ولما فيه من شجرة النخيل خمسا وعشرا فلذلك جعل على كل شجرة من نوع الدقلة ريالا ونصفا وعلى بقية أنواع النخيل منه خراريب على كل شجرة و نخروبة جزء من ستة عشر جزءا من الريال كما تقدم (ومنها) ترتيب مجلس محاسبة العمال والمتوظفين عما تعاطوه بحسب وظيفتهم ولم يوصلوه الى الحكومة وبقيت في اثاثهم و لذا منهم مطلوبين للحكومة بقية باما عليهم فتحرر من ذلك مبالغ جسيمة قبضت الحكومة بعضها او بعضها بقبض املاك الاعدام من قبضه أو للعوض عنه واستقر ذلك من المطالب الباقية على أصحابها من أهل الجريد ودريد وجندوبة والساحل وأولاد عيار وأولاد عون ومن ذلك محاسبة احمد زروق واتباعه وابراهيم بن عياس واعوانه وعلى الساسي وعبد الرحمن بن عمر والحاج الحسنى وملخص الحسابات ما يأتي بيانه

ريالات	
٨٠٠٠٠٠٠	من الساحل حسبما أداه اعضاء مجلس المحاسبة
٤١٥٨٠٨٥٢	من بقية الاعمال المذكورة حسبما شرت المحاسبات
٩١٥٨٠٨٥٢	

٥٨٨	منها أصاغنم	ر ١٢		منها أجرة
٠٦٤	منها بقر	١٣	ر ٠٧	منها أقفزة قمحا
٠٣٠	منها خيل	١٢	ر ١١	منها أقفزة شعيرا
٠٠٢	منها أرطال فضة	ر ٠٤		منها بغال
٣٤٠	منها ابل	ر ٣٦		منها مطروحات تبن

(ومنها) تشجيع المتوظفين على الابتعاد عن الصدور الا من تعاقبت سقطاته فقد حصل واما غيرهم فلم يؤخر من كان من حزبه على غيره ولو على اضداده فلم يدفعهم الاحسان ونقص بذلك اعتبار حزبه حتى رأى الوالي فقد الاعوان واتخذها دربة امر له من الوزارة وصدقت وصايا الحكماء الاقدمين الحاثين على جلب الاصدقاء والاعوان وعدم الركون الى الاعداء لان تقريبهم لا ينفع والاصدقاء يضمحلون بذلك واما دعوى التقرب بالجمهور فذلك أمر لا يتم الا للملوك الذين رسخت قدمهم في الملك بالتوارث وصار انقياد الامس اليهم طبيعيا اما الوزراء فهم أشد الاصناف احتياجا الى معونة الاصدقاء (ومنها) الترغيب في غرس الزيتون والنخيل بان جعل لكل من غرس منها شيئا أن لا يؤدى عليه شيئا من الاداءات

الاداآت المرتبة على ذلك النوع مدة خمسة عشر سنة (ومنها) رفع الضرر عن أهل الساحل من وطأة أصحاب ديونهم فانهم كانوا يسجنون المديون مع قيام الرهن بيد الدائن ويبيعون غلة الاحباس المشتركة مع المديونين وغيرهم ويستولون على الجميع ويطلبون الضامن قبل فلس المديون مع عدم اشتراط ذلك ويستولون على مخلفات من مات من المديونين ويبيعونها على غير يد الحكام واذا أفلس المديون لا يتركون له ما يستر به ولا ما يقتات به ويتركون المديون فى السجن بلا تحديد مدة فأبطل جميع ذلك وأجرى فيه أحكام البلاد الشرعية والعرفية (ومنها) ارجاع من هاجر من القطر من الاهالى بالامن لهم والعفو عما سلف منهم جناية واسقاط ما عليهم من المطالب الى الحكومة وكذلك العساكر الذين فروا من القطر حملهم على مثل ذلك (ومنها) ارجاع من نكب من أتباع الحكومة وتأمينهم وتقليدهم مثل ما كانوا عليه من الوظائف ما دام لم يكن من موجب معقول لابعادهم أو نفيهم أو نكبتهم فرجع للقطر والوظيفة السيد الشريف أمير اللواء حسن مقرون وأخوه والوزير رستم والوزير حسين وأمير الامراء محمد المرابط وأمير اللوا يونس الجزيرى وأمير اللوا مراد وأمير الالاى حسين ورديان باشا وأمير الالاى حسين مدلجى والقائم مقام على جهان وغيرهم (ومنها) حصر الديون التى على أهل الساحل من الاجانب وبناؤها على أساس لائق بمحاسن بحيث انقطع تفاقم الربا وتضاعفت ربوت الصلح وجعل خلاصهم مدة معينة على اقساط (ومنها) ان أمير لواء العسة اذ ذاك على ابن فريجة نقم عليه الوالى وأرادوا ان يأخذوا منه أهم مصوغه ومكسبه بأوجه من الدعاوى بلا بينة ولا ترافع كما وقع مع الشهيد ابن اسماعيل السنى ورشيد فامتنع الوزير خير الدين واقام له مجالس لمحاسبته ومكنه من مصوغه وما ثبت عليه بعد الحساب دفعه باختياره (ومنها) بذل وسعه فى استحصال فرمان سنة ١٢٨٨ السابق ذكره على ما مر شرحه ومن فرح الوالى به واكرامه على ما تم على يده ان وجه له وهو مقيم عاصمة الدولة العلية مصطفى ابن اسماعيل أقرب المقربين اليه ومستشار الدرجة محمد البكوش لاكرامه ما أمره وابلاغ الشكر اليه وأرادوا ان يلبسه نيشان البيت الحسينى فتعرض له الوزير مصطفى خزنه دار وابدل له نيشان الصنف الاكبر بنيشان منه مرصع ثم كافأه على ذلك بمرتب عمرى قدره خمسة وستون الف ريال تونسيه فى السنة ثم عاوض له هذا المرتب بهنشير أى أرض وسيعة تعرف بالنفيضة (ومنها) اسقاط جميع البقايا الباقية على الاهالى من مداخيل الحكومة على اختلاف أنواعها سابق تاريخ سنة ١٢٨٦ الذى هو

عهد مباشرته للوظيفة وانبعثت بذلك آمال الأهالي إلى تعمير الأرض حيث كانوا يرون أن
ثمرة أعمالهم ينتفعون بها فبادروا للوفاء بتلك البقايا الباهظة التي دفعوا أضعافها
(ومنها) تركيب المجلس للحكم في نازلة الوزير مصطفى خزنه دار عند عزله كما تقدم
شرحه وتخشيه العادة في مثل ذلك من كون الوزارة هي التي تباشر مثل تلك النوازل
لينفي الشكوك والتهم ومنذ ذلك التاريخ انفرد الوزير خير الدين بالوزارة حسا ومعنى ولقبه
الوالي بالوزير الأكبر وأبطل لقب الوزير المباشر وقلده بنيشان بيته الحسيني
مع نقله إلى رياسة الكومسيون المالي وذلك في غرة رمضان سنة ١٢٩٠
فزينت البلاد وقد الأهالي محافل لبانة مع التنوير وهكذا سائر بلدان المملكة ونواحي
عربانها إذ أذكرهم ما حصل لهم من حرمانه سنة ١٢٨٨ حسبما سبقت الإشارة إليه
لثقتهم بالاستراحة من تصرفات السابق وأمامهم بارد باد إصلاحات المتولي لما عرفوا من
أياديه المذكورة وفي هاته الأثناء تم إسقاط خراج الزيتون المسمى بالقانون في الوطن
القبلي الذي مر ذكره وجعل عوضه لخزينة الدولة تعميم الخروبة على جميع الأملاك سواء
أكثرت أو سكن فيها المالك بأن يقوم كراؤها ويدفع بحسبه خروبة على كل ريال أي جزأ
من ستة عشر جزأ وعم ذلك البلدان والقرى والبساتين لأن أرباب أصحاب الذين لم يرتضوا
بإسقاط القانون لا يعوض عنه في الدخل ومن تصرفاته بعد ذلك تنظيم جمعية الأوقاف
بأن جمع دفتر الأوقاف مطلقا في جميع أنحاء القطر وجعل لها جمعية من أعيان الأهالي مركبة من
رئيس ونائب وعضوين وكان المحرر والمباشر لهاته الوظيفة التي جعلها ينظرون في
مصالح الأوقاف سواء كانت أهلية أو على أعمال البر لكن الأهلية نظرهم فيها بإرشاد
أهلها لإقامتها وحراستها من الإتلاف والتي على أعمال البر يتولون إدارتها وحفظها إذ
كانت تلاعبت بها أيدي الأهملين حتى كانت مداخيل المحصلات في من وقف له شيء من
الدخل قليلا أو كثيرا لا يعطى لأحد ذوي التقرب أو الاستفادة بيده التصرف وتعطلت
منافع الأوقاف وأهمل الوقوف عليها إلى أن خرب أكثرها وقد عينت ثقاة تقرير ما يكفي
لإصلاح الموقوف عليه وحده فكان تقديره ما يكفي ٣،٦٦٧٧٥ ريالات مع
تعطيل مرتبات الشعائر وتراكم ديون القوانين الراجعة للحكومة من الموظفات على
الأوقاف حتى صار عليها من الدين ما يقرب من نصف مليون فتدارك أمره بذلك الترتيب
وأحييت الجوامع والمساجد والمدارس في كل جهات القطر وهكذا الأوقاف على قراءة
القرآن وغيره من أنواع البر ولكنه حبس الأوقاف عدا أوقاف الحرمين الشريفين

وهذا

وعدا أوقاف جامع الزيتونة لأن ذلك مستثنى من العموم لكل ادارة مخصوصة وهكذا
أوقاف المدرسة الصادقية الآتي في بيانها فما عدا ما ذكر وعدا الأوقاف الأهلية
والزوايا التي لها ذرية كان دخله في السنة الأولى من مباشرتي وهي سنة ١٢٩١
١٢٠٤٠٠٠ وصار دخله في السنة الخامسة وهي آخر السنين التي باشرت الادارة فيها
بقيامها وهي سنة ١٢٩٥ ما قدره ٢١٥٤٠٧٣ وأصلحت في مدة الخمس سنين
٢٣٣٠ مكانا وكان المصروف في سنة ١٢٩٥ على خصوص اقامة الشعائر
٥٦٧٠٨٢ وما دفع للحكومة في قوانينها على ما يخص الأوقاف ١٩٠٩٣٤ وكان
المصروف في الاصلاحات ١٦٨٠٧٢ مجموع ذلك ٩٣٠١٢٣ ثم كان
المصروف من الدخل المذكور على عموم المصالح غير الموقوف عليه ٥٠٦٤٠٩
الجميع ريالات تونسية كما نشر جميع ذلك بالرائد التونسي الذي هو صحيفة الرسمية
للحكومة ومن تصرفاته التي فتحنا فيها اجراء مرتب لأهل المجلس الشرعي بالحاضرة
وقد كان هذا المرتب عين لهم في مبادي ولاية محمد الصادق باشا على أن يكون من فواضل
الأوقاف وجعلت ادارة الأوقاف لنظر مختص فلم تقم به ولا دفعت تلك المرتبات الا
في بعض أشهر واستعملت اذ ذاك معارضات كثيرة وصرفت في ذلك المصرف
وضاعت الموقوفات ومع ذلك لم يحصل المقصود حتى انبعثت وكالة بعض الأوقاف لأهل
المجلس الشرعي مرفقة لهم لكي يستغلوا منها مثل المرتب فجرى فيها مثل
ما كان ولم يحصل لهم المقصود حتى ذكر بعضهم أنه كان ناله في جميع السنة خمسمائة
ريال وأجرى لهم الوزير خير الدين من فواضل الأوقاف خمسمائة ريال في كل شهر على
مجرد الخطة الشرعية ولكل من شيخ الاسلام ورئيس الفتوى من المالكية
ثمانية آلاف في السنة عدا ما لكل منهم من مرتبات وظائف أخرى وجرايات من
القمح عشرة أقفزة ومثلها شعيرا واثني عشر مطرا زيتا ويزيد لكل من الرئيسين
المذكورين على ما ذكر قفيزين من كل نوع وثلاثة امطار زيتا واطرد جريان ذلك ولم
يتأخر عن أصحابه ولا شهرا واحدا مدة مباشرتي (ومنها) أيضا الزيادة في مرتب
المدرسين بجامع الزيتونة الذين مر ذكر ترتيبهم من أحمد باشا فزاد لكل مدرس من
الطبقة الأولى ثلاثة ريالات يومية ولأهل الطبقة الثانية ريالا واحدا وكان اجراء ذلك
أولا من مال الحكومة ثم أجريته لهم من فواضل الأوقاف (ومنها) جعل مرتب
للحكام الشرعيين في جميع بلدان القطر على خصوص وظيفة الحكم الشرعي ولم يكن لهم

ذلك من قبل بل كانوا مقتصرين على مرتبات من دروس وامامة وخطابة فاجريت لكل
قاض يباشر فيها معاش مائة وخمسين ريالا في الشهر ولكل مفتي مائة وعشرين ولكل
رئيس فتوى مائة وخمسين ولكل قاض في بلد لا مفتي بها وهي البلدان الصغيرة تسعين
ريالا في الشهر (ومنها) جعل وكيل للخصام عن الناس العاجزين عن الخصام
بأنفسهم وللعاجزين عن أجرة الوكيل (ومنها) احداث طريق صناعي بين تونس
وحمام الأنف طوله نحو اثني عشر ميلا وقد كان ذلك الطريق الذي هو أهم طرق جهات
القطر يتعطل المرور فيه زمن الشتاء لكثرة الوحل وتموت فيه حيوانات كثيرة للمارة ولا
يكاد يصل صاحب العجلة فيه مع قوة مراكبه التي تجر العجلة الا في نحو نصف يوم هذا
ان سلمت عجلته حتى ان الامراء والوزراء يربطون في عجلاتهم أربعة من الخيل أو البغال أو
أكثر ان يسوغ له ذلك ولا يصل الى حمام الانف الا في أربع ساعات أو أربعا لصعوبته
فلا يستطيعون المرور فيه وترى المارة يرودون الطرق البعيدة بأضعاف طول ذلك
الطريق الذي هو ضروري لجميع من كان في الجهة الجنوبية الشرقية من القطر كأهل
الساحل وصفاقس والاعراض والجريد وغيرهم فزال جميع التعطيل باحداث ذلك
الطريق وان عده بعضهم من التحسينات التي تأخر عنها فهو لجهله بأسباب
العمران وعدم تفرقته بين الضروري والتحسيني (ومنها) التحجير على معاوضة
الأوقاف بمال من النقود بل لابد بعد المسوغ الشرعي من أن يعوض مكان الوقف
بمكان آخر يدا بيد حيث كان ضاع على الأوقاف بسبب مغالاة تلك الطريقة أموال
طائلة اذ حررت الأموال التي وجدت مقيدة بدفاتر القضاة والمفتين بأنها ثمن أوقاف
عوضت ولم يشتر بثمنها شيء فكان مجموع المال ٢٤٠٠٦٧٣ هذا عدا ما عوض
ولم يرسم في الدفاتر وانما كتب في رسوم أصحابه ولم يبق للوقف حجة فيه وهو أيضا كثير
ثم ذلك المبلغ أكثره ضاع بالمرة اما حصل من أمن تحت يده حيث يقال في الرسم وأمن
تحت يده من يوثق به أو انه أمن تحت يد أناس فقدوا أو افلسوا حتى انه مع غاية الاجتهاد
انما أمكن ان يستخلص من المدينين وبيع المذكورة نحو مائتي ألف ريال فقط
واشترى بها أملاك أوقفت على مرجعها وزالت أسباب الضياع بسبب ذلك التحجير
(ومنها) التحجير على العدول الذين يكتبون رسوم بيوع الاملاك بأنهم مهما وجدوا
في رسم معاوضة أو انزال لأي كراء مؤبد الا وأخبروا به جمعية الأوقاف لكي تحرر ذلك
الرسم فنتج من ذلك ظهور أموال للأوقاف تبلغ قيمتها مئات الألوف كما ظهر بالبحث
أيضا

أيضا أملاك أخرى أصلها وقف واستولت عليه أيدي العدوان ورجعت إلى أوقافها
بالمرافعة بالأحكام الشرعية وكان من جملتها نيف وسبعون هنشيرا أي قطعة من الأرض
المتسعة ما بين كبير وصغير زيادة على الزياتين وغيرها من الأملاك التي تتجاوز قيمتها المليون
(ومنها) إبراء من كانت عليه رسوم في أموال من المعاوضات المذكورة مثبتة في دفاتر
القصاصة مع أن أصحابها دفعوها أو اشتروا بها أملاكا رجعت إلى أوقافها ولم يكتب على
الرسوم في الدفاتر ذلك حتى لو ضاعت حجة الخلاص على المدين لبقيت رسوم الدين عليه
قائمة والحال أنه خالص وكان الذي تحرر من ذلك القبيل ما يبلغ المائتين ألف ريال
أو تزيد فأبرئت أصحابها وأعلم على رسوم الدين بالخلاص (ومنها) أن عائلة حاجي
الصباغ الذي مر ذكره به كانت له علاقة بالوزير السابق قد نال الحماية من دولة الطاليان مع
أنه تونسي ولم يتحرر عليه طرق تكلم الوزير المذكور مع دولة الطاليان بمناسبة إلى أن
صدر مكتوب منها رسمي بأن الصباغ المذكور لا شأن له بحماية الطاليان في خصوص القطر
التونسي ولا تجري عليه أحكام بلاده وإنما يكون طاليانيا إذا كان في غير ذلك القطر
(ومنها) إنشاء مجلس مختلط من متوطني أهالي وتبعات الدول الأجنبية الذين هم
كثرة رعايا في القطر برئاسة أحد المتوظفين التونسية للحكم في نوازل الديون والمعاملات
المالية الواقعة بين أهل القطر والأجانب فيما إذا كان لا تجاوز المال الألف ريال ولم
يتناه عن الدخول فيه إلا دولة البرطانية لخلاف وقع في المقدار الذي يجوز التحاكم فيه
لدى ذلك المجلس لأن حواشيها تمانع الحكم في رعاياها على خلاف قانونهم في مقدار
لا يبلغ الألف ريال فقط ودامت المذاكرات في ذلك المعنى إلى أن انفصل الوزير
المذكور عن الوزارة وحصل من هذا المجلس قطع تشعبات عظيمة وحرج كبير في الخصام
لأن الديون المقابلة والمعاملات الصعبة كثيرة الوجود واختلاف الحكم في الدواعي من
لاختلاف المطلبين فزال ذلك بوجود ذلك المجلس (ومنها) شروعه في المذاكرة مع
الدول العظام على اتحاد الأحكام في القطر ولما كان بعض دول أوروبا لا ينقادون إلى
دخول رعاياهم تحت أحكام الشريعة الإسلامية في تونس إذا بقيت حالة القضاة على
ما هي عليه الآن من حيث أنه يوجد لكل من المذهب الحنفي والمذهب المالكي قاض
مطلق الحكم في النوازل مع ما يوجد بين المذهبين من الخلاف في كثير من الفروع بل وفي
المذهب الواحد تختلف الأقوال ويكون للقاضي الاجتهاد في الترجيح والتطبيق
باعتبار الأصلح والعرف فيحكم هذا القاضي في قضية بما يخالف حكم قاض آخر في

مثلا ولا الاوروباويون يريدون ان تكون احكام الدخول عليهم معروفة لهم من قبل
مضبوطة لانهم يتوهمون تفصيل الحاكم الى عدم التوجه نحوه ولذلك احضر الوزير خير
الدين القوانين المعمول بها في الدولة العلية لهذه الاحكام وكذلك القوانين المعمول
بها في مصر وكلف احد امورد العارفين بالاحكام الاوروباوية بان يستخرج من
احكامهم ما يوافق حالة القطر وعوائده وبعد ذلك عقد الوزير المذكور مجلسا مؤلفا من
شيخ الاسلام من العلماء الحنفية وهو الشيخ احمد بن الخوجه ومن عالمين من المجلس
الشرعي المالكية وهما الشيخ محمد النيفر المفتي والشيخ عمر ابن الشيخ قاضي باردو ومن
احد الوجهاء العقلاء العارفين باصلاحات البلاد وخدمتها وهو الوجيه حسونه الحداد
ليستخرج هذا المجلس من مجموع ما تقدم قانونا مرعيا مناسبا للاحكام الشرعية
والعرفية التي عليها اهل القطر من غير تخصيص بحد المذهبين ولكن فاق من الاستفادة
من ثمرة هذا العمل خروج الوزير المذكور من الوزارة وفرت المجلس من عاد لحكم على
سكان قطر واحد ضروري (ومنها) انشاء مدرسة الصادقية لتعليم مبادئ العلوم
الشرعية كالقراءة والكتابة والقرآن والعقائد واصول الفقه الحنفي والمالكي والنحو
والصرف والادب والتاريخ والخط والمعاني وتهذيب الاخلاق والحديث وتعليم
اللغات التركية والفرانساوية والطليانية وتعليم الفنون الرياضية كالحساب والهندسة
والهيئة والجبر والجغرافيا والمساحة ورتب لها معلمين لكل فن وجعلها تقبل مائة وخمسين
تلميذا من جميع ابناء القطر المسلمين منهم خمسون تلميذا من ابناء الحاضرين من المسلمين
وهؤلاء يسكنون بالمدرسة ويقوم بهم زيادة على التعليم بالاكل واللبس والمسكن مجانا
واما المائة الباقية فالمدرسة تقوم لكلهم بدار مرتبة ويتعلمون مجانا ويلزم ان تكون
جميع التلامذة في لباسهم على شكل واحد واوقف عليها من املاك الحكومة
اوقافا لها مال يزيد دخلها السنوي على المائتين والخمسين الف ريال وتم من انشاء
البلاد ما شهد لهم به الوافدون من اهل اوروبا والحاضرون لافتتاحها ومثل هاته المدرسة
ضروري للمملكة الاسلامية بما في العلوم الرياضية التي احتاجت الامة وغالب
التلامذة من ابناء المسلمين من خصوص الاهالي لان ابناء الاجانب لا يمكن اجراء الترتيب
في حقهم مطلقا لا اذا وافق اولياؤهم والموفقين لهم كانت عمومية في كل وقت سيما
مع اختلاف الاحكام التي مر ذكرها وايضا من خصوصيات المملكة الاسلامية تعدد
استحكامهم للمعارف ان يتقدموا في جميع الوظائف احتياجها في القطر على غيرهم

وهذا

وهذا العمل يليق بأن ينظر ما الأحسن فانما تقدم من مقدم بخصوصيات أخرى
وما يخص المسلمين ولا يعمهم بالنسبة اليهم وقبل هذا كان أمر ذلك في فصل صفة
القصر ثم أولئك القائلون لا يرغبون في اتباع جميع تراتيب المدرسة التي منها تعلم
العلوم الشرعية التي هي المقصد الاهم لكي يحصل التبصر من علماء الديانة بالعلوم
الرياضية ويعرفون ما بين ما ظهر بحسب بادي الرأي أنه مخالف للشرع من بعض العلوم
الرياضية ثم ان الوزير المذكور عزم على انشاء مدرسة على ترتيب آخر صالح لدخول
غير المسلمين فيه (ومنها) تحبيس كتب رجعت للحكومة من صلح الوزير السابق
تبلغ نحو الألفي مجلد في الفقه بالخصوص وتحبيس الكتب من احد بنائه بالخزائن التي عمرها
بصدر جامع الزيتونة (ومنها) ما أشار به وأمر من احداث المكتبة الصادقية حول
جامع الزيتونة ووجه لها ترتيبا لم يسبق في البلاد على نحو التراتيب الجارية في
الاستانة والممالك المتمدنة بحيث لا يخرج الكتاب من المحل ويتمتع المريد بما شاء
من الكتب وأنواع الاستمتاع مع تحسين هيئة المكان وحسن فرشه والمحابر
والاقلام وساعة للاعلام بالوقت والرسم بأن كل الاوامر الرسمية العامة تجعل نسخة منها
بتلك المكتبة استحسانا لكل من أراد مراجعة ذلك وأتم وضع الكتب وترتيبها
على نسق يسهل لاستخراج ما يراد مطالعتها ووقف عليها جميع كتبه العربية وكانت تبلغ
نحو ألفي مجلد كما جمع بها سائر الكتب التي كانت مفرقة في الجوامع والمدارس
ولا شتها أيدي التلف حتى ضاع أكثرها فان خزانة كتب الحنفية بالمدرسة الحسينية
وجد بها مكتوب ولم يوجد بها ولا ورقة مع أنها كانت تشتمل على مئات من المجلدات
وهكذا أغلب الخزائن مع عدم النفع بها لأن كانت بيده وهم أفراد قليلون يعسر عليهم
وجدان الكتاب الذي يريدونه لعدم ترتيب وضبط وضبطها بدفتر وعدد فضبطت وعم
النفع بها لكل من يسعى المطالب حتى قال بعض من كانت بيدهم تلك الخزائن أقسم
اني الآن استفدت مما كان تحت يدي من الكتب أحسن مما كان عندي (ومنها) انشاء
مجلس مكلف بمحافظة البلاد كأنه شعبة من أعضاء البلدي لكنه يزيد عليه بتحويل
أعضاء من الاحباس لتستمر ادارة الاحباس ما يلزم لنظافة فيه وحصل به شيء من النظافة
الضرورية (ومنها) انشاء ترتيب العلوم وتدريسها بالجامع الاعظم جامع الزيتونة حتى
لا تهجر علوم ولا يزاد على مقدار الحاجة في غيرها وتتبع الدروس وتجرى على الوجه
المطلوب للوصول وجعل امتحانا للتلامذة في كل سنة حتى لا يتقدم للوظائف العلمية

الامن ذمته تحاشيه وتحصيله (ومنها) انشاء ترتيب في ادارة المجالس الشرعية
لقطع وجوه تطويل الخصومات ودفع تعارض الاحكام وتسهيل المراجعة بينهم
وتحديد أجرة أتعابهم وتعيين محل للحكام الشرعية خارج الحاضرة حيث كان كل
يحكم في مكانه بحيث صارت المحاكم الشرعية معلومة مضبوطة أوقات الانتصاب فيها
الى الحكم وان كانت لذلك سابقية في خصوص الحاضرة من مدة محمد باشا
لكن اعتراها الاختلال فجدد نظامها على حسب الوقت (ومنها) انشاء ترتيب
لاعمال العدول المنتصبين للشهادة وضبط عددهم بالموجودين وحصر المحتاج اليه
في كل جهة بعدد مخصوص وعدم تولية غير الموجودين الى ان يصل العدد الى القدر
المحصور فيه واذا نقص منه احد لا يراد الا بانتخاب أهل للشرع مع ضبط كيفية
أداء الشهادة وتحملها وكتبها بما يدفع به حصول الزور ويبعد به التهم (ومنها)
احياء ارسال محصول أوقاف الحرمين الشريفين للمستحقين من أهلهما بعد ان مضت
على ابطال ذلك سنوات وأكلت أموال تلك الاوقاف على غير وجهها منذ ولاية
الوزير خير الدين اطرد ارسالها (ومنها) انشاء سجن عمومي للنساء وآخر
للرجال على الصفة المعروفة في البلاد المتمدنة من النظافة وتخلل الهواء وترتيب
والفرش الضرورية للنوم ومحل للطهارة ومسجد للصلاة وجعله مشتملا على عدة اقسام
بحسب الجنايات التي يسجن فيها وبحسب حال المسجون من السن والمرض بحيث
صار سجنا لا مكان مقتلا وان حصر دخوله فيمن يحكم عليه بالسجن أما الموقوفون
فقد صاروا يوقفون في السجن القديم فكانوا أشد عقوبة ممن ثبتت عليهم الجنايات
ولذلك كان الوزير خير الدين المذكور عازما على احداث محل للايقاف (ومنها)
حصر أجرة أعوان الحكومة وأشباههم المرتبين في الاتيان بالجناة في مقادير معلومة
معلق بها العموم على حسب الجنايات وبعد مكان الجلب بحيث صار ذلك القدر
معينا بالحكم فقد رفع بحيف لما كان من عدم ضبطه لارادة المرسل الذي كثيرا ما اضر
بالجناة بل بالذي تثبت براءته أكثر مما ناله من الحكم (ومنها) جعل خزنة تجمع
جامكية أولئك الاعوان الموجهين من الحكومة ويخرج منها في رأس كل شهر أجر
معين للاعوان المسمين بالنوبة الذين كانوا يأخذون مقادير من رب الشكاية
ويقع بسبب ذلك محاباة في تقديم بعض المشتكين على بعض ثم يقسم الباقي على
الاعوان الاخر الذين في نوبة الخدمة على حسب رتبهم وحصل بذلك تعادل فيما

يحصل للأعوان وتحسين في هيئتهم وشاراتهم لأنه قبل ذلك كان الفقير عند ترتيبه ثم
يحصل على مال كثير وقد يبقى على الإعدام مع اعتياد الوظيفة (ومنها) أن من
يطلب من المشتكى بهم وتثبت براءته لا يؤدي أجر طالبه سواء كان في مال أو جناية
فإن كان للمشتكي شبهة راجحة في شكايته لا يؤدي هو أيضا الأجر ويحسب المتوجه
في النازلة كأن لم يتوجه فيما ويعد توجهه في نازلة أخرى لأن أجره في الواقع يخرج من
عموم ما في خزينة الأعوان وإلا بأن ظهر تعدي المشتكي بالباطل فهو أحق بالحمل عليه
(ومنها) حصر أجر ما يكتب من التحصيلات في خصومات الأهالي على أيدي العمال
في مقدار معين وهو ريالات ٢ ٢ ٢ بحيث لم يبق الأمر على مشيئتهم لدى كثيرا ما كان
سببا لامتداد أيديهم لأموال الأهالي (ومنها) الأمر بعدم التشديد في ترتيب الكلف على
من يطلبه أعوان الحكومة من الجناة إذ كان وسيلة لهم في التوصل إلى المال (ومنها)
إبدال السكة المصنوعة التي كانت ناقصة في الوزن ومن كانت في يده يبدل له في الحال
بسكة الذهب الكاملة بدلا عنها على خلاف ما سبق كما مر ذلك في واقعة الفلوس النحاس
(ومنها) ضبط العرف الجاري به العمل في الفلاحة التي هي أهم أشغال أهل القطر
ومورد ثروته وضبط ما يتعلق بشركة الخماس في قانون معروف يرجع له عند الحاجة
وقد كان من قبل لا يعرف له مرجع إلا ما يقرره أفراد أصحاب الفلاحة وكثيرا ما يقع
بينهم الاختلاف في الإخبار عن العادة والعرف حتى يصار إلى تحكيم ما يحكم به (ومنها)
ترتيب مجلس الصحة العمومي على النحو الجاري به العمل في الممالك المتمدنة وجعل له
قانون خاص يرجع إليه وأدخل في عضويته أناس أجانب متوطنين مع الحكومة مع أهل
الدول لديهم إخصاء لتلك المجالس (ومنها) إنشاء ترتيب الكيفية أعمال العمال في
مواصلاتهم مع الحكومة وضبط مكاتيبهم وأحكامهم في دفاتر لتكون حجة فيما يراد
الرجوع إليه ولم يدخل للوصف فيما هي أعمال السابق عليه هذا وأما ما يرجع إلى
تحسين مالية الحكومة والأهالي فقد شدد التحكير على العمال وسائر المتوظفين وحصر
أوجه الدخل والخرج وبناه على ميزان مستوى على نظر قسم نظار من الكومسيون
المالي وضبط كيفية القبض من الرعايا بأن كل من يدفع ما عليه من المال يعطى الذي
أمنوت في معرفة مقدار الأهالي جميعا بالحديد مجعة من نوع خاص من الورقات على
شكل خاص مختومة من طبع القبلة أو جانبها مطبوعة من دفتر خاص بذلك بحيث يبقى
نصف الرقعة في الدفتر موسومة بها نظير ما بيد صاحب المال لينضبط الاستخلاص ولا تمتد

الايدى الى الاموال ومن خالف ذلك عوقب على حسب جنايته ثم خفف كثيرا من الاداء
على البضائع الخارجة من القطر لدى هو لامر معقول للتكثير مروق فى القطر ونفاق
بضائعه واستعواضها بأموال غيره وذلك يحصل بترخيصها وتسهيل نقلها واخراجها
فصدر لذلك مكتوب الوالى للقناصل جميعا بما يأتى بيانه (الاداء على البضائع)

ما كان سابقا	ما استقر عليه الحال	
ريالات	ريالات	
٣٠	١٠	قنطار الشمع
٤٠	٢٠	الصوف المغسول عدا ما يؤدى للقمرق ودار الجلد وهو ٤
١٢	٦٠	قنطار الجلد الفريك
٣٠	١٠	قنطار الصوف بوشوف أى المركب من المغسول وغيرها
٢٠	١٠	قنطار الصوف غير المغسول عدا ما للقمرق ودار الجلد وهو ٢
٢٠	١٠	قنطار التمر الدقلة
٦٠	٣٠	قنطار التمر الحرة
٦٠	١٢	ترفاس
٠٤	٠٢	البصر
٢٠	١٠	جلد المعز
١٥	٠٨	بطانة الغنم أى جلدها
٣٠	١٠	القطن المصنوع
٣٠	١٠	النيله
٠٥	٠٥	الصمعة كاصله نوع من الابزر
٠٤	٠٤	القمطى مثله
٢٥	١٠	العسل
٦٠	٣٠	الشف أى لا ينفع المغسول
٤٠	١٠	الموه نوع من الصبغ
٧٢	٠٣	الحناء
٢٥	١٠	القرنية نوع من السمك

ما كان سابقا	ما استقر عليه الحال	
ريالات	ريالات	
١٠	٥	رطل العلق أي دود الماء يستعمل لامتصاص الدم من الانسان في الامراض
١٥	٥	قنطار بيض السمك ولحم البقر
١٠	١٥	قنطار الكتان أي الاسم غير المغسول كاصله
٥	٧	قنطار النحاس أسقط عنه الاداء بالمرة قنطار الصابون
١١	٨	صابون سوسه مع ان اداء الطابع داخل فيه
٠٠	١٦	الزيت وقد كان من قبل يؤدي بالمطر فصيروه وزنا

وعلى النسبة المذكورة وقع التخفيف على مصنوعات الصوف والقطن في جربة التي هي أعرض صناعات أهلها فصار على ما يأتي

على ما يباع من الغزل	٦	في المائة
على ما يخرج من جربة الى غير المملكة	٣	في المائة
اداء العامل على كل شهادة من المصنوعات	٣	ريالات
على ما يباع من المصنوعات	٦	في المائة
على كل شهادة للزام	١½	ريال ونصف

(ومنها) انشاء كرنطينة في جهات الحدود واصلاح الطرق (ومنها) انتساق دفع المرتبات لاصحاب الوظائف حيث توالى وآل بانه بحيث يقبضون مرتباتهم من أول الشهر الا نادرا ما تولى فيه تقدم بنحو شهر واحد عن ميعاده وقد حصل في بعض السنين زيادة في الدخل عن المقدار اللازم للمصروف فاشترى به مقدار من دين الحكومة لذاتها لأنه صار يرجع الى مجلس ادارة المالية عن أصحاب الديون واستفادت منه الحكومة في وقت قلة الدخل لكن لم تتم الفائدة حيث ان بعض المعرضين سعى في اسقاط اعتبار مالية الحكومة على ما سيأتي بيانه ولزم رفع ثمن سهام الدين افراض الحكومة بعض التجار لتمهير الرغبة في شراء الرقاع بما يضمن به التجار ورهنت الرقاع المشتراة للحكومة لذلك القرض ولم ينفع ذلك في ارتفاع الثمن بل زاد في الانحطاط الى ان حصرت الرقاع بالمرة وبيعت بما رهنت فيه وافلس التاجر الذي أقرض المال ومما

حصل من أعمال هذا الوزير مدة ولايته جعل مراكز من العربان في الطرق المهمة
واعفاء أصحاب المراكز من الاداء الموظف على بقية السكان والتزامهم بشيء من الخوف اليوم
على ان يعمروا تلك الجهات ويكونوا مطلوبين بما يحصل في أماكنهم من الجنايات على
المارة حيث انهم هم الحارسون وبذلك وبانفاذ الاحكام من غير محاباة امنت السبل
واستقر الامن حتى صارت القوافل والمسافرون في الامن وعدم الخوف سواء (ومنها)
الاحسان الى المحسن من الاهالي بامنه في ماله وعرضه ونفسه ومن كان مع قناعته تقياً
الوزير واجراء العقاب بالاضعاف على من يخالف الراحة ولا يتبع أوامر الحكومة حتى انه
لما ظهر من فرقة من قبيلة الهمامة عصيان وتعرض للامن بتعديهم لغيرهم من قبائل
واخافة السبل وجه لهم عسكر تحت رئاسة وزير الحرب رستم ودوخهم وعاقبهم على
ما ظهر من حربه وارجعهم الى الطاعة وأمن تلك الجهات وعند ما رجع للحضرة وحلوا
باستقرارهم عادوا الى ما كانوا عليه ثقة بعجز الحكومة عن ارسال عسكر آخر سابقاً ولم
يكن من الوزير خير الدين الا ان وجه عليهم وجوه من العساكر فرسان المحمية والنوائب
والصبايحية مع أوامر يعرفون عليهم من قبائل العربان بان يتوجهوا معهم برجالهم في
أقرب وقت لردع البغاة فلم يكن الا بضعة أيام حتى عاقبوا البغاة وحصدوا شوكتهم
على استمرار الامن منهم الى الآن وعقل هذه الشدة في ابانها والرفق واللين في ابانه
حصلت الفوائد وبادروا الى دفع أموال الحكومة في ابانها وجدت أوامر الحكومة بينهم
وانقادوا لها بطيب نفس لاجرائها العدل فيهم علماً لم يبق لهم خوف من امتداد
الايدي الى مكاسبهم فاقبلوا على العمران وكثرت ثروتهم حتى ان في العام الثاني والثالث
من ولاية هذا الوزير كثر شراء الاعراب للحلي من الصاغة اكثر مما سبق من عادتهم وتكاثر
ذلك تكاثراً فاحشاً الى ان صار الصائغ لا يوفون بحاجتهم وصارت دار السكة كل يوم
تصنع علامة السلامة والصحة مع المصوغ المذكور على بابها وزنة الى عشرات أو مئات
اضعافاً الى ان كثرت الاخبار في الصحف العربية والاوروباوية (ومنها) جعل صندوق
مقفول له منفذ لوضع المكاتيب فيه لمن أراد دفع ظلامته للوزير أو انهاء مصلحة بان يشرح
مقصوده ويبين دليله ولا يلزمه التصريح باسمه ليسهل رفع المظالم وعدم الخوف وجعل
مفتاح المحل لدى يمكن وصول كل الناس اليه عنده والمراد ان يفتح هو بنفسه جميع
المكاتيب ويوقع عليها بما يراه من الملاحظات فيها ويوجهها لاحد أقسام الوزارة الراجعة
اليها النازلة بحيث يكون النوازل على ذكر منه لكي لا يقع التحريف في فحصها

او

أواهمة الخاصة ربما يمكن ان يحدث في بعض النوازل وان نسب اليه بعض المتوظفين في ذلك عدم الثقة ببعضهم وحب الاستبداد بكل الاشغال وهو يقول انه انما جعل التعب على نفسه ولم ينقص من مراتب المتوظفين شيأ الا عدم القدرة على فتح المكاتيب الا باذنه (ومنها) تحسين حالة مطبعة الدولة التي هي ضرورية في هذا الزمان لطبع الكتابات الرسمية وغيرها مما يجري في الوطن من الكتب وتيسير نشر الكتب في الفنون ليسهل تناولها لابناء البشر ويتوصل للانتفاع بها ذوو الحاجة وغيرهم الذي هو من أعظم الاسباب لترقي الامة في المعارف والعلوم وهكذا تحسين ادارة الرائد التونسي الذي هو الجريدة الرسمية للحكومة وصار يصدر في وقته مثل سائر الصحف بعد ان كان لا يخرج منه الا عدد يسير ربما لم ينصف أوائل ما يلزم خروجه مستوفيا والحال انه اسبوعي ثم الافادة فيه بذكار الوزير في المسائل السياسية مما كان ينشره فيه من المقالات المرشدة الذي هو ضروري للحكومة في ايقاظ أهالي المملكة وارشادهم لما تريده بالاضافة الى غير ذلك من فوائد الصحف على ما سيأتي في الخاتمة ان شاء الله تعالى زيادة على نشر الاوامر الرسمية ليستوي في معرفتها القريب والبعيد ودليل ما ذكرناه اختلاف حال الرائد بعد خروج الوزير من الوزارة عما كان من نشر مقالات السياسة كمقالة المدار على الرجال وغيرها. مما هو كثير والزم المتوظفين بقراءته وأخذه ليقنع المتوظفين ان لا علم أحوال حكومته فضلا عن غيرها بل ذلك شرط في التوظف في الممالك المتمدنة (ومنها) جعل خزائن المكاتيب الحكومية وجمع العتيق منها على ترتيب يسهل به معرفتها والتوصل اليها في أقرب وقت وذلك من أهم الامور (ومنها) تعميم أمر تعظيم المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بعمل المواكب في جميع البلدان بالقطر مع اطلاق المدافع عند الوقوف لسماع الابيات (وهي قوله)

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب
أما الله تعظيما له كتب اسمه * على عرشه يا رتبة سمت الرتب
فقم أيها الراجي لنيل سعادة * قيام محب صادق الحب والادب
وفي الله كل الامر الحب اختار ذاته * بقلب له في الحب وجد له طب
ورب جليل عظم الناس ذكره * فكيف وهذا سيد العجم والعرب
عليه صلاة الله ثم سلامه * يكونان للرضوان أعظم السبب

وعمل جميع ما يعمل مثله في الحاضرة على نفقة الحكومة (ومنها) تحرير المكاييل
والاوزان وتحرير مكيال تحدس أي الحص (ومنها) انشاء معمل القار بمدينة تكابرية
في الحاضرة (ومنها) انشاء بطحاء القصبة وتحديدها وانشاء قصر للوالي على الوجه المطل
على البطحاء المذكورة من قصر المملكة الذي بناه حمودة باشا واكمال بناء السوق
المحيط ببطحاء المذكورة وتعميره بتجار من الاهالي وترغيبهم بالشراء منهم والجلوس
بحوانيتهم وقدوم الوالي اليهم في بعض ليالي المواسم وتحسين الحصن المطل على البطحاء
المذكورة (ومنها) فتح باب للجامع العتيق الكائن بالقصبة على الطريق العام حتى عمر
بالمصلين واتسع به المصلون وقد كان من قبل لا تكاد تصح فيه جماعة لان له بابا واحدا
داخل القصبة وقد غلبت عليه السكان منذ زمان (ومنها) تعهد ذلك السور الخارج المحيط
بالحاضرة بالاصلاح واصلاحه من الاوقاف واصلحت الحصون المحيطة بالحاضرة وكذلك
أغلب حصون البلدان التي بها حصون كصفاقس والقيروان وسوسة وقفصة (ومنها)
انشاء بطحاء عظيمة خارج باب الجزيرة مستقيمة الطريق الموصل منها للجزيرة وهكذا انشاء
عدة طرق في البلاد واصلاح غيرها (ومنها) العناية باحياء صناعة النقش حديدة أي
النقش على الجبس المطلي على الحيوط والقباب التي هي أغرب صناعات تونس والمغرب
في البناء وقد انعدم صناعها من البلدان فجاء عارف بها من المغرب فجعل له الوزير خير
الدين اجرا وصاحبه بعدة أناس من الاهالي وأحسن اليهم الى أن تعلموا الصناعة المغربية
بعد اندثارها والحاصل انه أجرى مصالح عديدة ومن أعظمها اتساع مادة الرشا وبيع
الوظائف الذي هو أساس العدل حتى عفت المكاسب وانكفت أيدي المتوظفين الا
ما كان على وجه الاختلاس مما لا يمكن الضرر منه ولا يرفع أمره اليه أو يبلغه بواسطة من
الوسائط اليه بحيث يقال في مدته ولاية في العمران حكومته استبدادية عادلة ناحية
منحى الشورى لان أغلب ما يذكر من الخصال كان يعقد له مجلسا من أعيان الاهالي
أو أعيان المتوظفين أو العلماء والاغلب ان تكون تحت رئاسته ولا يتم أمر الا بعد
التوافق والتأييد برفقه وأحبته الاهالي واعترفوا بفضله عليها وقد أتاهم بعد شدة تقدم
ذكرها حتى انه لما تم امتحان تلامذة المدرسة الصادقية في السنة الاولى وراى اباؤهم
ما بذلوه في التعليم ظهروا ممنونيتهم وشكرهم بان اتحدوا صنعة كرسيين وجعلوا
لهما امرين فاخرين وكتبوا على الاول منهما بالياقوت الابيض على احدى الدوائر
المحفوظ بالسور والآي وعلى الثانية محمد الصادق باي وعلى الثاني منهما بالياقوت

بيض

الابيض ابقاء على احدى الدفتين الناصح الامين وعلى الثانية الوزير خير الدين وذلك اللقب هو الذي جرى التعارف في اطلاقه عليه عند اغلب الاهالي ودفع ثمن ذلك اباء التلامذة من اموالهم كل على قدرته فمنهم من دفع ريالا واحدا وهو باق رسمه وثيقة لكدر ان لم يؤخذ منه ومنهم من دفع عدة آلاف واهدوا المصحف للوالي وللوزير مع خطبة مفصحة عن الباعث على ذلك وهو نتائج المعارف لابنائهم ثم بعد سنتين اجتمع اعيان من التجار البلدية وغيرهم من اعيان العربان وبعض اصحاب الاملاك المثرين وصنعوا في لندره مكتبة اي مائدة للكتابة من خشب رفيع مذهبة وعليها دواة من ذهب وعليها ميزان اشارة الى العدل وكتب عليها اسم الوزير خير الدين واهدوه في راس العام الى الوزير المذكور مع خطبة مفصحة عن الباعث وهو ما حصل من ثمرة اعماله في عموم القطر حتى ازدادت الثروة وعادت اسعار الاملاك وراجت التجارة وهكذا كانت عاقبة سياسته في الخارج على سلم وهناء ولم يحدث مع احدى الدول ادنى صعوبة ولا ظهر من احد القناصل تشدد في نازلة ما من متعلقات دوائرهم وذويهم مع ان بعضهم كان يظهر من ذاته الصعوبة ومعاندة الوزير السابق ومع ذلك لم يعد شيئا يستند اليه في اثارة صعوبة او تنكير هناءة ويعترض على ما حدث مدته ولا يتم في الداخل او الخارج لما يأتي بيانه وهو اعطاء مدته لشركة فرنساوية في احداث طريق حديدية من حاضرة تونس الى الجهة الغربية وانقسم هذا الامر بان سياسة فرانسا في تونس معروفة وذلك الطريق يؤول الى تسهيل استيلائها على البلاد وهنا العقول على فرقتين فبعضهم يرى السهولة من اجل نقل العساكر من الجزائر الى تونس في اقرب وقت ومنهم من يراها بالتسهيل المعنوي وهو زيادة النفوذ والاختصاص بالتجرئ بل يقول بعض الاكابرين ان مرامي تونس اقصر غاية واقصر عنانه اي بونه هي مرمى تونس وهي فرانساوية وذلك لان السلع التي توسق من تونس لا تدخل الى فرنسا الا بدفع اداء يبلغ عشرا في مرامي فرانسا بخلاف ما يوسق من مرسى عنابه فانه اذ دخل الى مرامي فرانسا لا يؤدي شيئا ويكون سببا في التزام التجار توجيه البضائع الى عنابه وتبقى مرامي تونس خالية وزاد للمعترضين قوة في ان القصد بذلك الطريق امر سياسي ان الاتفاق فيه تم في اقرب وقت حتى اشاعوا انه وقع من غير استشارة بقية الوزراء هذه مدار الاعتراضات ونحن نقص قصص ما وقع في النازلة واحوال متعلقاتها ونكل الحكم فيها الى المطالع وهو انه في سنة ١٢٩١ قدمت شركة انكليزية وطلبت منحة لاصطناع طريق حديدية بين تونس ودخلة جندوبة في الجهة

الغربية من القطر المنتبة بأفريقية التي هي أهم الجهات في الفلاحة على ما تقدم بيانه في
الفصل الاول من الباب الثاني من المقدمة على ان تمر الطريق حذو بلد باجة وتصل الى
معدن دجبة المركب من الرصاص والفضة وتختص بتشغيله على أن يكون للحكومة قسط
من دخله بعد طرح المصاريف فقط بما يكون من الربح وحيث كانت منافع طرق
الحديد في الممالك من أعظم أسباب عمرانها على ما سنورده ان شاء الله في الخاتمة وكانت
تونس من أحوج الاقطار اليها لعدم وجود الانهر والترع التي تمكن بها المواصلة بل ولا
مجرد الطرق المعتنى بها وكانت نتائج الزرع في الاماكن الخصبة تعدم نقلها بل
يستحيل زمن الشتاء والوحل وكان ما في زمن صعوبة الطرق يكلف مصاريف باهظة
ربما لا يوفي بها غلاء ثمن الحبوب عند بيعها حتى كان الشعير لا يجلب من تلك الاماكن
لمراسي المملكة ولا البلدان أسواقها لعدم وفاء ثمنه بأجرة حمله فضلا عن الربح فان كلا
منهما يتركه في مكانه الى ان يضيع على أصحابه ولا زال مثل ذلك الى الآن في جبال الماطر
وغيرها بل وكان جلب الحبوب من الاماكن الاجنبية في أسواقهم أرخص من جلبها
من داخل القطر ورأيت في رسالة كاتب دول القنصل الفرانساوي ... الوادي من
تونس التي ألفها في التعريف بأحوال القطر ما معناه ان هذه البلاد التي كانت تسمى
بمطمر حبوب اروبا في الزمن السالف هي الآن يجلب اليها القمح من خارج ويباع
بأرخص مما يجلب من داخلها حتى كان ذلك سببا في تعطيل أكثر أراضيها ووهن أهاليها
(الخ) ولقد صدق في ذلك وكان تأليفه لتلك الرسالة في حدود سنة ١٢٨٠ التي هي زمن تعطيل
أحوالها المذكورة كان احداث الطريق الحديدية ضروريا للقطر وبقي الكلام في
صنعه والامر منحصر في ثلاثة أوجه الاول ان تصنعه الحكومة وقد علم ان أعلى
ماليتها راجع للاجانب بسبب ديونهم وما بقي من دخلها لا يفي بضرورياتها التي
لا مندوحة عنها فلا سبيل لها لاعمال الطريق المذكورة لما يلزمها من كثرة النفقات
(والوجه الثاني) ان يتولى عملها الاهالي وهذا أيضا أمر متعذر وصعب جدا لان سابقة
الفقر فيهم قد أخمدت شدتها وما تراجع لهم من بعد لم يكن موفيا بالمقصود وعلى تسليم
اقتدارهم فانهم لا يلتفتون الى ذلك (اما أولا) فلعدم معرفتهم بفوائد الشركات لان مثل
ذلك لا يوفي به قدرة الواحد وقد علمنا ان فتح أبصارهم للعلوم الرياضية والاقتصادية
والمدنية انما كان بعد ذلك التاريخ وعلى فرض حصول مبدأ التعليم من قبل فلا بد له من
زمان ليرسخ ويعمل به (واما ثانيا) فانهم لا يأمنون على اظهار أموالهم وما بأيديهم من قدم قد

رأوا

رأوا نقض عهد الامانة الملتزم به بعهد اسه وشهادة الدولة العلية وسائر الدول الاجنبية
وحرص دولة فرانسا فى غنائمه ورأوا بأعينهم كيف جرى قتل النفوس وتعذيب الابدان
واستئصال الاموال فما هى قدرة الوزير وحده فى حفظ حقوقهم واموالهم وهل ذلك
الا موقت بوقت تصرفه على انه من الضامن لهم فى بقاء الوزير على ما هو عليه وهل هو
الا بشر قابل للتغير والانكار وبهذا يعلم ايضا عدم امكان جل الاهالى عضدا على منعتهم فى
ذلك الطريق من الوزير خير الدين ولانه كان لهم فيه نفع لكنه يطالبهم باتلاف اموالهم
لما اشرنا اليه بل ولا مع ما يتوقع من استيلاء الحكومة على مداخيل الطريق
والتداخل فى ادارته لا يدوم شغله كما حصل بالعمل فى معمل الملف الذى كان انشاه احمد
باشا ويؤيد ذلك ما حصل من الخلل فى اشياء اخرى مما هو مما مر ذكره وسيأتى كيفية
خلله فتعين حينئذ (الوجه الثالث) فى اعمال الطريق الحديدية وهو اعمالها بدلها
اقتدارا على المال وتأمين عليه وليس ذلك الا للاجانب ولما قدمت الشركة الانكليزية
المار ذكرها وطلبت تلك المنحة عقد الوزير عدة مجالس من بقية الوزراء والمستشارين
وكان بعضها تحت رياسة الوالى نفسه وتم وصوافق مع الجميع مما مر ذكره بنصه واستقر
الرأى على عقد الاتفاق مع تلك الشركة فى احداث الطريق المذكور فعجزت وقد سبقت
شركة انكليزية لاحداث طريق بين الحاضرة وحلق الوادى وتم الاتفاق على شروطه
التى منها ان للشركة ان تمد فروعا من الخط الاصلى يمينا وشمالا لكل فرع وله خمسون
ألف متر واى فوهة وارتفاع ... مبلا اينما ارادت ومنها مدامت سنة ... ثم تشرع
الشركة فى العمل شرع بعده فشرعت الشركة فى جمع المال لذلك غير انها لم تتم لان
الانكليزيين ليس لهم هم فى تجارة تونس ولا فى سياستها ولا يصرفون المال الا بغلبة
الظن فى ربح وقد علموا ان الطرق الحديدية غالبا فى اول امرها تخسر وشاهدوا فى
طريق حلق الوادى عدم الربح لدى اعتقادهم به فبعد انقضاء الاجل طلبت الشركة
أجلا ثانيا املها تحول الرغبة فلم تحصل على شىء وآل امرها ان طلبت من حكومة تونس
ان تتعهد لها بربح خمسة فى المائة على ما تصرفه فان وفى دخل الطريق بذلك او زاد فهو
لها وان نقص او لم يحصل شىء فالحكومة تلتزم باعطاء الخمسة فى المائة او ان الحكومة
تدخل شريكة مع الشركة المذكورة بالربع من رأس المال ولا يخفى ان ذلك لا يتيسر
لان الوزير خير الدين على علم من ضعف مالية الحكومة ومن خسارة الطرق فى اول امرها
ومن الشك فى حصول الربح من المعدن ومن صعوبة المحاسبة والاحتساب مع الاجانب

مع اختلاف الحكم زيادة على كون مثل ذلك لا يتم الا بموافقة الكومسيون المالى الذى
هو المحتسب على مالية الحكومة من الاجانب فرفض مطالب الشركة الانكليزية
المذكورة وسمح بالاتفاق معها واشتهر ذلك بجهات فى اثره شركة فرانساوية وهى المدعاة
الآن شركة يون كالة وطالب زعيمها من الوزير خير الدين احالة الاتفاق الذى سمح مع
الشركة الانكليزية بعينه الى الشركة الفرانساوية المذكورة بلا شرط الضمان
المذكور لكن على شرط ايصال الطريق بطريق الجزائر فاجابه حالا بعدم تيسر ذلك
لما مر من الاسباب التى لا يخفى فرجع الزعيم وقال نكتفى بالحلول محل الشركة
الانكليزية التى سمحت لها باز تغيير بشروط الاتفاق معها فذلك الاتفاق بحال البنا
فاجابه بانه يعرض المطلب على الوالى واجتمع لذلك مجلس مركب من سائر الوزراء
والمستشارين الا لوزير حيث كان فى بيته مريضا لحمام ورثة القايد القيم واستقر رأيهم
على نقل الحصة لما تقدم من البواعث والاسباب ولان الامتناع من خصوص
المتساويين بعد حصول المهلة لهم وعدم الفرق فى الشروط عار عند تقدمها
المعاهدات والحاج ثم وان كان هناك فرق فى سياسة اصل كل من الجنسين لكنه
لا يمكن الاستناد اليه فى الحاج ضمنا وصريح المعاهدات مع الدول قاض ان كل حصة
او منبر او اعتبار يحصل لاحد الاجناس يكون للجنس المعقود معه المعاهدات مثله
بل فى بعضها يقول انه يكون له مثل الجنس الاكثر اعتبارا (الخ) فكيف مع ذلك كله
يمكن الامتناع ولذلك احيل الاتفاق المشار اليه الى هاته الشركة مع زيادة لعرى فى
شروطه للحكومة فكان مما زيد على الشروط السابقة ان قسط الحكومة الذى تأخذه
من المعدن يكون من ذات الخارج قبل طرح المصاريف ومنها ان الجهات التى تمد اليها
الفروع يلزم الاتفاق فيها من قبل المعلم مع الحكومة على مركز المتهية اليه وعلى محل
المرور ومنها ان لا توصل الطريق بطريق الجزائر وبنقد هذا الشرط طلبت الشركة
المذكورة ان يزاد ايضا ان ليس للحكومة ان تمنع الوصل بالجزائر لغير الشركة المذكورة
فزيد ذلك حيث ان المنعة كانت خاصة بل منعة الشركة الانكليزية مع زيادة شروط
لفائدة الحكومة ولم يقع الاتصال ولا طلبه مدة الوزير المذكور وانما وقع فيما بعد على
ما يأتى فى شرحه فى المطلب الثامن ان شاء الله تعالى ويشهد لما فى ذلك من المنافع وعدم
المضرة المكتوب الذى ارسله قسم النظر من الكومسيون المالى الى الوزير خير الدين
اثر انعقاد الاتفاق ونصه سيدى قد اعطاه قسم النظر من الكومسيون المالى بأرا ان

من واجبات مأموريتهم ابداء سرورهم لجنابكم بالاتفاق المنعقد في هذه الايام على
احداث طريق حديدية بين الحاضرة ووطن باجة لان ما يلزم لنقل نتايج الوطن من
المصاريف الباهظة عطل وسق نعمه وكاد ان يبطل أهم فروع متاجر المملكة
مع الاقطار الاجنبية فكان من الاكيد ازالة هذه العوائق بتيسير اشتغال
الفلاحة والمعاملات وقد عرض فيما سبق قسم الامور على جنابكم صورة احداث
طريق اعتيادية بين الحاضرة والوطن المذكور وحيث ان حصول اغراض
الاكيدة منها وقع الآن ما توجه به تمام هذه المصلحة مما لا يثقل ميزانية الدولة مع
استيفاء الشروط الواجب اعتبارها في مثل هذه المشروعات صار رضانا عليها
نظرا الى مصالح البلاد التي هي لا محالة مصالح أهل المملكة والاوروباويين
المتوطنين بها على اختلاف أجناسهم كما هي مصالح أرباب الدين ان نهني جنابكم باتمام
هذا المقصد المبارك ولا يسوغ لجنابكم الا ان يؤملوا النتايج فيه في أقرب وقت بحيث
تتمكن بموجبه الاهالي فيرون ان شاء الله اتساع نطاق التعامل وأسباب العمران في
تلك الجهات وفتح ما بقي مرتجا الى الآن من أبواب الفلاح وموارد الثروة وهذا أول
ما ترتبط به جميع ما بعده من مشروعات المملكة من الطرق الموصلة لمرسيها وللاجانب
(حينئذ) الاقدام ومساعدة الوقت لتجديد شباب المملكة وفلاحتها والصناعة
والمالية بها فتيسر بذلك ما يؤمل جنابكم من نتايجه حتى انه منذ ثلاث سنين من شهر
هذا التقرير الكتب من مظهري ابتداء اعضاء قسم التقرير الكومسيون المالي
في ٢٠ مايه المسيحي سنة ١٨٧٦ وجمع من الاعضاء الانكليزيين والطليانيين
والفرانسويين لو كان في تلك الطريق ما يخل بالسياسة لما سمح الانكليزيون
والطليانيون لان ذلك مناف لسياستهم ولو فرضنا جهلهم بما ينبئهم أهل سياستهم لكي
يكون لهم مستندا يوما ما بل ان أهل سياستهم لم يتعرض منهم أحد بل ذلك على ان توهم
الاستيلاء على الحاضرة بمجرد الطريق المذكورة من الفرانسيس ليس هو الا وهم لان قوة فرانسا
ومنعها من الاستيلاء على تونس ليس هو الوقوف على صعوبة الطريق فان بين مرسى
عنابة ومرسى حلق الوادي مسير ثمني عشر ساعة فقط بالبوابير في البحر وان مرسى ابن زرت
لا تبعد عليها اكثر من ثمان ساعات وسفن فرانسا التي توصلت بها من فرانسا الى
الجزاير بر ومن فرانسا الى ما يتصل بافريقيه العربية والى كشودبانا الهند الشرقية
لا يصعب عليها قطع تلك الساعات في تنبيه وقد ابينا الرأي ما حصل بالعمل في خارج

القطر من هجوم عساكر فرانسا براً وبحراً على القطر سنة ٩٨ ولم تركب ولا فرقة منهم
طريق الحديد المذكور مع وصولها الى حدود الجزائر وأما الاستيلاء المعنوي فان كان
المراد منه زيادة نفوذ وزيادة المصروف أي على ما سيأتي الكلام في الباب الثامن ان شاء الله
وان كان بالمعنى الذي عرفه أحد الانكليزيين وهو نماء مراسي القطر الحالية فهو
مدفوع بأن السلع التي تؤدي عند دخولها الى فرانسا تصير تؤدي ذلك في حدود الجزائر
وغاية الامر ان يتبدل الطريق ومحل الاداء وأما ذات الاداء فهو واحد وبه تصدق
الصنائع سواء دخلت من هاته المراسي أم من هاته وقد اجتمعت في وطن مع الوزير خير
الدين بعد الاتفاق المذكور وشيوع ذلك الاعتراض بما تقدم ذكره فذكر لي في دفعه
بما يقرب مما شرحناه وزاد في الجواب وهو متمم بأن قال ان الاعتراض بأن مآل ذلك
الطريق هو اخلاء مراسي القطر التونسي وانحصارها في مراسي الجزائر (الخ)
هو مما لا طائل تحته أو ذاهب بصاحبه عن فوائد الطرق الحديدية من العمران وسهولة
المواصلة مما يكفي في البرهان عليه الوجود الخارجي في الممالك الحاوية لتلك الطرق
والخالية عنها فان ازدياد عمران الاولى وتوفر مكاسبها وعكس ذلك في الثانية مما يغني
فيه العيان عن البيان فاما المجرد فالكلام معه ضرب في الحديد وأما الجاهل
فجوابنا له ان المضرة من نقل البضائع من طريق الحديد الى الجزائر على ما قالوا اما ان
تحصل للاهالي أو للحكومة فان قالوا انها لاحقة للاهالي بانحصار بيعهم فنرد ذلك ببيان ان الايراد
مداره عندهم على زيادة أسعار بضائعهم فمنع النقل عن أخذ المتعوضين منه ودفعه
لا يتصور الا بمنع النقل المنحصر في طريق الحديد بل اذا خشي من خروج النتائج
الغلاء في البلاد فللحكومة منع الاخراج من أي طريق كان سواء كان من مراسيها ومن
الحدود البرية وان قلنا ان المضرة تحصل للاهالي بانحصار بيعهم من حيث منع الوطن
فهو يرجع (حينئذ) الى منع الحكومة فيكون الجواب شاملا للكلام معه وهو ان
مضرة الحكومة منتفية بما تقدم شرحه من أخذها الاداء فان حتى في خروج القطر سواء
خرجت النتائج من المراسي أم من الحدود البرية على السواء بل نقول ان بالطريق
الحديدية يحصل النفع ودفع الضرر في خصوص الاداء المذكور بخلاف وقت انعدام
الطريق وبيانه ان الحدود ما بين تونس والجزائر ممتدة على جميع طول الحد الغربي
للقطر التونسي المتجاوز لاربعمائة ميل وأغلب سكانه أعراب رحالة يتكسبون بما
يحملونه على ظهور دوابهم فاذا وجدوا أثمان النتائج أعلى في الجزائر أدخلوها الى فرانسا

بدون

بدون اداء لاشتغالهم بنقلون نتائجهم الى المحل الذى تسوى فيه اكثر من غيره كما هو
واقع ويتحملون غلو الكراء بالحمل على الابل لاجل ذلك فاذا جعلت الحكومة مراكز
لاخذ الاداء عند الاخراج من الحدود لا يجعلوا الحال اما ان تجعل المراكز على طول
خط الحدود أو بعضها فى اماكن مخصوصة فعلى الاول يلزم [illegible] (فاما
الاول) فهو ممتنع لكثرة ما يلزمه من الحراس الذين لا يوفى غرمهم بمدخول تلك
الاداء (واما الثانى) فلا يحصل منه المقصود لانه لما كانت جهات الحدود كلها سواء
فصاحب النتائج يتحمل مسير بعض يوم زائد على جهة مركز الحراسة ويخرج
نتائجه بدون اداء شئ ويتخلص من ذلك ان النتائج تخرج الى الجزائر دون اداء للحكومة
التونسية بخلاف ما اذا وجد طريق الحديد فان رخص الحمل فيه يعادل اضعاف الاداء
على النتائج للحكومة والاهالى تعدل عن الحمل على ظهور الابل لغلوها وتؤدى اداء
الحكومة فى مركز الطريق الحديدية ولا يضرهم ذلك لانهم يربحون ما توفر لهم من
الكراء مع قرب المسافة وقصر الوقت والحكومة يمكن لها ضبط مركز الاداء بجعل
حراس عليه لانه محدود معين هذا كله اذا فرضنا توجه الاعتراض وصحته لما اذا يحمل
عليها وجدنا الحال ان المصلحة اعظمت عند تاركة جميع الوزراء والمستشارين عن
تقدم منهم فاذا تشاورت جماعة فى رأى فلا بد ان يقتصر [illegible] على واحد منهم فقط
لجرده الثمرة [illegible] ما يتفرع [illegible] رأى الجميع هذا كلامه على ان هذا كله مفروض عند
وصل الطريق وقد تعطل اشتراطه عدم وصله لمجرد الاسباب السياسية التى يأتى بيانها
لا لما تقدم ذكره فلا ينبنى الاعتراض عند ذلك وسيأتى لهذا مزيد بيان فى موضعه
ان شاء الله تعالى كما وقع الاعتراض على هذا الوزير فى كون الفائض حمل للدين اكثر
من القدر الذى عينت مداخيله لذلك حتى لزم الحكومة اكمال الفائض فى بعض
السنين من دخلها والاستقراض فى بعض السنين برهن مدينة الحلق للايفاء بالفائض
اصالة ومن المعلوم ان خلاص الدين بدين يؤدى الى [illegible] واجيب عن هذا الاعتراض
بما تقدم شرحه فى كيفية الوضع الذى عمل فى الديون وقد ثبت ان الفائض قد حط
من عشرين مليونا الى ستة ملايين [illegible] مشاركة نواب الدائنين ثم تأسيس
ذلك المقدار على معدل المرتبات التى ارسلت من الوزارة السابقة التى وقع فيها اعمال
فى تقدير فصل [illegible] كانت [illegible] وقد رأى الكومسيون الوفاء بذلك فى
بعض السنين ورأى اقتدار الحكومة على الاداء فى بعضها فلا يسلم صاحب المال فى

رهينة بسهولة الاستدانة لتغطية العجز ولا يحصل ذلك الا عند انتهاء فهم النظر من المحكومين
في احوال ميزانية الحكومة لرخصة اصحاب الخاصة وربما كان ذلك غير ملائم
لسياسة الحكومة لمزيد التضييق عليها او التحجير على تصرفاتها اذا تغير خوف الضرر بين
الى ان يكشف الواقع على ما هو في الاقتدار حقيقة بطول المدة والضرر به ونقاد وكلاء
أصحاب الديون عن بينة لكن الوزير خير الدين خرج قبل حصول ذلك كلام الوزير
المذكور افراد قليلون من المتوطنين على عدم احتياجه للقوانين لكن على ان تكون على
غير الكيفية التي سبق بها العمل في تونس بل على وجه يندفع به الاعتراض الذي مر فيها
بان تكون موافقة لاحكام الشرع والمباشرين للاحكام الشخصية هم بعض الحكام
الشرعيين بضبط بعض الاحكام في قول واحد شرعي وجعل مجلس شورى من علماء القطر
اعضاؤه من جميع جهات القطر الى غير ذلك مما يناسب الحال من القوانين مما هو معلوم
من ميله اليها كما مر في الكلام على قوانين عهد الامان وحاصل جوابه الذي علمناه منه
عند ابلاغ الاعتراض اليه وهو بتونس هو ان الدول الاسلامية لا يتيسر ذلك فيها
الا بارادة الملوك او الامراء الذين لهم استقلال في الادارة وقد كان والي تونس اجراها ثم لما
اخلت بالكيفيات التي مر ذكرها كان الوالي المذكور احد النافرين منها ولا يصغى الى
انشائها وليس في ذات الاهالي من يرغب فيها بالالحاح في طلبها لان الافراد قليلون حكما بان
بان كشف عيب وقع عند ابقائها كان بالاعتبار للاعيان عند اعلان الدولة العلية
بالقانون الاساسي فلم يبق الا احد شيئين وهما ما فعله الوزير خير الدين في الخطة بدون
القوانين لرفع ما يستطيعه بذاته او انه لا يبقى في الخطة الا بوجود القوانين فاختار هو
الوجه الاول بدعوى عدم امكان الوجه الثاني وهي نه لدعوى المستندة لما تقدم ذكره
ربما عند البعض خلافها لانه لو قدر والي تونس في اول الامر اصرار الوزير على عدم
البقاء في الخطة الا بوجود القوانين لكان يحصل المقصود وتدوم القوانين معمولا بها في
الاقل مدة بقائه ولا لوم عليه بعد ان نصح وبلغ الجهد وحق له العذر وقد كنا اطلعنا على
تحرير للوزير المذكور بعد انفصاله من الخطة بتونس في الجواب عن الاعتراض بما ذكر
واثبتنا خلاصته هنا ليحكم الطالع بين الشقين وحاصله انه لقنا ان اتباع الاهواء على عدم
تأسيسها في مدة وزارتنا اقتضت السياسة الاعراض عنها لكن شهود التي كنا اوضحنا
في كتابنا تقوم لصالح الدولة النقلية والعقلية على لزوم تأسيسها او اجراء العمل بها واما
كون صدور مثل هذا اللوم متأتيا عن عدم فهم من صدر منه لما كنا شرحناه في الكتاب
المذكور

المذكور من الاحوال التي تنبني عليها التنظيمات وجب اعادة الكلام على ذلك
وبذلك يتضح الجواب عما ذكر فنقول ان تأسيس التنظيمات السياسية الحاملة على
اتباع المصلحة قد شوهد انها نشأت في الممالك المتقدمة بها باحدى طريقتين احداهما
ان يكون تأسيسها من الراعي وثانيتهما ان تطلبها الرعية والصورة الاولى هي الممكنة في
الممالك الاسلامية اذا تنبه الراعي لفوائد التنظيمات فسعى بجد واجتهد في
تأسيسها وحمل الناس عليها مستعينا بالله وباهل الدراية والمروءة حتى تدرك العامة
منافعها ويتمسكوا بها او يحصل لها ان تنشب فيهم الغيرة وانها من اسس ما يدوم به العدل
الذي فضل الحكماء صاحبه على فاتح الاقاليم الكثيرة ووجه ذلك ظاهر وهو ان مصير
الفتوحات المؤسسة على غير العدل الى التناقص والاختلال ومصير المملكة ذات العدل
الى البسطة والاعتدال والحكيم من لاحظ العواقب والمآل وعند ذلك تدوم معمولا
بها اذا كان في العامة استعداد الى فهمها وقبولها وبدون ما تقدم لا يمكن اجراء
ما ذكر بمباحثات فلا يكفي لذلك معرفة الوزير وحده منافعها وميله اليها ولا نظن
احدا من رجال السياسة العارفين بحصول معنى التنظيمات يخالف في هذا وكان
الواجب على المعترضين ان يبحثوا اولا عن معرفة حال امير تونس هل هو ممن يسعى في
تأسيس ما ذكر على الوجه المذكور وعن حال الايالة هل فيها من يعرف خطرها وقبولها
وفي ظني ان كلا الامرين لا يوجد منه ما يسوغ الاقدام على تأسيس التنظيمات وفي
ظني عدم نجاحها بدون ذلك كما اعلمته التجربة فان التنظيمات التي اسست في هذه
المملكة سنة ١٢٧٧ المتقدم بيان اصولها الكافلة بتأمين السكان ابطلت
مشيختها مع الحائف على اجرائها سعي الوزير واتباعه حتى آل امر المملكة الى ما قد
رأيت من تصرفات الحكومة زمن وزارة السيد مصطفى وما شاع عنها من المصارف في
النفوس والاعراض والاموال ولم يتعرض احد لذلك بادئ الامر ([illegible]) كل الحال
ما ذكر ورأيت من الوالي تونس في تأسيس التنظيمات محبة في تحسين ادارة
المملكة وتأمين رعيته لاكثر قدر المستطاع والامكان مستعينا بالله وبمن كان من اهل
المروءة من رجال الحكومة الى ان آل امري الى الاضطرار الى الخروج وان ترتب عليه
ما حصل لنا بعده من الصعوبات عند الناس من مخالطتنا ولم نحصل على الحقوق
البشرية الواجبة شرعا وطبعا مع ان ذلك وقع في حق رجل تقلب في سائر رياسات
الحكومة وحصل على بمصالح حسب الوسع ويسوغ له ان يقول حكاية للواقع انه

باعانة الله وعنايته حتى وجد مدة وزارته جميع السكان من الظلم والتعدي عليهم
بدليل انه بعد خروجه من الخدمة رجع الامر لما كان عليه قبل ذلك لان الوالي في الحكومة
لازال هو بذاته وكذلك رجال الحكومة الذين خدموا معه وهم الذين خدموا مع
السيد مصطفى أيضا لازالوا متوظفين وهؤلاء فرمان عهد في عصمة عمر قادر على منع
غيره من الظلم والظالم كان مجبورا بسعي صاحبه وبتوفيق بحر وحنان الخطة هذا وفي
لازالت أقوال ان تونس لا تستقيم بدون تنظيمات وانها الاسد حرانها من الطريقة المار
ذكرها والا فالتنظيمات في تونس بدون ما ذكر كالعقاقير بلا اسم فلا تعتبر فقول
من لا يدرك الحقائق والله تعالى يرشد واياهم الى ما يرضيه عنه آمين انتهى ومما تقدم
من انتقاد بعض التصرفات وجد اعداء الوزير خير الدين السبيل الى ابتداع التنافر بينه
وبين الوالي الامضاء له القوانين ذلك برجوع عليه اعتبر ذلك بعدهم لانه مدفوع بما
تقدم شرحه والوالي على علم به فاذا ذلك نزع الوالي أوجه أخرى وبيانها يستدعي بيان
منشاها واسبابها وحاصله ان الوزير خير الدين لما باشر الوظيفة بلقب وزير مباشر لم
يكن له ضد في نفس عمله اذ الوزير السابق مصطفى خزندار لكنه لم يمنع انتقاد
الوالي فيه ومعرفة سائر المتوظفين ولاه الوالي بتصرفاته التي نعرفها حتى ذهبت خدمته
الوالي في نفسه وقصره فكان الجميع يدا واحدة مع الوزير خير الدين ولما عزل الوزير
السابق مصطفى خزندار وولي مكانه الوزير خير الدين واستقر امره بعد الانفصال منه
على ما مر شرحه جمعت همته للرجوع الى المنصب أو في الاقل مواجهة الوالي واسقاط
خير الدين من الوزارة واستعان على ذلك بافراد من الاجانب وباحد خاصة الوالي وهو
الوزير مصطفى بن اسماعيل واتحد الجميع كل على حسب فوائده فتارة يقدحون في
التصرفات العامة واشاعة ذلك في بعض الصحف الاجنبية ويبلغونها بذاتها أو بتعريبها
للوالي بواسطة خاصته المذكور لكن لما رأوا عدم نجاح المقصود بذلك لانه لا يروج
على الاهالي لمشاهدتهم حسن ادارة الوزير رجعوا الى اشهار اراجيف تتعلق بالسياسة
الخارجية فمنها ما يرجع الى تنفير الوالي وعائلته من الوزير خير الدين وأشهروا ان
المذكور اتفق سرا مع الدولة العلية ومنها ما يعود الى تنفير الاهالي من الوزير
المذكور واشهروا ان مراده تسليم البلاد للفرانسيس ومنها ما يعود الى تخويف اصدقاء
الوزير خير الدين وعموم الناس فاشهروا ان مراد الوالي ارجاع الوزير السابق مصطفى
خزندار لخطة الوزارة حتى أثر كل قول في اصحابه وشاع عن الاخير التشويش في عقول
العامة

العامة وقدارأو ربابها أوجب انحطاط اسعار رقاع الدين التونسي عدة مرار
لتخوف من تبديل السيرة في السياسة الموجبة لتحصيل فائدة الدين حتى اعلن الوالي
بتكذيب تلك الاشاعات فكتب للوزير خير الدين مكتوبا ونشره في الرائد التونسي
ونصه بعد الحمد لله والصلاة اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى فانه بلغ لحضرتنا ان
بعض اشخاص كادت ان تكون اسماؤهم معروفة ممن كان لهم في تصرف امير الامراء
ابتداء مقاصد في منافع شخصية تعطلت عنهم بسبب عزلكم بجملة الادارة المنوطة بعهدتكم
انشاء والاراجيف لا حقيقة لها حاجة لهم على البحث لما يوافق شهواتهم وهي وان كانت
مما لا يترتب عليه اثر ولا يكون لها موقع لاولي الاحلام الا انها ربما توجب لمن كان
خلي البال تشويشا بعينه مع ان الاسباب التي اقتضت عزل المذكور لم تزل تعضدها
انظارها والآثار التي انتجتها مساعيكم الحميدة لم تزل تحمد اخبارها وتظهر للاعيان
آثارها وعلى ذلك فانا في غنى عن الاسماع ولحن لا نأذن بسماع هذه الاراجيف التي لا توصل
قائلها الى مقصوده من اضاعة الوقت بنقلها والالتفات اليها حررنا للوزارة لكم هذا
الرسم لنهي من يشتغل بذلك وليتحقق لكل ان استحساننا للادارة المنوطة بعهدتكم
لم يزل والمنة لله تعالى متزايدا بتزايد آثارها وان ما ارجف به اولئك الاشخاص لا يجدون
اليه مستندا وتشهر ذلك للكل ليزول عنهم الشك الذي قصدوا ايقاعهم فيه وشغل بالهم
به لارتياح افكار من يريد مصلحة وطنه وتقدم خدمته ونأمل ان تجتهدوا بالاستمرار
على تلك السيرة الحسنة التي ظهرت آثارها لدولتنا والله تعالى يحرسكم ويتولى حفظه
واعانته والسلام من الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باي وفقه الله تعالى بمنه
كتب في الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة احدى وتسعين ومائتين والف
(التوقيع) صح من كاتبه محمد الصادق باي فانت ترى ما صرح به الوالي من حسن
تفويضه للوزير خير الدين وهو الذي تشهد به كافة الاهالي على اختلاف اجناسهم
ومع ذلك لا زالت الاعداء تسعى بالفتن بين الوالي والوزير حتى كان في خلال تلك المدة
جميع رجال الحكومة في كدر من خوف ما تتم النفرة بين الوالي ووزيره الموجبة
لانفصال الوزير من الوظيفة ولما تيقن الوالي ذلك دعى الوزير خير الدين ووعده بقطع
التعرضات وامر مصطفى بن اسماعيل بالكف عن سيرته وموالاة الوزير خير الدين
وكان ذلك أواخر سنة ١٢٩٢ فدام على نحو ذلك بضع شهور ثم عادت الكرة في
أواسط سنة ١٢٩٣ واثرت الدسائس في الوالي الى ان صار يتهم من عهده عن

رأيهم في فصل الوزير عن الخطة فرأى جميعهم استقامة الامور وقال بعضهم ان البلاد
مصونة وليست عنايته بفصل الوزراء على التتابع بجامع رؤية الرعية لسيرة هذا
الوزير وغرابة من فصله بما يوجب العموم فاخشى للوالي عن فصله في اثناء تلك المدة
وقال احمد الحبيب للوزير خير الدين ان استناد الاضداد في اختراعاتهم يؤول الى
الاستبداد ويلزمك على الوالي ورؤساء المتوظفين وذلك يتضح بامرين اولا ان تتشارك مع
بقية المستشارين والوزراء في اعطاء رأيهم مع مستشار القسم الاول من كل فرع اعضاء
قسم العمل من الكومسيون بحيث يشترك الجميع في الرأي عند تحرير ميزان الحكومة
في الخرج في رأس العام وثانيا تقسيم الادارة في الرسم تبعا لما هو جار في المنى في اقسام
الوزارة حتى يكون مستشار كل قسم يلقب بوزير ويمضي هو على المكاتيب ويتحمل
مسؤولية ما يعود عليه ولما سمع ذلك الكلام الوزير خير الدين لاحظ فيه ما يأتي وهو ان
الاول واقع بالعمل لانه بعد تحرير الميزان من قسم العمل ومستشار القسم الاول يعرض
على بقية الوزراء والمستشارين ويبدون ما يظهر لهم فيه ثم يعرض بعد ذلك على الوالي
فيروي فيه ويمضي ما يستقر عليه الرأي واما الثاني فامر له ضيق القطر وصغر الادارة
لا تقتضي تعدد المصدر بل ربما اوجب ذلك التعارض في الاوامر لامور واحدة في
حادثة واحدة مع ما في ذلك من زيادة المصاريف بتعدد المأمورين في كل جهة وكل
قبيلة وذلك لا تطيقه مالية الحكومة ولا تحمل الرعايا زيادة عليهم هذا خلاصة
جوابه الذي لم يقنع لنصح حيث ان الغرض في الاول انما هو صوري والتضايق في
الثاني مدفوع بالاقتصاد وحسن التقسيم مثل ما هو واقع بين المستشارين لكن الاهم من
جميع ما تقدم امتناع الوالي من امره المطلوب بدليل ما روي من بعد خروج الوزير خير
الدين عن الوزارة واستمرار نوع الادارة على ما سبق من انحصارها في شخص الوزير
الاكبر كما صح الوزير المشار اليه لا بعد لنتم عنه بانه ينبغي له ان يسوي بين نواب الدول
في المعاملة ولا يزيد في تقريب نائب فرنسا وهو يقول ان معاملته مع ذلك النائب شخصية
لا تعلق لها بالادارة على انه لو قيل ان تلك المعاملة مما يقتضيها الحال في دفع غائلة فرانسا
لما بعد لان ترجيح كفتها بتونس ضروري وارتكاب اخف الضررين واجب فان لم
نفعها ربما تكالبت الى ان تصل الى قصدها ولو بالتغلب على تلك البلاد كما
اوضحنا خلاصة سياستها فلهذا ولما تقدم عادت المصافاة بين الوزير خير الدين والوالي
حتى كتب الوالي الى قنصل الفرانسيس يشكو به ما اشيع تارة بعزمه على ابدال الوزارة
وتارة

وتارة بالعزم على التنقيص من مقدار الفائض منها أو بعدم الاعتناء بمالية
الحكومة واغتنمت أعيان رقاع دينها وكتب إليه في جمادى سنة ١٢٩٢ بما نصه
الحمد لله وحده أما بعد فقد رأينا في الجرنالات الفرنساوية ذكر ظنون أبرزت في صورة
مقدمات مهمة واستخراج نتائج منها بما يدخل الخوف على الكثير من إدارتنا ولتناقص قيمة
حاملي الرقاع مما بأيديهم من رقاع الدولة مع أن تلك الظنون لا حقيقة لها في الواقع ولا
أصل وما استخرج منها تردّه الأدلة المشاهدة زيادة على كونه مبنيا على غير الواقع وهذه
الأراجيف وإن كانت باطلة عند المنصف وعند من يعلم حقيقة الواقع ولا يترتب عليها
ما قصده من الأمور السياسية فإنه يشاع لغير من ذكر ممن لا اعتناء له إلا بالمحافظة على
ماله مراعاة كل ما يطرق سمعه فيخوف ترتب عليه بعض انحطاط في سعر رقاع مع أن
كوبون ما يدفع في أوقاته كاملا وإدارة مداخيله جارية على الوجه الكامل ضبطه وغير
خفي على جنابكم ما يلحق كلا من الدولة والمتجرين من ضرر هذه الأراجيف الذي مع
كونه لا حقيقة له ومضادا للواقع لا داعي له إلا الأغراض غير صحيحة ولما كنا على يقين من
أن جنابكم يود الخير لبلادنا كاتبناكم بهذا مؤملا منكم السعي الجميل بحسن وساطتكم في
إيقاف هذا الضرر إذ لا شك في أن المتصدي لنشر ذلك والحالة هذه لم يكن له قصد إلا
ما ذكرناه ولحرصه على ترويج ما أبرزه تكلف ما يظن أنه يعينه على مقاصده وهو توزيع
نسخ من الجرنال وتتابعها لمساكن أناس لا معرفة لهم به ولا اشتراك لهم فيه مجانا من غير
أن يطلب منهم عوضا خلافا للعادة ونشر ما هو من فروع مقصده هذا ونحن بما
أشرنا إليه أن ذلك لم يكن للإرشاد ولا للنصح الذين برز كلامه في صورتهما وإنما هو
للقصد المشار إليه الذي تحقق أن جنابكم لا يرضاه ويبذل الجهد في تعطيله ولو بإشهار
هذه إعانة لنا بما تقتضيه المودة على ما اعتدناه من الخير وتأييد الحق بإظهار الواقع كما هو
المطبوع عليه من إنصافكم وعدلكم ودمتم في أمن الله وكتب في ٢٠ جمادى الثانية
سنة ١٢٩٣ ألف ومائتين ثلاثة وتسعين ثم حدث بعد ذلك في الآستانة ولاية السلطان
مراد فتوجه إليه تهنئة من تونس على لسان الوالي وزير الحرب رستم وله مودة اقتضتها
المعاشرة الطويلة مع الوزير خير الدين كما له معه مصاهرة حيث أن الأول زوج بنت
الثاني وكان ذلك في جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ وحصلت إذ ذاك الحرب بين الدولة العلية
والصرب فظهر من جهات الإسلام الإعانة للدولة العلية بالمال لضيق ماليتها بمقتضى
الحقوق الدينية والارتباط السياسي بين تونس والدولة لزمت الإعانة بالمال أيضا من

تونس وكان حال الحكومة فى ضيق المالية وعدم امكان القرض ما علمت فاجتهد الوزير
خير الدين بعد الاستشارة والمفاوضة فى حصول الاعانة بالمال من الاهالى عن طيب نفس
وصدرت بذلك مكاتيب الوالى والوزير الى الجهات من الحرص فى التعجيل فتصدى من
الاهالى غاية الرغبة الى ان حصل مقدار مليون وأربعمائة ألف فرنك مع مصاريف
الصرف والحوالات لارسال المال المذكور فى الآستانة وقد زاد فيه الاهالى
ريالات ٢٢٨٤٠٤٣ ونشر حسابه فى الصحيفة الرسمية ووصل جميعه للباب العالى
وفى اثناء ذلك رجع وزير الحرب بسمته المذكور ثم حصل فى الدولة العلية صعود سلطانها
المعظم عبد الحميد على تخت السلطنة وأعيد ارسال وزير الحرب المذكور لتهنئته ايضا وأقام
بالآستانة ثمانية أشهر لتثبيطه من الباب لانتظار جوابه وانتظار ما تتفضل به الحضرة
السلطانية على الوالى مع كثرة شغل الدولة اذ ذاك بحرب الصرب والجبل الاسود
والاهالى وهرسك وبوسنه وبالمؤتمر الذى عقد فى الآستانة وباجراء القانون الاساسى ثم
بحرب الروسية وكان وزير الحرب اثناء اقامته بالآستانة فى المدة الاخيرة قدر شهور
أو ثلاثة يرسل مكاتيب تتضمن تأخره لان كل أسبوع يظن انه يرجع فيه وطالت
غيبته والمكاتيب وجعلت تهددوا للاعراض على ما يدل (ثم طلبت) الدولة العلية الاعانة
العسكرية لحرب الروسية ولم يكن لحكومة تونس من العساكر التى تحت السلاح الا
مقدار ما يكفى لحفظ الراحة فى القطر كما ان المال الضرورى لذلك مما علمت فرأى
الوزير خير الدين المسألة مهمة جدا ولم يكتف برأى الوزراء ورؤساء الحكومة
وطلب من الوالى عقد مجلس عام من ولى العهد فى الحكومة وأهل المجلس الشرعى
والوزراء وأعضاء جمعية الاوقاف والمجلس البلدى ورؤساء سائر أقسام الادارات ورؤساء
العسكرية والمستشارين وضباط العسكر من أمراء الالوية و[illegible] وأعيان الاهالى
ورؤساء ديانة اليهود وكبرائهم العرفيين فاجتمع الوالى على ذلك وانعقد المجلس تحت
رياسة الوالى نفسه وأذن وزيره خير الدين بالقاء ما يدل على المجلس فقال ما معناه ان الدولة
العلية قد أعلمت الوالى بان الروسيا أعلنت عليها الحرب وانها فى حدود المدافعة عن
الخلافة الاسلامية والوطن نحو ثمانمائة ألف ومع تمام ذلك لا زالت محتاجة الى كثرة العدد
والعدد وانها تطلب من الولاية ترسل العسكر ولعله بمفردات التلغراف الوارد من
الدولة ثم ذكر ان للدولة حقوقا على تونس وان تونس لها عادات مع الدولة لا محيص عنها
وان حالة الحكومة فى العسكر وفى المال معروفة للجميع وان الوالى جمع هذا المجلس

ليشير

اشير عليه بما يراه في الطرق الموصلة للمقصود فخاض المجلس في الكلام وطالت
المذاكرات وحصل التشاحن في الرأي الى ان علت الاصوات وخلاصة آراء المجلس هو ان
بعضهم يرى ارسال العسكر بالمقدار الذي يطيقه القطر من العسكر النظامي المدرج
أكثره وتدريبه نحو ستة عشر الفا لكن منهم من عجز ولا اقل من وجود ستة آلاف
تقدر الاهالي على القيام بهم بما يلزم من الكسوة والقوت واما السلاح فالحكومة من
المدافع من الانواع الجديدة أربعين بطارية كالمدافع المكاحل المدمسة أربعين
عشرة آلاف وان كانت تعجز من أنواعها من النوع الجديد فالحكومة حينئذ تقوم
بالسلاح وتعين ما يلزم من المال لدى ما تستقرضه من خزينة مجلس الادارة لمدة
ستة أشهر بلا فائض وترجعه بالاقتصاد من مرتبات ذوي المرتبات كل على ما يقتضيه
حاله فان بعضهم اراد اسقاط جميع مرتبه لذلك ويتم التجهيز وترسل العساكر ويجعل
على الاهالي تقسيط ما يقوم بهم يدفعونه مع جريان الاقتصاد من الحكومة على
نحو ما تقدم مع الاعلان بان كل من أراد القتال بنفسه فله ذلك ويعلل هذا القسم رأيه
بان احكام الدين قاضية بذلك مع نص فرمان سنة ١٢٨٨ ه مصرح بشرط ذلك
وانه على فرض الاعانة بالمال لدى يمكن ان يوازي مصروف العسكر فلا يزال
التنكيت على القطر بانه لم يوف بشرعه واصحاب هذا الرأي قليلون وبعضهم يرى ان
الاعانة انما تختص بالابدان واما المال فلا يجب على أحد شيء ومن قدر ببدنه وماله
فعليه ان ينهض وليس على هذا الرأي الا اثنان وجميع العلماء والعامة ضدهما وسقط
اعتبارهما وقتئذ من اعين بعض رؤساء الحكومة بسبب الوزير خير الدين وبعضهم يرى
ان العسكر يحتاج الى التدريب والى السلاح الجديد وبدونه العسكر كالعدم والمال
لاقامة ذلك غير موجود لان الغصب على أخذ المال من الرعية غير ملائم لما هم عليه ولجهل
الحال في الاوائل امر ولذلك يلزم ان يوكل الامر الى الاختيار كل بما يستطيع وبهاته
الصورة لا يعلم مقدار ما تحصل حتى يمكن الاعتماد عليه وتجهيز العساكر على مقداره
وعلى فرض حصول شيء أولا فلا تحقق لجريانه في المستقبل للقيام بالعساكر في المؤنة
والذخائر ولذلك يكون اللازم هو احضار المال لاعانة الدولة العلية بالمال واعانتها
واجبة لا محالة غير ان جمع المال يوكل الى اختيار الدافع واجتهاده كما حصل في اعانة
الحرب مع الصرب وهذا هو رأي الغالب الذي استقر عليه أمرهم وهذا القسم يدفع
تعليل القسم الاول من شرط الفرمان بوجوب ارسال العسكر بان شرطه طبيعي ان

يكون ذلك في الامكن وقد تبين ان الامكان غير موجود وعمل بهذا الرأي لانه رأي
العالم وحكم المسئلة شرعا أوردنا برسالة تعب كتبناه على باب الجهاد من صحيح البخاري
جامعة لحكم المذهب الحنفي والمالكي ثم جمعت الاعانة المالية على نحو ما تقدم وارسل
بعضها في مدة وزارة خير الدين وقدره ٣٠٠٠٠٠ فرنك ولم يعلم حسابها بالتحقيق
لان الوزير خير الدين خرج في اثنائها وبعده لم ينشر حساب باعتناء الشرح السابقة
ثم أرسلت الدولة العثمانية بطلب سفن تقدم لحمل الاثقال الحربية وان كانت خيلا
وبغالا فلا بأس به ففعل الوزير خير الدين خوفه في طلبها من أعيان المتوطنين ورؤساء
العربان والبلدان بأن عين لكل فرد ما يدفعه من عدد بغال أو خيل وكذلك السواحل
والبلدان على ان يعطى ما يدفعه أهل البلدان والقرى من الحيوانات بالمال ويقسط
ثمنه على جميع الاهالي على حسب الجدول ويدفع الثمن لاصحاب الحيوانات بحيث لا يناله من
المال الا المقابل عن غيره فتسابقت الناس الى ذلك ووقع فيه ومن كثير من أصحاب
الحيوانات في القبائل والبلدان امتنع من أخذ الثمن وجعلها في سبيل الله واحضرت
الحيوانات وبقيت تنتظر من الدولة حملها لان حملها في سفن التجارة غير مأمون
عليه خشية تعرض سفن اعداء الحرب الذي شاع من بريد احتفت تونس من الدولة
العثمانية وتعطلت تلك الحيوانات لاستدامة مدة خروج الوزير خير الدين من الوزارة
بضعة أيام وفي مبدا الحرب سأل أحد نواب الدول الوالي والوزير عن قصد الحكومة
في التداخل في الحرب وحذرهما من عواقب قدوم الاسطول الروسي الى مراسيها
وخسارتها من ذلك مع عدم كبير ما تنفع اعانتها للدولة فاجابه الوزير بان الوالي
لا يستطيع ... بالكلام في عدم التداخل في الحرب ثم جاء قنسل روسيا وانذر
واحتج بان الوالي صرح بانه لا يتداخل في الحرب فكذبه الوزير وان الوالي لم يصرح
بشئ يقرع حريته كما ان الرائد التونسي أشهر لمقالات السياسية انتصره للدولة
العلية ما هو مشهور وهو لا ينشر الا ما يوافق مشرب الحكومة لانه هو الصحيفة الرسمية
لها والوزير هو الذي يشير بالمقاصد التي ينشرها فيه ففي جميع ما تقدم تعضد اضداد
الوزير خير الدين ... بالانتصار للوالي منه واسقاطه من الوزارة ولان وزير الحرب كان
سبب طول مكثه في الخدمة ... على ما يضمر للوالي وانه يكتب الوزير خير الدين وهو
لا يحضر مكاتيبه للوالي لا يناصح ... ظاهرة مما تقدم
بيانه والوزير يقول ... وفي نفس الامر هو

ما

ما تقدم شرحه وان الوزير الواحد في قوله لو حدث غير صحيح لانه لو كان بينهما شئ
حقيقة للزم ان يأتي من وزير الحرب مكاتيب صورية ليطلع عليها الوالي ولما ساغ
عدم اطلاع الوالي ولم يكن ولا واحد حتى يتفطن الوالي عنه بعمله عاقل ودل ذلك على بطلان
أهل التهمة وقد حققه الخارج كما قول الوزير ان ما فعل مع الدولة العلية هو الواجب
بمقتضى فرمان سنة ١٢٨٨ وهو واجب ديانة ولا قصد الا حفظ حماها ولكن لم
يحصل ذلك في السعاية اثر في الوالي لانه كان حصل قبيل ذلك المنازلة ادعاء
مصطفى بن اسمعيل على يوسف بن عطار احد تجار اليهود شيئاً من ابيه طالبه بسبعة
ملايين واربعمائة من جهة رقاع مالية وموضوع اعطاء اياه للتجارة بها وانكره المدعى عليه
واستظهر وكيل مصطفى بن اسمعيل بحجة ثبتت في الوزارة ورهن على ما يسمى تعصباً له في
المجلس الشرعي وأراد المدعي ان يكون هو الخصم والحكم ورفع المطلوب أمره للوزير
بهروبه الى قنصلاتو انكلترا وحمايتها له وتداخل القنصل في النازلة فرأى الوزير
ان ينعقد لها مجلس اعوان من ذلك الجانب ووافقه الوالي وامتنع الوزير من الحكم في
النازلة فيما من الكلام فيها من الجانبين فازداد حنق مصطفى بن اسمعيل من الوزير
ومن ذلك الى رجع شيعت لوثة به واشاعوا ان الوالي عدو من الوزير بسبب ما تقدم
وانه بافه عدم انتصار رؤساء الحكومة بمصر الوزير مستندين الى ما سبقت الاشارة اليه
ثم اشاعوا ان الوزير يريد تسليم البلاد الى مراد مستقدين سكة الحديد المارة ذكرها
والى عدم ارسال العسكر الى اعانة الدولة العثمانية فوردت اشاعة هذا بعد انفصال
الوزير خير الدين عن الوزارة لقصد تعسير الاهالي منه حيث ان الوجه الاول لم يؤثر فيهم
والوزير يجيب بنفس الوقائع وادلتها مما وقع في الخارج واستوفيت ذكره وكثر الكلام
في هذا المعنى الى ان خاطب الوزير الوالي بمكاتبة مضمون ما تقدم شرحه من كثرة ما شيع
في شأنه وان الاشاعات صادرة من خاصته وان ذلك مما يقدح في نفس المنصب ويبطل
الادارة وانه يلزم احد شيئين اما توثق الوالي به ورفع العوائق او استعفاؤه وقد كان الوالي
اذ ذاك مصمم على قبول استعفائه لا لاعتقاده ما شيع بل لان مصطفى بن اسمعيل غير
متداخل في الادارة بما يرضيه ذلك الوزير مع انه طلب براءة من تصرفاته حسبما يأتي ان
شاء الله في المطلب الثامن وعين بمحل للوالي هو ما ذكره صرح به مصطفى بن
اسمعيل عند ولايته فانه قال ما معناه لو ان الوزير خير الدين ما عفى لما خرج عن الوزارة
فلما ذكر اجاب الوالي الوزير خير الدين بقبوله عن رأيه في النازلة فاجابه بان رأيه

ماذكره فقال أعداؤه الكلام يوم السبت عند اجتماع الوزراء بعد الاشارة الى ان
أوداءه خانوه بما أوقعه في تلك الحال وذلك مما يؤيد القول بان لوشايات يصدقها
حقيقة وان يريد تغيير الصدور بينه وبين أحبته فاجتمع الوزير خير الدين بالوزراء
والمشارين قبل الدخول على الوالي وقص عليهم الخبر بما كان ذكره لهم فرادى
ومجتمعين وكان مآل كلامهم ان الاولى تحمل المشقة وعدم فتح باب الكلام في
الاستعفاء وقال الوزير محمد الذي تولى بعده وكان معلوما عند جميع الناس انه هو
الذي يتولى باشاعة المرض المتقدم ذكره واتباعه بان لهم انما قام الوزير محمد على ولايته
وابلغوا للوالي رضاه بذلك وكان على بن الازي صاحب مصطفى بن اسمعيل الخاص
كثير التردد على جهات مسكن الوزير محمد ليظهر للناس صدق الدعوى فقال الوزير
محمد للوزير خير الدين اما انا فاني لا أتولى مكانك ولو دقت عناقي ولكني اخدم مع كل
من يوليه الوالي كذا اشاع وجعل كلامه ذلك على تكذيب ما شاع عنه ولما دخلوا
على الوالي اعاد الوزير خير الدين الكلام في الاستعفاء على نحو ما مر فاجابه الوالي بانه هو
أيضا اثقله وقد حصل له التعب ويحتاج للراحة فبأمره ببقاء مرتبه في محله فرجع
لبستانه بفرط راحته وكان ذلك في رجب سنة ١٢٩٤ ومنع الوالي المتوظفين من
الاجتماع بالوزير خير الدين حتى خواص احبائه بل وتباعد الذين على ايديهم
منتفقات كسبه الى ان خرج من القطر لاستثنائه ولم يصل جانبهم وفي عشية يوم
انفصاله عن الوزارة تذاكر بعض رؤساء المتوظفين في زيارة الوزير المذكور فاحدهم
من ابلغ لبيه الخبر بواسطة انه عازم على زيارته تلك العشية منفردا ولاجابا به عذره
الحاضرون من الوزراء والمستشارين من وقوع ذلك قبل الاستشارة وانهم هم في
انفسهم عازمون على مثل ذلك واعلقوه على استشارة الوزير الجديد فلما استأذنوه
اجابهم على اذن الوالي ولما استأذنوه اعلن بالمنع وجعلت عيون على كل من يقدم اليه
فبقي منفردا وتكاثرت الاقوال في الخوف عليه وتاركه الشهيد بن اسمعيل السنوسي ورشيد
متبرج من المال وكان هو متعاد اعتماقلا عما يظهر اليه من المنصب وطلب مواجهة
الوالي لمجرد الزيارة فاضطرب في امره ثم اذن له في وقت خاص ووقع بين الوالي وقنصل
الفرانسيس كلام سأل فيه القنصل الوالي عن سبب خروج الوزير خير الدين عن
الوزارة فاجابه بان خروجه ليس كخروج الوزير السابق لان الوزير السابق ارتكب
ما شين العرض واما خير الدين فلا سبب خروجه الا الخلاف السياسي الواقع بيني وبينه
وأنت

وأنت تعرفه وهو اشارة الى ميل الوزير للدولة العلية لان الوالي كان تحقق لوم قنصل
فرنسا على سياسة الوزير مع الدولة العلية الا فاهو بخلاف السياسي الذي يلائمه
القنصل دون غيره وهذا يؤيد الكلام السابق في حقيقة أسباب انفصال الوزير المذكور
من الوزارة ولما تفاقم الداء وطلب الوزير خير الدين السفر للتداوي من مرض عصبي فأذن
له بعد التمنع التام وودع الوالي ولما استقر في اوروبا حذر من العود خوفا عليه فكاتب
هو الوزير بعد عام ونحوه انه كان ارسل اليه مكتوبا جوابا عن مكتوبه بان الوالي سأل
عن حاله وعن وقت رجوعه وانه انما كان سافر لاجل التداوي أولا وثانيا لاجل
التباعد عن القيل والقال وهو المقتضي لتطور العيشة فاذا رأى رجوعه لا بأس فيه
فليأمر الوالي به لان غاية مراده هو ان يعيش في بلاده مع عائلته تحت ظل الوالي مع حريته
الشخصية من غير ان يتداخل في شيء من الامور كما هي عادته عند انفصاله من الوظائف
بدليل سيرته في الفصلتين السابقتين التي بقي فيها بلا أمور وانه كان ينتظر الجواب
عن ذلك المكتوب الذي تضمن الاعلام بعزمه على السكنى بالقطر خلافا لما اشاعه
المغرضون وتعهدا بعدم التداخل في شيء من الامور السياسية وانه طلب حريته الشخصية
حيث صدر الاذن للاهالي والمتوطنين باختيارهم ومع انتظاره للجواب مدة من الزمن لم يرد
له الجواب الا بكون رجوعه لا يتوقف على اذن مع التغافل عن الموجبات المشار اليها مع
انه لم يطلب الا ما كان الوالي سمح به للوزير مصطفى خزندار في صفر سنة ١٢٩٢ من
الرخصة في مخالطة من يشاء ولمس راحة مع ان ذلك الوزير كان متهما بمال جسيم وليس
هو وحده من الوطنيين سواء لاختلاف الاسباب وما طلبه الوزير صاحب المكتوب هو
ضروري في حقه لما صدر من الاذن في المنع من الاجتماع به حتى ان وكيله المالي
امتنع من القدوم اليه حذار زيادة على الصعوبات التي وقعت عند ارادته السفر ولا عجب
من هذا المكتوب وكان القصد من ابعاده اما حمله على عدم العود او انه اذا عاد
يقتضي له بابقائه في محذور وحيث ومع ذلك قدم الوزير خير الدين لتونس عندما شاع ان
بعض بواخر الروسيا قادمة الى تونس وكانت حالته مع الوالي اشد مما سبق فأرسل اليه بان
يقصر من القدوم اليه الا باذن متعللا بان الوزير مصطفى خزندار تشكى من منعه هو من
زيارة الوالي مع عدم منع الوزير خير الدين وقال كثير من الناس هو قياس مع الفارق
ثم عاد الوزير خير الدين الى السفر اواسط سنة ١٢٩٥ ورجع الى ان اتاه اذن بتلك
الاشارة من الاعتاب السلطانية بالقدوم الى الاستانة فاستأذن الوالي وامتنع من

الاذن له حتى دعا الفضائل المعتبرين واستشارهم فى ذلك فكلهم اشاروا عليه بان لا وجه
فى منعه والاوفق له الاذن بطيب نفس منه فاذن له عن كره منه من وراء عمه وسافر
فى رمضان سنة ١٢٩٠ ورقى فى غضونه بحلافته الى منصب الصدر الأعظم فى ذى
الحجة من تلك السنة وجاءت ثالثة فى بانوسلطانية ومن ذلك الوقت خرج الكلام على
هذا الوزير عن موضوع المدح فى صدد وقد تحصرت دعوى اعداء خير الدين
فى أمرين احداهما ارادته تسليم البلاد للفرانسيس والثانى ميله الى الدولة العلية ولا
شك ان الخلاف اسباب الدعوى المذكورة الوالى لقنصل فرانسا لا يتعلق بالدعوى الاولى
وعليه فلا سبب الا الثانى وعلى كل فقد شهد الوالى قنصل الفرانسيس بعد خروج
الوزير خير الدين من الخطة باستحسان سيرته الا الخلاف المذكور فهى الوصف الماثل
فى ذلك اذا الحق ما شهدت به الاعداء وعداوة الوالى لخير الدين بعد خروجه من الخطة
لا يجهلها أحد والحجة القطعية فى ذلك امتناعه من مقابلته عند صدور الاذن بالقدوم
لدار الخلافة وطلب الوداع (المطلب الرابع) فى وزير محمد خزندار (اعلم) ان
هذا الوزير اصله من اليونان وجاء الى تونس فى ولاية حسين باشا وربى فى الحكومة
وتعلم الفروض العينية والقراءة والكتابة ونشأ على صفة التعصب لرؤسائه وما
يحسن الرأى حتى ذى الصبع كثير الصمت وراعى سادة الاشراف ظاهرا واحد
باشا المولى الشريف سيدى محمد الشريف عن ابنته صاحب صدقات سرية متباعد
عن التصوف معتقد السيرة كان دربه الوالى حسين باشا واعاده صاحب التصرف
اذ ذاك شاكير صاحب الطابع وصار من خواصه وورثت عنايته الوالى المذكور
حتى اولاه خزندار وكذلك اخوه من بعده مصطفى باشا فى سنة ابه الى ان قبل به
حصلت عبرة منه اشاكير صاحب الطابع المذكور واتهم بانه اغرى بعض خواصه
فى العسكر الذى توجه تحت رياسة صاحب الطابع المذكور اولا وره اه حين باحه
فاطلق على الوزير محمد الرصاص فى وادى مجردة هناك فاصيب فى رجله ووقى م
بقية تأثيرها ثم استخدمه احمد باشا وولاه عاملا على الساحل وحمدت فيه سيرته
وطالت مدة ولايته عليه من حدود سنة ١٢٥٣ الى سنة ١٢٨٠ ودافع
عن أهله ما استطاع من تعديات محمود بن عياد بتمكينهم من الخلاص كلما
يطالبهم ابن عياد حتى ان لا يه شرهم ابن عياد ووجه أعوان لخلاص الغرامات التى
يطلبها منهم وأعان على مصاريف عسكر حرب القريم بالف صا من الشعير ووجهه احمد
باشا

باش رسولا عنه للدولة العلية في استطلاع نيتها في ترتيب الأداء على تونس والاعتذار
لها ثم وجهه أيضا للاحتفال بمصافاة العسكر في حرب القريم ثم عاد مع العسكر وأقام هناك
مدة ثم رجع ولما ولي محمد باشا أرسله بالهدية والعادة التابعة من العسكر وطلب تقرير
ولايته وقضى أمورا نفوذية وذكر في عزم الوالي المذكور تقديمه لوزارة الداخلية فعاقه
عنه ما تقدم في اتفاقه للوزير مصطفى خزندار ولكن الوالي المذكور قربه وأعلى
ورفع شأنه وأرسله رئيسا إلى العسكر الموجه إلى الأعراض والجريد لحماية رئيس
قومه من عرب طرابلس المحمي بوصف عائدون تونسيته على الدولة العلية هناك ثم أخذه
إلى تونس عند خشيته الاستيلاء عليه وأحدث في أطراف الجهة الجنوبية من قطر تونس
شيئا من الاختلال ووجه عليه الوالي المذكور عسكرا تحت رئاسة الوزير محمد المذكور
ولبث في تلك الوجهة يأمر الأعراض وامتثال الوزير محمد من الأدب والإتباع للوالي
وفي ولاية الصادق باشا ولي الوزير محمد وزارة الحرب بعد استعفاء وزيرها في ولاية
محمد باشا وهو مصطفى آغا ثم ولي عوضا عنها وزارة البحرية ثم عوضها بوزارة العمالة كما ولي
رئيسا ثانيا للمجلس الأكبر عند وجود القوانين حينما استعفى الوزير خير الدين ثم لما
حدثت الثورة العامة سنة ١٢٨٠ بقي الوزير محمد في زوايا الخمول إلى أن حدث
الكومسيون المالي وولي فيه عضوا وأرجعت إليه الولاية على السواحل الأولى في
التخفيف على أهلها من مصاعب الديون ما تقدم شرحه بعد ذلك الوزير خير الدين ثم
سنة ١٢٩٠ ولي مستشار القسم الثاني من الوزارة الكبرى ثم لقب بوزير الاستشارة
والمناصحات مبادي استعفاء الوزير خير الدين شاع الناس بالوزير محمد المعتمد تعيينه
للوزارة الكبرى حيث كانوا على علم بأن من حل الوزارة من خير الدين إلى ابن إسماعيل
صعب عليهم في عين العامة والخاصة ويلزم لهذا الاستثناء من غيره مصطفى ابن إسماعيل
للسياسة تحت رياسة غيره فلما استعفى خير الدين أراد تولي الوزارة الكبرى
للوزير محمد خزندار بعد استقالته منها وبكى واعتذر بكبر السن ومرض البدن فسلم
بساعته الوالي ولباسها والبس نيشان البيت الحسيني وطلب من الوالي أن لا تعبر سيرته
عن الصور المتداولة في الأنحاء للأرضية برياسة الوزارة كما له أيضا رياسة الكومسيون
وكان ذلك في رجب سنة ١٢٩٤ وولي في وظائفه التي كانت بيده مصطفى ابن
إسماعيل وبقي الوزير محمد في الوزارة متحصنا في ما يتحيمه على اتقائه كما كان على ما كان
وصاحب … وهو غير عارف بما … في شرحه ومما كثرت الجزئيات التي تعرض له

لا يبدى فيها أمراً إلا بالاستشارة ولم يحدث فى مدته شىء جديد سوى حرص الدولة العلية
على ارسال العساكر فاعتذر الباى بان غاية ما فى الوسع هو الاعانة المالية للاسباب التى مر
شرحها فلم تصغ لذلك وزادت الحاحاً وشدداً بلزوم العسكر وطالت المراجعات
والاعتذارات من تونس الى ان صرحوا للدولة العلية بان غاية ما فى الوسع والقدرة هو
احضار اربعة آلاف من النفوس بلباسهم فقط وسلاحهم من النوع القديم وما عدا
ذلك يلزم أن يكون جميعه على الدولة فرضيت بذلك وأعلمت بانها ترسل الى حملهم على
عجل سفنها فتعين المبادرة باحضارهم فاحضروا وصرف على كسوتهم ولوازمهم مدة
حضورهم وانتظارهم للسفن مما جمع من الاعانة المالية من الاهالى التى سبق
ذكرها فى وزارة خير الدين وبعد الصلح قبل سفرهم ورد الاذن بسراحهم وكذلك
حدثت نازلة انتهاء اجل الكنتر دى صانسى لكنها لما كان كل من الحرص فيها وانتهاء
خصامها فى مدة الوزير مصطفى ابن اسماعيل وهكذا نازلة وصل الطريقة الحديدية المار
ذكرها بطريق الجزائر فانها وان وقعت فى وزارة الوزير محمد لكنها فى الواقع منسوبة
الى مصطفى ابن اسماعيل حيث كانت التصرفات بين هذين الوزيرين فى مدة وزارة
محمد مثل التصرفات بين الوزير مصطفى خزندار والوزير خير الدين بعد ولاية هذا
وظيفة وزير مباشر وغاية الفرق بينهما ان وزارة محمد وابن اسماعيل لم يظهر فيها جهرة
التباين والعناد ووزارة خزندار وخير الدين بخلاف ذلك فليس من الانصاف نسبة
مساعى خير الدين الى الآخر كما ذكرنا مثل ذلك سابقاً فى جميع المسائل الداخلية
فقد كادت ان ينفرد بها الوزير ابن اسماعيل وليس للوزير محمد فيها الا الامضاء ودام
الوزير محمد على ذلك متجنباً لكل صعوبة مقتصراً على امضائه من الرشا بسبب الوطء ثم فى
نفسه مشيراً لضعف الى استقالة احوال من يريده مدار بال السائر المتوطنين الى ان احس بالكلام
بارادة استعفائه بعد ولايته بستة اشهر فعرض مدة للوالى متعللاً بالعجز والمرض فأشار
عليه الوالى بالتحمل والبقاء فى خطته الى الوقت الذى يشير عليه الوالى بالاستعفاء فيه فعمل
بذلك وفى ربيع الاول من سنة ١٢٩٠ كثر الكلام فى عود الوزير الاسبق مصطفى
خزندار فكذبته الحكومة بنشرها فى صحيفتها الرسمية فصلاً طويلاً فى ان ذلك
الكلام مما يشوش على السكان، يجب الانكار وانه بهتان والوالى لا يعمل به ونهى عن
الافتراء والارجاف وذلك فى عدد ١١ من الرائد فى ١٦ ربيع الاول سنة
١٢٩٥ واعاد ذكر ذلك لينبغى ان نصرة الوالى للوزير المذكور لا علة حقيقية

لا

لا كما قيل من أنه استعفى الوزير خير الدين حيث أنه في ذلك التاريخ بعيد عن الوالي واشغاله ثم ان الوزير محمدا بقي منتظر الاشارة لاستعفائه كما بقي من جهة طالب المنصب وصاحب الولاية انتظارا عادته ولا لاستعفاء او التعويض به وبقي هكذا الحال كل شق بانتظار صاحبه مدة أشهر الى أن أضجر الوالي كثرة الكلام في الرغبة في استعفاء الوزير وأحضر نيشان آل بيته الذي صار علامة ملازمة للوزارة الكبرى وفطن بذلك الوزير محمد فقدم للوالي معرضا بالاستعفاء على حذر حيث اعتمد الوصاية بأن الوالي هو الذي يشير عليه فقوبل بالرحب والبشر وأوصاه بأن يكتب غدا مكتوب الاستعفاء فلما حضر الجميع الى قصر المملكة من الغد امر الوالي قبل أن يصل اليه مكتوب الاستعفاء الوزير محمدا بأن يصحب معه الوزير مصطفى بن اسماعيل الى محل الوزارة ونادى بجميع المتوطنين فجمعهم بباب الوالي أولى مصطفى الوزارة الكبرى ورياسة الكومسيون بعد أن ألبس الوزير مصطفى نيشان البيت ولاطف الوالي الوزير محمدا وأمره بأن يعود اليه بعد ذات الموكب مصاحبا الوزير الجديد فعمل بذلك على هيئة استغربت العامة مثلها وبعد ذلك كتبت مكاتيب الاستعفاء وقبوله ونشرت في الرائد وكان ذلك في شعبان سنة ١٢٩٥ فمدة وزارة محمد عام وشهر ولقب في ذلك الوقت بوزير الاستشارة وجعل له مرتب شهري وقدره ستون ألفا في السنة وأمره الوالي بأن يقدم اليه في كل أسبوع في يوم السبت مع جملة المتوطنين أو عند ما تدعو حاجة لحضوره وجعل مرتبة حضوره في موكب الوالي فوق مرتبة الوزير المالي بحيث لم ينزل عن مرتبته ثم استقال هو من ذلك ونزل تحت الوزير ثم ولي عضوا في مجلس الشورى الآتي ذكره وبقي على ذلك الى الآن (المطلب الثامن) في وزارة مصطفى بن اسماعيل هذا الوزير من الناشئين في حاضرة تونس ولما شب رباه أحد متوطني قصر الحكومة الملقب بزهير حتى نسب اليه في اللقب ثم أخذه منه الصادق باشا الوالي الحالي وصار من خدمه وقربه ورقاه الى رتبة أمير لواء مع انضمام رتبة أمير لواء ثانيا في عسة العسكرية الخاصة وهي وظيفة مقصورة عليه لم تكن من قبل ولا بقيت من بعده ومن حدود تلك المدة عرف باللقب ابن اسماعيل نسبة الى والده الذي يقال انه سمي بذلك وهو متواضع بشوش كثير التردد على الصالحين وزيارتهم شديد الاعتقاد فيمن ينتمي الى علوم الحدثان شره في الاشياء الجديدة كثير الانفاق على ما يعود الى لذاته محب للتجمل بالملابس المجوهرة حتى تتعدد الخواتم المكللة بأصابعه وترى الجوهرات على صدره وسلسلة ساعته

عارفا بأخلاق سيده ملائما في سيرته معه لرضائه حتى تمكن ميله إليه واشتدت
رغبته في استرضائه إلى أن قدمه على معاصريه وأبناء جنسه فبلغ إلى الرتبة المشار
إليها ثم رقاه إلى رتبة أمير لواء العسة وأبطلت الرتبة الثانية المشار إليها وفي أواخر مدة
التنافر بين الوزير خير الدين ومصطفى خزندار انتهزت تلك الفرصة إلى التنويه بشأن
مصطفى بن اسمعيل ورقي إلى رتبة أمير فريق وأرسل من الوالي كما تقدم إلى مالطه لإبلاغ
العناية بالوزير خير الدين وكان يظهر التعاظم عن مصطفى خزندار ثم ولي عاملا على
الوطن القبلي أواخر مدة مصطفى خزندار وأخذ مستلزمات العمل المذكور ونقلها
إليه بدون انتهاء مدة من كانت بيده وامتدت الأيدي إلى أرزاق أهالي العمل المذكور
بالإرشاء للحكام وغيرها حتى قال كثير من أهله لقد زال لعنا عن أهالي القفر لا نحن
فإنا لم نر شيئا من أثر ذلك لاعتماد الوزير خير الدين النظر عنه لمعاضدته إياه واستولت
بعض حواشيه على الأوقاف ببلد الأعيان إلى أن آل أمرها لما كنا شرحناه في صدره فإن
جامع الحنفية والمدرسة ببلد الأعيان لم يكتف فيهما بأخذ دخل الوقف وإهمال الموقوف
عليه حتى خرب وتعطلت حريات الشعائر بل نقل منهما أعمدة من الرخام ونقله إلى دار
المتولي كما أثبت في ذلك جمع من أهالي البلد ورفعوها إلى جمعية الأوقاف وجرى على
الأهالي من المتاعب ما بلغ إلى قتل النفس كما كرر ذلك في قتل حدادا بوص أحد أهل
الحاضرة الذي انتقل بالسكنى إلى هنالك وذهب دمه هدرا وسودت في موته رقعة على
أنه مات حتف أنفه تبرئة عند الحكومة من دمه وشهدوه على الأعيان من أهل
الحاضرة وغيرهم في خلاص قانون الزيتون الذي كان مرتبا على الوطن القبلي الذي
مر ذكره وعملوا من مباشري الخلاص إهانات لم تعهد لهم حتى أن بعضهم كان حاملا
بحانوت أحد أصحابه في العطارين بجانب المحاص وألزمه بالخلاص حالا مع أن العسر
عمومي فضلا عن كون الرجل لم يكن متعهدا ولا ماله عموميا ولا أمثاله بما أذرف دموع
المشاهدين من ذلك الملا ومثل ذلك متعدد ثم ولي الوزير ابن اسمعيل وظيفة صاحب
الطابع أواسط سنة ١٢٩٠ ويوم ولاية الوزير خير الدين الوزارة الكبرى ولي
الوزير ابن اسمعيل وزارة البحر غير أنه لم يباشر هاته الوظيفة في محل الوزارة وإنما جعل
ما يتوقف على إمضائه يحمل إليه أين كان ليمضيه حتى يقال إنه فصل عنها وهو
لا يعلم مضمون تلك الوظيفة إذ لم يكن التصرف على قوانينه ولا له متعهد من يقيه من
غير احتساب عليه ثم عزل من ولاية الوطن القبلي لأن الوزير خير الدين لما استقر في
الوزارة

الوزارة الكبرى وظن انه غنى عن معاضدة ابن اسمعيل حينئذ فانفصم مع الوالى صعوبة
الالحاح بعزله ومن ذلك التاريخ برح الخفاء فيما كان كامنا من منافرة الوزير ابن
اسمعيل للوزير خزندار لدين وان اظهارا للميل اليه لم يكن حقيقيا وانضمت عليه عصبة الوزير
الاسبق خزندار من الاجانب وبعض المأمورين ترويج اغراضهم مما تقدم شرحه
وفى اثناء تلك المدة كانت أموال الوالى وذخائر الحكومة من الجوهرات والياقوت
الابيض الذى تركه محمد باشا كلها فى تصرفات الوزير ابن اسمعيل المذكور الا
ما أخرج من ذلك مما أرسله فى هدايا للدولة العلية وما اعطاه الوالى الى الوزير خزندار
وله قسط وافر او غيره وكان المتقدم فى تلك المدة بالوزير ابن اسمعيل شخص من سكان
الحاضرة يقال له على ابن الرى كانت الناس تتقيه من قبل ثم ازدادوا منه اتقاء لما
اتحد بالمذكور ونقصه بل حالة هذا الشخص لا تناسب هذا التأليف على ان من شاهده
لا يبلغ ما ذكره لما علمه ومن لم يشاهده لا يكاد يصدق بوجودها ولذلك لا نذكر
الا ما يتعلق به من حوادث سيده فمن ذلك انه حسن اليه معاطاة التجارة فى رقاع ديون
الدول واراده تاجرا بعد تاجر الى ان استقر امره مع احد تجار الاقمشة الحريرية من يهود
الحاضرة المدعى بيوسف بن عصار وارسله الى فرانسا للتجارة هنالك ثم لما عاد التاجر
حصلت بينه وبين على بن الرى نفرة فاغرى به سيده لارادة استئصاله ووضع
التاجر فى سجن الضابطية لان الضابطية كانت لا تسأله عمن يريد سجنه وانما
حسن المسند اليه اراه وادعى على التاجر بخصوصه ملايين فرنكا او تزيد بين مال
ومصوغ وحجارة كريمة من الياقوت الابيض على انها من اعلى نوع وانه سافر بذلك
الى فرانسا ولم يؤخذ منه حجة فى بيانها وانه ارجع اليهم بالارسال من فرانسا مقدارا
وافرا من الياقوت الابيض من النوع الردئ مدعيا انه لم يبع مما تسلمه منهم وقبلوا ذلك
وبقى التاجر الى ان احضر بالضابطية واخذت منه حجة على نهاية صحيحة وانكرها
هو وطال الامر الى ان تخلص التاجر من السجن وهرب الى قنسلاتو الانكليز منتسبا اليها
طالبا اجراء الانصاف فى نازلته وتداخل القنسل الانكليزى مع الحكومة فى انصاف
الرجل ولاحت علائم الزور على حجته ولم يكن معهما من القرائن او الاسلوب التجارى
ما يؤيده سيما فى مبلغ وافر مثل ذلك بل ربما كان معهما من القرائن عكس الدعوى
اذ ان المدعى به عليه من الياقوت هو من اعلى نوع وهو المصرح به فى الحجة ثم النوع
الذى ارجعه اليهم وقبلوه وارسلوا له فيه مكاتيب بوصوله من غير انكار لكونه من نوع

ما أعطوه ولا تعويض بذلك ثم ان ذلك المقدار البالغ يعطى لانسان من غير بيان
ولا حجة ولا دفتر ولا تؤخذ عليه الحجة الا بعد رجوع عبده وهو عين الغصب زيادة عما كان
عنده انتهاشها فان جميعه يؤيد كلام التاجر فانه بعد ان رفعت المشارطة الى الوزير خير
الدين وارادته تشكيل مجلس للنظر فيها وامتناع الوزير ابن اسمعيل من ذلك حسبما
تقدمت الاشارة اليه وبقى التاجر مصمما بالقضية لا تصالح معه الوزير ابن
اسمعيل بمائة الف فرنك وعشرين الف فرنك وتعجب كل من سمع بالدعوى التي هي نحو
ثمانية ملايين كيف يصالح عنها بذلك القدر لو كانت حقا ولم يكن المشارطة مقررة في
الوزارة وفي المجلس الاكبر ولو نظرنا الى ما وقع في المشارطة من الكلام على السنة الناس
الذي منه ان مما قاله على ابن ازى الى الوزير ابن اسمعيل ان التاجر المذكور لما عاد من
فرانسا الرجع له مصوغا أو أثاث مصوغ قيمته بليون من المال وبه انكشف عن حالة
المصوغ بعد الاتصال بالصلح مع التاجر واذا هو من البلور المذهب على الياقوت
فاخذه الوزير ابن اسمعيل بعينه حيث لم يكن فيه من فائدة واخبره بانه يبيع ببضع آلاف
وادخلها الله في حسابه ولما وقعت الواقعة الآتي بيانها مع ابن ازى تبين ان عين ذلك
المصوغ لم يزل بخزانته وانه من الياقوت حقيقة وامثال ذلك اطال الكلام في
المشارطة لكن لا ادعي اثباتي ذكر ما يقال على السنة الناس سيما وهو مما يعود الى
ما بين الخادم والمخدوم وانما الداعي الى ذكر ما تقدم هو بيان كونه سببا في خروج
مسألة التاجر المذكور عن ما بقوس وصيرورتها تحت الحماية الانكليزية كما انها
كانت سببا في تمكين النفرة واظهارها بين الوزير خير الدين والوزير ابن اسمعيل وميل
الوالي الى معاضدة هذا الاخير لتمكنه من جميع امواله حتى ان نفقته ونفقة عياله كانت
على يده وقد نشرت اخبار متواردة في الصحف الخبرية عربية وغيرها فيما تقدمه العائلة
من تباعة ذلك ولم يقع تكذيبه وحيث كان من الخصوصيات فلا نطيل هنا ايضا
وانما اشرنا اليه لتعلم خلاصة التصرفات المالية وبما تقدم وغيره حصلت الاشاعات
التي اشرنا اليها في اسباب استعفاء الوزير خير الدين وقرائن الحال دالة على انه كان
القصد توجيه الوزارة الى الوزير مصطفى ابن اسمعيل غير ان معرفة حال الموظفين
والاهالي في التسليم لذلك كانت مجهولة فقدم للوزارة الوزير محمد وقدم الى استشارة
القسم الثاني من الوزارة الوزير مصطفى ابن اسمعيل لكي يباشر العمال والاهالي في
شكاياتهم ويتأنس بمباشرة التصرفات العامة فكان لا يتعرض لتصرفات الحاضرين

من

من اتباع الحكومة عند ورود الدعوى الان تكون تاركة لها بمباشرة بواسطة احد
علائقه وتقررت له من قبل قدومه الى الوزارة فبعد ما ادب فيها بما كان وقع عليه
الا انه لو حصلت فى اثناء هاته المدة رشوة لبقى كادت تتمادى سيما فى توظيف العمال
ولم يقدر الوزير محمد على دفاعها غير انها لم تتفاحش فذلك كما ولى الوزير مصطفى ابن
اسمعيل عاملا على الساحل لاسيما لوزير محمد عنه يجرى اول الامر العمل فيه على
ما كان ثم ولى على المستير رجلا ناشئا عن العامل يحمل نيفا عن المائة الف وكان ذلك
الرجل مدينا للاجانب من قبل واشترى الوظيفة لخلاص ما اشتراه به ولخلاص دينه
وتكسبه وامتدت يده الى الاهالى والى ... ولدى عدت نظره وتفاقم الامر مع شدة
الضعف المالى فى الساحل واشتكت رعايا الاجانب الى قناصلهم هناك لان اهل
الساحل لم يزالوا فى رق دينهم مما يحصل لهم من المال عوض ان يدفع لدائنهم صاروا
يدفعونه الى المتولى وبقى امرهم على ذلك الى نحو ما سيرد ذكره وفى اول مدة تداخله فى
الادارة وجه قصده الى التداخل فى المسائل الخارجية والداخلية مع نواب الدول
فاستعمل احد نواب الاجانب على اسم الوالد الباش المصلى لعلاقة بينهما دانية على
ارجاع المذكور الى خطته التى كان هو بها وهى وظيفة مستشار ثان فى الوزارة الخارجية
وقد كان عزل عنها فى اواخر وزارة خزندار اثناء ولاية خير الدين وزيرا مباشرا بسبب
واقعة وهى ان احدى الجمعيات الاجنبية التى تجمع المال لنوع من انواع المرحمة
توسطت اذذاك بقنصل فرانسا التمست من الحكومة التونسية شيئا من المال على وجه
المرحمة فارسلت الحكومة بواسطة المستشار المذكور مقدارا من المال ولما اجتمع
القنصل بالوزير شكره ونعم وذكر له المقدار الواصل لتلك الجمعية فاذا هو غير مطابق لما
اعطته الحكومة ووقع التحقق فى النازلة الى ان عزل المستشار المذكور وبقى بلا
وظيفة ولا مرتب الى ان قدم من الاجانب من عطف على المذكور وتوسط له لدى الوزير
خير الدين فى وظيفة فافهمه ان ذلك غير لائق لما تقدم فالح على ان يحصل له نعم ونال
بواسطته مرتبا سنويا قدره ستة آلاف ريال وقطعة من ارض مقدار ما يبنى بها دار
للمذكور وكبر ذلك على الوزير ابن اسمعيل اذذاك وجعلها ضميرا ولما انه متعاطى هو
الاشغال السياسية وتوسط لديه فى ارجاع المذكور لخطته السابقة بادر بالاجابة
بالقبول ولما انتهى الامر للوالى استفظع النازلة سيما وقد سمع بعض الناس بذلك
واوغر بالانكار بل ربما قال بعضهم انه بعد ذلك اهانة لهم وحصل من المتوسط ايضا

التشديد في الاقدام بمقتضى القبول لدى اجابته الوزير ابن اسمعيل وهو وان لم يكن
اذذاك وزير الخارجية الا انه عمل ان كلامه رسمي مثل وزير الخارجية وانكر ابن
اسمعيل التعهد بالقبول وانما قال انى وعدت بابلاغ الوالي المطلب فقط وتمادى الخلاف
الى ان استرضى الطالب ووظف المذكور وظيفة مخترعة وهي كاتب سر الوالي
بالفرانساوي وجعل له مرتب اثنا عشر الف فرنك في العام ثم ابتدأت نازلة الكنت دي صانسي
فالح الوزير ابن اسمعيل في تحصيل فصلها وكان فيها ما سيرد خبره ثم جاءت نازلة وصل
السكة الحديدية التونسية بسكة الجزائر وذلك ان الشركة التي بيدها هاته وشرعت في
العمل بها بعدما ان فرغت ان تصل بيدها باحدها او وصل السكة المذكورة بسكة الجزائر لانها
ان لم تصلها تتوقع الخسارة وبدونها تنقص ربح الخمسة في المائة من دولة فرانسا ضامنة
للشركة المذكورة ربح خمسة في المائة على ما تنشئه من الطرق الحديدية بافريقية
وتتصل بالجزائر ودولة فرانسا انما ضمنت ذلك لانه مما يعمل به كثيرا في الممالك
الاوروباوية لترغيب ارباب الاموال في انشاء المنافع العامة مع تحقق الربح من اموالهم وهي
لا يثقل عليها مثل ذلك لغناها وكثرة مواردها من الطرق الحديدية فعلى فرض خسران
جهة من الجهات في الطرق يعدل بالربح الحاصل من الجهات الاخرى واذ بقيت طريق
تونس غير متصلة بالجزائر لا تحصل الشركة على الضمانة المذكورة ولذلك قدم الى
تونس زعماؤها وطلبوا وصل السكة مستندين الى الفصل الثالث عشر من الاتفاق الذي
بايديهم في اصل الرخصة من الشركة وهو ان الشركة يسوغ لها مد فروع يمينا وشمالا
عن الخط الاصلي بعد الاتفاق مع الحكومة على جهة المركز لوصل له الفرع وعلى
جهة مروره وان المقدار الذي بين نهاية الخط الاصلي وبين حدود الجزائر لا يبلغ الى
مقدار طول الفرع الذي لهم الرخصة فيه وهو خمسون كيلومتر واي نحو خمسة واربعين
ميلا وانهم غاية ما يطلبون الاتفاق على تعيين المركز المنتهى اليه وتعيين جهة المرور كما
يطلبون مد فرع الى جهة الكاف بمقتضى الرخصة الاولى ايضا فبلغت النازلة في البلاد
وعند رجال الحكومة اهمية تامة لا بالنظر الى فرع بلد الكاف لانه خال عن كل شائبة
وليس فيه الا النفع وانما الاهمية من حيث وصل الطريق بالجزائر وكثرت الاقوال في
وجوه ما يكون وما تأتي الى فرانسا لتيسير اسباب الوصول الى المقصود وتولى امر الحرص
فيها الوزير ابن اسمعيل وكان القنصل الفرانساوي معينا الى الشركة على غير الطريقة
الرسمية وغاية ما هو من باب ضعفه والنصح ويود فصل النازلة من غير ان تدعو الى تداخله
الرسمي

الرسمي باستعجاله من الشركة على ما يمكن أن تدعيه ضررا لو لم يجد إذ ذاك من تحمل
العمل وعقد لها مجلس تحت رياسة مستشار الخارجية وأعضاؤه ثلاثة تونسيون واثنان
فرنساويان واثنان طليانيان وكاتب انكليزي والجميع من موظفي الحكومة
فتفاوضوا في المسألة لكن مع الإشارات المتواردة بالتعجيل واختلف رأي المجلس هل ان
الوصل المقتدر عليه من الطالب يقتضي ذلك أم لا لأنه بالنظر للخريطة يتبين ان
المقدار المطلوب ليس بفرع بل هو طويل لا يصل لحد حيث يتجاوز نهاية النقطة الأصلية
المنتهى إليها الخط الأصلي في العقد ولكن الذي ترجح عند أغلب المجلس أنه يصدق عليه
أنه فرع إذ لم يقيد الفرع بعدم مجاوزة نقطة الأصل ومع هذا فإن الاستناد إلى ذلك الوصل
لا ينتج المطلوب لأنه ولئن تضمن إمكان امتداد أحد الفروع ضمنا يعارضه التصريح
القطعي بفصل خاص وهو أن الوصل بطريق الجزائر ليس للشركة عليه ولا رخصة فيه
الا باتفاق جديد ولهذا نص أيضا بأن الحكومة ليس لها إعطاؤه لغير الشركة المذكورة
وهو حجة قطعية بأن الوصل بطريق الحديد للحدود الجزائرية بعد مدة وزارة خير الدين بل
إنه شرط عدم الإيصال للحدود وإن إعطاء الرخصة للشركة الفرانساوية في إيصال
الطريق للحدود هو امتياز جديد أعطته الحكومة ونسبته بعد خروج الوزير خير
الدين من خطة الوزارة ولهذا انتقل الكلام إلى أن الوصل هل للحكومة فيه أم لا فتذاكر
الجميع في منافعه ودفع الاعتراضات والمضرات الناشئة منه على ما تقدم بيانه عند الكلام
على وزارة خير الدين بل زاد بعضهم بأن قال إنه إذا لم يحصل تحقق المضرة المالية للحكومة
بأن ما يصل إلى المركز إنما يأتي بقرب من الحدود مع عدم انحصار جهة الخروج منها
فتحصل النتائج على ظهور جيوبات وتخرج إلى الجزائر من غير أداء الضرائب الحكومية
إلى غير ذلك من المصالح ودفع المضار وما عساه يقع من الريبة كانت السياسية عند
الامتناع من الوصل ولما كنت أحد أعضاء ذلك المجلس وافقت على ما ذكر غير أني
لاحظت شيئين (أولهما) ان الوصل إلى الحدود يلزم منه تعيين الحد وهو واقع فيه
خلاف وصال الفرع من مدة أحمد باشا وليس للحكومة أن تعين الحد لأن ذلك متوقف
على إعلام الدولة العثمانية وهي التي تعين الحد (وثانيهما) أن وصل الطريق ينشأ عنه
كثرة القادمين من رعايا الجزائر لسهولة الانتقال وقرب الوقت ورخص المصروف وذلك
هو وإن سر رواج التجارة وإن الحاق من كل نوع فيهم المستقيم وغيره فإذا كثر الوارد
من رعايا الفرانسيس وحصلت كثرة أعمالهم استدعى ذلك كثرة الخصومات الطبيعية

وليس لحكام تونس الحكم في نوازلهم بل النوازل ترفع الى القناصل وأين هذا في قبائل
العربان التي يمر بها الطريق بل وفي نفس البلد نادر لاتساع الحكام وضع اليد
على المطلوب فيصل المتعدى ما يريد ويركب ويرجع الى بلاده وقبل ان يصل العلم الى
حاكمه يعبر ذلك الى ضياع الحقوق سواء كانت للاهالي وهم الاكثر او لغيرهم
ويضطرون الى اعمال وجوه يتوصلون بها الى حقوقهم مما اوقعت البلاد
في ارتباك او خروج رعية من حكمها ولا مندوحة عن هذا الا باتحاد الحكم وقد كان
السعي به من قبل دولة فرانسا موافقة على اصله طريق الاعتبار ولكنه
لا يمكن الموافقة على وصل الطريق الا بالوجه المذكورين وقيل لي ان هذه
المسئلة النظار بغير تطابقها مسئلة الحكم وهل ترضى باتحاد الحكم جميع الدول حتى
تدخل فرانسا معهم اذ لا ترضى بذلك وحدها فقلت ان كانت نازلة الطريق بمجردة
بحيث فلا ضرورة لنا تحملنا على اتمام المسئلتين المشار اليهما الا بعد الخلاص
منهما ومضرتهما تعدل وتعوق على المنافع المشار اليها اولا وان كانت النازلة فيها شائبة
سياسية ومراتب تعينها فيما يتعلق بشغل مواعدة الدول على اتحاد الحكم وتبعدا
بينهما لان الداعي منهما هو اتصال الممكنين ووصلة الوصلة بالطريق الجديدة على
ما شرحه لا تشاركها فيها بقية الدول فادرا احرى بان العمل بذلك مع عدم الوفاء منهم
يغلب على الظن توقف الجميع وكانت هذه الاخطاب هي مذكورة بي بصدده دوم
ومباحثة آخرين واغلب الاعضاء انصفوا وتكررت المذاكرات حسبما هو طبيعي
في تعدد الآراء وكاف في نماء ذلك احد الاعضاء بصورة الشروط التي يمكن ان يقع
عليها التعاقد وبينما المجلس يوما في اثناء المذاكرات واذا بالخبر بان الوزير اسماعيل
أخبر بان القنصل قادم على الوالي ذلك اليوم للعرض على النازلة ونهم لا تتحمل زيادة
الطول من ذلك التاريخ خرجت النازلة عن كونها شورية حقيقية وعدلت الشروط
المشار اليها في اقرب وقت ودفعت اولى الاعضاء المشار اليها بالنص على ان مركز الفرق
لا يكون ملاصقا على الحدود ونظرها يتعدى ذلك ام لا كما وقعت الملاحظة ثانيه باب تكسب
بانفرادها في اوراق الوزارة لتكون اشارة على الحكومة في السعي على مقتضاها وابقيت
في خزانتها مع تحرير كل ما وقع في المجلس واصبت المعة وسمع من يامرها وسعى فيها انها
من تصرفات الوزير خير الدين والوقف على كل ما قررناه يحكم بانصافه ثم ارسل هذا الوزير
من الوالي لتهنئة ملك ايطاليا امير توبالولاية عوضا عن والده ثم سافر الى معرض باريس
واحتفل

واحتفل به الوالي العام بالجزائر واجتمع في باريس برئيس الجمهورية ورجال السياسة
وذاكر بعضهم في فتح البحر بالصحراء الكبيرة من خليج قابس وعدد له منافع تنشأ من
ذلك للجريد وذكر له أوصاف الجريد التي هو عليها الآن وتقاعس الوزير ابن اسمعيل
من الخوض في النازلة لانه يخشى من المذاكرات السياسية بانه كان في سن الصغر لما
كان الوالي يسافر ثلاث اعوام ولذلك لم يكن يعرفها وان المذاكرة في النازلة تجري
في الوزارة بتونس فتعجب المخاطب من الجواب ثم شاع الخبر بالاستعانة ببعض
نواب الدول على توجيه الوزارة الكبرى الى الوزير ابن اسمعيل وان بعض النصحاء صرح
له بان الوظيفة ما تطلب اليه لتوجه عناية الوالي اليه ولا داعي الى الاستعانة بالاجانب
على ذلك لانه يفتح بابا غير مناسب فان الذي يستطيع ان يعين على الولاية يستطيع
صدها اعتذر بما لم يدفع به ذلك ثم استقرت ولاية الوزير ابن اسمعيل الوزارة الكبرى
في شعبان سنة ١٢٩٥ على الكيفية التي تقدم ذكرها في استعفاء الوزير محمد
واستبد الوزير ابن اسمعيل بالتصرفات وحصلت في البلاد ثنيات تشبه ما وقع بعد
عزل الوزير خزندار وقد عادوا ما بنيتهم على ذلك اذ لم يتأملوا هاته فكانت امتثالا لما
أشير به عليهم بالاعجال من الاتساع فحدث في هاته المدة امور في الحكومة والقطر
(منها تفاقم) الامر في نازلة دي صانسي وخلاصتها ان هذا الرجل الفرانساوي كان
نظم في وزارة مصطفى خزندار ان تعطى له ارض قدرها اربعمائة ماشية كل ماشية كيل
مائة واثنين وتسعين حبلا وكل حبل طوله عشرون ذراعا على ان تكون الارض قابلة
للزرع والسقي ويعطى له ذلك المقدار على اربعة اقساط وهما وفى بشروطه في سنة
يعطى له قسط وعلى ان تعينه الحكومة من جميع الادوات واشترط عليه ان يربي في
الارض المذكورة انواعا ثلاثة من الحيوانات وهي الخيل والبقر والغنم في كل مائة
ماشية عدد خاص من الانواع المذكورة على ان تكون الانواع من احسن الموجود في
القطر او خارجه الى غير ذلك من شروطه وهو يبيعها لمن شاء وليس للحكومة شيء في
عوض ذلك الا تحسين الانواع المذكورة في القطر فمضت آجال متعددة وله الارض
الاولى وادعت الحكومة عدم وفائه بالشروط وادعى هو التعلل بانها هي لم توف له ايضا
حيث طالب الاعفاء من الادوات التي وعدته ايضا وكان ذلك في مدة وزارة الوزير خير
الدين فآل الامر بعد ان كادت ان تتصل النازلة بالمرة وبعد ان عقد لها مجلس من
متوظفي الحكومة الى اخراجه عليه واخذه القسط الثاني من الارض واسقاطه كل

دعوى فيما تقدم تاريخه فلم يوف بما اشترط عليه ايضا وادعى ان سبب ذلك تداخل
تونس فى حرب الروسيا وان الارض التى اخذها ليست كاملة المقدار وانها ليست
بكاملة الصفات وانها لم تعط ما هو مشروط وان الحكومة لم تحم حقوقه من التعدى
عليه من الاهالى فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الوزير ابن اسمعيل فى مدة وزارة الوزير
محمد وطالت المراجعات بين الحكومة وبين دى صانسى وقنصلاتو الى ان ولى الوزير
ابن اسمعيل الوزارة الكبرى فرض فى تمام النازلة وتخليص الارض من يد المذكور
وعقد لذلك مجلس من متوظفى الحكومة من الاهالى والفرنساويين وتكررت
المراجعات الى ان استقر الرأى على ان لا حق للكنت المذكور فارسل الوزير ثلاثة من
متوظفى الحكومة مع مصاحبة قنصل اوستريا بحوز الارض المذكورة والشهادة على
كيفية الحوز وقبل ارساله اعلمه قنصل فرانسا بان الاولى الصلح فى النازلة بان يضرب
لصاحب المنحة اجل ثمان تلو فيه شروطه ويسقط جميع دعواه فان لم يوف تخلص
دولة فرانسا الارض منه وترجعها للحكومة تونس وبدون ذلك لا يمكن تسليم الارض
الا بمجلس تحكيم مختلط وانه لا يسمح لاتباع الحكومة بالدخول الى الارض وان اتوا
للاستيلاء يجدون من يعارضهم من اتباع القنصلاتو فلم يقبل منه ذلك وعند وصول
رسل منعهم اتباع القنصلاتو من الدخول بالكلام فرجعوا وكتبوا التفصيل حالا فورد
من قنصل فرانسا طلب (اربعة) مطالب (اولها) طلب الترضية من الحكومة (ثانيها)
القصاص المؤلمة على من تسبب فى النازلة (ثالثها) عقد مجلس مختلط للنظر فى اثبات
دعاوى دى صانسى او حدها (رابعها) الجواب عن ذلك قبل مضى يومين والا فانه
يقطع المخالطة وشاع بالالغاز ان المراد بالقصاص المؤلمة هو عزل الوزير واضطرب الوالى
والوزير واشتد الخوف وقال بعض الاجانب ان قطع المخالطة لا يعقبه الحرب فتربصوا
حتى تعلم الدول ولعله يكون منهم التداخل فتفصل النازلة بوجه آخر ولم يقع من احد
القناصل جواب مقنع فى عدم خوف الحكومة لعدم وصول الاخبار التلغرافية وضيق
الوقت ولم يعلم الدولة العثمانية وسعى امير الامراء الياس عند القنصل بالوجه
الخصوصى بان يكون الوزير فى امان ويجاب بجميع المطالب على ان يعزل الكاتب
الذى توجه فى النازلة وهو الصادق الفقى الامين فقد ابيد سنغالية الذى على صغر
سنه كان يحسن سبع لغات ومطلع على السياسة ونصوح لتونس كثير النصائح ووفى بجميع
لوازم وظيفته ويقال ان سبب الرضا بعزله هو تخصيصات نفسانية فارسل الكاتب
استعفاه

استعفاء قبل العزل ووقع الرضا انتهاءها بأن يكون ذلك نهاية المؤاخذة التي
هي احدى المطالب ووقعت الاجابة الى المطالب من الوالي بعد ان كتب تلغرافا الى وزير
خارجية فرانسا بانه يريد ان يرسل له رسولا خاصا ليشرح له المفارقة فاجيب
بواسطة القنصل بان لا فائدة لارسال هاته في ذلك وان القنصل معتمد من قبل دولته
فاجاب الوالي حينئذ بالقبول ونزل الوزير ابن اسماعيل الى القنصلاتو باللباس الرسمي
ترضية عن الواقعة ثم عقد مجلس برئاسة موسيو فولون احد اعيان الحكام الفرانساويين
وكان رئيس مجلس التحقيق بالجزائر وهو رجل منصف عفيف واعضاء المجلس اثنان
تونسيان واثنان فرانساويان بعد التروي في مجرد دعاوى دي صانسي هل هي
واقعة أم لا عدا دعوى التعطيل بمجرب استقر الرأي على ان مقدار الارض بالقيس
الهندسي الذي لم يجر بكيفيته العمل في تونس هو ناقص وان صحتها مطابقة للشروط
وان الاعتناء لم يقع لان شروطه لم تقع وان محاسبة الحقوق موفاة من جهة الحكومة
ثم بقيت الارض بيد دي صانسي الى الآن وعند قبول الشروط كوفئ أمير الامراء الياس
بولايته مستشارا ثانيا بالوزارة الخارجية وبما حصل إصالته ورد الى تونس احد
الفرانساويين وطلب انشاء مرسى امينة للسفن على شاطئ قرطاجنة قرب حلق
الوادي وألح على ذلك وتخوف من منعه فاعطي خمسة وعشرين الف فرنك لكي
لا يتشدد وأعطي الى امير الامراء الياس عشرة آلاف ريال لتوسطه عنده بان يرضى ولا
تعطى المرسى وكذب في الصحيفة الرسمية ان كون اعطاء المال كان بسبب طلب قنصل
فرانسا (ومنها) حصول موكب لاحراق تذاكر الكوبون أي الفاضل الذي استخلص من
مبدأ الكومسيون الى ذلك الوقت وحاز الوالي الوزير ابن اسماعيل على ذلك الاحراق
بالسيف المرصع الذي انعم به من طرف الخلافة (ومنها) ان احد العمال من اشراف
مساكن ولي على قبيلة المثاليث فادعى عليه بانه اخذ منهم زيادة عن موظفات الحكومة
نحو مائتي الف ريال ولم يجر الحساب على مقتضى الانصاف المطلوب فطالب
بتحرير الحساب بمحضر اعيان من ثقات الحكومة فلم يجب وقبض به اثنان من اعوان
الوزير ومنعوه من الخروج من داره الى ان خلص منهم بحيلة ورمى بنفسه من احدى
طوارق علوه والتجأ جاريا الى قنصلاتو انكلترة فدخل بالاضطرار مغشيا وأغمي عليه
ولما افاق سأله القنصل عن سبب حاله فقرر انه عذب بربط يديه واحراق الحطب
في وسط بيته والسكر فيها وصب الجمر او القاذورة على راسه وغير ذلك من انواع التعذيب

ليؤدى المال وأخذوا منه ابرا على ذلك خمسة عشر ألف ريال وآل الامر الى طلب
الفاضل اعادة الحساب فامتنع الوزير من ذلك وحصلت بينه وبين الفاضل مرة ودامت
مدة الى ان ابدل الفاضل المذكور لفراغ مدة خدمته بالسن وهو ممن يتشار دوورقه
دولته ثم جاء خلافه وصولح العامل المذكور باقل من ربع ما دعى عليه بدفعه على اقساط
(ومنها) ان احد اعيان الساحل الملقب بابن الحمصية دعى عليه بانه اشترى زيتا من
الوزير وكتب عليه حجة بنحو ثلاثين ألف ريال فتعطف بالخاص فلم يفد ثم طلب ان
يتوجه الى حوانيت الافرنج ليقترض منهم ويدفع فارسل معه أحد الاتباع لمراقبته
ولما وصل تجاه قنصلاتو فرانسا دخلها مستجيرا فلقيه أعوان القنصلاتو وقرروا انه
واجتهد القنصل في حمايته لما ثبت عنده ظلمه وحماه من ذلك ولم يخرج من هنالك
الا وهو وجميع عائلته تحت الحماية الفرانساوية وتتابع الامر في امثاله على ذلك
النوع الى ان كتب أحد القناصل الى دولته بقبول كل من يحتمى اليهم وكتب تقريرا فيما
هو واقع فاحس الوزير ابن اسمعيل بذلك فاستعفى من ولايته عاملا على الساحل
وتلطف للقنصل بان يكون ذلك ختام النازلة فامسكت على ذلك (ومنها) ان احد
التجار الملقب بالصباغ الذى تقدم ذكره عند الكلام على الوزير مصطفى خزندار
اقرض اهل مساكن في نكبة الساحل العامة سنة ١٢٨٠ اموالا اسلاما على
الزيت وتضاعف أمره الى ان عجزوا وسجنوا مدة طويلة فلما ولي الوزير ابن اسمعيل
على الساحل توسط في الصلح مع التاجر على ان تحسب له بما يطالبهم وهم يدفعون
ذلك للوزير على اقساط فصرحوا على ذلك ونقل الناس عن التاجر المذكور ان المال
اسقطه هو عن الوزير ابن اسمعيل لتوسطه في ارجاع بستان الوزير مصطفى خزندار
بمنوبة الذى كان دفعه في الصلح من مطالب الحكومة منه كما سبق ذكره وان لم يرجع
البستان الا لورثة خزندار عند موته واعاد فعل التاجر ذلك للمنافرة بينه وبين خزندار
المذكور وبين الوزير ابن اسمعيل بتخلص المال من أهل مساكن شيء واشباهه كذا
شاع عند من سمع من الصباغ (ومنها) ان أحد اتباع الوزير ولي على قبائل جلاص
فلبث فيهم مدة الا وافيل منهم فوج بعقبهم شاكين الى الوالي بانهم ضربت عليهم غرامة
بنحو مائتي ألف ريال زيادة على أموال الحكومة ووقع في النازلة تمادى وهرج
الى ان صولحوا برفع الغرامة وابقاء العامل (ومنها) تكاثر الحصائل في الوظائف
من العمال فقد حصلت لذلك بعض العائلات كالحمامه وعادما تخوف الناس منه من

اشتداد

امتداد الايدى الى الاموال حتى أشاع بعض العمال انه شريك للوزير فيما يستلزمه من
أنواع الدخل وبسبب ذلك انحطت بعض المداخيل ولزمة غابة الزيتون سنة ١٢٩٧
أنقصها تابع الوزير اسمعيل بستة وعشرين ألف مطر وبذا أحجم عن زيادة
عليه سائر الاهالى لما أعلن التابع ان أحدهما شريكه مع الوزير وليست هاته
بمثابة قدم ليها لاجانب الذين لا يخشونه لانه يحتاج الى ممارسة الاعراب ولم تسبق
لهم عادة باستلزامها (ومنها) ان قبيلة تسمى بالقوارين من المنتسبين الى أحد
الصالحين وعددهم لا يبلغ الى الثلاثمائة نفر حين يسكنون فى الجهة الجنوبية فى حدود
الصحراء كانت الحكومة منذ قديم معفية لهم من الاداءات لفقرهم وقلة كسبهم واستمر الامر
على ذلك الى سنة ١٢٩٦ فاريد ارغامهم بالاداء فامتنعوا متعللين بالعادة والحال فالح
عليهم وتهددوا بالقصب فقبلوا باداء شئ من المال سنويا على انهم يوزعونه على أنفسهم
من غير أن يتداخل العامل فى عددهم وتوزيع المال عليهم مثل ما هو جار فى بعض
القبائل المتوحشين كورغمة وطماطة وشبههما وكان الفرق بين ما يمكن ان يحصل عليه
وبين ما أرادوهم اعطاءه بانفسهم لا يتجاوز الالف ريال على ما قرره أحد العارفين بهم
فامتنع الوزير من مساعفتهم وأذن بقصيهم واستعمل لذلك بعض القبائل الذين لهم معهم
عداوة ومعهم بعض العساكر الخيالة غير المنظمين المعروفين بالحوانب والصبايحية فعاثوا
فيهم وقتل منهم كثير حتى النساء والاطفال وتمزق جمعهم وعدم شملهم (ومنها) ان رئيس
أطباء الوالى طلب أن يكون بالحاضرة مستشفى على النحو الاوروباوى فتمم ذلك بجمعية
الاوقاف وانتظم أمره وبنيت فيه بكل ما يحتاج اليه المرضى وتمت به راحتهم حيث
كنت أنا المباشر الى انشائه وجعلت فيه بيتا منفردا خاصا بالنساء وكل ما يصرف على
الداخل من المستشفى يكون من فواضل مال الاوقاف ولا يعطى المريض شيئا ولهذا
اشترط أن يكون الداخل اليه فقيرا كما جعلت به بيتا منفردا خاصا بالاغنياء ويقوم
المستشفى بجميع لوازمهم على أحسن حال علاجا ومسكنا ويعطون عوض ذلك قدرا
زهيدا من المال وجميع أدوات هذا القسم من الاسرة والخدم والفرش مماثل لحالة بيوت
الاغنياء المقتصدين فى مصاريفهم وفائدة هذا القسم ان كثيرا من أهالى الحاضرة اذا مرض
لا يجد من يوفى له بواجبات العلاج للعول من العائلة مع انهم يستكثرون أجرة الطبيب
فيندفع عنهم ذلك فى المستشفى وهناك فائدة أكبر من هاته وهى أن أغلب بلدان القطر
خالية عن الاطباء وكثيرا ما يأتى منهم أناس للتداوى بالحاضرة فلا يجدون مأوى سوى

منازل المسافرين التي تسمى وكائل وهي غير صالحة لمثل ذلك فتحصل لهؤلاء اهانة الغربة مع الاشتراك في المائدة المقررة لاهل الحاضرة (ومنها) ان الوزير ابن اسماعيل استوهب من الوالي الاوقاف التي كان حبسها على باشا الثاني على الاناث من ذريته فبقي في محل بنات تشهد بذلك في مدة وزارة خير الدين وعطاها اذ ذاك الوزير المذكور ثم بعد خروجه تمت الهبة وبقيت الاوقاف عنده بالهبة ولما تكاثرت عنده الاراضي المسماة بالهنشير الغابة كبرا وصغرا باع منها عددا وافرا الى جمعية فرانساوية وغيرها (ومنها) انه استوهب من الوالي أيضا صيد السمك بالمنستير المسماة بالتنارة ثم احالها الى جمعية أخرى كذا شاع أيضا (ومنها) عمل طريق بين باب البنات وباب سويقة من الحاضرة قرب دار الوزير وفيها اكثر مروره الى جهة باب الحمر (ومنها) ان احد الاغنياء من الاهالي توظف في الحكومة المسمى محمد عريف توفي رحمه الله عن غير ولد وكانت له بنات من ابنه فاوقف كسبه عليهن وعلى من يتزايد له وبعد وفاته وضعت زوجته حملها فكان ولدا ذكرا ثم توفي في اثر ذلك وكان للمتوفي ابن عم فتعاضد مع الزوجة وارادا ان يبطلا الوقف المذكور ليصير الحاصل ارثا فيرثان اغلبه وضمنا لتابع الوزير المسمى على بن الزي على موعد له وقد كان القاضي حكم وصيا على البنات وحفظ الوقف وبذلول فطلب التابع ان ينقل حكم النازلة من الشريعة الى الوزارة على خلاف الديانة والعادة من تحكيم الشرع في المواريث والاوقاف وارسل الوزير الى القاضي مكتوبا بان يسلم رسوم الوقف الى كاتبين احدهما من خواص الوزير والثاني من الوزارة مع الوعد في المكتوب بان الوزارة بعد الاطلاع على الرسوم ترجعها وكان المسلم لها ابا الزوجة وهو وكيلها مع احد الكاتبين ومال الزمن وأبطأ الوصي الى القاضي الوقوف على الرسوم اذ شاع انه سيقع فيها تغيير فارسل الى ابي الزوجة والى الكاتب الذين تسلما الرسوم وطلب ترجيع الرسوم اليه فاحضرهما فامتنعا فسجن ابا الزوجة حيث انه هو المتسلم واخبر بان الرسوم بعلو في داخل المحكمة الشرعية هو محل اشغال الكاتب المذكور حيث كان من شهود الاوقاف وذلك العلو هو مكان اجتماعهم فيه فالح القاضي على الكاتب وامتناعه امر بان يمنع من دخول العلو خشية اخراج الرسوم منه وبقي القاضي يحمي حكمه على الهيئة الشرعية حسبما سبق التعريف بذلك من كون اهل الشرع بتونس لهم من التعظيم والتوقير قريبا مما كان عليه الحال في الاعصر المتقدمين للديانة وشهرتها فما كان غير بعيد الا وعلى ابن الزي المذكور قادم فضرب باب العلو برجله وكسر قفله وامر الكاتب بالصعود

واخراج

واخراج الرسوم واخرج المسجون وامره بالذهاب حيث شاء وقدم على القاضي وباشره بما
لا يناسب ذكره وفشت الخبر وعظم الامر عند العلماء والعامة الى درجة لم تعهد فابطلت
الدروس من الجامع الاعظم واغلقت دار الشريعة وكثر اللغط وسرى الى خارج الحاضرة
وابلغ امر النازلة الى الوزير ابن اسماعيل فاراد أن يهون النازلة بمنع تابعه من القدوم الى
تونس وارسل معلما الى القاضي بانه مجنون فلم تنقص لذلك العلماء وتقدم الشيخ احمد بن
الخوجه شيخ الاسلام وجمع العلماء مرارا واتحد رأيهم على الانتصار للشرع وكتب جميع
المجلس الشرعي مكتوبا وارسلوه الى الوالي قصدا بلا واسطة الوزير على خلاف
المعتاد وقدم به رسولهم على الوالي في مجلسه العام فقرئ عليه فاذا فيه تفصيل الواقع
والاشارة الى ان الخطب عظيم وبه تتزلزل الراحة ويتوقى عاقبة الامر واحضر الجاني وامر
بنزع رتبته وحبسه ثم نفيه الى حصن جربه وقدم على اهل المجلس باشكاتب
ووزير الشورى وتأسف لهم على ما وقع وعهد اليهم بما صدر من الحكم فاقتنعوا في
الجاني بما وقع ولكنهم ابوا ما وراءه الوالي وقصدوا الى باشكاتب المذكور بما هو
حال بالقطر مما تقدم شرحه الى ان بلغ الحال الى تلك الدرجة وتوقعهم لما هو اعظم
وكان شيخ الاسلام يبكي على حالة من لا ارب له في الدنيا وكل تكلم بما بدا له من فظاعة
الحال فابلغ باشكاتب ما سمع وما رأى فاضطربت افكار الوالي وتكاثر الكلام في
الناس وكانوا كلهم على كلمة واحدة في اتباع اهل المجلس الشرعي وما ذكر اراده ثم انهاء
الامر والشكاية الى خليفة المسلمين وطلب اجراء ما تضمنه الفرمان المؤرخ في شعبان سنة
١٢٨٨ من اجراء العدل والانصاف في الرعايا وبلغ الوالي قصد العلماء وهو طلب
تشكيل مجلس للنظر في المصالح وفي اعمال المأمورين لكي لا يقع منهم ما وقع وحتى
مما شاع من تداخل الخلافة الكبرى اظهر ان الامان لا يرضى باتباع اهالي تونس
لمخالفة السيرة الادارية لما هو مشروط في الفرمان السلطاني سيما وقد بلغ الامر الى ما هو
راجع الى الشرع وحمايته وان ذلك ايضا يجري الى تداخل بقية الدول العالمين بتوسيع
السيرة مع كون الصدر بالدولة العثمانية اذ ذاك هو خير الدين باشا الذي يراه عدوا له
فارسل الوالي الى العلماء ثانيا يقول لهم امهلوني بضع ايام فان جعلت ترتيبا سياسيا يقنعكم
فاقنعوا والا حينئذ فناكرين والا فلكم ان تبدوا ما ظهر لكم وكان هذا رأيا اشار به
على الوزير بان يعمل كما قيل بيدي لا بيد عمرو وخشية تفاقم المطالب على ذلك القصور ووقع اذ
ذاك مبادي اضلال في عزم اهل مجلس الشريعة لان رئيسهم تقرب اليه الوزير مرارا فاقصط

حرصه وتوجهت أطماع البعض الى المسابقة لارضائه فلم يرقبوا جانبه ثم جمع الوالي
وزراءه وأعلمهم بما سمعه من مطلب أهل الشرع عند ما بلغه بريدهم بان يجمع مجلساً مركباً منهم أي من
الوزراء ورؤساء الادارة دون غيرهم من الاهالي للنظر في المصالح وبيان السياسة فاجابوه
بانه ما يتصور له حسن فهو حسن وكان هذا الجمع من الوزراء والمستشارين مشتملاً على
جميعهم حتى أن الوزير حسين كان اذ ذاك قدم من ايطاليا بالمصالح في مأموريته وصادف
الواقعة وكان ممن وافق الوالي على رأيه في جعل المحتسب والمحتسب عليه واحداً اخلالاً
للمعقول ولما يعلم من طبعه من لزوم احتساب الحقيق على تصرف المأمورين بثقات من
الاهالي الى غير ذلك من أوجه العدل ومع هاته الموافقة لم يسلم من القدح ثم ان
الوالي أرسل لاهل الشرع يعلمهم بانه انتخب اعضاء المجلس من عشرة أعضاء تحت
رياسة الوزير ابن اسماعيل واعضاؤه هم الوزراء والمستشارون وبعض رؤساء
الادارة ولما بلغ لاهل الشرع تعيينه لذلك قالوا ليس قصدنا الموظفين لانهم داخلون تحت
الامر ولا حرية لهم على اطراف القصر وانما المراد ان يكون اناس من الموظفين
والعلماء واعيان من البلاد والعربان ولا أقل أن يكون عددهم ثلاثين وصرحوا
بانهم لا يقصدون الا مصلحة البلاد لانهم ليس لهم غرض الا هناء القطر وهناء الوالي
وقبل أن تقبل قرارها صرح بانه لا يعترف بالمجلس ولما ان أراد الوالي الاستعانة بمذاكرة
لردع الطالبين فهو حاضر له حيث أن طريقة اوربا هي التي تلامه الى قصده كما ذكرناه
في محله ثم لما بلغ الوالي جواب العلماء أرسل اليهم بانه يريد اثنين من رؤساء الموظفين
وان هذا المجلس يتصرف فيما يقتضيه الحال من الكيفية ويجري العمل به وكان في اثناء
هاته الايام دبت السعاية بالترغيب لبعض العلماء والترهيب لهم من تداخل الاجنبي
بالاستقلال رضي عدد منهم بذلك وكان سبباً في تمكين الوالي على من يريد انتهى رضاء
المقترحين عند ذلك وصرح الوالي بما يشبه عن ذلك وانه الطالع على السر ثم جعل
هذا المجلس في نفس الامر اذا اجتمع يعرض عليه ما يريده الوزير والاغلب أن يكون
المعروض هو بعض النوازل التي تعرض بقلة ولما كان أغلب الاعضاء يسايرون الوزير
لم يظهر لوجوده من أثر اذ لا يتداخل في نصب ولا في عزل ولا سيرة عامل او رشاو شاهد
ذلك الخارج فانه لم يمض عليه شهران حتى وردت الاسرار على شيخ الاسلام بان يتشفع في
الجاني على الشرع فلم يوافق حضرة بل أظهر زيادة الامتناع ثم سودت سراً بطاقة الى
المنفى ليكتب على غطاها مكتوب بالاهل المجلس الشرعي ولما ورد مكتوب به على نحو ما

كتبوا

كتبوا الى الوالي مستشهدين بعدما امتنع بعضهم وقبل عندما علم بذلك ليت شعري
ما هو وجه كتبهم مع علمهم بالحقائق ومنها نقض الوزير اثر ما تقدم في بناء دار
شيخ الاسلام المذكور بتونس وكذلك داره بعمل الماطر وكثر تردد اتباعه الجاني المذكور
عليه حتى نشأ عنه قيل وقال بسوء جانب العلم والخطة ومنها انه اشتكى بعض
السكان في مطلب له من اتباع الوزير المذكور الى القاضي فادعى الجواب امتنع وورد
الاذن الى القاضي الشرعي بان المذكور لا ترفع نوازله الا للوزارة فليس له النظر فيها
وقد علمت ما اقامه هي حالة احترام الشريعة وحكامها ومنها بناء محل للكرنتينة
أي الاحتفاء للواردين من الاقطار التي يكون بها مرض عام معدي وبني ذلك بحسب
رغبة الاجانب وحرص رئيس أطباء الوالي وهو بل له طبيب خاص وكان بناؤه باحدى
المراسي المسماة غار الملح ومنها حصول الهرج في القبائل بالجهة الغربية حتى ادعى
قبائل الجزائر التعدي من قبيله وشنانة التونسية فارسل عليهم الوزير بعض أتباع
الحكومة وشاع انهم اقتصوا منهم نحو خمسة آلاف رأس من البقر اعطوهم الى قبائل
الجزائر واخذوا لانفسهم وكتبوا عليهم خمسمائة رأس من البقر ومنها ان تابع الوزير
بن اسماعيل المذكور الملتزم لزمة الصاغة أي دخل الحكومة مما يؤخذ على المصوغ المباع من
الفضة فادعى على أحد اهالي القيروان الاغنياء من الذين يتعاطون التجارة بانه أحق
ما يلزم الاداء عليه لالزام وسعى وكاد أن يفلس ورادته وجه العناية في المستقبل
ومنها ان شركة طليانية طلبت مد سلك كهربائي بين تونس وايطاليا ولم يجبها الوزير
الى ذلك وكان ذلك سببا في تعكير المخالطة مع ايطاليا بدعوى ان شروط أصل انشاء
التلغراف لا يقتضي منعهم ومنها حمل اداء على العجلات التي في الحاضرة حسبما هو
جار في سائر البلدان لاصلاح الطرق ومنها منح لجنة فرنساوية لانشاء مرسى في شاطئ
البحيرة بالحاضرة بعدما طلبت ان تكون المرسى حول حلق الوادي مع انشاء طريق
حديدية اليها من الحاضرة مارة على طريق رادس فنازعت في ذلك الشركة الطليانية
التي اشترت من الشركة الانكليزية الطريق الحديدية الموصلة بين تونس وحلق
الوادي المارة على العوينة مستندة الى شروطها وكاد يتفاقم الخلاف الى أن أرسي على
ما تقدم ومنها منح اللجنة الفرانساوية المذكورة وهي صاحبة طريق الحديد الواصلة
الى الجزائر بان تنشئ طريقا حديدية الى الساحل واخرى الى ابن زرت وان تتعهد
بالطرق الحديدية في المستقبل الى أي جهة ومنها ان احد أقارب صهر الوزير ابن

اسمعيل فقتل حلاقاً بالطلاق بكلمة عابه في دكانه لمشاجرة بينهما ولم يقتص منه ومنها
ان أحد التجار الطليانية كان يدعي بان جده كان أقرض محمود باشا الذي توفي سنة ١٢٣٩
بشيء من السلع ولم يأخذ قيمته وهو نحو خمسة عشر الفاً وكانت نشرت النازلة مراراً ولم تقبل
حتى عند الكومسيون المالي المختلط وحقيقة ذلك لتأخر صدورها لامير اللواء الباشا المتقدم
ذكره فاعطى حينئذ ما طلب ولما كانت مالية الحكومة ضيقة والكومسيون غير
معترف بالدعوى أعطى الطالب أرضاً فيقال ان قيمتها نحو ستين الفاً ولما ورد الاذن من
الوزير على الكومسيون بان يأذن وكيل املاك الحكومة بتسليم الارض المذكورة
للطالب توقف المهندس العام الفرنساوي في وجه ذلك ولكن قد تمكن الطالب من
الارض ومنها ان في رأس سنة ١٢٩٧ صنع بعض أتباع الوزير مصطفى بن علي أخو
الذي تقدم في وزارة خير الدين وقدموه مع الوالي والوزير ابن اسمعيل في موكب باسم
الاهداء من الاهالي وانظر ما هي الحصة التي كانت سبباً لذلك ثم في ربيع الاول من تلك
السنة قدموا للوزير أيضاً مثل ما تقدم منه مجوهرا ثم في شوال من تلك السنة قدموا له
أيضاً دواة مجوهرة نقشوا باسم اليهود من الاهالي لكن الحصة التي استحقت ذلك
لم تتبين ولا في واحدة من تلك الاشياء ومنها ان احد المهندسين الفرنساويين كان ادعى
انه مطالب للحكومة بمال مدة وزارة مصطفى خزندار وتوهمت معه الحكومة فلم تقبلها
الحكومة وكذلك عند انتصاب الكومسيون المالي عرضت عليه تلك المطالب واستقر
الامر على عدم قبولها ومادعى به لم تقبل ولا وجدت فيما له مستنداً لتدعيم
دعواه ففي وزارة الوزير ابن اسمعيل قبل ان يحيل فيها التحكيم وعقد لذلك مجلس مختلط
من التونسيين والفرنساويين ورئس عليه أولاً أحد رؤساء الاحكام فلوس الذي تقدم
ذكره في نازلة دي صانسي ثم نبه لم يقبل كانه علم غير ملائم لما هو عليه فقدم للرياسة
غيره وصدر الحكم على الحكومة باداء المذكور نحو ثلاثمائة ألف وخمسة وخمسين
ألف فرنك ومنها ان التاجر الصباغ الذي تقدم ذكره أيضاً كانت له دعوى من نوع
السابقة ولم تقبل لا من الحكومة ولا من الكومسيون المالي فكذلك الوزير ابن
اسمعيل قبل فيها التحكيم وصدر الحكم باداء الحكومة نحو اربعمائة ألف وخمسين ألف
فرنك والحال ان الحكم كان صدر من الكومسيون المالي الذي هو مختلط من تونسيين
وفرانساويين وطليانيين وانكليزيين وفيه أحد كبراء الموظفين من دولة فرانسا
واتصاله باتفاق الدول المذكورة على التراضي به في جميع النوازل المالية المقدمة وكلا

من المطالب المار ذكرها واستمر العمل بذلك أربعة عشر سنين مع ما فيه للحكومة
من العسر المالي كما تقدم شرحه وأضيف اليه استنهاب ما بقي على ملك الحكومة من
مهم الاملاك للوزير ابن اسمعيل حتى تم ما بقي مما يعتبر بها عند ما تزايد له مولود بل
حتى الاحباس التي أوقفتها الحكومة على المدرسة الصادقية اراد ان يأخذ منها أهمها
هو وبعض من المقربين عنده بوجه الانزال اى الكراء المؤبد وعند امتناع القاضي من
ذلك جعلت الاوقاف المذكورة من أملاك الحكومة وخوطب بذلك رئيس الفتوى
من المالكية فانزلوها على يده فالعمال يشترون الوظائف والاهالي تتحمل أعمالهم
والمالية والسياسة والشريعة على ما تقدم ذكره واخر المخابرات التي بلغتنا انه حصل في
هذا العهد ان وقع الالتزام الى دولة فرانسا بان لا تحدث شئ جديد في القطر من الاعمال
العامة الا بعد عرضه على الفرانساويين فان لم يرد احد منهم من يريد عمله فاذ ذاك
يسوغ ان يباشره غيرهم بحيث وقع التقيد في ذلك بارادتهم وهذه خلاصة التاريخ في
القطر التونسي الى هذا العهد وهو مبدأ سنة ١٢٩٨

تنبيه قبل طبع هذا الجزء طرأ الحادث العظيم على القطر وسنفرده بذيل خاص في
الجزء الثالث ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانسا الخارجية

(فصل في بعض عوائد أهل القطر وصفاتهم)

(مطلب في الاوصاف العامة) قد تقدم ان السكان مسلمون الا اقل من يهود ونصارى
الذين بها وهم نحو مائة ألف وأما التبصر في أحوال الديانة فغالبا هو في المدن وبعض
القرى وأما في القبائل الساكنين بالخيام فلهم معرفة اجمالية خصوصا ذوي الثروة
والذين نشأوا في أوطانهم زوايا لبعض الصالحين فيرشدهم مشايخ الطرق وأما باقيهم
فيعرفون من عقائد الاسلام الوحدانية لله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم صادقة
وربما كان بعضهم لا يعرف عدد أوقات الصلوات وغيرها من الفروض العينية وكل في
بلاده يتحمل به من يعلمهم ولا يرشدهم والكل على مذهب الامام مالك رضي الله
عنه الا قليلا منهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه والجميع أهل سنة الا
بعض أهل جربة فهم على مذهب الاعتزال ولهم علماء ومساجد خاصة وللاهالي تعظيم
لشعائر الدين ومنها الحياء فان الابن مثلا من الاعيان لا يجلس أمام والده الا باذنه
ولا يستنشق السعوط ولا يدخن به أمامه أبدا وكذلك أمام والدته هذا فضلا عن الكلام
الفاحش أو مخاطبة زوجته بل حتى اذا كان له ابن صغير فانه لا يحمله ولا يلاطفه أمام

والمدينة ويقبلون أيدي والديهم في السلام عليهم وربما كان ذلك كل صباح وهي تحية
التلامذة لمشايخهم وتحية السادات الأشراف وجميع الأهالي تعظيم كامل لهم وأما سلام
الأكفاء فهو التقبيل في الكتف إلا الأعراب فإن بعضهم يقبل يد بعض أو رأسه ولا
تكاد تسمع أحدا من ذوي المروءة يغني فضلا عن النساء اللاتي صوتهن عورة بل المغانية
الصناعية أناس مخصوصون وفيهم من النسوة عاهرات ومن يسكن منهم في حارات مخصوصة
ومذكور من الغناء ومثله الرقص خاص بالحاضرة وأكثر البلدان بخلاف الأعراب
فعندهم ذلك غير معيب كما أن الأكل في الطريق أو في الأماكن المكشوفة للمارة
معيب تسقط به العدالة وكذلك دخول القهاوي تتجنبه أصحاب المروءة حتى أن الأعيان
ليس لهم محل اجتماع عمومي وغاية تفسحهم بالمشي في الطرق المتنزهة وأماكنهم
الخاصة مع أحبابهم ثم يتساهلون في دخول القهاوي في أماكن النزهة خارج
الحاضرة ولكن أعيان الأعيان لا يدخلونها أيضا والتدخين بالتبغ لا زال معيبا
عند ذوي المروءة وليس ذلك الا مجرد اتباع للعادة ولا فرق بينه وبين النشوق مع
كثرة استعمالهم لهذا الأمر وحكم الجميع شرعا على مذهبنا الحنفي الجواز وكذلك
المعمول به من المذهب المالكي لابتنائه على مسألة الأصل في الأشياء الإباحة
وهي مسألة خلافية فقالت طائفة الأصل الإباحة حتى يرد المحرم وقالت طائفة
بالمنع حتى يأتي المبيح وقالت طائفة بالتوقف والأصح الأول لقوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الأرض جميعا فجميع ما في الأرض خلق لمنفعتنا إذ نستعمل كل شيء في محله إلا
ما ورد فيه المنع ويشهد له أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم إن أعظم المسلمين جرما من
سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته وقوله عليه الصلاة والسلام دعوني
ما تركتكم فإنما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم وكل من
الحديثين منقول في الصحيح وكان ورود الحديث عقب السؤال عن أشياء لم يرد فيها
حكم بالتحريم فدل على الإباحة وهذا التبغ لم يكن معروفا زمن الأئمة وإنما عرف بعد
الاكتشاف على أمريكا كما تقدم فيكون حكمه هو الإباحة الأصلية وكان الاستحياء من
استعمال التدخين مطلقا والنشوق أمام الوالد والكبراء مبني على أصل آخر غير التحريم
وهو أنه لما كان فيه خلاف فالورع تركه إذ الورع هو ترك ما لا بأس به حذرا مما
به البأس ولما كان الأصل في المؤمنين هو السلوك على أكمل الصفات فكان أهل
تونس يستحيون من ترك الورع أمام ذوي المقام كما أنه لا يوجد في الحاضرة أماكن

للاهي

للاهي أي الملاعب الا في رمضان فتكون فيها أماكن للصبيان ليلا يلعب فيها بتصاوير
من وراء الستار بالحبال من الصور في نور المصابيح ويسمى المكان خيال الظل وربما
أحضر فيها نوع من السماع وصورة الملاهي تشخيص حكاية بصور من الجلد على
هيئة المحكي عنه والملاعب يتكلم على لسانهم والجميع من وراء الستار بحيث يتخيل
للناظرين من خارج الستار كأن الواقعة مشاهدة وإن كانت الصور صغيرة طولها قدر
شبر والاغلب أن تكون الاماكن وسخة ولا يدخلها الا الصبيان وبعض من لا مروءة له
من الرعاع لتمضية الاوقات فيما لا فائدة فيه سوى السخرية والضحك واضاعة الزمان
ولا عاب في الحكايات أن تكون مضحكة عابدركة الكتاب وربما ضمنوا المتخيلات
العادية كالغول والثعبان الادهم الذي لا تعرف صورته بحيث يصح أن يقال ان
تلك الملاهي لا ثمرة فيها الا مجرد لهو الصبيان وكان الاصل في امتناعها ما نص عليه فقهاؤنا
في كتاب الحظر والاباحة من حرمة شراء اللعبة للصبيان فقاسوا عليه اتخاذ ملاهي لهم
ليلا في رمضان لكي يسهروا ولا يستيقظوا مبكرين فيوقظون والديهم وعادة الناس
في رمضان هي السهر أغلب الليل ومنهم من يستغرق جميع الليل بحيث لا يشتغلون
الا قرب نصف النهار وكان هذه عادة مبنية على العبادة وقيام ليالي رمضان بالعبادة
مندوب اليه بيد أن الكثير يشتغل بالملاهي كسماع آلات الطرب في القهاوي أو
لعب الورق المسمى بالكارطة وهو الكثير ولهم منه أنواع شتى أشهرها ما يسمى بالتريسيتي
أو لعب النرد أو الدامة أو الشطرنج وهي الالعاب الموجودة في القطر ويوجد أيضا لعب
المنقلة والحكر بقلة في الحاضرة وبكثرة في غيرها لكن الاعيان اغلبهم يسهرون في
رمضان أو غيره بديارهم أو ديار أصدقائهم وبعضهم بعد صلاة التراويح يسردون كتابا
في السير أو الحديث ثم يتسامرون بالكلام وبعضهم يتعاطى أحد الالعاب المذكورة وأما
في غير رمضان فعموم الناس يبكرون الى أشغالهم ولا يرجعون الى ديارهم الا عند الظهر
للفطور ثم يعودون الى اشغالهم الى قرب الغروب وبعضهم ممن تكون ديارهم بعيدة عن
محل اشغالهم يفطرون في حوانيتهم ويوجد في حارات الافرنج ملاهي على نحو ملاهي
أوروبا كما يوجد فيها قهاوي كثيرة على نحو قهاوي أوروبا ومنازل للمسافرين مثلها ولكن
أعيان الاهالي يتحاشون عن الدخول الى الجميع وإن كانت عشرتهم مع الاجانب
وغيرهم حسنة وقد كان لعموم الاهالي ولوع بالفروسية ولهم في مسابقة الخيل مواكب
تسمى ملاعب يعقدها كبراء الحكومة أو كبار العمال ومن له انتساب الى الاعراب

خارج الحاضرة في احدى الجهات المتسعة ويستدعون اليها الفرسان فيأتون باحسن
الملابس والسروج المزركشة بالذهب والفضة والسلاح مثل ذلك وتارة يلبس الفارس
على رأسه شيئا من ريش النعام يسمى عروج والاصل فيه تعليم النبي صلى الله عليه
وسلم لسيدنا حمزة في احدى الغزوات بريش كما في عيون التواريخ والحاصل ان لبس
الفرسان جميل جدا ولهم براعة في الحركات الحربية فترى الفارس في حال السباق
يطلق ويعمر مكحلته عدة مرار وتارة يطلق اربعة مكاحل كل مجتمعين ثم يطلق ثرابينه
ثم اربعة طبنجات ثم يخترط سيفه وجميع ذلك السلاح محمول عليه ولا يعطل له شيئا من
خفة حركاته وتراه اذا اخترط السيف يضرب به كروفر وبعضهم في حالة السباق يدلي يده الى
الارض فيحمل منها قبضة من تراب وبعضهم يفرش له بمحاذاة ميدان السباق رداء
من حرير قرب نهاية المسافة ففي حالة الركض ينحني بيديه ويرفع طرف الرداء ثم وسطه
ثم آخره وبعضهم يركض فرسه وبينما هو في حالة السباق واذا بالفارس يقف على رجليه
فوق السرج ويطلق البارود ثم يجلس ويلتصق بدبر الفرس ثم يلتصق بحزام الفرس ثم
يقف على راسه ويديه فوق السرج ورجلاه الى فوق وعلى يديه مكحلة ثم يدفع المكحلة
ويتلقفها بيده ويجلس ويطلقها كل ذلك والحصان في تمام ركضه وجميع اعماله في
بعض دقائق وهذا العمل الاخير من النادر في الفرسان ومنهم من يلعب في دائرة لا يتجاوز
قطرها عشرة اذرع والحصان في حالة الرباع بل رايت من يركب على حصانه ويركز
الحصان رجليه في الارض ويرفع يديه معا ويلتفت يمينا فيطلق فارسه الفرابينة ثم يرفع
يديه كذلك ويلتفت شمالا فيطلق فارسه الفرابينة ايضا والحال انه يعمرها في مدة رفع
الحصان يديه ويستمر ذلك كذلك بالتتابع نحو نصف ساعة وليس بين الطلقة والطلقة
الا بضع ثوان من الدقائق الزمانية على غاية من السرعة والتتابع وهذا ايضا نادر ومنهم
من يخترط السيف ويضرب مع راجل او فارس مثله في غاية الطعان والكر والفر والحاصل
انهم يتقنون حالات الحرب بالخيل على انواع شتى ويكون ذلك بالطبول الحرب
تعرف ومعها المزامير للعربان وذلك اعظم العاب الاهالي التي يفتخرون بها ويتقدرون
في اتقانها وذلك مبني على امر ديني وهو ما ورد من ان كل لهو حرام الا ثلاث منها ملاعبة
الفارس لفرسه وورد ايضا الحث على الفروسية وعلى السباق وابيح فيه الخطر اذا
كانت مع ثالث فلذلك كانت هاته الحالة محل تنافس فيها من رجال الحكومة
وغيرهم في جميع القطر لكن في هاته المدة الاخيرة تناقص الامر منذ كثرت الكراريس

وربما صار الكبراء يتنزهون من الامتطاء بخيامهم حمورة نعم بقي ركوب الخيل مرغوب فيه
كما ان الصفات الاولى لا زالت عامة في البلدان و الاعراب وهو الحق لانها من صفات
الرجولية والدين ومما يشملها قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل وهاته الحالة تستلزم الرماية التي هي من مشمولات القوة المأمور بها في الآية
الكريمة وقد تجرد منها أغلب أهل الحاضرة حتى ان بعضهم لا يكاد يستطيع ان يطاق
طلاقة كما انه لا زال في الحاضرة وبعض البلدان تعليم الخيل والبغال من نوع الهملجة
وهي أن يرفع الحيوان يدا ورجلا معا من أحد شقيه على الاستقامة ثم الشق الآخر
ليكون سيرها لينا لا يتعب الراكب بخلاف الخبب ثم يتقنون ذلك التعليم الى أن يصير
الحيوان به يجاري الراكض ولهم في ذلك اعتناء بحيث تجد منهم جماعات يخرجون
كل عشية صيفا ويتريضون بها الى حد الاماكن القريبة من الحاضرة النزهة كسيدي فتح الله
قرب شوشة رادس أو منوبة في دور سيدي ابن الابيض او سائر الاحواش وبعد
الاستراحة هناك يركبون ويتسابقون بالسير المذكور وربما اعتنى بعض غير الاعيان
حتى بالمسابقة على الحمير بالسير وقد يوجد بعض منها يسابق الخيل والبغال مع ان هاته
يمكن ان تجاري الحصان في ركضه اذا لم يكن شديد الجري والخيل على حسنها في القطر
يعتنون بتربيتها وتهذيب أخلاقها كي تصير مساعدة للفارس في جميع أغراضه ثم
ان الاهالي ينقسمون الى ثمانية أقسام فالاول الاصليون من البربر والثاني العرب
وهم الذين قدموا عند الفتح ثم بعده على أجيال عديدة والثالث الاندلسيون
وهم الذين قدموا عند تغلب الاسبنيول على بلادهم والرابع الترك وهم الذين وردوا
عند الاستيلاء على تونس ثم من ورد منهم بعد ذلك والخامس السودان وهم الذين
جلبوا من دواخل أفريقية اليهم والسادس الجزائريون الذين رحلوا بعد استيلاء
الفرانسيس على الجزائر والسابع اليهود وهم قدماء في السكنى والثامن الوافدون
من أوروبا فالاقسام الستة الاول كلهم مسلمون ولم يبق تمييز بينهم الا قليلا من البربر في
جهات الاعراض لا زالوا يستعملون لغتهم وكذلك قليل من السودان يتميزون بلونهم
وقليل من أهل الجزائر يتميزون بمجرد معرفتهم وانتسابهم واللون الغالب على الجميع هو
لون البياض المشرب بحمرة ومنظرهم جميل بأكثرهم الحسن وهم أقوياء يحبون أهل
مروءة وتواضع وبشاشة وحسن معاشرة

(مطلب في التجارة) اعلم ان أغلب الاهالي تقاصروا في هذا الميدان وصاروا

الامرانهم يتجرون فى الصنائع التى تنفق فى البلاد الاسلامية باخراجها اليها وجلب ماروج من بضائعها فى القطر مع ان أغلب الخارج منه والمجلوب اليه من بلاد أوربا وكله منحصر فى الاوربا ويين الاباد رامن الاهالى ثم ان قيمة التجارة بين الداخل والخارج لا يتجاوز معدلها الاربعين مليون فرنكا فى السنة فاما البضائع الخارجة فهى الحبوب من قمح وشعير وفول وغيرها وكذلك الزيت والصوف الساذجة والمنسوجة والقطن والاسفنج وبيض السمك ولحم نوع منه ومنسوجات الحرير والقطن والشاشية وأشباه أمرزهيدة وأما البضائع الداخلة فهى كثيرة منها المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية وانواع الاخشاب والحديد والقزدير والسكر والقهوة وأوانى النحاس وغير ذلك مما هو محتاج اليه فى الحضارة ولا يوجد له من شانع البلاد وحمل السلع الى خارج القطر فى السفن البحرية وقد أرسى باعظم مراسى القطر وهو حلق الوادى فى سنة ١٢٩٥ مايتان وسبعة وخمسون بابورة وأربعمائة وثمانون سفينة شراعية كلها للاجانب الاعدادا يسيرا وأغلب الاجانب رواجا فى التجارة هى التجارة الفرانساوية والطليانية وأما نقل السلع فى البر فهو على ظهور الابل والخيل والبغال والحمير والعجلات المسماة بالكرطونات وواسطة المواصلة هم فرق من تجار القطر يسمون بالجمارة تكون لهم دواب وافية ويكونون ذوى عرض وأمان تسلم اليهم التجار البضائع وهم يبلغونها الى جهة ما بعدت أو قربت ولكل جهة جمارون مخصوصون ولا يكون ذلك الا بين البلدان وأما القبائل والاعراب فلهم قوافل يجتمعون عند قصد احدى البلدان أو الاسواق التى تقام فى أيام من الاسبوع باحدى الجهات كسوق الخميس قرب الركبة وامثاله ويحملون على دوابهم ما اشتروه ويرجعون الى أماكنهم ولما كانت الطرق الصناعية قليلة تعذر أغلب التجارة زمن الشتاء فى دواخل القطر لكن الطريق الحديدية المارة الى الجزائر سهلت التجارة الى الجهات الغربية كما انه رتبت بواخر البحر بين السلع بين مراسى القطر الشهيرة بادة على البرد التى هى ثمانية تأتى أسبوعيا من أوربا اثنان الى فرانسا والجزائر واثنان الى ايطاليا وأربع الى مالطا وقد يأتى غيرها على غير انتظام وليس للاهالى من السفن شئ الا قليلا من ذات الشراعى لاهل جربة وصفاقس والساحل

(مطلب فى ترتيب الاحكام والادارة) لا آن الوالى يجلس يوم السبت فى كل اسبوع غالبا بمحل من قصر الادارة الكائن فى باردو ويسمى هذا المحل بالمحكمة وهو بيت كبير مستطيل

مستطيل وبصدره كرسى ذو درج مموه بالذهب وعليه تاج معلق والدرج مكسو بالحبر
نوع من منسوج الحرير الثخين العالى يجلس عليه الوالى ويوضع بجنبه زوج طبانجة
ويقف عن يمينه وشماله على الدرج من حضر من اهل بيته ويقف الوزير عن يمينه من
اسفل الدرج بحيث يكون مواجها الى الجهة اليسرى من الوالى ويليه بقية الوزراء على
حسب اسبقيتهم فى الوظيفة ثم يليهم كبراء العساكر النظامية ثم رؤساء العساكر الخيالة
غير النظامية المسمون بالاغوات ثم العمال والاطاباشية والكواهى اى الصنف الثانى
والثالث من رؤساء العساكر الخيالة لغير النظامية وعند نهاية الصف عن اليمين يتمون
الصف عن اليسار فان زادوا جعلوا صفا ثانيا وراء الصف الاول ويجلس باشكاتب على
مصطبة على يسار الوالى مقابلا لاول الصف الايمن ثم يليه مصطبة طويلة يجلس عليها
كتبة من اقسام الوزارات على حسب رتبهم ثم يقف تجاه الوالى عن بعد فى آخر الصفوف
مجموعة رجال يسمون شواش السلام والشطار بلباس احمر مقصب بالقصب وعلى رؤسهم
شواشى حمر وشراباتها قصب وعليها مما يلى الجبهة قطع من النحاس الاصفر ومرزوز فيها
انواع من ريش اجنحة الطيور الطويلة وبايديهم معاول طوال من النحاس الاصفر
يركزونها و يتكئون عليها وعند جلوس الوالى فى ذلك المجلس يرفع صوته كبير هؤلاء
الشواش بكلام باللغة التركية معناه دعاء بالنصر والتأييد للوالى ثم يرفع صوته بقوله
سلام ورحمة الله ثم يقف وراء هؤلاء رؤساء البوابة اى اصحاب الباب وتعزف الموسيقى
العسكرية عند دخول الوالى لذلك المحل ويأذن دولتلولى بادخال اصحاب الشكايات
فيرفع صوته رئيس البوابة بقوله باش جانبا اى يا رئيس الجوانب ادخل وهو الترجمان
بين الوالى والمشتكين لان الوالى يحتاج الى فهم لغة المشتكين لكونهم بعيدين
فى الوقوف عنه وربما يكون بعضهم لا يحسن الالقاء لدهشته رهبة او انخفاض صوته
فيبلغ باش جانبه للوالى معنى كلام المشتكى وهذه الوظيفة لها كبيران احدهما من
العرب والآخر من ابناء الترك فالاول تقدم على الثانى فالمشتكى ان كان من المالكية
يتكلم الاول وهو الذى يتولى الوساطة فى امره وان كان من الحنفية فيرجع الى الثانى
ولكن لهؤلاء هيئة اخرى فى القاء الشكاية فان باش جانبه لا يتكلم و يقدمه الى قريب
من الوالى وبعد استقرار باش جانبه بنوعيه امام الوالى يرفع صوته بقوله باش بواب
شكاية اى يا كبير اصحاب الباب ادخل المشتكين فيرفع صوته هذا خارج باب المحل
بقوله باسعد ثم يدخل المشتكون فرادى فرادى على حسب الصدفة وتقدم المشتكى

بالازدحام وربما صار التقديم باعطاء شئ من المال لكنه لا يتجاوز عشرة قروش بالاكثر ودونها
وكل مشتك في حال شكايته في ذلك الموكب الماثل زيادة عن باش حاجبه المقدم به تكون
محدقة به الجوانب والاوطاباشية واذا كانت له حجة مكتوبة قدمها واخذها من يده
باش حاجبه ومكنها الباش كاتب ويؤمر اذ ذاك المشتكي ويؤتى بغيره وبعد قراءة باش كاتب
للحجة يقول مضمونها للوالي مع الاشارة الى صحتها او فسادها فيأمر الوالي بما يراه وتحصل
بذلك الصورة خصومات في نحو ساعة او ساعتين اذا طال المجلس وربما انتهت في ساعة
واحدة ستون نازلة بلا تعقيب للحكم وكثيرا ما يستشير الوالي وزيره مصر في النوازل او يسأله
عما يعلم فيها كان الوزير كثيرا ما يشير عليه في بعض النوازل ابتداء وكثيرا ما يأمر
الوالي بارجاع بعض النوازل الى الشرع او الوزارة واذا كان هناك بعض من يحكم عليه
بالقتل فانه يؤخر دخوله الى آخر المجلس والغالب ان يكون هذا النوع ما حكم عليه في
مجلس الشريعة ورفع للوالي لينفذ الحكم المكتتب به بعد اجراء جميع اللوازم الشرعية
وطول مدة المناصلة والمرافعة لدى المجلس الشرعي او يكون قد حررت مادته في
الوزارة وفي النادر ان يؤتى بالمشتكي به من ذلك النوع بدون جهة المحكمة ويصدر الحكم
بقتله في الحين ويخرج في اثر المحكوم عليه بالقتل احد المشاعلية الجلادين ويقطع رأسه
قدام باب بارد او باب العلبة التي فيها الوالي او يشنق هناك في مشنقة من خشب وهو ان
يربط عنقه في حبل وتكشف يداه او يعلق من عنقه مخنوق وتارة يعلق كذلك في سور
المدينة القديم قرب باب سويقة وعند انتهاء المشتكين او ملل الوالي يقول الباش حاجبه
عافيه فيرفع صوته بها باش حاجبه فيرفع صوته بها باش بواب ويقوم الوالي ويحصل
الوطن فيجري اذ ذاك باش حاجبه ما امره به الوالي من ارسال الاعوان لطلب المدعى
عليهم او حلاهم وكذلك يكاتب بحضرة الكتب التي صدر بها الاذن ولا يحضر الا من
قد دعته بها الوالي على نحو ما سبق وجميع من حضر في ذلك الموكب من المتوظفين
يكون امامه لا تتمادى الامور لهم رتبة عسكرية فانه يتقلد ما في منطقته وقبل دخول
الوالي للمحكمة يجلس في بيت ابيق في سراية الحكومة على كرسي اصغر مما سبق ويدخل
عليه الوزير وحده او ابيه يأتي معه من حضر هناك ثم يجلس الوزير عن يمينه واهل بيت
الوالي من شماله وقوفا ثم يأذن للمتوظفين بالدخول فيدخل اولا الوزراء وبعض منهجة
المتوظفين الكبار المتقاعدين وكل من وصل منهم الى الوالي قبل يده واذنه بالجلوس
فيجلسون يمينا وشمالا واعلاهم شمالا الباش كاتب واصحاب الحجب يجلسون دون الوزير ثم

يدخل

يدخل كبار المتوظفين على صف واحد وكل من انتهى الى الوالى قبل يده ورجع خارجا
ثم الذين يلونهم ثم وثم الى ان يصل الوالى اصغر المتوظفين كالاعوان الذين يرسلون لطلب
المدعى عليهم والهيئة المتقدمة فى المحكمة هى الهيئة فى سائر المواكب الكبار كالاعياد غير
ان هاته تكون فيها الناس بالملابس الرسمى المزركش بالفضة والنياشين وتكون ايضا
فى محل آخر اكبر من المحكمة وهو بيت عظيم يصعد اليه بدرج كثيرة مكسوة بالحلف نوع
من المنسوج لصوف الاحمر وبيوته مفروش بالزرابى والستائر الحريرية الرفيعة
وكرسى الوالى اكبر واعظم من السابق والكتاب لا يجلسون فى هذا الموكب والناس
كلهم وقوف ومتولى ادارته هو امير اللواء العسة وعوضا عن دخول المشتكين يدخل
المهنئون أفواجا أفواجا على نحو ما تقدم فى تقبيل يد الوالى من المتوظفين ويجرى ذلك
على كل القادمين من جميع المتوظفين واصحاب الرتب العسكرية النظامية وغيرها
والاهالى واعتبارا لاهل المجلس الشرعى وخواص السادات الاشراف والمدرسين فان
الوالى يجلس لهم مجلسا خاصا بعد الموكب العام بحضرة صغيرة فى بيت انيق اسفل الاول
ويقدم اليه كل فرقة من الفرق الثلاث وحدها واولها اهل المجلس الشرعى معا الاول
فالاول فيقف اليهم ويتقدم لهم خطوات ويعانقوا ويقبل كل منهم كتف الآخر ثم يجلس
ويجلسون لحظة عن اليمين والشمال ويكفه عن الشمال ويؤتى اليهم باطباق من الفضة
فيها شئ من الحلو ويطعمه الوالى معهم ثم يرشون بالطيب ويقرؤن الفاتحة ويقوم الوالى
لوداعهم ويقبلونه ايضا مثل ما صار عند دخولهم وينصرفون وهكذا غيرهم غير انهم
لا يقوم لهم الوالى ويقبلون ذراعه الا بعض من السادات الاشراف فانهم يقبلونه مثل اهل
المجلس الشرعى وبعض المدرسين من الطبقة الثانية يقبلون كفه كسائر الناس وكذلك
لا يجلسون ولا يتكلمون وعند فراغ آخرهم من التقبيل واولهم وقوف يمينا وشمالا
يقرؤن الفاتحة وينصرفون وهكذا كل فرقة دخلت عليه فى الموكب الاول الا المتوظفين
فانهم يقفون ويزدحم بهم الموكب لانه يجتمع فيه اغلب المتوظفين ولو من جميع جهات
القطر والذين يقفون هم اصحاب الرتب من العسكرية او الكبار من غيرهم وموكب المعايدة
يدوم يومان واولهما اعظم من الثانى وكلاهما صباحا وفى اليوم الثانى يقدم عليه قناصل
الدول ويدخلون عليه على حسب اقدميتهم فى لوطيته وكل منهم معه متوظفو قنصلاته
فيحيونه واقفا ويصافحونه ويتعاطون بالترجمان بكلمات فى التهنئة والموكب
عند كما سبق ذكره الى ان يتم جلوس الوالى على كرسيه ويتم بقية الاهالى على نحو

ما سبق ولا يختص هذا الموكب بأعيان الاهالي بل حتى أصحاب الصناعات وفي بقية
ايام يكون الوالي في قصره لا يجتمع به الا الوزير الاكبر يوميا بل هو الآن ساكن معه
في قصر واحد وفي يوم الاثنين قرب الزوال يقدم عليه الوزير ومن كان في الوزارة
من المتوظفين واذا كانت هناك نوازل تلزم فيها المذاكرة أمام الوالي تكون في أحد
ذينك اليومين أعني يوم السبت والاثنين أو يدعوهم الوزير بالخصوص ليوم معين
وجميع الولايات انما تكون باذن الوالي وكتبه لرقعة في ذلك تسمى امرا واما كيفية
ادارة الوزارة فقد سبق ذكرها في الكلام على وزارة خير الدين باشا ولا زالت على تلك
الهيئة والمتوظفون يأتون في بكرة النهار يوميا الا يومي الخميس والجمعة وينفصلون
منها عند الزوال وعندما يأتي الوزير ويجلس في البيت الخاص به يقدم للسلام عليه
جميع كبراء الاقسام ثم يتوجه كل الى محل مأموريته وكل في بيت خاص يجمعها قصر
واحد في ناحية من قصر الوالي لادارة الحكومة ولكل من اقسام الوزارة كاتب
وأعوان وتكتب في النوازل مجلات ويمضي الوزير على الرأي ثم تعرض على الوالي
وهو يمضي على ما يراه الوزير وتسمى تلك المجلات معاريض وتجري على مقتضاها
الامور وكثيرا ما تجري بامر الوزير مشافهة وترسل تلك المعاريض مع بطاقات الاوامر في
ظرف مختوم ليمضيها الوالي بخطه في المعاريض وختمه في الاوامر ولكل عمل من الاعمال
التي مر ذكرها عامل خاص الا الحاضرة فلها كما يلقب رئيس الضابطة والغالب أن
يسكن العامل في محل عمله وله نائب يلقب بالخليفة وتحته مشايخ على عدد أفخاذ القبائل
ولكل عامل أعوان على حسب كبر عمله وصغره وترفع اليه الشكايات ويحكم فيها برأيه
وكذلك خليفته والشيخ عند مغيب العامل ولا يختص حكمهم بنوع من أنواع الخصومات
وانما الغالب ان نوازل صحة الأملاك في غير المنقول والزواج والاوقاف والمواريث
يرجعون فيها للحكام الشرعيين وهؤلاء لهم مجلس في الحاضرة فيه قاض حنفي ومثله مالكي
ومفتيان حنفيان وثلاثة مالكية ورئيس الحنفية يلقب شيخ الاسلام ومثله للمالكية
يلقب أحيانا أيضا بذلك وقد يزاد أو ينقص من عدد المفتين ولهم محل خاص يسمى دار
الشريعة يجلس به يوميا صباحا القاضيان ومفتيان من المذهبين على التناوب وفي يوم
الخميس يجتمع جميع المجلس ببيت كبير وينضم اليهم رئيس الضابطة للشورة في النوازل التي
يريد الخصم فيها العرض على المجلس ولا يرضى بحكم القاضي أو المفتي وحده ورئيس
الضابطة ينفذ ما يلزم فيه قوة العصب الا القتل فانه يرفع الى الوالي وفي كل من بلدان

القيروان

القيروان وسوسة والمنستير وصفاقس والاعراض وتوزر ونفطة والكاف وباجة مجلس
شرعي أقل أفراده من قاض ومفتي ورئيس فتوى يجري به العمل مثل ما هو في الحاضرة
لاجراء التحقيق فيها من مجلس الشريعة والمنفذ هو العامل كما أن في نابل والمهدية وجربة
وقفصة مفتي مع القاضي وبقية الاعمال ان كانت كبيرة ففيها قاض فقط وللوالي
التصرف في جميع النوازل نقضا أو ابراما وكذلك الوزير وأما القابض لاموال الحكومة
أو العمال فهو من اليهود الا قليلا من العمال تجرد عادة في ذلك ويتوظف منهم مترجمون
ونظار على الصناعة ودار السكة كما يتوظف من النصارى في الترجمة وغيرها الا العمال
والوظائف الدينية ثم ان جميع العقود التي تحتاج الى الشهادة وكذلك كتب الحجج
وصكوك الاملاك لها طائفة من العلماء والمنتسبين الى العلم يوليهم الوالي ويسمون
الشهود أو العدول وهم بالخصوص الذين يباشرون ما ذكر ولا عليهم حوانيت مفتوحة لهاته
الصناعة في سائر البلدان وكذلك في بادية الاعراب ويوجد في خصوص الحاضرة مجلس
بلدي لمصالح الطرقات والبناآت ومجلس مختلط للاحكام بين أغلب الاجانب والاهالي
فيما دون الالف ريال وجمعية للاوقاف ولها نواب في سائر القطر ومجلس تجارة ومجلس
لحفظ الصحة أعضاؤه القناصل ومستشار الخارجية ورئيس المجلس البلدي وشيخ المدينة
ولكل من المدينة والربضين شيخ لبعض النوازل العرفية وحفظ الامن بها وأما الضابطية
فهي موجودة غير منتظمة وأمور المعاش يقوم بها القاضي المالكي ولها أمناء
يطوفون عليها لحراستها من الغش وأما بقية المملكة فليس فيها الا الحكام المار ذكرهم
أو بعض امناء على الصنائع أو المعاش

(مطلب في المعارف) الموجودة الآن ومنبعها جامع الزيتونة من الحاضرة هي العلوم
الدينية ووسائلها وهي القرآن والتفسير والمصطلح والحديث رواية ودراية والعقائد
وأصول الفقه حنفية ومالكية وشافعية والفقه الحنفي والمالكي والمنطق والمعاني
والبيان والنحو والصرف والاشتقاق والعروض والادب والتاريخ والحساب والهيئة
والمثلثات ولكل كتب معينة للاقراء بالجامع المذكور كما هو معين في قانونه الذي
أحدث في وزارة خير الدين باشا ومنها فنون وكتب لا يمنع وجود اقرائها كما أن مواد
المطالعة والتحصيل سهلة بخزائن الكتب المعروفة في الاسلام الا ما ندر مما هو في اللسان
العربي وقليل جدا بالتركي والفارسي والفرانساوي ومشايخ جامع الزيتونة الموظفون
ولهم مرتب مائة وخمسون ريالا بالاشهر وعددهم ثلاثون مدرسا وللطبقة الثانية مرتبها

تسعون ريالا شهريا وعددها اثنا عشر مدرسا والذين لا مرتب لهم وإنما لهم
إعانات سنوية مما يحصل من مخلف المدرسين والحصم عليهم من مرتباتهم وعددهم نحو
ستين وهم يزيدون وينقصون وعدد التلامذة بالجامع المذكور نحو الثمانمائة
ويزيدون وينقصون أيضا وكيفية الدرس صنعة لا إلقاء والسؤال والجواب ولا يطول
الدرس أكثر من ساعة كما توجد مدارس نحو الخمسة عشر مدرسة يقرأ بكل منها
درس أو درسان من الفنون المذكورة وكذلك بعض جوامع بمقابل من الدروس وتوجد
المدرسة الصادقية تقرى مبادي فنون الديانة واللغة مما ذكر وتقرى الفنون
الرياضية واللغات التركية والفرانساوية والطليانية ومن الرياضيات الحساب والجبر
والهندسة والهيئة والمثلث والجغرافية ومبادي الطبيعيات وهي تعلم مجانا المائة
وخمسين تلميذا وتقوم بأكلهم نهارا ومنهم خمسون تقوم بهم حتى في السكنى واللباس
وكذلك يوجد مكتب أنشأه قسيس الفرنسيس في تونس لويس يعلم العلوم الرياضية
واللسان العربي والفرانساوي والطلياني وتلامذته لا يبلغون الخمسين الآن ويوجد
مكتبان للفرانساويين أيضا بالحاضرة بصبيان ومكتبنا للبنات تلامذتهما نحو اربعمائة
وكذلك مكتب للطليانيين به نحو مائتي تلميذ وكذلك مكتب جمعية اليهود به نحو ستمائة
تلميذ كلها تعلم مبادي الرياضيات واللغة الفرانساوية والطليانية والعربية وبعضها يعلم بعضا
من الصنائع كشيء من الفلاحة والموسيقى ويعلم اللغة العبرانية وكلها تعلم الأغنياء بالمال
وبعضها يعلم الفقراء مجانا كما يوجد فيها مكتب للبروتستانت من الانكليزية نحو مائتي تلميذ
كما يوجد بالحاضرة نحو مائة وإحدى عشر مكتبا للقرآن العظيم والكتابة العربية نحو
ثلاثة آلاف وخمسمائة تلميذ وأما جهات القطر فلا يوجد إلا في قليل من البلدان شيء
من العلوم الدينية كالفقه والعقائد على قلة والنحو وأشهر البلدان بذلك القيروان
وصفاقس والمنستير وسوسة وجربة والأعراض والكاف وباجة وابن زرت وبعضها
يزيد شيء من الأدب والحديث كما يوجد في بعض زوايا الصالحين بالقبائل شيء من
القراءة والكتابة والفقه وجميع الجهات إنما يقرأ فيها الفقه المالكي إلا المهدية
والمنستير فيوجد أحيانا الفقه الحنفي وأما غير ذلك فلا ثم توجد مكاتب للقرآن ومبادي
الكتابة العربية في جميع البلدان والقرى بحيث لا تخلو منه قرية من ذلك فضلا عن بلد
ويقرب جميع تلامذتها نحو اثني عشر ألف تلميذ لكن هيئة التعليم قاصرة للغاية في
هاته المكاتب الابتدائية ولو في الحاضرة بحيث يمكن أن يبقى التلميذ فيها عشر سنين

ولا

ولا يحصل على حسن القراءة والكتابة وإنما العجب منهم يخرج حافظا للقرآن المجيد
فقط وأما بقية التعاليم المذكورة فهي جيدة سيما العلوم الدينية بجامع الزيتونة
فتجد منه فحولا تزين المساجد ولهم براعة في كل الفنون سيما الإنشاء بالعربية الذي كاد
أن يشبه أسلوب الأعجم في عدة جهات فإن علماء تونس لهم براعة في ذلك وهم
محافظون على الأسلوب العربي ويحترزون عن اللحن وإن وجد في المكتبة أو الشهود
من يلحن فذلك من تقليد الوطيس لغير المحقق كما أن أصحاب الأقلام أو الشهود مطلقا
محافظون على الشعائر الدينية في كتبهم حيث يفتتحون كتبهم بالحمد لله والصلاة
والسلام على رسول الله محمد وآله ومن والاه

(مطلب في الصنائع) أهم صنائع الأهالي هي الفلاحة وما زالت آلاتها على الطرز القديم
ويأخذونها عن بعضهم بالمشاهدة مع أن فيها كتب عديدة بخزائن الكتب لا يلتفت إليها
أحد ولذلك انحطت رتبة هذه الصناعة عما كانت وقل العمران مع انضمام أسباب
سياسية كانت عدم شرحه وصناعة التلقيح في الأشجار لا يعلمها إلا القليل ولذلك حصل
الأوروباويون على تقدم عظيم في القطر في هاته الصناعة ولو في زرع الحبوب وكانوا فيها
أكثر ربحا من الأهالي وكذلك من أعظم مكاسب أهل القطر شجر الزيتون فأما جمعه
واستخراج زيته فهو بيد الأهالي ثم يبيعونه إما للأهالي أو لتجار الأجانب وأما التجارة
فيه لخارج القطر فهي بيد الأجانب إلا قليلا من الأهالي كما أنه دخل في جمعه واستخراج
زيته قليل من الأجانب عندما تقدمت المعامل بالبخار لإخراج الزيت وهي قليلة بل
ليس منها إلا واحدة في الحاضرة وهنالك قليل من المعاصر على أصول المخترع في أوربا
والأكثر على الطرز القديم الذي صنعه إما بدواب أو بنوع آخر أقدم منه وكلاهما لا يتقن
إخراج الزيت من زيتونه وأما صناعة الشاشية فإنها كانت هي عيال أكثر أهل
الحاضرة وعندما صنعت الشاشية بالمعامل في أوربا صمت ولا زال صناعها في تونس
متمسكين بالآلات القديمة وهي تتكاسد أعمالها فلا زالت في تناقص إلى أن كادت أن
تكون مقصورة على أهالي القطر وقليل من غيرهم وبقي من دواعيها شيء قليل لأنهم أعني
الذين يخدمون حقيقة بعد أن كانت حوانيت هاته الصناعة تبلغ ضعف الآلاف وبسبب ذلك
بقي أكثر الناس في الحاضرة بلا صناعة ويوجد من الصنائع في الحاضرة صنعة الدباغة
وهي نوع من الأحذية وهي رائجة وصناعة الكمرة نوع مما ذكر وهي رائجة وهي
بيد اليهود والإفرنج وأصحاب صناعة السباط التي هي نوع مما ذكر أفلسوا لأنهم لا زالوا

متمكن بخياطتها على الهيئة القديمة والناس تركوها وأنهوا من حملها على أسلوب
الكثرة بمجرد الاعتياد لا أن أملوا ولم يعدوا هذا بأعمالهم على مصلحتهم وكذلك
توجد صناعة العطارين أي الطيب والحرازية أي ناسجي الحرير وصناعتهم متقنة
وفيها بعض رواج ويصنعون أشياء مخلوطة من الحرير وخيوط الفضة ونوعا من الحرير
المعروف المسمى بالخم وفي بعض أنواعها رغبة في حواضر أوروبا ويوجد لها مروج بها
الطيلسانات ويوجد أيضا صناعة النوارزية أي الخياطين ولهم براعة في خياطة البرنس
على أشكال من النوار بديعة في سراويل النساء وغيرها وكذلك صناعة الحياكة
للمنسوجات الصوفية وفيها رواج كبير لأوروبا وغيرها ولو تجدد المروج لكانت من أعظم
أسباب الرفاهية للقطر وتوجد صناعة الصاغة وصناعة السروج ولأصحابها براعة
في الطرز في الحرير والفضة والعدس أي قطع من الفضة مموهة بالذهب مثقوبة لوسط
ليمسكها خيط الطرز وكذلك صناعة الحدادة وهي قاصرة وإن وفد من الأوروباويين
المتقدم التام على الأهالي وكذلك صناعة النجارة أي نحت الأخشاب ولأهلها براعة فيها
وكذلك البناية وكذلك النقاشة أي نحت الأحجار وكذلك صناعة طرز الحرير والصوف
والخيط والقطن والفضة والعدس على المنسوجات وهي خاصة في النساء وزادت في هذه
المدة تقدما فيها بما تعلمن من الأوروباويين حتى صارت تقوم به آلاف وتوجد صنائع
السلاح بأنواعه لكنها متأخرة ويوجد معمل للمدافع وآخر للسفن وكلاهما معطل
وتوجد معامل كثيرة للكراريس وكذلك توجد صناعة نسج القطن وهي ضعيفة
رديئة وكذلك صناعة تجليد الكتب وهي حسناء وصناعة الشمع وهي قليلة وكذلك
صناعة نقش حديدة أي النقش في الجص التي هي من أبدع الصناعات التونسية
على الجدران وكذلك صناعة الدهن أي التلوين وصناعة الفخارين أي صنع الأواني
من الطين وكذلك نوع يسمى بالحلابي ما يلصق على الجدران وعلى أراضي البيوت
ولكن نوعه رديء ولأهله اقتدار على إيصاله للحد المعهود في أوروبا إذ كان عندهم
قديما أحسن منه ولو ما يحتاجون إلى الإعانة وأما الموسيقى فلهم مهارة في معرفة
الألحان يأخذونها على قواعد وما هي بالسماع من بعضهم ويعتنون لأخذها في
بعض الزوايا التي تعقد فيها اجتماعات لأهل الذكر كسرد البردة ومدائح قادرية وهذا
العمل اختلف في جوازه لكن الراجح جوازه شرعا إن لم يكن فيه تشويق لمحرم فالتحريم
على كل حال ليس لذاته وإنما هو لما يتوصل به إليه ثم بعد الجواز ليس هو بإباحة كما

يظن

بظن العوام وسيأتى للمسئلة بسط فى خاتمة ان شاء الله تعالى كان لهم معرفة فى فن
الموسيقى اى دق الاشغال يأخذونها عن بعضهم والآلات هى ارباب والعود والجرانة
وكلها من ذات الاوتار والطار والدف والدربوكة وهى اكبر منه والطبل والجميع من
نوعه والكرنيطة والناى والغيطة والشبابة والصفارة والمحل وكلها من آلات النفخ
ويضربونها دون اوراق امامهم بل من حفظهم وفيهم المهرة وهاته الصناعة فى الموسيقى
قد ذكر فى الاغانى انها كانت مضبوطة على نمط واحد معين لا يخرجون عما كان مسموعا
من الطرق اخذها الخلف عن السلف الى ان دخل فيهم ابراهيم ابن المهدى عندما اراد
الامن على نفسه بتنصله من سمات الخلافة فزاد فيها ونقص على حسب ما يستلذه هو
ثم حمل من تبعه بذلك ما يستلذه السامع ولو خالف الطرق الاصلية وتمادى الامر على
ذلك الى ان فقد الآن ما يعرف به الالحان التى كانت تستعمل فى تلك الاعصار ولهذا
لا يمكن فهم ما يشير اليه فى كتابه لاشئ من الطرق والالحان ثم ان حكم سماع الآلات
الالهية عندنا حرام الا الدف وما كان على شاكلته مما لا وتر فيه اذا ضرب فى الافراح
الجائزة لكن رأيت رسالة لسيدى عبد الغنى النابلسى مال فيها الى الجواز ان لم تؤد الى محرم
مقطوع به كما رأيت سؤالا لليوسى فى اجتماع اشدية حرمة الغيبة او السماع لآلات اللهو
اجاب عنه بان لا مناسبة بين الامرين فان الغيبة محرمة باجماع بخلاف سماع آلات
الطرب فانه مختلف فيه والة السعة بالعمل بقول احد المجتهدين ثم توجد بقية الصنائع
الضرورية كالبنائين والجزارين والقصابين والفحامين والحلاقين وغيرها بحيث يقال
ان اغلب الصنائع الحاضرية معروفة والكماليات مرغوب بالاستغناء عن جلب المصنوعات
من خارج القطر بحيث من نظر الى لباس اهل المدن ومسكنهم وفرشهم يجد اغلبها من
مصنوعات الاجانب وذلك موجب لفقر المملكة واما خارج الحاضرة فالمدن يوجد فيها
ما يقرب مما تقدم باقل درجات لبعض صنائعهم واما هم التقدم على الحاضرة فمن ذلك
منسوجات العرش فى الجريد فان ما يصنع منه فى توزر هو من ارفع ما يوجد فى العالم
وكذلك يصنع فى جربة وغيرها نوع يسمى بالسفسارى من الصوف والحرير صفيق من ارفع
المنسوجات وكذلك يصنع فى القيروان الاوانى النحاس وفى نابل انواع من الطين الرفيع
المرغوب فى كثير من الجهات وكذلك يصنع فى الكاف نوع من البرنس رفيع واما اهل
البوادى فلا يعرفون الا الصناعة الفلاحية المتداولة والرعى للحيوان والفروسية والصيد
ولاهل جبل باجة وماطر معرفة بصناعة البارود وسائر القبائل تعرف نساؤهم صناعة

نسج الصوف لفرشهم ولباسهم ونسج بيوت الخيام من شعر المعز والابل والعدل كان
لبعضهم اتقانا في صناعة البسط من الصوف كقبائل دريد وجلاص ومثلهم القيروان
وبخصوص أهل الجريد اتقان كلي في الاردية التي تتردى بها الرجال من الحرير
والصوف

(مطلب في المساكن والطرقات) الحاضرة ذات طرقات وطرق صناعية مخصصة
أو محجرة بحجارة منحوتة لاتذهب فيها على الماشي ولا ازاحة حسنة المنظر والقليل من
طرقها المتسعة أشجار يمينا وشمالا وجميع البناآت من حجر مبني بطين الرمل والجير وتارة
يبنى بالآجر والقرميد وهو أقل من الاول وتارة يعوض الطين بالجص وهو ايضا أقل
ثم ان دورها اما ذات طبقة واحدة أو طبقتين وقليل ما يزيد على ذلك وصورة الدار ان
تدخل من الباب الذي على الطريق فتجد محلا مسقفا ان كان كبيرا سمي دريبة أي
دهليزا و الا سمي سقيفة ثم آخر أصغر منه ثم وسط الدار والاغلب أن تكون الابواب
المدخول منها الى السقيفة متقابلة لكي لا يكون مكشوفا من بالسقيفة وهو محل مربع
الشكل مكشوف الى السماء وبه أبواب تنتهي الى البيوت وهو مفروش الارض اما
بالرخام أي المرمر الابيض أو الكذال والجميع على شكل مربع منقوش الاثبات في الارض
حتى يصير كأنه قطعة واحدة مخطط في المنظر بخطوط الحدود وحيوطه مكسوة
بالزليج اما الى نهايتها واما الى النصف والنصف الاعلى مطلي بالجص الابيض وبه نقش
حديدة ونهاية الحيطان عليها افريز اخضر والابواب التي بعدد من الاربعة الى الاثنى عشر
يدخل منها الى بيوت ومرافق والبيوت غالبا بعضها أحسن من بعض فأكبرها على
شكلين فالشكل الأول ان يكون اذا دخلت من الباب تجد البيت طويلا يمينا وشمالا
وقبالة الباب بيوت وقوس مرتفع وفي نهاية أرجل القوس تجد مرفعا أي شباكا من الخشب
المتقن النقش المزوق بالالوان دائرا مع حيطان البيت وتوضع عليه أواني رفيعة من الخزف
والصيني والبلور وفي نهاية البيت يمينا وشمالا اخذ اسرة عليها فرش النوم مسواة
باتقان وأمامها مساطب ومتكآت وجميع الحيطان مثل ما مر في وسط الدار مع زيادة
اتقان النقش والابواب كلها ذات زوايا كاملة الا ان مخوصة الابواب الدويرية ثم لكل
باب أو شباك عواضد من الاربع جهات من الرخام أو الكذال أو الخشب كل جهة في
قطعة واحدة غالبا وعرض العاضدة من شبر ونصف الا العواضد السفلى في الابواب
فانها تكون منخفضة لا ترتفع على الارض أكثر من أصبعين وأغلب ارتفاع السقف

من

من السنة الى اثنى عشر ذراعا وهى أى السقوف ما بين بناء بالآجر او بالحجر المعقود او أعمدة
من حديد وآجر او قرميد او انها خشب مما يجلب من أمريكا المسمى بالالواح الطرطوشى
والمندقى من النمسا وعلى أى نوع كانت فانها ان كانت من الخشب نقشت و زوقت
والاعلى بالجص ونقشت وزوقت وتارة يطلى النوعان بالعصبة المموهة بالذهب على
اشكال بديعة مع التزويق بالالوان والاغلب فى سقوف الخشب ان تكون على هيئة
خشبات ممدودة على عرض البيت وعمقها نحو شبرين او شبر ونصف وعرضها نحو ثمانية
أصابع وكل الابواب ذو دفتين وتارة يكون ذا اربع دفف وهذا فى خصوص أبواب
البيوت وأما غيرها فلا تكون الا دفتين ثم عن يمين الباب وشماله مقاصير اثنان فادوق
اما للنوم او الملبوس او المرافق وعلى الابواب جميعا ستارات متعددة على حسب الرفاهية
ويوضع فى البيت ايضا مرايات كبيرة على المرفع وراء قطع البلور والخزف وكذلك حول
اسطوانتى الباب وهذان يوضع أمامهما مدرجتان من خشب الجوز المتقنة الصنعة وعليهما
ساعتان وفوانيس وأوانى من الزهور المصنوعة وغير ذلك من التحف وفى الشتاء تفرش
أرض البيت بحصير وعليها بسط صوفية وأما الشكل الثانى فى البيوت فانه يكون
براحا واحدا امامه مربع او به استطالة والمبوط والسقف والفرش كلها على نوع واحد
غير انه يغلب فى هذا الشكل ان يكون السقف من خشب وحيطانه مغطاة من أسفل بما
يلى البيت بألواح من خشب مزوقة أيضا حتى ترى كأنها قطعة واحدة والاغلب تحسين
المنظر وعدم ظهور القطع بين الالواح أن تغطى الالواح من أسفل بنسيج من الكتان
او القطن على عكس امتداد الالواح وتدق بمسامير ثم تلون وتزوق كما هو وفى وسط هذه
السقوف على اى نوع كانت توضع قطع من خشب مرتفعة منقوشة بأشكال بديعة
مذهبة وتسلك فى السقف بقضيب حديد مناسب ويعلق فيها ثريات من البلور وما
دون ذلك من البيوت يكون أقل اتقانا فى طلى الحيطان ومفروش الارض والستائر فقط
اما اصل الطلى وتبليط الارض بنوع صلب فلابد منه وفى قليل من الديار الكبرى
للاغنياء يوجد بيت واحد ذو ثلاث بهوات او اربع ووسطه مربع ويجمع فى أعلى نوع
من اتقان المواد والصناعة وكذلك يوجد بقلة حنفيات فى الديار وانما كثرت بعد وجود
ماء زغوان فى الحاضرة وكل دار لابد فيها من بئر وماجل ومطبخ وبيوت لخزن القوت
وأدواته ولابد أن يكون خارجها مخزن للدواب او بعض الضروريات ولا اقل أن يكون
أسفل وسط الدار او لمتجمعة ايضا ذلك ان لم يكن لها مجرى وقليل أن يكون لها علو

بابه فى الحقيقة الخارجية أو الدريبة خاص بالرجال والواردين على أصحاب الدار والاغلب
أن يكون ذلك للأعيان ويكون له اللوازم المرافق والفرش وأكثر من ذلك أن يكون
فى عرضه بيت واحد يجلس به صاحب المحل ومن يفد عليه من الرجال واذا كانت الدار
ذات طبقتين فان الهيئة المذكورة هى هى ولا يزاد فيها سوى رواقين أو أربعة أمام
البيوت فى صحن الدار تكون مرفوعة السقوف على حيطان وجوه البيوت من جهة ومن
الجهة الثانية على أقواس مستندة على اسطوانات من الرخام الأبيض المتقن أو من
حجارة الكدان والأقواس مطلية بالجص المنقوش بالنقش حديدة وفوق هاته الرواقات
رواشن للطبقة العليا ولها درابزين من الجهة المطلة على صحن الدار ومن تلك الرواشن
يدخل للبيوت التى فى الطبقة العليا وهى مبنية على البيوت السفلى وهيئة البناء والفرش
على النحو الأسفل سواء ويصعد الى هاتيك الطبقة بدرج فى أحد الأبواب التى بوسط الدار
والأغلب فى الدرج القديمة أن تكون على هيئة غير مناسبة لهيئة الدار لأنهم
لا يعتنون بها سوى كونها موصلة للأعلى فتارة تكون ضيقة وتارة تكون مرتفعة تتعب
الصاعد لكن فى الأبنية الحديثة صارت الدرج متقنة الهيئة من الاتساع والارتفاع
المناسب بحيث لا يكون ارتفاع الدرجة أزيد من شبر وعرضها قدم ونصف وطولها
ستة أقدام فما فوق وعلى أى هيئة كانت فلا بد لها من التبليط بالبلاط أو الرخام وكثيرا
ما تكون كل درجة قطعة واحدة من الرخام الأبيض أو الأسود أو الكدان أو
الصوان وجميع الحيطان ماسكة بالجير أو مطلية بالجص ولا يكون فى السفلى ولا شباك
واحد على الطريق وان احتيج الى الضوء فلا بد تجعل له منافذ قرب السقف لكى
لا يسمع صوت النساء نعم فى الطبقات العليا توجد شبابيك على الطرق ولها أبواب غير
محكمة من القصب الخشب وجميع الشبابيك سواء كانت لوسط الدار أو للطريق لا بد لها
من قطع من الحديد على أشكال مربعة وفى القديم كانت جميع الأشكال مربعة هذا
فى أماكن النساء وأما أماكن جلوس الرجال فليس فى شبابيكها قصب الخشب نعم
للشبابيك مطلقا أبواب من الخشب وأبواب بساطر من خشب وطبقتها من البلور أو
الزجاج والحاصل أن الديار من داخلها فى غاية الاتقان والنظافة على حسب الرفاهية
لكن خارجها لا يعتنى باتقانه فوجه الحيوط مما يلى الطرق كثيرا ما يكون غير مجصص
وقلما يبيضونها بالجير والمطروح كلها مستوية وبعض مدهونا بالحبر ولذلك لم يكن منظر
البلاد فى الطرق جميلا مثل ما هو فى الدار هذا كله فى غير حارات الافرنج أما هى فانها

على

على الضو الاروباوى الذى سيأتى شرحه ولذلك كانت أنضر ونظافة الطرقات متوسطة
بحيث انها ليست بغاية ولا انها متقنة لنظافة وفى الشتاء يحصل فى بعض الطرق التى لم
تبلط كثير من الوحل والطين وهذه لتبق الانادر فى المدينة واما فى اربضيها فهى لازالت
كثيرة وبواسطة المجلس البلدى لازال يتدارك فى تبليطها وتعميمها وقد عمت الطرق
الاكثر مرورا سعة للعجلات والطرق خارج الحاضرة ليس منها طرق صناعية سوى طريق
بين تونس وحمام الانف واخرى الى باردو ومنوبة واخرى الى جهة العوينة وطريق
حديدية الى حلق الوادى واخرى الى الجزائر ومدة اخرى الى الساحل واخرى الى ابن
زرت واما فى الحاضرة فالطرق منقسمة الى مناهج وهى متسعة اقلها عرضه مجلتان
متحاذيتان وهى قليلة والى طرق وهى لا تسع فيها الا عجلة واحدة وهى أكثر من الاولى
وكثيرا ما تتعارض فيها عجلات ويوجد بها بعض جهات متسعة لرفع ذلك التعارض
والى زقاق وهى التى لا تسع فيها العجلة بل بعضها لا يسع فيها الا انسان واحد واغلبها انه فى
وسط الحارات ولا زال المجلس البلدى يوسع فى الكل مهما خرب حائط على الطريق الا أخذ
من محله توسعة للطريق واغلب أنواع الطرق غير مستقيم بل فيها تعاريج وانعطافات
وتحت الطرق خنادق تجرى فيها المدورات والمياه لتخارج من البلد تحت الارض
واكثرها غير متقن البناء وتنقصف ولذلك يكثر فى الشتاء خرابها وتتعطل الطرق عن
مرور الحيوانات والعجلات وتلك الخنادق تصب فى البحيرة التى هى فى الجهة الشرقية
من الحاضرة هذا واما قصور الوالى وعائلته والوزراء والاعيان فانها وان كانت بعضها
على نحو ما تقدم وبعضها على النحو الاروباوى لكنها تفوق غيرها فى اتقان البناء والكبر
وحسن الفرش والتزويق والترتيب وكذلك جوامعهم واما الحوانيت والاسواق
فليست جميلة المنظر لان اغلب الاسواق ضيق الطريق ومسقف بالخشب الغير المنظم
وبعضها مسقف بالآجر وهو احسن منظرا لكن الجميع لا يتأنقون فى نظافة الحوانيت
وحسن هيئتها واغلبها صغيرة وارتفاعه اذرع فى طولها وارضها مرتفعة على ارض
الطريق فى البناء نحو ذراع وبعض ابوابه من خشب غير منحوت وهى قطع مفرقة يضع
صاحبها لوحة حذو اخرى الى ان يملأ عرض الباب فيجعل قفلا على الوسطى من تلك
الالواح يمسكها بالمواضع فى العرض التى تدخل منها الالواح ويكون المسك بواسطة
حلق صغيرة بعضها فى اللوح وبعضها فى العتبة بالتخالف فى الوضع ويدخل القفل فى تلك
الحلق ثم يقفل بالمفتاح وصورة القفل فى الاغلب على الشكل العتيق وهو قضيب من

حديد فارغ الوسط به لولب يجذب ويندفع بواسطة ادارة المفتاح الذي يدخل
في فراغ ذلك القضيب وهذا في خارج القضيب قوس يدخل في ذلك الحلق ويدخل
طرفه في ثقب في طرف ذلك القضيب ثم يدار المفتاح الى ان يجذب اللولب ويدخل
في ثقب في طرف القوس الذي ادخل في القضيب ثم ينزع المفتاح ولكن لا نزل هذا
الشكل يتناقص ويجعل على الصور المتعارف في أغلب المدن في الابواب وبسبب ذلك مع
وجود الخراب في عدة جهات وعدم تبييض جميع الحيطان كل عام لم يكن منظر البلاد
اجمالا جميلا ان رأى المدن الجميلة والاقواس أعلاها نصف دائرة والسقوف البنائية
لابد فيها من شيء من الاخشاب ثم في المدة الاخيرة حدثت الاقواس والسقوف المبنية
المبسوطة هذا واما منازل المسافرين فوق حارة الافرنج منازل مثل ما هو في أوربا
وقل ان يسكنها احد المسلمين وانما يسكنون في خانات وفنادق وهذه فيها بيوت لا فرش
لها ولا مطابخ فيأتي المسافر اليها من ذلك الادا تعود على السير لبلاد المغاربي
فان الجميع فيها متماثل ولكن السبب في هذا مع كثرة اسفار المسلمين هو خصلة دينية
وهي ان الكرم والضيافة مندوب اليها فمهما دخل المسافر بلد المسلمين الا كان
حقا على اخوانه ان يستضيفوه فلم يكن من داع لاتقان محلات المسافرين ادعاتها
هو وضع الدواب ولسلع التجارية (وكان ذلك هو سبب) عدم وجود افتقار مردف في
دال على نزل المسافر لما جبلت عليه العرب من الكرم والضيافة ولكن حيث تغيرت
الطباع اليوم فينبغي الاعتناء بمثل تلك المنازل وما ذكر جار في سائر انحاء القطر وعلى
عموما اقدم في هيئة الحاضرة بقية المدن والقرى لكنها على حسبها في التعبير والبنى
غير ان الطرق المتناسبة لا توجد في غير الحاضرة نعم ان البلدان التي احدثها
الاندلسيون هي انظم طرقات من غيرها اذ طرقاتها مستقيمة متسعة متقابلة بل
بعضها براعي وجاهتها حتى تقابل أبواب الديار وفي غير المدن لا يوجد البناء الا من طبقة واحدة
بل وهو الاغلب حتى في المدن وكثرة الخرابات في بعض البلدان سيما القرى وعدم
تبييض وتخصيص الحيطان من خارج تجعل الرائي يحسب الجميع خرابا وكثيرا ما تكون
ديار القرى غير مبلطة واعتابها بالطين والحجر المسوى (واما البطروى) فمساكنهم
خيام من شعر المعز والابل تنسجها الاهالي وتارة تجلب من طرابلس وللاغنياء
خيام من ذلك النوع في غاية الاتساع والارتفاع بحيث يقدر ان يدخلها الراكب
على فرسه ويقسم البيت لاقسام بأردية وستارات فقسم للقوم وآخر للاثنة وآخر لاولادهم
وآخر

وتنزل اولاد بعض حيواناتهم وأهل الغنى يجعل لكل نوع من ذلك بيوتا خاصة كما ان للضيوف وجلوس صاحب المكان بيتا خاصا ويفرشون بيوتهم نحو ما يفرشه أهالى الحاضرة الاعيان من المرايات والساعات والتحف الحرفية والمفروشات الحريرية والاسرة المذهبة والفوانيس والشموع الى غير ذلك من أنواع الحضارات لكن العموم يفرشون فى أرض البيت حصيرا وفراشهم أردية من الصوف مثل ما يلبسونها ووسادات وغطاء وبيات الرجل وزوجته واولاده كلهم فى فراش واحد ويطبخون فى فم البيت أو أمامه وكثير منهم من لا يوقد الا بعر الابل ويوقد من الحطب وبعض الفساقى يسكن فى خصوص أو بناء شبهها

(مطلب فى اللبس) لباس الحكومة والعساكر النظامية هو اللباس الافرنجى غير ان للعساكر علامات فى الرتب وهى صورة نجم من فضة خالصة لرتبة الفريق ويجعل ستة نجوم فى رقبة سترته ثلاثة من كل جهة وهو نهاية رتبة بعد الوالى ثم أمير الالواء له أربعة ولامير الالاى اثنان وللقائم مقام والامين آلاى ستة من عروخيط الفضة المذهبة وللبيكباشى أربعة وللقول اغاسى اثنان ثم للرتب التى تليه ثلاثة من الفضة الغير المذهبة وهكذا من يليه على النحو السابق وهاته الرتب تعطى أيضا بعينها لغير العسكر من ذوى الوظائف السياسية اذ ليس هناك رتب ملكية وفى المواكب يلبسون اللباس الرسمى المطرز بقصب الفضة المذهبة الا الضباط فطرزهم من غير المذهبة وتعلق فى صدورهم النياشين التى هى من الفضة المزوقة بالمينا وللصنف الاكبر منها شريط أحمر والنيشان العهد شريط أبيض على خصوصات فى ذكره فى الكلام على أحمد باشا والصادق باشا والوالى يلبس بشاشيته ثلاثة نياشين كبار أحدها كانت الدولة العلية أعطته لاحمد باشا عندما كان ذلك من رسوم المشير ثم زاد هو ثانيا مثله ثم زاد الصادق باشا الثالث له وهى نياشين من ذهب على صورة أوراق من النبات ويوسطها ترصيع بالياقوت الابيض كما يلبس نيشان المشير المرصع الذى كان أيضا من رسوم الدولة العلية ويلبس نيشان آل بيته المرصع والعهد المرصع والصنف الاكبر المرصع والقبر المرصع وجميع نياشين الدول التى اهدتها اليه مع شرطاتها وكذلك جميع المتوظفين كل منهم يلبس ما عنده من النياشين ثم كل من له رتبة أمير آلاى فما دون له علامة تلصق بشاشيته من نحاس على صورة شارة الحكومة مكتوب بها اسم الوالى الصادق

باقيا ذهو بحضرتها واما أهل الجهات الغربية بالحاضرة فيلبسون قلانس بيضا
مكورة غير ان المالكية منهم مقطعة والحنفية مرتفعة و يلبسون عليها طيلسانا
من الكشمير ويلبسون جبابا اكمامها واسعة وهي طويلة الى الكعب أو قريبه وهناك
فرق بين جباب الحنفية والمالكية فالاول جبابهم مشقوقة الجيوب الى أسفل
والاخرى مشقوقة الى السرة فقط ويزيد المالكية برنسا واسعا من الجوخ الصوفي
له حواشي وشرابات من الحرير وفي أرجل الجميع حذاء من النوع المسمى بشمق
ورجيه لونه أصفر وهو لبس لا تخص المشي به في الصيف ولونها لا ادهو أشبه شيء بالنعل
لكن له وجه على اصابع القدم و يلزم للمشي به نعل وتعودا كي تمسكه اصابع
الرجل اذا ارتفعت الرجل سيما اذا كان مع الرجيه قبقاب لارتفاق بين الوجه والجلد
البشمق وجلدها لم ان منظره جميل وأما أهالي الحاضرة فيلبس الرجال قميصا
وصدرية وأخرى تسمى ورملة غير انها بلا صدر ومنتان أي صدرية بلا صدر ولها ايدى
ضيقة الى الرسغ وتارة يكون في نهاية الايدى فتح من أسفل قرب الرسغ وتاره لا وتارة
تكون قصيرة الى أسفل المرفق فقط وتسمى كنترة وسراويل ... واهل الركبة
يسير ووسطها بيرو تدل كثيرا ولا مرتفع كثير وهي عريضة بحيث اذا لبست كان فيها
انكماشات بين الرجلين ولا يبلغ ندامها الى الركبتين واحديتهم من انواع فمنها
الكندرة وهو من لباس الاوربيين على أنواع شتى ومنها البلغة ولونها أصفر ومنها الصباط
الاحمر أو الاسود لبعضها شرابات من الجلد وبعض الاعيان يلبسون الزعبوط والرجيه
وعلى رؤوسهم شواشي حمر لها شرابات من الحرير الاسود وعليها عمائم ملوية
اما بيض او مطرزة بطرز الهند او بطرز البلاد وعلى الجميع برنس شتاء وصيفا غير ان
كيفية استعماله كانه حل لابس اذ يلفونه على أكتافهم بل لاحد الشقين فقط وهيئة
البرنس هو رداء متسع طويل الى القدمين وله رأس يسمى بالطربوش وكله في قطعة
واحدة وأسفله مقصوص معرج على هيئة نصف الدائرة ثم ان الاعيان والاواسط
يزيدون تحت البرنس جبة مشقوقة الى السرة فقط وليس لها اكمام بل انها مشقوقة
من أعلى الجنبين لاخراج اليدين منها وهي غالبا غير مشقوقة الاسفل و يلبسون أيضا
الجورب من القطن فقط أو من الصوف من تحته و بعض قليل يلبس الجوخة والقفطان
وهما جبتان ضيقتان مشقوقتان الى أسفل ولا فرق بينهما غير ان ما يلبس من أعلى
اكمامها مدورة قصيرة الى قرب المرفقين وأسفلهما مما يحزم عليها بالحزام الذي لا يدعه لكل

احد

أحد كما ان البرنس لا يمكن خروج الانسان فى الطريق بدونه وغاية الفرق بين لباس
الاغنياء وغيرهم هو رفعة المنسوجات وحسنها وكلاهما مع مصنوعات الديار من الصنائع
الاجنبية الا البرانس والشاشية وبعض أنواع حريرية كما يعمل الاعيان والاواسط
ساعات بسلاسلها من الذهب أو الفضة وأما الخواتم فمتفرقة بل جدا وكثيرا ما يعدانه
من سمات ذوى الدناءة الا لبعض أعيان الاعيان ومع ذلك كثير منهم يتحاشاه عنه ومثل
هذا اللباس لباس أهل المدن والقرى أو قريب منهم وبعضهم يلبس جبة من
الصوف ومراويل منها كلها من صناعة الاهالى وعوضا عن البرنس يلبسون
كبوطا وهو شبيه البرنس غير انه ضيق وله ايدى وقصير الى الحزام فقط وهو أيضا
لا بد من لبسه لسائق العجلات للاعيان فى الحاضرة فغير انه من نوع الجوخ المطرز
بخيوط الفضة وله منظر حسن وأما البوادى فلباسهم قميص ورداء من الصوف
يسمى بالحرام وبرنس من الصوف غير انه يلبس لبا ابان بدنه ل الرجل رأسه فى
الماربوشة وتارة يعممها على رأسه وتارة يلقيها الى ورائه على كتفيه وهم من هذه نجم
وعلى رؤسهم شواشى وعمائم من خيوط من وبر الابل أو صوف المعز الاسود أو الاحمر
وفى أرجلهم النعلة والاعيان منهم يلبسون فوق القميص مثل لباس أهل الحواضر
وبرانسهم تكون من الصوف الجيد الرفيع والحرير وكذلك عمائمهم مثل الحواضر
ومثلهم أهالى بعض البلدان كبلدان الجريد والكاف وباجة وتبرسق وأما لباس النساء
فى الحاضرة فيلبسون القميص لكنه قصير الى أعلى الفخذ وفوقه مثل الصدرية بلا
صدر ويتأنق فى تقانها وتحليتها بالفضة أو الحرير أو الذهب وتسمى فرملة وفوقها
جبة ضيقة بعض الضيق بلا أكمام وقصيرة مثل القميص المذكور ومراويل ضيقة جدا
مثل سراويل رجال الاورنج لكنها مخروطة الجانب مع اتقان تحليتها والتغالى فيها
وعلى رؤسهن على الشعر منديل حرير اسود يسمى تقريطة وفوقه قوفية أى نوع من
المراقية محلاة وطاجين مرتفع من أصبعين الى الثمانية أصابع صلب بالطرز بالحرير
الاسود على خيطان من الكتان الصلب وفى مؤخرها ذيل من الحرير مدلى الى قرب ذيل
الجبة ويطرز بانواع جبلة من الفضة وحرير ثم تلف رأسها وقفتها بالتمام من أنواع
الحرير والقطن ويصير رأسها كالمرعلى هيئة متقنة وتعصب على الجميع بتقريطة ملونة
أو مزوقة بالفضة بعد طيها على عرض أربعة أصابع بحيث يكون ما فوق القدف من
غطاء الرأس مكشوفا من تلك التقريطة وتربط أطرافها من جهة الجبهة على هيئة

تكون بصورة التاج مصنوعة عساليك من الفضة دقيقة صغيرة ويكن أذرعهن مكشوفات ويلبسن في أرجلهن أنواع الاحذية الافرنجية والاعيان يلبسن الجوارب والخادمات يلبسن على بعضهن الاسفل فوق جميع الثياب ازارا من القطن او مخلوطا بالحرير أو الحرير الصرف ملون أغلب ألوانه مائلة الى السواد لتحمل الوسخ ولما تقدم لم يكن شكل الذي وجد لامن ابسهن واذا خرجن للطريق فالاعيان يلتحفن برداء أو طيلسان واسع ثم يدخلن في الكروسة وتدخل أي الكروسة الى داخل الدار لتركب المرأة فيها ثم تسدل ستارات الكروسة بحيث لا يرى من ركب فيها ونسوة الاواسط يلبسن عند الخروج رداء مربوطا بالعاقرب القدم ومغطيا للرأس على هيئة ساترة لجميع أجزائها وعلى وجهها حجاب من الحرير الاسود وأطرافه مزوقة مطرز وفي غطاء رأسها عصابة وتسدل طرفيه بين يديها مع لفه [illegible] في ردائها او على رجليها [illegible] فان مربطان من منسوج فضي مطرز ونعالها خاص بالخروج وأما الاسافل فهن مثل ذلك أيضا سوى العصابة فعوض [illegible] لثام أسود ملفوف على الوجه فضي لا تظهر منه البشرة ولا ترى الا عيناها ونسوة اليهودية [illegible] ذلك الاستر الوجه فهن مكشوفات وأما لباس نسوة البلدان فهو على ذلك الاصل غير انه ساترا أكثر لانه ممتد الى قرب الكعب والجبة أوسع ويمسكون بالمنطقة بحزام وأما نسوة الاعراب فهن مثل ذلك أيضا سوى الجبة فعوضها رداء واسع تمسكه المرأة على [illegible] من فضة أو ذهب أو نحاس محدودب طرفاها الى الصدر وتمنطق عليه بحزام ويكون متراخيا الى القدمين مع الاتساع غير انهن لا يلبسن السراويل ولا يتقنعن على رقابهن فقصار [illegible] أجمل من نسوة الحواضر ويتحلين نسوة القرى [illegible] والجميع يلبسن من الحلي أنواعا شتى من القرط في الاذن بعد ثقبها [illegible] والاساور والخواتم والتيجان وغير ذلك من الجواهر الثمينة والمكللة بالياقوت والزمرد واللؤلؤ وبعض الحواضر والقرى والاعراب يقطعن في أرجلهن أيضا كل على حسب الثروة والاعسار

*(مطلب في الاكل) • أما أهل الحاضرة فأكلهم جمع بين أنواع أكل أهل المشرق والمغرب والاوربا بحيث لهم من كل أصنافه [illegible] بها الاعيان والغالب في البلد وأعرابها وسائر بلدانها وطعام الكسكوس أو الكسكسي [illegible] البلدان بالشكشوكة طعام من زيت وقديد وبصل وطماطم وفلفل وغالب السكان يأكلون الطعام الحريف المسمى عندهم بالحار من الفلفل ويكثرون من الابزار الا البوادي فأغلب طعامهم بسيط

من

من دقيق القمح أو الشعير أو الذرة واللبن واللحم المشوي وفي ولائم الأعراس بالحواضر
يكثرون أنواع الحلويات وهيئة الأكل عموما هي الجلوس على الأرض إما على متكآت
أو بسط أو حصر ويوضع الطعام جملة ويأكلون من إناء واحد ثم غيره وهكذا والغالب
إطعام واحد وأهل البلدان يصنعون مائدة يوضع الطعام عليها وهي من خشب مدورة
ارتفاعها عن الأرض نحو شبر وبعضهم يجعل عليها أو على كرسي مثلها طبق من النحاس
وفي بعض الأعيان ومتوظفي الحكومة صارت هيئة الأكل كما هي عند الإفرنج وبعضهم
صيرها بين بين بحيث يؤكل من إناء واحد لكن بالشوكات والسكاكين والخبز له أنواع
ففي العربان إما أن يكون منضجا في فرن يسمى الطابونة وهو حسن جدا سيما الساخن
منه وإما أن يكون الخبز غير مخمر يشوى في إناء من الطين وهو ردي لقلة نضجه وعدم
تخميره وكلا النوعين موجود في البلدان إلا الحواضر فيوجد الأول بقلة عند الأعيان
على وجه التفكه والخبز العام في المدن هو خبز مرتفع صغير قابل النضج مخمر لذيذ ينضج في
الفرن المعتاد ونوع آخر كبير وهو الذي يصنع في الديار أصح من الأول والأول لا يأكله
إلا من لا عائلة له أو له قرابة ذوو العيال وأما خصوص الحاضرة ففيها اثنا عشر نوعا من
الخبز كلها جيدة مائلة ناصعة على الصورة الذي يعرف في المشرق بالإفرنجي وعادة الجميع
في الطبخ أن النسوة هن المكلفات به ويطبخن في اليوم مرتين غدوة وعند الزوال
وعشاء وهو بعد الغروب كما توجد مطاعم في الأسواق يطبخ بها رجال لمن لا عائلة له
أو داره بعيدة من محل صناعته وأغلب طعامها ردي إلا قليلا ومن طعام السوق الجيد
الفول المطبوخ بالبيض يشتريه حتى الأعيان في ديارهم لأجل أكله والغالب أن
الأهالي زمن الصيف يدخرون قوت السنة من الكسكسو ونوع مثله يسمى المحمص
والقديد والأبزار وأما الحطب فغالبا يخزن في أواخر الشتاء عند تنقية أشجار الزيتون لأنه
هو أغلب الحطب وغيره لا يطبخ به إلا قليلا وبقية المأكولات تشترى يوميا كاللحم
والخضراوات ومنها شهريا أو أسبوعيا كالزيت والسكر والقهوة

(مطلب في الأعراس والمواكب) أول المواكب في عيد الأضحى والفطر وقدوم كتيبة
التعبيد على الوالي وأما الأعراس فلا يزالون يصنعونها أربعة أيام ويحصل من ذلك تعب
كثير سيما إذا كان العرس لفقير وربما يستدين ولو مرارا ويعطي للزائرين والأقارب
يعطي لهم أنواع من الحلويات وفي جميع المواكب التحية بالتقبيل فالعلماء بتقبيل
أكمامهم ثم من دونهم بتقبيل المرافق ثم المساويات في الأكتاف وقليل لا في الأفواه

وبعض الاعراب يقبل كل يديه حجره وتارة رأسه وكذلك يحصل موكب في المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على نحو ما نفصله في الكلام على المباسة وأما بقية المواسم فلا موكب فيها وانما فيها الصدقات والقراآت والتوسع على العيال وفي عاشوراء تطلق النيران والبارود اعتقادا انها من تفريح الصبيان وكأنها نعرة باقية من آثار الخوارج الذين كانوا بالقطر وفي رمضان تتأنق أهل الحواضر سيما القاهرة في الاكل وكل يدعو احبابه للعشاء عنده ولا أقل أن يتعشى ولو انسان واحد مع صاحب الدار ويصرفون في ذلك زيادة على العادة وأما الختان فانهم يعملون له وليمة مثل العرس وسبعة ايام او في هذه زيادة وهي ان الطفل المختون يؤتى به قبل الختن من مكتبه وهو لابس لا يحل لباسه الذي كثيرا ما يكون قصبا بالفضة أو مطرزا بالطراز المراحين ومعه تلامذة المكتب علا لابس جبة أو نطيفة ويرفع رجل على رأس المختون لوحا مزوقا ويطوفون في حوالي حارتهم وامامهم أو خلفهم فرقة من الرجال يذكرون قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتجيبهم التلامذة ببيت القصيد على الحان جيدة ترتفع بها اصواتهم الى ان يصلوا الى دار المختون فيقدم لهم موائد من الحلويات ثم يختن الولد أحد الحلاقين المجاز لهم في ذلك بمقص من حديد ثم يوضع في فراشه مزوق ثم يهدى اليه من أقاربه وأوداء أبيه اما مال أو مصوغ وأعلى الهدية قدر اربعة ريال فما دون وقد قلت هذه العادة وصار الختان أكثره يختنون بدون هدية ولا غيرها ويتناقلون في ادعائهم روايات منها قولهم أعلنوا النكاح واخفوا الختان ولم توجد في كتب الصحيح ولا نص لاصحابنا في المسألة سوى اني رأيت في الاحياء للغزالي الذي هو شافعي انه عد في أنواع السماع الجائز السماع عند الختان وعند حفظ القرآن الخ فهو دال على أن اشهار الختان غير منهي عنه كما انه غير مندوب لقوله وهو أي السماع مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه الخ فهو دال على عدم النهي عن اشهاره فقط وأما الاعراس فان الزوج بعد الخطبة يرسل المهر واعلاه الف ريال الا الامراء والوزراء فيزيدون على ذلك الى العشرين ألفا ثم يرسل مع المهر هدية تسمى الملاك وهو صندوق صغير مجلد بصفائح الفضة أو خشب مرصع بالصدف وفيه المهر مصرور في منديل من حرير مخاط بالفضة ثم صندوق آخر أصغر من الاول من فضة أو ذهب أحيانا مقسم الوسط به قنينات مملوءة عطارا وأحسنها انواع من طيب العود والعنبر

والقماري

والقمارى ثم حقه من ذهب أو فضة فيها قطعة كبيرة من سكة الذهب امادبلون من
سكة الاسلامبول أو قطعة مائة ريال ذهب التوضع فى كف العروس عند وضع الحناء ثم حصير
أو زبدية مملوءة بحناء الورق مخبصة على شكل مدور لكى تحفظ وتلف الحصير فى ملاحف
من قطن أو حرير ثم صحن من الزجاج أو الفضة به شكل كالعصيدة من الحناء موضوع فى
طبق من الرعف مكسو بمنسوج من الحرير أو الفضة مغطى بمنديل مثل ذلك ثم قطعة من
مصوغ مكلل بالاحجار ثم حزم من الشمع لابيض كل ممصصة بالشرائط الحريرية أو الفضة
من ثلاثة حزم الى العشرين ثم شمعدان أو أكثر كبيرتان نحو الاسطوانة ممصصة أيضا
مثل ماذكر ثم شمعة أى شمعة صورة كف آدمى كبيرة طولها نحو ذراعين فما فوق وتارة
تكون أربعة من وحدة كلها من الشمع ممصصة كما ذكر بأشكال حسنة ثم أطباق
كبار من الرعف بها أقطار فما دون من السكر الابيض ويرسل ذلك الى دار العروس
مع أقارب الزوج من النساء عشية وفى الليل تخرج دار العروس التى قد زينت ويدعى
اليها النسوة من الاقارب والاحبة وتزين العروس بأجمل لباس ويوضع على رأسها رداء
من منسوج الفضة الثمينة وعلى وجهها برقع من الحرير الصفيق وتوقد تلك الشموع
المهداة لها وتجلس فى بيت أبيها على مسطبة ومتكآت من الحرير أو الفضة ثم يهدى
اليها من حضر مالا أن يدفعه من مائة ريال ثم تخضب يداها بالحناء المهداة بعد وضع قطعة
الذهب فى كفها اليمين وينفصل الموكب بعد أن تمشى النسوة الضيوف ويعطرن صاحبها
ويتهيأ أبو العروس الى انفاق الاموال فيعمل لابنته ملبوسات لا تلبس الا يوما كالقميصة
الكبرى وما والاها وهى جبة كبرى من نوع من الفضة المنسوجة ثخينة ثقيلة تتكلف
نحو ألف ريال ويقيمونها مرارا بل مثلها وهكذا مما لا يلبس الا يوما أو يومين مع البدلة
أخرى معتادة للتحمل والعادة ما يكفيها سنة أو أزيد من كسوة البيت وحوائجه من فرش
الصوف والاردية والستائر للابواب والاسرة والمتكآت كلها من نوع الثمينة من
الفضة والمدس الذى لا تكتسى به البيت الا أسبوعا واحدا فيصرف أبوها اضعاف
اضعاف من المهر وبعد أسبوع من عرسها تباع تلك الاشياء بالا يبلغ الربع من ثمنها
الاصلى وعند العرس يحضر الزوج داره ويبقى بيته فارغا الا أمتعة صغيرة مما لا يجعل
فيه ما لا تأتى به المرأة كما يجعل الاسرة فى البيت والساعات والمرايات والبساط وقبل
ليلة العرس بيومين تستدعى الاحباب من كل على ان تكون الملاقاة فى أحد
المساجد عند صلاة العصر ان دعاه الزوج وأما المدعوون من أب الزوجة فيقدمون الى

داره وتارة يقدم أبو الزوج أو وكيله مع من دعاه لدار الزوجة وبعد الجلوس والدار
مزينة وبوسطها جميع الجهاز الذى أحضرته العروس ليرفع لداره على هيئة منتظمة
يخطب الخطيب وهو أحد الشهود المتخذين الشهادة صناعة وتارة لبعض الأعيان
يخطب أحد أهل المجلس الشرعى أو غيرهم من العلماء ويقع الايجاب والقبول ولا يكون
من الزوج والزوجة بأنفسهما بل ان كان لهما أب فهو والا فولى أو وكيل وبعد
ذلك تقرأ الفاتحة من الحاضرين الذين يبلغون أحيانا الى ألف فما دونها وتصفيق نساء
دار الزوجة وربما لا تعلم أهل الدار لأنه كثيرا ما لا يتفق الأصهار على عدد المدعوين
وان وقع التفاهم وكانت الدار لا تسعهم جعل العقد فى أحد المساجد ليسع الجميع ثم
يسقى الحاضرون ماء محلى بالسكر فيه أنواع الطيب ثم يرشون بماء الطيب وينصرفون
الا الخواص من الأحباب ويرفعون الجهاز على حيوانات ويطاف به فى البلاد ليرى ويشهر
ويسمع ويفرش به بيت الزوج وقبل ليلة العرس بيوم تصنع وليمة بالحلويات
الخصوصية على مائدة مستطيلة كبيرة فى احدى البيوت حولها كراسى ويدعى اليها مئات
من الناس من أول النهار الى ما بعد نصفه كلما جاء فوج أدخل أعيانه الى بيت الزوج
ثم ادخلوا جميعا الى المائدة فيأكل كل شيئا يسيرا من الحلو ويشرب قليلا من المشروبات
الملونة الحلوة ويقرؤن الفاتحة وينصرفون ثم ترفع المأكولات والمشروبات التى تعود
كما كانت ويدخل الفوج آخر وهكذا الى الختام وقد يعوض عنها بعشاء فى النصف
الثانى من النهار وهو يحتوى على مطبوخ من اللحم والطيور والسمك والحلويات على
مائدة واحدة ويدخل عليه الناس أيضا كما مر فيراد الأكل منها أكثر من السابق وان لم
يكن حقيقيا لا شبع وقد يعوض عن الجميع بوليمة ليلة العرس لمجرد أحباب الزوج
وأقاربه ثم يؤتى بالعروس بعد الغروب هى وقراباتها فى كراريس يرسلها الزوج أو وليه
ويذهب للاتيان بها أحد قرابات الزوج ويهدى الى العروس فى ليلة العرس ما يسمى
قمصان الدلال والهدية على أقرباء الزوج وكذا فى ليلة الوطئة الكبرى وهى قبل
العرس بثلاثة أيام للحنة للعروس والمهدى قرابة العروس كما تهدى العروس للزوج
وبعض الرجال من قرابته كأبيه وأخيه شيئا من الملبوس وبعد خروج العروس من دار
أبيها تجتمع جملة النسوة اللاتى يردن الذهاب لدار الزوج ويوقدن تلك الشموع
ويذهب معهن أقرباء العروس من الرجال ومن أتى لمصاحبتهم من أقارب الزوج لكن
هؤلاء يمشون فى مقدم الموكب والآخرون فى آخره والنسوة فى الوسط ويصرن يولولن

فى

فى الطريق وبدقون الابواب ويصرخون يامحمد يامحمد ثم يدخل الزوج على عروسه
و يعمل الحلوة الصحفة ويخرج ولايات ولايعرفون الا الة الجمعة والاثنين والخميس
ولا يعرسون فى محرم تشاؤما بسبب ما تقدم من كثرة المصائب فى عصابات من
يمشى على عرضه وتفرقت أقوام ولا حول ولا قوة الا بالله وقريب مما مر ما يقع فى البلدان
والقرى يخرج فيه ذلك بعادات العربان وهى أن بعد الخطبة والعقد يرسل المهر ومعه
شئ من الملبوس أو المصوغ والطيب ثم أبو الزوجة يكسو ابنته وعليه شئ من لباس
الزوج ثم يأتى بالعروس لبيت زوجها فى محمل على جمل مزين بالثياب الرفيعة
والحلى وحوله أفواج من قرابة الزوجين بأحسن لباسهم والطبل يضرب والبارود
يصرخ وتارة الخيل والفرسان تلعب الى ان تصل لبيت زوجها ويعمل لهم أبو الزوج
وليمة قسم للرجال وقسم للنساء فيعطى لكل شخص لحمة فى يده من رجل أو امرأة
واللحم موضوع فى قصعة ثم تقدم قصع الكسكسو وان أخذ لحمة فوجدها عظمًا ان
يردها و يأخذ غيرها ثم يدخل الزوج على عروسه ويتزوجها واذ ذاك يطلق البارود
وتعلو النسوة بالولولة ثم يبقون بين غناء وسرور والغناء من المغانى والرجال تخدمهم
بالمال شيئا فشيئا الكل يعدون قطعا من العاص فلا يصرفون كثيرا لها والنسوة
ضاربات خمورهن على جيوبهن وهن منصتات وتارة يغنين والرجال يسمعون كما ان
اهل الحاضرة يحضرون اهل الموسيقى فى ليلة العرس وعند الولادة يحضرونهم عاهرات
مغنيات اذ يطلق النسوة لا تغنين أبدا ولو بين ايدى ازواجهن والغالب على اصحاب
الموسيقى ان يكونوا من اليهود لان أكثر المسلمين يتحاشون منها لما تقدم فى مطلب
الصنائع وذلك كله فى غير الموسيقى العسكرية فانها على الطوالار و باوى ومثلها
موسيقى الاروباويين فى تونس و يصنع مثل ما تقدم ليلة السابع من العرس وهى
ختامه وتارة تعمل ولائم للولادة ومن حضر احد ذكر العائلة امسكت الموسيقى
لكن وقع التساهل فى ذلك الآن واما المأتم مادامت الميت يبكى عليه النسوة برفع
صوت وتارة ينحن عليه وقد قل ذلك ولله الحمد والمنة وعند خروج الجنازة يعلن مثل
ذلك ثم عند الاتيان بما يغطى به النعش بعد الدفن يعلن ذلك وعند الموت يصرخ بيت
الرجل ما لم يكن من الاناث واما امرأة ولا ثم يحضر قراء يقرؤن القرآن حوله وهو مكروه
شرعا للاجتماع على صوت واحد ولانه قبل غسل الميت ثم عند الغسل يؤتى بخواجات
يكبرون و يهللون بصوت عال وهو من البدع ثم يؤتى بالقراء والمنتسبين الى زوايا

الصالحين بعد التكفين وكل يقرأ اما القرآن أو أورادا للشيخ المنتسبين اليه وهو من
البدع ثم يحمل على نعش وتارة يوضع فى تابوت من خشب ويحمل على النعش ويصحبه
كل من أوشك الغرق يصحبون القراءة والتكبير وغير ذلك وهو محرم أو مكروه
اذ قراءة القرآن فى الطريق لا تجوز ربما أصابه من النجاسة المحققة سيما ببعض الطرق
فى الحاضرة ثم يصلى عليه فى صحن المسجد أو عند القبر وهو الافضل ثم يدفن
ويقف أقرباؤه للعزاء فيقفون ويمنعون من تقبيل كل من قدم للعزاء وقيم الملة يصيح
بقوله أثابكم الله كل خطوة بحسنة الخ من البدع ثم فى اليوم الثالث والسادس والخامس
عشر والاربعين والعام يعمل فى دار الميت موكب يجتمع فيه النسوة للبكاء مرة وتارة حضرا
ويجتمع الرجال بالاستدعاء الا فى اليومين الاولين لمشاهدة قراءة القرآن والبردة وتارة
تكون بثمن والحاصل أن جميع ما يعمل فى ذلك هو من البدع المحرمة لابتداعها وافضلا
عما نص عليه من الاعمال المحرمة لذاتها الا ما كان منها مشروعا كالغسل والكفن
والصلاة والدفن واهداء الاكل لاهل الميت أيام موته لا فى المآتم وما يعمل بعده وما أحق
ذلك الوطن باتباع الشرع اذ هو واجب فى كل حال وصلاح حال هو أول درجة من
درجات الاخرة ومن ملحقات ذلك البدع المحدثات على القبور ببناء القباب والرخام والاسرافات
فى المقابر وهى أغلبها خارج البلدان الا قليلا فى الحاضرة وهاتيك البدع قليلة فى قبائل
العربان لكن فيهم الترهات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

﴿مطلب فى اللغة﴾ لغة جميع أهل القطر هى العربية وهم أفصح من رأيت على العموم
بالنطق بجميع الاحرف العربية لا القاف فيبدلها غير الحواضر بكاف أعجمية وقد
ورد أنها لغة ويستند بعضهم حتى الى حديث لكنه مروى مناما ومن المعلوم أن مثل ذلك
لا ينبنى عليه حكم ثم اللسان وان كان عربيا فقد دخلت فيه كلمات كثيرة بربرية أو
أعجمية فمنها ما كان من أصل لغة السكان البربر كلفظ كشطة أى عمامة وتوأى لالتن
وللا أى سيدة ولازالت لغتهم فى جهات جبال ورغمة من الاعراض وجربة مستعملة
فيما بينهم ومنها ما كان من لغة الطليان كألفاظ فيشو أى حندوم كاذى أى تاجر كبير
وكارطه أى ورق اللعب ومنها ما كان من لغة الترك كقولهم هم كذا وهم كذا وقولهم فى النسبة
قهواجى وباباجى وصاعجى الى غير ذلك ومنها تحريف للاختصار كقولهم ما نحبش
أصلها ما أحب شيئا ولهذا كثر استعمال الشين فى لسانهم حتى كادت تكون عندهم
كشكلة مع أنهم يبتدؤن بالساكن والحاصل أن لسانهم عربى محرف وفى الحواضر

لا

لا يذكر الانسان غيره الا بزيادة لفظ سى فيقول سى فلان وكانها مختصرة من سيدى ثم فى
المكاتبات للناس على ثلاث درجات فيكتب الاكابر لبعضهم سيدى فلان ومن كان دونه
بيسير يكتب له السيد فلان ثم الاسفل يكتب له سى فلان واما اذا كان خادمه او تابعه
فيكتب ابننا او ولدنا فلان وهى اصطلاح خطاب الوالى فى جميع مكاتباته الا للعلماء
فيكتب الشيخ سى فلان ثم ان اللقب لا يهمل فى الكتابة بحيث لا تجد انسانا بدون لقب
والشهود يزيدون فى كتابتهم الكنية لكن بالكنية العامة مثلا كل من اسمه على
يكنى ابا الحسن وهكذا (واما) البادية وغالب القرى فمخاطباتهم وكتاباتهم من دون
تسييد ولا لقب وانما ينسبون الى الآباء فيقال فلان بن فلان واغلب البلدان لهم لهجة
فى لغتهم يكاد الماهر ان يعلم المتكلم من اى بلدة والغريب ان ذلك كائن ولو مع
تقارب البلدان فان اريانة التى لا تبعد عن الحاضرة اربعة اميال لغة اهلها فيها
لهجة بعيدة عن لغة اهل الحاضرة بل الاغرب ان اليهود الساكنين فى الحاضرة مع
اهلها المجاورة جنب المجاورة ترى لغتهم فيها تغيير كثير عن لغة المسلمين فى كلمات كثيرة
كقولهم الحين بفتح النون اى الآن وبلغة اهل تونس تو وكقولهم الذى سيأتى وغير
ذلك واظن ان العلة فى ذلك هى التربية من الصغر فى الدار فيجرى عليها اللسان
ولو بعد الكبر والمخالطة وهذا وقع فى اللغات الاخرى ايضا فاصل اللغة وان كان
واحدا لكن اللهجة مختلفة كما فى اهل مرسيليا وباريس فى اللغة الفرنساوية وكما فى
لغة اهل الاستانة وبقية الاناطولى فى اللغة التركية بل هذا موجود حتى فى اصل اللغة
العربية فان قبائلها كل منهم له لهجة ولغة لا تفهم عند غيرهم وقد عد من معجزات
نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معرفته بالجميع بل وقيل حتى فى غير اللغات العربية
وليس ذلك بغريب ومما ثبت فى الصحيح فى اللغات العربية ما رواه القاضى عياض فى
الشفا حيث قال فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز
مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتى جوامع الكلم
وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها
بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه فى غير موطن
عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى

وطهفة الهندى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى
وغيرهم من قيائل حضرموت وملوك اليمن • وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح • وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم فى
محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر وافجر له الثمد وبارك له فى المال
والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله
الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة
ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة ولكم
الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد
طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد
والذمة ومن أبى فعليه الربوة وفى كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب
الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم
ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال
أين هذا من كتابه صلى الله عليه وسلم لانس فى الصدقة المشهور ولما كان كلام هؤلاء على
هذا الحد وبلاغتهم هذه اللغة وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين
للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث
عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة فكلمنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله عليه السلام فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم سل عنك أى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر وأما كلامه المعتاد صلى الله
عليه وسلم وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها
الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم
يد على من سواهم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا
خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله

عليه

عليه الصلاة والسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الى وأقربكم في مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن الى ان قال وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله عليه الصلاة والسلام حمي الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين الخ كيف لا وقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ومنابع الحكم عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات

﴿فصل في قوة الحكومة الحربية والمالية﴾

نفـــرا

٠٢٠٠٠ العساكر النظامية العاملة
٠٠٥٠٠ الجبالة غير النظامية العاملة
٠٠٣٠٠ العساكر المعروفين بزواوة العاملين
٠٠٢٠٠ العساكر المعروفين بالحنفية العاملين وكل هذين غير نظامي
١٤٠٠٠ الرديف النظامي
٠٢٠٠٠ الرديف من الجبالة
٠٧٠٠٠ الرديف من الزواوة
٠٤٠٠٠ الرديف من الحنفية وكل الاعداد على التقريب لان الضبط غير متيسر
٠١٥٠٠ العساكر البحرية

٢١٥٠٠

٠٠٠٠٢ السفن الحربية باخرتان من نوع الكرويت

فرنــك

١٤٠٠٠٠٠٠ دخل الحكومة مع اسقاط القسم المعطى لاصحاب الديون ودخل الاوقاف
١٤٠٠٠٠٠٠ خرجها الا قليلا من فواضل الاوقاف
٤٠٠٠٠٠٠٠ قيمة متجر القطر الداخل والخارج

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثانى
بتاريخ أوائل المحرم الحرام سنة ثلاث وثلاثمائة وألف
فى المطبعة الاعلامية لصاحب التأليف الشيخ
محمد بيرم افندى الخامس وتحرر تصحيحه
على يد الفقير اليه تعالى
مصطفى محمد
قشيشه
ويليه الجزء الثالث افتتاحه الباب الثالث فى ايطاليا

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الاعلاميه بمصر سنة ١٣٠٣)

•(تنبيه)•

يوجد في جدول الاحصاآت بالجزء الاول ميم مفردة وهي علامة على مجهول و (لا) وهي علامة على معدوم أي لا وجود له وقد غفلنا عن اثبات دلالة في محله فأثبتنا هنا التنبيها للقارئ

•(فهرست الجزء الثاني من صفوة الاعتبار)•

صحيفة

صحيفة

صحيفه

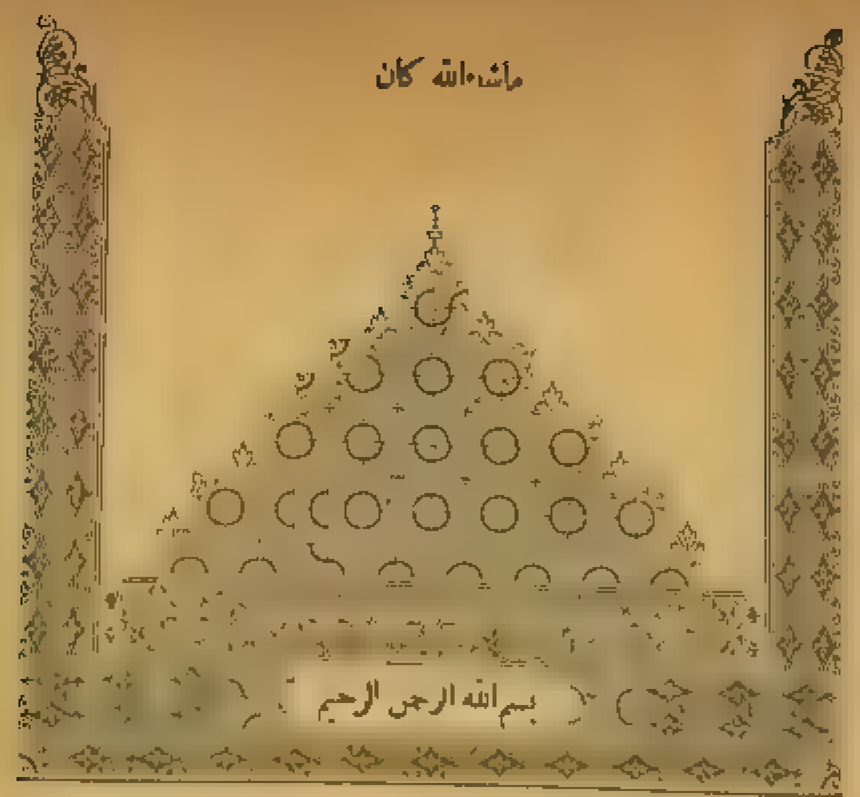


الجزء الثالث من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الاذكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿طبعة أولى﴾

﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث في ايطاليا

فصل في سفري اليها وما رأيته بها لما تكاثر بي المرض العصبي في صائفة سنة ١٢٩٢ ودامت معالجته على نحو ما مر ذكره في الباب الاول من المقصد وأشارت علي الاطباء بالسفر الى أوربا عزمت على ذلك في شوال سنة ١٢٩٢ الموافق الى أواخر نوفمبر الافرنجي واستأذنت الحكومة فكتبت لي على عادة المسافرين بطاقة لجواز بالاذن في السفر من مرسى حلق الوادي وهي بطاقة عليها اشارة الحكومة وتكتب تارة بالفرانساوي وتارة بالعربي وذلك على حسب المكان المسافر اليه فان كان بلدة أفرنجية كتبت بالفرانساوي وان كانت اسلامية كتبت بالعربي وهذه البطاقة تسمى تذكرة الجواز ومعمول بها في أكثر الممالك وبعض الممالك يتركونها ولا يحتاج الداخل ولا الخارج لاذن وركبت من المرسى المذكورة في التاسع عشر من شوال السنة ١٢٩٢ وكان معي خادمان أحدهما يتكلم باللسان الطلياني والفرانساوي والالماني والعربي وصاحبني في هاته الجهة العالم النحرير المتبحر في المعقول والمنقول الشيخ سالم ابو حاجب أحد أفاضل مدرسي

جامع

جامع الزيتونة حيث كان له أمور في ايطاليا مع وزير الاستشارة أمير الامراء حسين في
خصومة تتعلق باحد اتباع الحكومة التونسية المسمى بنسيم شمامة الذي كان مكلفا
بقبض أموال الحكومة وشراء المهمات لها وخرج من القطر بدون تحرير الحساب معه
كما مر في ترجمة الوزير مصطفى خزندار وذلك في حدود سنة ١٢٨٩ وبقي يتردد بين
فرانسا وايطاليا الى ان مات في بلدة ليفورنو من ايطاليا وطلبت الحكومة من ورثته تحرير
الحساب وكاد أن يقع صلح بينهما ثم خرج الورثة كما مر ذكر ذلك في ترجمة الوزير
المذكور ولذلك لزم الحكومة ان تبعث احد وزرائها وهو أمير الامراء حسين ومعه
العالم الشيخ سالم لطلب الحساب وتوقيف التركة وذهب الى هناك وباشر النازلة وطالت
المدة ورجع الشيخ المشار اليه الى تونس لامر مصلحي ثم عاد الى مأموريته وكان من
المنة الالهية التصاحب معه فركبنا باخرة البريد الطلياني المتعاقد معه ونزلنا في
الطبقة الاولى وكان كراء الواحد فيها من تونس الى نابلي مائة وعشرين فرنكا وأما في
الطبقة الثانية فثمانون فرنكا وأما في الثالثة فعشرون فرنكا لان الاولى والثانية
كلاهما يعطي الاكل والفرش بخلاف الثالثة فانها للحمل فقط مع الاختلاف في المكان
والفرش والاكل في كل بحسبه فأقلعنا من المرسى يوم الاربعاء بعد الزوال بخمس
ساعات وكان في البحر شيء من الاضطراب فحصل لي شيء من الدوار واشتد لما حاذينا
رأس عار الطع فاضطجعت في فراشي وأوفق الحالات للانسان هي الاضطجاع وهذا
الدوار البحري من أشد الامراض لمن يصاب به وبعض من الناس لا يعتريه شيء منه
وان لم يكن متعودا وقد كنت قبل الركوب استعملت باشارة الطبيب ثلاث حقنات في
الجلد من العلاج المسكن الذي لا يزيد على الم الابر للالم العصبي ومن فضل الله لم يقتضي
ذلك الالم مدة الطريق وبقيت الحالة كذلك الى ان وصلنا الى جزيرة سردانيا قرب
مرسى كالاري فدخلت الباخرة في جون محاط بالجبال عن بعد فسكن البحر ونشطت وهو
من غرائب مرض البحر اذ شدته تقتضي ان الانسان يبقى معه التعب وهو بخلاف ذلك
لانه اذا انقطع الاضطراب يحصل النشاط الآن للاوان نشطت فصعدت الى سطح الباخرة
فرأيت الجبال محيطة بنا وهي جبال أكثرها صلد لا نبات به ومنظرها اليبس يحسن
وأقلها خال عن العمران لان التمدن لم ينبسط في تلك الجزيرة ولم نزل سائرين في ذلك
الجون نحو ثلاث ساعات وكانت الباخرة تسير عشرة أميال في الساعة الى ان أرسينا
مرسى كالاري التي هي تابعة لايطاليا وكان ذلك صبيحة يوم الخميس قبيل الزوال فاذا

بالمرسى مبنية بالرصيف لأمن السفن بحيث تستطيع أعظم سفينة أن تلصق بالبر مع
الامن من اضطراب البحر والاصقة بالبر ينزل ملاحوها الى ذات العروق فى المرسى كثير من
السفن والبواخر لان موقعها متوسط فيأتيها البريد من جهات ويفرق على بواخر كل
تذهب الى جهة من الممالك الشرقية والغربية ثم يحمل من الجزيرة فى السفن الملح
والغلال والاثمار الى كثير من الجهات ثم نزلنا من الباخرة فى زورق كراؤه فرنك واحد
والزوارق كثيرة تحيط بالبواخر واصحابها سيئو الاخلاق مع المسافرين يغرونهم بالركوب
قبل المساومة فى الاجرة فاذا نزلوا طلبوا منه أضعاف القيمة وربما سرقوا ما وجدوه ان
امكنهم وذلك دينهم فى كل المراسى لكنا ساومنا قبل الركوب ودخلنا البلدة فاذا هى
بلدة غير متمصرة واغلب طرقها ضيق وابنيتها على النحو الاوروباوى الآن فى بنيانه ولا
تزيد طبقات دورها على اربعة وهى بلدة متصاعدة فى الجبل وطرقها مبلطة
فالذى تعرفيه العجلات يكون بحجارة وغيره يحجر بحجارة غير مسواة ولذلك كان منظرها
والمشى بها متعبا وترى الحبال ممتدة بين شبابيك الديار من احدى الجهات الى ما
يقابلها لنشر الثياب المغسولة عليها وفرش الديار مثل الفرش الاوروباوية وبالبلد
بستان يحوى منتزها للعامة وتأتيه الموسيقى العسكرية لبسط العامة عشية
الاحد والاعياد وفيه ماء نابع حلو وبه اشجار صغيرة مهيأة للبيع فى اوقاتها وفى البلد
منازل للمسافرين منها الحسن ومنها ما هو دونه وبها لوكاندات وبقية آلات غير واسعة جدا
وبها قهاوى ويباع بحوانيتها جميع ما يوجد عادة من الضروريات والحاجيات
والتحسينيات وفيها مستشفى ومدارس للتعليم فى مبادى الفنون وبها مطابع أيضا وفيها
صحف يومية نحو الاربعة وهواء البلد ردئ تكثر فيها الحميات فى الصيف لمجاورتها
اجمة وبها سجن يتقدم فيه اصحاب الجرائم الثقيلة المحكوم عليهم من محاكم
ايطاليا وفيها معمل كبير من الملح لذلك يجلب له الماء فى قنوات من البناء ممتازة
قرب شاطئ البحر ظاهرة للناظر وبسبب تلك الاجمة فسد هواؤها كما أرى حتى يقال ان
عدد اهلها كل عام فى نقصان وقد شرع فى عمار بقعة جديدة من هاته البلدة التى
موقعها فى الجنوب الغربى من الجزيرة التى هى مستطيلة من الجنوب الى الشمال
وينتهى الطريق فى شمالى الشرقى من الجزيرة فعمرانه يتم الى الآن ولا يزال العمل
فيه ثم أهل البلد على قسمين (الاول) الاعيان والواردون وكلاهم لباسهم مثل لباس
الاوروباويين (والثانى) بقية الاهالى ومنهم بقية سكان البوادى والقرى فى الجزيرة

يلبسون

يلبسون جلود الغنم بصوفها فالصوف مما يلي البدن والجلد من أعلى وهيئة اللبس هي
صدرية ومنتة وسروال بل نحو السراويل بنطلونية لكن يعملون على الساق ألبسة
مربوطة وينتعلون نعالا خشنة ذات مسامير كبيرة وعلى رؤسهم عراقي من الصوف أو قلانس من
الصوف المنسوج طوالة لاقة على أكتافهم والنسوة يلبسن قريبا من لبسهم وربما
لكن على شكل غير ضروري أرجل أغلبهن قباقب من خشب وأعمتهم طليانية والغالب
هو عدم التمدن والأكل رخيص هناك فالقهوة لثلاثة منا طلبنا أجهاها ثمانية صولدى
والبرتقال منه عشرون صولدى كل صولدى خمسة سانتيم ثم ركبنا باخرة أخرى وهي
التي توصلنا إلى نابلي بعدما أعدنا إلى خدمة الطبقة التي كنا فيها وذلك من اللوازم
في البواخر وكذلك الاحسان لخادمي المطاعم والقهاوي ومقدار الاحسان نحو خمسة
في المائة مما يدفعه الدافع فإن كان أقل تبرم في ذلك وإن زاد شكر ونقلنا رحالنا إلى
الثانية فأقلعت قرب الغروب متوجهة إلى نابلي فمرت الباخرة سائرة والبحر ساكن
إلى أن خرج جناح الجون وإذا نفت الباخرة متوجهة إلى الشرق وأرخى الظلام سدوله
فنمنا في مضاجعنا إلى الصباح فاستيقظنا بكرة وحيث كان البحر في سكون كان يستطيع
الانسان أداء جميع ضرورياته والوضوء والصلاة على أكمل حال وبعد شروق الشمس
أول ما كشفنا قرب نابلي جزيرة اسكابري جبل مرتسم وهي تحتوي على قرى كثيرة
ولها منظر جميل من بعد لارتفاع مبانيها وتزويقها من خارج ثم ظهر بركان نابلي
وهو جبل مرتفع متصاعد من قمته دخان ثم وصلنا إلى مرسى نابلي والبلد في سفح الجبل
وهي أكبر مدن ايطاليا وكانت تخت الملك النابليتان وسكانها نحو أربعمائة ألف نسمة
وهي محيطة بجون في البحر على شكل هلال والمرسى في الوسط وهي مرسى صناعية
أكبر من مرسى كالاري عمران أيسعن في وقت واحد ولذا إليها أقل من الأولى فتعرض لنا
هنا رؤساء الباخرة أخذ المعارف في زورق لأنه بلغهم خبر قدومنا بسلك الاشارة من كالاري
فاصطحبنا جماعة رئاسة الكمرك وتظاهر المكاسون برحالنا فلم يجدوا به شيئا يؤدي
الكمرك سوى شيء من الشوق وماء الزهر فأخذوا ما عليهما من العوائد ثم ركبنا
بكروسة بين الكرارس الموجودة في خطاط الكمرك مهيئات لمن يريد الركوب
وهي كراريس بديعة أعلاها يركب راكب فقط من النوع لدى يفتح سقفه إلى خلف
ومثلها موجود في أغلب الجهات الكثيرة العمران من البلاد وتجرها الخيل وأما عجلات
حمل الأثقال فتجرها الخيل والبغال والبقر وهكذا في غيرها من البلدان غير أن البقر

لا تستعمل في الجر في أعالي البلاد وفرانسا ثم نزلنا بأحد منازل المسافرين بعد أن ردنا فيه
بيوتا على نحو ما يليق بنا وهو منزل كبير ذو خمس طبقات له شبابيك تفتح على نهر واسع
يسمى طريق الموسعة ولهذه الشبابيك على بحر واسعة بها فوارتان للماء العذب المجلوب
من الجبل والمزرع على البلد وعلى ديارها وسائر ما كنا وكان الكراء لاربعتنا في اليوم
للسكنى والأكل خمسة وعشرين فرنكا سواء أكلنا أم لا وما زاد على ذلك مما يطلبه
الإنسان يؤتى به إليه لكنه يحسب عليه ثمنه كالورق للكتابة والشمع وغيره بحيث
انه كلما يطلبه يجده ولهذا ينبغي للإنسان أن يساوم مدير المنزل قبل الإتيان بالشيء
المطلوب والإقامة يحمل عليه بأسعار باهظة وأما الأشياء الضرورية فهي داخلة في
أجرة السكن والأكل وهي أن يجد الإنسان فيه فراشا للنوم بغطائه ولوازمه وكراسي
مكسوة بالحرير مزخرفة وعليها أثر نوسادة وسائر الضروريات ومصباح وشمعة
ومائدة لوضع الكتب وآلات الكتابة ومناديل للتنشيف من الماء عند الغسل وهكذا
سائر الضروريات إلا الإبريق للمراحيض فينبغي حمله إلى جميع جهات أوربا إذ لا يوجد
عندهم ولا سواء تعودوا عليه وهو من العادات اللازمة للسيرة الإسلامية وللنظافة كما
أنهم في أوربا لا يغسلون أيديهم بعد الأكل أما قبله فمن آدابهم أن يغسل الإنسان يديه
ووجهه في بيته ويأتي بيت الطعام بثياب نظيفة عرفا من أراد غسل فمه وأصابعه بعد
الأكل فله أن يطلب من الخادم في بيت الطعام أن يأتيه بما يغسل به فيأتيه بطشت فيه
قدح من الزجاج أو الخزف وفيه كأس بماء حار قليلا لا يخلطونه بشيء من ورد وأنواع الطيب
فيتمضمض به ويجمع الماء في القدح ويدخل أصابعه في الكأس ويجمع ما يتعلق به ثم يتمسح
في منديل ثم إن بيت السكنى مفروش بالزربي وعلى أبوابه أرادي مزرفنة وهو في غاية
النظافة وله خادم لتنظيف البيت وتهيئة الفرش وعند الاستيقاظ يدعو الساكن الخادم
فيأتيه بالقهوة وما يتعلق عليه من الأكل صباحا ثم ينظف الخادم البيت ويغير المناديل
وأردية الفراش إن كان بها أدنى وسخ وعند الظهر أو قبله بساعة يضرب جرس للتهيء
للأكل ثم بعد خمسة عشر دقيقة يضرب الجرس مرة أخرى لحضور الساكنين من
بيوتهم إلى بيت الطعام وهو بيت متسع فيه مائدة كبيرة أو أربع يجلس عليها
الحاضرون فوق كراسي ويفرق عليهم الأكل سوية والأغلب أن يكون أربعة أنواع أو
خمسة من اللحوم والطيور والسمك ثم نوع من الجبن ثم فاكهة ثم ينصرفون ومن أراد
الأكل في بيته فله ذلك فربما يحسب عليه بزيادة في الثمن أو يعطى أقل من ألوان
المائدة

المائدة العامة وكذلك وقت العشاء وهو في الأغلب بعد الفطور بسبع ساعات ولما كان
المسافر يريد التفرج فالأولى أن لا يكتري المنزل إلا للسكنى وأما الأكل فيحصل له بسوم
خاص لكل أكلة إن حضر الأكل والا فلا يجب عليه شيء لكي لا يلزمه الحضور والأكل
في محل واحد أو أنه يخسر ثمن ما لا يأكل باعطاء ثمن الأكل في منزل السكنى ثم في المكان
الذي يأكل به وإذا خرج المسافر يقفل بنفسه ويعطي مفتاحه لصاحب الباب لكي
يكون رحله في أمن إذ يعتري السرقة في البيوت أحيانا بسبب ما في نابلي ولا يطالب صاحب
المنزل عما يسرق إلا إذا كانت الأشياء المسروقة حضر وربما وضعها في البيت كالصندوق
وأما المال والمصوغ وشبهه فلا ولذلك ينبغي أن لا شيء من ذلك أن يحمله معه أو يضعه
في أحد البنوك لأن وضعه عند صاحب المنزل محذور وإن أخذ منه حجة في ذلك إذ يحتمل
إفلاسه فتذهب الأمانة سدى ولذلك يكون الأوفق للأغراب يحملون معهم من المال
العين شيئا قليلا وبقية ماله بصرفه بتذاكر إذ كانت معتبرة كبنك فرانسا أو انكلترة
ويحملونها معهم أينما ذهب يحفظها ويسرع وحيثما أراد عين المال يصرف تذكرة من
تلك التذاكر عند أي صراف أراد بل ربما يربح فيها بخصوص تذاكر البنك
الفرانساوي والانكليزي يرغب فيها أزيد من المال العين ولذلك يؤخذ لها نصف
في المائة زيادة عن قيمتها بخلاف تذاكر بنوك ايطاليا أو غيره فإنها لا تصرف في غيرها
لكنها وفي ذات محلها تعطى الصرف أقل من قيمتها مثلا التذكرة المسمى بها مائة فرنك
من بنك ايطاليا إذا أردت أن تدفع المال وتأخذها فإنك تعطي مائة فرنك عينا وتأخذ
مائة وثلاثة عشر ورقا وهذه الأوراق هي التي بها الرواج في ايطاليا بحيث أنها هي المعنية
عند الإطلاق وفي ايطاليا بنوك لها تذاكر من ذلك النوع ومنها تذاكر بنك الدولة
فإنها تروج في جميع ايطاليا وأما تذاكر بنوك صغيرة أخر فلا تروج إلا في خصوص
البلدان التي فيها بنك مثلا تذاكر بنك نابلي لا تصرف في رومة أو غيرها من مدن
ايطاليا فضلا عن غيرها فينبغي لمن سافر أن ينتبه لهذا وقد أقمنا بنابلي ثمانية أيام
وتفرجنا على أغلب مهماتها وغرائبها وأشهر طرقها الحسنة البهيجة هو طريق توليدو وهو
متسع عامر بمبانٍ وعلى جانبيه القصور الشاهقة وبأسفلها الحوانيت للبضائع والتحف الأنيقة
ويقرب منه في المنظر طريق الموسطه وطريق الدومو ثم طريق جديد يسمى فوريدو
وهو أوسع من غيره وأنزه وعلى حافتيه الأشجار لكن القصور التي حوله لم يكمل انتظامها
إذ ذاك وهو في الجهة العليا من البلد وبها عدة بطحاآت أشهرها وأكبرها التي أمام قصر

الملك ويحيط بها قراوى ومحلات لا كل من المدائن المشهورة التى رأيتها فيها قصر الملك
الذى فى البلاد وهو قرب شاطئ البحر وأمامه من جهة البحر حصون وأسفله من تلك
الجهة مسكن للعسكر وعلى سطحه بستان متسع ذو أشجار ونوابع مياه تطل عليه شبابيك
القصر والقصر ذو أربعة طبقات والمعد منها لسكن الملك هى الطبقة الثانية وهو قصر
فخم متقن البناء والتحسين والتزويق يشتمل على كنيسة وعلى ما هو مخصوص
للعائلة الملكية ويشتمل أيضا على جميع الأثاث والأدوات المحتاج اليها فى السكنى من
فرش وأوانى طعام على أنواع شتى من الفضة بحيث انه منتظم كأن الملك ساكن فيه
والحال أنه لا يأتيه الا أحيانا فى بعض أوقات التنزه أو تفقد المملكة لأن مقر الحكومة
مدينة رومة لكن لما كانت نابلى سابقا قاعدة مملكة النابلطان وكانت ملوكها
مستبدين أشادوا أماكنها وأقاموا قصورهم وبقى المحافظة عليها على ما كانت عليه ولها
خدمة ومكلفون حتى ان الملك اذا قدم الى هناك لا يحتاج لجلب شئ معه سوى ملبوسه
ويكون له مقدار الولائم الحافلة هناك كأحسن ما تصنعه الملوك وهكذا فى كل بلد كانت
قاعدة ملك فى ايطاليا وبالصق هذا القصر الملوكى الكبير المسمى بسان كارلو وله منفذ
من القصر الملوكى وهو من أكبر ملاهى أوروبا وأعظمها ضخامة وتزويقا ويحمل من
المتفرجين نحو ألف وخمسمائة متفرج وهو ذو ست طبقات فمنها أربع طبقات كل
واحدة تشتمل على احدى وثلاثين بيتا ومنها طبقتان كل واحدة تشتمل على ثمانية
وعشرين بيتا وكل بيت يجلس به أربعة أنفس عدا بيت الملك الذى فى صدر
الطبقة الثانية مواجهة للملعب هذا عدا المحل العمومى فى الوسط الذى به مقاعد
عددها ستمائة وثلاثون مقعدا وهذا الملهى لم يفتح اذ ذاك منذ سنتين اقتصادا من
الحكومة لانه يلزمها فى كل ليلة تقصدان تعين على مصاريفه بألف وخمسمائة فرنك
لان دخل المتفرجين لا يكفى مصاريفه ومما شاهدته أيضا قصر الملك الذى خارج
البلد فى رأس الجبل ويسمى كابودى منتى وهو قصر أصغر من السابق يحيط به بستان
أنيق ولم يكن بالقصر فرش سوى بعض بيوته بها فرش عتيقة لأحد الملوك الأقدمين
موضوعة هناك للتفرج عليها وبقية البيوت بها آثار قديمة من السلاح وأدواته
حتى كان منها بيت مملوء بصور أجساد آدميين متدرعين بأنواع شتى من الدروع على حسب
اختلاف الزمان ومنها صور فرسان عليهم مدرعين ومنها صور بعض ملوكهم
والدروع كانت حقيقية مستعملة حقيقة فى الحروب وبعضها به آثار الضرب والطعن

حتى

حتى بالرصاص من المكاحل وبقية بيوت القصر خاوية والجميع بناؤه أنيق متين
وشاهدت أيضا أكبر كنائسها وهي كنيسة صان جبارو وهي ضخمة ذات أعمدة من
المرمر ومن غريب ما فيها صورة صنم من رخام أبيض عليه ثوب كأنه صفيق بحيث
يبدو ما تحته والحال أنه نحت من ذلك الرخام وشاهدت أيضا أكبر مارستان لهم وهو
ذو بيوت كبيرة كل واحدة بها نحو المائة فراش كل منها بعيد عن الآخر قدر فراشين
وكل فراش لمريض واحد عرضه نحو المتر وطوله نحو المترين وربع وهو على سرير من
خشب يحتوي على فراش وعليه إزار ووسادة وغطاء من القطن والمريض لابس القميص
وعلى رأسه قلنسوة من نوع القميص والكل من منسوج الكتان الأبيض وكل بيت
يحتوي على نوع واحد من نوع المرض أو متقارب النوع ولكل بيت خدمة بالأجرة
يوفون للمرضى جميع لوازمهم وإعطاء الدواء في أوقاته حسب إشارة الطبيب وزيادة على
ذلك كثيرا ما أتى نسوة من الأعيان وغيرهم لخدمة المرضى والرأفة بهم حنانا منهم ورغبة
في عمل الخير وللمارستان عدة أطباء منهم من هو ذو وظيفة وله أجر عاما ومنهم من
يداوي مجانا إما رغبة في العمل أو لإتمام تعلمه من الطب حتى يأخذ الشهادة ممن له الإجازة
على قوانين لهم في ذلك وللمارستان أيضا بيت أدوية ومواعين للجراحة والدواء وفيه
قيم للرجال وآخر للنساء المرضى وهكذا كل مارستان غير أن بعضها يداوي مجانا
وبعضها بالأجرة أماكن لمن يريد التطبب من ذوي اليسار ويعطي مقدارا معينا يوميا
والمستشفى يقوم بجميع ما يلزمه ويختارون التداوي في المستشفيات لأنها أتقن من
مساكنهم سيما في الخدمة على ما يتعلق بالدواء وأداء الخدمة حقها مع مباشرة مشاهير
الأطباء الذين يلزم لإتيانهم لمساكن المرضى مصاريف وافرة ومحلات هؤلاء المستأجرين
في المستشفيات أنق وألطف وأحمى من المحلات العامة ويمكن لكل مريض أن يبقى في
بيت خاص به صغير موافق في الهواء بحيث إن جميع حركات المستشفيات وأوضاعها على
مقتضى الحكمة الطبية ثم إن مصاريف المستشفيات على أنواع فمنها ما تقوم به الدولة ومنها
ما يقوم به مجلس البلدي ومنها ما يقوم به جماعات من الأهالي وهذا في كل جهات أوروبا
سواء وبقية الصدقة ممن يريدها ولو من السواح وشاهدت فيها أيضا الدار التي بها
الآثار العتيقة ومنها الأشياء التي استخرجت من بلدة بومباي التي يأتي ذكرها وهاته
الآثار لو أراد الكاتب استيفاء ما يلزم لها لعجز عن الحصر إذ هي مشتملة على أنواع وأشكال
شتى من أقطار مختلفة فمنها ما جلب من مصر الرومي وهي ذات إنسان ميت مصبرة على

ما كانت عليه منذ عدة آلاف من السنين لم يتغير منها شيء سوى ان اللون اسود وجوفه
منقوب لاخراج جميع احشائه وبقية حاله على ما كان عليه وفي هاته الدار نحو اربعة
أجسام من ذلك النوع منها النساء ومنها الرجال وذواتهم لا تختلف عن ذوات البشر
الموجود الآن لكن ليس فيهم ذو جسامة واصل ذلك بسبب ان الميت المصري غالبا يكون
عزيز قومه ومثل هؤلاء لا يموتون غالبا الا بالامراض والامراض تضعف الاجسام فلذلك
كانت أجسام المومياآت ضعافا والادهان لتصبير تحفظ الجسم على ما هو عليه ثم ان ذلك
النوع من التصبير قد جهل ومع كثرة البحث عنه من حكماء الاعصار المتأخرة لم يطلع عليه
فهو من العلوم التي فاز بها المتقدمون ودثرت ومن غرائب ما في هاته الدار ايضا قطع من
ثياب منسوج من مادة حجرية وهذا المعدن يسمى امياتنو وهو الآن معروف وموجود
لكن كيفية تقديده حتى يصير مغزولا وينسج منه مجهولة الآن وقد كان في الاعصر
السالفة معلوما ومن فوائد تلك الثياب انها لا تحترق اذا وضعت وسط لهب النار وهي
ثياب لينة تطوى كثياب القطن ومن غرائب ايضا ما وجد من آثار بومباي وهي اشياء
كثيرة من المأكولات وغيرها فرأيت منها التمر والقمح والزيتون وغير ذلك مما مضى عليه
الف سنة او اربعة لم يتغير منه شيء سوى اسوداد في اللون وقالوا ان طعمه ايضا لم يتغير
وسمعت انهم زرعوا حبوبا مما وجدوه كالقمح فنبت وأثمر مثل الجديد مما يدل على أن
النوع واحد لم يتغير حاله مع طول الزمن وكل هاته الحبوب موضوعة على ترتيب حسن
الى غير ذلك من الآثار القديمة الموضوعة المنضمة في أماكن مصونة نفيسة وعليها
قيود وتخت بومبايا من يريد التفرج اجرة زهيدة وتسمى هاته لدى زوار نابولي ومما
شاهدته في نابلي دار الفنون المسماه ابيه ريستادي بولي وهي يعلم بها فنون الطب
والاحكام والسياسة والتجارة والكيمياء والصيدلة والبناء والفلك والجبر والمقابلة
والهندسة والابعاد وجر الاثقال ولكل فن قسم ومدرسون وبها محل لاجسام
الحيوانات فيه أغلب ما يعرف منها من الانسان الى الذباب من الحشرات حتى الحيوانات
البحرية لكنها كلها ميتة مجعولة بدوا أي منزوعة اللحم وعيرها مع التحفظ على هيئة المداد
وبعض ابعادها وادخليته ويرسم على هيئة أصل الحيوان حيا ويجعل عيناه من زجاج
فيراه الناظر كأنه حي وفيها من تلك الانواع ما لا يكاد يحصى ويوجد كتاب مطبوع
في البلد مشتمل على تلك الحيوانات مع تراجمها وأغرب ما رأيته من حيواناتها ولم أره
في غيرها عصفور في حجم النحلة لونه ازرق ريش وذنبه ذو ريشتين فقط طويلتين كل منهما

في

في طول ما يقرب من الشبر لها ألوان جميلة وكذلك رأيت فيه أنثى البحر أعظم حجما من
الفيل لكنه أقصر منه لأن جملة هيئته تقرب من هيئة السلحفاة ورأسه أضخم من
رأس الفيل وعيناه واسعتان جدا وفمه مفتوح وجلده منكمش ويحصل منه منظر بشع
منفر ويوجد في هذا المحل جسم الانسان على جميع أطواره منذ يتكون مضغة الى أن
يصير شيخا فانيا ثم يوجد تشريح أعضائه منفردة سواء كانت ظاهرية أو باطنية ذكورية
أو أنوثية وجملة جسمه من المجاميع الأصلية كل منها منفرد عن الآخر فتجد جسما ليس
فيه الا العظم فقط على هيئة خلقته ثم آخر به العظم والعروق فقط وهكذا غير أن بعض
هاته الأجسام هو حقيقي وبعضها صوري من الشمع لكنه متقن التصوير واللون حتى
كأنه هو الأصل لأن الجسم بدون جلد لم يمكن لهم تصبيره في الهواء وكذلك توجد أجسام
المولودين على خلاف المعتاد كمن يكون وجهه في بطنه وآخر ذو ثلاثة رؤوس الى غير ذلك
وكلها مصبرة في زجاجات كبيرة مملوءة بماء روحي لكي تبقى الجسم من العفن وفي هذا
المحل يتعلم فن التشريح الذي هو جزء من الطب وفي هذا المحل أيضا خزانة كتب عظيمة
بها مائة وثلاثون ألف مجلد كلها طبع الافرنج بخط اليد وبها كتب عربية
كثيرة ومما رأيته فيها مصحف كريم مطبوع بالطبع الحجري ثم كتاب يسمى الكمال
المعزى للراهب الموس رودر بكوس موضوعه مذاهب ديانتهم وهو في مجلدين
ضخمين ثم مجلد آخر يشتمل على توراتهم وانجيلهم مكتوب بلغات ستة
وبخطوطها واللغات هي العربية والعبرانية واليونانية واللاتينية وجاربانو والسريانية
بنوعيها ويوجد بهاته الخزانة الكتبية كورتان محيط دائرة كل منهما نحو ثلاثة متر
أحدهما صورة الفلك والأخرى صورة الأرض مرسوم بها سائر الجهات متقنة مكتوب
عليها بالخط العربي انشئ الجميل قبل نحو مائة من صانع علماء الأندلس وبقرب نابلي
على مسير نحو عشرين دقيقة في الرتل مدينة بمباي هاته البلدة كانت منذ الفي سنة مصرا
متمصرة وكان أهلها مولعون بالانكباب على الشهوات وقساوة القلب حتى ان من
ألعابهم في الملاهي والمراسح أن يخرجوا الحيوانات المفترسة ويلقون لها بالناس الذين
يريدون عذابهم فتقصدهم الحيوانات وتمزق أجسامهم شر تمزيق والمتفرجون محدقون
في البيوت المرتفعة المحصنة من وصول تلك الحيوانات اليهم وهم يضحكون فرحين ولم
يكن ذلك مقصورا على رجالهم بل حتى النساء اللاتي هن أرق طباعا كن يتهورن
ويتباسطن من مثل تلك المناظر وتمادى تمرد أهل تلك البلاد على جورهم وقهرهم فأرسل

الله عليهم هيجان جبل الغيز وفيو الذى هو بركان وهو بقربهم على نحو ثلاثة أميال
فزلزلت بهم الارض وهم على حين غفلة زلزالا شديدا وهرعوا للفرار الى الفضاء خارج
البلدة فأدركهم سيل العرم من النار التى قذفها الجبل فاحرق الافق بعد ان أظلم واحلولك
وعاق عليهم طائف من بحر النار واهلكها وكل من فيها فى بضع دقائق وتراكمت عليها
المادة السيالة النارية حتى صار كأن لم تكن للوجود وصار سطحها جبلا وامتد الى العصور سبحان
الملك القهار وتمادى عليها ذلك بحال وتنوسى أمرها لان الواقعة وقعت عليها قبل
التاريخ المسيحى بقليل وصار سطح أرضها بطول الزمان صالحا للزرع والنبات ففى عشرة
الثمانين والسبعمائة والالف هجرية كان أحد الزراعين هنالك يحرث فنشب محراثه فى
عروة احدى الاوانى التى كانت فى البلاد وجذبها فتراءى له ما ظنه كنزا وتبين انه كنز
رفيع وهو البلدة الغابرة فعينت دولة ايطاليا مقدارا من المال سنويا وكلفت مهندسين
بالكشف عن تلك البلاد مع التحفظ على هيئة بنائها وجميع ما يوجد بها ولا زال العمل
مستمرا الى الآن وانما كان السير بطيئا فى العمل لان المادة النارية تحجرت وصارت
صلبة مع الاحتراس من افساد الموجود وتصير الطرق أولا بين ما كان من البناء وبين
ما التصق به من تلك المادة فأخرجوا من البلاد كل ما وجد بها اذ ما كشف عليه وجد
كأنه على حالة أصله فأرباب الصناعات والحلات على الهيئة التى أدركهم عليها الغرق
والحرق والردم معا وكل الاجسام التى وجدت بقيت على حالها عند مس الهواء لها سوى
الاجسام الحيوانية فانها عند مس الهواء لها تضمحل فعمل لها العاملون حيلة لابقاء صور
الاجسام بان جعلوا كلما انعثروا على آلة الحفر بجسم حيوانى أتوا بالجبس وذوبوه فى الماء
ورفعوا ذلك آلة الحفر عن المحل الذى لمسته وابقوا الهواء ساد الجرم بحيث يكون من ثقب
آلة الحفر فيتفشى الجسم فى الهواء ويبقى محله فى المادة النارية خاويا فيصب فيه الجبس
وعند جفافه وانعقاده تكسر المادة النارية عنه وتخرج صورة الجسم على ما كان عليه
ورأيت فى بعضها بقية من فقرات الظهر وعظام الاصابع لم تبل ومما يدل على حرارة اولئك
الاقوام فى ذلك العصر وتجبرهم ان وجدت بعض جثثهم على حالة الوقاع حتى كان منها
جنازة رجل وامرأة متداخلى الارجل لكن الرجل لما أدركه الموت انزعج على قفاه وهو
ناعظ وبقيت المرأة على حالتها منكبة على وجهها ومقعية على ركبتيها فانظر الى ذلك
الفجور مع سابقية الزلزال ولم يؤثر فى شهوتهم حتى أدركهم الهلاك على شهوتهم واما ابنية
تلك البلدة فالظاهر ان أغلبها انهدم بالزلزال وما بقى منها قائما فمنه المتصدع والمنشق

ومنها

ومنها القائم على أصله وهيئة بنائهم يجعلون الحائط ضيقا نحو ذراع فما دون والسقوف
من بناء على هيئة قباب نحو نصف كورة أو أقل تكورا ويضعون تقابل الابواب فاذا
دخلت بابا الى دار من الطريق تجد سقيفة ثم بعدها بابا الى وسط الدار وفيه اربعة أبواب
الى كل بيت واحدى البيوت وراءها حنفية وبركة ماء واسرة النوم من بناء كالدكاكين
وجهة الوسادة بناء مرتفع يبرز على سطح السرير ولا تختلف دور الاغنياء عن غيرهم الا
بالكبر والصغر ولكل بيت طوق الى وسط الدار وكل الطواق والابواب متقابلة
والحمام الذي رأيته في البلاد هو على نحو الحمامات المعروفة الآن في البلاد الاسلامية
وفيه تصاوير على الجدران بالالوان مثل الحمامات بتونس والمغرب ورأيت محل الحكومة
وتحته السجن وعند مجلس الحاكم عند رأسه طاقة ينظر منها على المحبوسين أسفله
والسجن مظلم لا يدخله هواء ولا ضوء الا من تلك الطاقة ورأيت الملهى فاذا هو على نحو
الملاهي الاوروباوية غير ان مرسح اللعب هو وسط الدائرة وهو اسفل مكان المتفرجين
والطرق كلها مبلطة بالحجارة الصلبة المصونة ومقسمة على ثلاثة انحاء فوسط الطريق
منخفض عن جانبيه لمرور العجلات ومفروض لها على جانبيه سكة لمرور ذات العجل فيها
وعن اليمين والشمال محل مرور الماشي وجميع عرض الطريق نحو ثلاثة امتار وفي محل
مرور العجلات قسم وسط الطريق بحجارة حدودها مرتفعة على سطح الطريق بحيث تراها
ناتئة على طول الطريق وجميع الطرق ضيقة لا تحتاج الى تلاقي على رد بإجادة
غير ان كل طريق لما كانت لا تخرج عن حد وضعه مما هو مفروض للعجلات فيلزم
بالضرورة ان تكون كل طريق لا تسير فيها الا العجلة في جهة واحدة كي لا تتلاقى
وفي محل الادارة لكشف تلك البلاد محل توضع الاشياء المستخرجة ثم تنقل من هناك الى
نابلي وتوضع في محل الآثار القديمة كما مر والمادة المارية المتصلبة يصنع منها تحف كثيرة
في نابلي وتباع بسوق مخصوص وجميع الاماكن المعدة للتفرج اما أن يدخلها الانسان
بأجرة قليلة أو تكون له تذكرة الدخول من الدولة والحصول عليها سهل بواسطة احد
الاعيان أو نواب الدول وقد أعطاني تذاكر الدخول قنصل الترك وقد اجتمعت في نابلي
بأكبر حكمائها وهما توماسي وكنتاني وكان الثاني من تلامذة الاول وهو اكبر سنه حيث
انه بلغ نحو الثمانين ولحيته عليه وكانت اجرة كل منهما في كل زيارة عشرون فرنكا
وبقيت في نابلي ثمانية أيام وكان المسافر بها يقدر ان يقيم كل يوم متوسط المعيشة
بأربعة فرنكات يوميا للاكل ويقدر ان يأكل في المحلات السافلة بنصف فرنك ما يأكله

في العجلات العالية بعشرة فرنك في الآكة الواحدة وقد دعاني هناك أحد أعيان البلدة
السامرة في داره حيث كان حبيه الى مصاحبتنا من أهل البلد فرأيت كيفية سامرتهم
ورقصهم وفي آخر يوم من اقامتي بها أعلمت بان الابرة المسماة بالبوصلة قد ضطربت
علامته على الزوال ثم ركبنا الرتل بقصد بلد رومة وكان ذلك صباحا ولما وصلنا الى قرية
كزرتا التي هي قرب نابلي مسير نحو ساعتين في رتل نزلنا هناك وتغدينا في احدى منازل
المسافرين وأما صاحبي فلحوائجه فانه ذهب مع ذلك الرتل الى رومة وينتظر في
الكمرك في محطة الرتل الى ان نقدم اليه. ثم ذهبنا الى قصر الملك في بستانه المسمى
بقصر كازرتا فما رأيت أعظم وأتقن قصر رأيته من جهة التأنق في مواد بنائه المتخذة
من الاشياء الحالية كالمرمر والرخام والحجارة الضخمة المصرية ومن كان غيره أشد اتقانا
من جهة صناعات النقش والذهب والتزويق وهو مربع الشكل كل جهة منه في
طول مائتين ميترو وأمام الباب جملة عظيمة على جانبيها اماكن العساكر واذا دخلت
من الباب تجد القصر منقسما الى اربعة اقسام وكل قسم في زاوية يشتمل على طبقات
وله مطالع الى القصر والمطلع الكبير اعد للوقت الرسمي يشتمل على مائة واحدى عشرة
درجة من المرمر المورد اللون كل واحدة في قطعة واحدة لا فصل لا منها في قطعتين طول
كل درجة ثلاثون قدما وعرضها قدمان وارتفاعها ستة أصابع وهذه الدرج منفردة
فاذا انتهت الى نصفها رجعت الى شعبتين وتنتهيان الى ايوان عظيم مرفوع
سقفه على ستة عشرة سارية من المرمر المزركش في قطعة واحدة ارتفاع الواحدة نحو
عشرة أذرع ومحيطها لا يستطيع الانسان الكامل الاحاطة به بذراعيه ومنه يدخل الى
البيوت الضخام المشتملة أنواع السقوف وكسوة الحيطان والارض بانواع من المرمر أو
الطلي أو الموزايكو أي القطع الصغيرة من المرمر كل قطعة نحو الانملة من لون مرصعة على
أشكال بديعة أو من المنسوجات الصوفية أو الحريرية من المصانع الشهيرة في العالم
ويحتوي القصر على كنيسة وهو ذو ثلاث طبقات وقد تم منه بالبناء والادوات داخلا
وخارجا ثلثه والثلثان لم يتم منهما الا بناء الحيطان والسقوف وبقيا ناقصي الادوات
وليس في القصر شيء من الفرش ويحيط به بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها وفي
منتهاه جبل تنحدر منه عين ماء عظيمة محمولة على عروش لاجل الاصدار ما شهادوي واذا
قابله الداخل من باب البستان جهة القصر تراه من بعد كأنه منارة متصاعدة في الجو من
الزجاج الابيض ثم ينشأ من ذلك الماء نهر وبحيرات بها كثير من الطيور المائية وأنواع
السمك

السهل ويحتوى البستان على مماشى وغياض متفننة ذات أنوار وأزهار كما يحتوى على
آجام وغابات وحيوانات للصيد ثم ركبنا قرب الغروب من هناك الرتل وسرنا نحو احدى
عشرة ساعة وليس هناك من العمران مثل ما في مصر بل أكثر الاراضى معطلة والجبال
لا منظر جميل بها ولا عمار توجد القرى وما حولها معمورا نسبيا وكانت القرى تبعد عن
بعضها في أكثر الاحوال نحو نصف ساعة في الرتل فوصلنا بلدة رومة التى هى تحت
المملكة بعد نصف الليل وفتشوا في الكمرك رحلنا أيضا مع انا قادمون من احدى بلادهم
وذلك لان لكل بلد رسما على ما يدخل اليها من المصالح الخاصة زيادة على ما تأخذه الدولة
من الكمرك العمومى ونزلنا في احدى منازل المسافرين وأخذنا اليه صناديقنا التى
وجدناها في الكمرك غير انا وجدنا احد منها برأس ووقع الخلاف بين مستخدمى
المحطات وبين فرقة خماة رومة يسمون جماعة نابلى وهم يسمون الآخرين والحاصل
ان الرأس ضاع وسببه هو خروج طرف منه من غطاء الصندوق فأمكن للسارق جذبه
ثم اقمنا برومة ستة أيام واجتمعت بأشهر أطبائها وهو الحكيم باتلى الذى هو احد
اعضاء مجلس النواب وجمال سمعته ساعدته الآن ادعاها لمدة وجيزة مكانا صغيرا لانتخابه
ألف نسمة ولهم حصانة على أهالى نابلى وطرقها كلها مبلطة نظيفة أما الطرق
الخارجة عن البلد فهى وان كانت صناعية غير انها من الطين كثيرة وان لم يعطل
العجلات وأحسن ما يقصد بالتفرج عليه في رومة هو كنيستها الكبرى المسماة بسان باولو
التى هى أشهر ما في العالم فارتفاع قبتها وعظمة بنائها وهى مستطيلة الشكل
ذات قباب كثيرة وسقفها هى أعلاها وحيطانها مكسوة بقطع من المرمر مختلفة الخلقة
ومنه المصبوغ كل قطعة في طول نحو عشرة أذرع وعرض نحو خمسة أذرع وبعض الحيطان
مكسو بقطع من البلور يكون منه التصوير والقباب كلها مكسوة كذلك أيضا والقباب
مرفوعة على اسطوانات من المرمر الخالص وبعضها اصطناعى وليست مستوية السمك
وبعضها في قطعتين أو ثلاثة ومحيط كل واحدة من الحلقة أربعة عشر شبرا وقواعد
القباب مبنية بناء محكما جدا وحيث ان هذه الكنيسة قد أفردت بتأليف خاص من
احد حذاقهم لما اشتملت عليه من اتقان البناء وضخامته وبالصقها قصر البابا
ويسمى الفاتيكان وهو أكبر القصور الملكية يحتوى على اثنى عشر الف بيت وبه
خزانة كتب رفيعة هى احسن خزائن ايطاليا وبها كتب كثيرة بالعربية منها العتيق ومنها
نسخة من الانجيل باللغة الحميرية العربية مكتوبة قبل البعثة بنحو مائتين سنة وفيها

نص الآية القرآنية حكاية لقول عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى ومبشرا برسول
يأتي من بعدي اسمه أحمد وقد اطلع على تلك النسخة أحد الأكابر بين شهد القصر
ورويت ذلك عن ثقة روى عنه وذلك القصر فيه من غرائب المصنوعات والذخائر الثمينة
شئ كثير حيث كانت تجبى إلى البابا جميع النصارى الكاثوليك وملوكهم من ممالكهم
تقربا إليه لما كان له روحاني زيادة عن الملك الجسماني الذي كان له في مملكة رومة وقد
زال ذلك باتحاد إيطاليا وآخر بابا كان جامعا بين الملكين هو بيو التاسع وهو الموجود
حين مررنا على رومة لكنه منتزع منه الملك الجسماني وبقي متمكنا في قصره وله التصرف
في الديانة فقط على سائر الكاثوليك في جميع الممالك وأبقت له دولة إيطاليا جميع
ما في قصره وما في الكنيسة من الذخائر وسنوات على كل ما عدا ذلك وبعد أن مررنا في
الكنيسة الكبرى سألناه هل يمكن التفرج في قصر البابا فأجبنا بأن ذلك اليوم لا يتيسر
بل نعود بعد أيام وكان ذلك بعد استقدام البابا ومن غد اجتمعنا بالمطران درهم في الذي
هو من نصارى الشام وله دير في أعالي رومة ومعه كثير من نصارى الشام المتقسسين
وهو ذو أخلاق لطيفة فصيح بالعربية وكذلك من حوله وسبب الاجتماع به أنه ساكن
حذو كنيسة متقنة الشكل ولما عاينا قصدنا التفرج عليها فحصلت المعرفة معه من
هناك وكان عاد ذكر لنا أن البابا يريد الاجتماع بنا عند الدخول إلى قصره وأنه كلفه
بالحضور ليكون ترجمانا منه فاعتذرنا إليه بأن نعلم عذرنا ولا يتيسر الآن أحد بذلك فلم
ندخل القصر ولا اجتمعنا بصاحبه إذ لا ملجئ إلى تعظيمه مع أن الداخل عليه يلزمه
تعظيمه كتعظيم الملوك بل ملوكهم يؤدون إليه مزيد التعظيم كأنه هو ملكهم ولا
داعي لذلك لأمر ديني ودياناتنا الإسلامية تمنع التعظيم لدى يكون مستدعا عن ذلك
واعلم أنه منذ سنوات دولة إيطاليا ردوا على جميع ممالكها إباحة الحرية حتى في
الديانات فالداخل للكنائس لا يلزمه تعظيم شعائرها كما كان من قبل بل لا يعمل
شيئا يخالف دياناته وكذلك يتفرج في كثير من القصور كما أنه ليس له أن يعمل شيئا من
الإهانات وحيث أن المسلم يدخل إليهم بأمان فليس له التعرض لدياناتهم كما أنه ليس له
خيانتهم ثم أن أمام كل من قصر البابا والكنيسة الكبرى بطحاء عظيمة وسيعة جدا وبها
عدة فوارات وأشجار ونحو ذلك وهكذا كل البلاد تشتغل بالفوارات ليلا ونهارا لكثرة
نهر يجعل الفوارات وإذا طمى ربما أضر بالمارين وهو آت من جهة الشمال
ذاهب جهة الجنوب وخارج المدينة الآن الكنيسة القديمة وهي الآن خراب ولا

يوجد

وجدمنها أساسها والطلال من حدرانها وقد غطت الارض عليها كثيرا فكشف عنها
وبقيت عبرة للناظرين وهي أوسع من الكنيسة الموجودة الآن الكبرى كما وجد
بقربها ماهو قديم مثلها في الحرارة على نحو ما سبق في صفة ملهى بومباي وقيل انه دار
الندوة اذ ذاك وهو كبير جدا وفي رومة أيضا منزه عمومي في الجبل درعباشي وحدائق
وفورات في أعلى الجبل وهو نزه أما غير ما ذكر فليس في رومة معامل أو اماكن تقصد
للتفرج سوى ما هو خارج عما من آثار بناآت الرومان في القديم وفيها ملاهي كثيرة متقنة
اللعب لشهرة الطليانيين بذلك على غيرهم ودور الاهالي غالبا ليست متقنة النظافة
واسعارها في السكنى والأكل وغيرهما غالية بالنسبة لبقية ايطاليا وهواء رومة وخم
بسبب أن المرج التي قربها ركد فيها الماء لانخفاضها عما حولها بينها وبين البحر وكان
الكنائس بها كثيرة ولكل جرس فاذا دق جرس الكنيسة الكبرى دقت الاجراس
من جميع الجهات وصار لها دوي يقلق الساكن ويقرب من ذلك ما في أيضا ثم انا
قدمنا الى مجلس النواب لدى كان اذ ذاك منوما هو ويشتمل على خمسمائة عضو
فاذا هم أناس يتدبرون في أمرهم ويتشاورون فيه بغاية الاطلاق وصادف اتفاق حضورنا
البحث في نازلة غالبة وهي أن وزير المال عرض على المجلس أن دخل الدولة غير واف
بمصاريفها والتعديل لذلك تلزم الزيادة في الدخل وقدرات الدولة ان الانسب في الزيادة
هو زيادة الضريبة على الملح فوقع نزاع في أصل الزيادة وكان أشد المضادين نواب
جزيرة سيسيليا الى أن قال أحدهم انك أيها الوزير لا تفكر الا في الزيادة في الدخل
بوضع الضرائب على السكان الذين أفقرتهم الى أن تأخذ أنت المرتبات الوافرة من دمائنا
وكذا نادا لمتقل بصرفك الاموال في ش . . . وانك وعصابتك فمرد رئيس المجلس وألزمه
الادب في الكلام ... دالى كلامه وقال ثم يأخذون حصة ويعملوننا ما لا نطيق في
أغراضهم وشهواتهم فاسكته الرئيس وأطال عليه اللوم والتنكير بعبارات شديدة حتى
وصفه بالوحشية وأنه يضطر الى اسكاته أو اخراجه من المجلس ان لم يلتزم آداب البحث فضج
حزب المتعرض وقالوا ليس لكم منعنا من الدفاع عن حقوقنا وما أتينا الى هنا الا لحفظ
حقوق الامة من التلاعب بها فاجابهم الرئيس بأن الحقوق يتوصل اليها مع سلوك الادب
فانقادوا اليه وعال النزاع في النازلة وأبقيت للمعارضة يوما آخر وكان كاتبو الصحف
جالسين يحصون جميع ما يقال وما يقع حتى كتبوا في حضورنا الا انا كنا بلباسنا
التونسي وذلك أوجب التفات الانظار الينا في أي مكان قصدناه حتى ان بعض البلدان

التي ليس لاهاليها مذهب ثم كان يزدحم علينا في الطريق العوام الى أن يوقفونا
بازدحامهم واكثر ذلك في أهالي نابلي الى أن التزمت فيها أن لا اخرج في الطريق
الا راكبا في عجلة وذلك لعدم تعودهم على رؤية مثل لباسنا وصفة هيئة مجلس النواب
هو بيت كبير جدا يميل الى الطول أكثر من التربيع وسقفه قبة مرتفعة شاهقة مزوق في
جدرانه وسقفه وأرضه وفي وسط صدره عرضا سدة ارتفاعها نحو ثلاثة أذرع عن الارض
وفوقها كرسي وامامه مائدة ويصعد الى ذلك الارتفاع بدرج يمينا وشمالا وهذا محل جلوس
الرئيس وحوله كتبة وكراسيهم وموائدهم على الارض بقربهم في سد البيت كراسي
الوزراء وفي وسط البيت كراسي أربعة كتاب مخصوصين بمعرفة كتابة سريعة يتناوبون
اثنين بعد اثنين في كتابة كل ما يتكلم به متكلم في المجلس ويقرب الرئيس منبر مرتفع قليلا
يصعده خطباؤهم على التناوب بعد الاذن لهم من الرئيس يتكلمون في مصالحهم ثم
كراسي منصوبة صفوفا صفا وراء صف على نحو دائرة مستطيلة ينتهي طرفاها حول
الرئيس فالصف الاول كراسيه على الارض والصف الذي وراءه كراسيه على سدة من
خشب أعلى من الذي امامه مدرجة من خشب ثم الذي وراءه أعلى منه وهكذا الى نهاية
العلو وللدرج التي يصعد منها الى الكراسي مقسمة تلك الدائرة وكل قسم من
الكراسي امامه مائدة مستطيلة وفيها لكل كرسي محبرة وأقلام لما يحتاجه صاحب
الكرسي وكل كرسي عليه عدد مخصوص مرسوم عليه بلون مخالف للون الكرسي وفي
أعلى البيت محيطة به من جهاته الا الجهة التي امام الرئيس رواقات يجلس بها المتفرجون
ولصاحب الملك بيت وراء محل الرئيس بازائه اذا زار كان له كرسي في المجلس وامام بيته
المجلس فسيأتي الكلام عليه ثم رحلنا من رومة وقصدنا نابلي وركبنا الرتل فاذا
بقرب رومة آجاما كثيرة فيها المياه وفيها من الفرس كثير ومسرح هنالك للاهالي
بدون حراس مخصوصين لكل أحد بل على المكان قيمون يؤتى اليهم بالفرس يستودع
هنالك الى وقت احتياج أصحابه ومنه ما لا مالك له وتستمر هنالك وتبيع منه الدولة
لمن أراد الشراء ومررنا في سيرنا على مرسى يسمى تابكينا التي هي أقرب مرسى طليانية الى
رومة قاعدة المملكة وفي آمالهم مد سيم اي بحفر خليجا من تلك الجهات من البحر
ليصل الى حدود المدرومة لان الارض هنالك منخفضة وبه يصلح الهواء من تعفن
المروج التي يركد فيها الماء واستمر الرتل سائرا بقرب الشاطئ الى ان وصلنا الى ليفورنو
في الساعة الثالثة قبل نصف الليل بعد سير احدى عشرة ساعة وقد توقف الرتل في

المسير

المعبر عندما وصلنا الى جسر على أحد الانهر حيث ان فيضان النهر هدم الجسر فنزلنا من الرتل وعبرنا النهر مشاة على أخشاب ضيقة والحال أن النهر عريض والوقت ليل والمطر نازل ثم ركبنا رتلا آخر مهيأ في الناحية الاخرى من النهر الى أن وصلنا الى ليورنو فاذا هي بلدة واسعة الطرق نظيفتها متقنة التخطيط والتبليط بحجارة منحوتة مستوية وبها قليل من البطحاآت الواسعة أشهرها ما تسمى بساحة دي كافور وكافور هذا وزير ايطاليا الذي جد في وحدتها الاخيرة فرسم تمثاله بتلك البطحاء وسميت به وكذلك البطحاء الكبيرة ويخترقها خندق به ماء البحر وعليه جسور وهذا الخندق كاد ان يكون مخترقا لجميع جهات البلد وذلك لفائدتين الاولى هي ان البلد أرضها سبخة ندية فذلك الخندق تنجذب اليه المياه مما حوله ويحصل جفاف الارض وما أخرج من ترابه الكثير علت به أرض البلد والثاني أن البلد كانت من أهم مراسي التجارة لاعفائها من الاداء رغبة في عمرانها فكثرت بها السلع وتحمل في القوارب وتسير في تلك الخنادق من السفن الى المخازن اذ ماء البحر بالخندق عميق وجدارها على الشاطئ منتزه يحوي محلا عموميا به حدائق الاشجار والانوار ومماشي من البناء أو الخشب على البحر وفيها أوي وملاهي تقصدها الناس زمن الصيف من أهالي البلد وغيرهم والطريق للمارة وسيع جدا وهي على حده قصور شاهقة ذات منظر جميل امامها الطريق ودونه الحدائق ومن ورائها القهوى والملاعب والمطاعم ومن ورائها البحر وهي في الصيف ليلا ونهارا منتزه بهيج ويسمى ذلك المكان البسجاتا وبرنس ماري وفي البلد ربط للماء مسقوفة بقباب ضخم شديدة الطول حتى يرى الرائي في قعر الماء مع عمقه كتابة على الحجر بينة والماء في غاية الصفاء مع اتساع الخزنة وعمل استقرار الماء منقسم على عدة أقسام فيدخل الماء المجلوب من عين غزيرة الى أحد الاقسام الى أن يمتلئ ثم يخرج منه من أسفل الى قسم آخر ثم منه من أعلى الى قسم آخر وهكذا بحيث ان كل قسم يكون مملوا ولا يخرج منه الا بقدر ما دخل فيه لصعوبة الماء وثقله حتى لا يخرج الى عموم البلد الا بعد تمام ترويقه وهاته البلدة موقعها على البحر وهو غربيها وهي من المراسي الشهيرة للتجارة والحرب وقد بني بها مينا عظيما للسفن ذات حوضين قيل أنفق عليها مائة وعشرون مليونا من فرنكات وبها مرفى للسفن ولا تشبهها ولما وصلنا الى البلد وجدنا الوزير حسين الذي قصدنا البلاد لاجله غائبا في فرنسا فقصدنا منزله وسكناه حيث كان تاما هناك ثم ودعت صديقي الشيخ سالم أبو حاجب حيث كانت مأموريته هناك وركبت بكرى ليلة وصولنا

قاصدا الوزير المذكور في بلد فيرينسا وابقيت غالب رحلي وأحد تابعي هنالك لاحتمال
العود فسرنا في الرتل ثلاث ساعات وكان حول ليورنو بعض غياض ليست حسنة جدا
ومررنا على بلد بيزه مناخ شهر الغرب سابقا فاذا هي من مدن ايطاليا الشهيرة ويخترقها
نهر وحوله منارة وقد انفردت هاته البلدة بشيئين أولهما أغرب شيء من مباني العالم
وهو الصومعة الوحيدة المائلة فان هذه الصومعة يراها الناظر مائلة ميلا كليا الى جهة
الجنوب حتى يخالها ساقطة لا محالة وهي ليست بمرتفعة جدا وبناؤها من حجارة
منقوشة ومرمر ودرجها كل في قطعة واحدة من المرمر وهي في وسط بطحاء قرب كنيسة
واسفل قاعدتها مائل ايضا غائر في الارض من جهة الميلان ومرتفع من مقابله وقد
اختلف النقل في سبب ميلانها فقيل انها بنيت كذلك وهو من مهارة صناعها
ومعرفتهم بمراكز الاثقال وقيل انها بعدما بنيت انخفضت بها الارض من احدى جهاتها
فمالت وعلى كل فسبب عدم سقوطها هو عدم خروج قطر محيطها بالميلان عن مركز
قطبها والحاصل انها من عجائب المناظر وقيل ان ميلان أعلاها عن مساواة اسفلها
اربع مترات ومثلها في الميلان صومعة أخرى خارج البلد جهة الشرق لكنها
ليست في اتقان الاولى ولا في ارتفاعها وقد بني حولها بناء ملاصق لها التوقع سقوطها
وبقي أثر الميلان ظاهرا وثانيهما القبة المربعة الكنيسة وهي ليست بكبيرة ولكنها
كثيرة النقش والزوق مما ظاهرها وزيادة غرابة في الصدى الذي يحصل فيها من
الاصوات اذ يدوم فيها الصدى ويعتلي على وجه خارق للمعتاد والسبب في شكل البناء
وطلي الحيطان وبعد أن جاوزنا بيزه تبدلت الارض غير الارض التي عهدناها نظيرها في
بلادنا وما مررنا عليه من كيفية العمران واتصاله واتقانه ولا يوفي الوصف والقلم
بتصويره وتقريبه وبالجملة فليس ان كل قطعة من العمران لم نعهدها بل عهدنا مثلها
ولنا قطع تضاهي مراد تلك القطع سواء كانت في البساتين او في القصور التي بها او
في اثارة الارض وتعميرها لكن الذي لم نعهد لنا هو اتصال ذلك العمران وامتداده
وتماثله الى ما لا يحيط به الحصر مع تحسين جهات الاتصال امامها فانها تحدث من
ذلك هيئة اجتماعية لها اعتبار زائد فوق اعتبار قطيعات منفردة وان بلغت من
الاتقان ما بلغت ثم وصلنا الى فيرينسه فاذا موقف الرتل بها جميل انيق واد بالبلد
ويشقها كل طرفيها القديمة ضيقة وأما الجديدة فواسعة شديدة النظافة وتهذيب
أخلاق السكان والحضارة ويخترقها نهر على جانبيه رصيف مفروش وفي مجرى الماء

عرضا

مرصعا وأرض جنينة القصر لكي يكون حقيقة حدا محدودا وأنشأ من ذلك نهر
عظيم له دوي وعلى جانب النهر متنزه عمومي ممتد أزيد من ميل وبه فوارات وحدائق
وأنوار وفي نهاية النهر عند ملتقى نهر المذكور بجدول صغير حمام وقبة من رخام صغيرة
بلا حيطان مرفوعة على اسطوانات حديد رخامية عالية على الأرض وفي وسطها صورة
مجسمة من الرخام لأحد أمراء الهند الشبان وملونة بلونه ولون ثيابه الرسمي وكان ذلك
الأمير سافر في أوروبا مدة زيارته المملكة الانكليزية فدار بالمعامل بعين بتساهات وكان
مجوسيا فأوصت عائلته مكافأة لكابر بالرسم صورته في ذلك المحل الذي أحرقت جثته
فيه على عادة المجوس ودفن رماد جثتها وكان من عاداتهم أن مكان الاحراق يكون
في ملتقى نهرين فلذلك فعل به ذلك هنالك وعمل على ذلك المحل قبر وروض وكان ذلك في
عشرة التسعين والثمانين وألف وفي حدود البلدة من الجنوب متنزه آخر في جبل مرتفع
نزه حدائق وبساتين وقصور وطرق وسطه مولة الصعود بالكراريس وفي منتهى
ارتفاعه قطعا وسيعة ذات مصاطب ومنارة ويقربها كنيسة وفيه مرصعة الحيطان
من خارج بالرخام الأبيض والأسود متصل بالدرج وجملة ذلك الجبل متنزه ولما صعدت
الى هذا المحل أحسست ببرد شديد لارتفاعه وابرد الزمن ومن أحسن ما بالبلد قصر القارية
الذي به بيت أغلب حيطانه من البلور وهو قصر قديم به من التصاوير المرسومة
في الخرق المنسوجة مع النسج وفي الورق شيء كثير وكذلك عدد من التحف والنحاس
وقال بعضهم أن مجموع ما به من التصاوير كلها في غاية الاتقان تمتنع لها المصورون
من الآفاق لتقليدها وعمل بها من التصاوير صور الملوك من جميع الآفاق في أعصار
مختلفة ومنها صورة محمد باشا الأول والي تونس ويتصل هذا القصر بقصر سكنى
الملك عند استقراره الحكومة هناك وهو قصر كبير ليس بغريب أصله لأحد السكان
فاشترى منه لاستقرار الملك وهو لا زال مشتملا على جميع المرافق مثل ما تقدم في قصر
نابلي ومن غرائب البلد ارتفاع قبة كنيسة جامعة من ظاهرها بالرخام الأبيض
والأسود على أتقن صناعة وبها من الاسطوانات الجيدة الأصل قطعة ذلك الرخام ومن
النقش الغريب فيه ما جعلها من أتقن البناءات وارتفاع القبة مائة وسبعة عشر
ميترو وبأزائها صومعة جيدة ارتفاعها سبعة وسبعون ميترو وهي في البناء على نحو
الكنيسة وبالجهة الغربية منها صومعة أخرى أعلى منها ومن القبة أيضا وبالبلد عدة
ملاهي حسنة وقد اشتد البرد في هاته البلدة بالنسبة لما عهدناه وقد أقمت بها ضيما

* عند صديق الوزير حسين التونسي وترجمة هذا الوزير باختصار هو رجل من
الجراكسة أتى الى تونس وسنه دون العشرة فربي في سراية الوالي حسين باشا وأدخل
الى مكتب المهندسين العسكرية فحصل مشاركة جيدة في النحو والادب والفقه
ومهارة في الفنون العسكرية وزيادة المعارف السياسية ثم توظف في عساكر الخيالة
بعنوان أمير لواء اذ ذاك خير الدين باشا وسافر معه الى فرانسا في خصام محمود بن عياد في
ولاية أحمد باشا ثم ولي رياسة المجلس البلدي بحاضرة تونس وأحدث في الحاضرة
اصلاحات عديدة في ولاية محمد باشا ثم عند ولاية الصادق باشا ولي رئاسة مجلس
الجنايات ومستشارية الوزارة الكبرى وعضوية المجلس الخاص والمجلس الاكبر ثم
استعفى من الجميع عند ايقاف القوانين ورحل الى أوروبا وساح سياحات وسيعة اذ كان
لا يعرف أكثر ممالك أوروبا كالمانيا والدغرك واسوج وهولاندا والبلجيك وايطاليا
وفرانسا وانكلترة والجزائر والاستانة في سفارة منفردا أو مع خير الدين باشا سرا عن
الوالي المذكور وعند استعفائه المذكور رحل الى المغرب واسبانيا وانمسا والروسيا
وأمريكا ومصر والحجاز ثم استدعته الحكومة عند ولاية خير الدين وزارة مباشرا
هو وغيره ممن ابتعد واعتزل وولي مستشارا في القسم الثاني من الوزارة ثم سافر الى ايطاليا
لخصام ورثة نسيم في حسب امور ثم مع الحكومة التونسية كما تقدم وأقام ليفورنو
حيث مات الوريث ولا زال في الخصام الى الآن ثم لقب بوزير الاستشارة ومستشار
المعارف وهو ذو أخلاق كريمة وصفات عظيمة ومعارف وسيعة وعنده حرية وله عدة
رسائل في كثير من المسائل وكانت اقامتي عنده في وريتة الى احدى منازل المسافرين
الصحية قرب ساحل النهر وجمعت بشهير حكماء البلاد المسمى شيف وبعد ان استقرأ
تقرير المرض واستخبر الجسم أشار الى في صوت كلامه ان المرض ليس بمخوف كما انه
من الامراض المزمنة وانه يدافع بترتيب المعيشة في الاكل والمسكن وارتياح الفكر
والبدن والابتعاد من هواء البحر وحسن سكنى الجبال وان كثرة الادوية مضرة بل
* الجدوى ولقد صدق ثم طلبت تلغرافيا بقية رحلي وتابعي وسافرت قاصدا باريس مارا
على تورين بالسراحة مسافر كبيننا الرتل صباحا ومررنا في الوهاد نحو الساعة على
ذلك المنظر البديع ثم تصاعدنا في الجبال وكان للرتل حينئذ مزجيتان ومهما ازددنا
تقدما في الارتفاع الا وازداد المنظر بهجة ورونقا الى أن انتهينا في الصعود فكان
منظرا ترتاح له النفوس وتجلى عن القلوب كل بوس بما له من جمال وما فيه من
بدائع

بدائع صنع مكونه وتحفه بأعمال الرجال فالقرى البهيجة منثورة على مد الابصار
والاشجار قد مدت أغصانها تطاول الدراري من الافلاك تحملها باسقات وقد انتثرت
منها من الثمار اذ قد استعوضت عن خضرتها الزبرجدية بالثلوج الياقوتية
والارض والجبال قد بسط عليها بساط الفضة الزلال مع الاتقان في تنضيد الاشجار
واثارة الارض بالحرث وتدفق المياه من ينابيع العيون وسيول أمواه الثلوج المذابة
المنحدرة في جداول ثم نهيرات ثم أنهر متفجرة ولا يسير القطار نصف ساعة الا ويقف على قرية
نضرة وتارة يمر بحصون وأشباه القصور وبأخرى حول سوح الديار وطورا ترى البلدان
تختلف في أسماء ساداتها وهكذا الامر مدة مختلفة تتوالى كل محطة ثلاث ساعات في
الجبال وعلى الاجمال أن السفر في جبال أوروبا بالاخص ذات العمران ليس له من لذة
عندي توازيه سيما مع الركوب في القطار في الطبقة الاولى في مخدع منفرد للشخص
وأصحابه وعلى الخصوص اذا كان معه صديق يساجله في سائر مقاصده فان ذلك من نعم
الدنيا الكبرى ومن هنالك تجلت لنا شمس كثرة الاشجار المتصاعدة من الجبال
والثلوج ثم نزلنا الى الوهد بعد أن مررنا بحجب الصعود والنزول ولاجتياز أربعين نفقا منها
ما يسير فيه القطار عشر دقائق ومنها ما يسير فيه دقيقتين وكل نفق مظلم بشدة ظلامه وبحسب
طوله وبعد أن سرنا في الوهد بعد ساعة وثلاثة أرباع ذلك النزول وصلنا الى بلد بولونيا
وهي بلدة ضخمة لكن أبنيتها وطرقها ليست بجميلة فهي القديم منها وأعلاها على ذلك
القصور بها متنزهات نزهة وأغلب الطرق بجوارها مبلطة بالاروقة لشدة حرها صيفا
وشدة بردها وكثرة ثلجها شتاء فتتقي المارة بتلك الاروقات وفيها موقف للقطار عظيم
جدا لا يماثله في عظمه وسعته بها في قبته إلا ابطاليا وسعتها وفرانسا والنمسا
والمانيا وتتردد اليها القطارات من الجميع ونزلنا في الموقف ونتغدى في محل الاكل هنالك
وكان وقوف القطار نصف ساعة ثم سرنا الى تورين في ذلك المنظر العجيب المنبسط على الوهاد
لكثرة اتقان الزراعة واثارة الارض وتعميرها وكثرة الابنية في الاراضي الزراعية كل
ذي أرض له فيها بناء مع تحسين شكله وتزيين ظاهره ومع ذلك منظر الجمال في الجبال
أهم وعندما أراد الليل أن يسدل نقابه تبدى وجه الغزالة محمرا من بروج السحاب على وجه
الافق وبالله من منظر بديع يشهد للباري تعالى بحسن الصنيع وما ودعنا نور الشمس
الا بعدما استخلف ضياء البدر المنير اذ كان ذلك أواسط شهر ذي القعدة فتقمص الافق
والنواحي ببريق البدر وكان جمال الليل مزهرا في تلك المناظر الجميلة مستمرا الى أن

وصلنا الى موقف الرتل بتورين بعد نصف الليل فاذا بذلك الموقف أبهى وأبهج وأضخم
من جميع ما رأيناه سابقا واستمر الرتل من مبادي مدة أوقات الوقوف الى ان استغرقه
أربعة من عشرة دقائق فكانت ترى به المرحبات والمركبات مبثوثة في جميع الجهات
ماشية لاركابها والرتل وارد وصادر من كل أوب ومحل نزول الركاب هو ساحة عظيمة
مرفوع سقفها على أعمدة من الحديد المتخللة من قضبان من الحديد مرصف فيها
الزجاج والفوانيس موقودة بالغاز تضيئ كالنهار وما استرحنا في بيت الجلوس الى ان نزل
رحلنا في الكروسة وفعلوا في تعشيته ما فعلوا في البلدان السابقة ثم ركبنا احدى الكراريس
الكبيرة المعدة لنقل الركاب الى منازل المسافرين لان كل منزل كبير له كراريس كبيرة
تسع الواحدة ثمانية من الركاب فما فوق تحملهم من المواقف الى المنزل والعكس
وذهبنا الى المنزل فلم نجد به لا شيئا فانتقلنا الى منزل آخر حسن وأقمت بهاته البلدة
يومين وهي مصر عظيمة ذات اتقان في الابنية والمساكن والطرق ومن خصائصها
أن طرقها تكاد أن تكون كلها مستقيمة قاطعة على التربيع بزوايا مستوية كما أن من
مميزاتها ان طرقها تكاد أن تكون كلها معمودة بروافين بجنباتها وتكون مائلة قائمة
سقوفها على أعمدة من البناء أو الحجارة المصونة ولا يمشي الراجل الا تحتها وفوقها الابنية
القصور والمساكن وإليها تفتح أبواب الحوانيت والديار وغيرها وأوساط الطرق
للركاب أو العابر من جهة الى أخرى وأعظم بطاحها البطحاء التي أمام قصر الملك وهي
متسعة جدا في صدرها القصر الملكي وعلى جانبيها مساكن للعسكر والجهة الرابعة
قبالة القصر في وسطها طريق كبير ومن جنباته ديار ومنزل المسافرين
الذي نزلنا فيه وفي وسط البطحاء فوارات وأول ما رأيت لتروى في هاته البلدة وهو
مركبة ذات عجلات صغيرة من حديد تجري في صفيحات من الحديد مثبتة في الارض ممتدة
مع الطريق الى نهايته بدون اتصال السير اليه وتجرها اثنان من الخيل ولهم في
كيفية ارجاعها بعد الوصول الى نهاية الطريق كي ترجع الى المكان الذي ابتدأت منه
كيفيات [illegible] أولا أن في محل الادارة يكون وقوفها على دائرة من الحديد ذات قطب
تدور عليه بسهولة فبادارة الدائرة تدور المركبة وثانيتها أن المركبة يكون مقدمها
ومؤخرها سواء فعند بلوغ النهاية من الطريق تحل الخيل من رأس تلك الجهة ثم
تربط من الجهة التي كانت مؤخرا وتسير المركبة راجعة الى المكان الذي ابتدأت منه
وثالثها أن تكون الصفيحات التي تجري فيها العجلات في نهاية الطريق مرسومة على نحو

دائرة

دائرة متسعة فتدور بها الخيل الى ان تعود الى الطريق لدى جانب منه وكل كريطة من هاته في طريق خاصة وبالدخاص وسبب استعمال هذا الطرق هو لتسهيل جر المركبة على كبرها اذ يركب بها نحو العشرين انسانا في داخلها وعلى سطحها نحو تسعة ولا يجرها سوى فرسين وهي وسيلة كبرى لترخيص اجرة الركوب وسهولة الانتقال فتقف في مراكز معلومة كما تقف لكل من يطلب الوقوف للركوب او النزول ويؤدي الاجرة زهيدة نحو ثلاثين سانتيم أي ثلاثين من تجزئة الفرنك الى مائة هذا اذا كان المكان بعيدا واما اذا كان قريبا فنصف ذلك المقدار والقرب والبعد على حسب اتساع البلاد وامتداد ذلك الطريق لكن القريب على كل حال لا يقصر عن الميل وهاته البلدة بها نهر عظيم ومنظره خارج البلد بديع وبقربه في احدى تلك الجهات منتزه عمومي كبير منزه ومحل به أماكن للاكل والقهاوي وقصر الملك حسن جدا وكبير متسع متأنق في تزويقه بالذهب والالوان وبه جميع فرشه وحوائجه وقد كانت هاته البلدة هي قاعدة مملكة الساردو الذي استولى على جميع ايطاليا واتخذت أخيرا تخت ملكها وبها خزانة للكتب عظيمة جدا وعندما دخلتها ألفت كبير الفرق بين أهالي هاته البلاد وأهالي نابلي فان الثانية لما دخلت خزانة كتبها لم أجد الا أفرادا لا يتجاوزون جمع القلة وهاته لما دخلت الى خزانة كتبها وجدتها مفعمة بجماعات من الرجال وقليل من النساء كل منهم منكب على المطالعة في كتاب ولا تجد حس الواحد الا همسا لكي لا يشوشوا على بعضهم في مطالع ومن مقابل ومن ناسخ ومن مفكر والكتاب بين يديه فعلمت ان أهالي هاته البلدة معارفهم أوسع وسوق العلم بها أروج وذات الخزانة كتبا أكثر مما رأيته سابقا وبها مصاحف كريمة ذات خطوط أعجمية أنيقة مذهبة ومنقوشة للغاية القصوى ولها صناديق وجوهها وسقفها من الزجاج مقفولة لحفظها ولا يحلها الا القيم عندما أكد فتحها لي وتشرفت بها ثم رحلنا من هاته البلدة قاصدين باريس في مرحلة واحدة ولما كانت المرحلة بعيدة آثرت كراء مخدع في الرتل ذي فرش ومستراح ولزم لذلك اعلام مدير الرتل من قبل وقت الركوب لكي يحضره على الصفة التي تريدها ولكي يعلم موقف الرتل في حدود فرانسا باحضار مثله في رتلهم حيث ان الراكب ينتقلون هنالك من الرتل الطلياني الى الرتل الفرانساوي وركبنا في الساعة الثامنة بعد الظهر ليلا في مركبة ذات مخدع له ثلاث مساطب فرشها حرير وكل مسطبة تفتح وتستطيل الى ان تصير فراشا له وسادة وقد احترمتها بحيث يكون الراكب فيها مواجها الى جهة السيلان عكس ما يورث لي

دوارا وفي وسط المخدع باب يدخل منه الى محل ذي مستراح في أحد جهتيه ومقابله محل
ذو أنبوب للماء يفتح و يغلق يجري منه الماء وذو اناء ينزل منه الماء المغسول به وبه
مرآة يجب بها يستطيع الانسان التوضي هنالك واصلاح لبس ثيابه وفي المخدع أيضا مرآة
ومائدة تفتح من جهة الحائط الموالي لمحل المرافق حتى ان الانسان يقضي هنالك جميع
حاجاته بغاية الراحة وأغطية رفعها مناديل الوضوء وبيت ابرة لمعرفة القبلة في
صندوق صغير من الحائط فيه بعض الثياب ومناديل الانف واذا حان وقت الصلاة نصلي
بلا أمر سوى ان الاتباع يتزورون الى جهة غير القبلة ومثل هذا الاطلاق يجري الانسان
في الركوب مع الرفقاء لكي لا يكون عليه حرج في ما يريد كما انه اذا حان وقت الاكل
ووقف الرتل في احدى المواقف على البلدان ننزل الى محل الاكل وعنده ألوان الطعام
والفواكه فنشتري ما نريد ونحمله الى مخدعنا لكي نأكل بالاستراحة اذ الاكل في المواقف
يلزم أن يكون عاجلا خوف سفر الرتل والرتل وان كان يقف بعد كل نحو نصف ساعة
أو ساعة على البلدان غير ان وقوفه لا يطول الا بقدر ما ينزل الركاب القاصدين تلك
البلدة و يركب منها غيرهم أو أخذ المزجية للماء أو فحم أو بدلها بغيرها الا في ساعات
نوبتها بحيث ان الحصة أن وقفها عشر دقائق (أما) في وقتي العشاء والفطور فيقف الرتل
نصف ساعة أو أزيد بقليل ويعلم الركاب جميع ذلك من المنادي الذي ينادي عند
وقوف الرتل رافعا صوته بقوله بلد كذا ويسمي البلد الذي وقف عليه وكذا دقائق أي
يقف كذا دقائق ويفتح الابواب للركاب فينزل من يريد النزول ولو لقضاء ضرورة
ويرجعون على عجل واستمر بنا السير الى أن وصلنا لجبال المسني الشاهقة وفوق
الرتل يجري بين صعود وهبوط في انفاق واحدا بعد آخر الى أن جاز في نفق استغرق الجري
فيه خمسة وعشرين دقيقة غير انه دون السير المعتاد وهو أول نفق في أوروبا وصناعته من
عجائب صناعة الهندسة اذ هذا الجبل واقع في الحد بين فرانسا وايطاليا فناحيته الشرقية
الجنوبية الى ايطاليا والشمالية الغربية الى فرانسا ولما أرادوا وصل الطرق الحديدية
اتفقوا على خرق الجبل فجعلت عملة كل من الجنسين تشتغل من جهتهم وبعد الاشتغال
بضع سنين اتصل العاملون بعضهم ببعض على خط مستقيم والحال ان طوله تسعة أميال
تقريبا وثلث وفيه فوانيس ليلا ونهارا ويقيم به حراس لتفقد الطريق ولهم مساكن
مفتوحة وأماكن وسيعة لوضع الضروريات التي يحتاج اليها لاصلاح الطريق ومراكز
لسلك التلغراف والرتل لا يدخل الا اذا رأى علامة الحارس بالاذن بالدخول وبينما

كنا

كنا بافريقية واذا برتل آخر مقبلاً من فرانسا ذاهباً الى ايطاليا فسرنا معاً سائرين
متحاذيين مع اشتداد دوي العجلات والصدى والظلمة وسرعة السير فكان منظراً هائلاً
واشتد البرد هناك اشتداداً خارقاً للعادة حتى أن بخار النفس كان يجمد على شاربي
وزجاج طواقي المخدع كان يجمد عليه بخارنا الى أن يمنع الضوء وينكسر بالتكسير
قطعاً كالجليد وأيقظتني شدة البرد من النوم مع التردي بالاثواب الثخينة الصوفية وأحدها
مستبطن بجلد الفراء الغالي وفي المخدع قنوات من النحاس ملآنة بالماء الحار حذاء
ما هو فيه في ظرف من الصوف وعندما وصلنا الى بلد مودان أول موقف الرتل من جهة
فرانسا نزلنا للانتقال للرتل الفرنساوي وابتدأ الامر فيما شاهدته بفرنسا فلنعد
الآن لبقية الكلام على ايطاليا فاني عدت اليها ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م
وزدت معرفة بالبلدان التي سنذكر وهي ابرندزي التي هي أكبر المراسي جهة
شرقي ايطاليا ولها ما بين حصن وحصون وبقية البلد ليست الا قرية محتوية على
لوازم أهلها وأقمت بها ليلة ثم توجهت الى باري وهي مرسى أيضاً دون الاولى
ولكنها أكبر منها بلاداً وأحسن عمارة مع الابنية الجديدة التي لها اتقان في
استقامة الطرق وسعتها وأقمت بها ليلة ثم توجهت الى بولونيا وقد مر ذكرها وجميع
ما مررنا عليه كان في غاية العمران والانتظام في الزراعة وكثرة الشجر من الزيتون المغروس
بجميع ثلث الارض مع بعض غلال أخرى شتى وجميعها يسقى بالمواعين من الآبار بادارة
الدواب حميراً وخيلاً وبغالاً وكذلك القرى كانت كثيرة منتشرة وحيث كان مرورنا وقت
الحصاد صيفاً كنا نرى جميع الجهات مشتغلاً أهلها فبعضهم يحصد الزرع حتى الذي
تحت أشجار الزيتون وآخرون يضمونه بعد في الارض وفي أثرهم آخرون يثيرون
بالحرث ما جف من الارض وهكذا بحيث لا تبقى الارض مدة بواراً ويزرعون في بعض
الجهات اذ ذاك فولاً بحيث يصح أن يقال ان الجهة الشرقية من ايطاليا أعمر من
الغربية وبعد اقامتي ليلة في بولونيا توجهت الى قرية مونتكاتيني التي بها مياه
معدنية عليها حمامات تهرع اليها الاهالي صيفاً للنفع بها وفيها شيء من التحسين
غير أنها شديدة الحر لاكتنافها بالجبال المعمورة بالقرى والاشجار ذات الغلال الصيفية
والحاصل ان الجهات البعيدة عن الجنوبية في أوربا هي مساوية أو أشد حراً من
شمال أفريقية وشدة تعب الراكب في الرتل من الحر لانه ان فتح الطواقي اسود لونه
وربما أوذيت عيناه من الدخان والغبار بسرعة الرتل وان أغلقها حميت عليه ناراً لظى

وحالة البلدان في الحر كما مر ولذلك لم تطل الاقامة هنالك وتوجهت الى ليفورنو التي هي على البحر كما سبق وبقيت بها [illegible] ثم توجهت منها الى فيرنسه ثم عدت اليها مارا على مدينة ميلانو التي اعد فيها اذ ذاك معرض عام لمصنوعات ايطاليا وهو قائم بها فاذا هي اي ميلانو اجمل بلاد ايطاليا واكثر حضرية وانفردت بالسوق المسمى القلارية الذي هو في غاية الجمال والبهجة ومن غرائبه انه توقد قبته الوسطى بزجيجة تمر على طريق حديدية بسرعة الايقاد لجميع الفنارى وهي مرتبة صغيرة نحو ذراع طولا واما المعرض فهو انموذج من معرض باريس الآتي ذكره واغلبه دائما اصغر بكثير وخاص بمتعلقات ايطاليا وشاهدت فيه تجربة جرارات بالقوة الكهربائية السارية في قضبان طريق الحديد لكن التجربة ما افادت انهم لم يبلغوا المراد لحصول الوقوف احيانا من غير اختيار لكن بلغني اصابتهم ثم امره في المانيا وصار مستعملا به

فصل

(في تعريف ايطاليا)

(اعلم) ان ايطاليا قسم من اوربا الجنوبية وهي شبه جزيرة في البحر الابيض تتصل من جهتها الشمالية بالقارة فيحدها شمالا سويسره وفي الشمال الشرقي النمسا وفي الشمال الغربي فرانسا وفي الغرب والجنوب البحر الابيض وفي الشرق بحر البنادقة وهي على شكل مستطيل من الشمال الى الجنوب بميل الى الشرق على هيئة تشبه جزمة ذات عقب ومهماز وقبالة مقدم اصابع القدم جزيرة صقلية المسماة الآن سيسيليا يفصل بينهما خليج ضيق يعرف بخليج مسينا وتبتدئ من الشمال من عرض ستة واربعين درجة واربعين دقيقة وتمتد الى الجنوب الى عرض سبعة وثلاثين درجة وخمسين دقيقة من العرض الشمالي وتبتدئ جهة الطول من باريس من الدرجة الثالثة وخمس واربعين دقيقة الى ستة عشرة درجة وخمس دقائق فنهاية طولها نحو الف ميل وذلك من جبل مون بلانه الى رأس سبارتيفنتو واما عرضها فمختلف جدا ففي جهة الشمال نحو ثلاثمائة وستين ميلا ومن جهة الجنوب نحو مائة وخمسين ميلا وفي بعض الجهات الوسطى نحو اربعين ميلا فقط ولها عدة جزائر اشهرها واكبرها جزيرة صقلية وجزيرة سردانيا ولها قرب تونس جزيرة بنتلاريا وهي ذات شطوط وعرة جدا وبها كانت دولتها دولة بحرية واما جبالها ففيها عدة سلاسل منها جبال الالب وجبال البنين وجبل

وجبل كورنو وهو أعلاها وارتفاعه على سطح البحر ٩٠٢٠ قدما وجبل فيلنيو وفيها عدة جبال بالكانية منها ما انعدم وصار عوضا عن فوهة النار بحيرات مثل بحيرة رسيمين وبرسيانو وبلسنا كما في الجبال وأما الباقي منها بالكانا فهو جبل الفوزوفيو وقرب نابلى الذى ارتفاعه ١٢٠٠ مترو وجبل اتنا في سيسيليا وارتفاعه ٣٣١٣ مترو والثلج دائم عليه وجبل الترنبل في جزائر ليبرى ويظن ان بين هاته الثلاثة مسالك تحت الارض وبقرب نابلى عدة جبال تقذف بخارا كبريتيا وتسمى سلفتارو وبقرب ليفورنو جبل يقذف بخارا مائيا ويسمى سوفيونى وأما انهرها فهى كثيرة لكنها لا تعظم جدا لقرب منابعها من البحر وأعظمها نهر بو الفاصل بينها وبين النمسا ونهر تيبر الذى يجرى الى رومة ونهر ارنو المار على فيرنسا وبيزة واديج جهة ولاية التيرول التابعة الى النمسا وغيرها وكلها لا تحمل السفن الا القوارب الصغيرة سوى الاول فانه يحمل القوارب الكبيرة وان كان السير فيه صعبا لوجود جزائر رملية به ثم ان نهر اديج يحمل السفن من بلاد ترنتو الى البحر وبها أيضا ترع صغيرة أشهرها الترعة التى بين بيزة وليفورنو وتحمل القوارب الصغار وكذلك الترعة الموصلة بين نهرى التيبر وارنو وبها أى ايطاليا عدة بحيرات منها المسماة لاغو ماجورى أى الكبرى وكومو وغاردا ولوغانو وايزيو وأما هواؤها فجيد فى كل الجهات الا فى الجهات الوسطى حيث توجد مستنقعات المياه المسماة بونتين فانها يحدث منها امراض عامة فى الصيف لاهالى البلاد منها رومية كما تقدم وتوجد تلك المستنقعات أيضا أقرب فنيسيا وقرب نهر بو وفى ولاية كلابريا الجنوبية ولا زالوا مجتهدين فى ازالة تلك العوارض فان بلاد ميرونو كانت من أشد الاماكن وخامة لذلك السبب وكان أهلها قليلين جدا فاجتهدوا فى تنشيف المياه ورغبوا فى عمرانها حتى أعفوا الساكن بها من كثير من الضرائب وصارت الآن لا بأس بهوائها كثيرة العمران بتقدم سائر الناس صيفا من كثير الجهات لعلها من شمال ايطاليا فهواؤه معتدل جيد وكذلك جهات نابلى وجزيرة صقلية والهواء فيها على الاجمال مائل الى الحر المعتدل والصيف فى جنوب ايطاليا ولو اذا هبت ريح السموم فتحصل بهم من المضرة بالجفاف ما تفعله بتونس وأما شمالها فهو الى البرد اميل وأما نباتاتها فيتبع سائر الحبوب من القمح والشعير والذرة فى جهاتها كلها والبطاطس ونبات السكر ورى الذى يصنع منه الحبال والكتان والقطن والتوت والعنب وتنفرد الجهة الجنوبية بالبردقان والموز والنخيل والهندى أى التين الشوكى والتبغ وقصب السكر وان كان النخل لا يثمر التمر وتنفرد

الجهة الشمالية بالارز والزعفران والقطن والحنة والحلواء والورد كما يوجد بها الزيتون
والتفاح والكمثرى والاجاص والتوت والتين واللوز والفزدق وعروق رب السوس وبها
عدة آجام وغابات غير انها في الجهة الجنوبية مهملة وغير منتظمة واشجارها متفرقة
وانواع هاته الاشجار هي الصفصاف والدردار وغيره مما تقدم ذكره في غابات تونس
(واما حيواناتها) ففيها الجمل لكنها قليلة واحسنها في فينيسيا وما حولها ومنها نوع قصير
جدا وحشي يوجد في جزائر سردانيا ومنها البغال واكثرها في الجهات الجنوبية وكذلك
الحمير ومنها البقر والمعز والضأن بقلة والجاموس والخنزير ودود الحرير والنحل
والسمك بانواع شتى في الانهر والابحر ومن الحيوانات الوحشية الضبع والثعلب
والذئب والخنزير البري وبقر الوحش والدب (واما الطيور) ففيها اغلب ما في القطر
التونسي وتزيد بالغربان بانواعه واكثرها في الارض السود والبياض وهو اكثر
ما رأيناه في البراري وهو ثقيل الطيران وحجمه اكبر من الحجل واصغر من الدجاج وفيه
انواع حشرية كبيرة ولها الوان جميلة مفضضة ومذهبة كما توجد به الحشرات التي توجد
في الاقاليم الحارة سيما في الجهة الجنوبية غير انها ليست بشديدة الخبث بالنسبة لحشرات
افريقيا ومن غريب حيواناتها نوع من الكلاب يربى عند قسيسين في جبل صان
برنارد في الجهة الشمالية الدائم فيه الثلج ومن خصائص هاته الكلاب انه اذا اشتد
البرد وحدثت زوابع فالقسيسون يسرحون كلابهم وفي عنق كل واحد اناء صغير معلق
مملوء بشيء من الارواح المسكرة الحادة وله انبوب يفتح فتذهب تلك الكلاب وترود
الجهات لعلها تجد انسانا على شفا الهلاك من البرد فتقرب منه وتمكنه مما برقبتها لكي
ينتعش به فان استطاع بعد ذلك الذهاب معها ادلته على محل اصحابها وان رأته لم يتبعها
ذهبت لاصحابها واعلمتهم بهيئة خاصة حتى يتبعونها ويخلصون الانسان من شدة
البرد فتعرف الكلاب على ذلك انفسها وتكون سببا لحياة من تقطعت به وهؤلاء
القسيسون لا يبيعون من اناث هذا النوع ليكون خاصا بهم (واما معادنها) ففيها
فيها معادن كثيرة ولا عناية فيها سوى شيء من الفحم الحجري في التوسكانه وقرب مدينة من
سيسيليا ونوع من الطين يشعل بعد التجفيف مثل الفحم الحجري وفيها زيت البترول
اي النفط وفيها الحديد بكثرة في عدة جهات منها البارديه وسردانيا وسيسيليا وكلابريا
وجزيرة البا وفيها النحاس في جبل البارديه وفي فينيسيا والبا وتوسكانا وفيها الرصاص
ايضا في عدة جهات والزارق والزنك ومعدن انتمونيو ومعدن منغنيز والكبريت

واعظمه

وأعظمه في سيسيليا بقرب بلدة قطانيا في سينا وهو الذي تشتغل منه جميع أوربا وفيها من
معادن الحجارة كثيرة في هذه الرخام الابيض الشفاف الذي تصنع منه التحف والمرمر
الاحمر والرخام الاسود والبرسلانه والطين الملون والمرمر الرفيع والرخام الابيض المعتاد
وفيها سباخ عديدة للملح ومعادن مختلفة ومعدن الشكار الذي يشغله الصاغة وفيها
مياه معدنيه كثيرة أهمها في ولاية البيمونت وولاية فيسيا وولاية التوسكانا وفي نابلي
وأشهر الجميع مقبكاتيني في التوسكانه (وأما مدن) هاته المملكة فقاعدتها رومة التي
اختطت سنة ٧٥٣ قبل التاريخ المسيحي وموقعها كانها متوسطة بين الجنوب
والشمال في المملكة وتقرب الى الشاطئ الغربي وقد تقدمت صفتها وقد انقسمت
هاته المملكة الآن باعتبار الادارة الى اثنى عشرة ولاية كبرى لكل منها عدة
أوطان فينقسم جميعها الى تسعة وستين وطنا كل وطن له مركز من المدن ويعرف باسمه
فاما الولايات الكبرى فنذكرها باسمائها ونذكر عدد أقسامها فقط بدون ذكر
لاسماء البلدان لان الثانوية تطول الكلام قليلة الجدوى فالاولى من الولايات
البيمونت وقاعدتها تورينو وسكانها ٢١٥٠٠٠ وبها اربعة أوطان وثانيها
لمبارديه وقاعدتها ميلانو وسكانها ٢٦٣٠٠٠ وفيها ستة أوطان وثالثها
فينيسيا وقاعدتها مدينة فينيسيا التي اغلب طرقها خلجان بحريه يمرون فيها بالقوارب
وسكانها ١٣٠٠٠٠ وفيها تسعة أوطان ورابعها ليغوريا وقاعدتها جنوة وسكانها
١٣٠٠٠٠ وفيها وطنان وخامسها أميليا وقاعدتها بولونيا وسكانها ١١٦٠٠٠
وفيها تسعة أوطان وسادسها توسكانا وقاعدتها فيرينسا وسكانها ١٧٦٠٠٠ وفيها
سبعة أوطان وما تقدم كله جهة الشمال ثم في الوسط وسابعها ماركى قاعدتها انكونة
وسكانها ٤٦٠٠٠ وفيها أربعة أوطان وثامنها الومبريا وتختها بروزه وسكانها ٥٠٠٠٠
وفيها وطن واحد وتاسعها لاتسيو وقاعدتها رومة قاعدة الجميع وسكانها ٢٤٥٠٠٠
وفيها وطن واحد ثم في الجنوب عاشرها نابلي وقاعدتها نابلي وسكانها ٤٠٠٠٠٠
وفيها خمسة عشر وطنا وحادي عشرها سيسيليا وقاعدتها بالرمو وسكانها ٢٢٠٠٠٠
وفيها سبعة أوطان وثاني عشرها سردانيا وتختها كالاري وسكانها ٣٣٠٠٠
وفيها وطنان (وأما المراسي) هاته المملكة فهي كثيرة فمنها جنوة في الشاطئ الغربي
اشه الى ثم ما يأتي بليها جنوبا على الترتيب الآتي وهي اسبيسيا ثم ليفورنو ثم شيفي
تافيكيا ثم نابلي ثم كستلاماري التي هي أعظم الكل لاشتمالها على معمل كبير للسفن ولو

المدرعة ثم مسينا وهى فى الجنوب وهى حربية تجارية ثم تارنتوفى شاطئها الشرقى على بحر اليونان ثم مرسى ابرنديزى ثم نكونة ثم فينيسيا وهما على بحر السادقة فهاته هى المراسى الكبيرة وهناك غيرها كثير (واما الاهالى) فعددهم على ما تحرر ١٢٩٨ ﻫ سنة ١٨٨١ م تسعة وعشرون مليونا وهم فى الاصل من ابناء الاصايين وهم من الامم الذين ارتحلوا الى هذه من المشرق والشمال فى أوقات مختلفة ولكن صاروا بالكثرة جنسا واحدا يتصاحم مرة طليانيين عان قامى الحاقية أهل جدد فى الشمال وأهل الشمال منهم تقدمت فيهم الحضارة أكثر من أهل الجنوب اذ أهل الجنوب والوسط لا زال فيهم أناس على سذاجة تقرب من التوحش وكلهم على الديانة النصرانية على المذهب الكاثوليكى الا خمسة وثلاثين الفا وهم على مذهب البروتستنت وثلاثة وعشرون الفا من اليهود ومن الاهالى صنوف لها من جنس الارناؤوط

فصل

(فى اجمال تاريخ ايطاليا)

مطلب

(فى تاريخها القديم)

(اعلم) ان أول ما سميت ايطاليا بهذا الاسم حسبما وجد بتواريخ الرومان لاقدمين فى أواسط الالف الثانية قبل التاريخ المسيحى نسبة الى ملكها احد العائلة التى أتت من المورة وهو ايطاليوس وقد كانت من قبل ذلك تسمى ساتورنيا وكانت مسكونة بأم أصليين اسمهم أوبريجان ثم وفدت عليهم أمم فى أزمان مختلفة من اليونان وأهل الشمال وغيرهم وابتدأ فيهم ملك الرومان لظهم من المائة الثامنة قبل الميلاد وكان منشؤه فى مملكة رومية التى هى قطعة من ايطاليا واتسعت شيئا فشيئا وتكاملت أوصاف العمر فى الرومان تدريجا فى المائة الثانية والثالثة قبل الميلاد ثم اتحد تاريخ ايطاليا بتاريخ الرومان الى أن تسلط الرومان على غالب المعمور المعروف اذ ذاك تحت اسم الدولة الجمهورية الرومانية ثم أبطلت الجمهورية وأحدثت الامبراطورية التى يلقب صاحبها بالقيصر قبل الميلاد بثلاثين سنة ودامت سلطنة عظيمة مع التقلبات والحروب الى أن انقسمت فى سنة ٣٩٥ مسيحية الى سلطنة غربية وهى لاصلية وسلطنة شرقية مقرها

فى

في سوريه وآسيا الصغرى وما والاها واشتهر انهم المذكورون في سورة الروم وهم المغلوبون حينئذ بهذا اللقب أى الروم والسلطنة الغربية التي مقرها ايطاليا تخربت وتسلط عليها أمم متعاقبون ثم دخلت تحت سلطنة المشرق ثم افتكها منهم أمة لومبارد لكن بقي للشرقيين الجهات الجنوبية وكانت تسمى السلطنة اليونانية أو الاغريقية أو الرومانية ثم تخربت أيضا وتأسس تسلط البابا في رومة من ١٠٤ هـ سنة ٧٢٢ م لكنها ما تمت حتى ودعت فاستولى الفرانساوية على قسم من ايطاليا وقوم النارمندي استولوا على قسم والسلطنة اليونانية على قسم وبقي البابا تحت ولاية الامبراطور شارلمان ملك فرانسا وغيره ثم استقلت ايطاليا وكان لها تاج خاص ووقعت انقلابات وانقسامات الى أن جدد ملك لبابا ٤٦٦ هـ سنة ١٠٧٣ م وتم ذلك في ٥٢٦ هـ سنة ١١٣١ م حيث تأسست مملكة الصقليتين واضمحلت بقية السلطنة اليونانية وغيرها وصار ملكها جير الاول تابعا للبابا ثم ثارت الثورات في عدة جهات وانقسمت ايطاليا أقساما بعضها جمهورى وبعضها ملكى وتعاقبوا على رومة مقر سلطنة البابا ونحوه منها وحدث في الجنوب مملكة صقلية التي كان المسلمون استولوا على جانب كبير منها وهم البحريون من تونس واستولى على قسم منها القاضي الامام أسد بن الفرات فقد كان جامعا بين علوم السياسة والحرب والشرع وتوفي هناك رحمه الله ثم بعد مدة تغلب النصارى عليها كما أن الجهة الجنوبية أيضا تغلب عليها مملكة نابلى ثم رجع البابوات الى ايطاليا من نفيهم الى فرانسا سبعين سنة ولم يمنع الاهالى في ابتداء الاجانب من الاستيلاء عليهم مع الجهد فيه وتعاطت حروب فرانسا واسبانيا على الاستيلاء على ايطاليا الى ان تم الامر الى اسبانيا ٩١١ هـ سنة ١٥٠٥ م ولم يخرج عنها الا البندقية ثم تقهقرت اسبانيا هناك تدريجا ثم تغير الحال في حروب نابليون الاول امبراطور الفرانساوية أوائل القرن الحالى هجرى وأولى لامبراطور على ايطاليا أخاه ثم صهره ولم يبق خارجا منها الا صقلية تحت حكم أحد عائلة البربون وكذلك سردانيا تحت حكم أحد عائلة سافويا ثم عند سقوط الامبراطور المذكور ١٢٣٠ هـ سنة ١٨١٤ م انقسمت ايطاليا الى سبع ممالك كل منها مستقل وهى مملكة رومة تحت حكم البابا الروحى والملكى ومملكة سردانيا تحت حكم عائلة سافوريا ويتبع الجزيرة قسم من القارة الشمالية الغربية ومملكة المباردية تحت ولاية امبراطور النمسا ومملكة بارمة تحت ولاية امرأة نابليون الاول ومملكة مودينا تحت ولاية دوك من عائلة امبراطور

النمسا ومملكة توسكانا تحت ولاية دول من تلك العائلة أيضا ومملكة نابلى و بقسميها صقلية تحت ولاية أحد عائلة البربون

مطلب

﴿فى تاريخها الجديد﴾

اعلم ان دولة الساردواحدى الممالك المذكورة قد اسست القوانين والحرية الشخصية ومشاركة الامة فى السياسة الكلية من عهد شارل البرت المتولى ١٢٤٧ هـ سنة ١٨٣١ م وكان من همه استقلال ايطاليا واتحادها تحت علم الحرية لكنه لم يصادف رجالا ذوى همم تعين على المقصود الى أن تنازل عن الملك لولده فكتور امانويل ١٢٦٦ هـ سنة ١٨٤٩ م وكانت دولته مع ما لها التقدم من جهة القوة المعنوية لانها ذات قوانين وحرية عادلة وان كانت مملكة نابلى أعظم قوة صورية وأما بقية الاقسام فانها كانت تحت النمسا ومنعى فالاهالى ينفرون منه وان كان بعضهم له الحرية والقوانين كما أن ما كان تحت البابا كان يجرى فيه الظلم بحسب الشهوات فدام الحال على ذلك الى ١٢٦٩ هـ سنة ١٨٥٢ م حيث وقعت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وتعاضدت فرانسا وانكلترا على اعانة الدولة العثمانية وكان ملك دولة الساردو المذكور مساعدا وكان وزيره الداخلية وطنيا وهو كافور وكان بأمته ورغبته ادا بى نصائحه كما ان الاهالى لهم اعتماد على صدقه ووفائه بحقوق الوطن وكان فيه من الاهلية ما أعانه على اتحاد ايطاليا بعد عبوسته كما سنبين ذلك فقد عمل الجهد واتفق مع فرانسا على اعانة الدولة العثمانية فى الحرب المذكورة وارسل عساكره البالغة ثمنى عشرة ألف واوسعه مع قوات الدولة الكبيرة وكان ذلك أول خطوة لايطاليا فى الدخول فى زمرة الدول العظام فى الاعصر الاخيرة ثم بعد وقوع الصلح وقع الاتفاق بين دولة الساردو ودولة فرانسا على اخراج ما بيد النمسا من ايطاليا وضمه الى دولة الساردو على أن تعطى هاته الى فرانسا ولايتى ساقوى ونيس اللذان هما فى حدود فرانسا جهة ايطاليا بحول الثانى بدعوى أن أصل أهلهما من جنس الفرانسيس وأسس نابليون الثالث ملك فرانسا من ذلك الوقت قاعدة اتحاد الجنسية أى ان كل جنس من البشر له حق الوحدة فى أمته دولة مستقلة اذا كانت فيه أهلية لذلك وساعده على هذا المقصد كون مملكة فرانسا كلها ذو جنس فى فرانساوى فلا يخشى على مملكته

مملكته من تلك القاعدة كان مستعمرا تهايدعى ان ليس لاهلها أهلية لدعوى
الوحدة وعند حصولها لهم لا عنهم من ذلك وعند اشتهاره لهذه القاعدة وارادته
الاعانة على انفاذها فى العالم كان عقلاء الفرانسيس معارضين له فيها ومن أشهر المضادين
له تيرس ذو الشهرة بالتدبير والسياسة وكان يصرخ فى مجلس الندوة ان هاتيك القاعدة
تؤل بالوبال على فرانسا لا من حيث الخوف من تفرق أهاليها لانهم من جنس واحد ولكن
من جهة تقوى جيرانها كايطاليا والالمانيا فان الجار اذا كان ضعيفا يجاوره القوى يكون
آمنا منه بل يكون له النفوذ فيه بخلاف الجار القوى فانه يأبى الضيم ويقع معه
التشاحن المؤدى الى الحرب التى تجهل عاقبتها فضلا عما تستلزمه من الخسائر المحققة فى
الدماء والاموال غير أن صراخه لم يثمر شيأ لان دولة فرانسا فى مدة امبراطورية نابليون
الثالث وان كانت قانونية شورية ظاهرا انها فى الباطن استبدادية فى السياسة
العامة وكما يريد الامبراطور يتم غرضه فيه ولذلك أعانت دولة فرانسا بطلب النمسا
أن تسلم فى الولايات الطليانية لدولة الساردو وأعانت بحرب لذلك وتعاضدت فرانسا
والساردو على حرب النمسا وحدها وقد كانت أنشئت جمعية أهلية طليانية تسمى جمعية
وحدة ايطاليا تحت رياسة رجل منهم شهير بالشجاعة وحب الوطن وهو كاريبالدى
وتعسكر تحته كثير من المتطوعين الطليانيين من جميع جهات ايطاليا وأعانوا الساردو
والفرانسيس واستمرت الحرب وكان ملوك الدول الثلاث فى معسكراتهم وان كان قسم
وحدة ايطاليا كان تحت رياسة امبراطور الفرانسيس وانخذلت النمسا ووقع الصلح
المسمى بصلح زوريخ نسبة للمدينة التى امضيت فيها الشروط وبمقتضاها سلم امبراطور
النمسا مملكة لمبارديه الى امبراطور الفرانسيس وهو اعطاها الى ملك سردانيا كما سلم له هذا
فى ولايتى نيس وساقوى بازاء ذلك ١٢٧٦ هـ سنة ١٨٥٩ م وبينما كانت الحرب مستمرة
فى ميادين لمبارديه واذا بجمعية ايطاليا ثارت من جميع الجهات منادية بالوحدة تحت راية
كاريبالدى الى ملك الساردو فاما الممالك الشمالية فقد دواعا مع فى عدة مدن التدبير
فى أمرهم واستقر أمرهم على الاتحاد ورضيت به الامة فانخلع ملوكهم طوعا وسلمت
ممالكهم الى ملك الساردو (وأما) الجهة الوسطى وهى مملكة رومية فخرج منها ولايتان
اتحدتا مع بقية ايطاليا وبقيت مدينة رومة وما تبعها للبابا لان الفرانسيس أبى على الساردو
اذاية البابا حيث ان الرهبان لهم نفوذ على العائلات العالية فى فرانسا والامبراطور يتقى
جانبهم فالزم الساردو بالحيدة عن البابا وأرسل الفرانسيس الى رومة بحماية البابا من

ثورة رعاياه فهما من العساكر الفرنساوية وتوسطوا على مرمى شيق نابيكيا (وأما الجهة) الجنوبية فثار أهلها أيضا ونادوا بالوحدة تحت راية كاريبالدي ثم وردت لهم عساكر السارد واشتدت الحرب مع ملك نابلي الى أن قهر وفر هو وتمت وحدة ايطاليا بذلك ١٢٧٧ هـ سنة ١٨٦٠ م وتلقب فيكتور امانويل الثاني الملقب ملك ايطاليا غير انه بقي خارجا عنها بقية مملكة رومية وولاية فنيسيا التي تحت النمسا الآن امبراطور الفرانسيس في الحرب المار ذكره استشعر بان الروسيا تريد الاعلان بالحرب ضده اذا طالت المدة فعجل بايقاع شروط الصلح مقتنعا بعربة النصر عما أمكن وبذلك وحماية البابا لم تتم مدة الفرانسيس على ايطاليا ثم اتفقت على قاعدة الوحدة الجنسية المار ذكرها دعوى المانيا التي كانت اذ ذاك تحت رياسة النمسا الحق في الاستيلاء على ولايتي الهولستين والشلسويج اللتين هما من جنس الالمان وولايتهما كانت بالوراثة راجعة الى ملك الدانيمرك وأجرى فيهما قوانين مملكة الدانيمرك فادعت المانيا بلزوم اخراجهما وحوزهما بالمانيا وأعلنت بسبب ذلك الحرب بين دولة النمسا صاحبة الرياسة ومعها دولة البروسيا التي هي أكبر دول المانيا وبين دولة الدانيمرك الصغيرة واستغاثت هاته بكبار دول أوربا وكانت دولة انكلترة مع مصاهرة عائلتي الملك بينها وبين الدنيمرك مسلمة بالحق للدنيمرك ومتيقنة بان حرب المانيا معها مضر بالاخوة بالموازنة الاوروباوية حتى قال اللورد بالمرستون كبير وزراء انكلترة اذ ذاك ان هاته شرارة القيت في أوربا لا تلبث أن تشتعل منها نارا غير انه احجم عن العمل لان فرانسا كانت مخالفة له ومتعصبة لقاعدة الوحدة فاشتبكت الحرب بين المانيا والدانيمرك وغلبت هاته في أقرب وقت وأخذت الولايتين منها غير انه اشتد النزاع فيما بعد بين النمسا وبروسيا وذلك أن المانيا كما تقدم في المقدمة منقسمة الى عدة ممالك وقد كانت الرياسة عليها مترددة بين دولتين النمسا والبروسيا حسب السطوة والاقتدار واستقرت مدة الرياسة بيد النمسا غير أن الدولة البروسيانية حانقة من ذلك ولم تساعدها الاحوال للغرض وقد كان ولي عليها ملك عاقل ذو خبرة وتبصر بالعواقب وهو فريدريك الكبير فاعطى الحرية للاهالي من نفسه ومن ذلك الوقت أخذت بروسيا في التقدم واتساع المعارف وكان من قوانينها ان الاهالي كلهم تجب عليهم الخدمة العسكرية حتى انهم في وقت الحرب يكونون كلهم عساكر وبذلك صارت دولة حربية قوية أيضا غير انها مع ذلك لم تساعدها الظروف الحالية لانفاذ مقصدها في الاستيلاء على الرياسة الالمانية الى أن تولى الملك غليوم الملك الحالي

فاستوزر

فاستوزر حينئذ الماهر في السياسة والجد في العمل وهو الامير بيسمرك وكان الملك متعلقا
بافكاره حتى حصلت له صعوبة من بعض مملكته وأهل بيته بل ومن مجلس نواب الامة
أيضا عند ارادتهم ترتيب حرب بالزيادة في القوة العسكرية زعما انها الوسيلة لاتمام الامل
مع حسن اجراء السياسة في الداخل والخارج لكن الملك لم يقبل فيه قول قائل لميله
لافكاره ومقاصده حتى انه لما خالفه مجلس النواب أمر بحله وانتداب الامة الى
انتخاب غيره محافظة على سياسة وزيره وبقي الوزير في خطته وعمل بما رسمه ثم وقعت
الواقعة المشار اليها مع الدانيمرك وكانت دولة البروسيا أوعزت الى فرانسا في زمان
قاعدة الامبراطور نابليون الثالث في وحدة الجنسية واطمعتها بفوائد لو ساعدتها
ولو معنى فقط على ابعاد النمسا عن بقية المانيا كما ان بيسمرك أوعز الى بقية ممالك
المانيا بالتنفير من رياسة النمسا عليهم لانها ليست من جنسهم خاصة بل هي
مركبة من أعضاء متعددة وليس الالمان فيها الا جزأ من الاجزاء ودام اغراء
صدورهم الى أن اثر فيهم أشد التأثير ثم حصلت المنازعة بين النمسا والبروسيا على
الاستيلاء على الولايتين المأخوذتين من الدانيمرك وفي اثناء النزاع اغرت البروسيا دولة
ايطاليا بالمعاضدة معها لاخراج بقية ايطاليا من تحت النمسا فانتشبت الحرب بين البروسيا
ومعها ايطاليا وبين النمسا فكانت النمسا غالبة لايطاليا لكنها مغلوبة غلبا فظيعا
لبروسيا وذلك لان البروسيا كانت اخترعت نوعا من المكاحل تعمر من أسفلها
وينور بارودها باندفاع ابرة من اسفل المكحلة ويسمى هذا النوع المكحلة ذات الابرة
وكان أبعد مرمى وأسرع تعاقبا من النوع القديم بكثير فكانت عساكر النمسا يصيبهم
رمي عدوهم المتوالي كالمطر الدافق من غير أن يصيب رميهم عدوهم ولو بواحدة وكان
صف العساكر يضمحل بمدافعه من قبل أن يتمكن من رمي عدوه الى أن ضعفت عساكر النمسا
ولم يكن لهم من وجه للتخلص الا عقد الصلح على طلبه البروسيا ومن العجب أن ذلك
السلاح كانت عساكر البروسيا متقلدة به وحاربت به الدانيمرك عند تعاضدهم مع النمسا
ولم يلتفت اليه أحد من الدول ولا تنبهت النمسا لمقابلته فوقع الصلح ١٢٨٣ هـ سنة
١٨٦٦ م على أن البروسيا تتولى تلك الولايتين وتدخل فيها أيضا مملكة هانوفر
والهاس ودوكية ناسو وبلد فرنكفورت الحرة وان تخرج النمسا عن رياسة العصبة
الجرمانية بالمرة وتبقى ممالك جرمانيا الشمالي منها داخلة تحت رياسة بروسيا مستقل
بادارته والجنوبي منها له معاضدة مع البروسيا لكن ليس داخلا تحت رياستها الا انه

أن وقعت الحرب بين فرانسا كما سيأتي في محله كأنه عقدت شروط الصلح أيضا بتنازل
النمسا عن ولاية وينيسيا الى امبراطور الفرانسيس وهو سلمها للطليان وذلك لانه هو الذي
تداخل بالصلح عندما رأى فظاعة تقهقر النمسا ثم لما انهزمت فرانسا في حرب جرمانيا
سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م واضطرت الى اخراج جيشها من رومة تم اتحاد ايطاليا بجعل
مدينة رومة تختا للمملكة فدخلتها جيوش الملك فيكتور امانويل والثائرون بعد محاربة
ضعيفة من عساكر البابا وبقي البابا حاكما روحيا على الكاتوليك واتحد الحكم السياسي
لمملكة ايطاليا ولم يبق خارجا عنها سوى سان مرينو التي أهلها نحو سبعة آلاف نسمة
فانها مستقلة بنفسها وكذلك صان بيترو وهي كنيسة رومية الكبرى والفاتيكان وهو
محل استقرار البابا وبقيت قطعة أخرى على شاطئ البنادقة أعلى المجاورة لمرسى تريست
تحت يد النمسا وفي نفوس الطليان من الدعوى باستحقاقها ثم ان المزية في ذلك الاتحاد
ولئن كانت الى الملك فيكتور امانويل لاجرائه القوانين في ممالكه حتى أحبه سائر ايطاليا
وفاز بالشهرة بذلك وزيره كافور بمهارته وحزمه في ادارة السياسة العامة وطلب المساعدة
من الخارج وتقديم الاهم فالاهم لكن للامة الطليانية أيضا الحظ الاوفر من ذلك الفخر
حيث هيأت نفسها واستعدت لاتحاد ذلك المراد بفتح بصائرها وتمييزها الاسلم من المستقيم
ومعرفتها بما يؤول لخيرها حتى كانت تنعقد الجمعيات السرية في أقطار المملكة
وتتواصل المخابرات بينهم في الاستعداد وغرس حب الوطن والنفرة من الضيم ومن تلك
الجمعيات الجمعية المدعاة بالفرمسيون التي غاية قصدها نشر الحرية من غير اذية لاحد على
شروط عندهم وتحملت تلك الجمعيات مصاعب كبيرة في عدة جهات ومع ذلك لم يفتر
عزمهم وآثروا النفع العام على حظوظهم الشخصية الى أن وجدوا يد المساعدة من دولة
ساردو والمستعدة لما يرومونه فبادروا بها من جميع أطراف المملكة وكان كاري بالدي
مظهر وجود تلك الجمعيات التي كانت تتفق على مطلوبها كاتفاق دولة على عساكرها وذلك
الزعيم لما تم مقصد ايطاليا رامت الدولة مكافأته بترقيته في الرتب العالية فامتنع بجعله
الفخر لبلاده وأبى قبول شيء مما عدا احتياجه ومن أهم مساعدات الاتحاد أيضا وجود قاعدة
نابليون الثالث المار ذكرها يقال انها موسسة منه قصدا لانه يدعى بانه كان من أعضاء
الفرمسيون وانه لما كان مقيما بايطاليا وعد جماعته بالمساعدة اذا تولى مملكة فرانسا
واعانته لها اعتبار عظيم لانها كسرت سورة أهل ذات الشأن فلو لم تقع مساعدة فرانسا
لكانت النمسا أول مقاوم لشوكة الاتحاد ولو أنها ترى الحرب لاجل ذلك مع غيرها

(كنابلي

(كنابلى مثلا) لانها تعلم ان الماركيز بالحضرة لها حجة قبل أن يسم حكمكم فيه فرانسا الاتنكر فى
ذلك لان احياء الامة بعد الاندثار وتغلب الدول العظيمة عليها لا يمكن بدون مساعدة
دولة ذات شأن واقتدار كما يثبته الاستقراء ومن غرائب ما سمعته منهم من جهة علوم الحدثان
هو أن نابليون الثالث زار ايطاليا اثر تمام اعانته لها وفى مسامرة الوليمة التى أعدت
له من ملك ايطاليا كانت امرأة عجوز من الاعيان حاضرة فاجتمعت بالامبراطور مع بعض
الاعيان المقربين اليه وقالت له هل وجدت ما قلته لك صدقا فقال نعم فقالت لكن
ما أدرى كيف الحال فى الباقى فقطعها وقض المجلس فسألها أحد الحاضرين عن معنى
كلامها فقالت انها تعلم نوعا من الحدثان وانها كانت أخبرت نابليون مدة هروبه بايطاليا
قبل ولايته على فرانسا بجميع ما يقع له ومنه أنه يخلع بعد حرب وقد حان وقتها ولذا قطع
الكلام وقد رويت هاته الحكاية عن ثقة قبل حرب فرانسا وبروسيا ١٢٨٧ هـ سنة
١٨٧٠ م فلم يطل الزمن حتى كان الامر كما ذكرت والله أعلم بكيفية علمها بما ذكر فان
بعض أنواع ذلك الحس لا يتوقف على صلاح ولا على دين بل كانها هو صناعة وفى مقدمة
ابن خلدون كفاية لبيان ذلك (واما اسماء ملوك ايطاليا) فان لها الآن ملكان فقط
(الاول) فيكتور امانويل الثانى ابنه امبيرتو (وذلك) لقرب العهد بالاتحاد ثم ان الملك
الاول كان ملكا على سردونية وهو من عائلة ساقو بالتى لها رسوخ فى الملك والامارة
من قديم

مطلب

﴿فى الادارة الداخلية﴾

(اعلم) ان الادارة عندهم منقسمة الى كليتين (الاولى) هى ما يتعلق بالادارة العامة
(والثانية) ما يتعلق باجراء الاحكام الشخصية (فكل) منهما ادارة مستقلة عن الاخرى
ولا دخل لها فيها وكل من الادارتين راجعة الى رئيس الدولة وهو الملك فدولة ايطاليا
دولة ملكية والملك بها ادارة السياسة العامة داخلية وخارجية ورياسة القوات الحربية
برية كانت او بحرية وعقد المعاهدات والحرب والصلح ورياسة الاحكام الشخصية
وتنفيذها لكنه لا يتصرف فى كل ذلك الا على مقتضى قانون مرتب معلوم وملخص
كيفيته ان الملك يتصرف فى جميع ما تقدم بواسطة الوزراء وهو ينتخب الوزير الاول
اى صاحب رياسة الوزراء ويكلفه بأن ينتخب هو بقية الوزراء ممن توفرت فيهم شروط

الاهلية وبعد اختيارهم يعرضهم على الملك وهو يوظفهم فى وزاراتهم وهى وزارة
الداخلية والخارجية والمال والاحكام والتجارة والمعارف والمنافع والديانة والحرب
والبحر وقد يتقلد رئيس الوزراء احدى تلك الوزارات مع الرياسة وقد يجمع بين
صغارها كالتجارة والمنافع والمعارف وكل وزير له حدود فى ادارته يكون هو المسؤل عنها
(وهناك) مسائل تجتمع فيها المسؤلية على الجميع وما يستقر عليه رأى الوزراء منفردين
أو مجتمعين يمضيه الملك وان لم يرد يعرضه على المجالس الآتى بيانها فان وافقوا الوزراء
امضى الملك وان خالفوهم وأصر الوزراء على رأيهم لزمهم الاستعفاء وينتخب الملك غيرهم
كما انه اذا وافق الملك الوزراء وخالفهم المجالس فللملك الخيار ان شاء انتخب وزراء آخرين
وان شاء حل المجلس وأذن العامة بانتخاب غيره ومن حقوق الوزراء المصورة فى مجالس
النواب والاعيان المناضلة عن أعمالهم ثم وراء أعمال الوزراء مجلسان (أحدهما) يسمى
مجلس الاعيان ووظيفة أعضائه عمرية وينتخبهم الملك من عموم أهل المملكة لاعيان
وأعيان المتوظفين وجميع أعضاء العائلة الملكية اذا بلغ الرجل منهم احدى وعشرين
سنة ولكن ليس له رأى وصوت يقبل الا اذا بلغ خمسا وعشرين سنة ولذلك لم يكن
عدد أعضاء المجلس محصورا وكانت تقتضى قواعدهم أن يكون من أعضائه كبراء
الديانة الكنيسة لما كان الباب صاحب الملك الا انه لما حدث نزع عنه السلطة الملكية
كان جميع رؤساء الديانة مضادين للحكومة الطليانية ويرونها غاصبة فلا يتداخلون
فى أمورها بل هم ساعون فى ابطالها واعادة سلطة الباب لكن العقلاء منهم الذين يؤثرون
نفع الامة عموما على حظ نفوسهم يعملون ما ذكر ظاهرا وقفا قياما بواجباتهم الدينية
وأما باطنهم فهو مع الدولة (ووظيفة) هذا المجلس هو الرأى فى الاحتساب على أعمال
سائر المتوظفين وفصل النوازل التى يقع فيها الخصام بين المتوظفين مما يرجع الى الوظيف
واستحسان أو استقباح ما يرد من مجلس النواب بحيث لا يمضى شئ من ترتيباته الا بعد
مصادقة مجلس الاعيان عليه وهو الحاكم فى الجنايات السياسية (والمجلس الثانى)
هو مجلس النواب وأعضاؤه تنتخبهم الاهالى من عموم المملكة فكل قسم من المملكة
ينتخب عددا على قدر عدد سكانه بأن يكون على كل خمسة وثلاثين ألف نسمة عضو واحد
بشروط فى الذين ينتخبون وهى أن يكون كل منهم ذكرا ايطاليا بلغ من العمر خمسا وعشرين
سنة وان يكون غير محجور عليه وان يعرف القراءة والكتابة وان يكون مؤديا للدولة
أربعين فرنكا فى السنة من أى طريق كان من أنواع الاداء ويستثنى من هذا أقسام لهم

اعتبار

اعتبار بالعلم والتجارة فلهم الانتخاب مطلقا كما يشترط فيمن ينتخب لأن يكون عضوا أن
يكون طائعا أبيا وأن يعرف بالرشد وأن يبلغ ثلاثين سنة وأن لا يكون متوظفا له مرتب من
الدولة ثم بعد توفر الشرط لا يختبر إذا لم يبلغ عدد أهله في المجلس قدر الخمس ووظيفة هذا
المجلس هي المحافظة على القوانين الموجودة وتغيير ما يرى تغييره وتحرير ميزان الدخل
والخرج وترتيب كيفية توزيع دخل الدولة على الأهالي والاحتساب على جميع أعمال
الدولة ويوجد مجلس آخر يسمى مجلس الشورى ينتخب أعضاءه الملك من أعيان
المتوطنين ووظيفة هذا المجلس هي إعطاء الرأي فيما يعرضه عليه الوزراء من المسائل
وتهذيب القوانين لتعرض على من له قبولها من المجالس ثم إن تنفيذ جميع الأعمال
[illegible] بالوزراء وهم المسؤولون عما يقع من الخلل عند مباشرتهم أو بواسطة من يعينونه
[illegible] في الوظائف ومن فوقهم مجلس النواب ومجلس الأعيان وهذا هو ترتيب تصرفات
الد[illegible] (وأما) الإدارة في الولايات فقد تقدم أن المملكة منقسمة إلى اثنتي عشرة ولاية
كبرى [illegible] منها أقسام حتى صار مجموعها تسعة وستين ولاية ثم الولايات في ذاتها لها
(أقسام) صغرى وهاته تضم أقسام أصغر منها ولكل ولاية وال منصوب من الدولة وله
مجلس يسمى مجلس الملك ومدة وظيفتهم ست سنين ومأموريتهم هي تنفيذ أوامر الدولة
وتنفيذ ما يستقر عليه رأي مجلس الولاية الآتي ذكره وطلب التدبير فيما يصلح الولاية ثم
وإمضاء ما بعد موافقة المجلس المذكور عليه وفي كل ولاية أيضا مجلس أعضاؤه تنتخبهم
الأهالي أمد خمس سنين ويبدل نصفهم كل عام وعددهم على حسب عدد سكان الولاية
لكنهم لا يتجاوزون الثمانين فما دون إذا كان عدد السكان أزيد من ثمانمائة ألف
وينقصون إن كان عدد السكان أقل ومدة اجتماعهم مرة في السنة تدوم على قدر الحاجة
ومأموريتهم هي تعيين المقادير اللازمة للصرف في مصالح الإيالة كتمهيد الطرقات وبناء
الجسور والمكاتب والمستشفيات وتحسين البلدان وغير ذلك ثم أول ما يعتبر في مقدار الدخل
المقدار الذي يحصل من الأوقاف المعينة لمصالح الولاية ثم ما يزيد عليه من المصاريف
يوزع على الأهالي على نسبة ما يدفعونه لداخل الدولة ومن وظائفهم أيضا تعيين حدود
الولايات وتغييرها فيما بينها على حسب ما تقتضيه المصلحة (ويوجد) في كل ولاية
(أيضا) مجلس مركب من الأعضاء المنتخبين من تلك الولاية لمجلس النواب العام
ومأموريتهم مستمرة ما داموا أعضاء بمجلس النواب وأمورهم هي قبض وصرف المبالغ
المعينة من المجلس السابق بواسطة الوالي وعماله ولهم الاطلاع على سائر أعمال المجالس

والمصالح المدارة في ولايتهم ثم ان كل وطن تحت الولاية فيه نائب عن الوالي مأمور بذمته
الاحتساب على أعمال المجالس البلدية الآتي ذكرها وبقية ما يراه من أعمالهم
مخالفا للقوانين وانهاؤه الى الوالي ثم في كل جهة وبلدة مأمور من الدولة وله أعوان مكلف
بحفظ راحة السكان وحراستهم من الجنايات والتشاجرات وهم المعروفون بالضابطية كما
(يوجد) في الاوطان أقسام من العساكر ومكلف بكيفية أخذ العساكر من الاهالي على
مقتضى القانون (وكذلك) يوجد في كل بلد قرية أو مدينة مجلس بلدي لا تتجاوز أعضاؤه
الستين في سائر البلدان الكبيرة وينقصون في غيرها على حسب كبرها ينتخبهم أهالي
البلد لمدة خمس سنين كما تقدم في غيرهم وشروط انتخابهم كشروط مجالس النواب بنقص
في شرط مقدار الاتاوة للحكومة ومأموريتهم ما يتعلق بمصالح بلادهم والاحتساب على
الضابطية ومدة اجتماعهم مرتان في السنة أو عند الاقتضاء ثم ينتخبون منهم لجنة
أعضاؤها على سنة ولا ينقصون عن أربعة بحسب عدد سكان البلد وتحت [illegible]
البلد لاجراء المصالح المتفق عليها في بقية السنة ومن حقوق صاحب ال[illegible]ان ايقاف
جميع المجالس المتقدم ذكرها اذا رأى ما يوجب ذلك بشرط أن ينتخب غيرهم وفيما
يرجع الى انقلابه ويدعو الامة الى انتخاب من يرجع الى انتخابها في مدة لا تتجاوز
الثلاثة أشهر وفي مدة التعطيل يكلف الملك من يجري المصالح التي ترجع الى المجلس
المعطل ويكون عليه مسؤلية ما يجري به ولا يعزل صاحب وظيفة الاعيان بذنب أو ينقل لغيرها
فهذا كله في القسم الاول من الادارة وهو الادارة السياسية (وأما) القسم الثاني
وهو الادارة الحكمية فان في كل بلد مجلسا يحكم في الحقوق الشخصية ثم في كل قاعدة
من قواعد الاوطان مجلس لتحقيق الاحكام الصادرة من مجالس أحكام البلدان الراجعة
لتلك القاعدة عندما يطلب الخصم تحقيق الحكم (ويستثنى) من ذلك النوازل الصغيرة
ثم وراء ذلك مجلس آخر لنقض أو ابرام أحكام مجالس التحقيق اذا طلب الخصم ذلك أيضا في
نوازل معينة ثم في كل بلد مجلس للجنايات مخصوص ومجلس للصلح بين الخصوم اليه
وأحكام هاته المجالس يستندون فيها الى قوانين مرتبة عندهم غاية مستخرجة من
عدة قوانين قديمة للرومان واليونان وغيرهم موصلة للحقوق الى مستحقيها على ما يرونه
وزاجرة عن الجنايات ومراعى فيها حالة البلاد وأخلاق الاهالي وعوائدهم واصطلاحهم
ومجلس النواب يغير من قوانين الحكم ما تدعو المصلحة لتغييره بحسب تغير الزمان
والعرف وقوانين الحكم مما يتوصل اليها كل أحد ليعرف ماله وما عليه واذا تغير

عندهم

عندهم حكم مسئلة لا يجرى العمل بها الا بعد مدة لكى يكون الناس عالمين به وأحكام
مجالس الحكم وسماعهم للدعوى والجواب يكون علنا ولكل من أراد الحضور فى
تلك المجالس أن يدخل اليها ويجلس فى مكان معد لذلك ليسمع ويرى لكنه ليس له
التدخل فى شئ من اعمال المجلس نعم اذا رأى شيئا مخالفا للقوانين فانه يرفعه لمن له النظر
فى حفظ القوانين أو يكتبه فى الصحف الخبرية ليعاقب به وليس فى قوانينهم العقاب بالجلد
وانما يعاقبون بالقصاص فى النفس وفى غيره بالغرم المالى والسجن على حسب الجناية
فى درجة عذاب السجن ومدته واحكام المجالس تنشر فى الصحيفة الخبرية المعدة لذلك
لكى يعلم الحكم من اراده من العموم ووظيفة أعضاء مجالس الاحكام عمرية لا يعزل صاحبها
عزل عقاب ولا تأخير ليكون فى اجراء الاحكام آمنا الا اذا ثبت عليه ذنب بمقتضى القانون
فانه يعزل ويعاقب ثم ينقل المأمور من مجلس الى غيره ومن بلد الى غيرها وذلك يدور بر
الاحكام على قانون لهم فى ذلك ولعموم الاهالى والواردين أيضا الحضور فى مجلس النواب
ومجلس الاعيان لسماع معارضاتهم ولاصحاب الصحف الخبرية مكاتب يحضرون فى تلك
المجالس لينشروا جميع المعارضات وكذلك فيها بيت معد لذلك اذا اراد الحضور الغير
الرسمى وفيها بيت معد لمن اراد الحضور من أعيان الاهالى والامراء والوافدين تعطى
لهم أوراق الاذن بالدخول اليها من الوزارة كما أن العامة انما يدخلون بورقة الاذن
من الرئيس والحصول عليها سهل وانما يلزم الاذن لكى لا يزدحم الحاضرون فى مكان
الاجتماع بان يكون عددهم أكثر مما يسعه المحل ولان فى المجالس جلسات سرية
يضر افشاء خبرها فلا يسمح عندها بحضور غير الاعضاء بل ربما اعترى ذلك فى وسط
الجلسة الجهرية فيؤذن للحاضرين بالانصراف

مطلب

قد تلخص مما تقدم ان دولة ايطاليا هى دولة مملكية قانونية شورية وللاهالى الحرية
الشخصية والسياسية فاما كونها مملكية فلان الرياسة والتصرف العام هو بيد ملك
وراثى أعنى أن الملك ينتقل من الاب الى ابنه الاكبر فى عائلة مخصوصة ومن هذا الى
ابنه الاكبر وهكذا وبقية العائلة الملكية تتقدم فى الوظائف كسائر أعيان الاهالى على
حسب التأهل (واما) كونها قانونية فلان التصرفات العامة والاحكام الخاصة كلها
منضبطة بقوانين مدونة معروفة (واما) كونها شورية فلان تطبيق تلك

القوانين على الحوادث منوطا بآراء متعددة ووراءها أنظار أخر متعددة بحيث لا يخفى
شيء الا ما يستقر عليه غالب آراء أهل الحل والعقد (وأما) كون الحرية الشخصية
للاهالي فلان كلا منهم له الاطلاق في التصرف في نفسه وكسبه داخلا في دائرة حدود
القوانين لا يخشى من مجاوزتها عليه وهي كافلة له بالامن في دينه ونفسه وماله وعرضه
(وأما) كون الاهالي لهم الحرية السياسية فلان كلا منهم اذا تمت فيه الشروط المؤهلة
من صفاته الذاتية فله التداخل في تدابير المصالح الكلية العائدة لوطنه ولكل منهم نشر
أفكاره على العموم بواسطة المجامع أو المكاتب والصحف الخبرية على شرط عدم الخروج
عن حدود القوانين المراقب لها في جمهور بني جنسه

مطلب

﴿في السياسة الخارجية لايطاليا﴾

(اعلم) ان دولة ايطاليا الآن هي سادسة الدول الاوروباوية الكبار وهي المانيا وفرانسا
وانكلترة والنمسا والروسيا وايطاليا فاولئك الدول بما لهم من القوة واتساع نطاق
التمدن صار لهم المداخلات في كل ما يمس حقوقهم من سياسات العالم وشدة مراقبة
بعضهم لبعض لا تترك احدا منهم يتداخل في شيء يكون منه لمس حقوق الآخرين ولو في
الوجاهة والنفوذ ولكنهم عموما يتجنبون المداخلات في أحوال الدول ذات الانتظام
لا لمجرد مراعاة الانتظام بل لان الانتظام يسد غالبا على أبواب المداخلات بسبب استناد
أصحابها الى أصولهم وآراء العموم مع جريان سيرتهم على استقامة من القيام بواجباتهم في
أنفسهم والوفاء بحقوق المعاهدات الاجنبية ومع ذلك فالقوة في الدول الكبيرة تغري
بالتداخل في أحوال الضعيف كيفما كان الحال لكن الغيرة والتحاسد بين الكبار
يوجب ردع بعضهم بعضا فاذا كان المصوب اليه سهام التداخل مستقيما في نفسه وجد
رقبة الدول الكبار مستندا لردع الجاني منهم على الضعيف اذ اختلاف منافعهم ومباينة
مقاصدهم موجبة للاختلاف وعدم الاتحاد على الاضرار بالضعيف حيث ان الاضرار
به لا يمكن أن يوفي بأغراض جميعهم فلا يسمح أحدهم برجحان كفة غيره على كفته
ولذلك تجد الضعيف راحة من اختلافهم الذي كانت أعماله باستقامته سببا فيه (أما)
اذا كان في نفسه غير مستقيم تورث سيرته الكوارث التي تقلق جميع الدول الكبيرة
فيتفقون على ضياع بعض أغراضهم لسد باب التشاحن من قبيل ارتكاب أخف
الضررين

الضررين وذلك لا ينشأ إلا في الجهات التي تشترك فيها منافع الجميع (أما الجهات) التي
تختص ببعضهم فإن المشاحنة إنما تقع بين من له تشارك فيها فقط ولذلك كان لدولة
ايطاليا مراقبة لأحوال شطوط البحر الأبيض وكل الدول المجاورة لها ولم يكن يعنيها
ما يقع في غربي أوربا ولا ما يحصل في الصين والهند وأمثال ذلك ثم ليست درجة قربى
أوربا منها كدرجة الصين والحاصل أن تداخلها هي أو غيرها على حسب منافعها
السياسية والتجارية ولذلك كانت لها معاهدات مع الدول التي لها معها علقة في السياسة
أو التجارة وهاته الدول هي جميع دول أوروبا والدول التي على شطوط البحور من آسيا
وغالب جهات أفريقيا ولها سفراء ونواب عنها في تخوت تلك الممالك وهم على صنفات
في المقام فلها سفراء من الدرجة العليا في الدول العظيمة التي لها معها خلطة سياسية
معتبرة ولها سفراء من الدرجة الثانية في غيرها من الدول المستقلة التي لها معها
معاهدات ولها قناصل وهي رتبة أقل من السفير في الحكومات الغير المستقلة أو التي
هي صغيرة وتارة تكتفي بما لها من نواب بمجرد التشريف بالرتبة من غير مرتب أو تكلف
نواب بعض الدول الأخرى بكل ذلك في الجهات التي تقرر حاجتها معها ولكل سفير أو مكلف
نواب وأعوان وعمل إدارة يسمى بالسفارة له وزير وينفق عليه الأموال في المرتبات
وغيرها وكل دولة فيها سفير من ايطاليا يلزم أن يكون لها هي أيضا سفير فيها على قدر
مصالح تلك الدولة وهي قاعدة مطردة في سائر الدول بالنظر لسيرتهم في الخارجية
ومن سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م دخلت ايطاليا في عقد المعاهدات العامة بين
الدول الكبيرة وإن كانت إذ ذاك دخلت بصفة دولة سردانيا حيث إنه عقد الصلح بين
الدولة العلية والروسيا وعقدت له شروط معاهدة باريس التي اجتمع لها نواب الدول
الكبار الست الأوروباوية ونواب الدولة العلية ووضع الجميع على المعاهدة وكان منهم نواب
سردانيا بالدخول دولتهم في الحرب كما سبقت الإشارة إليه

فصل

(في بعض عوائد أهالي ايطاليا وبعض صفاتهم)

اعلم أن سكان ايطاليا من أبناء أجناس من الأمم الذين وفدوا عليها قديما واتحدوا لجميع
بصفة الطليانيين منذ قديم وديانتهم عموما مسيحية على المذهب الكاتوليكي وهو مذهب
الدولة وكثير منهم تفننوا في العلوم الرياضية فأدتهم الطبيعيات فصاروا لا يعتقدون شيئا من

الديانات ظنا منهم انها جميعا مردودة بالعقل مثل ما يرون من عقائد ديانة النصارى واليهود
لكن عقلاؤهم يقرون بان لها حدودا ولو اطلعوا حقيقة على حقائق الديانة الاسلامية
لما وسعهم من الانصاف الا اتباعها لما اتفقت للعقل وسطوع برهانها او السؤال من
عدم ابلاغ الشريعة اليهم على حقيقتها هم من أناط الله بهم ذلك على ما سيأتي ايضاحه
في الخاتمة ان شاء الله تعالى وكان ابطالها هم بعض أقوياء مذهبهم أكثر اهاليها ملحدون
(واما القرى) والبوادي فهم على الشريعة ولاعتقاد التقليدي البحت للقسوس وهم
اصحاب حذق في العمل والاشتغال واصحاب الاعمال البدنية يبكرون الى اشغالهم (واما)
ذوو الشرف والاحكام فانهم يطلبون السهر ويقفون من نومهم متأخرا ولا يبتدئون
الاشغال الا قبل الزوال بساعة او ساعتين او عند الزوال وكثيرا ما يدعو الاحباب بعضهم
بعضا للسهر والرقص في منازلهم وتارة يدعوهم للعشاء مع ذلك وتارة يقتصرون
على تقديم فواكه وحلويات وبخور وليس من عاداتهم الحياء مثل ما هو عندنا فترى
المرأة تخاطب زوجها وتداعبه امام والديها بل وتفعل مثل ذلك مع خطيبها وترقص مع
الرجال امامهم هذا في البنات فكيف بالنساء وعندهم ان الرقص ليس عيبا من
النساء فترى أكبر الاعيان يحتفل في داره بدعوة عامة ويصير ابنته او زوجته او احدى
النسوة الاعيان المدعوات تمشي في ذلك الملأ وترقص مع الرجال على اشكال شتى من
معانقة ومخاصرة وغيرها ولا يتهم من ذلك بل يرونه كرامة حيث ان المسلم الغيور يكاد
يتفطر مما يرى (واما الرجال) الاعيان فالرقص عندهم مع النساء ولو في الملوك غير
معيب لكن الغناء منهم معيب والنسوة يخرجن مكشوفات الوجوه ومسلطين من اشتغال
مثل الرجال الا لاشتغال الشفقة والتعاليم للعلوم العالية ويصاحبن الاجانب عن قرابتهن
مثل الرجال ويقول رجالهم ان الذي حمل المسلمين على حجب النساء ما قاله بعضهم من
الديانة وشدة حجب توجب شدة الشوق وحيث انا على خلاف ذلك فالامر على نقيضها
عشق والتي لا يحجبها عن وصلها الا حجابها فاندارها هذا مدار كلامهم وهو غلط فاحش
اذ موجب حجب امر طبيعي في سائر البشر بل في سائر الحيوانات ومن المعلوم ان لكل شئ
سببا فرؤية البنت والوجه مكشوفا ثم المكالمة ثم المداعبة ثم الرقص في حالة شرب الخمر
والطرب ثم المخاصرة كلها اسباب تدعو الى الاتفاق طبعا الى ما وراءها بلا شك واثبات
ذلك بالوجود اقوى دليل حتى صار من عوائدهم ان البكارة هي التي لم تتزوج صاحبتها
من غير نظر الى حقيقتها الاصلية والزيادة على هذا في الاستدلال خارج عن موضوعنا

ومنهم

ومنصوص بقرب ذلك لا عبرة له وقد غلط من ادعى ان ديانة النصارى تمنع النظر لوجه المرأة وهو
جهل به لعدم التفرقة بين كون وجه المرأة ليس بعورة وكذا كفاها وقدماها حتى يجوز
لغير محرمها النظر الى تلك الاعضاء وكذلك النسوة أمثالها وبين كون الوجه يجب ستره
عن الرجال الاجانب مطلقا لخوف الفتنة بنص الكتاب في قوله تعالى وليضربن بخمرهن
على جيوبهن الآية وذلك هو الحق المستقيم والمشاهدة أقوى دليل فكل بلاد حافظت
على ذلك قلت فيها الفاحشة حتى كادت أن لا تقع وكل بلاد تساهلت في خروج النساء
مكشوفات الوجوه بالبرقع الصفيق وغض النظر عن مكالمة النسوة للرجال والمزاحمة
في الاسواق والحمامات فشت فيها الفاحشة واتخذ رجالها جهرا مسارتهم بالكلام ومواعدتهم
مع النساء سواء كانت بلادا اسلامية أو افرنجية وقلب الحقائق واخفاء الجهر وعكس
الطبائع ليس في الوسع ولا تحاوله ذو انسانية وأهالي ايطاليا يستعملون الموسيقى ذات
آلات النفخ وذات الاوتار وهم بارعون فيها والحانهم هي الحان الاروباويين وهي ألحان
مخالفة للالحان المعروفة عند المشرقيين والعرب واهالي افريقية الشمالية حتى ان
هاته الالحان لا يحصل منها ما يحصل من السماع لهؤلاء وبالعود تصير موثرة في النفس
ولها انغام مخصوصة معتنى بها ولا يدرونها الا على تطبيق لما هو مرسوم في أوراق خاصة
من اشكال بقدر اصوات النغمات بحيث ان كل صاحب آلة تكون امامه تلك الاوراق
ينظر فيها ويدق على قدرها ولا يدرون من محفوظاتهم الا قليلا واهل البادية وبعض
القرى لهم آلات من مزامير بالجلود ينفخونها بلا أوراق وفي كل بلدة مراسح للعب
والتلاهي على حسب كبر البلدة تفتح ليلا للسهر وتشكل فيها العاب على صور تاريخية
مرئية أو للغناء والسماع ولهم تقدم وشهرة في ذلك على سائر اهالي اوروبا والاهالي عموما
ذوو رجولية في التمسك بالآلات الحربية حتى لا تكاد تجد من لا يحمل السلاح الصغير
الحديد معه ويركبون الخيل رجالا ونساء غير أن المرأة تركب السرج بلا فتح رجليها
بل انها تثني رجلها اليمنى على مقدمة السرج ورجلها اليسرى تضعها في الركاب وعادة
الاهالي في السلام عند الملاقاة هي المصافحة مع هز اليد ويقول احدهما للآخر يوم
حسن أو ليل حسن واذا قدم مسافر على جيرانه أو قريبه قبله في فمه ولو لولد مع والده أو
امرأة مع قريبها لكن النسوة يزدن ان المحبات متى اجتمعن قبلن بعضهن في الافواه
والرجال لا بد في سلامهم من كشف رؤوس بعضهم لبعض والقبيح بالنسبة للرضيع
يضع يده على قلنسوته كأنه يريد رفعها ثقة واذا دخل وارد على آخر في بيته لا يجلس

الأوقات مكشوفا الرأس وهي عادة جارية في علومهم في بيوتهم مكشوفي الرؤس إلا من
كان به أذى من رأسه ومن عاداتهم أن لا يمدوا المشي لملاقى القادم لكنهم يمدون
التشييع ومن الآداب أن يحدث أحدهم كلاما لصاحبه عند الفراق ويهز في حالة
الوداع ويتصافحون أيضا عند ذلك

مطلب

(في البورزة)

اليابانيون لهم مهارة في التجارة كغيرهم من أهالي أوربا وأمريكا ويحبون والذي وسع
تجارتهم هو عقدهم الشركات فأموال الواحد لا تكفي لمزيد الاتساع في التجارة ولذلك
يعقدون شركات ذات أسهم عديدة ويقبضون الأثمان من أصحابها بأثمانها ويكون
لشركاتهم فروع في الأقطار التي يواصلون معها التجارة ويعلمون كيفية التجارة
والبضاعة وأسعارها وكيفية مبادلاتها بواسطة الصحف اليومية وبأوراق وكتب يودعونها
عمالها ويرسلون الرسل لاكتشاف تجارات البلدان والأقطار التي تعدت ويشهرون بها
تجارتهم ودواتهم ثم عمومهم في أسهمهم وأموالهم أينما حلوا ولا تقتصر تجارتهم على تتابع
بلادهم ثم إذا لم توف أموال الأفراد أو الشركات بالمقصود من التجارة تراهم يقترضون من
دار الصيارفة وهؤلاء الصيارفة هم ذوو الأموال إما أن تكون لواحد أو لجملة أو لعموم
بأن يكون كل من له شيء من المال ولا يريد التعب في ترويجه وأراد ربحه بلا ضرر أو غيره فإنه
يدفع ماله لإحدى دار الصيرفي المسماة عندهم بالبنوك ويأخذ منها حجة في مقدار ما دفع
وتاريخه ويأخذ على ذلك ربا في كل سنة وهو لا يبلغ أو ستة على المائة في السنة ومتى أراد
رأس ماله فإنه يحاسب على مقدار ما بقي عند الصراف ويأخذ ربحه ورأس ماله حالا
وكذلك إذا أراد أخذ البعض من رأس المال فله ذلك وكذلك إذا أراد إرجاع ما أخذ أو
أكثر أو أقل فله أن يدفع متى أراد ويأخذ متى أراد ويحاسب متى أراد فيحصل بذلك إدارة
أموال العاجزين مع أرباحهم ثم إن البنك الذي يأخذ الأرباح على هذا المذكور يدفعه لمن
يريد الاستقراض بزيادة في مقدار الربا على ما يعطي هو وهذه الزيادة محدودة لا تتجاوز
العشرة على المائة في السنة بكل من مقدار المدفوع والمأخوذ يختلف بحسب البنوك
والبلدان لكنه على كل حال لا يتجاوز الحدود المذكورة المعينة بالقوانين حتى إن من
تجاوزها يعد مرتكبا إعطاء البنوك المال للمقترضين إما بكون برهن أو لمن له اعتبار

يأتمنه به صاحب البنك ثم ان بعض أصحاب البنوك تجيزهم الدولة على قانون معلوم بان
يحرروا أوراقا تتداولها الناس عوضا عن النقدين بشرط أن لا تتجاوز النصف مثلا من
مقدار رأس المال وبعض تلك البنوك مخصوص بالفلاحة وبعضها بالطرق وعما تقدم تجد
التجارة رائجة بين أيدي السكان بأكثر من أضعاف كسبهم وأهم الوسائط التي يديرها
الحوالات المالية وهي ان التاجر يشتري شيئا أو يأخذ مالا من أحد ويعطيه حوالة يقبض
ما يطلب منه على أحد التجار أو البنوك على أن يقبضه في تعيين يوم وهو الأكثر وربما
وتارة يكون أقل أجلا وتارة يكون أكثر وعند بلوغ تلك الحوالة للمحال عليه يوقع
عليها بالقبول ليدفع في الأجل وقبل حلول الأجل يرسل الحامل المال لمن باعه أو عما
قيمته من حوالة أخرى بحيث ان المحال عليه يدفع المال في أجله من غير أن يخرج من
ماله شيئا مع ربحه بجزء من المال لأنه يلزم الاتفاق من قبل بين المحيل والمحال عليه في
قبول الاحالة وفي مقدار ما يربحه ولا تتجاوز النصف في المائة وتارة يكون بلا ربح بالمرة
لمصادقة أو معاوضة عتاقبينهما كأن المحال عليه يربح في قبضه ماله نسيئة أصلا أو يسيرا
والمحيل يربح لأنه يتجر في مال ليس له فيه رأس مال ولكن مع ذلك كثيرا ما يعتري
الافلاس تجارهم وبنوكهم لأن من أحكامهم أنه اذا حان الأجل ولم يدفع المؤجل ما عليه
في الحال يفلس ولذلك كانت أكثر البنوك بباريس التي لها أوراق مالية لا تصرف
الا بخسر بالصرف بالعين لاحتمال الافلاس ولا تتداول خارج المملكة بل ولا خارج
المدن الا بنك الدولة فانه رائج في جميع مملكته فقط وفي كل مدينة محل مخصوص للمناداة
على المتاجر المالية يسمى بورصة يجتمع بضع ساعات عند الزوال اذا دخله الانسان يجده
محتبكا بالخلق وانصعب أصوات السماسرة ينادون على أوراق ديون الدول وأوراق
الشركات التجارية الكبيرة ذات الحصص كطرق الحديد وخليج السويس واشباهها
وكثير من التجار يعاملون في تلك المتاجرة لأن بعضهم لا يشتري ولا يبيع الا باليد
وهؤلاء لا يعتريهم الافلاس الا النادر لأنه اذا انحطت أسعار ما اشترى لا يطالبه أحد
بشيء وانما يصبر على خسرانه الى ان ترتفع الأسعار وبعضهم يكون ليس له رأس
مال لما يشتريه وما يشتريه الناس حاضرين ومؤخرا زمن الشهر ويعتمد على أن
ما يشتريه اليوم يرتفع سعره غدا أو بعد أسبوع فيبيعه ويأخذ الربح ويحيل المشتري على
البائع منه المشتري ويخرج من البين بالربح وكثيرا ما يربحون بذلك أموالا جسيمة وكثيرا
ما يخسرون في أول صفقة بان ينحط السعر عما اشترى به ويحل الأجل فيلزمه دفع الثمن

وأخذ المجموع أو دفع مقدار الحمران فقط فيستغرق كسبه في كرة واحدة أو عدة كرات
وهذا النوع لا يحكم به الحاكم عندهم لأنه يراه من المقامرة لكنه لا يمنع منه فالمفلس
يقاص نفسه بغير حكم لكي لا يسعه اعتبار من جاه أن يربح مرة أخرى بعد إمالة القمار إليه وما
تقدم كله من أسباب الثروة واتساعها وسيأتي في مخابرة إن شاء الله تعالى ما يجوز أثناء
شرعا عمله وما هو ممنوع ومن أعظم أسباب الثروة واتساع التجارة تسهيل الطرق لنقل
البضائع بأجرة يسيرة وزمن قليل وكانت الطرق الحديدية أعظم وسيلة لذلك حسبما تقدم
في الكلام على تونس ولكن الطرق الحديدية وحدها غير كافية لأنها إنما تمر على
الأماكن لا كثيرا فلزم لها طرق فرعية صناعية لجلب البضاعة بسهولة لمراكز
الطرق الحديدية ولذلك كانت سائر الجهات في إيطاليا لها طرق صناعية ومن أعظم
وسائل التجارة والعمران انتظام البريد وهو أن الدولة تجعل أماكن في سائر البلدان
لوضع المكاتيب في محل منها ويؤدي صاحب المكتوب أجرة على حمله أجرته بعد بالأوراق بأن
يشتري ما فيه من الورق عليها علامة مخصوصة فيلصقها عليه صح قبل الصمغ ويلصق
البطاقة على المكتوب بحسب ثقل المكتوب في زيادة الأجرة ويكتب عنوان المكتوب
باسم المرسل إليه وبلده وحارته وعدد منزله فتحمل المكاتيب من كل بلد في الرتل لها
مركبة خاصة بها ولها ذات أقسام ومستخدمون فمهما أتى المكاتيب إلى المركبة في وسط
سير الرتل ويشتغل المستخدمون في توزيع المكاتيب على أسماء البلدان ويفرزون كلا
على حدته ومهما وصل الرتل إلى بلد أقبلت أتباع البريد عن محل إلى تلك المركبة ودفعوا
لها ما عندهم وأخذوا منها ما يخص تلك البلدة ثم يسير الرتل وهكذا وكل بلدة أخذت
المكاتيب من الرتل يؤتى بها لمحل البريد وتعطى لأرباب يوزعونها على أصحابها حسب ما هو
معنون عليها وإذا وجدوا المكتوب مرخالص الأجرة يوصلونه للمرسل إليه فإن دفع أجرة حمله
وهي أداء له مضاعفة سلم إليه المكتوب وإلا أرجع إلى محل البريد وحفظ فيه مدة ثلاثة
أشهر فإن جاء صاحبه باحثا عنه أدى أجرته وأخذه وإلا فتح فإن وجد به اسم مرسله رجع له
أرجع إليه وأخذ منه الأجرة مضاعفة وإلا أحرق وهكذا أيضا إذا لم يوجد المرسل إليه بالمرة
وكان خالص الأجرة فإنه يرجع من غير أجرة وإذا كان المكتوب ذا أهمية فصاحبه تحصينه
أي يجعل صاحب البريد ضامنا له مثلا بأن يجعل عليه خواتم بالشمع خمسة أو علامة أخرى
ويأخذ من صاحب البريد حجة في إيصاله إلى صاحبه ويؤدي عليها أجرة زائدة عن على
المعتاد وإذا لم يصل البريد إلى صاحبه إلا بأخذ حجته في الوصول إليه فإذا فرض

ضياعه

ضمانه من صاحب البريد فانه يؤدي للمرسل ستين او خمسين فرنكا وهكذا سائر الاوراق
المكتوبة على الضمانة فدعم غير ان الصحف الخبرية اجرة بعثها زهيدة بالمرة وكذلك
الكتب وقد عبر بوانه ما رخصوا في الاجرة لازدياد المخابرة بالبريد وما تقدم في
كيفية الحمل للبريد في الاماكن المتصلة في البر اما اذا كانت الاماكن يتوصل لها بحرا
فان الدولة تتفق مع احدى الشركات التي لها بوابير سيارة للتجارة على ان تحمل البريد
باجرة سنوية على مقدار ما يتفقون عليه من السنين على ان تقلع البواخر في اوقات معينة
وتصل الى اماكنها في اوقات معينة من غير تقديم ولا تأخير واذا تأخرت الباخرة عن
ميعادها فلا بد ان تبين جمعية السبب الاضطراري الذي حملها على التأخير والا تغرم
شركتها اموالا بليغة ضمانا عن التأخير وكذلك الرتل اذا كان لغير الدولة اتفق في
الاتفاق معه على حمل البريد كما في تعيين الاوقات وانضباطها والكل سواء برا او بحرا
ولذلك تجد السفر مع البريد في غاية الانضباط لانه لا يتأخر عن مواعيده فالمسافر معه
يكون مرتاح البال عالما بيوم سفره وساعته وكذلك بساعة وصوله الا ان يعرض عارض
سماوي ثم ان السفر في بواخر البريد هو احسن من غيرها من البواخر التجارية لان تلك
انقى نظافة واقل ازدحاما وارفق خدمة بالركاب حتى اذا كان البحر رائقا كان
السفر نزهة ولكن قلما يصفو الحال بسبب اضطراب البحر اما السفر في الرتل فهو على
نحو ما تقدم من الانضباط سواء كان حاملا للبريد ام لا ولكل رتل رقاع مكتوب بها
الاعلام بوقت سيره من كل محل ووقت وصوله وكم يقف بها من الدقائق ويضبطون
على تلك الاوقات للغاية وعند ما يصل الى محطة ترى خدمته يصيحون باسمها وعدد الدقائق
التي يقف بها اعلاما للمسافرين ووقوفه لا يتجاوز نصف ساعة في وقتي الاكل واما غيرهما
فاكثر وقوفه عشر دقائق الى الدقيقتين وبازاء الوقوف للاكل عدة في المواقف
بيوتات ضخمة بها موائد الاكل والمأكولات المطبوخة والفواكه كلها مهيأة فمنهم من
يأكل هنالك ومنهم من يشتري ويحمل ما كله معه والاثمان في تلك الاماكن اغلى من
غيرها كان البلدان الاخرى يوجد في محطاتها الاكل لكنه دون ذلك وفي كل محطة
بعد المستراحات والركوب في الرتل مستريح على كل حال مع جامع ما احدث فيه من المخادع
المنفردة حتى يستطيع الانسان ان ينام ويقضي جميع ضروريات العادية الراحة وفي ايام
البرد تسخن المخادع بآواني نحاسية مملوءة ماء حارا وزيد احد هاته المخادع على الاعتيادية
نحو مرة في المسافة وقد احدث نوع من المركبات ذو مقاصير للانفراد وبيت للاجتماع

فيكون الانسان كأنه في دار مع جيران وهو مسافر ولا يزيد الاجر في هاته المركبات على
المركبات من الطبقة العليا الا نحو الثلث ومن وسائله رواج التجارة وزيادة الاخبار
بالاسلاك الكهربائية فأصحاب الشركات يخبرون أصحابهم كل حين بما يروج عندهم
في الاقطار المختلفة وما يكسد من البضائع ويكونون على بصيرة منه وأعظم ما يكون ذلك في
مناجر عملات البورصة فترى الاخبار تتساقط عليها كالمطر وبذلك ترفع أسعار أوراق
الديون وغيرها أو تنحط وأعظم ما يؤثر في ذلك الاخبار السياسية سيما الواردة من
قواعد الممالك السبع الكبرى وهي الاستانة وباريس ولوندره وبرلين وويانا
ورومة وسان بطرسبورغ اذ هاته الدول هي التي عليها مدار السياسة العامة وقد
اتخذ التجار الاخبار السياسية ملعبة للارباح حتى صاروا يختلقون أحيانا أراجيف
سياسية تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتتلقفها عنهم صحف الاخبار فينشأ عنها
أرباح أو خسائر مبنية على أوهام ولذلك يرى بعضهم ان سهولة قرب الاخبار ونقل
البضائع مضر بأرباح التجارة وان الارباح انحطت عما كانت عليه في القديم
وهو صواب بالنظر لهيئة التجارة القديمة لكن في نفس الامر قد زادت كمية التجارة
وذلك ان التاجر ذا البضاعة من الصوف مثلا كانت لا تأتيه سفينة شراعية بها الا
قنطار من الصوف والمكاتيب المعلمة بالاسعار الا بعد عدة أشهر فيبني عليها عمل تجارته
وينتظر خبرها ولا يبيع تلك الالف قنطار الا بعد عدة أشهر فيربح فيها في السنة عشرين
في المائة اذا ساعده البخت والآن صار يأتيه في كل أسبوع نحو ذلك القدر مثلا وتأتيه
الاخبار كما تأتي غيره فيبيع صوفه بربح عشرة في المائة فقط في نحو نصف الشهر الذي
بعده كذلك وهكذا وحاصله ان كونه كان يدير رأس ماله مرة في السنة ويربح فيه
عشرين في المائة صار يديره اثنتي عشرة مرة يربح فيها أزيد من النصف فبالنظر الى كمية
الربح كل مرة تعد الارباح القديمة أوفر لكن في الحقيقة الناتج في السنة من الارباح
الحالية أكثر ولا يظن ان ما قلناه مبالغة بدعوى ان كمية المحتاج اليه من الصوف مثلا
في الاقطار المجلوبة اليه لا تزداد فما يأتي زائدا لا يباع وبيان فساد ذلك ان الادارات
والمركبات كلها مرتبط بعضها ببعض فكم من جهات المواصلة صنعت آلات النسج بالمعامل
البخارية والبلد التي كانت تنسج ألف قنطار صوفا في الشهر بالآلات اليدوية صارت تنسج
أضعاف أضعافها بالآلات البخارية وتلك المنسوجات تنفق مهما زادت بانحطاط
أسعارها وبكثرة انفاقها تمكن من لم يكن قديما قادرا على لبس الصوف والجوخ لغلوه صار
الآن

الآن يتوصل اليه زهيد برخص ثمن الصوف بما نقص من أجرة حاكتها وقلة ربح
تجارها ورخص الآلات النسج وبقناعة البائع بالربح اليسير وهكذا وكذلك كثرت
سكان الممالك المتمدنة وكثر المتمدنون وكثرت انواع التجارة وايصال البضائع الى الاقطار
الشاسعة التي لم تكن تصل اليها من قبل فارتفعت الاشياء بعضها ببعض واتسعت
التجارة وازدادت الارباح على نحو ما ذكرناه واضف الى ذلك ان المنسوجات بالمعامل
ليست متينة مثل عمل الايدي فصار اعلى لها بلى وتمزق بسرعة بالنسبة للمنسوجات
المصنوعة بالايدي ثم ان تجارة ايطاليا أغلبها بيد اهاليها وفيهم كثير من الاجانب وقد كانت
سابقا تجارتها اغنى مما صارت اليه ثم انحطت بتقدم الممالك المجاورة لها وتأخرها بعد
انقسامها وظلمها ولاتها لكنها الآن تراجعت للترقي وأغلب ما يخرج منها الحرير الخام
المصنوع والدقيق وانواع الجبن المصنوع والحبوب والحيوانات المأكولة والجلود
وزيت الزيتون والكبريت وهي كادت تنفرد به وقد خرج منه في عام واحد
مائتان من اثمان المادة وسبعون الفا وثلاثة أي قنطار ٥ر٠٠٠ر٠٠٠ وكذا يخرج
منها المرمر والرخام الابيض والكتان والحشيشة المعروفة بالكركوري والمنسوجات
الحريرية والاعطار والتبن المصنوع منه كراسي وغيرها والحجر مثل الحجر المعروف بحجر
سيسيليا لدى هولاء خفيف وبعض المعادن المشار اليها في التعريف بايطاليا وقيمة
تجارتها في سنة واحدة وهي سنة ١٨٧٦ مليار دان وستمائة الف ونيف والبارد
ألف مليون وهاته التجارة مع جميع الممالك المعروفة لكن أكثرها مع انكلترا وفرانسا ثم
بقية الممالك وينقص من ذلك الزايد وحده ثلاثمائة وخمسون مليونا

مطلب

﴿في الصنائع الفلاحية في ايطاليا﴾

(اعلم) ان هاته الصناعة فاترق كبير لحسن الموقع واعتدال الهواء ومع ذلك لم تبلغ الى درجة
النهاية نعم هي في الجهة الشمالية متمكنة لما جاورها من فرانسا ونحوها ولاهلها اعتناء
واتقان للزراعة وتربية الاشجار وغيرها حتى ترى الارض كانها حديقة متقنة ولا تجد
أرضا خالية من الاشجار ولو الاراضي الزراعية حيث تجدها مقسمة بصفوف من
الاشجار وبينها براحات للزروعات فصاحب الارض ينتفع بغلال الاشجار والحطب
والزرع معا وترى الارض مقسمة بتقاسيم لها منظر بهيج ونفع عظيم هذا زيادة عما

يحصل من الأشجار من السحب في المطر وذلك لان الله بحكمته البالغة جعل عروق الاشجار
تمتص الماء من عوامق الارض ثم تصعده بخارا من أغصانها واوراقها وينشأ من البخار
السحاب واذا كانت الاشجار مرتفعة حدث ذلك السحاب ابطئ السير حتى يمطر عليها
ويحصل بسبب ذلك كثرة المياه في الارض ويكثر خصبها وقد بانت سببية ذلك بالتجربة
والله الخالق الحكيم ثم ان صناعة الفلاحة لا ياخذونها بمجرد التقليد في العمليات بل
انها علم مخصوص يدرس ويصور بالمشاهدة وله مدارس مخصوصة ويستمد كثيرا
من الكيمياويات وحول المدارس اراضي للبيان بالعيان والتجربة والحصاد واراضي
للرعي مخصوصة ومن حسن التربية ومراعاة الحكم لا يتجاسر احد بالرعي ولا غيره في
أرض ليست له اما بالملك او بالكراء حتى انه ليس لمواشيهم رعاة بل تمنع الدخول ولا
تقع منهم سرقة الغلال الا نادرا واما بقية الصنائع فلهم كفاية في كل الصنائع
الضرورية والتحسينية لكنهم ليس لهم معامل كثيرة التي هي من أعظم اسباب الثروة
والترقي وان كانوا لا زالوا مجتهدين في ترقيتها الى بلوغها المنتهى درجة الامم البالغة
للنهاية في المعارف والتمدن والحاصلون عليه الآن هو ان لهم معامل للسلاح بانواعه
ومعامل لانشاء السفن والبواخر المدرعة ومعامل للتقطيرات الكيمياوية وللعطار
وللشمع المتخذ من الشحم والدباغة للجلود ولصناعة الورق وغزل القطن ونسج الجوخ
والشاشية وانواع المنسوجات الحريرية ومنه النوع المسمى بالامبرا والقطيفة
ومعامل للطرز كأنه يصنع بالايدي ايضا ولهم معامل للزجاج والفخار والعقيق
والزهور الصناعية وآلات المرايا الكبيرة وآلات الموسيقى وخصوص اوتار بنابلي
لها صيت كبير في جميع الجهات وفي نابلي وميلانو معامل متقنة للكراريس اي عجلات
الركوب كما ان في ايطاليا اتقان لصناعة الاحذية وسائر الانعلة وخياطة الملبوسات وهم
فائقون في صناعة نحت المرمر ونقشه وكذلك صناعة المرجان والصياغة والكهربان
والمادة المجمدة الزجاجية المتخذة من انواع الملاكيت والموزاييكو اي القطع المرمرية التي
الواحدة منها قدر الظفر ترصف على أشكال بديعة ويلصق بعضها ببعض بنوع من
الطين والجير وقد شاهدت في معرض ميلانو ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م من تقدم
ايطاليا في سائر الصنائع ما صيرها قادرة على الاستغناء بنفسها في سائر الحاجات
والتحسينات فضلا عن الضروريات حتى ان ملكها لما دخل المعرض مع رجال الامة
تعجب مما احتوت عليه المملكة مما لم يكن يخطر بباله ومن جملة ما احتوى عليه هذا
المعرض

المعرض تشخيص سائر أصناف الطلاب بين بصورهم على ألوانهم وهيئة لبسهم فرأيت
أكثر من ثلاثين صنفا كل منهم له سحنة وشارة خاصة وأعظم ترقيهم في مصنوعات
الجلد والطبخ والعجلات ولهم مشاركة في سائر المصنوعات

مطلب

﴿في المعارف﴾

المعارف الدينية المسيحية لها سوق رائج من القسوس ولهم جوامع ومدارس لكنهم
قد منعوا نوع القسوس الحروبث من التعلم في المدارس لانهم يخلطون المعالم
الدينية بالمعالم السياسية ويتخذون المدارس كالمحل للتعسكر فمنعوا من ذلك لخوف
الدولة من تشويش سياستها لاختلاف مشرب الحروبث لمشرب الدولة في أصول السياسة
(وأما العلوم) الرياضية فقد أخذوا في التقدم فيها وعلى الاجمال فاهالي الشمال متقدمون
على غيرهم في سائر الفنون والتجارة والملاحة وعلوم الاصول ثلاثة (أحدها) علم جبر
الاثقال (وثانيها) علم الكيمياء أي تحليل الاجزاء وتركيبها (وثالثها) علم الطبيعيات والكل
منها فروع كثيرة ومن فروع الثاني والثالث علم الطب الذي كانت اشتهرت به ايطاليا
بيزة قديما والآن لم يبق لها ذلك الاعتبار وعلى العموم ففي ايطاليا الآن مدارس
ومكاتب على ثلاث طبقات والمكاتب العامة إلى الآن إتقانا كبعض مكاتب فرانسا
والمانيا وفي ايطاليا من أسباب تيسير المعارف كل اللوازم سيما المطابع والصحف
الخبرية وخزائن الكتب فيها ٤٩٣ خزانة كتب تحتوي على ٤ر٣٤٩ر٢٨١
مجلدا من الكتب المطبوعة و ٣٣٠ر٥٧٠ من كتب الخط وفي خصوص مكتبة
قصر الفاتيكان ٣٠ر٠٠٠ كتاب وهي أحسن المكاتب من جهة ضمن كتب الخط

مطلب

﴿في هيئة المسالك والطرقات﴾

(اعلم) ان ايطاليا تكاد لا تجد بين المدن فيها اعمر بقاع غير صناعية بل كلها متصلة
ببعضها بالطرق الحديدية الممتدة في الصناعية غير ان الطرق في البرية لا تتعطف ولا غالبها
قيمون لاصلاح ما يفسد منها كأن يكون على كل ثلاثة أميال قيم له مركز يأوي اليه
وبيده من آلات الاصلاح الحديد ما فيه كفاية ويكون هو طول يومه متفقدا لما في

عهدته وربما وجده مكانا متغيرا بادر لاصلاحه وهكذا فاذا طال الامر على الطريق
واحتاج للتجديد باشره بذلك المكاتب من المجالس البلدية وعلى اولئك الذين متعهدون
في كل الاوقات كما ان سائر اطراف المملكة متصل بعضها ببعض بالطرق الحديدية
وكذلك تتصل بسائر الممالك المجاورة لها بالطرق الحديدية وتلك الممالك متصلة بغيرها
بذلك ايضا فكانت اوروبا كلها كأنها بلد واحد في سهولة الانتقال والسرعة من مملكة
الى اخرى ومن بلد الى آخر ومع ذلك لم تزل ابطالها مجتهدة في زيادة المشروع للطرق
الحديدية (اما الطرق) في دواخل البلدان فزيادة على كونها صناعية لها خدمة
ينظفونها مرات في اليوم ولا تجد في المدن بلدا لان خدمة التنظيف يرفعون الازبال
الملقاة من الدور في آخر الليل ومن طرح الاوساخ من داره في غير الاوقات المعينة
عوقب على ذلك بالعقوبة المالية بحيث تجد سائر الطرق نقية وفي الليل منورة بالبخار
الغازي والفوانيس نظيفة وغاية ما هنالك هو الفرق بين البلدان في شدة النظافة
والتنوير واتساع الطرقات فقط (اما الاصل) فهو موجود في الكل ولو في القرى
والطرقات اغلبها عرضها عشرون مترا ومنها ما هو اوسع وفي المدن القديمة لم تزل طرق ضيقة
لا يعرفها الا الماشي واما هيئة المساكن فان المدن لا تكاد تجد فيها الديار ذات طبقتين
فقط بل تزيد الى الستة والثمانية ويكون ظاهرها على الطرقات ملتصقة بعضها ببعض
قريب التماثل كأنه في الصورة مما يحسن الظاهر والتنظيف وطول الطرق واتساعها
وجعل الطبقات نيرا والاحجار على اوسعها فكانت مدنهم بذلك ذات منظر بهيج حتى
ان الحكم يوجب على المالك ان يحسن ظاهر بيته على حسب ما يشير به المهندسون من
المجلس البلدي واما داخل الديار على الاجمال فاذا دخل الانسان من الباب يجد سقيفة
ثم درجا متصلا بعضها ببعض متصاعدة اما على شكل دائرة او مربعة الى ان تنتهي الى اعلى
طبقة ومهما وصلت الدرج الى طبقة تجد فيها سقيفة ذات ابواب بقدر ما في الطبقة من
المساكن فاذا دخلت مسكنا تجد ابوابه ستة فما فوق باب للبيوت وباب الى محل به
بيوت ومطبخ ومستراح وتارة يكون في احدى البيوت الاخرى مستراح آخر وجميع
الحيوط مطلية والسقوف اما خشب او بناء مطلية مدهونة وكل البيوت لها اواق
كبار ويعتنون بغاية الابواب والطواق والاوجاق وعواضدها من خشب متقن الصنعة
وسائر الاماكن مبلطة اما بالحجر اي نوع من الاحجار المطلية او المرمر وكذلك الدرج
ومن اقتصادهم ان كل بلد تقتصر على ما عندها من مواد البناء ولا تاخذ من بلاد
اخرى

أخرى شيء الا ما لا يمكن الاستغناء عنه عما فيها ولو كان الشيء من بلد في نفس المملكة ثم
البيوت التي بكل دار أكثرها مائل الى شكل التربيع واحدها بيت الجلوس وآخر
للأكل وهما أكبر البيوت ثم آخر للنوم وكل منها له من الفرش ما يناسب موضوعه
وفرشها مختصرة متقنة مرونقة ففيه كراسي كبار وصغار وساعات ومرايا وزرابي وأسرة
يعتنون بنظافتها ويعتنون باتساع الدرج وراحتها وكل مسكن لعائلة فتجد الدار
الواحدة يسكنها عدة عائلات كل عائلة منفردة في احدى المساكن على قدر كبرها
وطبقاتها وأما دور الأعيان والأغنياء المنفردين بديارهم فهي على ذلك الأسلوب الا أنها
كلها تكون ذات مسكن واحد وطبقاتها لا تزيد على الثلاث أو الأربع وكثير من
أغنيائهم يسكنون في الديار المشتركة من النوع الأول لكونهم يختارونها واسعة وكل
مسكن يكون بابه مغلقا وعند الباب الخارجي للدار بيت يسكنه بواب بالأجرة من جميع
أصحاب المساكن يحرسه وكل البلدان لها خنادق تحت الطرق لجريان القذورات
فيها أو لجريان البرو الجميع مغطى ولا يفتح الا لاصلاح أو لتنظيف الآبار وسطوح الديار
في جميع الجهات الشمالية مسنمة لئلا يتناول عليها الثلج وأما الجهات الجنوبية ففيها بعض
من السطوح مبسوطة

مطلب

(في اللبس)

الرجال يلبسون قميصا وسراويل وصدرية تسمى جيلي وسترة أي جبة مفتوحة الطوق
الى أسفل قصيرة الى نحو نصف الفخذ ذات يدين ضيقتين وسراويل أخر طوال الى أسفل
القدم ضيقة الرجلين والمقعدة جدا كأنها لاصقة بالعضو وفي بعض المواكب يلبسون
سترة مقطوعة الذيل من امام وفي الشتاء يلبسون على جميع ذلك جبة أوسع من الأولى
وأطول وتارة تكون مبطنة بأنواع من الفراء وبعضهم يلبس قمصانا منسوجة من
الصوف وفي أرجلهم الجوارب من قطن أو صوف وأحذية كالخف الضيق ولهم فيها
أنواع كلها ذات أقدام مرتفعة وعلى رؤوسهم قلانس من قطعة واحدة على أشكال منها ما هو
من الجوخ ومنها ما هو من سعف أو تبن ولما كانت ألبستهم ضيقة فلا يجلسون الا على
الكراسي ومشاهم كلها ولذلك كانت فرش بيوتهم كلها لائقة لذلك ثم لهم جوارب
واسعة ذات ألوان يلبسونها في الأوقات التي لا يخرجون فيها ولا يأتيهم فيها أحد وكل

الجميع غير القمصان والجوارب لونها أسود أو ما قاربه وأغلبها من الصوف ولا يلبسون
الحرير إلا نادرا في بعض الثياب ويلبسون في كفوفهم قفازا إما أسود أو ما قاربه وكذلك
في رقابهم يلبسون روابط ولقمصانهم رقبات بيض يطلونها بالنشا وكذلك أطراف
أكمامها اللصيقة وصدورها ويحافظون على نظافتها ويرسلون شعر رؤسهم لكنه
لا يتجاوز شحمة الاذنين ويفرقونه وأما لحاهم وشواربهم فهي لعبة بأيديهم تارة
يحلقون الكل وتارة البعض دون البعض وتارة يبقون الكل فيوجد الوجوه على أشكال
شتى ولكن من يحلق تراه يحلق يوميا لان ابقاء أثر الشعر عندهم من الوسخ وأما لبس
النسوة فقميص وسراويل وصديرية من كتان وصدرية مضبوطة على الصدر لها عيدان
من شعر مثلث اللباس لتصغير البطن والخصر وترفع النهود وتعلى الردف وفوقهما جبة طويلة
الى الارض ضيقة النصف الاعلى لها أكمام ضيقة الى الرسغ وواسعة الاسفل من الخصر
الى الارض ذات تكاميش ويتنوعن في هيئتها وقد يطلن ذيلها من ورائها حتى يصير يجر
على الارض نحو ذراع أو أزيد من ورائهن ويلبسن جوارب في أرجلهن وأحذية ذات
أعقاب عالية وهن يجعلن العقب قرب نصف القدم ليتراءى للناظر ان قدمها صغير مع
انه لا يرى لطول ذيولهن واضرارهن كابده الاطباء من انه يؤذى الرحم لنزول ثقل
البدن على وسط القدم أى الاخمص وتارة يرتدين فوق اللباس أردية أو مشالح عند الخروج
في الطريق ويسدلن على وجوههن خمارا شفافا رقيقا لمجرد التزين ويطوين
شعورهن الحقيقية أو التقليدية بهيئات حسنة على أعرافهن ويلبسن قلانس عليها
ذات أزهار صناعية وغيرها ويلبسن القفازين أيضا ويلبسن من الحلي أقراطا وسوارا
وخواتيم وقلائد وما أشبه ذلك من أنواع الجوهرات على حسب الرفاهية وأكثر ألوان
لباسهن مائل الى السواد ثم الابيض ثم غيره (وأما) اللباس الرسمي لاصحاب الوظائف من
الرجال فهو على الشكل الذى تقدم غير ان السترة تكون مطرزة بقصب الذهب أو
الفضة على صدرها وعنقها ويديها وأطرافها على حسب الرتب وكذلك يكون للسراويل
شريطان من القصب وعلى القلانس علامات أيضا من القصب ويلبسون مع ذلك
النياشين أي علامات الفخر ولبس العساكر نظيف جدا متقن من ذلك الشكل غير ان
سترتهم مقفولة الصدر وتنتهي في الطول الى الخصر فقط لا لضباطهم فهي طويلة كغيرهم
مقفولة الصدر

مطلب

(في الاكل)

هيئة الاكل عندهم هي موائد مرتفعة يجلس حولها على كراسي وتغطى برداء ابيض وكل آكل يجعل امامه صحن فارغ ويأتي الخادم بآنية الطعام فيأخذ منه الآكل في صحنه مقدار ما يريد بدون اصطلاح ثم ان تجد حذاء الصحن ورقة بشكل لطيف مكتوب بها ألوان الطعام الحاضر لتلك الاكلة حتى تأخذ ما تشتهيه وهاته العادة هي من المستحبات عندنا كما نص عليها في آداب الضيافة وقرره الغزالي في الاحياء لكن لا بخصوص الكتابة وانما هي بالاعلام للضيف بانواع الطعام ثم كل صحن حوله ملعقة وشوكة وسكين وبعد الفراغ من كل لون يبدل الصحن والسكين والملعقة بغيرها نظيفة وكذلك يوجد حذو الصحن كيسان على قدر انواع المشروبات التي تكون لتلك المائدة من انواع الخمر وفي وسط المائدة اواني بازهور بحيث تبقى في غاية المنظر الحسن والنظافة ويحفظ الآكلون على النظافة والعادة ان لا يزيدون غالبا على خمسة ألوان الا في الضيافات والمواكب ثم بعدها يؤتى بنوع من الحلويات ثم بجبن ثم بفاكهة من احدى غلال الوقت وطعامهم له انواع شتى احسنها انواع المشوي واغلب انواع الطعام مائل الى القصر بدعوى كثرة الاخلاط والابزرة حتى يضعون على الموائد اواني لطيفة بالملح والفلفل الاسود والخل والزيت لما له يطلب منه الآكل اذا وجد الطعام غير لائق به في الملح كما انه يجعل على المائدة اواني طريفة بالخردل المسحوق المخلوط بالخل وقنينات بالماء وآخر بالخمر المعتاد عندهم للاكل ثم في اثناء الطعام يؤتى بانواع اخرى من الخمر ارفع من المعتاد وفي آخر الطعام يؤتى بنوع منه يسمى شمبانيا اذا صب في الكاس غلى وارتفع واذ ذاك يخطب خطباؤهم في مقاصد تلائم حالة الاجتماع اما قائما او جالسا ثم في آخر كلامه يقف ويشير بعضهم الى بعض بالكؤوس كناية عن التوادد ويشربونها ولكن هذا لا يقع في منازل المسافرين في الموائد العامة الاجتماع عن غير قصد وانما يقع في الضيافات والمحافل وتارة يصرخ الحاضرون بعيش كذا ام فلان او مقصد سياسي ومن لا يريد الشرب من الخمر لا يعيبون عليه ذلك بل يعرض له صاحب المحل نوعا خفيفا عدا نوع الخمر فان امتنع فلا تثريب عليه ويوجد فيهم افراد لا يشربون كما ان غالب متبصريهم يعلم ان الخمر حرام عند المسلمين والقهوة في الديار المتكلفات

بأحوال الاكل والطباخون يكونون من الرجال ومن النساء ولهم كتب مؤلفة فى تركيب الاكل والطبخ

مطلب

﴿فى المواكب﴾

أما المواكب الرسمية فان الملك له بيت كبير فى القصر رسمى ويصدره عرش على نحو ما تقدم فى عرش والى تونس ويزيد بأن يكون على يسار محل جلوس الملك كرسى لزوجته وقبل حضور الملك يحضر المأذونون بالحضور بملابسهم الرسمية ويقفون يمينا وشمالا على حسب رتبهم ولما يصل الموكب يخرج عليهم الملك لابسا اللباس الرسمى الذى هو على نحو ما تقدمت صفته غير ان بعض الملوك يزيد على ذات اللبس رداء طويل الاذيال واسع جدا ليس له اكمام وانما يوضع على ظهره وكتفيه ويعلق حول العنق بأزرار ذهبية ويرفع أطراف ذيوله من ورائه بعض ابناء الكبراء من امثلة المملكة أو من أقاربهم الى ان يجلس الملك على عرشه وكذلك يكون له تاج مجوهر يضعه على رأسه مع اللباس الرسمى المقصب ويخرج فى المواكب من حجرته ومعه زوجته واهل بيته ويصعد على كرسيه ويكشف رأسه ويسلم بالايماء الى ميمنتهم ثم الى ميسرتهم ثم يخاطبهم بخطبة مناسبة لمقتضى الحال مومية الى الاحوال السياسية الراهنة وتلك الخطبة تكون قد هيئت من قبل بتدبير الوزراء وتارة يلقيها الملك بنفسه وتارة يلقيها رئيس كتبته ويكون الحاضرون كلهم مكشوفى الرؤس فيجيبونه بالدعاء له بطول العمر ويفض الموكب وهاته المواكب هى فى رأس السنة وهو شهر ينار الاعجمى وفى عيد ولادة الملك وكذلك يوم فتح مجلس النواب والاعيان من كل سنة ويكون ايضا فى محل المجلس وكذلك تعقد مواكب أخرى على حسب الحوادث (وأما) المواكب الاهلية فهى رأس العام ولا يعتنون بغيره من الاعياد وانما يكثرون استدعاء بعضهم الى بعض لمسامرة الليل فيما بين المعارف زيادة على الاجتماعات فى أماكن العموم كالملاهى والمتنزهات وبسبب ذلك يقع التعارف بين الرجال والنساء المريدين التزوج فيكثر اختلاطهم فى حالات مختلفة فاذا حسن عند كل طبع الآخر يخطب أب الزوج أبا الزوجة فى بنته لابنه فاذا حسن لديه ايضا اجابه واذ ذاك فى الغالب يجمعون خصوص أحباب كل من الفريقين فى بيت الزوجة لوليمة من طعام من الحلويات والمشروبات ان تمكن الدار لائقة للاجتماع بمحل الوليمة

الوليمة في احدى منازل المسافرين فيوصي صاحب الوليمة صاحب المنزل على ما يريد
ويعين له الوقت وعدد الاشخاص ويتوافقون على الثمن وعند قدوم المدعوين
يجدون الحال على أحسن انتظام وكذلك يصنعون في الولائم في الديارات. كان صاحب
الدار ليس له عدة الضيافة مع ان داره قابلة فان صاحب منزل المسافرين يأتيه بكل
ما يكفي من أوان وأطعمة وخدمة وغيرها وليس على صاحب الدار الا دفع الثمن مع
الراحة وحسن الانتظام في سائر أنواع الولائم ثم اذا حان زمن العرس يحضر أبوا الزوجة
ويدفع للزوج مهرا نفسه من مال عين أو أملاك ويكتب ذلك على الزوج ويكون أمانة
في يده ثم بعد ذلك يتوجهون الى الكنيسة ويحضر المدعوون هناك ويحضر القسيس
ويبارك على كل من الزوجين ويأخذ خاتما من ذهب من أصبع الزوج ويدخله في
أصبع الزوجة ويرش عليهما ماء وتكون العروس اذ ذاك لابسة لاحسن لباسها في
ثوب البياض ومتحلية بما عندها من الحلي ثم يعلق الزوج يده اليمنى على صدره وتدخل
الزوجة يدها اليسرى في ذراعه ويحضرون ويقف أبواهم معهم في محل عند باب
الكنيسة لقبول التهاني من المدعوين ثم يسافر العروسان حالا الى أي بلد أرادوا مدة ما
على حسب الرفاهية والمدة وذلك لامرين أولهما عدم الحياء من معارفهم بالاستراحة
من الاشتغال بحركاتهم وسكناتهم وثانيهما قضاء مدة في الانكباب على لذتهما من غير
تعب أدنى كلفة مع الاقتصاد في المصاريف تحاشيا لاحد المعارف ويتفقون ما يتفقون
في لذتهما هذا في الاغنياء (أما الفقراء) فيستعيضون عن السفر بالخروج لاحدى
المتنزهات ثم ان الزوجة لا تكون في العرس الا بمهر والزوج هو الذي يكسوها ويعطيه
وبعد ذلك يكون مصروف الزوجة في أكلها ولبسها وسكناها على زوجها وذلك المال
الذي أعطته مهرا للزوج باق على ذمتها وانما يصرفون دخله على كل منهما ومن
ولادتهم أيضا وعند بلوغ البنت يلبسونها لباسا كله أبيض وبرقعا أبيض صفيقا وتذهب
الى الكنيسة ثم تعود لدار أبيها ويصنع لذلك وليمة (واعلم) ان ما ذكرناه من الذهاب الى
الكنيسة ليس أمرا حتميا بل هو عادي لمجرد التعود عليه عندما كانوا يجرون الاحكام
الديانية في الاحوال المدنية وموكب المأتم عندهم لا يجهرون فيه بالبكاء وبعد قدوم
القسيس لحضور موت الميت يبقى مدة من الايام لتحقق الموت حيث انهم وجدوا بعض
الموتى يظهر عليهم الموت وهي في الحقيقة لم تمت مع تقرير الاطباء ولو من حذاق الحكماء
ويكون هذا بالخصوص في موت الفجأة [illegible] الاصابع في ديانتهم اذا [illegible]

التعجيل بالدفن انما هو بعد تحقق الموت بيقين (اما قبله) فمحرم لانه يصير قتلا وقد شوهد
ذلك فى كثير ممن نبشت قبورهم بعد زمان فيجدونهم فى حالة غير التى يوضع عليها الميت
ويجدون الاكفان ممزقة وخيوط القبر بها آثار الخدش فيجب التنبه لمثل ذلك وقد قالوا
ان ذلك النوع يحصل بكثرة فى الامراض المعدية وقد وقع مثل ذلك فى بلادى مرات
متعددة منها فى سنة ١٢٨٤ حيث استولى مرض الحمى الخبيثة فكانت عدة جنائز
ذاهبين بها فاطلع المارة على حركات فى الميت وأوقفوا الجنازة ووجدوه حيا وتارة ينادى
هو من نعشه منقذا من الحالة التى هو فيها ثم ان أهل ايطاليا بعد تحقق الموت يكفنون
الميت فى لباسه النظيف ويجعلونه فى صندوق من خشب ملفوف فى رداء اسود وعليه
شريطان من قصب الفضة وتحمل الجنازة فى كروسة معدة لذلك ويركب مشيعوا الجنازة
فى كراريس معدة للحزن كلها سود وأغنياؤهم يربطون فى كروستهم خيلا سودا أيضا
وعدتها سوداء و يذهبون بالميت الى المقبرة فيدفن فى قبر عميق ويحكم سد التراب والبناء
عليه ويجعلون على القبور حجرا كل من الرخام وينقشون فيها (واما) الفقراء فتجعل
جنائزهم فى سراديب مع بعضها وقد اتخذ بعضهم ما تقوى فى هاته الجهات ولم يبق
الا عند بعض الهنود وهو احراق الميت فانهم يجعلونه فى فرن من حديد محكم السد لكيلا
تخرج الرائحة ويصب عليه زيت النفط ويحرق ثم يأخذ رماده و يخزن فى اناء فى مكان
حريز فى دار أهله و بعض الاغنياء العزيز على أهله تصبير جثته بعد اخراج امعائه ويلبس
ثيابه الفاخرة ويجعل واقفا بجهة من البيت فى خزانة وجهها زجاج

مطلب

(فى اللغة)

لغة عموم الاهالى تسمى طليانية وهى فرع من اللاتينية وما يكتب فيها ينطق به على
حسب الحركات المرسومة وهى لغة واسعة مساعدة فى النثر والنظم على بحور عديدة
معلومة ولذلك تجد أشعارهم جيدة المعانى على حسب اصطلاحاتهم فمنها ما يستحسن
عند أهل العربية ومنها ما يخالف الاسلوب البلاغى وتلك اللغة وان كانت هى اللغة
العامة والرسمية فى الكتابة والعلوم وغيرها لكن توجد فى أطراف ايطاليا لغات شتى
حتى لا يكاد بعضهم يفهم بعضا بالتخاطب اما اذا رجعوا للكتابة فيرجع الكل الى لغة
واصطلاح واحد

مطلب

(في القوة المالية والحربية)

فرنك	
٠١٩٤٢٥و٥٨٣ر٩٦٥	دخل الدولة سنة ١٨٨١
٠١٩٤٢٥و٥٨٣ر٩٦٥	خرجها
١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	دينها
٣ر٦٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	قوة التجارة في المملكة بين الداخل والخارج من السالع
عساكر	
٣٩٥ر٩٠١	تحت السلاح
٤٣٣ر٨٧٦	رديف
٨٢٩ر٨٢٧	
١٠ر٥٠٠	بحرية
٨٠	سفن حربية مدرعة وخشبا منها مدرعة تسمى الدوبلو هي أكبر مدرعة في البحر
٩٥٥	مدافع
٥ر٠٩٨	امتداد سكك الحديد أميالا سنة ١٨٨١

الباب الرابع

(في مملكة فرانسا ومارأيته فيها)

الفصل الاول

(في سفري اليها)

فلنقدم أنا وصلنا الى بلد مودان التي ينتقل فيها المسافر الى القطار الفرانساوى وكان وصولنا اليها الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل فوجدنا المحطة منورة والخدمة متدرعين باللباس الخشن اتقاء من الثلج والبرد وبأرجلهم أحذية من الخشب فلما أردنا

الركوب فى الرتل العمومى وجدنا المخدع الذى أوصينا عليه بتلك الاشارة حاضرا
فى الرتل وسألنا المكلفون عن ورقة الجواز فأخبرناهم أنها فى تونس وأردنا احضار
الورقة ورأوا لباسنا فسامحونا وقالوا لا يلزم اخراج الورقة ولا فتح الصناديق لنظر ما بها
فركبنا حالا فى غاية الراحة وفصل الرتل سابحا على الارض بسرعة أزيد من الرتل
الطليانى غير أن المخدع كان أقل انتظاما من المخدع السابق فأردنا النوم فيه ليلا لكن
شدة البرد منعت من استراحة النوم ولم يزل الرتل سابحا وقت بدء الفجر وظهور ظهر
الارض والحاصل انه على نوع متشابه مع أعالى ايطاليا غير أن الفرق الذى يرى هو
كثرة المدن والقرى بأرض فرنسا على ايطاليا وكثرة الديار المتفردة فى الحقول
والاراضى بايطاليا على فرانسا ثم وصلنا الى باريس فى الساعة السادسة قبل نصف الليل
وكانت مدة السير من تورين الى باريس احدى وعشرين ساعة وكانت باريس تظهر من
بعد فى الليل كأنها سماء زينت بالكواكب واستمر الرتل سائرا من مبدأ علائق الضوء
الى أن وقف نحو خمس عشرة دقيقة فاذا هى محطة أعظم وأوسع من جميع ما رأيناه
ثم نزلنا ودخلنا الى الكمرك ولما أبصرنا المكلفون قالوا الآن لا نفتش رحالكم وأنتم
مصدقون هل عندكم من سلعة تؤدى الكمرك فقلنا ليس الا الشوق وما زهر وورد فقالوا
هى بمقدار حاجتكم أم للتجارة فقلنا بقدر حاجتنا فأذنوا بسراح الرحل بدون تفتيش ولا
أداء وركبنا كروسة كبيرة للمنزل المسمى أوتيل دى كوسمين الذى هو
من المنازل الحسنة الواقعة بأعمر طرق باريس وأكثرها سيرا نزولا به فاستمر السير فيها
من الخيل نحو من ساعة من المحطة الى المنزل وكانت الطرق كلها منيرة بالفوانيس
نورا زائدا على غيرها وهى طويلة وسيعة أزيد من غيرها بحيث ينتهى النظر فى طول
الطريق فأقمنا بذلك المنزل تلك الليلة وتعشينا وفى الصباح أفطرنا فطورا حسنا وطلبت
الحساب حيث لم أداوم قبل النزول فاذا أجرة البيوت ليلة وثمن العشاء والفطور الصباحى
ثلاثمائة وست وسبعون فرنكا فخرجنا من هنالك وبالاتفاق مع المعارف وأكتروا لى
منزلا خاصا ذا أربع بيوت بجميع لوازم فرشها وحدها ثلاثمائة فرنك فى الشهر غير
أن الأكل خارج عن ذلك بل يأتون به من احدى أماكن الأكل القريبة هنالك وهى
كثيرة اذ كان المنزل على النهج العظيم فى باريس المسمى بالواردى كابوسين وهو من
الأماكن الشهيرة بالعمران فى باريس ثم ان كثرة قرقعة العجلات التى تفوق عن الرعد
فى ذلك الطريق الملازم ليلا ونهارا كدرت لى الاستقرار هنالك حيث انه لا ينقطع دوما لا ليلا

بصفة

نصف الاول بساعة وما مضى ثلاثة اشهر الا وتعودنا ما كانت عليه فانتقلت الى منزل آخر اوسع من الاول ويحتوى على مطبخ وبيت جلوس وبيت اكل وثلاثة بيوت للنوم بجميع لوازم ذلك كله مع تغيير الفرش والمناديل بالنظيفة والكراء قدره ثلاثمائة فرنك فى الشهر واحضرت طباخا باربعين فرنكا فى الشهر وخادما بعشرين فرنكا وكان المصروف اليومى على لوازم الاكل نحو العشرين فرنكا فى اليوم مع الاقتدار على قبول بعض من الضيوف والارتياح من الاحتراس فى الاكل وكان هذا المحل ايضا باحدى الاماكن الشهيرة النزهة المسمى بشانزيليزه لكنه لما كان طريقه شديد الاتساع ومحل مرور العجلات فيه بعيد عن حيطان الديار نحو العشرين مترا وكان تخصيب الطريق بالحصا المسواة بالرمل بخلاف الاول لانه مبلط بالحجارة الصلبة التى فى قطع الشجر فكانت ادوية الدوى مفقودة فى الثانى مع حصول المنظر الجميل واجتمعت فى باريس بالشهير اطبائها فى المرض العصبى اذ لكل نوع من الامراض عندهم مشاهير يختصون به والحكيم الشهير فى هذا المرض عندهم هو الحكيم شاركو واحضرته الى فى بعض الايام بتعيين من مشاهير اطبائهم وكانت اجرة زيارة الواحد فى المرة الواحدة مائتين فرنكا واذا زار الحكيم فى داره يعطى اربعين فرنكا ومما يدل على شهرة هذا الحكيم وغناه بعلمه انه دعى يوما لمريض فى بلد برلين فاعطوه لكونه الماني فذهب عشية الجمعة ورجع عشية الاحد فى الزيارة واعطى خمسة عشر الفا فرنكا لاجل تلك الزيارة وعلى ذلك فقس ومواعيد قبول المرضى فى يومين فقط من الاسبوع وبقية الايام يفرق فيها دروسا عالية فى الطب العصبى وله مستشفى خاص بالامراض العصبية تحت نظارته يحتوى على نحو ستة آلاف مريض ذكر لى يوما الطبيب فيمر والذى هو صحبة الحكيم المشار اليه ومباشر للعلاج بالكهربائية ان ذلك اليوم كان فى المستشفى مرضى اخذوا الاكل سبعة آلاف وثمانية وبقى عدد من لم يستطع الاكل ومن كان ممنوعا منه وذكر ان المستشفى يحتوى على الاطباق الزجاجية الموضوعة فى ابواب العراقى ما داهى ثمانون الف طبق وذلك الحكيم مع سعة معارفه هو شوش مؤنس حتى صار ودودا الى وله زوجة وله ولوع كبير بالثياب والمفروشات والاوانى وغيرها الصينية والشرقية والعتيقة من صنائع اوربا حتى كانت بيوت داره مكسوة باشياء بديعة ذات قيمة عالية حد تنيف ورمان آلاف فرنك ومن مصائب الجهل بالالسن ما حصل لى يوما وهو ان الطبيب اخبرنى بان المسكن الذى تعودت عليه بالاحتقان تحت الجلد عيانا مر به البدن فلا يبقى مؤثرا ولذلك يريد ان يعمل

وجهاً في ذلك وان الاولى بي ان أنقص من مقدار الاستعمال منه بان أصنع ربع الحقنة فقط هكذا أفهمني المترجم ثم أتى بالعلاج الممكن من الصيدلاني فحضر على الالم بين المشائين كما هو عادة الروم في الاعلى جعلت المقدار مثل ما قال الطبيب فلم يسكن وظننت ان الدواء هو المعتاد فردت نصف حقنة فلم تمض قدر ثلاث دقائق الا وايقنت بالموت ووجدت أملالم أعهدهم ولا أقدر على التعبير عنه واعا أقول اعظم الخوف في نظري وأحسست بنفسي ساقطا في جب لاقعر له وغاية ما أدركت ان طلبت المصحف المكريم وضممته على صدري واستشعرت انى أتلو آية القدحاكم سمعي ولساني لا يكاد يصح الحروف ولم أدر ما وراء ذلك فلم يبتدئ شعوري بالوجود الا بعد نصف الليل بثلاث ساعات فرأيت أتباعي ومعارفي حولي يبكون وجميع ما أراه أحمر ثم رجع لاغماء ثم الاستيقاظ ولا زال الامر يتدرج في الخفة الى الصباح وانا في غاية الضعف وسألت الطبيب عن السبب فاخبرني ان العلاج قد غيره بمكن آخر سمي الاثر وبينه مساو لمكن المرفين ما وأقوى منه باضعاف كثيرة وانه كان شدد الوصاية في التحذير منه للترجمان اذ ذاك المقدار الذي جعلته يكفي لقتل عدة أشخاص وان من لطف الله أن كان في مزاجي من المرفين مقدار وافر من استعماله سابقا حتى كانت مضادة لذلك السم القتال ولله الحمد على لطفه وصنعه وما ذاك الامن جهل اللسان واضرار المترجمين وقد أقمت بباريس في هاته السفرة نحو شهر ثم عدت لها سنة ١٢٩٥ وأقمت بها شهرين ثم عدت سنة ١٢٩٦ وأقمت بها شهراوها أنا أورد لصفتها فصلا خاصا

الفصل الثاني

﴿في باريس وصفاتها﴾

باريس وما أدراك ما باريس هي نزهة الدنيا وبستان العالم الارضي واعجوبة الزمان واحرى انها أحق باسم ما يكفه من اسم مصر وهي انموذج لعجائب مصنوعات البشر وحق لمصر ان او بين التفاخر بها ومباهاة الامم بمحاسنها وجمالها وغناها ومعارفها ومصانعها فهما فكرت في احدى هاته الاوقات ان القوم قد انحصرت أعمالهم فيها ثم اذا التفت للاخرى تقول مثل ذلك وهكذا وكلما فاقت على غيرها باجتماع الكل فيها فصدق عليها المثل كل الصيد في جوف الفرا ولو أراد الكاتب الاستقصاء في كل طرف مما احتوت عليه لضاقت عنه المجلدات واضطر الى الاكتفاء بالاشارات وباحالة

فالواقف

فالواقف عليها يزداد يقينا فى لعظم قدرة الخالق وان أحوال الآخرة فوق عقولنا كما أخبر
به الصادق الامين عليه الصلاة والسلام من وصف الجنان وان فيها ما لا خطر على قلب بشر
فاذا كانت هاته مصر لم يكن يخطر بالفكر تشخص صورتها الا بعد رؤيتها مع انها من
موادنا وذواتنا فكيف بعالم بعيد مادته ولا نتصور طبيعته وربك يخلق ما يشاء ويختار
وهو على كل شئ قدير وحاصل وصف هاته المصر المختصرة انها بلدة مستطيلة قليلة
الارتفاع يخترقها نهر السين الذى يحمل القوارب والبواخر الصغيرة وعليه فى البلد
عشرون جسرا مختلفة الاشكال منها ما هو من قوس واحد من حديد ومنها ما هو من بناء
وتمر تحته البواخر ومنها واحدة فى طرف البلد جهة قرية تبنى عليه جسر آخر مرتفع
جدا على حنايا يمر عليه الرتل فى طريق الحديد بحيث ترى البواخر جارية فى النهر وعلى الجسر
المشاة والفرسان والعجلات ومن فوقهم الرتل كأنه سابح فى الهواء وكل جسر مقسوم على
ثلاثة طرق فاليمنى والشمالى للمشاة والوسط للركاب والعجلات وفى وسط النهر جزيرة كبيرة
بها مبانى وديار ويخرج من هذا النهر ترعة تذهب جهة الشمال الغربى من المملكة
الى أن تتصل بنهر المارن وهى فى أغلب البلد مغطاة بالبناء المنعقد وعليها الابنية
ويحيط بالبلد سور ضخم شديد العرض عليه حصون فى جميع اضلاعه وخارجه
خندق عريض حديد عميق يملأ بالماء من النهر عند الحاجة وللسور أبواب أنيقة من
الحديد ويحيط دائرة السور أربعة وثلاثون الف متر وتنقسم المصر الى عشرين قسما
كل قسم منفرد بادارته كأنه بلد مستقل ثم يتحد الجميع فى الادارة العامة فى المجلس البلدى
الذى هو أحق باسم دولة اذ دخله مليون ٣٦١ منها من ايراد الغاز ١٨٠ مليون
ومصاريفه نحو ذلك منها ٩٩ مليون لفائدة الدين و ٢٢ مليون الى المكاتب والنفقة
و ١٦ للمحتاجين وما بقى لمصالح المدينة كله يصرف فى مصالح البلد وتحسينها وعلى
المجلس من الديون أزيد من ألف مليون صرفت فى التحسين اذ انه لم يزل يشترى حارات
ويهدمها ويفتح فيها طرقا ويجعلها آنق وما فضل يبيعه أو يبنى فيه مساكن وحوانيت على
حسب ما يقتضيه المكان وقد شاهدت فى سفرتى الثانية لهاته المصر ان المجلس البلدى
فتح طريقا مستقيما متسعا من جامع الاوبرة الكبيرة الى جامع بالى روايال وباع
ما فضل من الارض فبلغ ثمن المتر الواحد من الارض على الربيع أربعة آلاف
وخمسمائة فرنك وبلغ سعر المتر وحول النهج الموصل الى الوادى بولونيا الى ثلاثة
آلاف فرنك وهكذا ثم ان طرق البلاد عددها أزيد من ثلاثة آلاف طريق وهى

تنقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) يسمى آونو وهو ما كان وسيعا جدا وحوله أشجار بينها
وخلفها وراءها قصور (والثانى) يسمى بلمار وهو ما كان أضيق من الاول ويزيد عليه
بان يكون تحت القصور حوانيت بهيجة (والثالث) يسمى رو وهو بقية الطرقات ومن
محاسن طرقهم انه يوجد فيها غالبا بجانب الطرق لعامة محلات للبول مستورة بشكل
ظريف على هيئة قباب فى وسط الطريق والماء بها جار كما توجد محلات الخلاء فى غاية
النظافة وهى أيضا كثيرة وهذه من واجبات المدن الكبيرة لبعد الماشى عن محله
وذلك أمر ضرورى وأجمل الطرق منظرا هو البلوار الذى يشق البلاد تقريبا من الجنوب
الى الشمال وينتهى فى جهة الشمال الى المحطة المسماة بلاس لا كونكورد
فتتصل بها حديقة الشانزيليزى وتنتهى الى المحطة التى بوسطها قوس النصر المسمى
ارك دى ترييونف ويتفرع منها اثنا عشر شارعا وقد كنت فى سفرى الى باريس سنة ١٢٩٥
نزلت بأحد هاته الفروع المسمى قديما افنو الامبراطريس والآن افنو وادى بولونيا
وكان الوقت صيفا فركبت احدى الليالى مع احد أصدقائى من منزلى فى كروسة يجرها
فرسان وتوجهنا الى جهة البلوار وكان ركوبنا فى الساعة الثامنة بعد زوال فمررنا بغاية
ساعة ونصفا ولم نصل لانتهاء البلوار من جهة الجنوب ثم رجعنا وقد قصدنا السير فى
الطريق ذهابا وايابا مع المنظر الجميل وانعكاس نور المصابيح وكثرة ازدحام الماشين
والعواجل وبالجملة فهذا البلوار مما انفردت به باريس عن غيرها من المدن الشهيرة
وهو فى الليل أبهى منه فى النهار لكثرة ما ينور به الطريق والحوانيت مع حسن وضعها
وتزويق ظاهرها وتمييز ما يوضع بها من السلع وجمال ذاتها وتنضيد ترصيعها وهذا
البلوار له عدة أسماء باعتبار جهاته منه وقد كان انشاء أصل هذا البلوار سنة ١٥٣٦
وكلما قرب الى انتهاء جهة الجنوب قلت نضارته بالنسبة لما هو فى الجهات الاخرى والبلاد
وان كانت تشمل بلوارات أخر كبلوار سيباستبول وغيره لكن لا كالبلوار السابق والذى
زاد باريس بهجة ضخامة أبنيتها وارتفاعها وتناسبها وتشابهها فى الظاهر ثم فى باريس
اماكن أخرى أنيقة منها پالى رويال جوار قصر اللوفر يسمى به وهو عبارة عن مربعين
يتصل أحدهما بالآخر يحيط بهما حوانيت تحت سرادقات وفوقها قصور ومطاعم
وحمامات ومنازل وفى وسط أحد المربعين حديقة نضرة بوسطها حوض وفوارات
وحولها قهاوى ومقاعد والحوانيت تشتمل جميع ما يحتاج اليه فترى حانوتا منضدة
بترصيف اليواقيت والجواهر وبازائها حانوت أخرى منضدة باللحوم والخضراوات
وتلاصقها

ولا تصفها فهو ذات منكشات وهكذا ولا عن نظرك من تلك المناظر البهيجة ومع تباين
أنواع الهيئات تجدها في غاية التناسب لما لها من الرونق والنضارة وتجد البيانات هنا في
غاية الغلاء ومع ذلك فلا تبور سلعهم لأن المترفين لا يبالون بشراء الشيء بثمنه ويحكى أنه
فباقة الزهر مثلا تشترى من هنا ومن الباعة بخمسمائة فرنك بحسب المعرف لمن يرتبها باسم
صاحب ربطها مع أنها تشتمل زهر من أمريكا وأخرى من اليابان وورود من أواسط أفريقيا
وهلم جرا وقد رأيت حانوتا تبيع الزهور في المادلين كراؤه خمسة عشر ألف فرنك في السنة
وباع صاحبه إياه في رأس السنة بخمسمائة فرنك وهكذا ثم انتقلت إلى البالي روايال وكان
أكثر باعة الياقوت مركزهم هو هذا المحل فلذلك كان له زيادة في حسن المنظر إذ كل
اللآلئ والياقوت ترى مرصعة وراء أطباق الزجاج مكشوفة لكل طارق وقد كان إنشاء
هذا المحل سنة ١٦٢٩ ومنها حديقة شانزليزه وهي غرست في أول سبيل تقريبا وفي
منتهاها قرب البطحاء تصير كأنها بستان أنيق ذو مماشي وقهاوي ومقاعد وملاهي منها
ما يسمى كافي شانتان فإن الإنسان يقدر أن يتغذى فيه منفردا بأطيب ما يشتهي والموسيقى
تعزف والألعاب في الملهى يشهدون ويغنون بالضحكات وكذلك ثم كافي [illegible]
على نحو ذلك وفي أعلى الشانزليزه بطحاء وسيعة يصل إليها اثنا عشر طريقا وبوسطها
قوس النصر المسمى ارك دي تريومف الذي بناه نابليون الأول ورسم على حيطانه صورة
جميع حروبه التي انتصر فيها وهو بناء فخم جدا شاهق للغاية ذو أربعة أقواس مقابلة
متصلة ببعضها يصعد إلى أعلاه بدرج داخل إحدى زواياه وعدد درجه مائتان واحدى
وسبعون درجة ومنها جردان مابيل لدى بعض الأهالي كأن أوراق أشجاره وزهوره مما
يصنعون من الأنوار التي يكون في أرضه وصحونه ما يدهش من آلاف من المصابيح الملونة
الزيت بألوان الزهور فيراه من له غرض بحب الدخول فيه وأكثر من يدخله من
المومسات ويحضرن يرقصن هناك ويلعبن مع الرجال وقد سمعت من أخبار هذه الحديقة ما
لا ينكره إلى الحكم في إطلاق ثلاث مرات حتى عينوا بالصيفيين الذين قدموا المعرض
باريس سنة ١٢٩٥ عندما دخلوا إليها لأن البنات الإفرنج وسبب كثرتهن هناك
إعفاؤهن من الأداء على الدخول بخلاف الرجال فكل من دخل دفع خمس فرنكات مع
حضور آلات الطرب وكثرة المشروبات والحلويات في مقاعد ذلك البستان أنشئت سنة ١٦٧٠
ومنها البالاس لا كنكورد المتصلة بحديقة شانزليزه السابقة الذكر وبوسطها
حوضان كبيران ذوا فوارات يحيط بها فونتس وبين الحوضين عمود المسمى بالمسلة

الذى جلب من مصر وعليه كتابة بلسان المصريين القديم وحروفهم التى هى أشكال
حيوانات ونصب هناك سنة ١٨٣٠ وطوله اثنان وسبعون قدما فى قطعة واحدة من
حجر دون القاعدة المنفصلة التى ركز عليها وعرضه من أسفل سبعة أقدام وكان جلبه
مصاريف عديدة ملايين حتى أنشأت له سفينة خاصة وقد نورت هذه البطحاء بالنور
الكهربائى الذى هو كنور القمر لونا وطول هاته البطحاء ميترو ٣٤٨ وعرضها ميترو
١٦٩ وتتصل بالبر وبالبلفار ومنها حديقة التولرى المتصلة بالبطحاء المذكورة
أيضا ذات المقاعد والمصاطب وهى امام قصر الالا ومنها بلاس فندوم التى بها عمود
نابليون الاول صنع هذا العمود من ألف ومائتى مدفع من النحاس غنمها الامبراطور
المذكور فى حروبه ورسم عليه صور المدافع التى انتصر فيها المذكور ووسط العمود به
مائة وستة وسبعون درجة يصعد بها الى أعلاه وفى قمته تمثال نابليون وقد أسقطه
الكمون أى جماعة الاشتراكيين الذين يريدون أن تكون الناس كلهم شركاء فى
جميع الموجودات وذلك فى ثورة سنة ١٨٧٠ فأعادته الجمهورية الى مكانه فى يوم
مشهود كنت حاضرا سنة ١٢٩٢ ومنها الفندوى لوبرة الواصل بين بطحاء الماوى
العجيب المسمى بلوبرو وبين بالى رويال وقد نورت بطحائه وحافاته بالكهربا ومنها
الباساج أى الاسواق المسقفة بالزجاج التى لا يمر فيها الا الماشى وهى ذات حوانيت
يمينا وشمالا من أبدع الاشكال والتنسيق ومنها غيضة أبو دى بولونيا اى غابة بولونيا
من أبدع الآجام والغابات المشتبكة بالتصنع وفيها بحيرة صناعية وجبال وأنهار وجسور
كلها اصطناعية وبها مماشى للعواجل وأخرى للفرسان وأخرى للمشاة ومقاعد وشلالات
تنحدر منها المياه بآجام ورياض وقهاوى ومطاعم بأحسن تنظيم وفى الغيضة ورمانية
وجسور وزوارق يركبها الناس الى بحيرة والناس يتنابون هاته الغيضة التى هى خارج
باريس فى الجهة الغربية الشمالية ليلا ونهارا وهى متنزه أهل الترف سيما أيام الآحاد
والاعياد وقد شهدت يوم عرض الجيش ويوم السباق الاكبر سنة ١٢٩٥ ان طرق
المصر الموصلة لهاته الغيضة قد غصت بالعجلات على كثرتها وسعتها فان طريق الشانزليزى
عرضه أزيد من عشر كراريس متحاذيات ومع ذلك لم تستطع العواجل ان تتحرك فيه
وكذلك طرق هاته الغيضة حيث ان الميدان وراءها وهو سهل رحيب نحو ميلين فى
مثلهما وفى جهته الغربية ثلاثة أواوين منفصلة عن بعضها ومتلاصقة مستقبلة بروا شنها
ومقاعدها جهة الميدان وأوسطها به بيت لصاحب الملك وجميعها مبنية جهة استقباله

هى

هى ان بعضه أعلى من بعض متدرجا و يدخل اليه من ظهره وامام كل منها فسحة بها
كراسى و يفصل بينها وبين الميدان درابزين ولا يدخل الى تلك الاواوين الا من كان
بيده تذكرة الاستدعاء من الدولة وقد حضرت موكب السباق سنة ١٢٩٥ من
خصوص المدعوين ما يزيد عن الخمسة والثلاثين ألفا (أما) مجموع المحيطين بالميدان
من راكب وراجل فهو يزيد عن نصف مليون من الخلائق وحول الغيضة أيضا
ميادين أخر لغير السباق الكبير وبها محل للرماية وهاته الغيضة دمرتها عساكر المانيا
وعساكر فرانسا سنة ١٢٨٣ حيث كانت مرتعا للحرب ولكنى لما رأيتها سنة
١٢٩٣ كانت كأن لم يكن بها شئ وكانت أشجارها نابتة فيها منذ قرن حيث انهم
لما أصلحوها نقلوا اليها الاشجار العظيمة من الغابات ولهم فى كيفية نقلها براعة أعان
عليها علم جر الاثقال والآلات البخارية حتى انهم يحملون الشجرة بأرضها النابتة بها من
غير أن تمس عروقها ويبقى عليها كأنه مزروع ومنها غيضة بوادى فنسن وهى خارج البلد
من الجهة المقابلة للغيضة السابقة وهى على نحوها وأشجارها أكبر وبرانها الارونق
عليها وكان ذلك لعدم انتداب الاغنياء اليها وانما يجتمع فيها الاواسط والفقراء
لبعدها عن حارات الاغنياء ولكن فيها وبها ساحات لالعاب رياضية بدنية و آلات
كثيرة تستعملها الاهالى وهذه الغيضة يوصل اليها بالعجلات والحوافل المسماة
بالامنيبوس و بالترامواى الذى تجره مركبة بخارية وكلا هذين النوعين لا يستعمل
فى الغيضة السابقة لكثرة وارديها من الغنى والشرف ومنها غيضة بارك مونسو قريب
الشانزى لزى لها أبواب من حديد مذهب أبدع من أبواب سرايات الملوك المشرقيين
وهى ليست بكبيرة جدا وفى باريس عدة غيضات على نحوها فى كل قسم منها غير انها
أدون منها تأنقا ومنها جردان دى كليماتسون الذى أنشأته جمعية أهلية للنباتات
والحيوانات وقد جمع فيه من كلا الامرين كل ما يقدر عليه البشر من جميع أقطار العالم
ولكل نوع من الحيوانات أو النباتات هيئة وهواء صنعى على نحو ما هو معتاد به فى قطره
وقد تيسر بذلك الحفظ على حياة جميعها غير ان الاشجار الداخل هواؤها اذا أثمرت لم
تكن ثمرتها كأصلها ومن ذلك النخل فان ثمره لم يكن كثمراته والحيوانات التى يصعب جلبها
اذا مات منها شئ فانه يصبره لينظر على نحو ما كان عليه مدة حياته أما ما رأيته فيها
من الحيوانات البرية والبحرية فمحله كتاب حياة الحيوان ليستوفى الكلام عليها وأقول
باختصار ان أنواع الكلاب وحدها تزيد على المائتين فضلا عن غيرها وكذلك أنواع

الببغاء من الطيور بألوانها وتذهيبها البديع ومن الحيوانات الغريبة نوع من
الضأن الكبش منه كالحيوان السبع غير أنه لا يأكل اللحم وإنما هو سوري وحشي
قوي جدا ومن حيوانات الجزائر أسد يجرونه بصوت عال ويخرج الى البراح بابه كل
ما يلقى اليه وهو سريع الحركة قوي بنا جسده ومن حسن تربية الأشجار أن شجرة ترى
قاعدتها على أصل واحد ثم تتفرع وتصير كالكورة ثم تجتمع وتصير أصلا واحدا ثم
تختلف على أشكال عديدة وفي هذا البستان عجلات تجرها خيل صغار جدا لمن يريد
الجولان راكبا وفيه عجلة يجرها أربعة من المعز يركبها الصبيان وأخرى يجرها نعامة
يركبها الصبيان أيضا وهناك أفيال يركبونها كما يركب كل من يريد ذلك وفيه أيضا
محلات للقهوة وأخرى للجلوس وتتناوله الموسيقى في أيام من الأسبوع وعلى كل داخل
للبستان أن يؤدي فرنكا واحدا أما اذا أراد شيئا آخر غير المشي والجلوس فيؤدي أجره
وله أن يشتري من كل ما في البستان من الحيوان والنبات غير أنهم اذا كان لهم من النوع
فرد واحد فلا يبيعونه وقد وجدت في سنة ١٢٩٦ مأوى مركبا من سودان أفريقية
يسمونهم بالزولوس لوقوع الحرب بينهم وبين الانكليز في ذلك التاريخ لكنهم في الواقع
من سودان مصر كما صرحوا لي أنهم من هناك ويتكلمون بالعربية ويصورون حروبا
وغيرها ومنها جردان دي بلانت وهو مثل الذي في سراي [illegible] فالأول
أبهى منظرا وأكثر نباتات والثاني يشتمل على الحيوانات المتوحشة التي عدم
وجودها في الأول لأن الثاني للدولة وهي تتكلف بإيجاد الأنواع الأكثر لكن قد كان له من منه
واحد لكنهم أكلوه عند محاصرة باريس ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م ومن العجب
ما رأيته من الثعابين ثعبان أسود في غلظ فخذين وعيناه حمراوان جدا ويظهر عليه
خبث شديد وإزعاج الحائط الذي هو وراءه الآن قابض من الحديد شبكة شديدا
ضيقا ويقال ان سبب تجديد الزجاج كونه شق الزجاج منذ زمان [illegible] وما رأيت فيه
الحيات على أنواع ويأتون لها بالأولاد الفراخ الصغيرة ويدخلونها عندها فتنهش الحية
وتعرض عنه فيبقى ماشيا عليها يتطرب ثم تعود اليه الى أن يموت وتأكل منه [illegible] ذلك
لأنها متعودة على أكل مثل ذلك وأصعب من هذا الاقتدار اعتناؤهم بتربية كل حيوان
على طبيعته كما يعهده هذا البستان بكونه مدار للتشريح والتاريخ الطبيعي
مجتمعا فكانت جميع الأجسام من أنواع الحيوان فيه مصبرة ومشرحة والانسان
على جميع أطواره من النطفة الى الشيخوخة كما يوجد فيه خزانة للكتب في الفن
المذكور

المذكور ومنها قصر معرض سنة ١٨٥٧ م الذي جعل فيه الآن أنواع الصور والاصنام
ومنها قصر اللوفر الفخم المتقن البناء والتنميق الملوكي وكان مسكنا للملوك والآن معرضا
للظرف والآثار الدهرية وفيه بيت يشتمل على بعض بدائع ملوكهم وجوهراتهم
ومما فيه مائدة من المرمر الابيض مرسوم على سطحها خريطة أرضية بألوان المرمر الاخضر
والاحمر وغيرهما بحيث أن كل جهة من الارض بلون خاص وفيه بيت لآثار الصينيين
وآخر لدواخل أفريقية وآخر لاعمال فردينان دي لسبس سعى باشا وفيه صورة
خليج السويس مجسمة مع جميع آلات الحفر والاشغال وعدة بيوت لصور تشتمل على
عشرات الآلاف من الصور وأخرى لبلدان مجسمة وبحار وسفن ومراسي وجميع
غرائب الاقطار يقضي فيه الانسان مدة أيام ولا يستوفي حصر ما فيه وقد أخذ من هذا
القصر قسم لادارة قسم من مالية الدولة ومنها قصر التولري الذي وصله نابليون الثالث
بالقصر السابق وحرقه الاشتراكيون بالحرق في ثورة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م
وعينت الدولة قطعا منه بالرسم على أصوله والعمل جار فيه مع أن ما كان داخله
من الفرش والظرف لا يمكن استعواضها بحيث كان مقر الامبراطور ويحتوي على
أنفس بدائع الملوك وأمام هذا القصر حديقة بديعة نضرة بها ملاهي يقصدها الناس نهارا
وليلا ورأيتهم ليلة ١٥ من أعياد المارديجراي بآلة [illegible] كبيرة جدا في طول الانسان
حيث إنه أتقن دقها بدون أن تكون أمامه ورقة التعليمات ومنها الاوبرا كران أوبره
الذي هو أبهى وأنظر من سائر القصور والملاهي واحتوى على الفخامة والترويق
والتأنيق والاسراف فدرجه المرمرية وشبكاته ودرابزيناتها توقف الابصار وهو ذو تسع
طبقات للمتفرجين وايوانه للسفر بحري ويحمل خمسة آلاف من الشموس وينور
بالكهربا وأخبرت أنه صرف على انشائه وتنميقه مائة مليون وأربعة عشر مليونا فرنكا ومنها
قصر لكسنبورغ وهو وإن لم يلحق نفاسة ما سبق ذكره من القصور لكنه عجيب
وبجانبه دار الرصد العجيبة التي هي في أرفع بقعة بباريس وفيها من المرايا المكبرة أنواع
شتى منها ما هو في حجم مدفع كبير وفيه بيت سقفه يدور على عجلات لكي تدور المراية إلى
أي جهة من السماء من غير مانع وترى منه الكواكب ليلا ونهارا وقد شاهدت نهارا
بالمرآة نجم الريغولوس الذي لا يرى أبدا إلا بالمرآة وقال المدير إن بعده عن الارض
أربعة وعشرون مليونا ميلا والحاصل أن في هذا المرصد جميع آلات علم الفلك وبه علماء
مثابرون على الرصد والتفتيش على ما يمكن لهم الوصول إليه ومنها قصر معرض سنة

١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م وهذا المعرض البديع الذي حوت به باريس نوادر أمتعة سكان
الارض وحفلات يوم احتفال الكرام هو أبدع من جميع المعارض التي سبقته في جميع
البلاد ولا بد من قولي احتفال الكرام ان القادمين تقوم بشؤونهم فرادى بل كل منهم
يصرف على نفسه وانما المراد هو التنوع لاحضار ما تشتهيه أنفسهم وتلذ به أعينهم من
كل ما يدخل تحت قدرة البشر ثم انفاق النفقات الباهظة للحفول العامة والمآدب
التي يصنعها كبراء الدولة أحيانا ويدعون اليها أعيان المسافرين والاهالي فان دولة
فرانسا قد دعت ملوك أوروبا وغيرهم من الامراء والوزراء وكل من له اقتدار من غيرهم
فانه يأتي لمشاهدة ما لا يمكن الوصول اليه بسهولة حيث انه يرى أنموذج جميع ما في
الارض كله بمحل واحد وقد كان ممن أجاب الدعوة من الملوك شاه ايران ومن غريب
التواريخ ما قلته في رحلته ثلاثة وهو قولي مؤرخا (قد زار أوروبا الشاه ناصر الدين) ١٢٩٥
لكنه قدم على غير الصورة الرسمية ولذلك سكن بأحد نزل المسافرين وقد ذكرت الصحف
انه أفطر يوما ببلد فونتين بلو التي حولها غابة ومنتزهات فكانت نفقته في ذلك
الفطور أحد عشر ألف فرنك ولا يخفى ان سائر الاشياء كانت في تلك السنة في نهاية
الغلاء بباريس لا سيما المأكولات والمشروبات بدخول المعرض لكثرة الواردين من
الاقطار حتى قيل ان معدل القادمين من الانكليز كل يوم أربعمائة ألف ومنهم
الزائرون فضلا عن غيرهم من سائر الاقطار وقد اجتمعت مدة هذا المعرض بأعيان من
العرب وغيرهم فمن أعزة أحبائه وعلى الخادم النصوح محمد الطاهر الزاوش الذي هو من
خيار الاهالي وترقى بنصحه لدى الامير ولي العهد بتونس الى ان ولي مستشاره وأبدى من
النصح والنجابة في اسفاره مع مخدومه لسياسة القبائل والعربان ما أدرك به انه صدوق
وله دراية جيدة بأخلاق الاهالي وله نصح ووفاء عظيم مع الامير وسائر الصدر وكذلك
قدم من ابناء اوطان الوزير خير الدين والعلامة سالم أبو حاجب وقد تقدمت ترجمتهما
واجتمعت بوحيد دهره الناصح للامة الباذل في الاخلاص اليها نفسه حتى مات شهيدا
ألا وهو مدحت باشا الذي ولي صدارة الدولة العثمانية وتعد بمساعيه القانون الاساسي
الذي لو جرى به العمل حقيقة لنجت الدولة مما ألم بها لكن لما كان الحق صعب الاجراء
الا على من وفقه الله قد عزل ذلك الوزير الوحيد من الصدارة قبل استقرار العمل بالقانون
ثم نفي الى خارج الممالك العثمانية ثم أذن له بالاقامة في جزيرة كريد ثم ولي واليا على
الشام ثم نقل واليا على أزمير ثم قبض عليه وحكم عليه بالقتل بدعوى اشتراكه في خلع
السلطان

السلطان عبد العزيز برؤية له لكن أكثر دول أوروبا أنكرت الحكم مع العلم بأنه بالحق
الصراح فعوض عن القتل بالسجن المؤبد في الطائف من الحجاز ثم شيعت وفاته شهيدا
للحق رحمه الله ونفعنا به وكذلك اجتمعت بذي الأصالة دولتلو الأمير حليم بن محمد على
باشا الأخير وعم الخديوي الحالي وكذلك بعبد الرحمن بيك وبس نازار آغا وغيرهم من
أعيان الأمصار في الاجتماعات الخصوصية زيادة على الاجتماعات العامة في المآدب التي
أشرنا إليها من دولة فرانسا فقد دعيت مدة إقامتي هناك تلك السنة لمأدبة في وزارة
البحر وأخرى في وزارة الخارجية وأخرى في وزارة المال وكل منها كان خارج المحل
وداخله على غاية من التنوير والتزيين وجنانه ملونة الأنوار الأرضية والهوائية كألوان
أزهاره وموائده المآكل والمشروبات والحلويات مصفوفة والموسيقات عازفة والأعيان من
النساء والرجال يرقصون أو يتفرجون في الملهى المخصص للطربات وصاحب الوزارة
الداعي والبيت المضيوف يقف في البيت الثاني من المدخل هو وامرأته ويسلمون على
الداخل ويتلقونه ثم يكون الداخل على حسب إرادته ولا يلزمه الوداع عند الرواح
ويرى الإنسان آلافا من المدعوين بأنواع أسماء وذوي النياشين متقلدين بها ورئيس
الجمهورية يؤانس البعض ونساؤهم يتبرجن بدلالهن ولباسهن وحليهن فإن منهن من تلبس
الشفوف المطرز باللؤلؤ النفيس من صدرها إلى ذيلها وحليها المكللة بالياقوت الملون
ولا يكلم بعضهم بعضا في هاته المواكب إلا من كان له معرفة بالآخر أو عرفه معرف
ثم إنهم يتهيئون إلى أدنى مناسبة للتعرف بالغريب ويؤانسونه وربما اضطرت المرأة
زوجها أو قريبها إلى عمل مناسبة للتعرف بالغريب سيما إذا كان لباسه على خلاف
معتادهم وقد عينت الدولة لمصاريف تلك المواكب عدة ملايين فضلا عن مصاريف
الليلة الحافلة التي أعدوها تذكار الجمهور فقد روي أن مصروف الأهالي والمجلس
البلدي في التنوير والتحسين والألعاب النارية بلغا وستة عشر مليونا فرنكا وإن ثمن
الرايات التي نشرت على حيطان الديار والطرقات تجاوز الأربعة ملايين وكان مركز
ألعاب تلك الليلة هو بركة أو وادي بولونيا وقد اكترى بعضهم طاقة في الطبقة التي فوق
من الدار التي تسكنها للفرجة تلك الليلة بسبعمائة فرنك حيث كانت على النهج الكبير
الموصل إلى محل الألعاب وكان المهندسون والعملة متهيئين لها منذ نصف شهر وعلقت
الثريات والفوانيس على الطرقات قائمة على عيدان ومشبكة بالأشجار وما قرب غروب
تلك الليلة إلا وانتشرت العساكر والخيالة في جميع المراكز لحفظ الراحة وخشية من

الاحزاب المصادقين للجمهورية وما غربت الشمس الا وبان ضوء انوار المصابيح ووضعت القناديل من السير في الطرق مطافا وما بدت النجوم الا وتصاعدت لها شماريخ البارود ترى لها بانفاق ازهار الوانها مختلفة الاشكال وترى كم ازدحام خلق الله بما يذكر يوم الحشر الاكبر ودام الحال على ذلك واصوات الموسيقى والبارود تتهادى من كل طرف الى نحو الساعة الثالثة من بعد نصف الليل ورجعت العساكر الواقفون على البركة بخيلهم ورجالهم وبايديهم فوانيس على ميدان والموسيقات تصدح بلحن المرسيليا وهي قصيدة في اثارة الحمية لاهل الوطن كانوا اعلنوا بها في الثورة الكبرى سنة ١٨٣٠ اطلب الحرية وقد كان ترجم هذه القصيدة العلامة رفاعة باشا رحمه الله ونضدها ودونكها بنصها

فهيا يا بني الاوطان هيا • فوقت فخاركم لكم تهيا
أقيموا الراية العظمى سويا • وشنوا غارة الهيجا مليا

عليكم بالسلاح أيا أهالي • ونظم صفوفكم مثل اللآلي
وخوضوا في دماء أولي الوبال • فهم أعداؤكم في كل حال
وجودهم غدا فيكم جليا • بنا خوضوا دماء أولي الوبال

أما تصغون أصوات العساكر • كوحش قاطع البيداء كاسر
وخبث طوية الفرق الفواجر • ذبيح بنيكم بظبي البواتر
ولا يبقون فيكم قط حيا

(عليكم الى آخر الابيات الثلاث)

فماذا تبتغي منا الجنود • وهم همج واخلاط عبيد
كذا أهل الخيانة والوعود • كذلك ملوك بي ان يسودوا
تصميم لنا لم يعد شيا

(عليكم الى آخره)

لئن حملوا السلاسل والقيودا • وأغلالا وأطواقا حديدا
لأهل فرانسا اضحوا عبيدا • وليس مرامهم هذا جديدا
أما هذا عجيب يا أخيا

(عليكم الى آخره)

وكيف

وكيف يسوغ ان نرضى رعاعا * من الاعراب يعدون ارتفاعا
ويجرى شرعهم فينا شراعا * وانذالا لديهم لا نراعى
رعايا بل نكب على الحبا
(عليكم الى آخره)

فيا اسلام من المذلة * فما نرضى ان نبقى أذلة
وبأسرنا وثقتنا أجله * فريق بالدراهم قدتوله
فكيف وقدرنا اضحى عليا
(عليكم الى آخره)

الى كيف يقهرنا ملوك * بغير العدل ليس لهم سلوك
وانذال للاستعباد حيكوا * وما فى الغرب شر كما شريك
ولا احد به ابدا حريا
(عليكم الى آخره)

فقلت لهم أيا أهل المظالم * وارباب الجرائم والمآثم
اما تخشون من تلك الجرائم * كذا أهل الخنا تعلو المكارم
وطلبهم لقد بلغ الثريا
(عليكم الى آخره)

أحلوا الخوف نحوكم أماما * وخلوا العدل عندكم ماما
ونقضكم لوطنكم ذماما * به تجرون ذلا وانتقاما
وتكتسبون عند القوم خزيا
(عليكم الى آخره)

فها كم قد تسكرت الاهالى * وسارت كلها نحو القتال
لتقصم الممالك لا تبالى * اذا ماهاب ليث فى النزال
تولد أرضه شبلا صبيا
(عليكم الى آخره)

صغير القوم منا والكبير * يحب قتالكم فرحا يطير
فصار بكم وليس لكم نصير * وليس بحربنا أصلا نظير
وما تأتوا بالقوى عيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا وطن به همنا غراما * به تقوى عزائمنا دواما
غنائمه ونخشى أن يساما * ونأخذ ثاره من تعامى
وجار وان يكن ملكا عتيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا حرية في الكون تسمو * تزيد اذا الحروب بدت وتنمو
غنائم من بنيها يا سامهم * بها ثمرات نصرتهم تتم
على نغم التهانى والحيا

﴿عليكم الى آخره﴾

تموت عداتها موتا شنيعا * اذا ما أبصروا هرما منيعا
يحوز حماتها عددا رفيعا * فويل للذى يبغى الرجوعا
لرق يكتسى خطأ وغيا

﴿عليكم الى آخره﴾

سنذخر ملك أرباب الجهاد * كأسلاف لهم طول الأيادى
وننصر نصرهم فى كل ناد * وننعو فعالهم فى كل واد
ونبلغ فى العلى شأوا قصيا

﴿عليكم الى آخره﴾

نؤمل أن نكون لهم فداء * وكل فتى بمصر العصر باء
وان لا بعدهم يبقى صفاء * اذا ننتقم لهم العداء
ونأخذ ثارهم من كل حيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وهذه القصيدة جعلوا لها لحنا خاصا وكانوا يترنمون بها فى ليلة تذكار الجمهورية ولم ينقطع فى تلك الليلة صفيرهم مع أن بعض اضداد الجمهورية لم يفتح طاقة تلك الليلة ولم ينور فانوسا وبعضهم رحل عن البلاد بالمرة تلك الليلة ومن الاحتفالات الواقعة لصنوف المعرض الاحتفال الذى صنع بمرض الحبش حول اوادى بولونيا كما رد كرعنه فمدة احتفال الموكب بالمتفرجين الذين يجاوزون النصف مليون ومنهم شاه ايران والفا كرترى من بعد حول تلك التلال والهضاب واذا بالمارشال مكماهون رئيس الجمهورية

الجمهورية اذ ذاك قادما راكبا على حصان أشهب عربي يقدمه ثمانية فرسان من
العرب ممن كان بالجزائر بلباس العرب وبرانيسهم حمر وسروجهم عربية وورائه وزير
الحرب ثم نحو عشرين فارسا من ضباط العساكر والمعينين وكلهم بالملابس الرسمية فلما
دخل الميدان وسامت وسط الموكب اومأ بالسلام لجهة المتفرجين بمحل الجلوس في الايوان
الوسط ثم ركض حصانه وصار يطوف على كراديس العساكر وهو مهما وصل الى راية
الا وكشف رأسه وومأ بالسلام الى ان طاف على الجميع ثم رجع الى أمام الايوان الوسط
واستقبله ووقف وكان أمير الجيش كله المكلف بذلك الموكب هو أمير جيش باريس
فجاء راكبا وسلم على رئيس الجمهورية ثم انحاز الى جهة الايوان واصدر أوامر
الحركات العسكرية فاذا بالجيوش من كل حدب ينسلون وجاء الالاي الاول
وموسيقته تعزف أمامه فلما حاذت رئيس الجيش وقفت ومر الالاي ماشيا من الجنوب
الى الشمال بجميع لوازمه وسلاحه الى أن انقضى خلفه ووقفت موسيقته وهكذا الى
ان مرت خمسة وأربعون الفا من العساكر المشاة ثم أقبلت الخيالة المدرعون مربعا مربعا
عشرون خمسا وكل مربع متقارب لون الخيل الى أن مرت خمسة آلاف خيالة ثم أقبلت
الطبجية أي عساكر المدافع مدافعهم تجرها الخيول ذاهبين خببا الى ان مرت مائة
مدفع وثمانية مدافع وكل فرقة من الجيش يقدمها رئيسها راكبا ويقف بين
يدي الرئيس الى أن تمر فرقته فيتبعها وكلما مرت راية كبيرة أومأت بالسلام للرئيس
وكشف هو لها رأسه ومنذ سلم هو وعند دخوله الموكب الى ان انفض الموكب كانت
المدافع تطلق من الحصون وعندما مرت العساكر الاهلية أبناء باريس ضج
الموكب بالتصفيق والتحيات استحسانا لخفتهم ونشاطهم حتى صارت كاصوات الرعد
ووقع لغيرهم قليل من ذلك النوع وكان اليوم حارا والرئيس مستقبل الشمس بلا مظلة
وقد سقط عسكري من حر الشمس ففي الحال حمل في نعش مصابي العساكر وعالجه
الطبيب وأرسل اليه الرئيس مرارا متفقدا وعند خروج الناس للرجوع احتبكت
الطرق واشتبكت الكراريس على أصحابها وكان يوما مشهودا واشتباك الكراريس
انما كان مستمرا لانه من عاداتهم في هاته المواكب اذا حضرت كروسة يتلقاها أحد
خدام المكلفين واما ينزل الراكب يعطيه بطاقة رقمها عدد خاص ومثلها للسائق
الكروسة ويوقف كروسته في مكان رحيب على ترتيب الاسبق فالاسبق فاذا خرج
الراكب أعلم أحد أولئك المكلفين بنمرته فيرفع صوته بها فتأتي الكروسة بمجرد سماع

سائقيها بعد تغربه من غير أدنى اختلاط ولا تعب لكن في ذلك اليوم حيث خرجت الناس
دفعة مع كثرتهم ومع ازدحام الناس خارجاً وقع الاختلاط وعدم انتظام المراكب
ومثل ذلك استعمال يوم السباق فإنه إنما تنتظم المراكب على نحو السابق ثم يأتي خيل
السباق وكان الجعل من الدولة للمجلي مائة ألف فرنك وللمصلي عشرة آلاف ثم الثاني ثم
علق في عمود أسماء الخيول المدفعة أولاً وكانت ستة عشر فرساً من عتاق الخيل الجياد
العربية وكل منها مسرج بسرج صغير جداً وركابها متساوون في الوزن حتى إذا كان
أحدهم أخف حمل أثقالاً تسوى به مع أصحابه وكل منهم لابس لباساً لاصقاً بالبدن وعلى رأسه
قلنسوة قصيرة ضيقة من الحرير بأحد الألوان لكل لون خاص وكل منهم يمسكه رجل ثم
يتصافون سواء من مبدأ الميدان ويضرب جرس إذاناً بالركض فاندفعوا راكضين وكان
الميدان على هيئة دائرة واسعة تتصل بأخرى أوسع منها ثم أخرى أوسع ولكل فرقة من
الخيل حد فأعلاها إنما تقطع الدوائر الثلاث ومجموع طولها نحو ستة أميال وأدناها
ما يقطع الأولى فقط فالسرب الأول كان من المتوسط وحاز قصبة السبق حصان أحمر وعلق
اسمه واسم صاحبه ثم فرقة أخرى وهكذا ولما خرجت الفرقة العليا ثارت الناس
وكثر اللغط في المخاطرة كل يدعي أن الفرس الفلاني يغلب وكثيراً ما تربح عشرات
الملايين في مثل ذلك السباق بالمخاطرة بين المتراهنين ثم انصبت الخيل راكضة وكانت
ستة فقط وكانوا أولاً يتعاقبون على أثر بعضهم بحذاء الداخلي من الدائرة ولا يطلقون عنان
الخيل وعندما توسطوا الدائرة الثانية أرسلوا الخيل على غايتها فخلف من تخلف ولم
يسبق إلا ثلاث وعندما بقي الربع من الدائرة تخلف الثالث وتجارى اثنان فكان كل
منهما تارة يكون سابقاً وتارة مسبوقاً لكن لما قربت قصبة السبق فاز الأحمر الكميت
وصار ينظرها المتبارون من شدة استطارته وكانت تلك السابقة من أول الأمر لما
تفرست فيه من خفة نفسه وتقارب وسرعة حركاته مع أن الكل مستوون في صفات
الجودة غير أن هذا أحد وأخف وقد أعطى صاحبه للراكب عشرة آلاف فرنك من
الجائزة لأن عادتهم أن يكون لمصير السباق فرسان محترفون أو سائس الفرس أما
صاحبها فلا يسابق بنفسه إلا نادراً مع أمثاله وليس ذلك زهداً منهم في الفروسية بل أنفة
لأنهم كثيرو الركوب للصيد نحو رجالاً ويصرفون على تربيتها وتوليدها أموالاً
جسيمة حتى يباع الفرس الواحد بألف دينار أو يزيد ويكتبون أنسابها متسلسلة
وأصلها من العراب وذكر لي أن جد أقدم أصل من خيل انكلاتيرة هو حصان تونسي

اشتري

اشترى من جمال ثم اعلم ان المعرض الذى نحن بصدد ذكره موقعه فى الجهة العربية
الشمالية من باريس بقسمة نهر السين الى شطرين فما كان عن يمين الجهة دار الصين
يسمى الـ[illegible] وكادرو وبنى به قصره على شكل بديع وبناء متقن ليبقى هناك مدة عامرة
المشار اليه اولا وامامه رواق وقدامه بركة ماء واسعة جدا على حواشيها صورة اسد وثور
وفرس وخنزير وكل صورة منها ضخمة جدا كلها مذهبة والماء متدفق من بينها بهيئة عجيبة ويحيط
بالجميع حديقة انيقة وحول هذا المكان بنايات اصورة بنايات الممالك التى اجابت
الدعوة فمنها دار ارسلها سلطان المغرب كلها من خشب على هيئة دار بفاس وبها النقش
حديدة وغيرها مما هو معتاد عندهم وكذلك فرشها ومنها قصر صغير بعث به شاه ايران على صور
قصور بلاده ومن عجيب ما به سقف بيت كله من البلور الملمع على هيئة عند[illegible] وهكذا
كل مملكة اجابت الدعوة تبنى مكانا على هيئة ابنيتها فى بلادها وحول تلك الابنية
مخادع ومقاعد وحوانيت وقهوة فى تلك الحدائق والشطر الثانى من المعرض يسمى
شان دى مارس وفيه حدائق اصغر فيها سوارى ومطاعم وفيه المحل المهم المقصود من
المعرض وهو بناء عظيم واسع طوله نحو ميل فى ثلث لعرض كله بناء من قضبان حديد
ومقسم على اقسام على حسب الممالك كل مملكة اتت بانموذج ما عندها من الجمادات
والنباتات والحيوانات والمصنوعات قل او جل حقر او عظم فكان ذلك الجامع لجميع
انواع ما يوجد فى الدنيا لانه اجابت دعوة فرانسا الى ذلك جميع الممالك ذات الشان
الا الدولة [illegible] والمعرض حينئذ [illegible] ما ادى يعجز
عنه الواصف ولنا [illegible] من المستغربات التى لم تزل [illegible] فمنها ساعة ذات
اربعة اوجه مرفوعة على نحو اسطوانة ارتفاعها ازيد من ستة اذرع وفوقها صورة
كرة ارضية معلقة فى القبة التى فوق الساعة ويحيط بالكرة صورة الشمس والقمر
وبقية الكواكب السيارة والمرئية من جهة كون الساعة ليس لها آلة تحركها سوى
تلك الكورة وذات [illegible] مركز تعلقها ومنعت من الاستقرار
بمركزها مراض قائم فى راس الساعة متصل بالآلات ساعة الدوار وكانت الكورة
قطب المركز وتدفع العارض [illegible] وهو يدور وهى تدور معه وهكذا وهى من مصنوعات
الفرانسيس وقيل ان ثمنها ستون الف فرنك ومنها مقعد من البلور الرفيع ذو ثلاث درج
واثنى عشر ضلعا مرفوعة قبته على اسطوانات من البلور يجلس به اثنا عشر انسانا كله
قطعة واحدة من البلور المصنع وهو من صناعة [illegible] ومنها طبيعة تصنع بلوز فى آلة

واحدة ويخرج عددا وافرا في كل دقيقة ومنها ارسال الرسائل المكتوبة في قنوات من
حديد مفرغة من الهواء متصل بسرعة كالسلك الكهربائي وقد صار الآن في عدة جهات
من باريس ارسال الرسائل بتلك الصورة ومنها الجوهرات والتحف الغريبة التي اهداها
ملوك الهند الى ولي عهد انكلاتيرة وهي كثيرة عجيبة جدا ومن أغربها فيلان من العاج
في طول الذراع وراكبهما على صورة رأس أسد وعيناه ياقوتتان حمراوان لم أر أجمل
وضوءا وأخلص منهما الى غير ذلك مما يقصر عنه وصف الواصف من بدائع الصنائع
والمخلوقات وأما بقية اماكن وبناءات باريس الشهيرة فهي كثيرة جدا ومن أهمها
ليزانفاليد وهو محل العاجزين من العساكر وبه آثار الاسلحة القديمة منذ عرف السلاح
في الدنيا الى الآن وبه قبر نابليون الاول والرايات التي غنمها وعلى قبره هيكل وتابوت
فوقه تمثاله وبه مزار حلو فيه رؤوس جميع حروبات عرشيه تذكرة منهم وحوله
قشلة كبيرة للعاجزين من العساكر بالسن أو الجروح الذين يريدون الاقامة هنالك
زيادة على القيام بجميع ضروريات هم خدمة وكل من لا يقدر على المشي تجعل له
عجلة صغيرة يحركها بنفسه ان قدر والا جرها خادم للتروح في المنتزه الذي حول ذلك
المكان والمدير لهذا المحل رجل من رتبة أمير آلاي ذو اخلاق حسنة ومعارف جيدة أما
ملاهي باريس فهي كثيرة ومختلفة المقاصد ولا يقصدون بالملاهي مجرد التلهي بل
ظاهرها التلهي وباطنها فائدة من الفوائد كالالمام بتاريخ قريب اتخذت محاسنه
وتجتنب قبائحه لان المرائي يشاهد النتيجة عيانا فتكون أوقع في النفس وكالافادة بفائدة
علمية مثلا تحصل في أحد الملاهي من ذكر كروية الارض وان من يقطعها ذاهبا الى جهة
الغرب في نيف وثمانين يوما فاذا وصل الى المكان الذي خرج منه يجد انه نقص له يوم
من أيام الاسبوع مثلا يرى انه وصل في يوم الاحد والحال ان اليوم عند أهالي ذلك
المكان هو يوم الاثنين وبعكس ذلك من يقطعها ذاهبا الى الشرق فانه يزيد عنده يوم
فيرى انه وصل يوم الثلاثاء والحال ان اليوم عند الاهالي هو يوم الاثنين وذلك لان المسافر
الى جهة الغرب يكون ذاهبا مع الشمس فاليوم بليلته عنده أزيد من أربع وعشرين
ساعة فيجتمع في تلك الايام يوم كامل يضيع على المسافر ويزيد عند مقابله مثله لان
اليوم بليلته عنده أقل من اربع وعشرين ساعة لذهابه ضد سير الشمس وقد نص القرافي
على هاته المسئلة وما هو الحكم الشرعي فيما اذا صادف اليوم المختلف فيه يوم الجمعة
فان المقيم عنده يوم الجمعة والمسافر الى الغرب عنده الخميس والمسافر الى الشرق عنده
السبت

البحث وغير ذلك من احكام العبادات والمعاملات الموقتة وان الحكم هو الاعتبار بما عند أهل المكان فأولئك اللاعبون يصورون هاته الامثلة اعتناء بتشخيصها وصورة السفر براً وبحراً وما يعرض من العوائق وغيرة الحال للتوصل به الى الاغراض الى غير ذلك وهناك ملاهي لافادة البراعة والبلاغة في الكلام وأخرى لافادة علم الموسيقى الى غير ذلك من الفوائد ولو السياسية فقد كانوا مدة رياسة المارشال مكماهون على الجمهورية طلب مجلس الامة ان تعزل ولاة البلدان ورؤساء العساكر الذين هم من حزب الملكية فامتنعت الوزراء من قبول ذلك وحل الرئيس المجلس واذن بانتخاب اعضاء آخرين ولما التأم المجلس الجديد أصر على مطلب سابقه فاراد الرئيس حله ايضا فامتنعوا من ذلك اذ لا حق له الا في حله مرة واحدة في نازلة متحدة وحصل نزاع كاد يفضي الى شغب فكان أحد الملاهي لاعبا واذا بأحد اللاعبين يقول ما ترجمته نظما.

المارشال مكماهون يخضع * وان أبى من الخضوع يخلع
كذا الولاة من سواهم تدفع * لان ذلك للبلاد أنفع

فدخل الحرس وقبضوا على القائل فلم يقر لهم أحد ولا وجدوا الكلام في كتاب الحكاية وآل أمر النزاع الى استعفاء المارشال واعلم ان تلك الملاهي يوجد منها ما هو مصيبة ومشغلة لكنه قليل والحاصل ان الملاهي لا تخلو عن فائدة معتبرة ومع ذلك فهم عالمون بما فيها من مفسدة مهمة وهي تعليم الشبان والشابات أوجه العشق ومعانيه ووسائله اذ قل ان يخلو تشخيص عن مثله ويعتذرون عن ذلك بانه يعلم أيضا شناعة ثمرات العشق وشناعة الفضيحة وآثار الموت على حفظ العرض مما يكون خاتمة تلك التشخيصات وكان ذلك لا يعتد به لاعتياد الروايات العشقية غالبة على عقول الكثير من الناس فتأخذ ما يلائمها وتهمل ما سواه ويؤيد هذا ان الكثير من محضر تلك الملاهي اتخذ اجتماعها وسيلة تمكن من اتمام تعرفه بالاصحاب والمتبرجات الشابات بدلالين ومجاهرين والنافسون وترى كلا من الحاضرين بيده مرآة مقربة وهو لا شغل له الا اشخاص من واحدة الى أخرى ثم يتوسلون بالوسائل الى محادثة يتفقون بها على باطل وكذا المتنزل الابكار والشابات مع الرجال الاجانب وأعظم دار للملاهي هو كران اوبرا الذي تقدم ذكره وكان دخله من اكتوبر سنة ١٨٧٩ الى نهاية ينار سنة ١٨٨١ الذي هو عام واربعة أشهر ٤٬٧١٥٬٠٠٠ فرنك ومصروفه في تلك المدة ٤٬٧٤٩٬٥٠٠ فكانت الخسارة أربعة وثلاثين الفا وخمسمائة فرنك زيادة على ما تعطيه الدولة

اعانة له لانه تهيء من دخلها في كل سنة اعانة للملاهي مثل العروض فرنك فكان معين للماوى
المذكور وما هي أوبيرا كوميك وما هي تياترو فرانسيز وما هي اودبون في سنة ١٨٨١
٠٠٠ر٣٢٤ فرانكا ورتب عدا بقية الملاهي [illegible] كما ذكر البيت الوحيد
في هذا الماوى سنة ١٢٩٥ مائة وعشرون ورقة في الليلة الواحدة وبه بيت لرئيس
الدولة يحتوي على مرافق وقد اذن لي بالدخول اليه بتكرمه من رئيس الجمهورية
اذ ذاك المارشال مكماهون ومن أهم الملاهي الهيبودروم لدى يجتمع فيه يلعبون العابا
عجيبة وكذلك ما هي السرك فترى الخيل تدرك مثل لانسان الحاذق وكذلك [illegible]
من الحيوانات ولو الصعبة كالاسود والفيلة وغيرها فالملاهي خاصة وطبيع [illegible]
كالادمي حتى رايت الشاة مستطوعا على الاسد وتركب على صدره و[illegible] راسها كانه في
فمه وهو هادئ مضطجع وحوله في حجرة التي هو بها [illegible] اسودا [illegible]
ضباع ثم [illegible] ثم اربعة من الدب كلها [illegible] حول [illegible] حجرة كانه [illegible]
عجيبة وذات الاسد الكبير في وسط حجرة [illegible]
منها لكي لا يسطو واحد على آخر وتلك الحجرة لا تحتوي [illegible] امر جميع تلك السباع [illegible] كانهم
هم الخائفون منه فغراب شاهدته هاته السباع في [illegible] والضبع واقف [illegible]
الاسود وبوله جار على رجليه ومع ذلك لا يجعل [illegible]
بالقرب من الاسد الكبير [illegible]
[illegible] ولكنه لا يضره شيء [illegible] من النوع شديدة بخلاف
الاسد مع الهرة التي [illegible] في [illegible]
[illegible] كل احد ولا يضر شيئا وهو [illegible] النوع
الذي ذكرناه بجبال الودارنة [illegible] مثل اقصى الاهالي كالملاهي
المشهودة يعملون [illegible] وامامهم [illegible] باريس [illegible] فهي كثيرة جدا [illegible]
به عن غيرها معمل [illegible] لدى [illegible] المنسوجات الشهيرة كالزرابي التي يضرب بها المثل
وكذلك معمل السيفر الذي يصنع به الاواني الخزف التي يفضلونها على خزف الصيني
وقد رايت به مائدة على ساق واحد [illegible] ارفع ما رايته من ذلك الشكل والوان وصفة [illegible]
ذكروا ان قيمتها ستون الف فرنك وكذلك معمل التمويه بالفضة والذهب [illegible]
الكهرباني فترى القناطير [illegible] وغير [illegible] وشوكات وملاعق
وغيرها يدخلونها في برك من مياه الفضة والذهب فتخرج كانها [illegible] واما
منازل المسافرين فتكاد ان لا تحصى واهمها النزل الاكبر في [illegible] فانه من
عجائب المباني والتنظيم وترى فيه [illegible] الا كل العام [illegible] واحدة يحيط بها

روش ويوقد به نحو سبعمائة مصباح وقنديل وحيطانه كلها مموهة بالذهب على أشكال
جميلة وبه سبع موائد كل مائدة يجلس عليها خمسون نفسا فتشترى الثلثمائة وخمسين نفسا
في بيت واحد يأكلون جميعا على غاية الراحة والفرح والابتهاج ولا تجمع فيه الامتعة والأكل
يأكلون سواء والمطورة بحسب الألوان والمشائه بسبعة لون عدة محلوبات والفواكه
وزينة المائدة الجديدة وثمن الأكل فيه واحد مسقو ربيت عشاء وربعة فطورا ويحتوى
المنزل على سقاية بجرة لا يكون وسطها يا متعد للجلوس وبعدا الى معابد العلماء بالجلوس
على كرسي صنعه آلة بحارة وأشباه ما شاهدته من حمامات في الصفات العامة
عرات الخاصة بحمام مرين قرب البيمارستان وهو في نهاية التأنق والتزويق وارجوحة
شبيه بالحمامات العربية في كونه له بيت كبير للاغتسال والعرق وبيت كبير لنزع
الثياب والراحة فيه منافذ بعد الاغتسال وبين البيتين حوض كبير مملوء بالماء الحارة
ينزل اليه كثير من المغتسلين بعد الغسل أخرج منه الى بيت الاستراحة وعند وصوله الى
الحائط لا يصل بين البيتين يحتار في دخول رأسه الحائط في الماء لان الماء واصل الى
اسفل الحائط وفي الحمام مدة يكبسون المغتسل ويغطونه عن الهواء المعتاد في البلاد
العربية ومنهم من يحترز وبعضهم من الدوام ثم حول المعارف وترقى العلوم
والمعارف فيها واسع جدا ومن احسن ما رأيت في باريس مكاتب العلوم العالية ولو لهم جامع
كبار العلماء ثم مكاتب قرائهم وهولاء يدرسون ومكتب أركان الحرب ومكتب المعاين
ومكتب الصنائع ومكتب الفنون علوم الطرق والجسور ومكتب علوم المعادن
ومكتب تعليم التجارة ومكتب الصنائع ثم نظر بيته ومكتب علم الموسيقى وعلوم تشغيل
الملاهي والتشخيص ومكتب اللغات المشرقية والآثار القديمة ومكتب الصنائع وجملة
مكاتب مقيدة للدولة وأما الابتدائية للأهالي فغير محصورة وهي كثيرة جدا ومكتب
للمستغنين عنها ومكتب لهم دونه ومكتب للعمى وآخر للصم البكم يعلمونهم بالاشارة والأحرف
المجسمة والطرق المعدة يعلمون في سائر المدارس كما في باريس ثمانية خزائن
كتب عظيمة للعامة تحتوى من المجلدات نحو ثلاثة ملايين مجلدا وأكبرها خزينة الكتب
العمومية التي هي أول ما عرف من خزائن الكتب وفيها بعض تحف عتيقة مثل قطع
من الشطرنج لدى كان اهداه هارون الرشيد الى شارلمان ويوجد فيها من
الكتب أزيد من مليون مجلد منها أزيد من ثمانين ألف مجلد بخط اليد ومن ثلث
الكتب الكتب التي أخذها بانبون دولة من مصر ثم الكتب المأخوذة من الجزائر

وقد رأيت فيها كتبا قديمة عربية ومصاحف كريمة أنيقة ذات أصفار وقطع من
الذهب وخطوط جميلة وكان فيها من الطالبين والناسخين نحو خمسمائة نفس نساء
ورجالا لكن الرجال أكثر على غاية من الادب والصمت وهذه الخزانة منزل قصره عظيم
ذى طبقات وحول المطالعة واحد ديوان واسع ثم بواسطة تلك المكاتب والكتب واعتناء
الدولة بواعث أمر الاجتهاد والتقدم فى العلوم وذلك بانعقاد جمعيات للتحريض والاعانة
بالمال وسائر الوسائل للوصول الى المقصود فى خصوص باريس فمنها جمعية اللغة
الفرانساوية وجمعية سائر العلوم وجمعية علوم الادب وجمعية المعارف الظريفة وجمعية
العلوم العقلية وجمعية علوم الطب وجمعية التحريض على الاختراعات وجمعية علم النباتات
وجمعية علم طبقات الارض وجمعية معارف آسيا وجمعية الاصطلاحات الدنيوية وجمعية الجغرافيا
وجمعية علم التاريخ وجمعية الرحمة الانسانية وجمعية الصيدلة وجمعية الفلاحة وجمعية
مقدمات الفلاحة وجمعية تربية النبات والحيوان وجمعية الصنائع الفرانساوية وجمعية
انتخاب سائر العلوم ومما يلحق بهذا الباب كثرة المطابع ومن أعظمها مطبعة الدولة ورأيت
فيها من أنواع أحرف اللغات التى يطبع بها ستة أنواع منها الاحرف العربية وعدد
المستخدمين بها يقرب من الف نفس وفيها كتب قديمة ويحتفظ بها كثير من اللغات ومنها
كتب عربية عتيقة بالخط الكوفى وغيره ومن المطابع المهمة المختصة بمصلحة طرق
الحديد يطبع اعلاناتها ودفاترها وجميع ما تحتاج اليه فيها من المستخدمين أزيد من
ثمانمائة نفس وتطبع بالحروف وعلى الحجر بغير اليد وهناك مطابع أخر كثيرة
للصحف وغيرها فان الصحف لها تأثير كبير فى المعارف حتى انه يوجد ثلاثمائة جريدة بين
يومية وشهرية وأسبوعية فى السياسة أو التجارة أو العلوم ومنها ما يطبع منه يوميا أزيد
من خمسمائة الف نسخة وفى بعض الاحيان لا تجد منه نسخة للبيع اذ قل ان تجد سائق
الكروسة ليس له صحيفة يطالعها فضلا عن غيره وأما أماكن الرحمة كالمستشفيات ودار
اللقطاء فهى كثيرة ويكفى أعظمها ما ذكرناه فى المستشفى الذى نظارته الى الحكيم
شاركو واللقيط ينفق على تربيته وتعليمه مجانا الى ان يبلغ أشده وهم كثيرون بسبب كثرة
الزنى والزانيات المتجاوز عددهم عشرات الآلاف منهن من هى فى ديار مخصوصة لذلك
مشهورة ولهن أطباء من قبل الحكومة لكى يمنعون المريضة بالامراض المعدية
ويدخلونها المستشفى ومنهن من هى فى دارها أو فى الملاهى أو خادمات الى غير ذلك
ومن أماكن الرحمة الدار الرحيمة المعدة للفقراء الذين لا يجدون مأوى وهم قادرون على
التكسب

التكسب فان هاته الدار تأويهم ليلا وتطعمهم ما يسد الرمق وتعطيهم فراشا بشرط ان
يغسلوا ارجلهم قبل دخوله ولا تقبلهم الا في الساعة الثانية بعد الظهر وفي السهر يسرد
عليهم قارئ كتابا في تهذيب الاخلاق والحث على العمل ولا يقبل الواحد اكثر من ثلاثة
أيام ومع كثرة المراحم فكثيرا ما يموت الناس في الطرق جوعا او بردا سيما في سوق الخضر
لان من لا يجد مأوى يتقي به من الزمهرير يموت بردا (واما طرق المواصلة) والانتقال
من محل الى آخر في وسع البلد فلهم وسائل كثيرة كالبواخر في نهر السين تقف على الشطوط
يمنة ويسرة لامن طرف البلد الى طرفها الآخر والركوب في هاته البواخر اذا لم تكن
مزدحمة بالخلائق فيه نزهة جميلة سيما خارج البلد ايام الربيع والصيف ومنها ما يمر على
القرى المجاورة للبلد ومن لوازم الترموي وتجره الخيل في اغلب الاماكن وفي الطرق
القابلة لمروره تجره مزحمة بالبخار ومنها الاومنيبوس وهو مثل سابقه غير ان طريقه
ليس حديديا ومنها ما لم يزل يجره بالبخار احذ والسور لكنه تارة يجري في نفق تحت
البلد ومنها الكراريس ولها ترتيب منضبط في باريس ازيد من غيرها الان التسعير
المرسوم لا يزاد عليه ولا ينقص بخلاف غيرها من البلدان ومع ذلك فان سائقي
العجلات أظن انهم في كل بلدهم اسوأ اهلها اخلاقا الا ما ندر وفي عام المعرض اكدت
عليهم الحكومة التأكيد الزائد وشددت في الحكم على من يتعدى منهم الحدود ومع
ذلك كانوا كثيرا ما يخونون الصرة ومن الوسائل ايضا الركوب على الخيل لكنه خاص
باصحابها واما المكترون فهم اقل استعمالا لها من الكراريس وسائر العجلات
وبالجملة فان في باريس مائة الف عجلة ومائة وثمانين الفا من الخيل وهذا كاف في
بيان مقدار الحركة واما رواج التجارة والسلع فانكتفي بذكر شيء منها وهو قصر البورس
الذي يروج فيه كل يوم تجارة تجاوز آلاف ملايين وفي احوال السلع نقتصر على ذكر
مخزن اللوفر الذي هو قصر ذو رحابة كبيرة ذو اربع طبقات فيه ستمائة مستخدم وفيه
من السلع كل ما يحتاجه الانسان من الملبوس واثاث المنزل والفرش بل وحتى الكراريس
والخيل التي تجرها واذا دخل اليه المشتري تلقته الخدمة بالبشاشة والادب وطافوا به على
كل ما يريد ويختار ثم يذكر لهم اسم محله ويذهب وهم يأتونه بما اختاره مع صحيفة
مكتوب بها الاثمان فاذا وجد شيئا غير الذي اختاره او سعرا غير الذي سمع به
رده ما لا يحبه واخذ الباقي واخذ صك الخلاص بعد دفع الثمن من غير مماكسة في السعر
ولا يخشى المشتري من الغرور لان السلع هناك ارخص ما يمكن ان توجد لان صاحب

المخزن يأخذها من العامل ويزيد ثمنها في العشر ... وكل من دخل المخزن الذي
هو حقيق باسم قصر فله أن يدخل في بيوت الجلوس ويقرأ ما يشاء من الصحف ويكتب
ما يريد ويشرب شيئا من الثمر ونحو ذلك ... ولصاحب المخزن دفاتر عديدة مقيد
بها أسماء السلع بأعدادها مع أسعارها بحيث يعلم الكل من أراد ومن يريد شيئا من
السلع ولو من الأقطار البعيدة فليس عليه إلا أن يكتب للإدارة ويعين بها اسم ما يريد
بأعداده فيأتيه مطلوبه مع البريد ويدفع ذلك الثمن ويأخذ المطلوب أما إذا كان يعرف
بالتجار ويتعامل معهم حسابا متصلا فإن دفع الثمن يكون حسب الاتفاق ومثل هذا المخزن
مخزن بومرشي وهذا مخزن أجرة عديدة ولكنها دون هذين ومن غرائب ما رأيته
بباريس القبة الهوائية الكبرى التي تسمى بالبالون وقد صنعها علماء فرنسا جدا فارس
... دقيقة صنعوا ... وحدة كبيرة جدا ... وهي في ظهرها ... طولها يحمل من
الثقل ... آلة بخار بقوة أقوام مركبة ... مقودة عشرين ... وكل من ركب يدفع
أجرة الركوب عشرين فرنكا ... إلى ... ويرى
الصاعد جميع باريس وما حولها كأنها ... أول اختراع هذه الصنعة سنة ١٧٨٣
في فرانسا وهي ... منسوج الحرير ... بنوع ... تسمى بالدرنهر
على بخار ... الذي هو أخف من الهواء العادي بأربعة عشر ... فتصعد
ضرورة فوق الهواء الأثقل منه ... ولا يعادلها ... هواء ... ومن
محاسن باريس الماء المجلوب إليها ... من غير ... وجعلت له حنفيات ... فيصل الماء
عليها زيادة على الماء الذي يرفع من النهر بآلات بخارية فالأول للشرب والثاني
للاستعمال ومن أماكن التفرج ... اسمها الكاتاكومب ... تحت الأرض ويقال إنها
كانت مقطع الحجارة ثم جعلت مقبرة ... وكذلك حديقة النباتات
التي تجري بها الصلات ... الأشجار ... قصد
بالتفرج ومن صفات باريس أن أغلب دورها ... على
قدر ... الدار
ساعات ... حيث تكون جميع الساعات
متساوية الوقت على التحرير ... لأصحاب الديار وبعض
الديار ... لإتيان الحرارة ... حسب إرادة صاحبها ...
على بيوتها من غير ... حرارة
هوائية

هو ثلاثة وليس لصاحب الدار الا دفع ثمن ما ثبت في المراقب شهريا او سنويا بغير ان يحمل
المقسمين والساعات لم تكن كثيرة ولا يلبث ان يعم وتعاد ساعات البلدان منهم حذاق في
كثير من الامور ولهذا كانت اوقات طرق الحديد في كل مملكة معتبرة على قاعدة تلك
المملكة فتجد جميع ساعات المحطات متحدة على وقت واحد

الفصل الثالث

﴿في بقية البلدان التي شاهدتها بفرانسا﴾

فاولها بلد فرسال هي غربي باريس تبعد عنها مسير نصف ساعة في الارتال وهي منتزه
الملوك وبها قصور انيقة وبدائع من تحف الملوك وما ترسم منها الكراريس العجيبة
التي تبلغ قيمتها الملايين لما بها من الذهب والفضة واتقان الصنعة وحول تلك القصور
البساتين والحدائق الجميلة ذات المياه المتدفقة والبرك الواسعة فقد جئتها سنة ١٢٩٥
وهي سنة المعرض عند ليل للرئيس فوقع اندفاع المياه فرأيت هاتيك الحدائق ملونة
بقناديل الانوار الحاكية كثرة النجوم ونشاريع البارود بالوان واشكال صاعدة
ونازلة ودائرة ومنابع الماء طائرة في الهواء كل عمود منها في غلظ نحو نصف ذراع مرتفع
عن منبعه نحو اربعين مترا وكأنها منائر من الزجاج تبرق بسطوع الانوار عليها
وكذلك انواع اخر من المنابع ترمي الى امامها على استقامة الى امد بعيد وكل تلك المياه
منبعثة من نهر السين بآلات قوية بخارية والمتفرجون عدة مئات الالوف وحول البلاد
غابات وعشي جميلة والبلاد واسعة الطرق نظيفة طريفة والقصور الملوكية ليس بها
من المفروشات الا قليلا من آثار الملوك محفوظة على ما كانت عليه وقد رأيت بها
كلا من مجلس الاعيان والنواب كانا نقلا الى هنالك بعد حرب البروسيا سنة ١٢٨٧
ه ١٨٧٠ م وكان جلوسي في بيت رئيس الجمهورية اكراما منه لي على عادتهم في
الاكرام عن ذلك فاما مجلس الاعيان ولم يكن به شيء من المسائل المهمة ذلك اليوم اذ هو
يوم لتصحيح قانون استقر ابيه رأيهم في استقراضات واصلاحات للولايات حتى رأيت
الاعضاء كل مشتغل بالحديث مع صاحبه والكاتب يقرأ في القانون ولما كثر لغطهم نبههم
الرئيس مرارا للاستماع فكأنه لم يخاطب احدا واضطر للسكوت وذلك لان ذلك
القانون قد تباحثوا فيه مرارا واستقر الرأي فيه وطبع ووزع على الاعضاء وعرفوه
تفصيلا فكانت قراءة الكاتب اليه قراءة رسمية لجمع الاعضاء عليه فقط واما مجلس

النواب وتذكر فيه على ممثلين أولاهما طلب وزير المال الرخصة في صرف خمسة آلاف فرنك على جنازة أمير آلاي برع السبعين سنة من العمر مات تحت السلاح فقيرا بعد ان ذكر تاريخ حياته وما آثره وطلب اجراء ستة آلاف فرنك سنويا لعائلته وان ذلك المطلب استقر عليه رأي الوزراء فما ختم كلامه الا وارتفعت الاصوات من جهات اليمين منكرين لذلك ووردت عليهم أصحاب الشمال واشتد اللغط بين الفريقين الى أن التزم الرئيس باسكاتهم ولم تستطع الفرقة طرح الامر بعد موافقة الوزراء فقالت زمرة اليمين هل رأيتم ما وقع قالوا لم لكن ما قصدك فقال ان دخل دولة فرانسا نحو ثلاثة آلاف مليون وقد اتفق وزير وه ورئيس الدولة على صرف خمسة آلاف فرنك على رجل بذل في خدمة دولته والدفاع عن استقلالها جميع عمره ومع ذلك لم تستطع الدولة ان تنفذ أمرها في مال الامة الا بعد مشورة أهل الحل والعقد وموافقتهم وعند ذلك لا يصرف المال الا في وجهه لا على اختيار ولاة الدولة ولا على مداراتهم ثم قام وزير الخارجية وذكر ملخصا في تجديد معاهدة تجارية مع ايطاليا وان شرح الدولة توفي به أخوه الذي هو ايضا عضو في المجلس فقام هذا العضو خطيبا فوصل عند ذكر مختص تاريخ القرابة بين المملكتين وان ايطاليا أرجح تجارة من فرانسا وطلب تعديل فصول في المعاهدة السابقة فوافقوه على ذلك (وثانيها) باسيفر وهي قرية على نهر السين قرب من باريس نحو نصف ساعة في العجلة وبها معمل السيفر للظرف وبستان أنيق وقصر ملوكي (وثالثها) بلد سان كلو بقرب السابقة وقريب منها فيما اتصل والحاصل انك اذا خرجت من باريس راكبا كروسة الى فرسايل فانك ترى كأن البلاد الثلاثة المتقدمة متصل بعضها ببعض وينتقل من واحدة الى أخرى بالرتل وبالكروسة وبالترامواي وبالامنيبوس وبالبواخر النهرية سوى فرسايل فان النهر لا يصل السين الى فرسايل (ورابعها) بلدة فونتنبلو التي هي اصغر من فرسايل وهي نحوها لكن ليس بها الا قصر واحد ملكي وبه أثاث نابليون الاول ومنها مائدة كانت أمامه وقت اعلامه بانكسار جيوشه وعند تعصب أوروبا عليه وكان بيده موسى فضرب به المائدة غيظا ولا زال أثره فيها الى هاته المدة وفضل غيرها على حولها من الغابة ذات الاشجار الفائقة ومحيط الغابة نحو أربعين ميلا وفيها من الطرق والمقاعد ما يفرح النفوس وفي وسط الغابة قهاوي ومطاعم لمن طرقها من أحشاب الغابة وفيها كثير من الصيد كبقر الوحش وغيره والغابة متصاعدة في جبال جبلها كساها الله من النبات وفيها صخور يعتني بالتفرج عليها

سقطات

سقطت على حجارة صغيرة كانت في الوسط فصارت الصخرة تتحرك كلما حركها أحد مع عظم جرمها وفي الجبال عيون كثيرة تجري حول البلدة وهي من منتزهات فرانسا المقصودة (وخامسها) بلدة ليون وهي بلدة كبيرة ذات جملة آثار وبناآت أنيقة ويخترقها نهران أحدهما يسمى هارون منحدر بسرعة وتمر فيه البواخر بقلة وثانيهما نهر السون ثم يجتمع النهران خارجها ويذهبان الى البحر وهي متوسطة بين مارسيليا وباريس ومنظر الجبل الذي حولها جميل سيما منتزهها المطل على النهر الاول ويصنع في مطاعم ذلك المنتزه طعام من سمك النهر الاحمر ويتغالون في ثمنه وعلى النهر عدة جسور في البلد أحسنها الجسر الحديد ذو القوس الواحد المعلق وسطه في أطرافه بسلاسل وأحسن أماكن هاته البلدة هو بطحاؤها الكبرى التي بها قصر البورس وقصر المحاكم واهاليها ظهر عليهم الحذق في الصناعة لان هاته البلدة هي أشهر البلاد لمزاولة بمنسوجات الحرير وسكانها السكان قليلوا الجولان في الطرقات اذ اغلبهم منكب في المعامل وتجارة أهلها شهيرة في المعمور ورأيت بها الطريق في الجبل الذي يصعد فيه الراكب صعودا بيناً حيث كان قسم من البلد في أعلى الجبل وقسم في أسفله جعلوا طريقا جديدا لتقريب الطريق واستقامته تقبله الجبل حتى يصعد مستقيما ووضعت فيه حافلة وسعها نحو خمسين نفسا وتجذبها الى الصعود حبل من سلوك من الحديد بآلة بخارية الى ان تصل الى أعلى الطريق وينزل الراكب منها ويسمى ذلك بالتونيل وأقمت بهاته البلدة يوما وليلة وهي ليست الا محلا للتجارة (وسادسها) البلدة مارسيليا التي هي أعظم مرسى تجارية لفرانسا بر وفي البحر الابيض وهي بلدة كبيرة ذات جمال ونزهة وفيها حركة عظيمة للتجارة الى سائر الاقطار وفيها اختلاط من السكان من سائر الاقطار وأحسن طرقها طريق كانوبيار فيه قهاوي ومقاعد وسادات تحاكي قهاوي باريس وفيها منتزه يسمى لونشان وفي أعلى مكان بها ومنه يتحدر الماء المجلوب اليها على خط بادات بناء متين وعمل اقسام الماء له منظر بديع من حسن البناء وتأنيقه وحوله حديقة نزهة وبها حيوانات عديدة من أنواع شتى ومن محلات نزهتها دار الآثار القديمة قرب شاطئ البحر وقرب محل السباق وأنزه قصر بها هو القصر المسمى اوتيل دو ... المشيد مصمما على ربوة من الجبل المحدق بالبحر محيط بالقصر من جميع جهاته رواقات على اسطوانات بشكل جميل مع تنميق لابنائه وحسن الفرش والاثاث يحيط به حديقة ظريفة فهو نزهة للخواطر ولولا ان نظره للبحر عشية تكدره الشمس لا يعز في المكان أجمل

ما رأيته من نوعه أما قوة حركة التجارة بهاته البلدة فهي عبرة للمتبصرين وذلك انك
تشاهد من حركة العجلات والسفن والقوارب والارتال وكثرة البضائع من أنواع شتى
داخلة وخارجة الى الصين وأمريكا وسائر الاقاليم وترى من المخازن التي هي حقيقة
بأمم قرى لكبرها وكثرة ما فيها من السلع ما يحير الفكر كما أن قصر البورس بها يكاد
يحاكي بورس باريس والحاصل انها هي ثاني بلد بعد باريس فيما رأيته بفرانسا وأما
مرسيليا فهي ذات حوضين عظيمين ملآنين من السفن وترى فيها من البواخر وغيرها ما يشبه
الغابات المشتبكة وقد وردت على هذه البلدة ثلاث مرات في سفراتي وأقمت بها عدة أيام
ذهابا وايابا (ومنها) طولون التي هي أول مرسى حربي على البحر الابيض وهي بلدة
حربية ولا نضارة لها ولا انشراح بالنسبة لغيرها لكن فيها من الحصون والاحواض
لانشاء السفن والمدرجات والمعامل لانشاء المدافع والمكاين والالغام البحرية وغير ذلك
من قوات الحربية شيء كثير ورأيت فيها احدى عشر حوضا بكل واحد سفينة مشتغل
بانشائها منها ما هو على تمام ومنها ما هو في البداءة والخلائق متكبون على الاجتهاد
كالنحل في الصيف وقد كان سفري الماضي سنة ١٢٩٠ وكان مصاحبا لي في الرتل سفير
الصين القادم بالاستدعاء للمعرض وهو وزير كبير عندهم وهو رجل مسن شعره مضفر
على عادة أهل الصين وكل لحيته وشواربه بيض نحيف الجسم ومعه غلمان لا أدري أهم
ابناؤه أم اتباعه ومعهم غيرهم من الاتباع مجموعهم نحو ثلاثة عشر رجلا وكان راكبا في
حافلة منفردة هو وأتباعه والحافلة ذات مخادع ومقاصير ومراقد بحيث لم ينزل منها
مدة السير الى ان وصلنا الى طولون فنزل هناك حيث أعدت له دولة فرانسا باخرة حربية
ذات طبقتين من المدافع لتوصله الى مرسى بلده في الصين وكانت الباخرة مباحة ذلك
اليوم للمتفرجين والحاصل ان هاته البلدة بلدة حربية تظهر عليها علامات القوة والشارات
العسكرية وأقمت بها نحو ستة ساعات (ومنها) بلدة نيس التي هي على شاطئ البحر وهي
مأوى الاغنياء وذوي الترف من الفرانساويين وغيرهم من أهالي الاقطار الباردة في الشتاء
وذلك لان موقعها على جون مستقبل الجنوب ويحيط بها من بقية الجهات سلاسل جبال
شاهقة تمنع عنها مرور الرياح الباردة فكانت مأوى في الشتاء حسنا وكثرت بها القصور
والمباني الجميلة ومنازل المسافرين الرحيبة وجميع ديارها صغيرة لا تزيد على أربع
طبقات سوى منازل المسافرين وذلك لان عادة الاغنياء في بنائهم على ذلك النحو
وهم أكثر القادمين الى هاته البلدة ولان غيرهم أيضا انما يقدم منهم ذوو الترف المتعودين

على

على سكنى الانفراد فلذلك كانت مبانيها جميلة ذات بهجة وسياج حدائقها من الآجر
أو الحجر مرصوف على أشكال حسنة والبلدة يشقها نهر تجري فيه المياه عند نزول الامطار
فقط وعليه عدة قناطر ولها عدة ملاهي لكن لما قدمت لها اصبحا وجدت البلد كأنه
خال من السكان لقلة من به بالنسبة لكثرة المباني والديار المنفردة وليس بها ماهو
مشتغل الا سوى الملاهي الصيفي على شاطئ البحر ويقرب من هذه البلدة عدة بلدان هكذا
على نحوها ظرافة ونزهة وأقمت بها ليلة ويوما (وتاسعها) بلدة أياشيو وهي قاعدة جزيرة
قرسكا وهي مرسى امنية صناعية ومن عاداتهم في المراسي ان البواخر مهما وصلت تقم
اشغالها الليل والنهار سواء فتعمر الماء وتنزل غيرها وكذلك الركاب بحيث ان ساعاتها
المعينة لا تتأخر بها وعند المسافر في المرسى وصولها ضرورات ما يحتاج اليه وهي
منورة وهاته البلدة طريفة جميلة ذات أشجار كثيرة من النارنج والليمون فكانت
رائحة الزهر عند دخولي اليها في الربيع عابقة وفيها مطاع واسع بوسطها صورة نابليون
الاول والدار التي ولد بها لا زالت على هيئتها ودرشها للحفظ عليها كالمصالح العامة
لانه من رجال السياسة المعدودين في الدنيا ورقى اسم فرانسا الى درجة عظيمة وهو في
الاصل من عموم أهالي هاته البلدة وأقمت فيها بضع ساعات ولما أوقدت المصابيح ليلا
عند الغروب ثم طلع البدر قصدوا لنمضي منها قاصدا وهاته هي البلدان التي دخلتها
وأقمت فيها بفرانسا في السفرات الثلاث وعند رجوعي الى الوطن في السفرة الاولى
راكبا من مرسيليا وكان ذلك في يناير الموافق لمحرم سنة ١٢٩٣ ليلا صادفت هيجانا
عظيما في البحر حتى كادت ان تملأ الباخرة فيها وانكسر منها عمودان من حديد
معلق فيهما قاربان ومات ثلاثة من الخيل وانكسرت رجل أحد الركاب ولم يستطع أحد ولو
من النوتية ان يتحرك من محله رجاء في السفن صحب ما بعد هدو البحر مهنيا بالسلامة
وأخبرني انه لم ير مثل تلك الليلة وانه ربط نفسه بحبل مع عمود الباخرة ليستطيع الثبات
في مكانه وما وصلت الباخرة الى جزيرة قرسكا الا بعد ميعادها باثني عشر ساعة ومن غرائب
المرائي اني رأيت في الليلة الثانية في البحران سنة من اسناني سقطت وكأن احبائي
سألوني عنها وكنت أسلي نفسي بانها كانت غير ثابتة بل مضطربة ولذلك لم أجد ألما في
نزعها فلما أفقت انقضت من تلك الرؤيا ولم أعلم ما تشير اليه فلما وصلت الى الوطن ظهر
لي في أوجه الاحباب الملاقين فسرا وفي اثناء الطريق سرد علي الفاضل محمد السنوسي
هاته الابيات قال

فاشكر الهك واذكر النعم التي * ردتك بعد تلاطم الاهوال
فاتيت ارضك سالما واعزما * تلقاهما فوزكم بالآمال
فترى بنيك من السلامة في حلى * موصوفة منكم بكل كمال
وجميع أهلك والاحبة كلهم * يلقونكم بتساحب الاذيال
هذى هي النعم التي لم توفها * حق الثناء على الولي المتعالي
وهو الذي أبقى اليك الاخت كي * تسمو بعزك في حلى الاجلال
اذ لم تصب في غيبة أمسنا * والآن ترقب منك خير هلال
فاشكر الهك صابرا متيقنا * بجزيل فضل الواحد المتعالي

فاعلمني بوفاة أختي الوحيدة رحمها الله ونعمها وكنت تركتها مريضة بالسل فوقعت ابلة قدومي بعد تلك الرؤيا المنبئ وحضرت جنازتها واعلم بان رؤيا مثل ذلك تدل على موت الاقارب لا بعدان سقطت في الاستانة سنة ١٢٩٧ فذكرته في الوصول الى المقصود بالاعانة وهو ان أحد الملوك كان رأى ان جميع اسنانه سقطت فأتى بمعبر فقال له يموت جميع أهلك فبطش به ثم أتى بمعبر آخر فقال له ان الملك أطول عمرا من جميع عائلته فأجاره فتعجبت بتذكر تلك الرؤيا لي ان قال لي المحدث ان أمر هذا مشهور في علم الرؤيا فقلت نعم انما قد شاهدته في نفسي لكني لا اريد مزيد هذا العلم لانه يشوش الفكر ولا يكاد يتوصل اليه الا قليل لان له شروطا في الاحاطة باحوال الرائي ووقت الرؤيا والاحاطة بالمرئي الى غير ذلك وربما فصل عن شئ منها فيضر المعنى وأما أصل العلم فلا شك في ثبوته وما أوتيتم من العلم الا قليلا ويكفي في ثبوت هذا العلم الاحاديث المروية في صحيح البخاري ومنها ان الرؤيا الصالحة جزء من ثلاثة وستين جزءا من النبوة وأما سفري الثانية الى فرانسا سنة ١٢٩٥ فكانت من تونس الى مرسيليا بوابور الشركة البريدية على بلد بونة من اعمال الجزائر وكان البحر في غاية الهدو حتى رأيت على سطح الماء قطعة من نبات بحري مثل قطع القطن المنفوش متكاثرة وهي قبلة الطيور وراعب ترى عندما يكون الماء في غاية السكون كما رأيت أعمدة من البحر منبعثة بقوة مثل أعظم النوافير فاخبرني انها من نوع سمك يفعل ذلك وان منها العظيم الذي اذا صادف عند ذلك احدى السفن الصغيرة ربما اغرقها وهو من عجائب المرئيات وكذلك عنبر جوهي من هاته السفرة كان البحر مثل ذلك الى ان وصلنا الى بلد الجزائر وكان الوصول اليها صباحا بعيد الشروق لكننا لم نر البر وكان الصغر أخبرنا بالوصول لكنه لما لم ير الرسم تيقنه بالحساب الوصول

التزم

التزم الوقوف وذلك لكثرة السحاب المتكاثف ذلك الصباح فلما انقشع السحاب بعد ظهور
الشمس الا ووجدنا البركانة في مقدم الباخرة والمرسى عن يمينها فكان من لطف الله
التدارك بالوقوف والتزمت الباخرة ان ترجع القهقرى الى ان تيسر لها الدوران ودخلت
المرسى وسيأتي الكلام على محكمة الجزائر في باب مخصوص (واما) السفرة الثالثة
فكانت على طريق ايطاليا ومنها الى فرانسا ومنها الى انكلاتيرة وهكذا الرجوع ولم
يكن البحر اذذاك الا على ما هو معتاد ومما حدث في الوطن في سفرتي الاولى وبلغني خبره
وأنا في باريس ظهور دعوى وقعت لها طنطنة من الشيخ الحسن التقي أحمد بن المهدي
في العمل بالسنة حسب ادراك كل منهم وترك الاخذ باقوال الائمة المجتهدين
واختلفت الروايات في واقعة ومدارها تصميمه على رأيه وتعصب العلماء عليه الى ان
حكموا بنفيه فارتحل الى مكة المكرمة ومات بها رحمه الله وتحرير الكلام على المسئلة
باختصار حسبما وعدنا به في الكلام على جزيرة العرب هو ان يقال ان الشيخ
المذكور هو من تلامذة الشيخ السنوسي ذي الصيت الشهير علما وعملا غير ان هذا التلميذ
هو دون شيخه مراحل في العلم والف رسالة اراد ان يذكر فيها طريقة شيخه فلم يوف بها
وعبر المعنى المقصود لشيخنا مدار هذه الرسالة ان لا يقلد أحد الا المعصوم ولذلك يجب
على الامة ان لا يعملوا الا بالكتاب والسنة ويتركوا ما وراءهما ولا يخفى ان ظاهر ذلك يوقع
في افساد الشرع حيث انه لا خلاف في ان لا اتباع الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عملا في الكتاب والسنة لكن اين أهل الفهم منهما واين ادوات ذلك التي كانت في صدر
الاسلام سليقة وصارت على التدريج صناعة وعلوما تتعلم وتدلى الامر حتى لم يبق من
يوفيها حقها فاذا سوغنا لكل أحد ان يعمل على رأيه مع ما هو عليه من الجهل كان ذلك
هو عين الفساد ولذلك لزم اتباع الاجماع والاجتهاد من أهله المسلم اليه وقد كانت
المجتهدون كثيرين في الصدر الاول فمنهم من كثرت اتباعه وتسلسل النقل لاقواله الى الآن
وهم الائمة الاربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضوان الله عليهم ومنهم
من انقطع النقل عنه فلا يجوز الآن تقليده لعدم صحة السند في مذهبه بالنسبة لاهل
العصر والاحكام سواء بالنسبة للمقلد وكل من ليس له ملكة الاطلاع على الادلة
ومقاماتها وترجيحها فهو عامي وله ان يقلد من شاء من الائمة المجتهدين لقوله تعالى
فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وبذلك تحفظ الشريعة لان سند الاجماع هو
نص من الشارع وسند القياس هو الاستنباط من نص الشارع أيضا فرجع الامر الى

ان لا اصل الا الكتاب والسنة والشيخ السنوسى رحمه الله مقرر لذلك فى رسالة له الفها فى
العصر المتقدم واختصرها تلميذه اختصارا عظيما وذلك ان الشيخ السنوسى قرر فى رسالته
وجوب الاتباع للشارع والتباعد عن العمل بالرأى والبدع وحث على وجوب اخراج
المكلف نفسه من حضيض التقليد الى درجة الاجتهاد والكمال حتى يقدر ان يفهم
كلام الشارع ثم ذكر شروط ذلك وانه اذا ابتلى الانسان بالتقصير فحينئذ يلتجئ الى تقليد
ائمة الهدى وعلى الناقل عنهم ان يتثبت فى السند لكى لا ينسب لاحد ما لم يقل به كما
يقع كثيرا فى تعريبات بعض المتأخرين فيخمنون فى التخريج ومع ذلك ينسبون القول
لاحد الائمة فهو لم يقل به بل نقل عنه انه قال بخلاف ما هو عليه من العلم وانما اتباع فى
اذا استفتنا فى مسئلة من ملتزمى مذهب مالك فانى لا افتيه الا بما نقل عن ذلك الامام ولو
كنت مرجحا لغير قوله بحسب ما اطلعت عليه من الادلة وذلك لان المستفتى انما سألنى
عن قول مالك لا عن قولى والحاصل انه فى نفسه يرى صحة الاجتهاد له ويرى على كل
مكلف بلوغ نفسه الى تلك الدرجة فان لم تحصل فليقلد المجتهد ورأيت فى تأليف كثير
من اهل العصر فى الهند النحو الى هذا المنحى وان من له اطلاع على الادلة ومناطاتها يجب
عليه اتباع الدليل ولكن هؤلاء العلماء يعدون من هو من طبقة اهل الترجيح
المنصوص عليها فى كتب الفقه

الفصل الرابع

﴿فى التعريف بفرانسا﴾

(اعلم) ان فرانسا من ممالك اوروبا الغربية وتبتدئ من عرض درجة ٤٢ ودقيقة ٢٠
شمالى الى درجة ٥١ ودقيقة ٥ من العرض المذكور ومن طول درجة ٦ ودقيقة
٥٠ شرقى الى درجة ٧ ودقيقة ٩ من الطول الغربى لان مبدأ الطول عند كثير من
المتأخرين هو باريس التى هى قاعدة هذه المملكة ويحدها جنوبا البحر الابيض واسبانيا
وشرقا ايطاليا وسويسره والمانيا والبلجيك وشمالا البحر المنش وخليج كالى الفاصل بينها
وبين انكلاتيره وغربا البحر المحيط الغربى فلذلك كانت ذات موقع جسيم ونفوذها
بحرا فى ثلاثة ابحر محيطة بها وبها عدة جزر منها كرسيكا وجزر يارس فى البحر الابيض
وجزر رى واوليرون وبيلان فى المحيط وفيها جبال كثيرة واعظمها جهة الشرق
كالجورا والآلب وتتصل بسلسلة تمتد جهة الشمال الى جهة الجنوب الغربى فتتصل

بجبال

جبال بيرنى الفاصلة بين فرانسا واسبانيا وأعلى جميع جبال فرانسا هو جبل أوروفان
ارتفاعه على سطح البحر قدما ٩٢٣٠ وليس بها جبال بالكلية وأما أنهارها فهى
كثيرة وليس بها ما يحمل السفن الكبيرة وأغلب البعض منها يحمل الصغيرة وأشهر
أنهرها نهر السين الذى يخترق باريس وطوله ميلا ٤٥٠ ويصب فى المنش ثم نهر
اللوار وطوله ميلا ٦٠٠ ويصب فى المحيط الغربى ونهر رون وطوله ميلا ٥٤٠ وهو عميق
سريع السير ويصب فى البحر المتوسط ونهر جيرون ويصب فى البحر الغربى الى غير ذلك
من الأنهر وبها من الترع نحو من خمس عشرة ولا زالوا مجتهدين فى تكثيرها ووصلة
الأنهر والبلدان بعضها ببعض لنقل المراكب والبضائع زيادة على سقى الأراضى ويبلغ
طول هذه الترع جميعا نحو خمسة آلاف ميل وأما بحيراتها فأعظمها الثلاثة (أولاها)
بحيرة ديورجى حذو جبل الوزجى حلوة عمق بها منظر جميل ويرعى على شاطئها
طير بق الحديد (وثانيتها) بحيرة دانسى قرب جبل الألب وكلاهما أنهار يصب فى نهر الرون
(وثالثتها) بحيرة آنشان قرب باريس وأما هواؤها فالجهة الشمالية منها باردة والجهة
الجنوبية معتدلة وينزل الثلج فيها جميعه شتاء ومع ذلك فهواؤها سليم لائق بالصحة ولا يقع فيها
الضباب الا قليلا وهو شديد جدا وقد صادفته فى سنة ١٢٤٣ وذلك انى خرجت زائرا
أحد معارفى قرب الغروب نحو الساعة الرابعة بعد الزوال فرجعت فى الساعة السادسة
بعد مضى الغروب بنحو الساعتين فوجدت الطرقات فى غاية الظلمة ولم أدر الى أى جهة
الطريق فذهبت من ذلك وسألت صاحب البيت ما بالهم لم ينوروا الطرقات تلك الليلة
فقال كلا ولكن الضباب منع نور الهواء من الظهور ومع ما عليه باريس من كثرة
التنوير فارسلت ليؤتى لى بكروسة فلم يقدر المرسل الطريق واضطررنا الى تتبع الناس
لعائلتهم التحذر من المصادمة وكنا نسأل قرب موضع الكراريس فذهبنا الى جهتها ولم
نر نورها وانبهم الاهتداء للوصول اليها فلما أردنا ركوب احداها امتنع صاحبها وكثر اللغط
بينه وبين التابع فجاء أحد الضابطية وألزمه بأن كانا وايصالنا الى منزلنا فأجابه بانه غير
ممتنع لكن الخيل لا تمشى لانها لا ترى فقال اركبوا الى أن تصل وحدها فلم يمكن غيره بعد حتى
ظهرت المشاعل على وجه الأرض بيد الضابطية وغيرهم مشاعل من حبال غليظة تحرق
وتدار باليد فى الهواء على وجه الأرض على نحو ما تعمله البوادى حافظة الكروسة
ورجالهم ومكنه من أحد تلك المشاعل وجعل هو يسوق الخيل وراءه الى أن أوصلنا
واعطينا المرحل احسانه وكنا نسمع صهيل الخيل بكثرة فى تلك الليلة مع قلة مرورها فيها

على كثرتها وكذلك كثرة نباح الكلاب ورائحتها أو ضوضاء هذه وحس العجلات ولو وصلنا
إلى البلد على كثرة تنوير حوانيته وقهاويه لم يظهر منه شيء إلا إذا صدق الإنسان بالفانوس
فإنه يرى نوره متصورا أمامه وقد كثرت تنبيهات في صحف الأخبار وشيدت بشأنها وأن مثلها
كثير بأكثر البلاد نهارا أما البرد فهم مستعدون له لباسا وسكنا ولهم عملة لإزالة الثلج من
الطرقات وشدة ذلك البرد مع طول مدته أهون من شدة الحر في الصيف الذي لا تطول
مدته لأنه يكاد أن يكون الهواء منقطعا من شدة سكونه وحره وأما نباتات فرانسا فيثبت
بها جميع نباتات أراضي الاعتدال والأراضي الباردة بالنظر لجنوبها وشمالها وعلى
الإجمال فالجهة الشمالية منها أجمل منظرا لأن في الجنوب جبالا صخرية وأراضي غير
صالحة للزراعة وأهم نباتاتها العنب محتاجة بلاد برد وشعاب الكرم في هاته السنين
الأخيرة أصيب بمرض أوجب خسائر بليغة وفيها من الكمثرى أنواع فاخرة لذيذة سيما
في الشتاء وطبخه أو نحوه سماحة لكنهم لا يأكلون البطيخ الأخضر المعروف بالدلاع
أو الحب وعندهم أكله مضرة وبقية الفواكه وأشجارها حسنة وفيها آجام وغابات
لأخشاب السفن وغيرها كثيرة جدا وأما حيواناتها ففيها جميع الحيوانات الإنسية والنعم
وخيلها على ثلاثة أنواع (فأولها) العراب النفيسة وهي مخصوصة للركوب (وثانيها)
البراذين وهي لجر الأثقال والعوافل الكبيرة للركب (وثالثها) المختلط من نسل المذكورات
ويستعمل لكلا القسمين لكن أكثره بالكراريس ومنه الجبل للغاية القوي
والبغال بالنسبة إلى الخيل قليلة الاستعمال وأقل منها الحمير ورأيت في باريس أن الحمير
الإناث الوالدات يطاف بها بكرة الصباح على الأبواب لحلب من يشتري لبنها وهي نظيفة
حسنة والبقر ضخم جدا يعتني بتسمينه للأكل ولهم عناية على من يعوز بأكثرية التسمين
جوائز حتى بلغ مرة وزن ثور منها أربعا وأربعين قنطارا وتستعمل للحرث أيضا ولجر الأثقال
بقلة والغنم من النوع الذي له ذيل وذوات الألية قليلة وأما أنواع الحيوانات المسبعة
فالظن أنه لا يوجد منها إلا الدب والذئب والثعلب والخنزير وأما غيرها فقد انقطع من
هناك للاعتناء بقطعه مع كثرة العمران ثم يوجد منها غريبي في الأمصار كالأسود والنمور
ويتولد الأسد ويرضع بثدي كلاب كبار لتقابل جرأته ولعدم ضعف والدته وأما الثعابين
والحيات فهي قليلة ولا يزالون مجتهدين في قطعها إلا في غابات فتنبيا الوجود لكل من
أتى بحية منها مقدار من المال أما في باريس فلم أسمع بوجود عقرب ولا غيرها من الحشرات
ولا خبيثة وكان ذلك لشدة الاعتناء بنظافة الديار والطرقات حتى لا تكاد تجد في حائط ما

معرة

مفروشة بصغار وكلها متقنة ظاهرا وباطنا بالجص أو الرمل والجير سواء الظاهر والباطن
مع عدم وجود الخراب في أي جهة ثم في الجنوب من المملكة يوجد البق والذباب وغيرهما
من الحشرات وهي أيضا قليلة في المدن بالنسبة لما نعرفه في البلاد التي تشبه تلك البلاد في
الحر والطيور بها كثيرة رحالة ومقيمة ولا يصطادونها إلا في أوقات معلومة كما أنه ليس لأحد
أن يصطاد إلا برخصة من الحكومة يؤدي عليها معلوما وليس له أن يصطاد في غير أرضه
المعدة لذلك أو أراضي العامة المعدة لذلك برخصة فيها من الحكومة أو يدخله غيره أرضه
برضاه ومن خالف ذلك عوقب وأنواع الصيد كثيرة وبها من نوع الفيران كثير (وأما مدن)
فرنسا فقاعدتها باريس وقد تقدم ذكرها وهي مائلة إلى الشمال من المملكة وبقية
المملكة تنقسم إلى ستة وثمانين ولاية كل ولاية لها مدينة هي مركزها وينقسم إلى عدة أوطان
لكل وطن مركز وينقسم عدة أوطان صغار وهذه أيضا إلى أصغر منها فمجموع النوع
الأول من الأوطان عدده ٣٧٠ والثاني عدده ٢٩٣٨ والثالث عدده ٣٧٥١٠
ولكل منها مدينة أو قرية هي مركزه فهي حينئذ كثيرة جدا ومن أشهرها ما تقدم
ذكره هنا (وأما معادنها) فليست بكثيرة لكن منها لغنى للغاية فالذهب لا يكاد يستخرج
من محله وإن وجد لأنه لا يفي بمصاريفه والفضة موجودة بقلة ومثلها النحاس والفحم
الحجري كثير جدا وكذلك قطران الأرض وأنواع من الحجر والرخام الأبيض ومنه الشفاف
وأنواع عديدة من الحجارة كحجر الطباشير وأنواع الجص والكبريت ومقاطع الحديد
والرصاص كثيرة وبها معادن الزجاج والمياه المعدنية النافعة شهيرة كحمام فيشي وحمام
برني (وأما مراسيها) فكثيرة حربية وتجارية وقد تقدم ذكر بعضها ويقاس عليه ضخامة
وضخامة باقيها (وأما سكانها) فأصلهم القديم من قبائل غالية وردت إلى هناك من المشرق
في أوقات عديدة وأشهر القبائل قوم من الكلتيين وقدم منهم عبر البحر إلى انكلتيرة
وأضاف معهم في فرانسا قبائل أتت من جنوب أفريقيا يدعون الباسك ولا زال إلى
الآن سكان جبال برني يتكلمون بلغتهم ثم وفد عليهم الرومانيون ثم هجمت عليهم قبيلة
الإفرنج الآتية من الشرق وامتد وطنت قبل ذلك في الجبال ثم تغلبت على قبائل
فرانسا واختلط نسل الجميع واتحد باسم الإفرنج ثم حول إلى الفرانسيس وصاروا الآن
جنسا واحدا وهو الغالب لما سوى أهل بدس وساقويا وقرسكا فهم طليانيون وعدد
الجميع ستة وثلاثون مليونا ونصف عدا ما في مستعمراتها والديانة الغالبة هي النصرانية
على المذهب الكاتوليكي وقد كان هو مذهب الدولة الرسمي لكن الآن لم يبق من الدولة

اعتبار له بائة أو مذهب خاص حتى انها أزالت سنة ١٨٨٠ علامات المذهب
الدينية من الاماكن العمومية والمكاتب كما يوجد فيهم المذهب البروتستانتي وديانة
اليهود وتوحيد الدهرية بكثرة وقليل موحدون بالعقل أو باتباع لعيسى عليه السلام
ويتبع فرانسا مستعمرات في افريقية فهي الجزائر وادعت بالحماية على تونس
واستولت على سانيغال وجزائر غوري وسانت ماري وبوربون وعدد سكان هاته
المستعمرات نحو الخمسة ملايين منهم مسلمون نحو أربعة ملايين والباقي على مذاهب
وديانات شتى ويتبعها في قسم آسيا أرض بوندشيري وكاريكال وماهي ويناون
وشاندرنغور كلها في شطوط الهند كما لها سايغون في كوشنشين الصين وعدد سكان الجميع
نحو الثلاثمائة ألف ولها في أمريكا جزائر صان بيير وميكلون ومارتينيك وغوادلوب
والغيان الفرنساوية وسكان جميعها نحو الثلاثمائة ألف أيضا ولها في الاقيانوس جزر
مركيز وتاييتي وسكانها نحو الثلاثة والخمسة وستين ألفا فجميع السكان والملحقات نحو
اثنين وأربعين مليونا

الفصل الخامس

(في اجمال تاريخ فرانسا)

مطلب

في تاريخها القديم

كانت هاته المملكة تسمى قديما غاليا أو غالة ويجهل الحال في تاريخها القديم أعني
ما قبل تاريخ الميلاد بألف وستمائة سنة ومن هذا الوقت عرفت أحوالها فكان أهلها
شجعانا حاربوا من جاورهم ولم يخضعوا لدولة الرومان الا بعد مشقة ثم استنقذت فرانسا
منهم باستيلاء أمة الافرنك في القرن الخامس وذلك انها خضعت لعدة رؤساء متعددين ثم
خضع الجميع لملك سنة ٤٢٠ مسيحية وأول عائلة معروفة من ملوكها تسمى الميروفنجيين
وفي مبادي القرن السادس تغلب اسم قبيلة الافرنك على جميع الاهالي لانتصارها على
جميعهم ثم قلبت الكاف سينا وصارت فرانسا وذلك لقب أطلق عليهم مأخوذ من
فرانكس أي شجعان ثم انقسمت الى عدة ممالك واتحدت عدة مرار وكانت شوكة
الملوك ضعيفة فيهم والنفوذ الى جمعيات الاعيان التي تجتمع كل سنة وتختار الملك وتعين
السيرة

السيرة في الادارة حتى كان للاهالي حرية تامة بل قد خرج عن الاعتدال الى التهور فقد
ذكروا انهم كانوا يقتسمون الغنائم ويعطون الملك حصة كآحاد الجيش فلما انتصروا في
احدى الوقائع وقد انتهبوا فيها كنيسة كان من جملة ما فيها اناء من ذهب طلبه الملك
من الجيش برضاهم فرضي بعضهم بقصد اجابته واذا بأحدهم تقدم وضرب الاناء ببلطته
وقال له بأعلى صوته ليس لك أدنى شيء سوى ما يحصل لك بالقرعة ولا نقر لك بامتياز وأول
تدين ملوكهم بالديانة النصرانية كان في أواخر المائة الخامسة مسيحية وفي أواخر هاته
الدولة أعني سنة ٧٣٢ وقعت الحرب مع العرب الاندلسيين الذين تغلبوا على قسم كبير
من جنوب فرانسا حتى وصلوا الى البون وخرجت تلك المستملكات وتحددت مع فرانسا
وبقيت فرانسا على خمولها الى ان استولى عليها كارلوس الكبير ويعرف أيضا
بشارلمان المعاصر لهرون الرشيد العباسي وقد ضم الى مساعدته ممالك من اروبا حتى تسمى
بامبراطور الغرب وانتقل تاجه في فروع من العائلة الى ان بقي الآن في المانيا التي
كانت احدى ممالكه واستقل بها احد احفاده عندما قسم ابنه ممالكه على أولاده
فملك بكره على جرمانيا والثاني على فرانسا والثالث على ايطاليا وضعف حكامهم
باسنادهم الامور الى غير أهلها فكانوا يقدمون خدمتهم الى أعلى المناصب والالقاب
بدون جدارة فاستقلوا على ساداتهم وظلموا الامم وتناصروا الى ان خربت العائلة
واستولت على فرانسا العائلة الكابيتيانية ومن مشاهير ملوكها فليب الثاني الملقب
أوغسطوس الذي اتحد مع ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد على حرب المسلمين المعروفة
بحرب الصليب الثالثة لكنهما لما وصلا الى صقلية تنافرا وافترقا ثم بعد رجوعه من
الشام بوقائع صلاح الدين أثار الحرب على الانكليز واقتص منهم بعض ما كانوا ملكوه
من فرانسا ومن هاته العائلة لويز الذي أسر بمحروسة تونس وله تذكار
معروف قرب قرطاجنة وذلك في حدود سنة ١٢٧٠ ومنهم فليب الثالث الذي عدد
للاعيان سلطتهم على العامة بمجلس الشورى لكن اضمحل ذلك بميل فليب الخامس
الى الاعيان وأشرفت فرانسا على السقوط وتداخلت فيها الدول الاجانب وحروبات مع
الانكليز الحرب المعروفة بحرب المائة سنة وكان مبدؤها سنة ١٣٣٧ وانتصر الانكليز
في كثير من الوقائع وتملكوا كثيرا من الجهات حتى دخلوا باريس مع التناصر الداخلي
في فرانسا ثم ظهرت بنت لاحد الفلاحين تسمى جان دارك فادعت علم الغيب والتأييد
الالهي لانقاذ فرانسا وساعدها الملك بتأميرها على الجيش وأظهرت شجاعة غريبة

وافتكت من الانكليز عدة جهات وفي محاصرة المدينة كبان أخذت أسيرة وحكم
عليها بالحرق لانها ساحرة ثم عقد الصلح مع الانكليز سنة ١٤٤٤ ولم يبق بأيديهم الا
الجهات البحرية ثم أعيدت الحرب وتخلص فرانسا الا سنة ١٤٥٣ فرتب الملك ذلك
كارلوس السابع الجيش المستمر تحت السلاح وقد كانت العادة من قبل ان الاعيان
المالكين للمملكة باهاليها هم الذين يقدمون اعانة للملك فكسر كارلوس شوكتهم
واعتنى بترقية المملكة في المعارف حيث كان مطلعا عليها وقد نقلت صناعة الطبع
الى باريس في أيامه وانشأ مدرسة خاصة للطب باستقامة سيرة نال من الفتوحات
والترقي ما لم ينله غيره من ملوكهم بالحروب ثم في أيام هنري الثاني سنة ١٥١٠ تعصب
به الكاثوليك وأمروا امته به وقتلوا كل من ظهر روابه في فرانسا من أهل مذهب
البروتستنت في يوم واحد ويقال ان عددهم اذ ذاك نحو سبعين ألف نسمة وقتل الا بعده
عددا كثيرا وهو واقف متهللا في أحد رواشن قصر اللوفر ثم تعاقب على فرانسا الصعود
والهبوط على حسب سطوة الملك واقتداره الى ان عظمت جدا في أيام لويس الرابع عشر
الملقب بالكبير المتولي سنة ١٦٤٣ وفي أيامه وأيام والده حدثت الحروب المعروفة
بحروب الثلاثين سنة وانتقل الى فرانسا النفوذ الذي كان للنمسا في أوروبا ورقى ساعده
مشاهير بالمعارف وهو الذي انشأ قصر فرساي وبساتينه وقصر ايران فالبدلكنه في
آخر أمره فقدت فرانسا ما نالته في الداخل والخارج بأسباب التعدي على الرعايا وضعفهم
وبعده فقدت فرانسا المستعمرات الهندية وغيرها وان حاربت كندا والوريب وكان
ذلك بانتباع لويس الخامس عشر اثيم والنه وتحكم النساء فيه والعائلة الشورى مع
مجلس نواب الامة وآخر الملوك من تلك العائلة هو لويس السادس عشر الذي انتقم
من انكلتيره باعانة امريكا على استقلالها وحدثت في أيامه الثورة العامة التي
قامت حال التاريخ حيث كان يرجى منه اصلاح ما أفسده أبوه وجده لكنه كان
ضعيفا من الوفاء سلكها وخاتمة التاريخ القديم

مطلب

(في تاريخ فرانسا الحديث)

اعلم ان الفرنساويين لما انتشرت فيهم المعارف والعلوم ما لهم ومعالمهم والوامن بعض
ملوكهم احيانا انه لغيرهم واشتهرت بينهم الصحف الخبرية المعلنة بالمحامد والمذام وحدثت

فيهم

فيهم أخيرا ما أشير اليه من الظلم انعقدت فيهم جمعيات سرية للتدبير والعمل فيما يكون لهم
به حفظ حقوقهم وعلكتهم وتفطن لذلك لويس السادس عشر فكان مرة يميل الى
معاضدة الامة في سائر بدعه ومرة يجنح الى عادات الاعيان والسيرة القديمة حتى خشي
على نفسه وفر مع عائلته لكن الاهالي أرجعوه غصبا وخضدت شوكته فخاف بعض
ملوك أوروبا من أن يلحقهم ما لحقه بسبب فتح أبصار رعاياهم وقد كانوا اذ ذاك مستبدين
فتعاضدوا على ارتكاس الفرنساويين لاسيما امبراطور النمسا صهر لويس المذكور
فانه تولى كبر تلك الحرب غير ان الفرنساويين دافعوا عن حقوقهم بجد ونظم اليهم الحكم
المذكور وأجرى الجمعية الاهلية المسماة بالجمعية الوطنية وذلك سنة ١٢٠٧ هـ
١٧٩٢ م ثم بدا لهم منه الخيانة فقتلوه مع زوجته وطردوا ابنه الى جده امبراطور النمسا
وذلك بحكم الحكومة الاجرائية التي حكمت بالغاء الملكية واثبات الجمهورية واعلنت
لسائر الامم انها تساعدهم على خروجها بها وسميت الحكومة جمعية اتفاق الامة وكان
من أكبر رجالها ابولسبير الذي لادين له وهو احد الذين ثاروا وعظ الامة بما ينشره
من الاقاويل والكتابات ولما استقر أمر الجمعية تجاوزت حدود الاعتدال بمعاداة الاديان
وقتل رؤساء الكنائس وابدال أغلب العادات حتى الايام والشهور فجعلوا الاسبوع
عشرة ايام ومبدأ التاريخ هو عام انتصاب الجمهورية وكذلك شهروا الحرب على جميع
الدول وانتصر الفرنساويون فيها تحت راية نابليون الاول بونابارت الذي كان احد
أبناء العامة فتعلم الفنون العسكرية وساعده القدر بالانتصار الذي نال به أعظم
الشهرة فكان من أعظم رؤساء العساكر ثم عوضوا تلك الحكومة بحكومة الدركتوار
أي الحكومات المديرية مؤلفة من خمسة أشخاص وحدثت في أيامها الحروب العظيمة
مع سائر الدول ووافق نابليون البخت فانتصر على الجميع وملك ايطاليا ورتب فيها
حكومات عديدة جمهورية ثم استولى على مصر وأراد الشام بقصد التوصل الى الاستيلاء
على الهند انتقاما من الانكليز ثم ضدته انكلترا والدولة العثمانية واسترجعوا مصر
وما أخذه من الشام وهيجت انكلترا دول أوروبا على الاتحاد على فرانسا فاستعدوا لحربها
وحاربوها وكانت الحرب سجالا لكن نابليون الاول لما وصل الى باريس بعد ان كاد
أن يكون أسيرا في رجوعه من مصر وجد حكومة الدركتوار على شفا وأوروبا منتصرة في
أغلب الجهات فاستعان بحزبه ورتب حكومة جديدة تسمى بحكومة القنصلات مؤلفة
من ثلاثة أشخاص يسمون قناصل وتولى هو رياستها وذلك سنة ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م

ثم تصدى قتلا للدسائس وتسلم رياسة الجيش ورجع الانتصار المفقود والتفت عند
ذلك الى لم شعث الداخلية واصلاح الامور فرفعه مجلس الاعيان امبراطورا سنة
١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م ونال صيتا عظيما في الدنيا بانتصاراته على أغلب أوربا
فدخل فيينا وبرلين وعقد الصلح مع دولتيهما كيف شاء وأمست ايطاليا وكثير من
جرمانيا تابعة لفرانسا ونصر على الروسيا أيضا وعقد معها صلحا ومعاهدة تممت من
شروطها اقتسام جميع أوروبا بين فرانسا والروسيا عدا الممالك العثمانية وان بلدهما
انهما أيضا في القسمة حتى اغتاظ السلطان لذلك كما سيأتي في محله ومن المستثنى من
القسمة أيضا الممالك الانكليزية وكان ذلك سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٦ م وأتم
تأليف قانون الاحكام الشهير المعروف بكود نابليون سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م
وهو عمدة أحكامهم ونسجت أوروبا بعد على منواله وهو كتاب مقسم على أبواب
المعاملات والجنايات وكل مسئلة من الباب معقود لها فصل بين حكمها بعبارات بينة
من غير بيان لدليل الحكم ولا اصل استخراجه سهولة التناول وكان ممن اشتغل بتأليفه جمعية
علمية عولت في تنظيمه على ما يليق بالعادات من أحكام الشرع الاسلامي وأحكام
الرومان وسنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م عاد لحرب الروسيا لنكثها شروط الصلح
السالف ذكرها وانتصر عليها الى ان وصل قاعدتها مدينة موسكو وقد أعد واله كيدا
باحراق المدينة فلما وصلها وجدها قاعا صفصفا وكان الوقت شديد البرد فهلك عسكره
بردا وجوعا وأدهم عسكر من فرانسا وجورته بحرب الروسيا والمانيا وبروسيا
والنمسا الذين اتحدوا عليه بسبب انكساره فغلب أخيرا ودخلت العساكر المتحدة
الى باريس وملكوا على فرانسا لويس الثامن عشر واسكنوا نابليون جزيرة الالب
على انه ملك عليها وذلك سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م وبعد عشرة أشهر عاد الى
فرانسا وتلقته الاهالي بالرحب لما نالوه من العظمة في أيامه فهرب لويس الثامن
عشر الى مقره أولا بانكلترة ثم اتحدت الدول ثانيا ومعهم انكلترة وقهروا نابليون
فتنازل عن الملك لابنه الملقب بنابليون الثاني سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٥ م فلم تعترفه
الدول وأعادت لويس الثامن عشر واما نابليون فطلب الاقامة بانكلترة مستأمنا تحت
أحكامها فقبلته وعند ارادة نزوله من السفينة الحربية الانكليزية الى البر اعلمته
بانه أسير الدول فاحتج على ذلك ولم ينفعه ونفي الى جزيرة هيلانة في الاقيانوس الاتلانتيكي
الى أن مات ونقلت جثته فيما بعد الى ايوان الانفاليد بباريس وانحصرت اذ ذاك فرانسا

في

في حدودها القديمة ثم تولى ملكها كارلوس العاشر أخو ملكها الذي أخلفته الدول
وفي مدته استولى على الجزائر وأراد أن يحجز من حرية المطابع والقوانين فثاروا
عليه وولى لويس فليب سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م فأطلق الحرية واسعة ولكنهم
أسقطوه أخيراً لامتناعه من اصطلاح قوانين الانتخاب وكانوا يميلون إلى الجمهورية
وإلى عائلة بونابرت فأعادوا الجمهورية ثانية سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٨ م ورأسوا عليها
لويس نابليون ابن أخي نابليون الأول وورث ملكه حيث مات ابنه عن غير عقب وكان ابن
أخيه مرسوماً في ولاية العهد وذلك بعد أن نفي مرة إلى أمريكا وأخرى إلى انكلترة وإيطاليا
وسجن مرة في حصن وفر منه بتزييه بزي أحد عملة لبناء بعد حلق شاربه وأشهر رغبته
تآليف تنوه بالحرية والفقر فحلوا له زمام الإدارة وأبدى من المصالح الداخلية واستمالة
رؤساء الجيش إليه ما اقتدر به على الإعلان بإمبراطوريته سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م
وتلقب بنابليون الثالث وعاضد الدولة العلية وانكلترة على حرب الروسيا سنة ١٢٧١
١٨٥٤ م لتأديبها باعترافه امبراطوراً في مبدأ أمره ولدخوله في السياسة من الخوف من
استيلاء الروسيا على ممالك العثمانية وعقد الصلح على معاهدة باريس سنة ١٢٧٢ هـ
١٨٥٦ م وانتصر إلى إيطاليا على النمسا بدعوى القاعدة التي أسسها وهي اتحاد الجنسية
كما تقدم في تاريخ إيطاليا الجديد حتى اتحدت إيطاليا سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م وحارب
الصين مع انكلترة سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م وانتصر عليه وافتتح المكسيك من أمريكا
سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م وملك عليها مكسيمليان أخا امبراطور النمسا وكانت إذ
ذاك دول أمريكا المتحدة في حرب شديدة داخلية ولما انفصلت حربهم حنقوا على فرانسا
من تداخلها في قارتهم فانصاع نابليون بعساكره وترك المكسيك حتى قتلوا من ملكه
عليهم وذهب سعي نابليون سدى ومن ذلك الوقت ابتدأ ميل القلوب عنه لاستبداده
باطناً وتصرفه طبق شهواته في السياسة بعد أن كان أوصل فرانسا إلى ذرى المجد حتى
خطبها سائر الدول بحسن الوفاق وهرعت ملوك الدنيا إلى باريس في دعوته للمعرض وكانوا
يفتخرون باستمالته نحوهم حتى فضله كثيرون من عقلائهم على عمه لكنه لما اغتر بزيادة
البخت استبد برأيه باطناً وأسرع إلى التداخل في أمر غيره فقلقت الأهالي من عمله ولما
أحس بذلك أعان بعمل الانتخاب العام له من سائر السكان بحيث لا يختص بأصوات
الأعالي بل حق العامة لأنهم لهم الحق في ذلك من حيث أن الممالك إنما هي على
الفرانساويين عامة ولما كانت العامة محبين له لعدم اطلاعهم على عقباته أو عدم

تبصرهم مع أنه يحسن اليوم بحيث يؤزرنهم ويوحد لهم أسباب الانتفاع عند الحل ثم ان حزبه يغرمهم بالمال عند الانتخاب اذ كان دفع في مقدار ذلك من أموال الدولة مقادير ذريعة مضمرا وترسمهم في ميزانية الدولة بأسماء أنواع من المصاريف اللازمة فبذلك الوجه حصل اعلاء مقصوده في ارتقاء الفرنسيس بمملكة عمومهم وانشئ اذ ذاك قانون الامبراطورية المؤرخ في سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م ونص تعريبه (الحكم الاول) لمجلس الاعيان مزية وضع الاحكام والقوانين بالاشتراك مع الامبراطور ومجلس النواب وله أيضا السداة في وضع المعروضات والوقائع الا أن الامور المتعلقة بالمالية ينبغي أن تقرر اولا في مجلس النواب (الحكم الثاني) عدد أعضاء مجلس الاعيان يمكن زيادته حتى يبلغ ثلثي عدد مجلس النواب ماعدا الذين يحضرون فيه بالاستحقاق وليس للامبراطور أن يعين فيه في كل سنة أكثر من عشرين (الحكم الثالث) قد تعين القناة المارية التي حصر بها الناس من جهة التشريع المذكور في الحكم الحادي والثلاثين من القانون الذي تقرر في ١٤ كانون الثاني أي ينار سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م (الحكم الرابع) التراتيب التي ألحقت بهذا القانون وهي المشمولة في الاصول العمومية التي استقرت في ١٤ وفي ٢١ من كانون الاول سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفي ٢١ وفي ٢٢ من الشهر المذكور في السنة التي بعدها هي أصول المملكة وقوانينها الاساسية (الحكم الخامس) وهذه الاصول والقوانين انما يغيرها مجلس المملكة بطلب الامبراطور (الحكم السادس) تعين العامل مقرة ثانية من حكم ١٧و٢٥ و٢٦ و٢٧و٢٨و٢٩و٣٠و٣١و٣٢و٣٣و٣٥و٤٠و٤٢و٥٧ من تلك القوانين وكذا الاحكام المتعلقة بالقانون (الحكم السابع) يبقى ما تقرر في قوانين ١٤ من كانون الثاني دجنبر سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفيما بعد ذلك معمولا به اه ثم ألحق بهذا القانون علاوة أخرى هذا نص تعريبها

الفصل الاول

الاول قوانين المملكة تعترف وتثبت وتتكفل بالاصول العامة التي شهرت في سنة ١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م وهي أساس شرع الفرانسيس العمومي

الفصل الثاني

﴿في مزايا الامبراطور ومالكه الثاني﴾

المرتبة

المرتبة الامبراطورية التي خصت بلويس نابليون بونابارت وهو نابليون الثالث فوضت اليه بحسب قرار رأي جمهور المملكة وفي ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وهي مزية متوارثة في سلالة ذريته الذكور الاول فالاول وينفى منها الاناث وذريتهن الابد دائما (الثالث) اذا لم يكن للامبراطور الثالث ابن وارث فله أن يتخذ وارثا من سلالة اخوة نابليون الاول الذكور وهذا الاتخاذ لا يباح لخلفائه ولا لورثتهم (الرابع) اذا لم يوجد له وارث حقيقي أو متخذ تخلفه في الملك البرنس نابليون وورثته الحقيقيون من سلالة الذكور الاول فالاول ويستثنى من ذلك الاناث وذريتهن استثناء دائما (الخامس) اذا لم يوجد وارث شرعي أو متخذ لنابليون الثالث ولخلفائه فأهل المملكة ينتخبوا امبراطورا ويتولون أهله الوارث من الذكور دون الاناث وفي مدة انتخاب الامبراطور تدار الامور بواسطة الوزراء الذين بالوظائف بحسب اكثرية الآراء (السادس) افراد عائلة نابليون الثالث الذين تثبت لهم الوراثة وكذلك سلالتهم ذكورا واناثا هم من العائلة الامبراطورية ولا يمكن لهم أن يتزوجوا الا باذنه واذا تزوجوا من دون اذنه كان ذلك سببا في حرمانهم من حقوقهم في الخلافة وفي حرمان ذريتهم أيضا ولكن اذا كان زواجهم عقيما فالبرنس الذي تزوج حق في الخلافة وللامبراطور أن يعين القاب اللائق من العائلة ويعين حقوقهم وما يجب عليهم وله عليهم السلطة التامة (السابع) النيابة في الملك مقررة في القوانين التي نظمت في ١٧ تموز (يوليه) من سنة ١٢٧٢ هـ ١٨٥٦ م وفق لاحوال المتغير وحسب الفقرة الثالثة من محكم الخامس ينعقد كل من مجلس الاعيان ومجلس النواب ويقررا رأيهم على اقامة من ينوب في الملك (الثامن) كل من افراد العائلة الامبراطورية الذين تحق لهم الخلافة يسمى برنسا واكبر ابناء الامبراطورية له برنس امبريال (التاسع) كل من يطلق عليه برنس يؤهل لان يكون من أعضاء مجلس الاعيان ومجلس الدولة بحيث يبلغ ثماني عشرة سنة تامة ولكن جلوسه في المجلسين متوقف على رضى الامبراطور

الفصل الثالث

﴿في نوع حكومة الامبراطور﴾

(العاشر) الحكومة للامبراطور بمساعدة الوزراء ومجلس الاعيان ومجلس النواب ومجلس شورى الدولة (الحادي عشر) وضع الاحكام والقوانين يجري بالاتفاق مع

الامبراطور ومجلس الاعيان ومجلس النواب (الثانى عشر) البداءة فى القوانين منسوبة للامبراطور وللمجلسين المذكورين ولكن كل تقرير يرسم فيه بوضع الضرائب ينبغى الاقتراع عليه فى مجلس النواب

الفصل الرابع

﴿فى أحوال الامبراطور﴾

(الثالث عشر) الامبراطور مسؤول لامة الفرانسيس وله الحق فى كل وقت لان يدعوها استدعاءه (الرابع عشر) الامبراطور هو رئيس الدولة وهو يحكم على العساكر البرية والبحرية وله ان يأذن بالحرب ويجرى معاهدات الصلح والتجارة والاتفاق والمحالفة ويعين جميع الوظائف ويثبت الترتيب والاحكام اللازمة لتنفيذ الشرع (الخامس عشر) اجراء الاحكام القضائية يكون باسمه (السادس عشر) له الحق فى منح العفو والاعفاء (السابع عشر) وفى ان يمضى الاحكام ويشهرها (الثامن عشر) ما يراد بعد الآن من تعديل الاحكام وتعريفات الكمرك وجعل الموسطة على حسب الموافقة مع امم أخرى لا يكون العمل به واجبا الا بعد أن يقر رأى المجالس عليه (التاسع عشر) الوزراء مرتبطون بالامبراطور وحده وهم يتذاكرون فى مجلس يكون الامبراطور رئيسه وهم مسؤولون (العشرون) يصح للوزراء ان يكونوا من اعضاء مجلس الاعيان أو مجلس النواب وان يحضروا فى أحدهما اذا شاؤا وان ينصت اليهم حين يتكلمون (الحادى والعشرون) يجب على الوزراء وأهل مجلس الاعيان ومجلس النواب وضباط العساكر البرية والبحرية والقضاة وذى المراتب ان يحلفوا هذه اليمين وهى انى أحلف بان أكون خاضعا للقوانين الملكية وامينا للامبراطور (الثانى والعشرون) الحكم الذى صدر فى ١٢ كانون الاول (دجمبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفى ٢٣ من نيسان (ابريل) سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م مما يتعلق بالمرتب لمصروف الامبراطور يبقى معمولا به أما فى المستقبل فيكون مرتب صاحب التاج مدة ملكه مقررا برسم من لهم مزية وضع الاحكام عند اجتماعهم وذلك بعد نصبه

الفصل الخامس

﴿فى مجلس الاعيان﴾

(الثالث والعشرون) مجلس الاعيان يؤلف ممن هم فى رتبة الكردينال والمارشال والاميرال ومن الاهالى الذين يرقيهم الامبراطور الى رتبة سيناتور (الرابع والعشرون) لا ينعزلون ووظيفتهم باقية مادموا احياء (الخامس والعشرون) يصح ان يبلغ عددهم مقدار ثلثى اهل مجلس النواب ولا يصح للامبراطور ان يعين فيه اكثر من عشرين فى العام (السادس والعشرون) رئيسه ونائب رئيسه يكون تعيينهما من قبل الامبراطور وهو الذى يعقد المجلس ويطيل مدة انعقاده ويكون الجلوس فيه علانية ولكن عند طلب خمسة اعضاء منه يصح ان تجعل الجلسة خفية (السابع والعشرون) مجلس الاعيان يحافظ على الشرط الاصلى الجوهرى وعلى حرية العامة وله ان يتذاكر على التقارير المعروضة ويقترع على الضرائب

الفصل السادس

﴿فى مجلس النواب﴾

(الثامن والعشرون) اساس الانتخاب سكان المملكة (التاسع والعشرون) اعضاء المجلس يكون انتخابهم عاما (الثلاثون) مدة انتخابهم لا تنقص عن ثلاث سنين (الحادى والثلاثون) ولهم ان يتذاكروا على القوانين ويقترعوا على الضرائب (الثانى والثلاثون) وان ينتخبوا رئيسهم ونواب رئيسهم وكتاب اسرارهم (الثالث والثلاثون) للامبراطور ان يعقد المجلس ويؤخره او يطيل مدة انعقاده وان يحله لكنه عند حله يتعين عليه ان يعقد آخر فى مدة ستة اشهر (الرابع والثلاثون) الاجتماع يكون ظاهرا ولكن عند طلب خمسة اعضاء يصح ان يكون خفيا

الفصل السابع

﴿فى مجلس الدولة﴾

(الخامس والثلاثون) مجلس الدولة مكلف على حسب ارشاد الامبراطور بان يرسم التقارير واللوائح والتنظيمات المتعلقة بادارة الدولة وبان يحل المشاكل الناشئة من اثناء الامور (السادس والثلاثون) وان يرسم باسم الدولة المذاكرة فى المعروضات واللوائح فى كلا المجلسين (السابع والثلاثون) للوزراء حق فى حضور المجالس والاقتراع فيه اه فكان الامبراطور يرى ان هاته القوانين ترمى عنه جميع الاهالى سيما بعد

رجحان انتخابه من الجمهور وقد كانت اذ ذاك المشاحنة بين فرانسا و بروسية في ازديادها
تقدمت لاشارة ابيه في احضار بطاليا فبرة من فرانسا على ما ناله بروسية من الشهرة
والانتصار على النمسا مع وعد بروسيا امبراطور فرانسا بانه اذا تم قصدها فانها تساعدها
على تعديل حدودها جهة نهر الرين وتعدو عن حقوقها من وضع العسكر في
لكسنبورغ وادخالها عضوا في العصبة الجرمانية مع ان تحت ذلك ملك هلانده ولما
حصلت بروسية قصدها ماطلت بتلك الوعود المرتبة الموعودة فهاجت لذلك فرانسا
وكان من تخمينها انها اذا شهرت الحرب على بروسية تعاضدها المانيا عليها انتقاما
حصل لها في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م وبينما الامر على ذلك وثب اهالي اسبانيا
خلعوا ملكتهم وطلبوا ان يولى عليهم الامير [illegible] وهو من اقارب ملك بروسيا
فارعدت فرانسا لذلك وابرقت وتداخلت [illegible] في طلب الغاء السلم لكن الامبراطور
نابليون ابى الا الحرب ولان الامير المطلوب الى الولاية على اسبانيا رفض طلبهم ولم
يقتنع بذلك الامبراطور بل ذهب سفيره في برلين الى ملك بروسيا في [illegible] وغيره محل
[illegible] واغلظ عليه الكلام بان يتعهد هو بان لا يقبل الامير المذكور في المستقبل
الولاية فلان له الملك الكلام لكنه امتنع من ذلك التعهد وهاجت المانيا جميعا على
ما لحق الملك من الاهانة كما ان فرانسا [illegible] طلب اعلان الحرب ولم يخالف الا قليل من
عقلائهم مثل تيرس فانتهز نابليون فرصة لاشغال فرانسا بالحرب عن [illegible] عليه
اذانه وان حصل على اكثرية الانتخاب لكنه كان على يقين من ان حزب [illegible] كارهة له
ومنتقدة عليه وكان وزير الحرب بفرانسا اعلن للمجلس بان العساكر مستعدة كما يجب وانها
تجاوز الرين وان الحرب ولو دامت سنين لا يحتاجون الى زر للباس وابتدأت فرانسا
باعلان الحرب وتقلد نابليون رياسة العسكر بنفسه والماس [illegible] في الملك فاتحدت المانيا
على الدفاع وبقيت الروسيا معاضدة لالمانيا [illegible] سرا وكانت بالمرصاد
من النمسا لكي لا تعين [illegible] على فرانسا من اعانتها لايطاليا
ومساعدتها من قبل لجرمانيا فلم تتداخل بشيء وما مضت تسعة عشر يوما من ساعة
الاعلان بالحرب حتى وقع نابليون اسيرا [illegible] في نفس الامر لم تكن فرانسا مستعدة
وكانت الدول المعتدية [illegible] الحرب تصرف [illegible] الامبراطور حيث كانت
الوزراء مسؤولون له لا لمجلس الامة فيتصرف بهم كيفما اراد وكان يظن انه بسرعة
الهجوم يحصل على [illegible] الانتصار ويعجل الى عقد الصلح لكن المانيا كانت لها

جواسيس من أعدائها في جميع دواوين فرانسا وفي قصور رجالها على صورة خدمة
وعبيدهم مع كمال استعداده وتمرن أهاليها على الحرب أدهى دولة عسكرية من قديم
وأما لي فرانسا غائبة عنهم الى الآن فانتقى مركز لجيشي في ميدان من عمل فرانسا
وهي الولايات الى أن تبقى نابليون بالغلب وقوة قريحة عسكرية وعدمه فكتب الى ملك بروسيا
ما ترجمته يا أخي حيث اني لم يتيسر لي ان أموت في مقدمة جيشي فها أنا أضع سيفي لدى
قدميك اه ورفع من هناك أسيرا وسقط تاج الدائم عزه وملكه وهربت زوجة نابليون
واستقرت مع ولدها بانكلترة الى ان مات بها وأما العسكر التي معه فطلبت الاستسلام
على وجه لا يحط بشرفها وحيث كانت المخاطبات الواقعة في هذا الشأن واقعة بين
الرؤساء بالسلك البرقي ولها أهمية رأينا اثباتها هنا نقلا عن كتاب ألف وطبع في
باريس وهي (من الجنرال) دوومبين لعله إلى الجنرال ملتكه رئيس عساكر
جرمانيا أريد أن أعرف (ماهي) شروط التسليم التي يريدها ملك بروسيا أن يوجهها إلينا
(جواب) الجنرال ملتكه شروطنا سهلة فان جميع جيشكم أسرى مع كل ما عندهم من
الأسلحة والذخائر ولكن نترك للضباط سيوفهم علامة على اعتبارهم وعلى بسالتهم
ولكن يكونون أسرى أيضا كبقية الجيش (الجنرال) دوومبين هذه الشروط شديدة
يا جنرال اذ الظاهر ان بسالة عساكر فرانسا تستوجب مراعاة أكثر من هذه أليس من
الممكن لجيشي أن يتحصل على شروط على هذه الصورة الآتية وهي أن أسلم لكم
ميدان بما فيها من المدافع (وأما) العسكر فتتركوه يخرج بما عنده من الأسلحة والأثقال
والرايات بشرط أن لا يعود لمحاربة بروسيا في هذه الحرب والامبراطور يتعهد بنفسه
بهذه الشروط بالكتابة وكذا أعيان ضباط العسكرية ثم ينقل هذا الجيش الى
احدى جهات فرانسا التي تعينها بروسيا أو ان شئت ينقل الى الجزائر الى ان يبرم بيننا
الصلح (جواب) الجنرال ملتكه لا يمكنكم هذا الا بقبول القول (الجنرال) دوومبين اني
وصلت الى هنا من صحراء افريقية منذ يومين فقط وكان لي الى الآن شهرة عسكرية مرضية
والآن فوض الي رئاسة جيش في ميدان القتال فأصبحت مضطرا الى ان أقدم اسمي في
الأذهان لمدة مثل هذه حتى اضطررت أيضا الى تحمل جميع المسؤلية بدون ان أكون
قد أحدثت هذه الوقائع الحربية التي هي سبب في هذا التسليم وحيث انك جنرال مثلي
يلزمك ان تشعر بحالي الحزينة ولكن يمكنك تخفيفها باشتراطك علي شروطا أهون
وأيسر والا فلا يمكنني قبول شروطكم وحينئذ أدعو جيشي الى شرفهم واخترق جم

صفوفكم والاعالى فى ميدان متوقفا (جواب) الجنرال ان اعتبارى لكم عظيم وشرح
حالكم فى محله ولكن انا اسف على انه لا يمكننى قبول شئ مما طلبتموه واما خرق الصفوف
وخروجكم من ميدان فن القتال وكذلك حفظكم سلاحكم ان عندكم عساكر عظيمة
ولا جهالة ان ثباتهم على غاية من المهارة والاقدام وكذا فرسانكم وطوبجيتكم وقد
اوقعوا بنا ضررا كبيرا غير ان جل عساكركم قد فقدت اطوارهم وعندنا اليوم من
اسراهم ازيد من ٢٠٠٠٠ نفر غير الجرحى ولم يبق عندكم الآن ازيد من
٨٠٠٠٠ نفر فلا يمكنكم اذا خرق صفوف جيشى فيلزم ان تعلم ان من جيشى حولكم
٢٤٠٠٠٠ نفر و ٥٠٠ مدفع منها ٣٠٠ على هيئة الاستعداد لاطلاق النار
على ميدان والباقى اعنى ٢٠٠ تكون على هيئة الاستعداد فى غد الغد فان شئت
تحقيق ذلك فارسل احدا من ضباطكم الى وانا ارسله الى المواقع المذكورة حتى يشاهد
بنفسه ما قلته لكم اما خروجكم من داخل ميدان فمن المستحيل لان الازوقة التى عندكم
لا تكفيكم الا ٤٨ ساعة ولا فى عندكم شئ من الذخائر (جواب) الجنرال الفرانساوى
الظاهر ان من مصلحتكم حتى من المصلحة السياسية ايضا ان شروط التسليم لا تكون
مخلة بشرفنا الان جيشى يستوجب ذلك ومرادكم عقد الصلح وما اظن الا انكم تريدون
عقده بسرعة وامة فرانسا كريمة اكثر من غيرها ومستعدة للمداواة وعلى هذا فهى تقدر
مكارمكم التى تمنحونها سائر اهل الجيش فان امكنكم ان تشترطوا اعطائنا شروطا من شانها
مداراة خاطر الجيش فان الامة تحسبه ايضا منة لها فتخفف عنها مرارة الانهزام وبث
شروط الصلح على هذه الصورة يكون على الدوام (اما) اذا عاملتمونا بالقساوة فلا شك انكم
تثيرون الكراهة لكم والبغض فى قلب كل عسكرى وعزة نفس جميع الامة تجرح وتوقد
استئناف وبذلك توقظون الاحساس للنمر الذى انامه التمدن وتخاطرون بايقاد حرب
لا نهاية لها بين فرانسا وبروسيا (جواب) البرنس بسمارك قائلا برهانك يظهر بادى بدء
انه على الحد وهو فى الحقيقة كلام طاهر ولكن كما انه لا ينبغى ان يعتقد اعتقادا واسعا
بمعروفية الانفراد فكذلك لا ينبغى ان تتوقع معروفية امة بكاملها او تركن الى معروفية ملك
ومراعاة الجميل معه وان شئت فقل مع اهله ايضا نعم انه فى بعض الاحيان يمكن الركون
الى عهود ملك ولكن اكرر لكم انه لا يمكن انتظار مراعاة الجميل من امة ولو كانت امة
فرانسا مثل بقية الامم ولو كان عندها تنظيمات ومبادى راسخة ولو كانت مثل امتى
تحترم احكامها وتطيعها او لو كان عندها ملك جالس على سرير الملك على اصول راسخة

ثابتة

ثابتة لكنا نعتقد بجنونة الامبراطور وابنه اما فرانسا فقد مضى ٨ قرون منذ حكومتها
قد تغيرت نوعا ونسبا بصورة غير ثابتة فكان من الممكن ان يعتمد على معاهدة ما لها على
مورد ملك او اداري يكون من قبيل بنى في هواء اذا صدقنا ان فرانسا تسلطت على
عامرنا بمسامع كونكم امهر من الجبابرة وجهولة على الحسد والمكر الى النهاية وذلك
جنون فانها ما علمت بحرب بروسيا منذ مائتى سنة ثلاثين مرة وهذه المرة اعلنتم الحرب عمدا
حسدا كما دنتم الم يمكنكم ان تمحونا من دفترنا فى وانه سدوه فهل يمكنكم ان
تسعدوا اليوم فى عامرنا فى سدان كلاتم كلا فان عقدنا معكم الصلح الآن فبعد بضع سنين
تعودون الى حربنا حين يتيسر لكم ذلك وهى المكافات على الجميل التى نرجوناه (اما
نحن فاحلاف ما نعلمه لا حلاف كم فانا امة صادقة ساكنة لا تحرص على الفتوحات وعما
نحرص على ان نعيش بسلم وقد كفى اليوم فيلزم ان نؤدب فرانسا على تهورها ويلزمنا
ان نطمئن على سلامة اولادنا لذا الزم ان يكون بيننا وبين فرانسا حدود منيعة ولابد
لنا من ارض وحصون وحدود تكون دافعة آمنين من هجومها (جواب) الجنرال
المرساوى قد غلطت يا ايها السادات الموقر فى حكمك على امة فرانسا اعاب ثمانية عشر
فرانسا فى سنة ١٨١٠ وتتصور كما تتصور بعض الشعرا ومن كلام بعض
الجرنالات وهى اليوم على غير حال كان يحب الامبراطور وصارت افكارها مشغولة
بالتجارة والصنائع والعلوم وكل واحد منهم يسعى فى تكثير مكاسبه وينظر الى مصالحه
وكلهم يحبون الاخاء انظر الى المكاره مثلا فانه اليوم تلك الكراهة التى طالما ابعدتنا
منها الى ان الافكار اليوم غير اجنبية وكيف يكون هذا انا اذا اظهرتم
المكارم معنا (ليرس) بسمارك دعه ربما نرى ان فرانسا تغير فانها الى ان
اقرّها على الحرب ولا حصر فى داع لامة حرصا على مع آل الامبراطور الذين
الشالت اعلن بحربنا انما تدرى ان كثيرا من اهل فرانسا وهم العقلاء لم
يريدوا الحرب ولكن تفوّه كثير الامبراطور بالقبول والباقى هم الذين هيجوا الحرب
حتى اصحاب الجرنالات ايضا وهؤلاء قوم يلزم تأديبهم ولذلك يلزمنا ان نسير الى
باريس ومن ذا الذى يدرى ماذا يتم بعده ومن اين نعلم انه يثبت عندكم ولقد من الذين
لا يعفون عن شئ بل يجددون احكاما على حسب هواهم ولا يعرفون شروط نظام
معيشتكم ومع الثبات والصلاح ينقضون عهودهم بعد انبرام الصلح وليكن الصلح الذى
يكون على اساس الثبات والدوام وشروط صارت معلومة لكم ويلزمنا ان نجعل فرانسا

اصورة بحيث لا يعود يمكنكما ان تقاوما بها . وقد تقرر ان لا تكون زهرة
عساكركم اسرى عند مناف . لهوس ان نعيدهم اليكم ليعودوا الى محاربتنا وشأن ذلك
دوام القتال ومصلحة بلادى تأباه (الجنرال) ... مهما يكن من اصلاح المنصفة بتلك
ومهما يكن من ادراكك عن جيشكم فلا يمكننى الاجابة الى مطلوبك او تغيير شئ من
الشروط التى ابلغتك اياها (الجنرال) امرنساوى فلا يمكننى اذا ان اوقع شروط التسليم
على هذا المنوال بل بالاحرى اعادة القتال (جواب الجنرال) كستلان من اصحاب الامراء
المرنساوية الى البرنس المشار اليه عند بدء الوقت قد جاء لابلاغ اذ كرتم الى
الامبراطور (جواب البرنس) بسمرك ماسمعوا بكم (الجنرال) كستلان قد كان فى جناب
الامبراطور من ابلغ مسامع جناب ملك بروسيا بمكتوب الامبراطور بانه سلم بدون شرط وسلم
نفسه له بلا شرط وانما دون هكذا اطلاقا ان الامبراطور بالوجه هذا التسليم فقد
لديه موقع الاعتبار ويقسم هو مع جيشه ونال تمام الشرف لهم كان قد قبلناه ثم
(البرنس) بسمرك اهد كلا كم كان (الجنرال) كستلان ثم (البرنس) بسمارك ماهو
السيف لدى سلمه الامبراطور هل هو سيف فرنسا او سيفه الخاص به فاذا كان سيف
فرنسا امكن تعديل الشروط ولكن يكون جوابكم الاخير بال (الجنرال) كستلان
السيف الذى سلمه لكم الامبراطور هو سيفه فقط (الجنرال) مولتكه فعلى هذا لا يمكن تعديل
شئ من الشروط وانما يكون للامبراطور ما يختص به (الجنرال) دوويمفن سنستأنف
الحرب (الجنرال) مولتكه الهدنة تنقضى فى غد الساعة الرابعة فنشرع فى اطلاق
النار عليكم (البرنس) بسمرك نعم ايها الجنرال ان عندكم عساكر شجعانا ولا اشك انهم
يظهرون غدا ... يذكرون ... ضررا ولكن ما الفائدة من
ذلك لانك فى صباح الغد تجد ... كثيرة تقدمت اليوم ويبقى فى اعناقكم
دم عساكركم بل عساكرنا ايضا الذين يسفكون دماءهم لغير فائدة فقد اخبركم الجنرال
مولتكه ان ... (الجنرال) ... اؤكد لك مرة اخرى ان خروج ...
عساكرنا لا يمكن ولو كان عسكركم على احسن ادبة لانه ... يكون عسكرنا اكثر
عددا من عسكركم فانه مستولى على مواقع تمكنه من احراق سيدان فى بعض ساعات
وهذه المواقع منضمة على جميع الجهات بحيث يمكنكم الاطلاع عليها وهى منيعة ولا يمكنكم
عبورها (الجنرال) امرنساوى ليست مواقعكم قوية كما تذكرون (الجنرال) مولتكه انت
لا تدرى المواقع حول سيدان وفى اقتدارك ان تستطلع من ... المكبرة وهى اسكم عند
افتتاح

افتتاح الحرب بيننا وزعمتم على ضباطكم ان فرانسا كان رجالها وابطالها في المانيا فلم يمكن
لكم حينئذ ان تطلعوا على مواقع بلادكم ولم يكن عندكم خرائط لها فاقول لكم الآن ان
هذه المواقع حصلت لكونه [illegible] قاعدة لاعطاء ضرب من المحال (الجنرال
الفرنساوى) ان عندى ان صح الارسال احد من ضباطى كما عرضتم على فى مبادى الامر
حتى يرى مواقعكم بالمعاينة وعند رجوعه يخاطبكم (الجنرال) بانه لا لزوم لاحداث ذلك
حيث انه ليس لكم وقت طويل حتى تتداركوا ما يلزم عمله فالوقت الآن نصف الليل
وبعد اربع ساعات تنقضى المهلة ولا يمكننى ان امهلكم بعدها ولو دقيقة واحدة
(الجنرال) الفرنساوى ولكن يلزم ان تعلموا بانه لا يمكننى بت الرأى على شئ وحدى
فيلزم ان اشاور [illegible] الضباط ولست ادرى اين اجدهم فى سيدان فى هذه
الساعة ولا يمكننى ان اعطيكم جوابا فى [illegible] فرأى ضرورة والحالة هذه اطالة
المهلة فعند ذلك امر البرنس بسمارك الى الجنرال ملتكى فادنه واشار اليه بنحو طول
المهلة الى الساعة التاسعة [illegible] ثلاث ساعات [illegible] الجنرال
الفرنساوى جميع عساكره الذين فى سيدان على موجب شروط الجنرال [illegible]
وبذلك [illegible] واستعدادها [illegible] رأى الامة الفرنساوية
وحاولوا [illegible] نابليون [illegible] واعادوا الدولة الجمهورية ثالثا [illegible] المانيا الى
ان حاصرت باريز [illegible] آلاف [illegible] مائة وخمسون
الفا [illegible] فى [illegible] باريز ثم عقدوا
الصلح على [illegible] ولاية الالزاس وقسم من ولاية اللورين وغرامة
خمسة آلاف مليون فرنك [illegible] وتتوج [illegible] امبراطورا على
المانيا فى قصر فرساى وحضره ملوك المانيا [illegible] الى باريس على وجه
الانتصار [illegible] السياسة الاوروباوية وصارت المانيا
معادلة [illegible] لكن فرانسا [illegible] الشهير تيرس [illegible]
حصول [illegible] الاشتراكيين الذين يريدون
ان تكون [illegible] جميع ما يمكن ان [illegible] انسان [illegible]
اكثر من [illegible] فى الحسبان [illegible]
الغرامة [illegible] فى ماليتها [illegible]
خسائرها وغرامتها فى تلك الحرب نحو عشرة آلاف مليون ومع ذلك فانها [illegible] ادارتها

استقراض ثلاثة آلاف مليون لدفع قيمة الغرامة فهرعت له أرباب الأموال من كل
فج حتى من البلاد واحد من الفلاحين بما يزيد عن الحاجة لهم بون وأقدمت على اصلاح
واخلايتها وعمارة ما خرب منها حتى أرجعتها لاعتبارها وحسن حالها نتيجة وقد أحدث
الفرساويون في حديقة انك ترى أزى محلا ... بالكثرة بحيث ... المداخل
بالاخطاط ويرى منه صورة حالة باريس من الحرق والهدم وقت الحرب تذكارا منهم
لاحياء أهل الثأر وقد رأيت هذا المكان وله منظر هائل واستقرت الحكومة الى الآن
جمهورية

مطلب

في السياسة الداخلية في فرانسا

قد تقررت الحكومة الجمهورية على القانون الآتي ترجمته (البند الاول) ان
مجلس الاعيان ومجلس النواب يجتمعان كل عام يوم الاربعاء (الثاني) من كانون
الاول نيفمبر الا ان يكون جمعهما قبلا لرئيس الجمهورية فاعلا ان ينبغي ان ينعقد
دائما ثم ما أقله في مدة خمسة شهور كل سنة وحينئذ كليهما اجتمعا ويفتتحان معا ويقام
الادعية الجمهورية بمساعدة في الكنائس والمعابد لالتماس المعونة منه تعالى في
اعمال المجالس (البند الثاني) ان رئيس الجمهورية يختتم الجلسة وله حق ان
يستدعي المجالس للاجتماع فوق العادة وينبغي ان يستدعيهما دائما اذا طلب في
اثناء الجلسة من أكثرية الاعضاء وله امكن كل مجلس على ان رئيس الجمهورية له ان
يؤجل جمع المجالس الا انه لا يمكن ان يؤجلهما الى أكثر من شهر ولا يحدث
أكثر من دفعتين في اجتماع واحد (البند الثالث) وقبل ما تنتهي لأجل
القانونية لسلطة رئيس الجمهورية بمدة شهر واحد يجب ان تجتمع الاعضاء في مجلس
لانتخابهم وانتخاب رئيس جديد وان لم يصر استدعاء المجالس للاجتماع فعلى
المجالس ان تجتمع ... قبل نهاية سلطة الرئيس بخمسة عشر يوما واذا توفي
رئيس الجمهورية او عزل عن وظيفته تجتمع المجلسان حالا بالاستقلال الخاص واذا
ما ... مجلس النواب حين ما فرغ من مدة رئاسة الجمهورية بمقتضى المادة الخامسة من
قانون ٢٥ شباط فبراير سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٥ م تستدعى المجامع الانتخابية
حالا ويجتمع مجلس الاعيان الخاص بحق سلطتها (البند الرابع) ان كلا من
مجلس

مجلس النواب ولا الاعيان اذا اجتمع في غير وقت اجتماع الآخر [illegible] يكون باطلا ولغوا الا في الحادث المنصوص عليه في البند السابق وما عدا ما اذا اجتمعت الاعيان بصفة انه للقضاء في الدعاوى والامر بعد هذه الحادثة لا حق لها الا مباشرة وظيفة القضاء فقط (البند الخامس) ان جلسات الاعيان ومجلس النواب تكون عمومية ولكن يجوز لكل مجلس ان يجتمع جمعية سرية بناء على طلب عدد معلوم من اعضائه يعين في النظام ثم يقضي بحسب رأى الاكثرية باعادة الجلسة عمومية [illegible] على نفس المشروع (البند السادس) ان رئيس الجمهورية يتخابر مع المجلس بواسطة رسائل يقرؤها احد الوزراء ويحق للوزراء الدخول في المجلسين والتكلم فيهما اذا طلبوا الكلام ولهم ان يستعينوا باعتمادين معلومين للبحث في مشروع قانون معين بحكم رئيس الجمهورية (البند السابع) ان رئيس الجمهورية ينشر القوانين في شهر لدى تسلم الحكومة القانون المقرر نهائيا وعليه ان ينشر في ثلاثة ايام القوانين التي حكم كلا المجلسين بوجوب المبادرة في نشرها على ان رئيس الجمهورية في المهلة المعينة لاذاعة القانون يجوز ان يطلب بواسطة رسالة مسببة ولا يرفض طلبه اعادة المذاكرة في ذلك القانون والمسئلة (البند الثامن) رئيس الجمهورية يعاقد المعاهدات ويقررها ويبلغها للمجلسين حالما تسمح بذلك مصلحة الدولة وامنها اما المعاهدات المتعلقة بالصلح والتجارة والمعاهدات التي تتضمن نفقة الدولة والمتعلقة بحالة الاشخاص وحق الملكية للتبعة الفرنساوية في خارج البلاد فلا تعتبر معمولا بها الا بتقرير المجلسين ولا يعطى ولا يبدل شيء من ارض المملكة ولا يضاف اليها شيء الا بتقرير قانوني من المجلسين (البند التاسع) ولا يحق لرئيس الجمهورية اعلان الحرب بدون رضى المجلسين (البند العاشر) كل من المجلسين مختص في انتخاب اعضائه وفي احكام قانونية تتعلق به ويقبل استعفاء من يستعفي من وظيفته (البند الحادي عشر) ان رؤساء كل من المجلسين يتعينون كل عام للاجتماع العادي ولكل جلسة فوق العادة تعقد في الجلسة الاولى في سنة الاجتماع ومتى اجتمع كلا المجلسين تحت اسم مجلس الامة تكون هيئة رئاسته من الرئيس ونائب الرئيس وكتبة مجلس الاعيان (البند الثاني عشر) لا تقبل الشكوى على رئيس الجمهورية الا من مجلس النواب ولا يحاكم الا في مجلس الاعيان وتقبل الشكوى على الوزراء من مجلس النواب بسبب [illegible] وظيفتهم ويحاكمون في مجلس الاعيان ويجوز لرئيس الجمهورية [illegible] ان يجعل مجلس الاعيان مجلسا [illegible] للحكم في كل من تقدم عليه شكوى بتهمة

بخزانة الدولة وأما شرع بالاستقلال في محكمة العدلية الوقتية فيمكن أن يصدر
الحكم بدعاء الاعيان للاجتماع في حين استئناف الدعوى اليوم وعلم قانونا به بين
كيفية سماع الدعوى والاستئناف والحكم (البند الثالث عشر) ولا تسمع دعوى
على أحد من الاعضاء من كلا المجلسين ولا يعاقب بشكوى في شأن رأيه أو [illegible] حال
كونه في مباشرة وظيفته (البند الرابع عشر) ولا تسمع دعوى على عضو من كلا
المجلسين بمادة جنائية أو تأديبية ولا يلقى القبض عليه في مدة الجلسة الا باذن المجلس
الذي هو عضو منه ما لم يوجد في حال فعله و [illegible] أحد الاعضاء من كلا المجلسين
ومحاكمته في المحكمة العليا [illegible] اه وهذا القانون بين لنا أصول
الادارة ورئيس الجمهورية [illegible] وقد عينت المدة الرياسة خمس سنين وهو لا [illegible]
افريقي وأما هيئة منصب الادارة فهي على نحو ما تقدم في الكلام على [illegible]
من شرائط قدرة المحكمة عن الاحكام الشخصية وتصرف رئيس الدولة بواسطة الوزراء
وكون الوزراء مسؤلين لمجلس النواب ومجلس الاعيان بحيث ان الحكومة شورية
حقيقية لا يصدر عنها الا بالاتفاق [illegible] ثم يجرى ذلك في حق
الشعب [illegible] لمجلس الحكم بأمر شخص
بتصرفاتهم [illegible] عظيم في [illegible] من الامور [illegible]
دعوات [illegible] بحلاله [illegible] الامة
عموما [illegible] وزراء [illegible] مجالس عامة
زيادة على شروط الاهلية [illegible] وهكذا [illegible] الادارة على نحو ما رقي [illegible]
فرانسا لما كانت لها [illegible] كثيرة فهي [illegible] مثل ولايات فرانسا ووطنها في
كيفية الادارة وكون مصدرها هم الوزراء المعهودون من [illegible]
كما تعمل الدول التي [illegible]
[illegible] أهل فرانسا من الحقوق والمنع كالحرية وحق ادخال عضو في مجلس
النواب وأعضاء في مجلس [illegible] من الاعتبارات [illegible] أهل
فرانسا ولذلك كانت [illegible]
[illegible] الخصائص [illegible]
الاحكام وهي أيضا على نوع [illegible]
الجوري وهم أعداد من [illegible] الناس [illegible] من الزمان لاجل مشاركة

مجلس

مجلس المرافعات الشخصية في النظر بمعنى أنهم يحضرون المجلس المركب من رئيس
ومستشارين ويحصل لهم من جميع المقدمات بحضرهم ثم يسأل لهم رئيس المجلس عما يرون
في النازلة هل صاحبها مجرم أم لا ومن أي نوع جريمته فيتشاورون وما يستقر عليه
رأيهم يعلمون به المجلس ثم المجلس يطلق المدعى عليه لان رأى الجوري براءته
أو يعين العقوبة من القانون ان رأى ذنبه والسبب في اتخاذ الجوري هو زيادة
الاحتراس في الحكم خوفا من ميلهم الى محاباة الامراء والوزراء لان طبقة الحكام وان كانت
حرية وهم يتقيدون بشروط العقوبة لاهلها فوزراؤهم اختيار مجلس الاعيان
وهم من الامراء فربما ثبت ارتكابه ذنبا فيعاقب أشد العقاب ولانهم يجعل العقوبة بعد
أو شناعة لكن ربما أعرضهم عنه لدواعي ما يرى في ترتيب [illegible] التي هي بيد
الامراء والوزراء وقدر الاحتساب بمبارزة [illegible] الجيش [illegible] دعت ركة الجوري
الذين هم ليسوا [illegible] ولا خوف [illegible] لكن [illegible] هؤلاء
الجوري كثيرا ما يكونون غير فقهاء ولا دراية لهم بالاحكام ولا بيوتها ولا بالتحري فيها
فيحكمون خبط عشواء ويصيح الحق بينهم [illegible] ويه يعلم مدرك الشرع
الاسلامي في أناطة الحكم بالعلماء أهل العدالة وما أدراك ما [illegible] العدالة ومشورة العلماء كم
للعلماء وكون حكمهم [illegible] ورائهم وراء احتساب أهل الحل والعقد الداخل في الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من المقصد الموجود [illegible] في انتخاب أعضاء مجلس
النواب أو غيرهم من [illegible] الاهالي ان افراد [illegible] يعدون أنفسهم للانتخاب يعقدون
مواكب ويدعون اليها الاهالي في اماكن فسيحة ويلقون عليهم خطبا يبينون بها
أفكارهم ومقاصدهم في سياسة المملكة وجدارتهم بقيام المناصب [illegible] ثم
يلتمسون لان يكونوا من [illegible] حتى يقع انتخابهم على [illegible] ومع ذلك يعطون ارشا
لمن له صوت في الانتخاب لكي يحصلوا بذلك أكثرية [illegible] كثيرا ما يجيء [illegible]
ويحصلون على [illegible] بهذه الطريق بعد أن [illegible] ويتم [illegible] بين أحزاب
المتحزبين فيدخل بسبب ذلك في الوظيفة من لا ترتضيه الاهالي حقيقة أو من ليس
جديرا بها لكثرة أغراضه وغير ذلك وهذه المفسدة ولان كانوا [illegible]
بعدها ما [illegible] المنتخب بنظر في المنتخب هل هو مستكمل الشروط أم لا ومن كان غير
مستكمل يفصل عن المجلس ويعاد انتخاب غيره لكن ذلك لا يفيد في أغلب الاحوال
لان الذي انتخب بحيله ورشاوته يكون مستكمل الشروط الرسمية فلا يعد اخلاص

سبيلا لاقدح فيه لكنه غير مستكمل الشروط الاسلامية وهو رتضاه الامة حقيقة عسلكه
السياسي ولذلك كان ينبغي ان يعتبر ان طالب الولاية والامامة محروم منها فشرعنا
الشريف ولله الحمد مزيج معتبر تا المصدقو . لب الولاية وان كان عدلا متوفرة
فيه شروط وظيفته فانه يحرم منها لحرصه عليها وقد يحصل كرب او ملك ثالث في
معرفة احوال الممالك استقصى بن ادارته تعالى كفعابر وجوده في عصره ونادى عن
باع صاحب النائب وبصارته في البيان فقد ادار تحقق الامور وتصياه واحرع اليه

مطلب

﴿في السياسة الخارجية في فرانسا﴾

(اعلم) ان فرانسا كانت من اعظم الدول الاوروباوية وفي طليعة اهلها اجماعا لكثرة
ولوجاهتها كثرة عددهم ... شوكتها دخل في حربها اشد عن سواها عن
بيرنها ... في احوال نابليون الاول والثالث وسياسته حرب سنة
١٢٨٧ ه ١٨٧٠ م ثم جدال لما كرولدت كانت فرانسا مالالايطاليا ما
ذكره في سياسته الخارجية وقد بدت عاقبة السوء في جميع الجهات بحملات ... ما
... تعمرات كثيرة وشكل الحكم عادية ولوفي ... اتباعا تقطات السوء لديها
ولولا ... رفعها ادا دون الخارد الشوكة وشان (ما) دا كان ضعيفا في القوة والادارة
... هو اصعب ... الدول ... مارمع في
تونس ... وهي سنة ١٢٩٠ ه ... هذا القصد ... لدى
ثم اعلمه في الباب الثاني عند الكلام على سياسة تونس الداخلية والخارجية

ذيل

﴿في نظر فرانسا الى تونس﴾

قد مر في المطلب الثامن من احوال الادارة الداخلية في تونس حالة وزارة ورجالها مصطفى
بن اسماعيل وتصرفاته وما وقع في نازلة صادق المراساوي التي كانت سببا في
حدوث هذه ... وتقدم ايضا ماهي مقاصد دول ... ما
في تونس ... بعد كونها من
وقوع ... كانت معارضا كانت راضية ... ضياع الفرصة من
سهولة

سهولة الوصول على يد ذلك الوزير الى ما لم يمكن التوصل به على يد غيره من ذوى العرض
والعمق ولذلك فمهما كانت مساعى الوزير حسن نية في امر مستقبل واذ بالسعاية ابيه
قد عبرت مشربه حتى طمع في ولاية العهد بان يتولى هو الامارة بعد بعد الوالى
الحالى الصادق باشا ان تم ادخال تونس طوعا تحت فرانسا فرأى حينئذ قفاها
واحكم معه المودة ووصل رتبة الوزير الى انه عامله بجميع امور الحكومة وسائر
تصرفاتها واضمر ان يعمل اشرابين او عز اليه بان يشتكى من القنصل الى دولته
ثم تعقب بذلك وادنى المرى قنعه بانه لا يستبقه شيئا وعلى غرض لو ماله بالوعد بانه
لا يلبث ان يناله منال الوزير العاصمى في اعراض دولة بنى العباس من بعد دوتدفق
ذلك الوزير مع العمل على شروط ادخال تونس تحت فرانسا عرف الوالى لم يساعد على
لائحة تلك الشروط التي قدمت اليه بواسطة الوزير خشى من الدول ومن الاهالى
في البقية على الدولة العثمانية وفي تعيين حالة البلاد وجعل الوالى يسوف العقد
من وقت الى آخر وحمل الوزير يسعى في احداث وسيلة تداخل فرانسا واستعداد امرها اكثر
من الرسل المرسلة الى الاستانة متطلبا بسعى هو الى عادة او يرسل بعض الاسطول
العثمانى الى مرسى تونس مع اظهار زيادة التشيع الى الدولة العثمانية حتى لا ينقص لى
مساعيه الباطنية فلم يساعف من السلطان الى مطلوبه اذ لم يكن له من داع كما يعلم صدق
الدولة العثمانية الابقة ثات الى دمائه ووزنه حتى ترى في سعة لدفع العوائل
المتوقعة اذ من المعلوم ان الدخل الباطنى هو كالمرض الذى لا ينجع فيه العلاج
لا تدريجا عند اول حدوثه سيما اذا كانت الدولة المعالجة محتاجة الى استمالة غيرها
من الدول القوية الى مساعدتها على قرينها العدو ومع ذلك ايضا فقد عكر الوزير ايضا
العميد في حالة الحاضرة مع ابطالها واتمال على تونس الاخر ووضع للمرابط ساوى منها
لم يطلبوها مما يدفع العودهم واشعلهم كما تقدم ذكره في اطلاب من
احوال تونس ولما لم تنجح جميع تلك المساعى التي كان يمكن لفرانسا الاستناد عليها في
وضع حمايتها على تونس أحدثوا اقاويل في اهمال حقوق الفرانساويين بتونس واظهر
الوزير المذكور الاستعصاء بفعل فرانسا ومال عنه كل الميل ظاهرا ودام ان يظهر
الانعطاف في اجراء المطالب التي انالها الى العمر تساهل بارجه من الاعتذارات حتى اعربت
رعايا فرانسا بتونس على ان تكتب تقريرا بالشكي من ضياع حقوقهم وطلب دولتهم
للانتصاف لهم فلم يرح الامر الان وفرانسا جابت بجيشها ورجالها على حدود تونس معلنة

بان قصدها انما هو حفظ حقوقها من جهة الحدود وغيرها وستقف على ما تضمنته
لائحة وزير خارجيتها الى سفرائه وهذا نص تعريبها باريس ٩ مايس سنة ١٨٨١ ايها
السيد اتشرف بان نرسل لكم جملة رسائل في شأن تونس ونريد ان نحقق لكم المقصود
اجمالا ونخبركم عن موجب ارسال العساكر الآن وعن النتيجة التي نرجو اتباعها وكم
من مرة قد عرفت الدولة الجمهورية مدعياتها ومقاصدها وانتم تتذكرون ذلك خصوصا
ما صرح به السيد رئيس الوزراء في المجلس العام وهو لا يمكن ان يكون مما فيه شك من
جهة صدقه ومع هذا فاني ارى من المناسب ايضاح الكلام لكم لدى الدولة التي انتم عندها
ونقول ان سياستنا في تونس ليس لها الا مقصد واحد وهذا المقصد لدى يكفي
لوضوح موضوع سيرتنا منذ خمسين سنة نحو المملكة وهو انه يجب علينا المحافظة على راحة
مستعمراتنا العظمى الجزائرية ففي سنة ١٨٣٠ لم تكن دولة من الدول المتابعة
وتركت هذه المهمة الصعبة وانا نقول انه يجب علينا حفظ مستعمراتنا الافريقية
التي لا يوجد احد من اوروبا ينكر الآن الشرف الحاصل لها من جارها وكثير الاراجيف
وقد كانت امثال التونسية تخوفنا وتجاور [illegible] فيها [illegible] وقد عاق على الجميع
قبائل وشتة والفراشيش ونحوهم ولا تعرف كثرة محاربيهم ولا كثرة قوتهم فالدولة
التزمها الآن ان ترسل من العساكر عشرين الفا وهذا مما يدل على قوتهم اي الاعداء
المقصين في بلاد [illegible] وكان الداعي الاول لارسال العساكر وهو قهر قبائل
حدودنا الشرقية ولكن لا فائدة في تقرير الامن والراحة [illegible] الا اذا لم يكن دولتنا
ونحن لا نخاف من هجوم لكبير القوة لباي تونس اذ كان منه وحده لكن
الضرر قابل في الموقف [illegible] تحري [illegible] لدى [illegible] التشويشات
يمكن ان ياتي لها وقت [illegible] كبير في الجزائر وتصل حتى الى فرانسا فلزم بسبب على
ما ذكر ان يكون للدولة عند الباي هيبة كبيرة [illegible] ويلزمنا [illegible] وصفا للمحبة
التي [illegible] ولا سمع التشويشات المحاربية اضررنا واستمرارها الراحة وقد
وضعنا من نحو [illegible] سنة بانه يلزمها [illegible] الجزائرية ان تحصل في المملكة
على قاعدة راسخة ونحن نحترم بالتدقيق منافع الاجانب وهم قادرون ان يتوسعوا بثبات
مع فوائدنا والدول يتحققون ان مقاصدنا من جهتهم لا تتغير وفي هاته المدة الاخيرة
اتحادنا مع دولة الباي لم يكن مستمرا الا بما يحدث احيانا من الاختلاف في دفع تعويضات
لقبائلنا المضرورين ثم في الحين يرجع الاتحاد ويزداد ثبوتا بعد [illegible] الاختلافات

الصغيرة

الصغيرة لاهانة المدة الاخيرة فانه ما بات يصعب الاطلاع عليها قد تغير بال الدولة
التونسية لبنادقهم واحده وكانت اذ ذاك الحرب ما كنة ثم لازالت تردد الى ان
وضعت وتقوت وهيئتها اصد كل الاعتبار الى حصانات للقراء او يبقى تونس مع
شدة لازدة لرديئة الى ترجحات لهذا الحال وهذا هو السبب الثانى لارسال العسكر
الذى كانوا العسكر منه ولكن بسبب استمرار رديئة الى طالب ضررنا عليها التزمنا
بما هو واقع ولو انشأ ما يرسمه الباى فى المطالب الحالية فلانه تشرف بتونس كمملكة
مستقلة واما الحالة فى الحافظة الآن مع الباب العالى وهى مخاصمة عنه وهو طبيعى
وبودنا ان لو كانت الدولة تونس فى مصر آخر بحران التى هى عليه الآن ولكن قد بان
ما نحن عليه مما ذكرناه سابقا فوثقنا بقدرة سعيهم من الباب اذا كان باى تونس هو وال
من قبلهم نطالب المهم والسرته الى هاء غرور انسا ... ولما لم يفتشوا جمع
العسكر الموجود الآن الذى نحن مستندون عليه ... فى عدم ... ويلزم لهذا
الامر لدى عن عجزهم ... وفى مصر ... تونس ... ودونها من الهرج
المستمر والتشويش المرعى لبلادها واما غيره او من نفس ... وهذان هما السببان
لارسال العسكر ولا نحب عدمها ولان لنا فى اوربا الرضاء العام فى جميع نحها تعدا
الجهات التى بها النظر الفارغ الضعيف للمقول ... اى ... اسيد التى خيمت حول
الباب وحول تونس ومن كل الطرق ... مشغولون ... وجميع ما ... ومن الذى
هو ان لا يكون عدوا لنا وان المملكة فيه الفوائد ... من ... اعادتها ...
فوائد لا تحصى اكثرها نحصله نحن منها وقد ... اتى بكل ... من العمران
كما كان عندنا فى سنة ١٨٤٧ وما ادمت البريد فى ١٨٥٩ وسنة ١٨٦١
فعلنا التلغراف وفى سنة ٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلنا السكة الحديد الذى طوله ٥٠
فرسخا من حدود الجزائر الى تونس وفى هذا الزمان ... تشغل فرنساوية خط حديد
احدهما يربط تونس بالمرسى من جهة الشمال طوله ٢٠ فرسخا والآخر يربط
تونس بسوسة من جهة الجنوب وستنتهى ... قريبا ... عمل مرسى فى تونس
نفسها لتدخل المراكب من البحر ومن حلق الوادى حتى الى ... وبين تونس
وان كان رأس ماله مشتركا بين ... وى ... كابرى ... الكمية اذا اعتبرت لنسبة
... لانه اخبار ... الخ ... لا ... التى تاتى بالمياه العذبة
لتونس قد اصلحها احد المهندسين الفرانساوية ... ترجع لجماعة ... الاترال

نعم اشياء حسنة ومنارات على الشطوط ومراقد خلية توصل بين البلدان العامرة
التجئ وسقي الارض بالترع الكبيرة في البلاد التي بها انهر كثيرة ولكن هاته
البلاد اهاليها ليسو معتنين بشأن الانهر وكذلك العادات وكذلك عمل استخراج المقاطع
الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة في الاراضي الحسنة التي
للاجانب في المملكة والتي للاهالي ايضا وكذلك استعمال المياه المعدنية التي اكتشفها
الرومانيون واستعملوه وبالجملة فمملكة تونس حسنة وغناها وشهرتها القديمة يدل
على ذلك وتحت تجارة امرائها ويمكن ان تزال جميع الحجب عن المنافع الطبيعية
في هاته البلاد وتنتشر ثمرتها بعد الترتيب الجديد بقدر ان تزيد شيئا امو وهي انه
اذا كان الباي يعتمد على اتي الترتيب الداخلي في المملكة فانه عمل تعديلا لا ريب فيه
وهذا مجرا لدى يعول عليه اعلم من ترتيب كيفية قبض المدخول وترتيب الخروج
وترتيب دفاتر الحساب على مقتضى ما نعمله نحن في ماليتنا ومنه ايضا امر عظيم وهو
ترتيب العدالة على الاصول التي قعدتها الدول في ترتيب العدلية في مصر وفائدة هاته
المراتب لا ترجع لامرائها وحدها بل ان المملكة ترجع بفائدتها وكذلك لجميع الدول
المتمدنة اي تصير مأمونة غير فتح ولا حرب ولا شيء مما عل الذي تونس مثل لدى
فعلها في جزائرها والذي وقد تقدمت كالانبرة في الهند اذ صحت اياى ونس متكفلا
بمالنا لفقه فهو دائم على ما هو ودائما من ان تونس مملكة مستقلة من قديم
ترى بعض آثار للتمدن بلادهم وتم لبعض اسياد ثم تركوها مدة قرون وقد تصور
تلك المدينة نادر ولو تحسب المدن التي هي في سواحل المملكة كانت اكثر مدة التبعية
ففي سنة ١٥٣٤ أخذها اشهر بابوروس خير الدين اربع او خمس مرات
بانتصاره على الاسبانيول وفي العام الذي بعده اخذه شارلكين وكذلك في سنة ١٥٥٣
ثم اخذها داي الجزائر سنة ١٥٧٠ ثم اخذها دون جوان الاسبانيولي سنة ١٥٧٣ ثم
في طول القرن السابع عشر دخلت تحت ظل الانكشارية بقوة يحكم ورؤساؤهم
الموسومون بالدايات كانوا اذذاك ربما نضوهم تقريبا كالمماليك الذين قسموا
مصر ثم في سنة ١٧٠٥ كان احدهم المدعى حسين بن علي الذي اصله كرجي او كرسكي
صار ملكا وكان هو واحدهم يعرف كيف يشدهم وقد جمعهم واشتهر بالباي
وبعصبيات العساكر اقام العائلة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هيئة
السيادة الاسلامية والآن ٢٠٠ سنة تقريبا وهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم

وبين

وبين الباب العالى هى رابطة دينية وهم معترفون بالخليفة لانهم ليسوا تحت السلطان
ومما يوضح هذا انهم لا يدفعون له اداء الا انه عند ولاية كل باى يرسل هدية عظيمة
تقدمها لرئيس الديانة القاطن بالقسطنطينية تتوفى باقى مدة لولا ذلك فلا مسئلة سياسية
يمكن ان تذكر غير انه تقبة لو ادية وليس لامير المؤمنين حق آخر على باى تونس
والمملكة تعقد شروطا كدولة مستقلة مع الدول الاجانب وتعقد معهم اتفاقات وتكون
لها قوة وذلك برضاء الباى فقط على هذا الحط وقد عقدت معاهدة مع فرانسا فى سنة ١٧٤٢
وكذلك فى العام الثالث والعام العاشر وفى سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت المعاهدة
المهمة فى ٨ اغسطوس سنة ١٨٣٠ التى تمنع ملك العبيد والتلصص فى البحر ولا يلزم
التكلم على المعاهدات الباقية كالتى فى حق صيد المرجان وان الباب لا يحكم على الولاية
الا حكما وقتيا وهو رضى مستقلة الملك ... وبعد هذا العهد فى القرن الثامن عشر لم
تشك دول روبا من التلصص البحرى والسبى البربرى وليس له حكم عام وهو ليس
مولاهم وهو لم يضمن السرقات التى صدرت ضد تجارة اهل النصرانية وان دول روبا عقدوا
الحرب عشرين مرة مع المملكة من غير عقد الحرب مع تركيا وفى سنة ١٨١٩ كانت
معاهدة كس لاشبيل قد حكمت على تونس بمنع التلصص البحرى من غير ان تطلب
من الباب التداخل مع انه مستبد على تونس وفى سنة ١٨٣٣ عقد ملك سردينيا
ونابلى عقد الصلح مع تونس من غير معية الباب لانهم يرون مثل ما نرى ان تونس
مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرانسا من وقت احتلاله الجزائر على الصدق السابق من غير
واسطة تركيا ولما قدم المشير احمد باى فى سنة ١٨٤٣ اقتبل بكل ما يلزم من التعظيم للولاية
والباب العالى لم يزعج من اداء ما من على المعظم الملوكى المذكور وكذلك جميع اروبا
لم ... على ذلك لان رأيها وافق رأى للورد آبردين الذى يقول فى تسجيله ضد احداث
الجزائر المكتوب بتاريخ ٢٣ مارث سنة ١٨٣١ ان الدول الاروباوية من مدة
طويلة يعاملون المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلة وخصوصا تونس
فانه لا تمسك عنها الاجوة والدليل الواضح الحق الذى لا ينكره احد هو ان القوانين
فى تونس المسماة بوبورلدى وحلف عليها الباى الموجود بتونس محمد الصادق لما
جلس على الكرسى فى ٢٣ ايلول سنة ١٨٥٩ منها مابين الاوقات قانونا واحدا
منها وهو المسمى بالقانون النظامى لمملكة تونس وهو يحتوى على مائة واربعة عشر مادة
وانتشر بالعربى والفرنساوى فى تونس وفى بونة ولم يصرح فيه ولا بكلمة واحدة

تقول السلطان وعمالا يقدران يشك أحد منهم في استقلال الباي ما ذكر في الصحيفة
الرابعة من المقدمة في ذكر القانون ونصه ان المتوظفين الكبار التونسيين اختاروه
بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف في المملكة وفي
ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للباي وحالة الامراء من العائلة
الحسينية وحقوق وواجبات الرعايا وكيفية خدمة الوزراء وترتيب خدمتهم ثم
المجلس الكبير بالمملكة والمدخول والحساب ولاشك ان من يطلع عليها
يقدر ان يعتقد ذلك البيان غريبا اذا اراد ان يقيس على رأيه الاوروباوي ومع هذا
فهو دليل واضح على استقلال مملكة تونس وانها ليست تحت دولة اجنبية وجميع
المعاهدات التي بين الدول الاوروباوية ومملكة تونس منذ مدة الثلاثة قرون الاخيرة
لم تقل بدلا عن مملكة تونس وملك تونس ومنها خمسة عشر او عشرون معاهدة امضيت
بفرانسا فيها دلالة الاول وفي سنة ١٨٦٨ المعاهدة التي وقعت مع ايطاليا قد كرر
فيها مملكة تونس وتونس أيضا قد تمم تمدنها في قانونها الداخلي الا لامم الذي
اطلقته عليها جميع الدول وهي زادت ان ترجع الحرية التي لها بالاستقلال وتقدره
الموافقة له بناء على ما سبق من الادلة القديمة والحديثة وبالتالي لا يقدر ان
يحجب من انكار فرنسا سيادته على تونس مهما طلب هو ذلك حتى الى الآن وفي
تقريبا ان الباب شدد في طلبه منذ خمسين سنة وفي سنة ١٨٣٥ دخل تحت سيادته
طرابلس بعد ما ضبط القبيل المائل له الى وأراد ان يعمم سيادته على تونس الا ان قوة
فرانسا الصادة له منعته من مقصده وبعد عشر سنين أي في سنة ١٨٤٥ تماما بعث
السلطان الى تونس ومعه فرمان ليقلد الباي منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت
عشرون سنة من غير تجربة حديثة ولكن في اواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التجربات
القديمة وانما هاته المرة كانت المملكة بنفسها هي التي طالبت التقليد ولكن هذا
كان من الغريب اذ وقع من الامير الذي هو حين لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المداومة
على استقلاله وهذا انما كان من الاشارات القوية التي حدثت للباي من حاشيته امام
الباب فارسل لذلك امير الامراء خير الدين الى الاستانة بنيته ليعرض ويأتي بالفرمان
وهاته المرة ايضا فرانسا عارضت في ذلك وعوضا عن الفرمان السلطاني فالباي
ومستشاريه التزموا بالرضاء بمكتوب وزيري منصوص فيه ما في الفرمان ثم اغتنموا الفرصة
وقت مصيبتنا في سنة ١٨٧١ وتمموا ما كانوا ممنوعين منه سواء كان في مدة الوزير قبل

الذي

الذي كان غالباً لسطوته يمنع الاسطول التركي من القدوم الى تونس أوفى مدة
الامبراطور الذي لم يقلل من عزم المشار اليه وفرمان ١٥ تشرين أول سنة
١٨٧١ الذي اتخذ نفوذه تحت ظل مصيبتنا اشتهر في ١٧ تشرين ثاني في باردو
واعلن به جهراً للذين باسم السلطان وقبله الباي الذي كان طالما سعى له مع شيء من الغضب
وفرانسا على كل حال معجبة بقوة وحدث الفرمان باطلاً أو كانه لم يقع ومن مدة عشر
سنين لم تبطل شيأ من عملها عندما اقتضى الحال ومع نجاح الباب هو بنفسه له شك في
امر صحة فرمانه بتاريخ سنة ١٨٧١ الذي ضرب استقلال مملكة تونس المتقادم
وهذا الفرمان انتشر قليلاً الا انه عند الغالب لا يعرف ماعدا بعض الدول الذين لهم فوائد
توافق ترتيب الفرمان المذكور ان تونس تكون تحت الباب مع ان حكم باي تونس
باق كما كان يعرف من منذ مائتي سنة عرش باي تونس صادر للباي والباعامة على ايالة
تونس وعلى موجب ذلك هو وراثة في الحقيقة فلم تكن مستقرة في العائلة الحسينية علاوة
لما ذكر الفرمان ان الوالي يعزل بارادة السلطان ومن الممكن ان يعرف الباي ضرره
وضرر مملكته وحريته وحياته التي هي قاطبة كبيرة جداً اثاروا عليه واوجد الصادق
ليس له خوف من جهة فرانسا ولو مع ما حل من الشر معها ومع هذا فهي ليست بصديقة
لذريته ولا لدولته وامام وجه الباب فهو بالعكس وله الخوف الكبير منه
لانه يمكن ان يبعده بحسب الحال فمن ثم لا نحصور من فرانسا واذا تأملنا التحرير وتدبير
مواقع ابعدها غاية الوقع في كثير من الامور حسبما بعض الاحوال للدار بحيث كما
يتبين من مقالة كلامه عندما ذكرنا في تاريخ تونس وسياستها وصلاتها مع الدولة مع
المكاتيب الرسمية التي دعاها وقف حتى من ذهاب وطني فرنسا ويؤكد ذلك ماترده في لوائح
الباب العالي الآتي بيانها ان الحالة لما بلغت الى درجة هجوم العساكر على الحدود
تظاهر والي تونس بان ارسل ارادة الى الباب العالي مكاتيب في التشكي من فرانسا
وأرسل الى نواب الدول تفصيلاً على ذلك ايضاً ولما تحقق الباب العالي الاحوال الرسمية
أرسل عدة لوائح الى سفرائه بمسند الدول شاكياً على معاهدة باردو التي أشرنا
اليها سابقاً وعلى معاهدة برايو ومما يفصح عن مقاصد الباب وحقوق اللائحة التي
أرسلها وزير الخارجية للدولة العثمانية الى سفراء الدولة ونص تعريبها القسطنطينية
١٠ مايس سنة ١٨٨١ ان اعلاماتي المتتابعة عرفت فخامتكم الوقائع التي صارت في
المسئلة التونسية وقد سببت بهجوم بعض القبائل البدوية بجهة كرومير وهذا الهجوم

فالحكام التونسيون أعلنوا بأنهم حاضرون ليحافظوا من غير تراخ فالدولة الفرنساوية
حكمت بأنه يلزمها ارسال عدد وافر من العساكر لدفع ذلك ولو على جزء كبير من الولاية
ولم يبعدوا عن ذلك الا بعض فراسخ في غير التفات الى ما كنا أكدناه على حضرة
الباشا بأخذ التدابير اللازمة لتقوية الراحة في المواضع المتاخمة لدولة جمهورية
لانريد أن نتعرض للمعاملة الاقترابية لتونس مع السلطنة العثمانية التي هي محسوبة
جزءا من السلطنة المذكورة وأظهرت بأنها تقبل قوله لا اتفاق الوداد معها القطع
الاختلاف الذي وقع وترتيب حقوق الباب العالي مع منافع رئاسة ذلك المحل وترتيب
الاشياء الموجودة من زمن قديم ولا نقدر أن نزيد في ايضاحها كما يلزم وهي سيادة
السلطان التي ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهي سيادة لا تنكرها ولا دولة عموما
وهذا الحق بقي الى الآن صحيحا ولم ينقطع من زمن فتحه وهو من السنة ١٥٣٤ بخير
الدين باشا وفي سنة ١٥٧٤ فتح على يد سنان باشا وكانت الدولة العلية ارسلت
الى تلك المواضع قوة عظيمة برا وبحرا ومن زمن ذلك الفتح فالسيادات التي فعلها الباب
العالي هي ان جميع ولاة تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالي الاول المسمى من
السلطان ويتقلدون الى الآن المنصب منه ودرجات الولاية في حضرة الديوان
وكذلك جميع المكاتيب التي هي منهم للباب العالي فانها تارة تكون في شأن مخالفتهم
مع الدول الاوروباوية وتارة تكون في شأن أحوالهم الداخلية والتي هاته المدة
الاخيرة فان الباب العالي من استحفاظه على حقوقه زيادة على كونه يسمي الوالي العام
فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضيا وباش كاتب الولاية ولم يكن الامن ترجم
الدولة العلية ان يعين الوالي الذي هو بنفسه هذين المتوظفين وأيضا فاتباعا للمذهب
وخصوصا في سيادة السلطان فان الخطبة يذكر فيها اسم جلالته ويضرب على السكة أيضا
وفي وقت الحرب ترسل تونس الاعانة الى الحضرة وعلى حسب العادة القديمة يأتي الى
القسطنطينية دائما أناس يرسلون ليقدموا التعظيمات للوالي وخصوصا لاعتاب
السلطنة العلية ليطلبوا أيضا الاذن اللازم من الباب العالي لأمور عديدة في الولاية تخص النشا
الموجود الآن والاهالي التونسيون ما داموا بيده في التصرف وأوصى ذلك حضرته
السنية بالفرمان المؤرخ في سنة ١٨٧١ ويعرفه جميع الدول والآن قد استغاث
أولى تعهده بيده لحق ليبقى على الحالة الردية التي وقعت فيها تونس الآن وهاته
الاشياء الحقيقية لا ينكرها أحد فلو تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها للتاريخ
وبالمكاتبات

و بالمكاتبات الرسمية وهو لكن نقتصر على المهم منها لئلا يطول الكلام فى هذا
الغرض ففى المعاهدات القديمة التى بين تركيا وفرانسا تعدد ألقاب الحضرة السلطانية
ويكون منها لقب سلطان تونس (انظر مثلا) معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤
هـ ١٦٦٨ م وفى هاته المعاهدات أيضا وجد بأن كل المعاهدات التى بين
الدولتين تجرى أيضا فى تونس وفى نصف القرن السابع عشر أى فى ١٥ صفر سنة
١١٦٦ أرسل السلطان فرمانا للباى والحاكم الكبير بالولاية فى رضاء الباب العالى
بان قنصل فرانسا يحمى خدمات قناصل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نوب
بالقسطنطينية كالبرتغال وكتالونيا واسبانيا وفينيسيا وفرنسا وغيرهم والقنصل وكالته
هى حماية السفن تحت الراية الفرنساوية فى المراسى المشهورة بالولاية والفرمان يمنع
تداخل قناصل الانكليز والهولنديين وغيرهم من التداخل فى خدمة نائب فرانسا وذلك
مستندا على التعهد بين الباب العالى وانما المؤرخ فى ٩ رمضان سنة ١١٩٧ هـ
المتقرر بمعاهدة سنوية فى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٠٠ فانه يأذن حكام الجزائر
وتونس وطرابلس الغرب بان يحموا فى اسم السلطان العظيم المحترمة سلطنة الرومان
العظيمة وأيضا ان الاتفاق الذى قدم هذا المندوبون فى ١٥ شوال سنة ١١٦١ هـ
بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة
المذكورة قال لوالى العام بتونس وهو اذ ذاك فى رتبة بكلربيك وان اسم على باشا
بك فى مقدمة كل مكتوب يمضى عليه منه هذه الكلمات بينها هى (مولانا السلطان
الغازى محمود) وعلى ذكر واقعات ذلك الزمان سنة نذكر الاذن الصادر من الباب
العالى فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٢٧ م لحكام الجزائر
وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم ان لا يتداخلوا فى الخلاف الواقع بين سلطنة
النمسا ومملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالى تونس فى ١٤
صفر سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٠ م فانه يأمر بترتيب العسكر النظامى بالولاية
على نمط الترتيب العسكرى النظامى العثمانى وأيضا ورد أى مكتوب ممضى بالطاعة من
الباشا التونسى للخلافة السلطانية فى سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذى سماه السلطان
والباشا وقد انتشر هذا المكتوب فى جميع صحف أوروبا من غير أن يعارض ولا من جهة
واحدة ونزيدكم شيئا آخر وهو انه فى سنة ١٨٦٣ فى واقعة القرض التونسى الذى
وقع فى باريس من غير رضا الباب العالى كان رسيو دواروان دولويس وزير خارجية

الامبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال
انه يلزم ان استانبول او الصراف الذي يريد عقد القرض معه ان يطلب رضاء الباب
العالي ليصح هذا القرض ولمدافعة عن حقوق الباب العالي فان الوزير الفرانساوي
ارسل يقول هذا الكلام للصراف المشار اليه وهو نص نثبت الكلام السابق
الذي يبين العدل والحق الذي للدول المصادقين على معاهدة برلين والمحققون بان فكر
الدول محيط بلا ان كثيره في الاحوال العمومية التي تنص المؤتمر احترم و ثم
بدون أن يعملوا بالعدل قولنا الذي قدمنا هو انهم يحافظون على حقوق الباب
العالي الاخرى المضبوطة بالمعاهدة المذكورة و يحفظون الحال بين الدولتين فرانسا
وتركيا في علائقهما التي هي في هاته الولاية المعروفة بالتونسية المقيمة للسلطنة
العثمانية والمرغوب من جنابكم ان تتكلموا مع وزير الخارجية في مضمون هذا
التلغراف وتشرح له ما تراه نافعا ولكم الاذن بان تعطوا نسخة من هذا الخطاب للوزير
اذا طلبكم اه (لا مصادقة في عهدتهم) ومن تأمل هذه الاقضية مع ماقررناه
في سياسة تونس الخارجية ومقاصد فرانسا فيها الابت لك في ان فرانسا لم تكن
تنازع قط في ان تونس من عمالات الدولة العثمانية وانما بقدم هواها وان تلك
الايالة لها امتياز تجاري يحافظ هي عليها لاجل منافعها ويصدق ذلك تصريح
وزير فرانسا دوارون دولويس في مجمع فيينا الاخير لقضية المسالة ووزير الروسيا
من تعيين الممالك العثمانية المعول بعضها تونس وانه يتراضى بمنع خاليه
الوزير الفرانساوي من ذلك ومنع في كون تونس من الممالك العثمانية وان
كانت لها امتيازات تخصها وكذا المعاهدات المعقودة بين فرانسا وتونس حتى
التي وقعت بعد الاستيلاء على الجزائر عندما بها يصرح فيها بان سائر المعاهدات
المعقودة مع الدولة العثمانية تكون مرعية الاجراء في تونس ولا يعزب عن عاقل ان ذلك
التصريح لاتحاد تونس بالممالك العثمانية ومع هذا كله لم يبدأ تصريح الدول لان
فرانسا لم تبال بمعاهدة الا بعد ان لمست افكار اغلب الدول الكبيرة فوجدتهم غير
معارضين لها الا دولة انكلترة فتولى رباعها حزب الاطلاق الذي لا يرى مع دولته في
المحافظة على الدولة العثمانية بعد ان ظل محاربوها في الحرب بان على
مقتضى نصائحهم ولكنهم لم يروا العمل ودونك منشر في الكتاب الازرق من المخاطبات
التي وقعت من الحضرة العلية وبين وزرائها ومع سفير انكلترة بالاستانة حسبما

انجر

أخبرهما وزيره بعدة تلغرافات تنبئ عما تقدم فمنها تلغراف من موسيو غوشن (سفير
انكلتره لدى وزير خارجيتها) بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٨١ هذه ترجمته لقد وجدت
جلالته (أى السلطان) مسرورا بالفكر في الاطمئنان وبناء على ما عندي من الاذن أعلمت
جلالته بأن الدولة الانكليزية تريد بقاء الحالة الموجودة في تونس وان ليس للانكليز بتونس
الا الاذن ايرشد الباي اذا استشاره بأن يعمل ما في مقدوره لراحة الحدود وانى أرجو
ان جلالته يشير على الباي أيضا بذلك فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه
الغضب وقال انه فهم من كلامي ان الدولة البريطانية تريد بقاء الحالة على ما هي عليه
في تونس ولها مطامع في ذلك وفهم أيضا تأثيرها على محمد الصادق باي بعدم العساكر
الفرنساوية فأجبت جلالته بأني ما قلت ان الدولة الانكليزية تهتم بابقاء الحالة
الموجودة ولكنها ناظرة في ذلك وقصدها على هذه الكيفية خوف أن تنشأ منها كثير امر وضع
مسئلة جديدة في الشرق وانا لا انكر انه وجد فيه خصوصية لانكلترة من جهة
باي كريمة كانت في حول تونس فعند ذلك أجاب السلطان بانه لم يرتكب ما يمنع بين
رجالنا في ابقاء حالة تونس على ما هي عليه ووعد بأن يشير على الباي بمنع العساكر
الفرنساوية وهذان شيئان لا يتوقفان لانه على رأيه يكون دخول العساكر الفرنساوية
الى تونس ناقضا للحالة الموجودة وفي تلغراف آخر من موسيو غوشن أيضا يقول فيه ان
الجلالة لما وقعت بيني وبينه وكيل كان ... ثم محبة انكلتره وقال ان الدولة
الانكليزية تقدر أن تعمل مع الدولة العثمانية المعروف وان الباب العثماني يكون
ممنونا اذا كانت انكلتره تريد أن تعمل معه ذلك فقلت له ان ما كنت قلته لكم قد وقع
والذي كنت أقوله دائما هو انه بأي زمن تكون دولة تركيا منتبهة الى محبة انكلتره
اللازمة وقد تكلم على الحاجة الاكيدة الآن وتكلم أيضا على وجود مودة انكلتره
فبينته وقلت ما هو دليل المودة الذي أظهرته تركيا لانكلتره منذ بعض سنين وفي أي
وقت تبعتم اشاراتها وفي أي وقت قبلتم استشارتها النافعة للسلطنة التركية ثم ان الترك
قد عملوا غاية جهدهم ليتركوا الوجه الذي فيه الرأي العمومي في انكلتره ورجوعها الآن
ليس بسهل بحضرة العالية فأجاب بأن جميع الأشياء الآن تعرض عليه ويظهر على
وجهه الغضب من الكلام الذي قلته قصدا وفي طلبه الاعانة ناشرحت له بان
نازلة تونس مثل النوازل الاخر الشرقية ولا تقدر انكلتره على اتمامها وحدها ومع هذا
فليس لنا فائدة خصوصية وسياستنا متمسكة بالموافقة الاوروباوية ولا دولة تريد قيام

عصر جديد بعد أن تم الاعتبار القديم وكل دولة تكون حازمة إذا كانت تعتني كل
واسطة حصر المارلة التونسية في حدود ضيقة أقل ما يمكن لئلا تقوم مارلة تدخل فيها
الدول برأي مختلف فبابه العالي يقدر بينهم من جملة كلامي بأن ليس لي إذن لتقرر
الرجاء بأن تكون الدول العظام الاروباوية يظهرون أنفسهم محتمين على منزلة مخالفة
بين الباب العثماني وتونس والطلب المخصوص هي من انكلترا ليس بموافق لحالة الباب
العثماني عند بعض ما يجمع الدولة المشار إليها وهذا خطاب كاف في بيان الحال مع
انكلترا وهي وإن أظهر بعض أهل شورها التشديد على سياستها وطلب المحافظة على
تونس وإبقائها للدولة العثمانية وبينما أشار انكلترا من المضرة عند استيلاء
فرانسا على مرسى ابن زرت وعلى قربها من جبل طارق ومرور بحار كثيرة في البحر
الابيض لكنه لم يعد كلامه حيث كان من حزب المحافظين الذي هو مغلوب حينئذ
واستقرت عليه الوزارة ان من هو لدى فتح الباب لعرسان الاورد صلسبري لدى
كان وزير الخارجية عند عقد مؤتمر برلين لما شاع ان وزير فرانسا استفهم انكلترا
على فرض إجابة بأنه لا يعارض فرانسا إذا أرادت الاستيلاء على تونس فإذا يكون
استيلاء فرانسا بوعد انكلترا وقد نص المستند لذلك عن كون الوعد من صلسبري
كان في سياق ان ترضى بذلك الدولة العثمانية صاحبة الملك مع الرضى إمام لا اعتبار لا
ومع ذلك فلانكلترا مقاصد على تونس مخفية في مصر فرأت ان مساعدة فرانسا على
تونس لا تنافي مقصدها في مصر عند الحاجة إذا ساعدتها فرانسا ولهذا
لم تعترف بالمعاهدة الجديدة مع تونس رسميا حتى ان وزير فرانسا الاول اعلن في
مجلس النواب بأن انكلترا وافقت على معاهدته بأنه استناد لما دار بينهم
من الكلام فيها فأعلن وزير خارجية انكلترا حالا بتكذيب ذلك الادعاء وما ذاك
الا تحقيقا عن مابرد لدولته حتى اذا لم تساعده فرانسا في مصر وآل بينهم الامر
الى المشاحنة الحقيقية كان لانكلترا وجه في نقض ما حصل بتونس وأما دولة الروسيا
فلا اشكال انها يسرها كلما يضعف الدولة العثمانية ولا فائدة لها في مشاحنة
فرانسا ولذلك كان جوابها بعد وصول جواب سابقتها وأما دولة المانيا فأجابت
خصوصيا بأن الأولى للدولة العثمانية الاضراب عن هاته المارلة وانها هي لا تعترض
لفرانسا بشيء والباعث لها على ذلك وجوه (أولها) اظهار عدم التجافي عن فرانسا
التي لها عليها حقد أخذ الثار (وثانيها) جذب أعداء ومعاندين الى فرانسا كالدولة
العثمانية

العثمانية وابطال الباحثين اذا آلت الحرب يوما ما بين المانيا وفرانسا تجد المانيا الظهير
على مرتباتها لذلك الفهم من الباعث الداني (وثانيها) اشغال فرانسا بفتوحات جديدة
في اراضي شسيعة وخلق كثير في اوربا فيقار عليها طال اشتغالها بهم حتى يبرد لهيب أخذ
الثار (وثالثها) اضعاف قوة فرانسا وقت الحرب اذ الامم الذين تريد التسلط عليهم
وان لم يكونوا كفؤا لمحاربة فرانسا لخلوهم عن آلات الحرب والاستعداد لها لكنهم
لما كانوا مسلمين وأهل نجدة وشجاعة ومنافسة للعرب لا يلبثون دائما أن يحدثوا عليها
ثورات سيما اذا علموا بوقوع حرب بينها وبين اجنبي فتضطر فرانسا في وقت الحرب
الى أن تبقي قسما عظيما من جيشها محافظا على ذلك المعمور وذلك يفيد المانيا نقصان
قوة جيش خصمها في حربها (وخامسها) تمهيد السبيل الى ما تريد المعاوض
ه بينها وبين ايطاليا لان المانيا ليس لها مرسى على البحر الابيض وقد تحقق من جنس
الاسبان تمنيا مساعدة ملابين حول الجهات التي بقرب مرسى تونس فلو أخذت المانيا
ذلك الباقي من الاسبان مع تلك المرسى يكون ذلك غاية أمانيها ولكن ذلك لا يحصل
الا بحرب مع اسبانيا وقهرها أو معاوضة ذلك بما يرضيها من تلك الدولة العثمانية
مثل احدى الولايات مقدونية ومرسى سلانيك الواردة للثانيا بوضعها حسبما أشيع
ذلك مرارا ولذلك كانت المانيا أول من بادر لامرتها في تونس باتباع سياسة فرانسا
فيها وتبعتها على ذلك أيضا النمسا لانها ليس لها سياسة تخصها في تونس وهي لسائر
المانيا عقدت معها اتحادا في الدنيا ولاحد ام لها مطامع في جهة بحر الجزر
لتتمكن فيه بمواقع مهمة لكي تسلم في مرسى تونس الى المانيا حليفتها حيث لم يكن لها
مرسى في بحر الابيض كما تقدم ذكره فلا تعارضها وتساعدها عند العمل وأما ايطاليا فانها
تحرقت من ذلك القصد وخافت على الصقع التي لا تزال لها آمال كانت غير كفؤ
بانفرادها لمعارضة فرانسا واتحادها مع الدولة العثمانية ايضا لا يجدي لاحتياج
كل الى المال مع ما في الدولة العثمانية من المشاكل الداخلية والخارجية التي اعقبها
الحرب الاخير فلم يسعها الا السكوت وتحمل عرق الترابة مع عظم الصيحة في عموم
الاهالي والدولة فهي حريصة على ابقاء ما كان على ما كان في تونس وكانت عند
ملاحظتها مبادي الشرع رضيت بالسعي السياسي مع الدولة العلية ولم يكن من المقدر
قبول الانقياد لما أرادت حتى انكر الوزير العثماني على المأمور الطلياني التكلم معه

فى تونس وقال لهم انها تابعة لنا ولا دخل فيها لاحد وعند هجوم فرانسا صار يتقلق الى
ذلك الأمور لكى تمد ايطاليا يد ايه وقت الحاجة وفى الاثناء ضبطت الان ربما
تعهد عبرت عساكر فرانسا حدود تونس معلنة انها تريد تأديب قبائل خمير من أعراب
الجبال الذين اعتدوا على حدود الجزائر ولم يتعرض لهم أحد بالمصادمة لان حكومة
تونس قد تقدمت حالتها الادبية من ان تتوافق مع فرانسا ومع ذلك فليس عندها تحت
السلاح العساكر ولا اقتدار لها على معارضة فرانسا بالقوة واستندت ظاهرا
الى أمر الدولة العلية بارتكابها سبيل الملاينة وأظهر لوردير التونسى ادراك التزام العمل
برأى مجلس الشورى حيث قالت الاباء مع ان جميع ما يعرض فيه يقرره الى تابعه على ابن
الرى ايلاوهو يقرره الى نائب فرانسا لكنه عزل عن ساعة عزلا تقضه لهم من هو بالمرصاد
منهم حتى يحيطوا من اطلاعهم على جميع أحوالهم ولكن عساكر فرانسا من بلاد الكاف
وباجة وابن زرت وفى اثناء تلك المدة كانت الحكومة التونسية لا تزال تعجب وتشتكى
وانها مستعدة لتربية قبائل الذين هم فى نفس الامر غنما تعدوا به فقط ومع ذلك
فقد أوعز الوزير بواسطة تابعه المشار اليه الى نائب فرانسا بلا واسطة [illegible] فى
الدخول تحت [illegible] الاقدوم [illegible] من العساكر الى قصر الوالى والاحاطة به [illegible]
لما ترى ذلك [illegible] بالخوف [illegible] اضطر الوالى الى الامضاء على الشروط وبعد [illegible]
الاهالى ومع ذلك أرسل خبر [illegible] الى الباب العالى بقوله [illegible] ان
فرانسا تطلب عقد شروط ولا يعلم ماهى فماذا يعمل فأجيب من الباب بان يقبل كلما
يطلب منه على الباب العالى ولا يمضى شيأ وقبل ذلك أشاع أصحاب الاخبار ان فى عزم
الدولة ارسال خير الدين باشا الى تونس [illegible] لمعرفته بأحوالها وسياسة
الاهالى والاجانب ولكى يكون عونا على [illegible] حالة المرور وقد أرسل الوالى تلغرافا الى
الباب يطلب أن يكون المرسل غير المشار اليه ويعجب كل غافل عن المقاصد [illegible] من ذلك
الطلب اذ تلك الحالة لا تدع مجالا للتخصصات [illegible] وقد سبقت من خير الدين الى الوالى
المشار اليه مجاملة وعدم الالتفات [illegible] حلوله بالاستانة وترقيه [illegible] لكن
المطلع على الباطن [illegible] ذلك [illegible] على [illegible] لان وجود مثل خير الدين
فى تونس لا يروج عليه ما يروج على غيره [illegible] ومع مجاراة الباب
العالى وتقليبه لمواقع النزاع [illegible] كان لتأمين الوالى حيث أظهر الميل الى الدولة

فانه

فانه اى الوالى أسرع الى امضاء الشروط مع فرنسا والحال انه مددا له من الباب
العالى بتوبيخه عن الامضاء بالضعف وبحجر الباب بعد ذلك شئ حتى ساءه ما شاع من
تعصبه فأجابه بأنه مكره عليه وكما ورد بعد ذلك من الباب العالى الى باى فرانسا دعيا
ان الشروط قاضية بذلك (وهذا نص تعريب المعاهدة) ان دولة جمهورية فرانسا ودولة
باى تونس أرادوا أن يقطعوا بالمرة تجدد الحرب الذى وقع قريبا فى حدود الدولتين وفى
شطوط تونس وأرادوا أن يرجعوا علائقهما القديمة التى هى محبة ومودة وجوار
حسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة فى نفع الجهتين المهمتين وعلى موجب ذلك
رئيس الجمهورية الفرانساوية سمى وكيله موسيو الجنرال بريار الذى يتفق مع حضرة
الباى السامية على الشروط الآتية (أولا) المعاهدات الصلحية والودادية
والتجارية وغيرها الموجودة الآن بين جمهورية الفرنساوية وحضرة الباى يقع
تقريرها واستمرارها (ثانيا) ليسهل لدولة الجمهورية اتمام الطرق للوصول الى
المقصود الذى يعنى الجهتين العظيمتين حضرة الباى ترضى بان الحكم العسكرى
الفرانساوى يضع العساكر فى المواضع التى يراها لازمة لتقرر وترجيع الراحة والامان
فى الحدود والشطوط وخروج العساكر يكون عندما يتوافق الحكم العسكرى
الفرانساوى والتونسى على ان الدولة التونسية تقدر على تقرر الراحة (ثالثا) دولة
الجمهورية تتعهد لحضرة الباى بان تستديم له دائما وهى تدافع عن جميع ما يخوف
منه الضرر ربما فى نفسه أو فى عائلته أو فيما يضر دولته (رابعا) دولة الجمهورية
الفرنساوية تضمن فى اجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المتعاهدة
الاوروباوية (خامسا) دولة الجمهورية الفرانساوية تحضر نحو حضرة الباى وزيرا
مقيما لينظر فى اجراء هاته المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعلق بالدولة الفرانساوية
وذوى الامر والنهى التونسيين وفى كل الامور المشتركة بين المملكتين (سادسا) ان
النواب السياسيين والقناصل الفرانساويين فى الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا
أشغال تونس واشغال رعيتها وفى مقابلة هذا فحضرة الباى تتعهد بان لا تعقد معاهدة
عمومية من غير ان تعلم بها دولة الجمهورية ومن غير ان يحصل على موافقتها من قبل (سابعا)
دولة الجمهورية الفرنساوية ودولة حضرة الباى يبقى لانفسهم الحق فى أن يؤسسوا
ترتيبا فى المالية التونسية يمكن لهما دفع ما يلزم الدين التونسي العام وهذا الترتيب

يضر في حقوق أصحاب الدين التونسي (ثامنا) ان غرامة الحرب يضرب عليها
القبائل العصاة بالحدود والشطوط وتعمل دولة الجمهور مع حضرة الباي في جعل
شروطا على كيفيتها وكيفية رفعها ودولة حضرة الباي تضمن في ذلك (تاسعا)
للمدافعة على منع ادخال السلاح والآلات الحربية للمملكة الجزائرية الفرنساوية
فدولة باي تونس تتعهد بان تمنع دخول الاشياء المشار اليها من جزيرة جربة ومرسى
قابس وسائر المراسي الجنوبية في المملكة (عاشرا) ان هاته المعاهدة توضع لدى
رضاء دولة الجمهورية الفرنساوية وتترجع في أقرب مدة ممكنة لحضرة الباي السامية
حرر في ١٢ مايس سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد الامضاء محمد الصادق باي والجنرل
بريار والذي يؤكد صدق التواطئ من قبل ان تولى طلب ظاهرا من دولة فرانسا وهما
أميرالاي سكر والقنصل أن يمهلاه في التأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بانه لا داعي
الى ذلك حيث ان الشروط عند وروده متفق عليها وتممت وهو لا يبقى الا الامضاء
ويؤيده أيضا ان رئيس المجلس البلدي السيد محمد العربي زروق أحد أعضاء مجلس
الشورى أصر على عدم الموافقة على امضاء الشروط والح على الوالي بذلك عند جمعه للمجلس
وأميرالاي عسكر فرانسا منتظر لابرامها وتهددهم بان ما يخشى منه بعدم الامضاء يقع لا محالة
بعد الامضاء فالتمسك بالبراءة لاصابة أسلم وأشرف وعورض بانه قد علم ان الوالي
اذا امتنع يولي الفرانساويس عوضه أخاه الثالث (محمد الطيب باي) لانهم اكدوا ان له
اتفاقا مع الفرنساويس فاجاب بان جميع الاهالي لا تطيع الوجه المذكور وعلى فرض قهرهم
يكون الوالي على شرفه وربما اضطرت الدول الى المداخلة بوجه يحسم محاله فلم يلتفت
لكلامه وعزل اثر ذلك من جميع وظائفه وجعلت عليه مراقبة في داره وحجر عليه مخالطة
الناس وتحقق مزيد الاضرار به الى ان اختفى بعد الاثر لانواع مكاره وسافر من وطنه
وأقام بالاستانة ويشهد بصراحة التواطئ ما صرح به البارون بيلدت الفرانساوي
في تشرين اول سنة ١٨٨١ عما وقع في هاته المسئلة وانه كانت ارسلته دولته حيث كان
أحد مأموري الوزارة الخارجية لاستقراء أمر تونس وذلك في كانون ثاني سنة ١٨٨١
وان الوالي أجاب اذ ذاك فرانسا بانه يقبل الشروط اذا كان الواسطة فيها هو فردينان دلسبس
لانه كان يؤمل بواسطة المذكور الحصول على شروط اوفق له وان الشروط اذ ذاك
كانت غير التي قررت الآن ومع ذلك كله لم تعلم الدولة العلية بشئ وبه يعلم
صدق

صدق الكلام في اضمار الوزير التونسي الشر لبلاده الاولى بالخصوص حيث انحرف عن
الحق ونقضه عما يقتضيه الدين والامانة ثم كانت خاتمة أعمال نائب فرانسا عقب امضاء
المعاهدة أن طلب من الوالي نفي علي ابن الزكي لكي لا يبوح بما وقع من الاسرار التي
اطلع عليها فنفي الى حصن قابس ثم توجه الوزير ابن اسماعيل الى باريس في سفينة
فرانساوية حربية لتشكر الامام فرانسا لتلك المعاهدة ومعاملتها له بالصدق في خدمتها
ازيد مما كان منه لها سابقا كذا في عبارته الرسمية عند ملاقاته رئيس الجمهورية
المنشورة في الصحيفة الرسمية وقلدته فرانسا أكبر نيشان لها مع الشريط الكبير
ورجع الى تونس ولم يلبث بعد ذلك شهرا حتى ورد الامر الى الوالي من وزير فرانسا بعزل
وزيره ابن اسماعيل لان نائب فرانسا بتونس توجه الى باريس وتفاوض مع دولته
فيما يشكونه في تونس حيث ان الاعراب والجهات الجنوبية أعلنوا بان الوالي لما
بقي على الدولة العثمانية ودخل تحت حماية فرانسا فهم لا يتبعونه لانهم بايعوا أميرهم
او نائب سلطان الدولة العثمانية فقط وحده ولا يحل لهم الخروج عليه وهرب
من الوالي جميع عساكره فاضطرت فرانسا الى تكثير الجيوش لتطويع الاعراب وكان
من جملة التدبير عزل ذلك الوزير الذي توقعوا منه أن يعمل معهم مثل ما فعل مع البلاد التي
وصل فيها الى تلك الدرجة وتحقق الوزير ما ضرب من تعلق بوزارة لما قضي وان
كان هذا اي ابن اسماعيل قد احتاز بجميع خزائن أمراء تونس حتى كان آخر ما بقي
للوالي من نفائس الجواهر عقد لؤلؤ منظم حبه جميع ما ثمنه جملة مع حلية زمرد ثمينا لما
السلطان الامير عبد العزيز اهداها اليه فبعث بها الى باريس بعد العزل المذكور ورام سفيره
ارجاعه فرانسا عليه وارجاعه الى الوزارة وبقيت البلاد الى الآن في حيرة واضطراب
ودخلت العساكر الفرانساوية الى قصبة الحاضرة والى منازل العساكر في المدينة وامام
قشلاتها فرانسا وسكن رئيس العساكر لهم وبدار المملكة في وسط القصبة
وصارت الحكومة لا تتصرف في شيء الا بامر الوزير الفرانساوي سواء كان في الداخلية
أو في الخارجية وتم الضرر بولاية تونس الاهل في اوطانهم بوسائل عديدة صعبة وعظم
الكرب على العباد والبلاد بما يحصل فيهم من العساكر كل حين فقاموا بالهجرة وان
وسوسة وهدموا صفاقس وجرحوا من قابس بعد دخولها وعادوا الهاوية الى امة ان
يتداركنا الله باللطف ويحسن العاقبة ومما ينبغي التنبيه اليه هنا ان الاحوال السياسية التي
اشرنا اليها مع الدول سيما فرانسا وسائر الدول الاوروبية لا يمكن ان تخفى على امة قليلة العقل

الفرنساويين . وكيف مع ذلك تقدموا على تونس مع كون الفائدة التي تحصل لهم منها
لا توازي ما ذكر سيما اذا كانت المعاهدة مع تونس التي ذكرناها مما تجري حقيقة على
ظاهرها فالجواب ان كثيرا من عقلاء الفرنساويين قد نقدوا على دولتهم ولا زالوا في
الاعتراض عليها لكنها بما الوقوع في الامر المتسبب عن تهور من بيدهم مقاليد
السياسة حتى تهوموا مقاصدهم من نفس الفرنساويين بان لهم في ذلك ارباحا ذاتية من
التجارة في الرقاع الدولية وموهوا على العامة بالانتصار لحفظ ناموس فرانسا فبعد ذلك
صعب على الدولة اهمالها [illegible] بما صرفته من الاموال التي تجاوزت مائة مليون ومن
الرجال الذين ماتوا بالحروب مع الاعراب وبالامراض [illegible] والاثنى الاف [illegible]
فرانسا التحفظ على ما وقع لها في [illegible] الملوك الذي يضعف او يدفع عنها المسؤل
المنتظرة ثم [illegible] الفرانساويين وهو [illegible] في احداث [illegible] في
افريقية [illegible] في الهند [illegible] الجزائر الى [illegible] الى ان
تصل الى دواخل افريقية والسودان وتصل [illegible] على افريقية الغربي في [illegible]
والشرقي في الجزائر وتونس حتى [illegible] فرانسا [illegible] الحديد في ذلك
ولو تم هذا يكون لفرانسا شأن [illegible] على الهند الآن كانجليترا [illegible] مع
الفارق لا من جهة سياسة الفرانساويين في [illegible] من حيث [illegible] الى عوائد
الفرانساويين [illegible] الادارة في الكتابات والجرنالات بباريس ولا من حيث اخلاق
الامم المتوطنين افريقية والمستوطنين بالهند وان شئت الوقوف على برهان ذلك فانظر
ما حررناه في احوال الجزائر وفي احوال الهند [illegible] كل من الدولتين يتبين لك حقيقة
الحال وما ذكرناه من عدم الاعتراض عما ذكرناه في سياسة تونس الخارجية من
كون فرانسا لا [illegible] مع كون [illegible] ومن [illegible] الدفع
يؤل الى ان الحامل لدولة فرانسا على مخالفة ما سبق من مقاصدها في تونس شيئان
احدهما سياسي ظاهري والآخر خصوصي باطني فالباطني هو ما اشار اليه [illegible] ووقع من
التهمة في [illegible] الافراد الذي يأتي له مزيد شرح في بحث الاحكام والظاهري هو ان
الدول قد تغيرت افكارهم بالنسبة لمخالفة الدولة العثمانية منذ عقدها معاهدة برلين
فدلت اعمالهم على ان من [illegible] منها وكانت له قدرة على حوزه بادر اليه وعضده
النظرية [illegible] ثم اذا كان [illegible] اكثر مناسبة بالجائز وقد عادت مقاصد فرانسا في تونس ورأت
ان ابطال [illegible] المقاصد والمناسبات [illegible] عبرة [illegible] نسأل الله
آمين

أمين فلا يبعد أن يتفق مع ايطاليا أو غيرها من الدول ما فيه زوال الخوف وطمع مع تيسير اجراء الامور بواسطته فانتهزت الفرصة في خروجها على درجة نفوذها وبادرت قبل ان تبادر ومن المعلوم ان السياسة تدور مع الاحوال الحاضرة ولله عاقبة الامور

الفصل الخامس

﴿في عوائد أهالي فرانسا وصفاتهم﴾

(اعلم) ان الاهالي أصلهم اقدم مجهول عبراتهم لما هم من قبائل الشمالية الشرقية من آسيا على اوروبا تسلطت منهم قبيلة الافرنج على فرانسا بعد ان ابحث في الطبيعة ولازالت تتقوى الى ان ملكت جميع فرانسا واتحدت الشعوب الاصلية بالفرنج والامم كما تقدمت الاشارة اليه في مبحث التاريخ وكان لهم اذذاك شهرة بالشجاعة والتقدم بالحروب حتى كانوا اول من كثرت مخالطتهم من الاوروباويين بالعرب واهل المشرق ولذلك ترى ان اسم الفرنج يطلق على جميع اهل اوروبا عند جميع المشرقيين والعرب وذلك لما له من الصيت من أصل الامم الفرنكية فقد اتخذ الكاف سببا عنده من الامة ثم حرف في اللفظ في لسان المشرق وصار افرنج وذلك الاشتهار ناشئ فيما كان لتلك الامة من التقدم وحب الاسفار والغارة ولازالوا على ذلك الى الآن لكنهم يؤثرون الاقامة في وطنهم عن الاقامة الدائمة في غيره ولهذا تراهم أقل أهالي اوروبا استيطانا في سائر الممالك لاسيما امريكا التي هي ذات ثروة واسعة وقابلة لسكنى بأنفسهم فيسع الارض بيسار النجاة من الانكليز والالمان والطليان وغيرهم خلق كثير يتجاوز مئات الالوف وأقل القليل من المهاجرين هم الفرانساويون حتى ان ذلك حاصل ولو في مستعمراتهم في الاقاليم كالجزائر الآن تحت سلطتهم منذ نيف وخمسين سنة ومع ذلك لا يوجد منهم فيها الا نحو ثلثمائة ألف أو ينقصون وعلى الجزائر الهجرة مستقبلا مثابا على الخاص والعموم ان دولة فرانسا رغبت أهالي دولتها لاقامتهم بالاقطار بها بأن تعطيهم جميع حاجاتهم مع الارض الخصبة الموهوبة في الجزائر وحيث كان في ذلك الاقليم كثير من لا يريد الانفصال عن فرانسا لحب بلادها والى الجزائر ولكنهم الدولة بأرزاق العرب الذين استأصلت أموالهم بدعوى الخروج عنها والعصيان عليها ومع هذا الترغيب جميعا كان عددهم ما أشير اليه لولوع القوم بوطنهم في السكنى وان كانوا منتشرين في سائر الاقطار للتجارة والسياحة كما أنهم لهم ولوع زائد بالمعاشرة مع دقة

باريس التي يحق لها الفخر بمركز فرنسا وكونها مهد الحرية ويكون من أهلها وهذا
الطبع وهو حب التقدم وان كان طبيعيا في البشر لكن بعض الامم فيه أزيد من بعض كما
هو في الافراد فالفرانساويون ذوو شهرة ونشاط في الاعمال وسرعة الى تبديل الآراء
والافعال حتى أورث ذلك فيهم كثرة الانقسامات في الاحزاب السياسية وقد ذكرت صحيفة
الديبا تعدد أحزابهم في السياسة فاذا هي أربعة عشر حزبا أحد طرفيها حزب
الاشتراكيين أي الذين يريدون ان يكون الناس كسائر الحيوانات مشتركين في
جميع ما بأيديهم ولو نساء ولا يستأثر أحد عن أحد بشيء والطرف الثاني في الاستبداد التام
لشخص ملك يتصرف فيهم تصرفه في الاثاث والمتاع وما بين ذلك درجات أقواها الآن
حزب الجمهورية المبنية على نحو ما تقدم في السياسة الداخلية وحزب الملكية
القانونية وان كان في ذاته له عدة أقسام من أتباع عائلة بونابارتي وأتباع عائلة أورليان
أو البربون الى غير ذلك ولا تقرأ المطالع بلغة أولئك الاحزاب في ضمنهم مع من ناواهم
من الخارج فانهم أداؤهم أحرى يكونون عاملين يدا واحدة فاذا انفصلوا عنه عادوا الى
الشقاق بينهم ولولا هذا الشقاق لزادوا قوة وعدوا الاشياء [illegible] ومعارفهم متزايدة
وتجارتهم وفلاحتهم متقدمة بغاية حتى أورثهم ذلك اعتدادهم وهم لينوا الجانب
بشوشون في الملاقاة يرأفون بغيرهم ومنهم على من نزله الفرانساويون عليه
ومنهم من يشهرون المؤمنين الناصحين لمقابلة مثل من رأيناهم قدموا الى بلادنا موظفين
واستعملوا السيرة والانصاف والنصح لي ومثلوا من الانصاف الوفاء لهم بالذكر الجميل
فمن هؤلاء صاحب رتبة الوزارة وليلت الذي قدم الى تونس بصفة عضو عام مالي
عندما أنشئ الكومسيون المالي فابدى من نصح الوطن والوقوف في حقوقه
ودفع الغوائل عنه ما لم يسعه لكثير من أبناء الوطن مع العفة والصدق وسعة
المعرفة وعلى هذه من أتى بعده بنيت لوطنه وهو المسيو ومنه كالي الذي شهد لهم
كل أبناء الوطن بالاستقامة والانصاف بحيث يصح ان يقال ان دولة فرانسا تفتخر
بوطنه فالاحتساب المالي من هو جدير بها ولا مشاحة فيه اذ كل من الثلاثة هو من
متوظفي دولة فرانسا في الاحتساب العام المالي وعلى نحو هؤلاء صاحب رتبة
الوزارة فلاث الذي قدم الى تونس بوظيفة نائب سياسي سنة ١٢٩٠ فأبدى من
أوجه الانصاف ومساعدة الحكومة والاهالي على حقوقهم ما فجعت به ألسن الثناء عليه
من جميع أبناء الوطن وكما يرد مثل هؤلاء الذين وقفت أقدامهم عن المقاصد السيئة

وأشدهم للإنصاف فيه وأقدمهم تمحضهم على دعائم بناء أحوالهم ومن مشاهير رجال
سياستهم في عصرنا من اجتمعت به وله صيت بين الأمة بعيد ساوه كنبتا رئيس
مجلس النواب وممن أدركناه أيضاً زيادة على ما بلغوا الثالث الرجل الشهير بالسياسة
والمعارف تيرس ولما تعددت أفراد هذه وإن كانت المعارف والتقدم حاصلة في العموم
ومع ذلك فلا يزال في ورائها أخلاق كثيرة على السذاجة والجهل ومن ذلك حكاية طريفة
قيست علي أما يقرب منها وهي سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م من أحد أصحاب العمل
بالمدينة الإخوة بارس وذلك أن ابن مشترى بروفام بوفرالابن من كيسه ما يشتري
به حذاء أو أرسل إلى أبيه بثمن يشكي له الحال وطلب منه شراء حذاء له وشراءه ووصله في
الطريق وهو مفكر في كيفية إيصاله إليه فبينما هو ماش مر محاذياً للسلك الكهربائي
فقال هذا أسرع طريق إلى أن يصله الحذاء وهو يوصله لأبي ثم أتى إلى عود السلك وعلق
فيه الحذاء وأسر إلى العود بقوله أوصل هذا لأبي فلان في المكان الفلاني وذهب
مسروراً باطلاعه على مسلك موصل لا يعرفه ثم جاء بعد ذلك صباحاً إلى ذلك المكان
فوجد في ذلك المكان حذاء عتيقاً فأخذه وفرح وقال إن أبي العاقل حيث أرسل
لي الحذاء القديم لأستعين به على ثمن الجديد فانظر هذه البلاهة التي لو صدرت من أحد
المشرقيين لشنعوا بجميع الجنس به وحكموا به بعدم المعارف وتهذيب الأخلاق واعلم
أن مثل ذلك الرجل كثير جداً في القرى الصغيرة والجبال وفي أهل المدن كثير من
يعتقد بالخرافات الباطلة ومن ذلك تأثير الأحجار وجمادات وتشائم بالأوقات فقد رأيت
في كثير من بلدانهم وبلدان الطليان وكذلك الإنكليز طاقات في حيطان فيها منارات
توقد بالزيت أو بشمع العسل تقرباً إلى بعض أوليائهم أو الجن معتقدين حلول
المتقرب إليه في تلك الطاقة ولا يوقدونها بما يراد كثير من الأنواع لأن القسوس يقولون لهم
إن شمع الشحم أو الزيت من المحدث أي لا يتقرب بها وكذلك يعلقون خرقاً وقصاصات
وخامات من جمادات وأما كل اعتقاد حلول أرواح فيها وقد ذكر من هذا النوع في
كشف المخبا عن فنون أوروبا ما تعجب منه السامع مما تراه لا يرى الأوروباويين ومن تشكل
بشكلهم في تقليدهم يعملون عنه في البلاد الإسلامية وحدها ويجعلونها
مضربه وينزهون أوروبا عن مثلها مع أنها عارية لشبهها ولا أشد منها وربما استند ذلك
لجاهل أو المتجاهل في ديانة المرتبية فرحانة بأن تؤدي أو ترشد لمثل ذلك بل إنها
هي المهذبة والمنقذة من غيهب الجهل إلى نور المعارف الحاثة على العلم وفتح البصائر وقد

أوردنا هذه الإلمامات اعلم أنا لا نقصد من ذكر ما نسبة الجهل بالمعارف الدنياوية
الى عموم الفرانساويين أو ترجيح المشرقيين عليهم كلا بل الحق ان الناس على ثلاث
طبقات فأهل الرفعة وأشراف القوم من ذوي البيوت العالية بالتوارث في أوطانهم
أو كثرة المال والترف تجد أعلمهم مقتصرين على معرفة مبادئ العلوم وعيبهم في افساد
الأعراض وزاده علو الصيت والارتفاع من الحالي الى الماضي والعوائد أعلمهم أيضا
هؤلاء ولا [illegible] الأدب ينفع كل فرد في حق بعضه بعضه والطبقة الوسطى هي محل
التمدن والمعارف والصنائع واليه يوجهون أصحاب الترجيح السامي في مراسيها وهاته
الطبقة هي الكثيرة فيها الفضيلة تجد فيهم فهي فيهم أرجح مما رأيناه كثيرون
بالنسبة لأهلها عندنا وبالنسبة الى نفس أهاليهم ابتداء أو تجد عند أهل المعارف يزداد
ويرقى يوما فيوما وأما هاته الطبقة فلما كانت في الصف الأسفل للطبقتين الآخرتين
كان هي الصفة في باعتقادهم أو بتصرفاتهم وقد اعتدنا (وأما قبيحة) فوائد
الأهالي قوي على نحو من عوائد الطبيعة في السلام والجيران والاجتماع والرماية
والفروسية ونحو ذلك وقد كانت فيهم بقية [illegible] التواضع فيهم ولا الدول لكن
منذ رجعت الحكومة الجمهورية [illegible] فأخذتني الى أن ذلك لما في
سنة ١٢٩٢ وسنة ١٢٩٥ فقد رأيت من خرق الصفة لدى من الناس
كالكراريسية والحمالين وأصحاب [illegible] في الدكاكين والقهوات التي مع
أنهم يعدون للنزول [illegible] لوجود أماكن الراحة للعابرين [illegible] له النزول فيجعل
له علامة تؤذن بأنه [illegible] ولا يكون [illegible] فيطلبون على النزول
بحرف آلة الطرب أو اهداء باقة زهر أو نحو ذلك من غير لطف في النزول حتى اذا رأت
الضابطية وحدها [illegible] وفي السنة الثانية رأيت تمادي الضابطية عن
ذلك وعن سوء معاملة الكراريسية للركاب حتى يكون بعضهم سكرانا ويتكلم الكلام
الفاحش ولا يعترض له أحد كما رأيت في [illegible] مواطن [illegible] كثرة التلاكم
والصدم ووقع فيه الضرب بحديد [illegible] المضروب وفي بعض الأوقات يركض
الكراريسي ركضا لا يمكن ان [illegible] الضرر بالمارة وكل هاته الأشياء [illegible] وعدل
زمنه شيئا في المرة الأولى لكن الدعوى عريضة الحرية التي تتبع الجمهورية أورثت ذلك
الاهمال المفضي الى التهور والخروج عن الاعتدال كيف لا واحد حزب الجمهورية
طالب الحرية غاية [illegible] نجم من الأشرار وقد ذكر لي أنه كان وقع مثل ذلك

الحزب

الحزب فى احدى مدن اوروبا المعظمة وثار على الحكومة واقتحم منازل الناس وكان فى تلك البلاد احد الاغنياء المشهور بثروته فاقتحموا داره فوجدوه جالسا بالمكتبة المعدة وجالس عند باب داره وكلما مر عليه احد من اعضاء الحزب كان يعطيه من النقود فقال لهم فى منزلكم وقد حسبت مالى فاذا هو كذا كذا مليونا واهل المملكة كذا مليونا ونالنى هذا العدد فيصيب الكل واحد فرنك فهذا لكل من اتى اعطيته حصته ولا يسوغ ان اعطى لاحد نصيب غيره فلم يسعهم الا الرضا وتفرقوا من غير نهب امواله وتشتيتها ومن ذلك يفهم الالف وذلك دهاء والثالثة ترى ان فوضوية الحكومة واضمحلال امرهم من تحمل الاهالى اتقان الاعتناء بالكراريس ويعدونهم بمركوبة اربعة اوخمسة فمن الخيل سائق واحد وبعضهم يكون هو السائق بنفسه وتجد بعض هاته الكراريس تركب اثنى عشر راكبا كبارا بعدد احواله [illegible] المعدة على سطحها على كراسى لازمة لكل اثنين على كرسى [illegible] الاستر عمرا ظهورهم لبعضهم واثنان على كرسى السائق واثنان على كرسى الحديدة من وراء وفى قعر الكروسة [illegible] من الماكول واللوازم ويركب صاحب الكروسة مع خواص عائلته واحبابه ومايلزمهم للنزهة يوم يذهبون لاحد المنتزهات خارج البلاد ومن عاداتهم ايضا انهم يتقون فى طراوة الالباس والاثاث والبناء وتنظيمه وتزيينه ويتنزهون بالمنتزهات واماكن لارتياح لينشرح فى فائدتهم الحقير والعظيم وان كان يشكل جهة كالهواوى وما كان منه الاعطاء زادى سعرها بعضه واتقن آلاته حتى لا يراهم الفقراء الى الكثرة الصرف من غير قصد حكى بعض من قال ان البلاد والنزهة عند الفرنساوى بالمدينة الحقيرة وهى مشهورة بعدم لواحد بذلك فى مقولة وكذا تم اوشبيها الى فصول لاحد

مطلب

(فى التجارة)

(اعلم) ان تجارة فرانسا الرتبة الاولى فى عموم اوروبا الكبرى ولهم براعة تامة فى ادارة الاشغال ولكن لاحصول فى ذلك هى مامرر فى ابعد البلاد من نحو هى فى فرانسا ادى واروح ونسب عنها كثرة الثروة والغنى الوفير حتى صارت شركات تجارتهم لا يخلو منها اقليم من العالم ويوثر بربدهم عن طرق فرانسا بحور وعدو ونلك اعوذجا على ما امر انساهن الدى فان دولتنا عدات المصكوكات الاجنبية فيها سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م

فرنكات كانزى فرنكات	
٢١٠ر٩٤٧ر١٩٠	صرف قطع فضة بخمسة فرنكات
٩٦٥ر٠٠١ر٢٩٠	صرف قطع ذهب الواحدة بعشرة فرنكات
٦ر٩٦٤ر٠٨٠ر٣٦٠	صرف قطع ذهب الواحدة بعشرين فرنكا
٠ر٢٠٤ر٤٢٢ر٣٦٠	صرف قطع ذهب الواحدة باربعين فرنكا
٠ر٠٤٦ر٥٦٨ر٧٠٠	صرف قطع ذهب بخمسين فرنكا
٠ر٠٤٤ر٣٤٦ر٤٠٠	صرف قطع ذهب بمائة فرنك
٥ر٣٦٧ر٤٧٧ر١٩٠	صرف قطع فضة من نصف فرنك وفرنك الى الاربعة فرنكات وقطع نحاس لاتمام الكسور
١٣ر٨٠٣ر٨٩٣ر٤٩٠	

فذلك من جنس السكة خاصة عدا آلاف الملايين من قطع الاوراق المعدودة عوضا عن السكة من بنك الدولة وهذه الاوراق لها اعتبار أحسن من السكة نفسها لخفتها وتزيد في الصرف نصفا في الالف وتروج في سائر الاقطار وعوائد ذلك لدى الصرافين وفي خصوص فرنسا وايطاليا وسويسرا والبلجيك يرغب فيها حتى عند الصرافين أما غيرها فيه من الممالك فانه تسعيرة عند الصرافين فقط وبقي بدون اعتبار عندهم اه ما ذكرناه في غرامة جرمانيا المالية وكذلك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م طلبت دولة فرنسا استقراض ألف مليون فرنك فاحضر لها الصرافون وأرباب الاموال ما كتبوا عليه باخذه خمسة عشر فقط من كل مائة احضرت لها وأساس ذلك الغنى والامن الذي سوغ للاهالي عقد الشركات الكثيرة برؤوس اموالهم وتوسعوا والشركات هي الاساس الذي مع حسن الادارة فاورث ذلك ما أشرنا اليه من الرواج الذي ربما تروه الدولة التي هي بيت مال الاهالي بعد ان كانت منذ مدة قليلة بغاية في غاية العسر والفقر من سوء ادارة حكومتها والحروب الاهلية والخارجية وقد ذكر لي انه منذ خمس سنين سنة كان لرجل منهم من أوراق دين دولتهم ما قدره عشرون مليونا فرنكا واحتاج ان يبيعه ولو بعضا وخيرا فلم يجد من يعامله ولو بالعشرين يوما التي معه من دين الدولة الآن اذا سأل بدفع فائدته في المائة تساوي المائة منه مائة وعشرين نقدا فانظر عجيب الفرق بين الحالتين في المدة القريبة وان الى يد هي في أول درجة من الانتظام في هاته المملكة

ر

برا وبحرا ومواصلة الطرق الحديدية والصناعية مع عجلات حمل الاثقال المختلفة الاشكال
مع المتانة والحسن وزادت التجارة رواجا بحيث ان السلع وغيرها لا تحمل الا على العجلات
وفي المدن العظيمة لا تجرها الا الخيل المطهمة والبغال المثقلة وسفن البريد تصل الى أقصى
ممالك المشرق والمغرب ومما يحسن ايراده هنا انه شاع عندهم من الغنى ان الحكومة
المصرية مدة ولاية خديوي اسمعيل باشا باعت مما لها من خليج السويس لدولة انكلاترة
بمائة مليون فرنكا فكثر في ذلك القيل والقال من جهة خوفا من استيلاء
انكلاترة على الخليج المذكور واهتزت لذلك فرانسا أربعة مما سواها وذكرت احدى
صحفهم يوما ان روشيلد احد الصرافين الكبار المشهور بالغنى قد أعطى لمصر اذ ذاك
مائة مليون فرنكا وحده وعشرين مليونا من ابنته ثم ذكرت على وجه ما خمس
ولد عائلة باريس ثم لو خطب هاته البنت لولده وزوجها به لاعطى ثمانمائة مليون لحاجة
ور دي خمسة وعشرين مليونا مع بقاء السهام على مالكه واراحة العالم من التشويش
والاضطراب

مطلب

(في الاحكام)

(الاحكام) في فرانسا أصولها هي المذكورة في ايطاليا لان القانون الاصلي في ذلك هو
قانون نابليون الاول امبراطور الفرانسيس وعليهم بعض خلافات مبنية على اختلاف
العوائد وادارة الاحكام منفردة عن الادارة السياسية ولا علاقة لها بها عموما بالمارة ودونك
مثالا لذلك وهو ان رستان لدى كل وقت لا اعرا ماذا وسعى في الانقلابات التي حدثت في
تونس قد تكلم ضده وضد تصرف دولة فرانسا كثير من رجالهم في المجامع العامة وكذلك
تكلمت ضدهم جملة صحف حرية فرانساوية وغيرها وأشد الصحف مصادمة الى رستان
وأعماله صحيفة الانترانسيجان التي يطبع منها يوميا ١٥٠٥٣١ نسخة وصاحبها هو
الرجل الشهير روشفور المعروف تساوى وقدح في عرض رستان في المال والسياسة وصار
لكلامه رنة عظيمة حيث جعل استيلاء فرانسا على تونس كل أمواله خصوصية مالية لمن
سعى في ذلك ولى الان وكان رستان أشد همة فاراد تبرئة نفسه باقامة الدعوى
على صاحب الصحيفة لدى مجالس الحكم وترافعوا وأدلى كل منهما بما توصل اليه من الحجج
وكانت عدة رجال من الدولة امراسارية في الانتصار الى رستان حتى الوزراء السابقون

في الخارجية شهدوا له بانه منفذ لاوامرهم ولم تحقق عندهم ما يدعى به عليه وشاهم
المنتصبون في الوزارة وحاولوا مساعدتهم في نصرته لكن الحق له رغام واجل مجالس
الحكم لاهواء احد وحكم على رستن والزمه باداء مصاريف الحاكم وبذلك صحت
مقالات الجريدة المشار اليها وخرج صاحبها منتصرا فانه وقد ترجمت جميع جلسات
مجلس الحكم المشار اليه واوردت بالصحف حتى باللسان العربي وبالاطلاع على ذلك
الكتاب يتأيد جميع ما ذكرناه في الاحوال التونسية واسباب تقلباتها ويتأيد ما ذكرناه
في السياسة الخارجية لفرانسا وفي السياسة الخارجية لتونس وما ذكرناه سابقا من انفراد
ادارة الاحكام عن ادارة السياسة تبعا لما بعد ارجاع رستان المذكور وحط عنه في تونس
بعد ثلاث اعوام كما شهدنا دائما في مباحث السياسة من ان سياستهم الخارجية ليست
هي كاصلاحهم بما بينهم في داخليتهم ومما يحقق ان الرجال المنتخبين للاحكام انما
يكونون من اعف الموجودين وانصفهم لا تميل بهم الاهوا عن الاستقامة مع ان هذا هو
الاغلب لاسيما في المدن العظيمة وفي المجالس الاستئنافية (واما) غيرهم فالارتشاء بينهم
فاحش يكاد ان يكون مثل ما يصفون به حكام الشرق وطريقة الوصول اليه عندهم
أيسر مسالكهم من اباحة خاصة للنساء فالمعطي للرشا يجعل الوسائل للتوصل الى احدى
النسوة ذات النفوذ لدى الحاكم وبرشوتها اعطته قصده بنفوذها بسبب قرابة او وداد
او غير ذلك لدى الحاكم وربما اوصلت اليه حصة من الرشا وعلى تقدير الا كسبها
أخذته هي فوزا باشارتها للحاكم حيث مال بالحكم للجهة التي انتفعت منها من يريد نفعها
وبهاته الوسيلة تكون خصلة الرشاء عندهم مستورة نوعا ما لان ظهورها يوجب العقاب
الشديد بالقوانين مع عدم وجود الشاهد عندهم ومع ذلك يوجد في هؤلاء ايضا كثير
متعففون وقد حضرت يوما في مجلس الحكم لرؤية هيئة الاحكام والحكام في باريس فاذا
هو بيت كبير متصل له باب يدخل منه المتفرجون وباب للموظفين وباب للخصوم وفي
صدره مصطبة عالية عليها ثلاث كراسي وامامها مائدة مستطيلة عليها لكل كرسي دواة
واقلام وورق وعن يمين تلك الكراسي كرسي طويل يجلس عليه ازيد من عشرين شخصا
وعن شمالها باب وامامها في نحو نصف البيت درابزين حائلة بين المتفرجين والخصوم
وللمترجمين كراسي يجلسون عليها وبقرب الكراسي التي في الصدر كرسي عالية
احدها لرئيس الكتاب والثاني لوكيل الحق العمومي لدى رتبته رتبة محتسب عام
على الحقوق وله اعتبار كاعتبار رئيس المجلس وبعد تنبيهه من دخول المتفرجين خرج من

الباب

الباب الذى على الشمال رئيس المجلس ومعه عضوان كل منهم لابس جبة طويلة
بأكمام واسعة حمراء وعلى أكتافه منديل مقصب بالذهب وعلى رأسه شعر أبيض عارية
له ذنب معقود على قفاه فوقف لهم الحاضرون وأومأ الرئيس بالسلام لهم ثم جلس
الرئيس على الكرسى الوسط والعضوان عن يمينه وشماله وجلس كل من وكيل
الحقوق والكاتب على مرتبته ولكل منهم أيضا زى خاص يشبه زى الرئيس والأعضاء
ثم دخل وكلاء الخصام الذين لهم ذلك الوقت دعوى ولكل منهم مثل ذلك الزى ثم دخل
من باب خاص جمع من الناس لابسين المعتاد وجلسوا على ذلك الكرسى الطويل وهم
الجورى فتكلم الرئيس بالسؤال عن حضور شاهد لم يحضر وقع الخلاف أمامهم ثم دعى
شهادته وبعد سكوته تشاور الرئيس والأعضاء ثم خاطب الرئيس الشاهد عن عدم حضوره
فى اليوم المعين له وعما يجب عليه من العقاب عن ذلك فاعتذر [illegible]
بلزوم الحكم فيه فوقف وكيله وقال ان الشاهد مسكنه فى محل [illegible] وهو غريب وفقير
عاجز عن إكراء من يستدعيه فوجه الرئيس القول للشاهد مشددا بلزوم الحكم عن
مخالفة القانون ثم شاور العضو الذى عن يمينه ثم الذى عن شماله ثم أمر الشاهد بالانصراف
وانه ان عاد لمثلها أجرى عليه الحكم فانصرف ثم قام الرئيس والأعضاء ودخلوا من ذلك
الباب الخاص ولحق بهم وكيل الحق العام وبعد نحو ربع ساعة حضروا وأحضروا
المحكوم عليه مع أحد أعوان الحاكم وقرأ الرئيس ورقة صغيرة بالحكم على الجانى ثم
التفت الى الجماعة الجالسين عن يمينه وهم الجورى وشكرهم على حضورهم فقاموا وانصرفوا
جميعا وخرج الحاضرون اذ لم يكن ذلك اليوم الا تلك النازلة وقد أفهمنى وكيل الحق
العام أن الحكم كان مهيأ من قبل لتمام المجلس بدون ذلك الشاهد غير انه لما حضر
تمم شهادته والمحكوم عليه جان بتزوير السكة وكان جميع من حضر ساكتين بغاية التوقير
للمجلس وذلك الشعر الذى يضعونه عارية على رؤسهم الأصل فيه ان الملك لويس الرابع
عشر كان ردىء الشعر فاتخذ له عارية وكان ذلك شعارا فاقتدت به أماثل البلاد وسرت
منهم لغيرهم من الأمم وان قل استعمالها الآن الا فى المواكب الحافلة والقضاة ومن
أهم ما يذكر فى أحوال ادارة الحكم تنبيه الضابطية وهم الحارسون للبلدان وشدة
تدبيرهم وبحثهم ومراصدتهم حتى تمكنوا بسهولة على الجناة ومع هاتيك المراقبة
والاحتراس الشديد يقع الاحتيال البديع من الجناة لكى يتوصلوا الى غاياتهم وكثيرا
ما يدلسون على الحكام أيضا كثيرا ما تكشف أمرهم الضابطية وتتمكن منهم فقد ذكر ان

أحد الصيارفة الكبار في باريس كان جالسا يوما في محله وإذا برئيس ضابطية باريس قد
جاءه فأكرم مقدمه ورحب به فأخبره الرئيس أنه محتاج لمبلغ وافر من المال لبعض
المصالح غير أنه لا يريد إفشاء ذلك وقصد أن يأخذه منه ليقرضه لمدة قصيرة لأجل الضرورة
المصلحة فأجابه مع سروره بأنه قادر وعدّه فأقرضه ذلك المبلغ على نحو القواعد الجارية
عندهم وكتب له خط يده فيه وانصرف فمضى الأجل ولم يأت المال لصاحبه فبعد
ثالث يوم ذهب الصيرفي بنفسه إلى رئيس الضابطية ودخل عليه وبعد السلام انتظره
الرئيس ربما يقول له لأن من العادات المتأكدة عندهم أن الزائر لا يفتح الكلام في مقصد
زيارته ولا يخوض في الحصول سيما الأصحاب لو طال لأن الزمان مقسم كأنه لا يشغل
عليهم إنسان ما ليس بينهما علاقة في نازلة واحدة لكن الصيرفي اعتمد على علم الرئيس
فيما هو مطلوب منه ولم يذكر له شيئا إلا أنه صمت بعض دقائق سأله الرئيس ما هي حاجتك
فذهب الصيرفي وقال إنها ذلك المال الذي أتيت إليه بنفسك ولم أرسل لك غيري
فاستغرب الرئيس في صدره وتأسف في السؤال بقوله ذكرني النازلة لأنه علم أن الصيرفي
من كبار الأغنياء المعتمدين ولا يقول كلاما مثل ذلك افتراء ويعلم من نفسه أنه لم يذهب
إليه فعلم أنه لا بد للأمر من واقعة فبين له الصيرفي ما وقع منه إلى أن دفعه وكتبت خط يدك
فتفكر مليا وطلب منه إمهاله بعض أيام أخر من غير كشف للأمر إلى أن يقع الخلاص
فخرج الصيرفي أيضا متفكرا فيما رآه من الرئيس وفي نفس الجواب لأنه لم يخالف
العادة للافتراضات ثم إن الرئيس أعمل فكره في النازلة لإيضاحها ووقع في الاحتيال على
الرجل من إنسان مشابه للرئيس ثم دعا صاحب مركز الضابطية الذي يقرب دار الصيرفي
وسأله هل رأيتني منذ كذا يوما قدمت إلى ناحيتكم فقال نعم فقال في أي وقت فبين له
الوقت وهيئة الركوب بأنه على العربة الرسمية من الأبهة والملابس والعجلة فازداد تحققا
لارتكاب الحيلة ثم سأله وإلى أين ذهبت فأجابه بأنه ذهب لدار الصيرفي الفلاني وبقي
عنده حصة كذا ثم خرج من عنده متوجها إلى الجهة الفلانية فدعا رئيس ضابط
الجهة التي توجه إليها صاحبه الأول وأخبره بذلك وأنه ذهب إلى جهة كذا فدعا ضابطها
أيضا وهكذا تتبع الحال إلى أن أخبره الأخير بأنه دخلت الدار الفلانية ثم رجعت العجلة
خاوية وبقيت أنت هنالك ولم تخرج بلباس الرسمي فدعا بدفتر من سكن تلك الدار لأن
كل محل يسكن فيه إنسان لا بد وأن يقيد اسمه عند صاحب الباب أو عند صاحب محل نزل
المسافرين وأحضر الناس الذين سكنوا في الوقت المعين في تلك الدار فوجد بينهم رجلا

يشبه الرئيس فى الذات والوجه فدعا منفردا وقال له أين المال الذى أخذته بالأمس
وان لم تظهره بطيب نفس أظهرته منك بغير رضاك كما اظهرت أثر فعلك فما وسعه الا
الاقرار به ورجع الرئيس بالمال الى صاحبه مع انه لم يتعرض لشىء مما به احتيل
عليه فى ذلك ولهم من أمثال هذه الاحتيالات فى السرقات أمور كثيرة وساعدهم على ذلك
تيسر احضار لوازم ما يريدونه فى كون السارق يتيسر له لبس مثل لبس رئيس الضبطية
ووجدان ما يحتاجه من ذات أنهم موجودة متى جاء رئيس الى غير ذلك من تلك الامور موجودة
بسهولة كراء وشراء ولا منع من استعماله الا ما كان منها من شعارات الحكومة
العالية أو غيرها فانه اذا كشف على المرء يعرف ومع شدة الاحتراس والضبط على نحو
ما ذكرناه فانك لا تكاد تجد رجلا الا وكثيرون لهم [illegible] سلاح صغير فى
كالحديد فى وسط عصا الاتكاء وكالمسدسات التى [illegible] وموضوعة فى الجيب
الى غير ذلك وهذا جار حتى فى نفس باريس وقد كنت مارا ليلة فى محلة مع أحد [illegible]
ومع زوجه ذاهبين لدعوة عند [illegible] فسألت [illegible] المرأة عن
نوع السلاح الذى مع صاحبها [illegible] ليس معى سلاح وما مخافة [illegible] فى وسط
باريس فقالت هى وزوجها [illegible] فان [illegible] باريس [illegible] الاذكار
ولذلك لا يمضى اسبوع الا وقد [illegible] وجود [illegible] فى نهر [illegible]
فى الشبك الموضوع فى [illegible] النهر خارج باريس كما انه [illegible] اما بقتل
غيرهم او بقتل انفسهم وذلك لان كثيرا من الاهالى من يقتل نفسه للتخلص من امر
دنيوى [illegible] فى باريس لا يقع فى الغرق [illegible]
لكثرة [illegible] بحيث ان [illegible]
[illegible] عددا [illegible] الدين [illegible]
وأكثر [illegible] فى باريس [illegible] فقد حرر عدد النفوس سنة
١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م وسكان [illegible] فى [illegible] ١١٧ ٩٢ مولودا [illegible] م
[illegible] ٦٨٢٢٠ مولودا

مطلب

(فى المعارف)

(اعلم) أن المعارف الدنيوية فى فرانسا قد تناهت لاعلى درجة من الاتقان والاجتهاد

وما تقدم في أحوال باريس وما فيها من المكاتب والكتب وجمعيات الفنون والحث
عليها كاف في بيان ارتقاء تلك الفنون في فرانسا حتى أفرطا بذلك سائر الامم في أوروبا
وصار واعيا الاعلم با في كثير من الفنون ومن ذلك فن الطب وقد مات من المعالجة
بالماء دون غيره للمس التي ذكرناها في الباب الاول عدد كبير جدا مرضى كان اطلع
عليها أحد الاطباء الكيماويين من النمسا ولكنه لم تقرب منه حتى قدم الى باريس
وطلع عليها الحكيم شاركو وبعد تجربته لها واعطائه الشهادة والاجازة فيها اشتهر
أمرها وتعاطتها الاطباء في سائر الاقطار ومن أسباب الترقي في المعارف عموما صناعة
الطبع وقد تقدم فيها الفرنساويون الى الدرجة القصوى وعندهم من الصحف الجرائد
السياسية فقط مما يطبع في مدينة باريس وحدها يوميا ستة وثمانون صحيفة تخرج
من مجموعها يوميا ١٠١٩٤٣١ نسخة وهي منقسمة الى أحزاب السياسة وفي صحيفة
واحدة تسمى البتي جورنال يطبع يوميا ٨٣٠٨٢٠ نسخة وما عداها اقل كل على قدر
رواجه ولا تكاد تجد سائق كروسة أو عجلة حمل بدون ان تكون عنده صحيفة يومية يقرأها
وقد أطنب لاصحاب الحس في بيان تقسيم العلوم وترتيب دراستها وافادتها العلامة رفاعة
بك رحمه الله ونفعه فمن أراد الوقوف على التفصيل فعليه بمراجعة رحلة المذكور الى أوروبا
والحاصل ان الفرنساويين وصلوا الى الدرجة العليا في معارف الدنيا ويهمهم اعتناء
بسائر الفنون فيترجمون الى لغتهم كل كتاب في أي علم معروف أو غريب ويدرسون لغات
الاجنبية واللغات القديمة التي لم يبق من يعرفها وتوصلوا الى معرفة خطوطها
بوسائل عديدة لكن مما ينبغي علمه أن مدرسيهم في الفنون التي يعتمرون بها
يستعرضون قصورهم علمهم براعة فيه فترى مدرس العربية مثلا لا يخرج بادئ مناسبة
لفظية الى علم الجغرافية ثم الى علم الاقتصاد السياسي ثم التاريخ ثم الهندسة ثم الكيمياء
ثم وثم الى أن ينقضي زمان من غير أن يبيد حقيقة المقصود من بلاغة بيت شعر أو مثل مما
هو موضوع البحث وتخرج تلامذته متعجبين من براعة شيخهم وأنه علامة العربية مع أنه
لا يعرف مزية تقديم المسند او المسند اليه بل معادات لفظ مثل لا يحسنها اصطلاح
الاعراب وذلك يوجب الجهل بأصل الفن والعاطفون للعموم يظن تحصيلهم حقيقة اللغة
العربية وقل حد من يحسنها مع أن فيهم المفاخرين بعلم ترجمة بل والمدعين بالتأليف
فيها ثم ان التعاليم لها مكاتب على طبقات ابتدائية ووسطى ونهائية وعليا فالطبقة
(الاولى) لا تكاد تجد قرية خالية منها والثانية والثالثة انما توجد في المدن
الكبيرة

الكبيرة كمرسيليا (وأما الرابعة) فلا توجد الا في باريس واليها تأوي التلامذة بعد
استكمال معارفهم على ان الغريب يؤثرون التعليم من البداية في باريس بل ولا يختص
هذا باهل فرانسا فان الكثير من عائلات الشرق وبعض غيرها يرسلون ابناءهم للتعلم بها
وفضلا عن الفخر بالعلم يفتخر بالتعلم بها وهي جديرة بذلك لولا الطيش في اخلاق غالب
المتعلمين بها من الغرباء سيما المسلمين فانهم يحدث لهم فساد في اخلاقهم لخروجهم عن
الصون والادب لداعي له العرض والدين وكان سبب ذلك نوعهم بها كثرة الخلاعة
والاطلاق والنفوس مائلة الى المحببات نسأل الله التوفيق ومن اسباب ترقي المعارف كثرة
الكتب وسهولة التوصل اليها ففي فرانسا ٥٠٠ مكتبة تحتوي على ٤٫٥٩٨٫٠٠٠
كتابا من الكتب المطبوعة و ١٣٥٫٠٠٠ من كتب الخط ومكتبة الامة في باريس
هي أكبر الجميع ففيها ٢٫٠٧٨٫٠٠٠ مجلدا

مطلب

(في الصنائع)

(الصنائع) في فرانسا مصاحبة لما هي عليه من المعارف والفلاحة فهي متقدمة للغاية علما
وعملا بحيث ان لها مدارس عديدة تأوي اليها التلامذة من الآفاق لاجل تعلمها
بالتدريس والمشاهدة وكل مدرسة تحتوي من آلات العمل وآلات العلوم الآلية للفلاحة
كالطبيعيات جميع ما يحتاج اليه وهكذا سائر الصنائع ثم بحيث أن مصنوعاتها متقنة
مرغوبة للغاية يرغب فيها في سائر الاقطار لظرفها وتحسينها ونفعها وان كانت بعض
الاقطار أمتن صنعة من فرانسا فان كل الصنائع معروفة لها حتى الحرف الصيني
والمنسوجات الكشميرية يقلد عملها في فرانسا ويؤتى بالمصنوع مشابها للاصل وقد
برعوا في الآلات بانواعها سيما الكهربائية وقد صنعوا لها معرضا سنة ١٢٩٨ هـ
١٨٨١ م لا تقضى ما أثمرت من الفوائد وقد رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م آلات
غريبة كهربائية منها آلة تعكس بها ما في داخل المعدة بان توضع قناة حديد من
الصلب وطرفها زجاج وتدخل في الحلق الى ان تصل للمعدة ويجعل في أعلى الحلق
مقابل المعدة مرآة صغيرة ومقابلها على الانسان مثلها ثم يدخل في القناة سلك معدني الى
ان يصل الى الزجاج الذي في المعدة ثم يوصل بالسلك من خارج آلة الكهربائية
الضعيفة فيضيء السلك في المعدة من غير احراق ويرتسم حال المعدة بما فيها في المرآة

العلماء وغيرهم مثله منها في المرآة التي على اللسان وبنظر الطبيب بالمرآة المكبرة ما يريد
وغير ذلك مما يعرف في الجسم وداخل الاذن والحلق ورأيتهم يصعدون بحر بعض الانتقال
بالكهربا ولو في قصبة مرة ثم تعاد قوة الانسان اليه بعد ذاك فاصابه بقوتها
والعكس باسرع وقت فلا يعمل الاتصال الا بآلة على طريق مناسب وينقل بها
الاشياء من مكان الى آخر وان بعدا مع تدبير ربط بالجسم وخرق الهواء في السرعة فارقه
وقد رأيت سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م سيرتين صغيرة مدبرة بالكهربا على وجه آخر كما
ذكرنا في أحوال ايطاليا ورأيت في باريس أرض مماسك مصورة باشكال حيوانات
تحرك أعضاؤها وعيونها بالكهربا بأمر صاحبها حتى يوضع المسمار من الذهب في
رأس المرأة والآلة الكهربائية مخفية في الشعر ويرى الحيوان متحركا وصورة فراش
بالوانه البديعة من أحجار الزمرد والياقوت الاحمر والابيض وغير ذلك من الاحجار الكريمة
الملصقة لالوان أجنحة الفراش وهو يحرك باجنحته الاربع فوق رأس بالكهربا وهو
غريب بديع جدا

مطلب

﴿في هيئة المساكن والطرقات﴾

قد تقدم في ابطال الهيئة القديمة في المساكن وبيان الهيئة بنفسها هي التي عليها
الأهل في فرنسا غير أن باريس بعد هذا تزايد رونقها بما احدثت عليه من كثرة الطرقات
المتسعة جدا وبكثرة المنظف والتنوير في الليل كما انها تختص من بعض طرقها
مخصوص عن بناء الصخر او بخشب عليه بنوع صمغي يسمى اسفالت بحيث يكون
بعد الجفاف رخوا واذا مرت عليه العجلات لا يسمع لها همس ووقع حوافر الخيل
على الارض كالتصفيق المعتاد مع مزيد الهدوء والبركة حتى كأن العجلة لا تحرك فتلك
الطرق مريحة جدا غير انها تعم لانها في الصيف تشتد بها رائحة كريهة ولانها في
الطرق الكثيرة المرور تنعطف بها العجلات المسرعة بسبب عدم تماسك حركتها وامكان
العجلة من الجهتين هذا (واما) عموم البلاد والقرى فالكل منها مصان بالدبش الابيض
المنحوت والتنوير في الليل بالغاز العادي أو زيت النفط وهو قليل لاستعمال او
بالكهربا وهي ايضا لم يزل التنوير بها قليلا وان كان لا يعدل بها غيره ونورها اصرف
أو عبرة وغيرها على حسب قدرة الاهالي فضلا عن المدن والامصار وكل طريق يسمى
باسم

باسم مكتوب على بدنه وعلى كل باب عدد خاص ثم ان طرق الحديد يوجد منها كثير
حتى صارت فرانسا مرتبطة جميع الاطراف والاواسط ببعضها وعلى حافتي الطريق
اخشاب ثابتة مربوط بها سلك حديدية علامة على حرم الطريق لكي لا يعثر
الناس ولا حيواناتهم ولا زالوا مجتهدين في تكثير هذه الطرق الحديدية ثم ان ما كان
من الجهات الشمالية احكم استعداد البرد من الجهات الجنوبية وان كان لها ايضا نصيب
وافر منه بحيث لا تخلو بيت في الجميع بدون موقد اما للحطب او للفحم المعدني او الحجار
النارية وبعضهم يطبخون بهذا الحجار وقد مر ان في باريس اخترعوا لتدفئة الديار من
مركزها في الداخل بمسارب للديار لا يظهر منها الا رخام او غيره من الاحجار الا المدرج
وعمارات الخارجة (واما) هيئة البيوت والقصور فهي باسمنة الخشب المنجور وتحسينه
وزخرفته تتم بحالة للدار وكل الطواقي التي هي مثل الابواب في الارتفاع والانتهاء
الى الارض لها ابواب من خشب منجور ولها ابواب غيرها لا من خشب وثانيها
العلوي ذو اطباق من الزجاج واكثر الطواقي لها ايضا ثلاث ابواب من اضلاع
الخشب المنجور مقصصة بحركة تقصيها وكل تلك الابواب مزدوجة فتحتان يمينا وشمالا
(واما الحمامات) فهي عبارة عن ديار ذات حجرات كثيرة بها عدة خلاوي صغيرة
كل منها تحتوي على حوض من معدن او خزف معد من اسفل يخرج منه الماء لوسع
وله انبوبان للماء الحار والبارد وتحتوي على كرسي ومشط ومرآة وممشط وارضها
مفروشة بزرابي والاغتسال انما هو في الحوض وكل انسان يعتني بنفسه مفروشات بيده
من قدر سعته ولا عبرة لهم بترك زندقة الاموات والنعف وفي المدن الكبيرة يقيمون
اسواقا في يوم خاص من كل اسبوع في حارات معروفة وحوانيتها من خشب او كتان
تنصب في الطرق الوسيعة ترفع في يومها يباع فيها انواع الاكل من لحم وبقول وفواكه
وبعض قماش وثياب يشتري منها اهل تلك الحارات كفايتهم للاسبوع

مطلب

﴿في اللبس﴾

اللبس في فرانسا وفي ايطاليا سواء عند الرجال والنساء وكذلك اللبس الرسمي والعسكري
الا بعض شارات والوان في المرسومات تختلف بينهم (اما اصل) الهيئة فواحدة وحيث
كانت الرفاهية في فرانسا وبين اربابها تجد نساءهم اكثر تبدلا في لون اللباس وشكله

ورقمته على الجملة كما انهن ازيد ايضا فى وضع دقيق ابيض وادهان احمر على وجوههن قصد التزيين وان كان ذلك يورث فسادا فى البشرة واكثر ذلك العمل فى نساء باريس وتراهن يتفاخرن بالنحول وصفرة اللون لانه كثيرا ما يحدث من كثرة السهر او العشق وكلاهما ممدوح عندهم لان السهر ينشأ من اجتماع الاحبة والاجتماع يستدعى المصاريف فهو علامة على الغنى بالوسائط كما ان من علامة الكبرياء ان تكون خدمة البيوتات فى العائلة يذرون على رؤسهم غبارا ابيض والاصل فيه ان بعض المغنين كانوا يغنون فى موسم صان جرمان بخارج باريس وبهم قمح فيبيضوا رؤسهم ليضحكوا الناس فتدرجت العادة شيئا فشيئا الى ان فشت سنة ١٦١٤ ثم فى سنة ١٧٩٠ جعلت عليه ضريبة للدولة واستمرت الى الآن

مطلب

﴿فى الاكل﴾

هيئة الاكل فى فرانسا هى الموجودة فى ايطاليا على السواء وكذلك الماكولات سوى ان طعام الفرانسيس اكثر تنوعا والذ طعما والطعام الابزرى فى الطبع احسن من الطليان ولذلك تجد طعامهم رائحة لذيذة مثل رائحة طعام العرب (وفى المدن توجد انواع الخبز على مراتب شتى ولهم نوع يؤكل صباحا مع الشاى والزبدة جيد جدا صنعة وصفاء وهيئة وفى خصوص باريس جميع انواع الاطعمة اللذيذة من الامم الشهيرة وان كانت باثمان غالية فقد اخبرت فيها بوجود مطعم خاص باطعمة الترك والعرب واوتيت منه بصحن كسكسو بلحم الدجاج وصحن آخر بالسلاطة المعروفة فى تونس بالقنارية وغيرهما مما احرزه الآن وار يعرفون فرنسا وهما يكفيان اشبع ستة انفس طبخهما الجيد على نحو الاصل كما انك تجد فيها جميع الغلال من جميع الاقطار لاى وقت كان بل قد اتوا بحشوش نوع من الخطاف فى الهند والصين يصنع عشه بنبات بحرى ويطبخونه ويأكلونه اعنى ذات العش بما احتوى عليه من رزق افراخ الخطاف ويستلذونه ويمدحونه واغرب من ذلك انهم يأكلون الضفادع ويستلذونها وبالجملة يصح ان يقال انهم يأكلون كل ما يؤكل ولا يكرهون قط الا مضرا على ان غالب الاكل العام هو الدقيق من القمح ولحم البقر ولفقرائهم لحم الخيل ايضا والضان اولا ثم الا من الفقر وفى القرى وشبهها يأكلون الشعير والذرة والبطاطس والفقراء اكثرهم الا الخنزير

من

من الاغنياء والاكل فى القرى و البلاد الصغيرة أسلم من المدن والامصار من الغش بالخلط للاشياء المضرة كالقهوة مثلا لا تكاد تجد قهوة فى باريس مطحونة غير مخلوطة بالسريس وهو نوع من البقول ثم ان أهل المدن لا يصنعون الخبز فى بيوتهم ولا يدخرون الاقوات وكل شئ يشترى من السوق يوميا الا قليلا الا من السكر ونحوه ويشترى اسبوعيا أو شهريا واللحوم المشوية أو المقلية يجعلون فى نوع منها قطعا صغيرة من شحم الخنزير بحيث يشاهد عيانا كلما مرق اللحم وبعض الطيور يشوونها ويجعلون عليها قطعا من الشحم المذكور كما يعملونه أحيانا فى بعض أنواع المرق فى ألوان الطعام الذى يكون مع اللحم شئ من المرق وكيفية الذكاة فى أوروبا عموما حسبما علمت ان البقر بعد أن يربط من قرونه بيناو شيها الا ومن ارجله بحيث لا يستطيع الحراك وهو واقف يضرب على جبهته بطارقة عظيمة من الحديد ضربة أو اثنتين حتى يغمى عليه فيذبح ويجمع دمه ليعمل منه نوع من الاكل فى المدارين وبعضهم يكتفى بالقتل بالضرب على الراس لكنه نادر وقد أبطل فى ايطاليا من سنة ١٢٩٨ والزم الحكم بالذبح بحيث لا يباع غير المذبوح (وأما الغنم) وشبهها فتذبح ابتداء (وأما الطيور) فالاوز ودجاج الهند واشباههما اما هو ويل العنق ويذبح ذبحا (وأما الدجاج) فيجذب عنقه الى ان ينقطع النخاع فيموت وينحصر الدم فى الدماغ فيتجمد ويؤكل على حدة (وأما الحمام) فلا كر ذبحه وتارة يخنق وتارة يكسر ظهره مع قطع النخاع فيموت واذا تقرر هذا فلنذكر حكم طعامهم شرعا فنقول طعامهم اما ان يكون من الخنزير ومثله الحيوانات المحرمة عندنا كالسباع واما ان يكون من الحيوانات المذكاة أى التى هى حلال عندنا وانما يتوقف أكلها على التذكية واما ان يكون من غيرها لاشمال المأكولات كالنباتات والمعادن والسمك وكل منها اما ان يتخذ لمادة كسائر المأكول المعتادة او يتخذ لمادة كالقصد لخصوص اعياد او يتخذ لخصوص هدية لاهل فهذه تسع صور حاصلة من ضرب ثلاث فى ثلاث وكل منها اما ان يكون عقيقة الذبح او مشكوكا فيه فتصير ثمانى عشرة صورة وها انا أذكرها اجمالا مع احكامها ثم نورد أدلة الحكم

١ الخنزير وشحمه محقق المادة حرام ١ ـــ	٢ هو لمادة محققا حرام ٢ ـــ	٣ هو لهيئة محققا حرام ٣ ـــ	٤ مشكوك فيه لمادة مكروه ١ هـ
٥ مشكوك فيه لهيئة مكروه ٢ هـ	٦ مشكوك فيه لمادة مباح ١ ـــ	٧ المأكولات غير المذكاة محققة للمادة مباحة ٢ ـــ	٨ هي محققة لهيئة مباحة ٣ ـــ
٩ هي محققة لمادة مكروهة ٣ هـ	١٠ هي مشكوك فيها المادة مباحة ٤ ـــ	١١ هي مشكوك فيها الهيئة مباحة ٥ ـــ	١٢ هي مشكوك فيها لمادة مكروهة ٤ هـ
١٣ اللحوم المذكاة محققة للمادة مباحة ٦ ـــ	١٤ هي محققة لمادة مكروهة ٥ هـ	١٥ هي محققة لهيئة مكروهة ٦ هـ	١٦ هي مشكوكة للمادة مباحة ٧ ـــ
١/٢	١٧ هي مشكوكة لمادة مكروهة ٧ هـ	١٨ هي مشكوكة لهيئة مكروهة ٨ هـ	١/٢

فأما الدليل على تحريم المسائل الثلاثة الاول فهو واضح لحرمة تلك الاعيان بالنص
ولا حاجة الى بيان حكمة لوجوب التسليم ولان ذات احكام الشرع كلها منوطة بحكمة
هادركناه فاما الخمر فقول وما لا دما فهو ظاهر لكن لم يأت به مصحف الا تنزه
البارى تعالى عن الاحتياج وانما قصور عقولنا أوجب عدم الادراك ومع هذا
وقفنا انظار الاذكياء برهة وصارت حكم الشرع في ذلك القبيل مما كشف
بالنظارات المكبرة و تحليلات الكيماوية من ان في لحم الخنزير حيوانات مضرة
تورث أمراضا مضعفة للجسد وتلك الحيوانات منتشرة في لحمه لا تعرف بالطبع ولا بغيره
فاذا اكل لحم الخنزير مرت تلك الحيوانات في دم آكله وامرضته واهالى اوروبا اكتشفوا
ذلك واحتمى كثير منهم عن أكله (فسبحان) من شرعنا القويم الابدي من خالق
وهو اللطيف الخبير (واما دليل) مسائل الكراهة فقاعدية وهي ٤ و ٥ و ٩
و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ فاصل الكراهة فيما يأتى الاباحة في غير
المذكى أو اباحة ذبائحهم في المذكى ماسبق في مسائل الكراهة من حيث الاشعار
بالتعظيم للغير الكفر في القصد للاعياد وكان التشبه بالكفر مكروه (أما) اذا قصد التعظيم
فينقل الحكم الى الكفر والعياذ بالله كما صرح في ذلك كما نص عليه والكراهة
في المذكى لقصد الهدية جاءت من الخلاف في حليتها حيث قال بعض العلماء ان النص
دل على حلية طعامهم وما ذكاه بقصد الهدية ليس طعاما لاهل الكتاب ولا يشمله النص
وهذا القول وان لم يكن هو المعتمد عند علمائنا لكن مراعاته توجب كراهة
التحريم على ان الآخرين يقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل من الشاة
المسمومة التى اهدتها له يهودية ففيه دليل على الاباحة ونقول انه محمول على ما قبل ذلك ونفى
الكراهة وهو مقتضى اطلاق النصوص ايضا فيحمل عليه عندنا كما في (واما دليل) الاباحة
للمسائل الباقية وهي ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٦ فما كان
منها من غير المذكى فهو مباح بمقتضى الاباحة الاصلية لان كل ما لا تذكية له لا تتوقف
على شيء من سواء عدم التسمية والطهارة وهو محمول على الطهارة والاصل
الطهارة حتى تتحقق النجاسة والشك في كونهم لا يتحرزون من النجاسة غير مؤثر كما
كما صرح به شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمي في جواب سؤال عن حرير التجم في بلاد الحرب للشك
في مياههم وأوانيهم من حيث عدم اتقاء النجاسة فقال بعد ذكر حكم الحرير وهذا كله
مبني على نجاسة مياه وأواني القوم وانى لنا بذلك ومجرد احتمال عدم التوقي غير مضر

الى المحرم بالعاصة بل لابد من تحققه أو غلبة الظن بها ومن ثم جوز تناول طعام أهل الكتاب
واستعمال أوانيهم ولبس الثياب المجلوبة من بلاد الكفر بل المشترى منهم بعد اليسوم
انها كل ذلك حملا على الاصل الذى هو الطهارة حتى يثبت ضدها الخ وفى حواشى
الدر للسيد ابن عابدين (رضى الله عنه) من كتاب الذبائح مانصه أقول وفى بلاد الدروز
كثير من النصارى فاذا جيء بالقريشة أو الجبن من بلادهم لا يحكم بعدم الحل مالم يعلم أنها
معمولة بانفحة ذبيحة درزى ولا فقد تعمل بغير انفحة وقد يذبح الذبيحة نصرانى تأمل
الخ والاصل فى هذه ماصرح به فى قواعد الاشباه من قاعدة اليقين لا يزول بالشك
وما يقرر فى أصل الاشياء الطهارة ولا تزول بالشك فى المطعومات التى ليست محلا للتذكية
ويوافقنا على ذلك مذهب مالك رضى الله عنه فقد نقل عنه أنه سئل عن الجبن الذى
يؤتى به من بلاد الروم وقد قيل انه يصنع بانفحة الخنزير فقال أما أنا فلا احرم حلالا
(وأما) ان كرهه الانسان فى نفسه فلا أرى بذلك بأسا وأنت ترى تصريحه بالحلية وتبريه من
التحريم وانما نسب استثناءه من الورع وهذا فى المذكى فما بالك بغيره ولا يرد على هذا
قاعدة اذا اجتمع الحرام والحلال غلب الحرام الحلال المذكورة فى الاشباه لان ذلك
فيما اذا تحقق وجود الحرام كاختلاط أشياء نجسة بأخرى طاهرة وكل منهما محقق الوجود
غير أنه ليس معلوما بعينه ومع ذلك لو كان النجس أكثر فانه تغلب حرمته بخلاف ما اذا
كان الطاهر أكثر فيتحرى ويستعمل ما غلب على الظن طهره (وأما) مسئلتنا فان موضوعها
كون الذات المعينة التى أصلها الطهارة وقع الشك فى أنه طرأت عليها نجاسة أم لا (وأما
ما كان) من مسائل الاباحة مع الاصل أكلها بالتذكية (فالدليل) على الحلية فيه
ما ذكر فى الدر فى كتاب الذبائح حيث قال وشرط كون الذابح مسلما حلالا خارج الحرم
ان كان صيدا أو كتابيا ذميا أو حربيا الا اذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح الخ قال
محشيه السيد ابن عابدين قوله الا اذا سمع الخ فلو سمع منه ذكر الله تعالى لكنه عنى به
المسيح قالوا تؤكل الا اذا نص فقال بسم الله الذى هو ثالث ثلاثة فلا تحل اه قهستانى وأفاد
أنه يؤكل اذا جاءنا به مذبوحا غائبة كما اذا ذبح بالحضور وذكر اسم الله وحده والذى
علمناه من حالهم الآن انهم لا يعرفون شيئا بل والعجم يوجد فى بلاد أغلب أهلها يدينون
بالنصرانية مع انقراضهم كالقصابين وفى مثل ذلك يعمل على حالة الجواز لما قال فى الدر
فى آخر الحظر والاباحة من قوله يحل ان المسلم يكون الذابح أهلا للذكاة كما ليس بشرط
الخ ويؤيده تصريح عنه به حيث نقلناه سابقا فى مسئلة القريشة والجبن بل وسياتى
النقل

النقل عن الوار ما لم يسم عليه أو سمى غير الله تعالى لما كان الذابح كتابيا وفي تنقيح
الحامدية أول الذبائح ما نصه سئل في ذبيحة الذمي الكتابي هل تحل مطلقا أو لا (الجواب)
تحل ذبيحة الكتابي لأن من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو
دعوى كالكتابي ولأنه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل مناكحته فصار كالمسلم في
ذلك ولا فرق في الكتابي بين أن يكون ذميا يهوديا أو نصرانيا أو حربيا أو تغلبيا
لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمراد بطعامهم مذكاهم (قال
البخاري رحمه الله) في صحيحه (قال ابن عباس) رضي الله عنهما طعامهم ذبائحهم ولأن
مطلق الطعام غير المذكى يحل من أي كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالمذكى وهذا
إذا لم يسمع من الكتابي أنه سمى غير الله تعالى كالمسيح والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته
لقوله تعالى وما أهل به لغير الله وهو كالمسلم في ذلك وهل يشترط في اليهودي أن يكون
اسرائيليا وفي النصراني أن لا يعتقد أن المسيح إله مقتضى إطلاق الهداية وغيرها عدم
الاشتراط وبه أفتى الجد في الاسرائيلي وشرط في المستصفى لحل مناكحتهم عدم اعتقاد
النصراني ذلك وكذا في المبسوط فإنه قال ويجب أن لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب إن
اعتقدوا أن المسيح إله وأن عزيرا إله ولا يتزوجوا نساءهم لكن في مبسوط شمس الأئمة
وتحل ذبيحة النصراني مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ومقتضى الدلائل وإطلاق الآية
الجواز كما ذكره التمرتاشي في فتاواه والأولى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم إلا للضرورة
كما حققه الكمال قال العلامة قاسم في رسالته قال الإمام من دين اليهود والنصارى
من الصابئة والسامرة أكل ذبيحته وحل نساؤه (وقد حكي) عن عمر رضي الله تعالى عنه
أنه كتب إليه فيهم أو في أحدهم وكتب مثل ما قلنا فإذا كانوا يقرون باليهودية
والنصرانية فقد علمنا أن النصارى فرق ولا يجوز إذا جمعت النصرانية بينهم أن نزعم
أن بعضهم تحل ذبيحته ونساؤه وبعضهم يحرم الاعتبار لزم ولا نسلم في هذا فرقا جعله
اليهودية والنصرانية يحكمه حكم واحد اهـ وعلى هذا الخلف وما ذكر في الهندية
وغيرها واستند الفقهاء في هذا الحكم وهو قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
والذي رأيته في الكشاف والبيضاوي وروح البيان وتفسير أبي السعود والرازي يفيد
ما ذكر في تفسير فتح البيان للسلطان بهوبال مع زيادات مفيدة في هذا وإنه صرح على ما ذكر
فيه قال والحاصل أن حل الذبيحة تابع لحل المناكحة والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبائح
وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذبائح ورجحه الخازن وفي هذه الآية دليل

على ان جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحوم وغيرها حلال للمسلمين وان كانوا
لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم ويكون هذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وظاهر هذا ان ذبائح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودي على
ذبيحته اسم العزير والنصراني اسم المسيح واليه ذهب أبو الدرداء وعبادة بن الصامت وابن عباس والزهري
وربيعة والشعبي ومكحول وقال علي وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكتابي يسمي غير الله فلا
تأكل وهو قول طاوس والحسن وتمسكوا بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه ويدل عليه أيضا وما أهل به لغير الله وقال مالك انه يكره ولا يحرم وسئل الشعبي وعطاء
عن النصراني يذبح باسم المسيح قالا يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل
الكتاب ذكروا على ذبائحهم غير اسم الله وأما مع عدم العلم فقد حكى الطبري وابن كثير
الاجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد في السنة من أكله صلى الله عليه وسلم من الشاة
المصلية التي أهدتها اليه اليهودية وهو في الصحيح وكذلك جراب الشحم الذي أخذه بعض
الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيح أيضا وغير ذلك الى ان
قال وقال القرطبي جمهور الأئمة ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو
غيرهم وكذلك اليهود اهـ ولا خلاف بين العلماء ان ما لا يحتاج الى الذكاة كالطعام
يجوز أكله فيحصل مما ذكر جواب المسألة الأولى لصاحب السؤال المذكور من الطعام من الشحم
ونحوهما فان قلت قد ذكرت ان بعض اليهود يخلطونها بالكاونو ولا ذبح وان بعض
الاطعمة يجعل فيها شحم الخنزير فكيف الحكم في ذلك (الجواب) أما الطعام الذي
يتحقق فيه شحم الخنزير أو لحمه فهو محرم بالنص على نجاسته لأنه كما ورد طريق الوصول
الى التحقق اما بالرؤية وهذا نادر لأن كل ما يتبين فيه أو الرائحة في الألوان التي جرت
العادة بوضعه فيها أو باخبار الطباخ أو الناول بمثله الآكل هل في هذا شيء من لحم
الخنزير وشحمه فان أخبره بوجوده امتنع ولا يحل لان خبره مقبول في الطعام ولو
كان كافرا كما نص على ذلك في كتب مختصر الاباحة من دواوين الفقه وصورتها ان يقول
الكافر اشتريت اللحم من كتابي فيحل أو من مجوسي فيحرم وصرحوا بأنه وان آل خبره
الى ديانة يعمل به بخلاف ما اذا أخبر أولا عن حكم ديني كقوله هذا طاهر او نجس أو حلال
أو حرام لجهله بذلك بخلاف الطعام فلا شبهة في هذا السؤال عما هو على وجه الورع والا
فالأصل فيه لم يتحقق فيه شيء من النجاسة والطهارة كما ورد ينبغي ان يعلم انهم
لا يقصدون الا غش المسلم كما هو معلوم وعليه كما يتوهم بعض العامة لاعتقادهم الاحبار
بذلك

بذلك كقولهم هو لحم دجاج أو لحم أوز ولا يعنيهم أمر الحرمة والحل عند أهل دينهم بل جمهورهم
لا يدري شيئاً من ذلك (وأما) مسألة المخنوق فإن كان لمجرد شك فلا تأثير له كما تقدم وإن كان
لتحقق فلم أر حكم المسألة مصرحاً به عند من قال بتوقف حلها على تحقق التسمية غير أنها محرمة
عند الحنفية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من
الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فالقياس عليها يقتضي الحلية حيث خصصوا آية
وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم آية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وآية وما
أهل به لغير الله وكذلك تكون مخصصة لآية المنخنقة ويكون حكم الآيتين خاصاً
بفعل المسلمين والإباحة عامة في طعام أهل الكتاب إذ لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما
خنق فإذا أبيح الأول فيما يعمله أهل الكتاب كذلك الثاني وقد كنت رأيت رسالة
لأحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجاء بنصوص من مذهبه بما يثلج به
الصدر خصوصاً إذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما أخبر به كثير من علمائهم
وأن المقصود التوصل إلى قتل الحيوان بأسهل قتلة للتوصل إلى أكله بدون فرق بين طاهر
ونجس مستندين في ذلك لقول الإنجيل على زعمهم فلا مرية في الحلية على هاته المذاهب
فإن قلت كيف يسوغ تقليد الحنفي لغير مذهبه قلت أما إن كان المقلد من أهل النظر في
الأدلة وقلد الحنفي عن ترجيح برهان فهذا مما يقال إنه لا يسوغ له ذلك وأما إذا كان
من أهل التقليد المحض كما هو في أهل زماننا فقد نصوا على جميع الأئمة بالنسبة إليه سواء
والعامي لا مذهب له وإنما مذهبه مذهب مفتيه وقوله أنا حنفي أو مالكي كقول الجاهل
النحوي لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فيتبع العلماء المقتدى بهم ونصوا على أن الكلام
وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالعمل في تقليد المجتهد لغيره والكلام مبسوط
في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر المبحث أبو السعود في شرح الأربعين حديثاً النووية
وألف في ذلك رسالة عبد الرحيم المكي فليراجعها من أراد الوقوف على التفصيل فإن
قيل قد ذكر أن الخنزير محرم وإن كان من طعامهم ولعل آية الأصل مخصصة بالآية أيضاً
بيانه لأن آية طعامهم وإن عمت آية تحريمه محكمة غير منسوخة فكذلك تكون
المنخنقة فلماذا تقيسوه على مسألة التسمية ولا تقيسوها على مسألة الخنزير وأي مرجح
لذلك (فالجواب) أن المأكولات منها ما حرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شاكله من
الحيوانات محرمة لعينها ولهذا اتفق على تحريمها في جميع أطوارها وحالاتها (وأما) مسألة
التسمية أو ما أهل به لغير الله والمنخنقة فإن التحريم أتى فيه لعارض وهو ذلك الفعل

ثم أتى نص آخر عام في كل طعام أهل الكتاب بأنه حلال فأخرج منه محرم العين ضرورة
وبالاجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسئلتان احداهما مسئلة التسمية والثانية
مسئلة المخنقة وقد بقتا في محل الشك لتجاذب كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا
احداهما وهي مسئلة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم
وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت مسئلة المخنقة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما
لهم مسكوتا عنها فكان قياسها على مسئلة التسمية هو المتعين لاتحاد العلة (وأما قياسها)
على مسئلة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرط القياس المساواة وانما أطلنا
الكلام في هذا المجال لانه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق
وهو يهدي السبيل

مطلب

(في المواكب)

(اعلم) ان المواكب الرسمية في أوروبا وما يشابهها قد تقدم ذكرها في ايطاليا
فلا داعي لاعادتها هنا غير أنه ربما يشكل على القارئ شئ وهو أن فرانسا ليس لها
الآن ملك فمن هو مناط المواكب الرسمية فاعلم أن دعواهم في الجمهورية أنها نائبة
عن الأمة هو أمر وهمي لأن رابطة الملك قائمة بأمر ضروري لا منفك عنه حتى وقع
الخلاف بين علماء الكلام هل أن الملك واجب بالعقل أو السمع فقط واحتج القائلون بأنه
واجب عقلا بأنا نجد أمما عاشوا على وجه ما من الاستقامة دون ملك وكل ذلك أمر
وهمي ولا محل للخلاف في مسئلة اقامة الملك أمر طبيعي لا يمكن الاستقامة دونه
وما ذكره المحتج من وجود أمم الخ هو كاف في الرد عليه لأنه معترف بأن تلك الأمم أو
القبائل تنقاد الى رؤسائها انما الخلاف حينئذ انما هو في اللقب وفي تحديد السلطة أو
اطلاقها وكذلك حالة الجمهورية في بعض الممالك الآن لان من يسمونه رئيسا لها
ما هو في الحقيقة الا ملك عليهم لمدة معينة وتصرفه مقيد بحدود معينة ولا منفك لهم
حينئذ عن الاقرار بوجوب الملك والانقياد اليه وغاية أمرهم هو اختلاف اللقب وزيادة
الأمة زاعمة أما أصل التوقير والسمع والطاعة والانقياد له فكله موجود عندهم
فرئيس الجمهورية يفعل جميع ما يحتاج فيه الى الأمير من مراسم المواكب وغيرها غير أنه
أقل أبهة وضخامة من الملوك في اللبس والأعوان وأما بقية المواكب الاعتيادية فهي

كما

كما ذكر في ايطاليا وقد دعوني في سنة ١٢٩٣ للفرجة على موكب دفن اثنين من
الجنرلات ماتا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م في حرب المكومون أي الاشتراكيين في
باريس وكانت جثتهما مصبرة في صناديق بكنيسة ابزانفاليد المدفون بها بونابارت
الاول وأعد الموكب حافلا باحضار جم غفير من العساكر المشاة والخيالة والطبجية
بمدافعهم ووقفوا في الطرقات الكبيرة أمام الكنيسة وغصت سائر الطرقات والميادين
بالخلائق المتفرجين وامتلأ داخل الكنيسة بالاعيان المدعوين وكانت فوانيسها
موقودة والشموع لكنها مسرجة وكبار القسوس حول المذبح يرطنون بالحان
ونغمات غذيبة تميل الى الحزن يتغنون واحدا فواحدا ولم يسكت في الوسط جوق
فيه قوم من صغار القسوس جالسين في دواوين عالية محيطة بداخل الكنيسة
ويلحنون ترتيلهم بانغام أصوات بها الساميين وهكذا الى ختام أدعيتهم ثم حملوا
الجنازتين المكسو تابوتهما باللباس أصحابهما الرسمي ووضعتا في عجلات معدة لذلك
مزينة بالازهار وتقصيب الذهب والفضة وسارت العساكر بمدافعهم في المقدمة ومن
ورائهم الجنازتان ومن ورائهم ما بقي من المشيعين ركوبا في كراريس سود ومسرج الخيول
أسود والخيل سود ولباس الركاب أسود وذهبوا الى المقبرة وكانت المدافع تطلق بعد
كل خمس دقائق كل ذلك اظهار للعناية من قبل وطنه منهم ترغيبا لمن سلك ذلك المسلك
وعلى نحو ذلك رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م جنازة ملك الهانوفر الذي
أدخلت مملكته دولة البروسيا في مملكتها وفر هو وسكن في باريس وهو مسيحي من
ولما مات حضرت جنازته امراء ووزراء الماليا ووجهت له دولة فرانسا أبهة على نحو
ما تقدم غير أنه أخرج من داره لا من الكنيسة ولقد تذكرت في تلك الكنيسة عند
ما شاهدت حركاتهم وهيئتهم قول نبينا صلى الله عليه وسلم الصادق الامين لتتبعن سنن
من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى
يا رسول الله قال ومن اهـ كما ورد ذلك في الصحيح اذ علمت من ذلك منشأ وجود الكلات في
الجوامع وتغني المؤذنين والمقيمين فيها واجابتهم الائمة بالحان متناسبة وتلحين الخطباء
والائمة في القراءة والدعوات الى غير ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وما هي
الا ضلالة وافساد وزيادة ونقصان في العبادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وحيث كان أعظم المواكب الاعتيادية عندهم هو رأس السنة نذكر ما وقع في باريس
في رأس السنة الاعجمية الموافق لدى القعدة سنة ١٢٩٠ من حالة الزوار وعندهم

فهلاتهم يكتفون عن اتعاب الزيارة بارسال أوراق الاسماء بين المعارف وترسل
بواسطة البريد أو بعسكر معدين لقضاء الحاجات يقفون في الطرق وعلى صدر كل
واحد قطعة من نحاس عليها عدده وامام الحكومة بانه أمين مجاز له في تلك الصناعة
فوزع بواسطة البريد فقط مليون وخمسمائة وستون ألف ورقة وما وزع بواسطة
الحمالين والرسل الى أهالي باريس مكاتيب تهنئة من الخارج مليون وخمسمائة ألف
وكان المرسل منهم في يوم رأس العام من المكاتيب المعتادة في البريد ثلاثة آلاف مكتوب
ونسبتها الى المعتاد نسبة واحد من مائة

مطلب

﴿في اللغة﴾

(اللغة) الفرنساوية فرع من اللغة اللاتينية ولهذا الفرنساويون في الكتابة اصول
تلك اللغة حتى يكتبون أحرفا لا ينطقون بها بل وبعضهم عند مراعاة الاصل بدون فائدة
أخرى ولازالت في التهذيب والاعتناء بها ولها جمعيات علمية تضبطها وتصلحها وقد
اشتهرت اشتهارا كليا في العالم من وقت ارتقاء نابليون بونابرت الاول الى امبراطورية
فرانسا حتى وقع الاتفاق بين الدول الاوروباوية على ان تكون هي اللغة المستعملة في
المحاورات والمخاطبات بين الدول وصار من لوازم أهل السياسة معرفة التكلم بها ولذلك
وقع الاصطلاح فيها على ألفاظ تؤدي معاني سياسية مضبوطة محررة مصطلحا عليها في
غيرها لا تطويل ولا ابهام وذلك لاتفاق على اجرائها في المخابرات السياسية ولم يزل جاريا الى
الآن حتى ان المانيا لما غلبت فرانسا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م حاولت نقل
هاتيك المزية الى لسانهم وتوقفها امكان [illegible] وقالت (اما) ان نبقى على الاصطلاح
المتعارف على اللغة الفرنساوية (واما) ان كل دولة تخاطب بلسانها فابقى الوجه الاول
لان الثاني فيه من الصعوبة ما لا يخفى اذ يلزم رجال السياسة تعلم لسان جميع الدول ذات
السياسة ووجود مترجمين في وزاراتهم لتلك اللغات بخلاف الاستقرار على اللغة
الفرنساوية التي هي ما وقع فيها من العربيين اعتنائهم امتهم اعتناؤهم بفصاحة
فيها وارتجال الخطب المستطيلة أتقن الجمع على نحو لم يبق لأصلي بارتجال الكلام
مع فصاحته وانسجامه ولا كما صنع الخطباء الآن من حفظهم لما يلقونه ان كانت لهم
قدرة على الانشاء أو حفظ ما ينشئه غيرهم أو سرده من ورقة اذ هذا خلاف الاسلوب
العربي

العربي الاصلي واعلم ان الامر لى اختصار معان مرتبة فى فكرة الخطيب والقائها
عند الحاجة بالفاظ متنوعة فصيحة بليغة وهذا الشأن قد امتزجت فى مزايا الاشعار
فالفرنساويون توجهوا لهذا المقصد أيضا ولهم فيه على حسب اصطلاحاتهم الى
المبالغ الحسنة فترى خطباءهم يقف أحدهم خطيبا بكلام ساعتين وثلاثا بدون تلعثم
أو مراجعة سوى الطرفة أحيانا ويسم أو رأس المواد التى يريد الخوض فيها وينتقل
من واحدة الى أخرى بربط المناسبات الى انتهاء مقصوده وقد يعرض له بعض اضداده
أفرادا أو يحصرين بالاستهزاء منه والضرب فى كلامه ورد عليه ولو بالفحش وهو متثبت
فى مداركه ويجيب الرد عليه بالمناسبة لان أغلب ما تكون خطبهم فى السياسة مع تنازع
الاحزاب فيها سيما فى مجالس النواب والاعيان وكثيرا ما يوضع للخطيب فوق المائدة أمام
منبره كأس بالماء والسكر والزهر ليبل لسانه من كثرة الكلام أو العطش هذا أصله
لكنى رأيت من يتخذ الشرب منه آلة للتذكر ومهلة للتدبير فيما يقول حتى أكثر من
ذلك وصار يشرب كل ثلاث دقائق أو خمس وهو دليل عيه والحاصل ان خطبهم الآن
تشبه خطب أسلافنا العرب فى الصورة وتشبه الدروس المهمة فى أذهان علمائنا
الفحول الآن مثل ما أدركت من دروس شيخنا العلامة محمد الامير الكبير قدس الله
روحه ودرس جميع الكتب التى يقرأها من تقرير الفاظ وتصيير معانيها أو حفظه القوم
الآن يحضر موطنهم كتابا معروفا باسم اصلاح مختصر فى الكتابة حتى يحيطوا بجميع
ما يقوله الخطيب وأكثر الاسباب فى طول خطبهم هو دماج مسائل من فنون شتى فيها
سيما علم التاريخ فيذكر فى مناسبته كتاريخ أدنى شىء تحدث عنه وما وقع فيه من قديم
الزمان وحديثه فلذلك كان علم التاريخ ضروريا لاهل السياسة وهو المعول لان
الوقائع الدهرية متشابهة متقاربة فمن أحاط علما بالتاريخ عرف الاسباب والدواعى
والنتائج والخلاصات والمغالطات فيقع فى الحال الامن ويحذف الضرر ويحترس بالتشاور
واجتماع الآراء وذلك هو مقصد البشر وانه يعمل ما يريد وعما جرى عادته
بالصلاح اذا جرى العمل على حسب التدبير والامر لاهله بأخذ الاسباب على مقتضى
حكم ملازمة سواء ومن قواعدهم فى الامتنان بمجالسة الانسان بدون تقدمة باستئذانه
الازواج مع زوجه أو العكس والمخدوم مع خادمه ومع ابنه الصغير واذا كان المخاطب
ذا وظيفة كوزارة يراد به لفظ بمعنى المرفع أو كان ذا خدمة للامارة يراد به لفظ بمعنى المعظم أو
كان ملكا يراد به لفظ بمعنى صاحب الجلالة بحيث يعبرون فى دقائق ويكثرون من

إعادته في الخطاب مراراً وليس هناك استعمالات أخرى في مزيد التملق والخضوع والمذلة في الخطاب وألفاظ المكاتبات والتخاطب سواء وغاية الفرق هو الفرق الحاصل بين أفراد المتكلمين في البلاغة كما أن من عاداتهم تلقيب كل إنسان بلقب ذاته ولا يذكر اسمه إلا في المكاتبات أو إذا كان أكبر العائلة موجوداً فالصغار منهم يذكر اسمهم الشخصي مع ذكر اللقب ولم تزل عندهم عناية بألقاب الشرف وهي (كونت) و(بارون) و (دوك) و(مركيز) و (برنس) وغيرها لكنها قل استعمالها منذ استقرار الدولة الجمهورية وصاروا يكتفون بلفظ موسيو أي سيد لعموم الناس في نظر جمهور

مطلب

في القوة الحربية والمالية والتجارية في فرانسا سنة ١٨٨٠

فرنك	
	بلغ طول سكك الحديد فيها ميلا ١٣٨٧١
٠٠٠ر٠٠ر٠٦٣ر٠٠	دخلها أي تلك السكك
٠٤ر٠٩٤ر٨٣٧ر٠٠٠	قيمة الداخل إلى فرانسا من السلع سنة ١٨٧٩
٠٣ر١٦٣ر٠٩٠ر٠٠٠	قيمة الخارج منها في تلك السنة
٠٣ر٧٥٢ر٧٩٤ر٨٣٠	دخل الدولة سنة ١٨٨١
٠٣ر٧٥٤ر٤٣٣ر٩٠٠	خرجها فيها
١٩ر٨٦٢ر٠٣٥ر٩٨٣	ما على الدولة من الدين
٠٥٤ر٠٠	عدد السفن المدرعة العاملة والاحتياطية
٢٢٥ر٠٠٠	حوانة طوربلاتو
١ر٥٠٠ر٠٠٠	عدد عساكرها وقت الحرب
٠١٨٠ر٠٠٠	عدد الفرسان

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثالث بتاريخ أوائل صفر الخير سنة ثلاث وثلثمائة وألف في المطبعة الإعلامية لمؤلفه الأفضل الأكرم الشيخ محمد أفندي بيرم وتحرر تصحيحه على يد الفقير إلى الله تعالى مصطفى قشبة الأزهري

ويليه الجزء الرابع أوله الباب الخامس في قطر الجزائر

(طبع بالمطبعة الإعلامية بمصر سنة ١٣٠٣)

﴿فهرست الجزء الثالث من صفوة الاعتبار﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

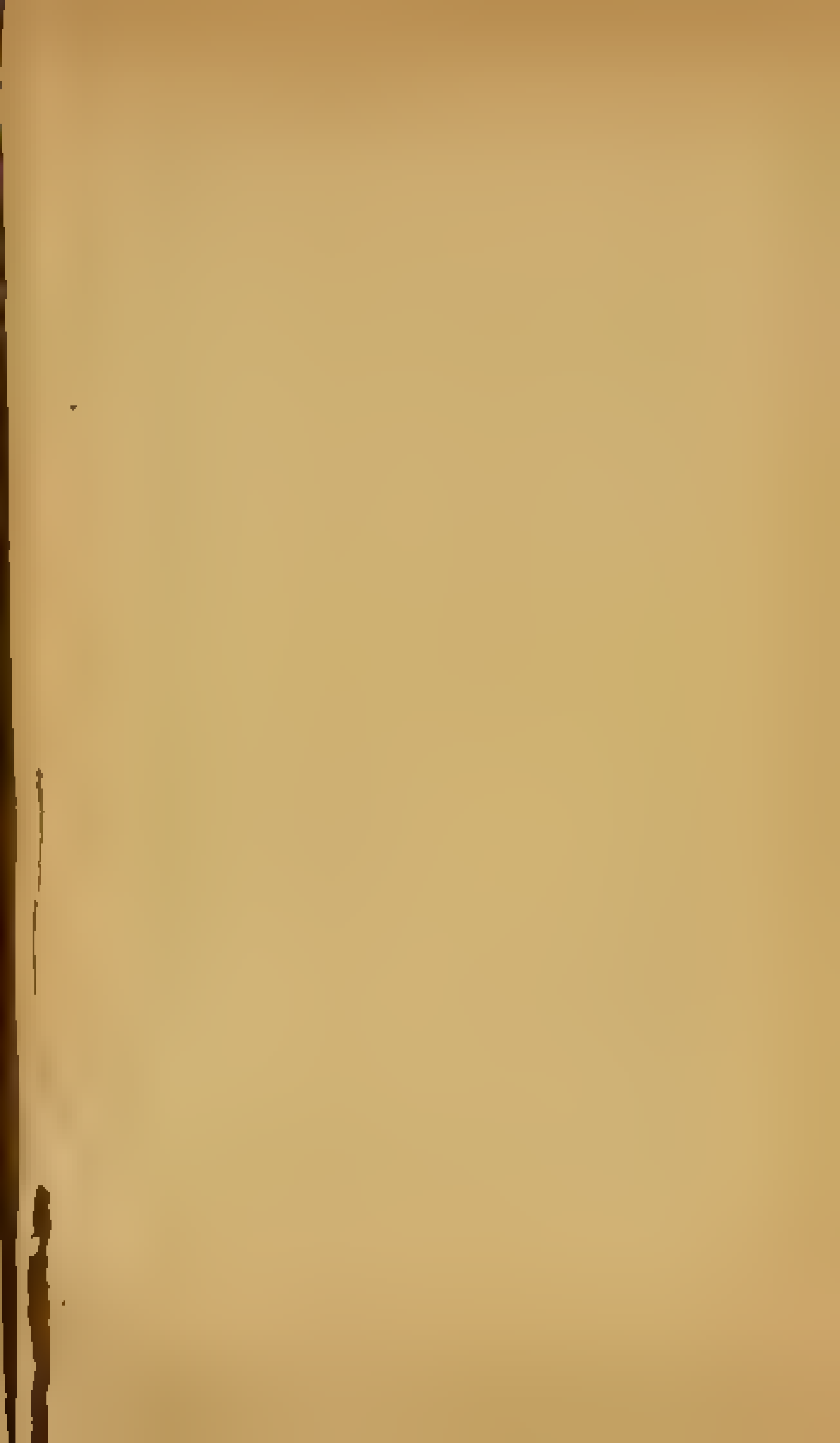
صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾

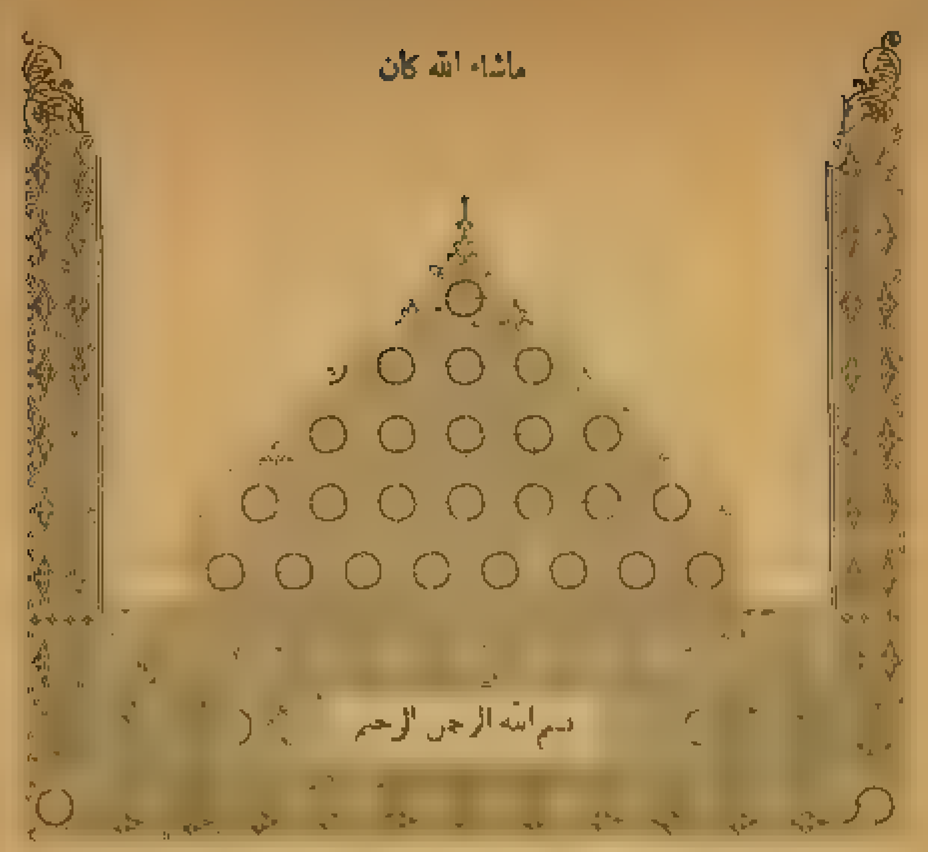
﴿طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣﴾



الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿ طبعة أولى ﴾

﴿ بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية ﴾



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس في قطر الجزائر

الفصل الاول في سفري اليه

وقد تقدم اني لما رجعت المرة الاولى من فرنسا كان رجوعي بحرا مارا على بالبونه المعروفة بعنابه هي احد فرض الجزائر فأرست بها لبرهة صباحا وهي مينا صناعية واسعة متينة تصل البواخر بها الى الرصيف في أمن وتصل اليها طريق الحديد الى حدودها وهذه المرسى الصناعية لكن لم تزل لم تكمل خصوصا وبها ترسى كثير من سفن البواخر منها نحو ثلاثة بواخر لشركة معدن الحديد الموجود قرب عنابه فهذا المعدن هناك غني ويخرج بكثرة ويحمل في صواول طريق الحديد وهي توصله الى ذات البواخر التي تحمله الى مرسيليا وفي كل يوم تخرج من المرسى باخرة مشحونة به وتدخل أخرى خاوية

خاوية وفي طرابلس يباع في وقت غلال لحم وخبز وذلك أرخص من مصر وعامر جانب معمل
للصيني فيه له ولد رحلنا رأينا البلاد من جهة الغرب متصاعدة في جبل وصول
المرسى ابنية حسنة من النوع الاوروباوي ثم نزلنا في الروضة وجدنا عربات الركوب
للكراء والكثير اردية ... فذهبت لداخل البلد فاذا هي قرب المرسى بطحاء وطريق
متسع وحواليه ابنية حسنة وقهوة ومنازل المسافرين وحوانيت لبيع المأكولات
والتحف الطريفة وفي وسط البطحاء حديقة صغيرة متنزه للمارة وفي وسط البلد بطحاء
أخرى صغيرة محيط بها اسوار ذات ... حدائق وفي هاته البطحاء جامع الكبير فذهبت
الى الحمام الذي هو قرب الجامع حيث كان مرادي الاستحمام في السفينة فلا حمام بها ولما
دخلت الى البلد وجدت الحمام فاذا هو على نحو حمامات تونس وسائر بلاد المشرق بيد انه
غير متقن النظافة وليس فيه بيوت منفردة يختلي بها الانسان وحده وانما يتطهر الانسان
بعد ذلك التطهر في محله ومع جمع يخرج من الضغط على كشف العورة أمام الملأ ابى ولذلك
كان أكثرهم مكشوفي العورة وهي مصيبة عامة في أغلب البلاد الاسلامية التي رأيتها
على خلاف تونس فان حماماتها لها بيوت منفردة ذات أحواض صغيرة لغرف الماء منها
وله انابيب للماء الحار والبارد وللبيت باب يغلق وينفرد الانسان للتطهير وحده بلا
مشقة ولذلك كنت أختار الحمامات الافرنجية في أكثر اسفاري ولو في البلاد الاسلامية
لامن المسلم ... من كشف العورة وان حصل ... من جهة الاعتدال ...
وذلك ان هاته البيوت صغيرة فيها حوض كبير يدخل الانسان وله انابيب للماء الحار
والبارد وفي البيت متكأ ومصطبة ومعلاق للثياب وارض البيت مفروشة بزربية
فلا يمكن اخراج الماء من الحوض ... يغطس الانسان في الحوض ويغتسل فيه
بالصابون المعتاد او غيره من الحمام ثم يجذب ما له من قعر الحوض لخروج سدادة
فيخرج ما فيه من الماء ثم يجدد له ماء ثانيا او يأتي بماء بدل من الكأس ... تصب عليه
... الانسان وهو منفرد في بيته لا يدخل عليه أحد الا باذنه واذا اراد الانسان
التنعم يزيل ما على بدنه من النجاسة في بيت الخلاء ... ثيابه الى الحمام يأمر
الخادم بأن يملأ الحوض بالماء ولما يبرد يغطس في الحوض ويأخذ الكأس الموضوع
في البيت لاجل الشرب ويملؤه بالماء الحار والبارد من الانابيب ويزيل ما على بدنه من
النجاسة ويغسل رجليه ويخرج من الحوض ثم يفتح له سداد خروج الماء منه ويفتح
انابيب اندفاع الماء ويطهر أرض الحوض بعمل ثم يسده سداد الخروج ويملأ الحوض

ماء على قدر ما يكفيه و يغتسل و يتطهر فيه وهو سائغ على مذهبنا لان الماء لا يصير مستعملا الا بعد انفصاله عن جميع البدن والبدن كله في الاغتسال عضو واحد (وأما) على مذهب المالكية فهو ايسر وقد اضطررت في ذلك الحمام الى استئجار احد خدمته ليستر زاوية من الحمام بعد ان ازار في يديه حتى تيسر لي تطهير ما تحت ازاري وهنالك صعوبة أخرى وهي بعد الماء بحيث ان كل مغتسل يأتي اليه بنحو عشرة مما يسمى برميل علوه له ليتطهر به وبعد التنظيف ثم خرجت من الحمام وأتيت الجامع واذا هو نظيف عروس قائم الادوات مفروش بالحصير من الحصار على نحو ما هو بتونس ولما كنت لابسا النعل كالخف مع جواز المسح عليه وهو نظيف دخلت به المسجد وصليت به وكان هنالك بعض الناس فرأيتهم ينظرون الى شزرا منكرين الدخول بالنعل الى المسجد لكن لم يقل لي احد منهم شيئا فلما فرغت من الصلاة جاءني من يحدثني فقال لي انت مسلم ولم تدخل المسجد بنعلك فقلت له هل تعرف الفقه قال نعم قلت ما هو مذهبك قال مالكي فانظر في مختصر الشيخ خليل في كتاب الطهارة فانك تجد فيه مسئلة المسح على الخفين وان المسافر يمسح عليهما ولا ينزعهما ويصلي فيهما وانا مسافر وحتى المقيم أيضا له لبسهما والمسح عليهما والصلاة فيهما وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذكور في كتب الحديث وكان اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين يدخلون المسجد بنعالهم بعد تفقدها وتطهيرها ان كان بها نجاسة فهذا جائز شرعا وليس فيه نجاسة ولا وسخ فرضي بذلك واخبر الحاضرين جهرة ان الرجل عارف بالحكم ثم خرجت من هنالك وتطوفت في البلد وفيه قهوة وبها جانب الطباخ مسلم اكلا عربيا واستلذذته به كيفما كان لاشتياقي لمعتاده وقد كانت تلك المسرة هي اول مسراتي ولاشتباه الخبز المعتاد تصعب على النفس أولا واحسن ما في البلد سوق مخضر قائمة على لبه والمتقن في اروباوي كونه واسعا قبة من الزجاج محمولة على قطع حديد مرفوعة على اعمدة حديد واعيطانات ايضا مثل ذلك مع البطائة وحسن التقسيم ولكن ليس فيه حوانيت وانما كل بياع جالس في جهة ويضع مبيعه امامه وخارج البلد آثار قديمة للرومان من البناء والاعمدة المتقصدة متزج وبخارجها ايضا بستان عمومي ويباع منه الاشجار الصغيرة وليس هو عظيم و تجارات القديمة في البلد وديارها على نحو ديار تونس وخارج الصبغة العرق غير ان ابواب دورها مبدرة واحدة وبناؤها ابيض مقوس قليل الارتفاع وبخارج البلد ايضا جهة شاطئ البحر بعض من البساتين وحمامات من الخشب

الخشب على ماء البحر ثم يجلس الناس في الصيف وحوطها فأوى نحو في الصيف الحر
والشتاء وسافرنا من هاته البلدة بعد الغروب قاصدين تونس وعدت الثاني سنة ١٢٩٥
في سفرتي لي ورأيت ساداتها وأبناءها وقعدت بها في الإياب أسبوعا وكان الزمن صيفا وهي
لصغرها وعدم وجود الحركة التجارية الكثيرة بها لا ينشرح الصدر فيها وفي هاته السنة أيضا
مررت في الإياب على مدينة الجزائر قاعدة هذا القطر وهي على مرسى على نحو مائة قدم
في صناعة البناء كغيرها السابقة ومنظرها من جهة المرسى أبهى وأضخم وقد أنشئ بها
طريق للترمواي يخترق البلد من جهة المرسى ويذهب إلى قرية هي مصطفى جهة
الشرق من الجزائر وأبنية البلاد على نحو ما ذكر في عنابة وهي أيضا متصاعدة في جبل
وليس بها عيون جارية بل الماء له خزنة في الجبل تجتمع فيه مياه الأمطار من جهات
الجبل ولذلك كانت الطرق الواسعة في الصيف عطشى إلى رش الماء ما ترش به وبها
أربعة جوامع للخطب اثنان مالكيان واثنان حنفيان والجوامع نظيفة متسعة ونقية
ما كان بها من الجوامع هدمت وبدلت وبها حصون متينة وهاته البلدة هي مقر الحاكم
العام لقطر الجزائر ومنظر البلد من جهة البحر جميل لكثرة الديار والبساتين في جبل
مفروشة بدرج يصعد فيها من أسفل البلد إلى أعلى الجبل كما به طرق صناعية قابلة
الانحدار يصعد فيها في العجلات إلى قمة وأمام دورها كلها ضيقة صغيرة مظلمة والدار
من نوع [illegible] الأهالي [illegible] وأمامها [illegible] من الجند [illegible] في خارج البلد وداخلها
مقامات للأولياء والعلماء محترمة منها مقام سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه
خارج البلد في الجبل في مكان منشرح نزه وأضرحة [illegible] وقارقلي وحوانيت
البلاد على نحو ما ذكر في تونس [illegible] بالبلد وليس وأغلب
القصد [illegible] بالملال وأكثرهم [illegible] في الصيف وتوجد
[illegible] البلد [illegible] جبل الجدوى و [illegible] جبل
قديم [illegible] قهوة على [illegible] الكثير [illegible] الناس ومنازل
المسافرين بالبلد جديدة على [illegible] وقد قعدت بهاته البلدة ليلتين ثم سافرت
بحرا قاصدا [illegible] ومنها إلى تونس فمررت [illegible] وهي قرية صغيرة على البحر لم [illegible]
الدخول إليها [illegible] عدم مرسى [illegible] ثم مررنا على بجاية ثم جيجل
ثم اسكيكدة وكلها قرى صغيرة الحديد [illegible] على [illegible] والقديم على
عادة أهل القطر والأهالي أعلمهم [illegible] إلى هناك وأما اسكيكدة فالبلاد

القديمة فقد خسفت بها الارض والمياه بأنه وقد بنى على شاطئ البحر قرية جديدة
منتظمة الطرق واسمها على نحو النوع الاور وباوى وما شاهدته من أصل هذه القرى لأن
الباخرة لا ترسى بها دفعة ولا بحال حالهم ينذع في ارشده الله تعالى ومن
القرى التي رأيتها قرية قالمة البعيدة عن عنابه نحو أربع ساعات في طريق الحديد
في الجهة الجنوبية الشرقية منها وهي قرية مستجدة مبنية على طمع أهلها البداوة
وهي منتظمة البناء والطرق قليلة السكان وبها جامع وقاض وحاكم فرانساوي وعساكر
وحصن وكنيسة وحديقة صغيرة للعامة

الفصل الثاني

﴿في التعريف بالجزائر﴾

هذا القطر واقع على شط أفريقية الشمالي ويحده جنوبا صحراء الكبرى وشرقا تونس
وشمالا البحر الابيض وغربا مراكش وهو قطر متسع ذو جبال شاهقة وأنهر عديدة وعيون
دافقة وبه معادن عديدة من الحديد والفضة والآن مشتغلون باخراجها من المعدن الذي
أصله تابع الى تونس قرب حدودها في افريقية وبها معادن أخرى عديدة منها المستعمل
كالمصدر ومنها الذي لم يزل في زوايا الجهل وأما هواؤه وحيواناته ونباتاته فهو مثل
تونس في عموم ما ذكرناه في أرض الجهة الشمالية فهي ذات الخصب والأشجار الطيبة
والغابات ومن مدن هذا القطر وبلدانه أشهرها قاعدته الجزائر ثم وهران ثم تلمسان
ثم قسنطينة ثم بونه وغيرها كثير لا يسع هنا ذكره ورسم الموسعة هي المدن
المذكورة غير قسنطينة لان هاته متوغلة في البر على قمة جبل وينقسم القطر بالنظر الى
طبيعة الارض والسكان وللادارة الى ثلاثة أوطان كبار (أولها) وطن الجزائر وهو في الوسط
ويمتد من الشط شمالا الى الصحراء جنوبا (وثانيها) وطن وهران في غربي السابق ممتد مثله
كذلك (وثالثها) وطن قسنطينة شرقي الاول ممتد مثله كذلك ولكل وطن قاعدة هي
المدينة المنسوب إليها وله فروع على حسب الاحتياج وعدد سكانه نحو مليونين
وسبعمائة ألف وستون ألفا والمسلمون منهم مليونان وخمسمائة ألف والنصارى مائتا
ألف ونيف واليهود نحو ثلاثين ألفا وقاعدة الجميع هي الجزائر عدد سكانها نحو خمسة
وسبعين ألفا منهم ثمانية عشر ألفا مسلمون وسبعة آلاف يهود وثمانية وأربعون من
النصارى من أجناس مختلفة وأكثرهم الاسبانيول والسكان المسلمون أصلهم من البربر

وهم

وهم أكثر سكان الجهات الجنوبية والشمال وبقية الجهات سكانها من نسل العرب واختلط
منهم ومن البربر وبعض من نسل الترك الذين استوطنوا هناك وكذلك الأندلسيون الذين
هاجروا بعد استيلاء الاسبانيول على بلادهم (واما النصارى) على العموم فأكثرهم
فرانساويون انتقلوا الى هناك بعد استيلاء فرانسا عليها وبعد حرب المانيا معهم سنة
١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م واخذها الالزاس واللورين فارتحل من اهالي ذينك
الاقليمين نحو المائة والستين الفا سكنوا الجزائر تماما ثم دولتهم باعطائهم الاراضي
الحسنة التي اخذتها من الاهالي الاصليين عقابا لهم على الثورات وغيرها واغلب هؤلاء
الفرانساويين سكنوا جهات الشطوط ونشؤا منهم قرى (واما المسلمون) فعامتهم على مذهب
أهل السنة في العقيدة وعلى مذهب الامام مالك في الفروع ونسل الترك على مذهب الامام
أبي حنيفة وبعض السكان على مذهب الاعتزال كبني مزاب ثم ان أهل السنة في المدن
والقرى يكثر فيهم معرفة احوال الديانة وان حصل الآن من كثير منهم تهاون كثير
بالشعائر (واما البوادي) فغلب عليهم الجهل لا حكم لحكامهم لاركونا واستصحابهم في العقيدة
الاسلامية مع انتشارها في الجهات الجنوبية والوسطى

الفصل الثالث

﴿في اجمال تاريخ الجزائر﴾

﴿مطلب في التاريخ القديم﴾ اعلم ان احوال هذا القطر الجزائري في القديم كانت
في الاغلب متحدة مع تونس وطرابلس والمغرب فما بيناه في احوال تونس كان شاملا
لهذا القطر حتى في زمن الفتح واستقرار الحكومات الاسلامية لانه في اغلب الاعصار
تابع لتونس لما كانت هي مقر الحاكم العام الاسلامي لافريقية ثم لما تمرد
المغرب عن تونس كانت الجهة الغربية من الجزائر تابعة له ثم اتحد الجميع تحت دولة بني
حفص وعند تقهقرهم وانفراد المغرب نشأت بعض حكومات منفردة في الجزائر كالمملكة
بني زيان من زناتة التي مقرها في تلمسان ثم لما انقرضت الدولة الحفصية على اضمحلال
واستولى الاسبانيول على عدة جهات من شطوط افريقية وكانت الفرق المقسمة اليها
الجزائر غير قادرة على مدافعة دولة كبيرة مثل الاسبانيول اذ ذاك وكانت الدولة
العثمانية وقتئذ على الحماية لاهل الاسلام وسطوتها مرهوبا جدا رغبت عدة امراء
وارسلت فرقة من هذا الاسطول تحت امرة خير الدين بربروس باشا واخيه عروج على

شطوط الجزائر للبحث عن حالة الاندلس مع الاسبنيول صح الى هذا الاسطول اهالى
الجزائر وطلبوا من الامراء حماية هذا القطر الاسلامى ما دام فيه رمق قبل هجوم
الاسبنيول عليه وذلك أحق من تتبع الاسبنيول فى الاندلس اذ لم يبق فيها مسلم فاجابوا
طلبتهم وبعد تحصينهم للاسطول ومن ذلك التاريخ استقرت الحكومة للدولة العثمانية
وذلك فى حدود سنة ٩٤٥ وجرت احوال الدولة فى الجزائر على نحو ما قررنا فى تونس
لان المراد هو حماية البلاد الاسلامية وتعاضدها وجرى من الولاة الترك أولا الاستقامة
والعدل ثم لما تهورت العساكر الانكشارية فى جميع الجهات حصل منهم ايضا فى
الجزائر ما ضجرت منه الاهالى وطمعوا فى النصب والعزل للولاة من هؤلاء العساكر
حسب الشهوات وقوة العصبية ولم يحسن من هؤلاء الولاة الامتثال لاوامر الدولة
العثمانية الى ان ولى حسين باشا الذى كان سببا فى دخول الفرانساويين الى البلاد
والحكم لله رب العباد

وحاصل ما فى تاريخ الجزائر كما ذكرته ان جملة الدولة الفرانساوية لما ترقت فى
المعارف والقوات حسبما فى الاعصر الاخيرة لاربابه احب ظهورا وعدم تحمل الهوان
وكانت الدولة العثمانية فى شغل شاغل من عمل الانكشارية وحروب الروسية
وثورات اليونان وضم الى ذلك ما ان ولاة الاقاليم وعدم امتثالهم للاوامر وكان حسين
باشا والى الجزائر مستبدا ظلوما رثيا قليل التدبير وحصل منه اهانة لقنصل فرانسا
وذلك على ما فى تاريخ ابن الضياف احمد ان تجار اليهود الاغنياء الجزائريين الملقب
بيقرى أبو صاح لهم عادة مالية مع تجار من الفرانسيس وتداعوا فى عشائر من الحين
وانتصر حسين باشا لرعيته بالاحتجاج فقال قنصل فرانسا ان الدعوة آلت الى صلح
بدفع بعض مقتضاه لتجار الفرانساويين لكن التاجر جزيرى ما رام قرارا واصر حسين باشا
أخذ المال المصالح به مار الدرى باو اصر لرعيته وتلك عادة اليهود ولما قرب دفع المال
واذا بتجار أخر فرانساويون قاموا على بقرى المذكور مدين ودعوا عليه المال لدى
بريدونه فاستثناه حسين باشا من ذلك وطلب من القنصل رفع الايقاف وقال ان ارباب
الدين الفرانسيس الطالبين رعيته يدعون دعوى بعد قبضه للمال بحيث لا يكون
للطالبين حق فى المال الذى يدفعه الفرانساويون فامتنع من ذلك القنصل مستندا
الى ان المال المعروف مال المدين والغرماء لهم حق فيه لا اداء فمنهم من يرضون بعدته
وكان المدين تعمد مفرا بهذا التدبير ردوعا على ماله من الضياع باستيلاء الباشا عليه

فاعرض

فاعرض الباشا عن القنصل وكاتب دولة فرنسا في غرضه مكاتبات المكتوب الى
القنصل ومرة بالجواب عنه ولما قدم القنصل الى الباشا لبعض مآرب خاطبه الباشا
في استعجال جواب مكتوبه المشار اليه الى دولة فرانسا فقال له القنصل ان المكتوب
ارسلته الدولة الي امرتني بالجواب عنه فسأله عن سبب عدم اجابة الدولة له فاجابه بما فهم
منه احتقاره وكانت بيد الباشا مروحة يطرد بها الذباب فضرب بها وجه القنصل وطرده
ورقى اسطوله على ما كان من باب بحري وتهددت فرانسا الوالي المذكور على اهانة قنصلها
والحت عليه بان يطلب منها الرضى ويعترف بالخطا باصرح امر الدولة العثمانية
له بذلك ومن النصائح لغاية ما له من الدول الاجانب وخواص الاهالي وقد كانت فرانسا
في شغل من داخليتها في ذلك الوقت حيث مرت في تاريخها لان ذلك كان اثر حروب
نابليون الاول وكانت ايضا متوقفة المشاحنة مع العرب ومع الدولة العثمانية حتى
رضيت فرنسا بان يكلف الباشا اي انسان كان في باريس بطلب الترضية لكي
تندفع عنها المعرة ولا تلحقه هو مذلة بارسال احد من جهته الى القنصلاتو ولا الى
باريس وكان قصدها بذلك كله اجتناب الحرب ما امكن لاشتغالها بامورها وخوارجها
الداخلية فاصر الوالي على رأيه وارسلت فرانسا اسطولها وحاربت بلاد الجزائر واستولت
عليها واوصل ذلك الوالي الى باريس ثم مات في اسكندرية وقد نسب المؤرخ المذكور هنا
اعمال الباشا المشار اليه الى كونه لا غيرة له على الوطن من حيث كونه لم يكن من
ابناء ترابه ولذلك خاطر به الى ذلك الحد مع علمه بالضعف وانحلال عرى عصبيته ونفرة
الاهالي من جوره الخ والحق ان مثل ذلك التعليل ثابت الثمر يقطع عن ما يأتي ايضاحه
في الخاتمة ان شاء الله تعالى فالجنسية الاسلامية واحدة ثم المشاهدة تناقض مقاله ايضا
فكم شاهدنا وسمعنا من المدن ما ثبتت ثمرة الوطنية على الاقطار وهيامهم لها بشكر
نعمائها وادا واجبات لديانتها من التعصب والتحسب وكم شاهدنا وسمعنا ايضا ضد
ذلك من ابناء الاوطان ومن دعي فيها فالتحقيق ان السبب هو ان اسبابه اذا تاذن في امة باقية لا بد لها
فسدت اخلاق اكابرها فقد قوامها ومن فسوقهم اسناد الامر الى غير اهله حق عليها
القول ودمرناها تدميرا وذلك هو الدال عليه القرآن الكريم والحديث الشريف
وهو المشاهد بالعيان والمعلوم من التواريخ في اضمحلال الدول وتقهقرها وحذاق
الناظرين في احوال الدول يحسبون تمكنها لاصول منها ان طال الزمان
ويكون لدى العقل بيده الامر على الداء الزمن وهو مع ذلك مسؤول لله والعباد

اذا كان يمكن له توقيف المرض فيعوض ذلك بزيادة هجمات عمرانه فيكون اشد على
الامة من وقع الصواعق اذ الجسم العليل يتأثر عاجلا بما لا يتأثر منه السليم وكفاه جريا في الدنيا
والآخرة ان كان مطهرا للشر ورفد الجزائر فداءه داء انخرام امر الينكشارية
في القسطنطينية التي هي مقر الدولة العلية ونشأ عنه ما نشأ من فساد الادارة والولاة
الى ان اصيبت عدة جهات وباء حسين باشا في الجزائر باسم الظلم والخراب والتهور الذي
كان اعظم النكبات وانتقلت حالة الجزائر وحالة السياسة في شطوط افريقية
الشمالية الى طور آخر وكان مبدأ استيلاء فرانسا على الجزائر سنة ١٢٤٦ في مدة
كارلوس العاشر ملك فرانسا وتمكن الفرنسيس اولا من القاعدة وما حولها لكن
بقية الجهات اصروا على الامتناع من الطاعة لفرانسا لانها انما ارادت الانتقام من
الوالي حسين باشا وقد حصل فالجهات الشرقية من القطر انفرد بالحكم فيها الحاج احمد
باي قسنطينة والجهات الجنوبية والغربية بقيت تحت رؤساء القبائل ورام
الفرانساويون محاولة تطويعهم بالرفق بان يتولى الغرب وهران والي تونس بارسال
احد عائلته او احد منوطيه فارسل والي تونس واحدا من جهته ومعه شرذمة من
العسكر فلم يتم له امر في مدينة وهران فضلا عن خارجها ورجع من حيث اتى ثم اجمعت
الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة الرجل الوحيد سلالة الفضل المشهور الامير
سيدي عبد القادر بن محي الدين الحسني وقام بحق القيام وصحبته النصرة الالهية
في كثير من الوقائع الى ان كان يشاهد منه ما هو خارق العادة من الكرامات كعفر فرسه
الازرق به سنين عديدة وحين احاطت به العساكر الفرانساوية كالحلقة وراموا امساكه
باليد فطفر به فرسه على رؤس العساكر وادهشهم ذلك الذي ركضا الى مدينته
ودام محاربا لهم نحو بضع عشرة سنة واستقامت له حكومة ضرب فيها السكة باسمه
وانشأ المدافع والبنادق ونفذ أمره وحشد فرانسا ودعا الحاج احمد باي ليتحدا ويكونا
يدا واحدة فامتنع مغرورا بطمعه بان تخذل الامة الى ان دهى امره واستولى الفرانساويون
على ما كان تحته وبقي الامير سيدي عبد القادر مدافعا ومهاجما الى ان سولت العادات
التعصبية الجاهلية لاولياء الاسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرانسيس على
محاربة الامير المشار اليه وقطع عنه امداد المغرب حذا الثبات به جهات الصحراء فاضطر
الامير الى التسليم للفرانسيس فقابلوه بالرحب والاكرام وحملوه الى باريس تحت المراقبة
فيها وكان اذ ذاك نابليون الثالث حديث وضاعف به هاته عنايات منه مودة للامير ويقال

انه

انه وعده بالمساعدة لو يرضى ملك فرنسا اليه وعندما استقر نابليون الثالث فى منصب الامبراطورية لم تساعده رجال دولته على انجاز قصده من تولية الامير المشار اليه على الجزائر فاهدى اليه رسالة فى محاسن الشام وغيره فى انتخاب محل الاقامة فاختار الامير سيدى عبد القادر ارض الشام وقدم من فرانسا اولا الى الاستانة واكرم مقدمه السلطان عبد المجيد واقام مدة فى بلاد الترك ثم استقر فى دمشق الشام ادام الله بركته للانام وحاطه بالامن والسلامة فى نفسه وفى آله الكرام وبعد خروج الامير المشار اليه من الجزائر خف الحمل عن فرنسا لكن بقى حول ازواوة نار اعلامها خفت امرة كبرائه فطوعته اجبر ابناء ما عداه فى اغلب الجهات من انخداع الزعماء بالمال وتسلط بعضهم على بعض كما انها حاربت اهالى الجزائر ايضا دولة العرب بجيوش كثيرة خالية من التدبير والتدريب الحربى فلم تحدث شيأ سوى ضياع ما حملوا معهم وكان البوادى المصاحبين الى الفرانسيس اشد على المحاربين من نفس الفرانسيس وذلك سبب الخذلان ولا زالت تتوالى الثورات فى الجزائر على الفرانسيس متعددة الى الآن تارة مشتدة وتارة خفيفة ولله عاقبة الامور

﴿ مطلب فى كيفية اجراء السياسة الداخلية فى الجزائر ﴾ اعلم ان ادارة الجزائر فى الحقيقة منوطة بارباب الامور الذين فى باريس على ما هى قاعدة الفرانسيس من ارجاع كل الامور فى عمالاتهم ومستعمراتهم الى باريس من غير التفات الى بعد المستعمرات او قربها ولا الى الجهل باحوالها واخلاق اهاليها وعوائدهم فيضطر اصحاب الحكومة الى اعتماد قول المباشر فى المستعمر المبعوث به فيؤول الامر الى مقتضى حالة ذلك المباشر من الانصاف او ضده مع انه فى نفس الامر يرى قول عما يقع الا فى الاجراء فلا يلزمه الاحترام اللازم للقول ومع ذلك فالاحكام والادارة كلها فى الجزائر كانت استبدادية بحتة تحت الحكم العسكرى وما هى الا اجتهادات من المباشرين بلا تعقب لحكمهم لان الدولة منعت الاهالى من الحرية السياسية ومنعتهم بعض الحرية الشخصية من التصرف فى ذواتهم وانتخاب امورهم كيفما ارادوا مما لا يضر بالدولة ولا ياخذ فى غير الحكام والدولة تعين حاكما عاما من اهل المناصب العالية من الفرانسيس ويولى حاكما عاما على الجزائر جميعها ويستقر فى مدينة الجزائر وهى ايضا تعين ثلاثة حكام آخرين من كبار الفرانسيس تناط باحدهم ولاية الجزائر وبالآخر ولاية وهران وبالآخر ولاية قسنطينة ويرجعون فى النظر لحاكم الجزائر العام وعلى كل قبيلة قائد

والاغلب ان يكون من بني القبائل ويلقب كبراء هؤلاء القيد بالآغة وينصرفون حسب
اجتهادهم وحسب ما يلقنونه من الاوامر من الولاة وفي كل بلدة قسم من العساكر
ولكبرائهم نفوذ كبير في الاهالي وفي كل بلدة أو قرية حاكم فرنساوي والرسوم الظاهرية
في الجباية وان كانت محدودة مقننة بأخذ العشر من المزروعات والزكاة على الحيوانات
فكثيرا ما تمتد الايدي الى المكاسب من غير الحلال من المتوظفين على أوجه شبيهة بالسرقة
حيث انه ليس عليهم احتساب حقيقي ثم لا توظف مخاصر عندما تقع منه الشكاية بان ينسب
المأخوذ منه الى الثورة والسعي فيها او بأي قول في ذلك تثبت التهمة وتبقى التهمة موقوف
على الفراش لدى الحاكم المنفذ وكل من ثبت عليه شيء من ذلك يؤخذ جميع كسبه
للحكومة زيادة عن عقابه البدني في الشديد ولا معقب لتلك الاحكام وقد ابتدأ دثت العمل
منذ دخلوا الجزائر فان حمدان بن عثمان خوجه لدى هو من الاعيان العلماء الاغنياء
العارف بالالسن الاجنبية اتهم بانه كان للحكومة السابقة أمنت عنده اموال لاخذ ماله
وما امر هو وشكا الى دولة فرانسا فاحالته على مجلس شورى الدولة المسمى كونسيل دي تا
ووكل اشهر المعروفين بالمحاماة ومع ذلك مكث منتظر الحكم ثلاث سنين صارفا اوقاته
في مطالعة الكتب وتأليف كتابه باللغة الفرانساوية المسمى مرآة الجزائر الذي اودعه
اخلاق القبائل وحالة سير حكام الترك وما آلت اليه من مظالم الفرانساويين مما لا يمكن
بظن صدوره عن امة متمدنة وقد قبل هذا … في فرانسا لا اعتبار الحكام
الجزائر اساؤا منه وزادوا نكالا بكل من له علقة بالمؤلف المذكور وبعد ما مر عليه ما مر
صدر الحكم من المجلس لصالح حمدان المدعي في دعواه لكنه لما رفعت الى
المجلس بعد صدور أمر الدولة بان لا تقبل دعاوى ثلاث السنة التي حصلت عليه فيها
المظالم فلا حق له حينئذ فيها والمصير الدولة العثمانية واستقر بعدها في الاستانة وعين به
على باشا من اعيان رجال الدولة وعلى شهود تلك المظالم تجري الادارة السياسية في الجزائر
الى الآن فترى في صحيفة الرسمية … بالمنشر على الاعتبار صدر الامر بثقاف
املاك فلان وهي كذا وكذا واملاك فلان نحو الكل مصدر ه ١٢٩٥ أحدثت
المدن وبعض قرى تتبعها تحت الحكم المدني استثنوا لكنه عن الحربية اللازمة
واغيتها واهون من الحكم العسكري الاستبدادي لبعض أقسام لتراموا كثير من
البادية وجهال العامة فانهم يريدون الحكم السابق العسكري ومنه خبر الحمال بأبى
بيانه ونوع ما تقدم ذكره مع الخلاف في الديانات بين الاهالي ولدولة المتسلطة

دامت

دامت الثورات وتعاقبت عند كل فرصة وعدهم على ذلك تعصبوا الفرنساويين حتى
سمعت من كثير منهم سب كبراء الجزائر يشكون من الادارة ومأمورات مصلحتهم تطلب
انصافهم واستقامة ادارتهم واعطاءهم الحرية المناسبة لهم ويطلبون المساواة مع فرانسا
في جميع ما يتناوله هذا الرأي قسم وافر من أهالي فرانسا بل ان نابليون
الثالث بحث عن أسباب الثورات وذهب بنفسه الى الجزائر مرتين ليتحقق شكاوى ثورة
وقعت هنالك وعلم ان أعظم اسباب ذلك من سوء معاملة الاهالي من الحكام فسعى
الى شكاياتهم وأزال عنهم كثيرا من المظالم ودعاهم الى رفع مظالمهم فسكنت الثورة بدون
سفك الدماء ونشق في الجزائر كما صرح بذلك الامبراطور نفسه في خطبة عند
رجوعه الى فرانسا وكان يوجد في دواخل الجزائر واواسط افريقيا جمعية ذات [illegible]
متمردة عن الحماية الفرانساوية معتدية على قبائل العرب وصدقهم وقد تعهدوا له بذلك
وقاموا له حق القيام من عامتهم وخاصتهم وفرحوا بقدومه عليهم ومالوا اليه والى انصافه
وأظهروا له من الطاعة والتعظيم ما عاد به مسرورا منهم موقنا بانصاف مظالمهم وعينا
خاصا وعامة احتفلوا اليهم واختص منهم في باريس قسما من العساكر بحرسة ذاته وأكرم
مقدمهم ورفع من شأنهم وعين قسما من الفرسان في مصاحبته في ركوبه لابسين ملابسهم العربية
وكذلك العساكر يلبسون العمامة ويسمون باسم زواف وقد حاربوا في الدفاع عن
الفرانسيس في حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧ م بحيث أعجب كثير من جيوش الفرانسيس
أعداءهم وشهدوا لهم بالشجاعة والصبر والمروءة واعترف كل من الفرانسيس والالمان ولما
وقع انكسار الفرانسيس في تلك الحرب حركت الدسائس اهالي الجزائر الى الثورات
فامتنعوا وقالوا عهدنا مع الامبراطور نابليون لدى احكامهم الصلة ووعدهم بمزيد
المساعدة والنجاح قبل تلك الحرب الى ان خلع الفرانسيس له فثار بعضهم لذلك
لكنه لم يعد بعد ان تم فراغ فرنسا من حرب خصمها واقدم اعيان الحكامة بين الجزائريين
ولا زال أهل الجزائر يثنون على نابليون وعائلته لما شاهدوا منهم من انصافهم واعتبار
حرمتهم حتى قال في خطابه الرسمي الى امبراطور الفرانسيس كما اني امبراطور العرب
وكان ذلك هو الذي اوجب للكبير ترجيح الحكومة العسكرية على اهلهم بها الا تدبير
الاهالي نحو مراكزهم كما عليه الامبراطور لان غيره ممن لا يرعى لهم ذمة حتى ان
العساكر مع ما مرد كره لم يمنع لاحد ضباطهم من بال رتبة وظيفة في العسكرية فذلك
هو سبب الميل الذي لا يبرح من نفوس الاهالي وان جهل منهم بعض اعيانهم في المجلس

الذي يدعونه الحاكم الآن ورقي المصرح له الكثير منهم صورية لان أغلب الاعضاء من
الفرانساويين محافظون على حقوق أمرائهم بين المتوطنين هنالك وهؤلاء يرون
أنفسهم مغلوبين بالقسمة لانتظامهم في رياستهم وعدم المداخلة في ذلك لانهم يعدون ال
الاهالي دائما انقيادهم وتسويتهم في الحقوق يكونون اذلاء بين سائر الخلق ولهذا
الفرانساويون وأهالي الجزائر الآن يعتبرون انهم في حماية الفرانسيس لا ان لهم الجنسية
الفرانساوية والفرق بين هذين هو ان من له الجنسية المذكورة لفرانسا ويقع عليه
ما على أفراد الفرانسيس من التوظف من الدخول في العسكر واجراء أحكام الزواج
المدني والتوارث على مقتضى القانون الى غير ذلك وأما اصحاب الحماية فهي أحكام
ديانتهم فيهم ولا يدخلون العسكر الا برضاهم وهم نوع من العسكر الخيالة
يسمون بالسباهيس دون رتبة العسكر ولا يريدون ان يدخلوا في الجنسية باختيارهم بحيث
لا يعبأ بهم وقد دخل فيها كثير بعضهم للشهوات وبعضهم كاليهود وبعضهم طمعا
في الرتب العالية العسكرية وهو وان نال شيئا منها لكنه مهان في اعتبار العموم لما
يوجب ذلك من امتهانه لديانته في نظر العموم ولدى الفرانسيس وبالجملة فهم لم يمكن
للاهالي المساواة في الاعتبار بينهم وبين الفرانسيس ويظهر ذلك حتى بنظر العين
في المعاملات العسكرية والمدنية وترى اليهود أحسن حالا في معاملة الفرانسيس
وخطابهم من الاهالي

(مطلب في السياسة الخارجية للجزائر) ليس للجزائر سياسة خارجية اذ السياسة انما هي
لفرانسا ولا ترى في قاعدة الجزائر وغيرها من اعتبار وجود كونسلات للدول الاجنبية
وما هم فيها الا كما لهم في بقية مدن فرانسا

الفصل * الرابع

(في صفات الاهالي وعوائدهم)

أغلب عوائد الاهالي وصفاتهم في الجزائر هي مثل ما في أهالي تونس في الاسلام وغيرهم غير
ان الجيل الجديد في المدن تخلق عليه باخلاق مختلطة بين العادات الاصلية وبين
عوائد الفرانساويين ومن المعلوم ان النفوس ميالة الى التشبه بالغالب غير ان أول
ما تسري اليه الاخلاق الشريرة أما المحامد فانها يغلب عليها العقل بالكلفة ولهذا
فشت دواعي الفساد في كثير حتى سرت للثاني أبناء الفرانسيس الذين نشأوا هنالك وقد

صاحبني

صاحبني في الوابور من الجزائر الى عنابه امرأة لها كم ولد وقالت صاحبة لابنائها الصغار
وهم ثلاثة دون البلوغ كونوا عاقلين في مكتب الجزائر ولما ارست الباخرة
على مرسى عنابه صعد اليها اب لهؤلاء الاولاد وكان حضر ذلك الوقت الفطور
فجلس مع الركاب على المائدة وكنت جالسًا بحضرة الابوين المذكورين وبعد الاكل
اتى بالقهوة ومن عادة الافرنج لا يتناولون القهوة بدون نوع من المشروبات الروحية المسمى
بالكنياك ومعه كيسان صغار لشرب المشروب من ذلك مع القهوة فاخذ منهم من اخذ
وامتنع من امتنع وبعد اولئك الصبية الى المشروب واخذ كل منهم كاسا ووضعه امامه
فتبسم كبار الحاضرين متعجبين من ذلك واخذهم العار على اعرق من الحياء ولم تكلمهم
بشيء وبعد ذلك اخذني اب الصبية الى جانبه منفردًا وقال لي اراك ... ما وقع فان هو
فقل لا اثر منه لو كان ولدنا اني لا افهم في ... ابعاده ... كرابس
ممنوع فقال كلا فانه وان لم ... فانه ليس الكبر ... وما يزعمونه مع ذلك كل
من نوع ... بعقد ... لا يعمر ... ما هذا فانه لا ... الا ... الا ... يرد
المشروب ... صغار يعدون من ذلك ... التربية الحسنة ولكن نحن قد خرجنا عن
طورنا وقد دنت اخر ... حكام البلاد على هذا
الصواب ... وكان من شاهد ... وان الحرية في الفرانسيس قد فطروا
عليها بقصدهم الى الحرية الشخصية والحرية ... وكلهم يحملونها في بلادهم الحرية
... على ... تحامد الاخلاق على ... ادراكهم واما في الجزائر
فقد ... في ... من الحرية ... وكذلك الاهالي اخذوا ... الحرية
الشخصية ... من الاخرى ... الى الاولى مع ملاحظة ...
الانصابية فاثروا على كل ما كنتم ... وقد وقع الكلام ...
كل ... لا ... ولا ... بل ... المراد من
... الى رجال من الافرنج ... بدون رواج ... من
ذلك واصفا الى ما تقدم من ... كانوا من ... ومراهم
يشتغلون بالكلام ... واول ما ... الاهالي ...
السيرة العسكرية الاستبدادية معلومة في ... على ... الصغار في دونهم هو
الميل الى الشهوات الطبيعية والانهماك فيها ولا يمكن ... لتحكي
اولادي كافي ... في ... ادوها ... في ... مدم

اعتبار عادات الأهالي حق الاعتبار وتنفيذ أقضيتهم زيادة للإصلاح وطلبهم
صار أهالي على قاعدة الناس على مذهب أمرائهم ومع هذا فلا يزال في ذوي
البيوتات وأصحاب الأصول مكارم الأخلاق الإسلامية ورسائل الطباع العربية
وإن كانوا للأصالة قليلين في المدن وأما في القبائل من البادية فالأغلب في الجنوب
وداخل القطر فلا يزالون على طباعهم وعاداتهم الأصلية وأما الذين لهم علاقة
بالحكام والتداخل معهم تغيرت عاداتهم إلى نحو ما وقع في الكثير من أهل البلدان و
الأخيار الذين اجتمعت بهم وتعرفت فضل أخلاقهم الحبر العالم الشيخ علي بن
الحفاف المفتي المالكي بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة العلامة المطر الأزهري الشيخ
ابراهيم الرياحي كما أخبرني بذلك عن نفسه وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع
وسعة في الفقه والحديث وذاكرني في الهجرة وذكر بأن مذهبه فيها الوجوب في ذلك
القطر وإن قيامه فيه لتعليم الناس دينهم أنفع للعامة وله عذر أنه من نحو صبره وإبقاء
تلك الأمة المسلمة خالية عن مثله بل وعامل خروج غيره ممن هو على شاكلته على
الخروج فتبقى العامة بلا من يرشدهم ويفقههم في الديانة شيئاً فشيئاً و[illegible]
بخلاف ما إذا بقي هو وأمثاله فإنه تنتشر تعاليم معالم الفقه وتبقى الديانة إن شاء الله
محفوظة في الأهالي وذلك هو المنصوص عليه في كتب الفقه وفهمنا منه أن الأسارى إذا لم
يمكن فداؤهم حلّه دون خروج العلماء ومن الأخيار أيضاً الأصيل الهمام الشيخ أحمد
أبو قندورة المفتي الحنفي بالقاعدة المشار إليها وذووه في معروف أسبابه وهو من
للعلماء كما وقوة صحبة في الأدب مع أهالي بلده وهو نائب في مجلس
الولي له مشاركة في الفقه والحديث وكل من الشيخين المومى إليهما إمام وخطيب في
جامع بالقاعدة المشار إليها وقد زرت كليهما في مقصورة جامعه ودعا لنا بما هو الواجب
أحدهما كما إني جازاه الله أحسن الجزاء وتوجهت معه إلى بستانه في الجبل وهو بستان
طريف جامع لشكلي المغربي والأوروباوي وبه أثر طريف مشتمل على أهوال المرقى
المتقن ومن أكارم من اجتمعت به صحبة الطبيب سيدي قدور الشريف نقيب السادة
الأشراف صاحب شمائل تليق بجلالة نسبه ومنهم العالم النحوي الشيخ علي بن موسى
نقيب زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه وهو صاحب ورع وديانة كان
ولي في أحد المناصب الحكمية ولما لم يلائم طبعه استعفى واعتذر بما لم يوافق
وضع نقابة الزاوية المذكورة في ما كان هناك منكباً على العبادة والمطالعة وله

أشعار

أشعار ـ ومنهم الوجيه السيد الشريف اسمه صافي وغيرهم من الاعيان كما اجتمعت
وطني الفرانسيس كالجنرال شريزنا حاكم وهران ونائب الحاكم العام
جزائر ... في وقت قدومي الى هنالك وهو الذي نزل زيارة على معارفه
العسكرية التي توصل بها الى رتبة الفريق فانه منصف عادل عارف بأصول سياسة
الوطن والسياسة الخارجية صدوق في الكلام بدون محاباة وما رأيت سائر كاره توطنهم
هنالك مثله والذي أعانه على معرفة مصالح الاهالي هو معرفته لغتهم ومنهم أميرال البحر
الكماندان دي سان بندري وهو شيخ مختص في السياسة وممن لاقيته في غير القاعدة
العقبة القديمة لشيخ السيد بن شتاح قاضي بالدقالة وهو مشارك في الفنون الاسلامية وله
اطلاع حسن في الفقه مع عفة واستقامة ثم ان الاهالي على العموم فيما هم من نوع من
الحدة والنشاط ودربة البربرية لهم شهرة وصورة وهم يلوح بادية والاهالي
في المدن على نحو ما في أوروبا وفي بقية القرى والبوادي على نحو ما ذكر في تونس

﴿مطلب في التجارة بالجزائر﴾ التجارة مع خارج القطر أغلبها بيد الفرانسيس ثم
الاسبنيول والطليان ثم عبر كالمعصين من الاهالي والانكليز ولنادر من غيرهم وفي
داخل القطر مقسمة بين الاهالي والاسرائيليين وهي على نحو التجارة بتونس اذ لم
تحدث بها معامل ولا كبير حركة تجارية سوى بعض معادن كما تقدم في معدن الحديد
بعنابة وبعد ان نصه في لفظ المعامل ان تصنيفها وصناعتها تكون في فرانسا واصول
التجارة الجارية على نحو الاصول الفرانساوية وعلى ما بينته المعاهدات مع الدول
وأما البر برا وبحرا فهو بيد شركات فرانساوية وفي الجزائر دار صرف تسمى بانكة
الجزائر لها أوراق مالية مثل البنوك المعتبرة في أوروبا ولتسهيل طرق التجارة وان كانت
في الاصل للحركة العسكرية قد امتدت طريق الحديد بين جزائر ووهران وتلمسان
ثم أخرى بين عنابة وقالمة وسوق هراس وقسنطينة وسكيكدة وهم بصدد وصلها بطريق
تونس ووصل البقية ببعضها والمراد تجارية في مد طريق الحديد الى دواخل
افريقية والصحراء حتى تجمع بين شطوط افريقية الشمالية الشرقية من جهة الجزائر
وتونس وبين شطوطها الغربية من جهة سينيغال وغيره الى ممالك السودان ولا يخفى
ما في ذلك الربح الباهظ

﴿مطلب في الاحكام بالجزائر﴾ الاحكام الشرعية منقسمة الى قسمين قسم راجع الى
الوقف والنكاح والطلاق والارث فيه للمسلمين قضاة مسلمون على مذهب مالك

وفي بعض المدن مفتون حنفية والقضاة يحكمون في الحكم بكتاب مختصر الشيخ خليل
ويجلس مع القاضي عدلان للشهادة على الخصوم ويتوليان كتابة [illegible] وأما في
سائر المعاملات والجنايات فله مجلس مركب من ثلاثة أعضاء فرانساويين وعضو
منهم مصري مسلم وهذا المجلس على نحو مجالس الأحكام في فرانسا إلا أن القانون الذي يحكم
به ممتزج بين ما ترجم من مختصر الشيخ خليل وبين القانون الفرانساوي فإذا كان الخصمان
من المسلمين والدعوى من أنواع المعاملات الاختيارية فلهما الاختيار بين دعواهما
في هذا المجلس أو لدى القاضي المشار إليه وأما إذا كانت الدعوى من قبيل الجنايات
أو بين مسلم وغيره فلا تفصل إلا بالمجلس كما أنه ليس من حق [illegible] على القاضي أن يحكم
به في نوع المعاملات وذلك جار في مدة [illegible] كالعقود والاعترافات
والقسمة ثم لما كان أعضاء المجلس في الابتداء [illegible] لزم إحضار مترجم
مع معرفة [illegible] ومع هذا فلا يحصل الإنصاف المعهود في [illegible] حيث
الأعضاء [illegible] في [illegible] استكمال الصفات والاستقامة لكن
يحصل أحيانا عدم إحسان الترجمة [illegible] للمسلم فلا يجري
الإنصاف وأغلب ما يكون ذلك في الحكم الذي [illegible]
الفرانساوية [illegible] لأحكام وقد صدرت يوما [illegible] في مجلس الحكم [illegible]
الذي هو في الحقيقة [illegible] في دعوى جنائية [illegible] هو
يتهم في كلامه وإذا بالمترجم تكلم للحكام [illegible] فصدر الحكم حالا
بسجنه وما أخرج من بيت الحكم إلا [illegible] من أعوان المجلس
[illegible] من صدوره [illegible] التي كنت أشاهد في [illegible] وأولئك
الأعوان هم من الأهالي غير الثقات ومنهم أيضا أعوان للضابطية ويقبضون على من
يقدم من خارج [illegible] إذا توجه إليهم [illegible] التهمة يبادرون [illegible]
لا يصغون [illegible] وعلى هذا [illegible] عدم
الجدارة جميع من [illegible] لا يتقون الرشوة ولا يحسنون حفظا [illegible] حتى
[illegible] مع الخصوم ويجلس في حانات الأراذل بما
[illegible] أعضاء مجالس الحكم [illegible] في أصل [illegible] من عدم التحري في [illegible]
لتنفر الأهالي من أحكام القضاة ويفضلون أحكام المجالس بل وربما أدى ذلك مع

زيادة

بادية وفى العامة الى اعتقادهم لاختلال فى انفسهم الدينية لما يرون من سوء حالة
القضاة واحكامهم واعتدال المجالس وانصافهم

﴿مطلب فى المعارف بالجزائر﴾ المعارف فيها على قسمين الاول علوم الديانات والثانى علوم الرياضيات فالاول قسمان ايضا الاول ما هو مختص بالديانة الاسلامية وله مدرسون فى الجوامع يقرؤن النحو والفقه وفى خصوص الجزائر من هؤلاء عشرة مدرسين والفقه هو المالكى وقليل من الدروس فى الحديث او غيره واكثر الاجتهاد فى هذه العلوم فى مدينة قسنطينة ثم تلمسان وفى الجهات الجنوبية يقرؤن العلوم فى زوايا الطرق ولاهل تلك الجهات عناية باخذ العلم فيرحلون اليه الى فاس وتونس وقليل منهم يرحل الى مصر فلذلك لم ينقطع فى تلك الجهات اطلاع حسن ومشاركة جيدة وقليل من يتضلع حقيقة التضلع لانه ليس فى اوساطهم علماء فحول وانما يقرؤن صغار الكتب واكثر الاشتغال فى الفقه المالكى على حفظ مختصر خليل وفهمه ومن تمهر فى العلوم فى احدى البلاد الخارجية فاما ان يرجع الى وطنه وفى كل تلك العلوم مدرسون فى الجوامع لهم مرتبات من قبل الدولة الا ان الاوقاف النافعة جعلت فى اقامة الجوامع وما يتبعها من قراءة الاحزاب او كتب الحديث لانها استولت على جميع الاوقاف والمساجد واقتصرت فى كل بلد على عدد مخصوص من المساجد المتقدم به وقفها تصرفت فيها باسرها وحرمت المستحقين من مالهم كاوقاف الحرمين والقسم الثانى ما يختص بالديانة النصرانية ولا دخل للدولة فيه وانما القسيسون لهم مدارس لتعليم ديانتهم وقد كان نوع من القسوس يعرف بالجزويت انشأ مدارس للتعليم حتى فى العلوم الرياضية مع الديانة ولهم اتقان فى كيفية التعليم والتربية وقد كانوا فى حدود سنة ثمانين وثمانى مائة والالف اختاروا بكثرة من اولاد الاعراب فقدموهم للصليب ساقا واسماء لانصروهم وذلك عندما وقعت مجاعة شديدة بالقطر وبالغ مجلس النواب فى فرانسا ذلك العمل فشدد فيه من الانكار على الدولة فى اطلاق القسوس على ذلك العمل المكنى فمنعتهم بعد ما كبر البعض من اولئك الاولاد وعلموا بان اهاليهم مسلمون فرجعوا الى اهاليهم ثم لما منعت الدولة الجمهورية من التعليم فى فرانسا واستولت على مدارسهم ومكاتبهم فى سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م عممت ذلك فى الجزائر ايضا ومنعتهم من كل عمل سوى الكنائس واوصت نوابها فى الممالك الاسلامية بحمايتهم فى حريتهم اى اذا ارادوا انشاء مدارس والتعليم فيها فليس للدولة الاسلامية منعهم وان منعوهم تعرضهم نواب فرانسا مع ان

الدولة الفرانساوية الآن جمهورية وتطلق الحرية في كل شيء غير انها ابانت حرية الجزويت في ممالكها ولم يتيسر لهم ما ابيح لهم في ممالك أوربا الا في أكثرها فعل بهم مثل ما فعلت هي وكيف يسوغ مضادة ذلك في الممالك الاسلامية مع اختلاف الديانة فيها وأما في فرانسا ذاتها فمضادتهم متضحة لان الجزويت نصارى من اتباع الكنيسة الكاتوليكية الخاضعة للبابا غير انهم لهم مذهب في دقائق الديانة والتأويلات والعامة فيما حصل لهم نوع عداوة بقية القسوس بيد ان الدولة الفرانساوية تستند في منعهم من التعليم بانهم يزرعون في تعليمهم الاحوال المبنية على الاصول الاستبدادية بما لا يوافق سياستها وتخشى من فشوه في الناس مع المكاتب التي يتخذونها تصير كالمعسكرات تحدث منها الثورة ويأوي بها الثائرون (وأما القسم الثاني) من أصل المعارف فهو معارف الرياضة فوهاته لها مكاتب من الدولة في البلدان المتمدنة وهي على نحو المكاتب الفرانساوية غير انها قاصرة عن العلوم العالية فمن اتم تلميذ فيها معارفه ينتقل الى باريس التي هي مركز سائر العلوم العالية والمكاتب بالجزائر فيها ما هو للولدان ومنها ما هو للبنات وقد حضرت بالاستدعاء في امتحان البنات بعنابة ووقع الامتحان في اللغة الفرنساوية وفي الكتابة وعزف البيانو وانشدت المديرة خطبة في فضل التعليم وأعاب المعلمين ... في هذا المكتب كما حضرت امتحان مكتب الولدان من مسلمين وغيرهم وحضر كل من الافتاء ووجوه البلد وحكامها

﴿مطلب في الصنائع وغيرها بالجزائر﴾ الصنائع ما احسنها الفلاحة وقد اتقنت في الجهات الشمالية على نحو ما هي في فرانسا (وأما بقية الصنائع) فانها على نحو ما بتونس مع الانحطاط في الدرجة لا في الكيفية ولا في الكمية على ان تونس الابيض انواع من البرنس فلهم فيه مزيد اتقان كالمسمى بالعباسي (وأما هيئة لبس الكنوا طرقات) فان الجديدة على نحو ما في فرانسا والقديمة على نحو ما في تونس لكن الطرقات معتنى بتنظيمها وتنويرها على كل حال كما في فرانسا (وأما اللبس) فالرسمي فرانساوي وقواد الاعراب الكبار يلبسون قمصانا طويلا بلا ازرار بالاطلاس المقصبة المذهبة وبقية لبس الاهالي على نحو لبس التونسيين سوى عموم لبس الرداء المسمى بالحرام حتى في المدن ويجعلون العمامة فوقه وكلهم يدخلون رؤوسهم في قبة البرنس والباس النسوة احسن سترة منه في تونس لانه متدلي وكذلك الاكل والمراكب على أنواعها فانها نحو ما في تونس لا

الدين

حرية ولأن لهم مزيد اعتناء بتقليد الاروباويين فقلدوهم في أشياء كثيرة وقد رأيت من
عادات القدماء أنهم لا يدخلون ديارهم بنعالهم بل كل من وصل الى الفسقية نزع
نعليه ولبس نعلا خاصا بالدار وأدخل حاذيه على القاعة والطهارة وأما من أنواع
أطعمتهم فهي متقنة في الاكل سيما الخضر من ورق أصيب حلوا ومالحا (وأما اللغة) فهي
عربية محرفة على نحو ما في تونس غير أنهم أقل فصاحة في النطق ببعض الاحرف
ووجود كلمات عجمية ومعرفة في تونس كقولهم أدرولا بمعنى أنظار أو ما قاربها وفي جهات
البربر لم تزل لغات أسلافهم مستعملة كما في زواوة وبني مزاب

الباب السادس في انكلترة

﴿الفصل الاول في مسري اليها﴾

قد تقدم أني أقمت في باريس سنة ١٢٩٦ نحو شهر وحيث كنت علمت أطباء
باقيها وأراد في انتظار أشياء يتوقف عليها رجوعي الى تونس أحببت أن أقضي بعض
الأيام في رؤية انكلترة لشهرتها فخرجت من باريس فركبت الرتل السريع
صباحا وذلك في رمضان أوان الموز لانه في وسار الرتل سيرا سريعا يقطع بها
نحو الخمسة والاربعين أو الخمسين ميلا في الساعة فرأيت من منظر شمال فرانسا
المرتفع عن الجهات الشرقية والجنوبية انتظاما وعمرانا الى أن وصلنا الى بلد كالي
التي هي مرسى على أضيق خليج بحر المانش بين فرانسا وانكلترة ولها عدة أسوار
وخنادق متينة حصينة لحمايته ودخل الرتل بين سور بن الى أن وصل الى محاذات
الباخرة الملاصقة بالرصيف وكما أحد ما ورقة الكراء الى ذات البحر فانتقلنا من الرتل
الى الباخرة وصادفنا باخرة عجيبة الشكل ذي موناهة من باخرتين متلاصقتين عرضا
سطحهما متحد والكل آلة بخارية وبها بيت جلوس واسع حقا وإتقان ابرع وبها أيضا
بيوت صغار لمن يريد الانفراد لكنه يزيد نحو عشرة فرنك في الكراء عن الطبقة الاولى
في الباخرة جميع ما يحتاج اليه المسافر لكنه له ثمن زائد عن الكراء والذي حمل
الباخرة كذلك هو صعوبة ذلك الخليج وشدة اضطرابه لانه مضيق بين بحرين ويعرفه
المار بسرعة فبأدنى ريح يشتد اضطرابه مع تعب الراحلة فاخترعوا ذلك النوع
من البواخر لكي لا يحصل فيه الاضطراب بكثرة عرضه فلم يفد واخترعوا نوعا آخر فيه
مساوه وأن يكون بيت الجلوس منفصلة عن السفينة من جميع الجهات ومعلقة بها

على نحو العوامس بحيث اذا مالت الباخرة لا يميل البيت حيث كان معلقا فيه مع ثقل
المركز ولم يعد ابطاله [illegible] اشتد [illegible] بالامام بعض اجزاء السفينة حافظة البيت
ويتبعه في الميلان وحاولوا ان يحفروا طريقا تحت قعر البحر [illegible] الدلاثراس مال
قدره اربعة ملايين فرنك بين [illegible] ولا تكاد التجربة اعني تجربة معرفة الطبقة
السفلى من ارض البحر هل هي صلبة قابلة للاحتمال [illegible] امكان
النفاذ وقد جرى نحوه تحت نهر التيمس كما في ذكره ولا زال العمل جاريا في هذه التجربة
وذكروا انهم وجدوا الارض صلبة [illegible] وان [illegible] اعمق من
محل في ذلك البحر فوجدوا طبقة الارض صلبة [illegible] في احداث
هذا الطريق وهذا [illegible] من عزمهم الاستمرار في العمل [illegible] ولا يبعد حصول القصد
في وقت قابل ثم انقضت ساعة الباخرة [illegible] من الركاب [illegible] من الصنائع
ووصل الركاب وامر الله علينا بان كان البحر في غاية السكون [illegible] في غاية
الراحة [illegible] لا ما قرب من البحر لكثرة الغيم في الشتاء وبعد [illegible] ساعة
واربعين دقيقة وصلنا الى مرسى دوفر من انكلترة التي هي اقرب مرسى في مقابلة
مرسى كالي ووصلت الباخرة ايضا للرصيف ونزلنا الى النزل الذي هو على [illegible]
[illegible] الباخرة [illegible] النزل الى ان توجهنا [illegible] الى لندره [illegible]
منها تعجبت [illegible] هؤلاء لهم عجلات [illegible] الى محل [illegible]
ذلك كنت لا احد [illegible] في [illegible] ذهب الى لندره الى
محطة سكة الحديد فقالوا اي [illegible] فقد ذكرت ما كتب لي [illegible] في المحطة [illegible]
[illegible] في [illegible] على اسم المحطة [illegible]
ذكرت لهم اسم المحطة [illegible] التي ذكرتها [illegible] ذلك بعد تعب في التفاهم من
الجهل باللغات حتى كان لدى [illegible] الحال [illegible] ثم [illegible] الرتل [illegible]
[illegible] سرعة [illegible] في [illegible] لا [illegible] من رؤية الاشياء
الغريبة وكان الرتل [illegible] من [illegible] مقاطع [illegible] الحديد الجاري عليها
من سرعة السير فهو يسير ستين ميلا وازيد الى الثمانين في الساعة الواحدة وكنت
ارى على بساط الارض [illegible] من [illegible] التي [illegible] ورقها الى ماء الشعير
المقدم [illegible] المعروفة بالبيرة [illegible] كالقرى المشهورة من الآثار المصنوع حتى
تعجبت من كثرته وكثرة معامله ولكنني عندما شاهدت بلادهم زال التعجب لان

لاكثر

آخر وحده وهو مادة البخار لماتر ينادى لندره واذا بدماء الارض على نحو ... د البحر
انه شبكة صيد ذات عرق تحديد الاعمدة الى جميع الجهات والازل وارده مصادرة
لاهل اصحاب فوصلها الى المحطة وتلقاها المنتظر الى ونص عن الى مكانه ... الا بى
وهو متر ميون احداث الاشياء ما انتقل الى هذه وكن اذا در محترما صناعة التعليم
الانسان لهذه وكان دخله من لمعلم كوبانه بصرامة الاسمار وكانت مدة السفر من
دربس الى المدة تسع ساعات ثلاث ارباع الساعة بين السفر فى البر والبحر وكانت فى
الحارة المعروفة جيمت بارك واقمت بالقصر بوسمه صاحب وثلاث ليال واليوم الوسط
ذهبت فيه الى بلاد بريتن صاحاور ... بها اسماه حيث انها على شاطئ البحر وينتدبها
اعيانهم صيفه وهى من اعظم منتزهاتهم وانتبهها لى ابعه قدر واحد , فى ماتها بلد
ثلاثة اماكن (اولها) قصر الاثر ... بستانه فالبستان جبل اجالا (واما) القصر فقد بناه
ملكهم وليم الثالث المتوفى سنة ١٦٨٩ الذى كان مغرما بالصيد والخلاعة محبا
للاهراد ونى قصر بريتن كان مغرما باحوال الصينيين ... القصر ابعد من
قاعدة لمن عيشه بالافراد ثم انشا القصر على نحو قصور ملوك الصين وطلب ليمن
ملك سائر الادوات والمعروشات ... الفرق ... هذا البناء والحالات المعهودة به
لاشغل لا طبقات والمسات ... شكل مخروط الوسط والخيوط والابواب كلها
منقوشة مزوقة بالاشكال الصينية ولو ... تصاويرها ولدرج ذ ... شكل غريب
رياح وظاهر القصر مزخرف وعلى زواياه ابراجه مرامات وصوامع حيده مزركشة وقد
... الملكة ... المولة الان هذا القصر ... فابقى ... لعموم فى
... كالانبرو ومار ل
هكذا ... وقد ... احبارهم على ... فى المال
... القصر لاهالى ... ان ... ليبلغ
البون فرنكا (والمكان الثانى) فى ... انواع السمك فى احواض
من ارجح ... الحبوط ... الشخوص ... مطاعم
انيقة وحده ... فوق ... جميع ... وطنها
حوض زجاج ثم انواع الحيوانات بحرية ما لنبه علم ... دون من ذلك كيفية
حياة الحيوانات وتوالدها (والمكان الثالث هو دكة) على البحر طويلة ... مبسطة
مصنوعة من خشب متين مرفوعة على اعمدة متينة من الحديد عالية عن سطح البحر

وحول الدكة وقود بها مقاعد ومنارة وقهاوى وذلك هو منتزه ذوى الترفه
والمتسابقين في البحر وبقية البلاد ليس فيها ما يستغرب وعامى حسنة ؟
الطرق ولم تزل الاشغال جارية في احداث عمارات جديدة بها انتم المار حد
بت ليلة في مرسى دوفر لان البابور تأخر بالبريد مبكرة ثم آثرت الذهاب اليها عشية
لكن لانتظار كوب في ارتل لبلاد الوصول اليها وتوقفت فيها ماداهى مرسى عريبة
وحصينة متينة الحصون كثيرتها وما بها ما يرد به وطن فيها ومحطة ومنزل المسافرين لدى ق..
فيه حسن متقن وطعامه ردىء وليس في البلاد ما يبسط النفس فركبنا منها بكرى
الصباح ورجعنا الى فرانسا في باخرة فرانساوية اعتيادية وكن اتعرسا كما مع الضباب
الكثيف وحولنا الى فرنسا لان احترا عالى حتى السفن من مصادمة الارض
وكان فمر العريرى في بعض الجهات

الفصل الثاني

لما كانت هاته المصر المتمصرة هى قاعدة انكلترة وهيا عود حسائر المملكة يلزم ان
نفرد بالذكر عمرانه لا يخفى ما للعمران من العادات وقد ذكرنا من اوصاف باريس
وتفاصيلها ما يغني كثيرا منه عن اعادة في صفة لندرة فلنقتصر على ما هو زيادة عن
ذلك وهكذا نسلك في سائر البلدان بحيث نقتصر على ما يفيد زيادة ... والجميع يعلم
حاله مما سبق في الابواب السابقة فنقول ان لندرة اكبر مصر في اوروبا سكانها على ما تحرر
سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ٣٤٨٩٠٠٠ نسمة منهم ٦٣٣٠٠٠ ذكور
و ١٨٥٦٠٠٠ اناث ويخترقها نهر التيمس الذى يحمل السفن الكبيرة وعليه جسور
عديدة ضخمة جدا منها الحجر ومنها الخشب ومنها الحديد الذى لا اعمدة له يقوم عليها في
الهواء عاطفا على العمود بل وسطه واق بقضبان وسلاسل ممتدة الى طرفيه حيث
يوجد ابنية ضخمة مرتفعة تمر في اعلاها تلك السلاسل واقصا ان ثم تنزل الى الارض
بحيث تكون على شكل مثلث زاويته الوسطى قائمة فيها ذلك البناء وتلك السلاسل
اربع في كل جهتين من طرفيه اثنان وبعض هاته الجسور تمر عليها الطريق الحديد
وبعضها عليه جسر آخر تمر عليه طريق الحديد وقد حفروا تحت النهر نفقا يمر فيه
المترن ايضا وطول النفق الف ومائة قدم وكان ابتداؤه سنة ١٨٢٥ ثم طمى عليه الماء
ثم جدد سنة ١٨٤٣ وكانت مصاريفه ... ١٠٣٥٠٠٠ فرنك بحيث ترى الغرق

عند

عقد نهر التيمس في بعض جهاته على أربع طبقات فالأولى تحت الماء والثانية على
الماء والعجلات والدواب والناس على الجسر والرتل أيضا على جسر فوقهم والطرق
أكثرها في عرض عشرين ذراعا أو أقل أو أزيد من ذلك بقليل حتى ان منها الضيق الذي
لا تمر فيه عجلة والطرق قليلة النظافة حتى ان منها ما فيه الوحل من الطين عند دار
لا يستطيع معه سير العجلات على سير الجسر وبعض الطرقات مبلط بقطع من الخشب
في شكل الحجارة ذات الشبه التي يبلط بها بدلا لأن فائدة وضع من الخشب مع قلة الدوى
وفقدان قرقعة العجلات وذلك نافع في الطرق الكثيرة مرور العجلات (ونحوها)
وهي الصور المعتاد وأيضا فإن غالبها من الآجر لا الحجر ولا من أبنية خاصة ضخمة متخذة
من الحجارة وقد يلي أيضا من أسماء بعض الأبنية ودهانه تحت لون الحجارة على شكل
مستوى جميل المنظر وكثير من الدار عند أبوابها السلالم من المرمر ولها عليها
درابزين أو مرادف وعامة الأبنية ذات ثلاث طبقات ورابعة السفلى وكل دار تسكن عائلة
فقط ولذلك كان منظر باريس أبهج الأبيض حارات بنيت على نحو باريس فلم
يسكنها الأهالي وبقيت مهجورة من سكانها وكل دار عند بابها درابزين خارج عن
حائط الدار وفي البلاد عدة حدائق رحبة نجد أعظم مما في باريس مثل حديقة هيت
بارك ولكل حارة نفر بها حديقة صغيرة خاصة بأهلها وأعظم مكان في لندره هو الجهة
المعروفة بالسيتي وهو طريق عظيم مشتمل على دار صرف الدولة وعلى دار حاكم البلد
وهو مركز أشغال التجارة الكبرى ومحط دارات أعيان التجار وترى فيه من الازدحام
ودوي العربات والقوافل والحوافر ولكن يطرق السامع ما يحير العقل والبصر واللب مع ان
أبنيته وضعت قديمة بحيث صار أكثرها داخل مساكن أهالي لندره من حارات الاشغال والحوانيت
والمخازن لا يسكنها الأهالي وإنما يقصدها للعمل من الناس وحارات السكنى تكون بعيدة عن
محل ذلك حتى يتعب الساكنون في حال غدوهم ورواحهم لولا تيسير الكثير في أسباب
الانتقال من مكان الى مكان على نحو ما مر في باريس وتزيد لندره بأن تخترقها طرق الحديد
بطوقين بالترتيب احداهما أوسع من الأخرى وبالجملة فقد امتازت لندره عما رأيت
بوصفه من مدن العالم بكثرة الحركة وهول الدوي في الشغل والأخذ والعطاء والسفر
والرجوع ويرى أثر ذلك في محطات طرق الحديد كما أشرنا الى ذلك سابقا من رؤية أبراج
شبكة القضبان مبسوطة عدة أميال وتحار العقل كيف لا يتلف مسيرا وحركات
وحراس مفاتيح الطرق بذهاب الرتل الى غير مقصده ففي لندره ثمان محطات على نحو

ما ذكرنا في محطة فكتوريا وقد احصى في هذا العام عدد الداخل والخارج من ارتال
في هذه المحطة فكان اثني عشر رتلا واقس على ذلك وقد نظرت يوما من قصر
الزجاج دخان المرسحيات الصادرة والواردة تجاه الرتل فاذا هي مثل الجراد المنتشر في كل
الجهات (واما قيمة) الاحوال فهي دون باريس في نضارة الحوانيت و[illegible] ابنيتها وعدم
وجود محل للدول او كما في العرفات وفي النظافة والتنظيم والسير [illegible] ولنذكر بعض
محلات النزهة ايضا في باريس فمنها قصر الزجاج وهو قصر عظيم جدا مصنوع من قضبان
حديد مرصع بالواح الزجاج وقد انشئ اولا لمركز المعرض العام في لندره وهو اول
معرض في اوربا وبعد انقضاء المعرض نقل ذلك القصر الى ربوة خارج لندره وجعل
موقعا للبيع والسماع والفرجة ولوضع تحف ونادرة غريبة صناعية للسرحة والنزهة
وحوله حديقة فيها بعض ذات فوارات وفساقي على كل [illegible] ان يدفع شيئا زهيدا من
المال لمجرد الدخول والفرجة وما يشترى من نحوه وطريق الحديد يوصل الى هذا القصر
من جهتين وهو ذو ثلاث طبقات ومقسم على عدة اقسام (وفيه) ملاهي (وفيه) محل
للرماية (وفيه) حديقة (وفيه) عدة فوارات (وفيه) عدة مطاعم (وفيه) قسم لتمثال قصر
غرناطة بالاندلس اعني تمثال قصر الحمراء الشهير كرسم الحمراء والبيوت الكبيرة
منقول تمثيلا اعني تمثيلا عجيبا يجعل الانسان في دهشة في شكل الحمراء نفسها
[illegible] وفي كيفية البيوت [illegible] وما [illegible] من الكتابة لا تنقص عما في
الكوفي [illegible] القصر هو على نحو الابنية العربية [illegible] الاتقان والصنعة والتزويق
والتزويق وفي القصر الزجاجي (قسم) لاحوال الصينيين وصناعتهم واشكال ناسهم
مجسمة بتصاوير من الشمع بهيئة المتكلمين منهم [illegible] الاديون [illegible] اقيم في
عقائدهم وذواتهم (وقسم) [illegible] من ايضا [illegible] بالمشاهدة الصورة
اطوارها وقسم [illegible] والنبات غريبة [illegible] المسمى بالكوريلا لديه وهو نوع من القرود
الكبير وقد مر ذكره في باريس وانواع اخر من القردة شبيهة بالانسان [illegible] وفي
القصر الزجاجي ايضا (قسم) لبيع التحف والمصانع الرقيقة وقد رأيت فيه نحو [illegible]
رجال من العرب من اهل الشام ومصر والمغرب متخذين محلات لبيع تحف بلادهم
والمطربات (والحاصل) ان هذا القصر الزجاجي جامع لاشتات الظرف والنزهة (ومن
الاماكن الشهيرة) في لندره ايضا [illegible] المعروفة [illegible] ودبابون [illegible] من
المرمر ارتفاعه ١٧٦ قدما تقريبا وعليه تمثال وحوله [illegible] من النحاس اتخذت من

مدافع

• مدافع أخذت من الفرنسيس وحول العمود فوارتان بالماء أمامهما صورة الملك
شارلس الاول وكان نصب العمود سنة ١٨٤٣ ومنها أعمدة) أخرى (ومنها) الملاهى
المتعددة وقد شرعوا في بناء أكبر ملاهى في أوروبا وأكثرها تأنقا تقرب من ملاهى قراند اوبرة
في باريس لكنه لم يتم الى الآن وأعجب ما رأيت في ملاهيها في محل التشخيص من
اللعب ان بنات ترتفع في الهواء الى السقف وتعبث فيه وتارة تترنم الى نحو صف المصابيح
تذهب في الهواء طائرة الى جهة اليمين من المتفرجين من غير أن يرى لها ماسك أو شئ
تعلق به وقد خاضت صحفهم في ذلك ولم يقفوا على قول حقيقى في صورة ذلك غير انى
شعرت بأنهم يفرقون الضوء بدائرة تلك اللعبة (ومنها) دار الاجتماعات العلمية (ومنها)
قصر البرلمان وهو أعظم بناء في هذه البلاد ويمكن ان يقال في أوروبا بأسرها وقد هدم
القديم كان بروما وهذا القصر الجديد يشتمل على ٢٦١٠٠ درجا واربعة للصعود اليه واكثر
من ١١٨٠ حجرة و ١٩ ابوابا (ومنها) ابواب الاجتماع (ومنها) الرحبة ويشتمل على
اسرة ومقاعد ومطاعم وقهاوى بحيث ان أعضاء الندوة اذا جعلوا عملهم احتالوا الى اقامة
ايام هناك ولا يحتاج احد منهم الى شئ سوى الملبوس يأتى به من محله ولما كان للعلوم
طولا ولا يتصور اشغالهم فيه فكان في القصر من الفرش ما يحتاجه المحرور وكذلك
امر قدمته (ومنها) المتحف البريطانى الشامل للآثار العتيقة ولمخازن غريبة وعلى
نحو ودونه عدة ممن حب آخر (ومنها) دار الصرف اى بنك لندرة وهو اعجب بنوك
أوروبا كبرا وعماله اذ فيه من الذهب فقط عشرات آلاف الالوف يخزنونه قطعا كبيرة
وصغيرة للدولة وان يوم ماله فيه فلا عن المصوغ بالفضة والذهب على حصين محاط
بالمياه خشية الحريق (ومنها) المدرس اى محل اجتماع التجار (ومنها) مجامع التجار
المدينة (ومنها) قصر الهند اى محل ادارة الهند الانكليزية (ومنها) دار شيخ البلد (ومنها)
الحصن العظيم المسمى توراف لندره (ومنها) منزل الامراء المسمى رتيش مانس وهو
خارج البلاد على ربوة مطل على فياض ومرج ونهر ويقصده الناس للأكل بكثرة
والسكنى فيه لقلة أكله أحسن من غيره (ومنها) بستان الملك وقصره خارج لندره
أيضا المسمى همبتون كورت ورأيت به من الغرائب الاعريشة عنب واحدة مغروسة
في بيت من الزجاج وقايتها من البرد حيث ان شدة برد تلك الجهة يمنعها من نبات العنب بها
فكانت هذه الشجرة فرعها ممتد من مائة واربعين قرن وقد عظمت جدا حتى ملأت اغصانها
جميع البيت التى طولها نحو لاربعين ذراعا وصارت ثمرا لا تأمن العناقيد ولا يخرج منها

عقود الابنكر من مقتنيات الملكة تهادى بها من تحب من الاقارب والاعيان وعلى
ثلاث اشجرة قم خاص وخدمة وتقصد للفرج. ثم رأيناها (والحاصل) ان لندرة لاتونس
الوردة نظرها لاجتماعى ومحاسنها الخفية تروق بها الاعالى من الناس ومن أكره وجوده ثم
حتى انه البيت بها فهاوى كما فى سائر اروباوليس بها الاحانات لايدخلها الا السفهاء أو
حوانيت تبيع الحلويات ان يدخلها اوانها ومنها عمود نصر المسمى بالمسلة موضوع
على عدوة نهر التيمس المار به قصور المليكة ومآثر مهمات لندره وقد صرف على
جلبه من اسكندرية اموال باهظة تجاوزت عدة ملايين من الفرنك وأنشئ لها باخرة خصوصية
خاصة تجارية وصاحبتها الرفقة سفينة أخرى وتلقت عند الوصول الى لندره باحتفال
وذكرت فى وصفها غير ان هذا الموضع وما حوله ليس كما يذكر ويشيع وبه مركز المسلة
بباريس بونابيت وكان الاهالى اعتقدوا ذلك والامم وضع مسلة ماعندهم لانهم ارادوا
جمالها وبهاءها (ومنها تمثال) زوج الملكة الحالية المتوفى سنة ١٨٦١ اقيم له تمثال فى غيضة
هيدبارك من أعظم القبب كل بناء وزخرفته با من أنواع الرخام الملون المزخرف
بقطع الذهب وصرف عليه عدة ملايين من الفرنك (ومنها) المكتبات العديدة
الحاوية لملايين الكتب واعد اهانة للكتب التى غنمت من عمالات الهند التى
استولى عليها الانكليز فيلاء باناوه بها المكتبة ليس بها قاعات واواوين كبيرة
كبيرها وانما هى عمارة من قصر ضخم كقصور اسكن الكبيرة فى باريس وفيه
عدة طبقات وكل اشتمل على بيوت بها نوع من الكتب والفنون وعلى كل نوع مدير
تحته عدة قيمين والكتب المجلوبة من الهند فى أعلى طبقات القصر فى عدة بيوت ضيقة
غير مرتبة ولا نظيفة والغبار على أكثرها ووضعها فى الخزائن على ترتيب وضعها فى دفتر
قديم ما انها وهذا لم تر عبارات منتظمة غريب لان الكتب أتى بها من
الهند فى اربعين صندوقا كبيرا وبقيت متروكة على حالها زمانا طويلا لانه لما
فتحت الصناديق وجدت ملآنة بالكتب وضعت هناك زمانا طويلا من غير ترتيب
ثم كلف بتنضيدها وكتب فهرس لها أحد المستشرقين من جهات مورية وترتيبها على
حسب حروف الهجاء فى أسمائها من غير نظر لموضوعاتها ومعانيها فتجدها مجموعة
ولا جامع الا الحروف أسمائها ولذتها كتبا ان قدمتها اسماء وحسب مطالعها رق
غيرها غير معروف ثم ان الكتب المزخرفة والاوراق المذهبة جعلت فى صناديق
من الزجاج للناظرين فترى ورقة من مصحف كريم وبازائها ورقة من تصاوير الصينيين

الى

الى غير ذلك وتشتمل هذه المكتبة على كتب عربية قليلة الوجود أو غير معروفة وقد طبع منها من فوريها أو أعجبت منه نسخة وليس هو مجرد اسم الكتاب بل بين كراسه وطالعته وخاتمته ومؤلفه وكاتبه ووقته بالعربى مع الترجمة للانكليزى ومما رأيت به نسخة من السلوك بخط جميل صحيح أظنها بخط المؤلف حيث قال فى آخرها كتبت هذه النسخة للشاب الترمذى وأنا العبد المذنب الغريب الموسوم بسعد التفتازانى غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وهو الحضرة المكرم صاحب المروءة والكرم علاء الملة والدين ابقاه الله أقصى ما يتمناه اهـ وعلى ظهر هذه النسخة ختم مدغم كانه ختم تيمورلنك والله أعلم

الفصل الثالث

﴿فى وصف انكلاتيره﴾

تسمى هاته المملكة جزيرتان كبيرتان احداهما أكبر من الاخرى واقعتان فى البحر الشمالى من أوروبا تبتدئ من دقيقة ٥٧ ودرجة ٤٩ شمالا الى دقيقة ٥٠ ودرجة ٦٠ وفى الطول الغربى معتبرا من باريس من دقيقة ٣٤ ودرجة ١ الى دقيقة ٥ ودرجة ١٢ ويحدهما من ثلاثة جهات المحيط الشمالى ومن الجهة الرابعة الخليج المسمى بالمنش الفاصل بينهما وبين فرانسا ثم يفصل بينهما فى شمالها خليج مارس وبحر ارلانده وأكبرهما بين الجزيرتين تسمى انكلاتيره وجهاتها الشمالية تسمى اسكوتلاند والجزيرة الصغرى تسمى ارلانده ولهذا كانت هذه المملكة معتبرة ثلاثة أقسام نظرا للتاريخ القديم وتسمى مجموعها الآن بريطانيا العظمى وعلى الاجمال فأرضها خصبة جدا ذات مزارع ومراعى واسعة الا الجهات الشمالية المسماة اسكوتنيا فانها لشدة بردها كانت غير صالحة للزرع وهذه المملكة أراضيها منبسطة بها ربوات قليلة الارتفاع وكلها معمورة حسنة المنظر متقنة الصناعة (وأما الجبال) فهى منخفضة بها الا فى اسكوتنيا فانها مرتفعة شاهقة وليس بها جبل بالمكانى (والنهور) مكان فى الجبال جهة الشمال على الطرف بسكوتنيا المكان المعروف بممشى الجبابرة وهو أعمدة صخرية مركبة على بعضها الى العلو ٤٠٠ قدما بهيئة الاحكام خلقة فكانت نزهة للناظرين (وأما انهرها) فكثيرة وأعظمها نهر ساورن الذى يصب فى المحيط عند مدينة بريستل ونهر مرسى الذى يصب فى بحر ارلانده عند مدينة ليوربول ونهر التميس الذى يحمل

السفن العظيمة الى مدينة لندره وبنهر ... وبه المواصلات وكذلك
نهر شانون في ارلانده والترعة الكبيرة الموصلة بين البحرين (وأما بحيراتها) فكثيرة
أيضا وهي في اسكوتسيا أكثر وأما بحيرة ... من المروج والجبال ولذلك كانت متعددة
الاشكال في الصيف واشهرها بحيرة ... وبحيرة ... طولها نحو ٣٠ ميلا وكذلك
بحيرة ... في شمال ارلانده وبحيرة ... (وأما هواؤها) فهو على العموم بارد
وفي الشمال أشد وهو موافق لصحة ... الاصحاء ... وكذلك المطر
الذي يسقي مزروعاتهم ... ومن ذلك رقة السماء بعد من
... الايام لان الضباب يتكاثف احيانا الى أن يحوج الى ايقاد المصابيح نهارا وربما
كان ... الافق ... في الشرق فالنور ... يوم ... ولا يخرق
أشعته ... الضباب وكان الشرق لا يفارقهم ثلاثة أيام متواليات وقد يشتد الحر
في الصيف الى أشهر فالهواء ... في دواخل العمارة حتى يموت الناس في
الطرق وذلك لانعدام النسيم وسكون الهواء ... ويشتد البرد الى درجة ...
للعادة لكنه لا يدوم فانه لا يدوم أو بعض يوم ... السحب و الامطار والبرد (وأما
نباتاتها) فهي نباتات الاراضي الباردة والجهات الوسطى ...
الحبوب ... كانت لا تكفي السكان وأما ... نبات الاعتدال والحر
ولا ... الا ... بيوت خاصة ... ومع ذلك فقد الارض
... لكثرة العلاج ... كثيرة
من الاشجار الضخمة ...
الارتفاع ونباتات المراعي ... (وأما معادنها) فالذي منها
الحديد والفحم الحجري يكثر في أغلب الجهات ... وهي أغنى ...
أو باقي المعادن (وأما حيواناتها) ففيها كل أنواع الحيوانات الموجودة في فرانسا
وايطاليا كما سبق ذكره والسباع منها منقطعة ... في اراضيها من قديم ولم يوجد
شيء من ضواري السباع فاما هو في الجبال الشمالية وذلك كالذئب والثعلب وما شاكلهما
وأول من اعتنى بإعدام السباع من ملوكها الملك أدغار المتولي سنة ٩٥٩ فقد ألزم
رعيته في كل سنة بأن تأتيه بثلاثمائة ذئب واستمر ذلك الى ان فنى ذلك النوع وقد
كان ... مع ... الشديد لان الذئاب ... كالسباع الكبيرة في الجرأة
والاذية كالمشاهد الآن في روسية ... للغاية وفيها من اجود الخيل العربية

الشدة

لشدة العناية بصلاحها وتوابعها وتربيتها حتى فاقت سائر أرض وباقي الجبل وكذلك غنمها
أحسن أنواع الأغنام وصوفها مرغوب فيه للاصطناع [illegible] حتى كادت أن تكون مثل
الحرير (وأما معادنها فقليلة) وقد عرف كونها بها معادن كثيرة من أشهرها
الحديد وهي ثانية معادنه (في التجارة) وقصبتها مدينة [illegible] في جنوبها وفي
شرقيها من السفن ما يشتهر من كثرتها ثم (مدينة) ما يشبهها من الشهرة ما تقدم
السابقة وهي غربيها على نحو (٣٢) ميلا ثم (مدينة) بيرث ثم (مدينة) [illegible]
(ومدينة) كذا [illegible] في اسكوتيا (مدينة) [illegible] (ومدينة) ابردين (ومدينة)
دندي (ومدينة) [illegible] وأما ارلاندة فأربع
قطع (احداها) جهة الشمال وهي [illegible] (الثانية) جهة الشرق وهي دوبلين
(الثالثة) جهة الجنوب وهي كورك (الرابعة) جهة الغرب وهي [illegible] وكل من هاته
الاربع قاعدة للقسم الذي هي به وهناك مدن أخرى عديدة غير هاته (وأما مراسي)
هاته المملكة فحيث كانت هي جزائر بحرية كادت مراسيها أن لا تعدوا كثرتها
خصوصا [illegible] كثيرا من الحصون في المراسي الحربية فصارت الآن مدرعة
بصفائح الحديد [illegible] الذي لا يعمل فيه الكور [illegible] وفي بعضها معامل
لصنع الدرع والمشبك ومنها ما هو من حصون بأصل الخليقة [illegible]
ارلاندة لان في شطوطها [illegible] كثيرة [illegible] ومنها ما هو مأمن بالاصطناع [illegible]
الى هذه المراسي التجارة في السفن والبواخر من سائر الأقطار وأكثر من العالم [illegible]
[illegible] على شطوط [illegible]
[illegible] (وأما قسم المملكة) بالنظر للادارة فهي في انكلاتيرة
لاصالة اثنان وخمسون مقاطعة وفي اسكوتسيا ثلاثة وثلاثون مقاطعة وفي ارلاندة أربع
مقاطعات فالجميع تسعة وثمانون مقاطعة لكل منها دائرة على نحو ما يأتي بيانه ان شاء
الله (واعلم) ان هاته المملكة تتبعها جزر أخرى [illegible] ثم [illegible]
[illegible] وذلك غير المستعمرات الخارجية [illegible]
المملكة (وأما أهل المملكة) فهم اثنان وثلاثون مليونا [illegible]
نصرانيون على مذهب البروتستانت الا [illegible] وهم أكثر أهل ارلاندة فهؤلاء على
مذهب الكاتوليك ويوجد فيهم قليل من اليهود والدهريين وأفراد من المسلمين من
أهل المناصب العالية والبيوتات الكبيرة الملقبين باللورد كاللوردات [illegible]

الصادقين في الاعتقاد الاسلامي ولله الحمد دخل اليه عن رؤية وبرهان نسأل الله له مزيد
التوفيق والمحبة وقبولا كاملا وهداية ثم ان هذه المملكة لها مستعمرات واسعة في
جميع اقطار الارض حتى كانت اول دولة في العالم في اتساع الممالك وثاني دولة في كثرة
الرعية اذ هي تالية لدولة الصين في كثرة الرعية لكنها الاولى في اتساع المملكة وعلو
الشأن في اقطار الارض جميعها واعظم مستعمراتها الهند وما معه وقد مر في المقدمة
تفصيل ما وصلنا اليه من احواله ولها في آسيا ايضا جزيرة هنكونغ في الصين ومدينة
عدن وباب المندب وجزيرة بريم في جزيرة العرب وجزيرة قبرص في البحر الابيض دخلتها
بمعاهدة مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ ووصاية على مسقط وعمان وقبائل شطوط
جزيرة العرب الشرقية ولها في اوروبا جزيرة الباعولاند في بحر الشمال وجزيرة
وقرابى في بحر المنش وجزائر صغيرة حول الجمد الشمالي وجبل طارق في الطرف
القصي في ارض اسبانيا على الخليج الموصل بين المحيط والبحر الابيض المسمى بوغاز
طارق لان طارق هذا هو الذي عبر [illegible] واسم هذا الجبل المذكور المسمى
به ثم افتتح بقية الاندلس ولها ايضا في اوروبا جزيرة مالطة في البحر الابيض
وسيأتي تفصيل حالها ان شاء الله ولها في افريقية شطوط من سواحلها [illegible]
في كينيا العليا وارض شط الذهب فيما وراء [illegible] الصالح وجزائر [illegible]
ولاسانيول وشطوط في جزيرة مدغسكار لها نوع حماية وسلطنة على ممالك مستقلة
في افريقيا ايضا مثل زنزبار وغيرها في ارض الكفر ودون في زنجبار ولها في
اماريكا البريطانيا الجديدة في شمال ماريكا وكندا وبرنزويك وسكوشيا ولابرادور
وكلها توصف بالجديدة وجزيرة الارض الجديدة وارض اخرى غربي شمالي ماريكا
وجزائر المحيط الشمالي وجزائر الانتيل الصغرى وجزيرة جامايكا وبعض الانهار [illegible]
[illegible] ولها في استراليا قطعة الشرقي ومعظمها من جهة الشطوط وجزيرة تسمانيا
وبلاد الجديدة ونورفولك واذا نظر الناظر لاتساع هذه المستعمرات وامتدادها على
جميع اقسام المسكونة مع عدد رعايا هذه الدولة [illegible] في فصل التاريخ من
حسن ادارتها كانت هذه الممالك قوية [illegible] لاجابته [illegible] وهذا جدول لعدد
السكان

سكان انكلاتيره	٠٢٣٧٠٤١٠٨
سكان اسكوتسيا	٠٠٣٢٥٨٦١٣
سكان ايرلانده	٠٠٣٤٠٢٧٥٩
سكان الجزائر التابعة لها	٠٠٠١٤٤٤٣٠
عساكر وبحرية خارجها	٠٠٠٢٠٧١٩٨
سكان ممالكها بالهند	١٦٣٠٧٢٧١٥
سكان بقية اماكن باوروبا	٠٠ ١٦٠٣٦٩
سكان ممالكها بامريكا	٠٠٥١٣٢٧٤٣
سكان مستعمرات افريقيا	٠٠١٨٦٠٠٠١
في استراليا	٠٠١٩٠٨٦٥٠
في بقية الجهات	٠٠٤٢٦٠٤٧
	٢٠٣٤٣٠٦١١

الفصل الرابع

﴿ في اجمال تاريخ انكلاتيره ﴾

ومطالب في تاريخها القديم لا يخفى ان سائر اوروبا كانت في الاعصر السالفة على جانب عظيم من التوحش فلذلك كانت تواريخها القديمة مجهولة ومن ذلك تاريخ انكلاتيره ابتداء بما بعد من احوالها ان قوما من السلتيين أي قدماء الفرانساويين الذين مقرهم في فرانسا بين نهر الرين ونهر غارون عبروا الى أراضي انكلاتيره بقصد توسيع التجارة ولم يجدوا لهم ما عاقهم فتوطنوا هنا ثم لحق بهم فرقة من اهل البلجيك وقوا جبالها على الوحش التام حكمهم بايدي رؤساء القبائل بل العائلات حتى ان عبر هؤلاء هم كالعبيد بايديهم وبينهم كهان لهم سلطة على الجميع بما يتعاطونه خفية من علم الكيمياء والطبيعيات فوهموا العامة بخرق العادة لهم حتى اعتبروهم كالالهة وكانوا يعبدون الاصنام حتى انهم يقربون اليها دماء الانسان بأن يقتلوه لها وفي سنة ٥٥ قبل التاريخ المسيحي عبر الى انكلاتيره يوليوس قيصر بجيوش الرومان فلم يتمكن منها لمعارضة الاهالي مع هيجان عظيم في البحر ثم عاد اليها ثانيا وتمكن من بعض الجهات لكنه لم يستقر حكمه بها وفي سنة ٤٣ بعد التاريخ المسيحي اعاد

الرومان البكرة وافتتحوا الجزيرة وارسلوا رئيس عصابتها الى رومة اسيرا ثم زاد الرومان
تمكنا بما وقع من التخاذل بين اولئك البكريين الى ان ابادوهم عن آخرهم وكانت احدى
القبائل [illegible] عليهم مراقبة لطمأنينة بوديكا فانتهضت جميع الاهالي وقهروا
الرومان وقتلت منهم (سبعين) الفا ثم عاد الرومان وانتقموا من الاهالي حتى قتلوا منهم
ثمانين الفا وزادوا [illegible] المذهب المعروف من الرومان ثم عدلوا [illegible] وكل اخضاعهم
بالعدل احسن من السيف لكنهم [illegible] اهالي اسكوتيا الساكنون في الجبال [illegible] ثم
[illegible] فبنوا بينهم سورا ثم [illegible] طوله ثمانون ميلا [illegible] في حدود سنة ١٢١
مسيحية وفي سنة ٤٨٧ استدعي الرومان اجنادهم عن الاهالي اليه وصار ملكا على
انكلاتيرا ثم عادت الى الرومان [illegible] مقسمات الداخلية ودامت ولاية
رومانية الى القرن الخامس وفي مدة استيلاء الرومان التي هي اربعة قرون حصلت
الاهالي على معارف جمة مما كان عند الرومان حتى [illegible] مدن وحضارة
وصنائع وتجارة [illegible] الاهالي من الشمال الى الجنوب ثم في سنة ٤٢٠ اضطر [illegible]
الى [illegible] انكلاتيرا للاهالي ورفع جيوشهم [illegible] في ايطاليا من الحروب الاهلية
والخارجية فكان حفظ قاعدتهم اولى لهم من [illegible] غير ان اهالي انكلاتيرا
وان حصلوا على [illegible] التمدن بسبب [illegible] عليهم وقد [illegible] ومع ذلك من
الحرية والشجاعة للهوان الذي حلوهم اياه ولم يستطيعوا الاستقلال [illegible] جاء اهل
الشمال من جبال اسكوتيا [illegible] قبيلة من الالب [illegible] على [illegible]
الالب من اروبا الشمالية تسمى السكسونية [illegible] كان [illegible] من المود [illegible]
[illegible] على دفاع الاعداء [illegible] لكنهم [illegible]
الاهالي [illegible] وعندما ارادوا دفاعهم [illegible] بلاد
ورحلت فرقة من اهالي انكلاتيرا [illegible] الى اراضي فرانسا [illegible] المكان الذي
استعمروه وسموه باسم بريطانيا نسبة اليهم [illegible] كانوا من اهالي بريطانيا وكان مبدا
استيلاء السكسونية من سنة ٤٤٣ ميلادية ثم قسموا انكلاتيرة الى سبع ولايات
تسمى باسماء امرائها ولكل منها امير [illegible] جميع [illegible] وهو احدهم [illegible] عن ذلك
[illegible] في هاتيك [illegible] ودامت بينها الحروب الداخلية وعندما [illegible] لاية
كانت احدى [illegible] المذكورة [illegible] في الاهالي الديانة النصرانية وذلك سنة ٥٩٦
واقتدت [illegible] الى ان [illegible] وفي سنة ٨٢٧ [illegible] الاستقلال سائر الولايات [illegible]

جميعا

جميعها قضت الانكلوساكسون وهو اغبرت وهو أول مستقل حقيقة بالجميع وأول ملك
لانكلاتيره جميعا من العائلة السكسونية وتوارثت الولاية أولاده وفي مدتهم هجم عليهم
أهالي الدانيمرك وتملكوا أولا عدة جهات ثم عمت ولايتهم المملكة لم تزل واسترجع
منهم الغربية الملك الاصلي من العائلة السكسونية بعض الجهات ثم عقد معهم صلحا ومعاهدة
على أن الدانيمركيين واشترط عليهم الدخول في النصرانية ثم التفت الى اصلاح البلاد من
جهة التمدن ومن جهة القوات الحربية وأدخل جراحاتها ورقاها الى أوج حسن ومع ذلك
كان منكبا على التأليف والترجمة فأفاد أمته فوائد جمة وفتح لهم باب الحرية حتى
كان من جملة حكمه التي جرت عندهم مثلا الى الآن قوله يجب ان يكون الانكليز احرارا
مثل أفكارهم ولاجل ذلك لقب هذا الملك بالفريد الكبير وكانت وفاته سنة ٩٠٠ ومن
مشاهير ملوك هذه العائلة حفيد المذكور ادلستان الذي أتم استخلاص المملكة من
بقية الدانيمرك ورقى قواته الحربية الى أن رغب في موالاته غالب الملوك من اوروبا وعقد
الصلح مع فرنسا وصاهر بتزويجه اخته لملكها وباخته الاخرى لملك المانيا ومن مشاهيرهم
ايضا ادغار المتولى سنة ٩٥٩ فانه أبلغ القوات البحرية الى درجة لم تعهد لهم في ذلك
التاريخ حتى صارت سفنه اربعمائة سفينة وكان يتفقد بنفسه المملكة مرة في السنة وهو
الذي قطع الذئاب منها كما مر آنفا ومن أبناء هذا الملك ادلرد الذي كان سببا لاستيلاء
الدانيمرك على المملكة بقتله جميع من كان فيها منهم فهاجت حروب ذريعة آلت منهم
على المملكة ثلاثة ملوك أشهرهم الملك كانوت الذي عمم العدل والراحة حتى استطاع
السفر منها لزيارة الباب في رومية وكتب الى عماله عند تمريضه أعلموا جميعا أني نذرت
حياتي لله وأن لا أحكم في ممالكي الا بالعدل وان لا فرق في كل أمر المستقيم فان كان
صدر مني وانا في عنفوان شبيبتي وعدم مبالاتي ما يناقض ذلك فها انا قد عزمت بحول
الله على تعويض ما فرط مني ولذلك أرجو وآمر كل من قلدته شيئا من الامور ويريد
خلاص نفسه ووفاء عهده لي ان لا يظلم أحدا سواء كان فقيرا أو غنيا وان يسووا بين الاشراف
وغيرهم في اقامة حقوقهم على مقتضى الشرائع التي يجب حفظها ولا يعدلوا عن ذلك
لخوف مني ولا تطلبوا رضاء الاشراف ولا المال لي من خزينتي لمطالبة فاني لا أحب مالا
جمع بظلم ه وبعد وفاة هذا الملك ثارت الفتن بين ابنائه وأعقاب العائلة السكسونية
الى ان استولى عليها النرمان في اواسط كانت متواليه حتى انقرض الجميع سنة ١٠٦٦ وبينما
كانت الاهالي في نزاع بين ملكوه عليهم واذا بأمير ولاية نورمندية التابعة

لعرانس افقدهم عليهم وقهرهم حتى جعلوه تقريباً كالحاكم على انكلتيره وعلى نورمنديه ثم حصلت له حروب في انكلتيره حملته على الانتقام بالقتل لاهاليها وافساد الزرع حتى نشأت عنه مجاعة مات بها الوف من الناس ثم ثار عليه ابنه الذى جاءه في نورمنديه وحاربه وانتصر عليه وبعد موته خلفه بنت الابن في كل من المملكتين مع حروب داخلية وفي خلافته حتى استولى هنرى الاول من احد اولاده وحاربته فرنسا في مدة لويس السادس عشر لاستخلاص ولاية النورمنديه وغلبها ونازع البابا في حق اعطائه وظائف الديانة واستعمل هو بها مثل ... ثم تعاقبت الثورات والحروب تارة داخلية وتارة مع الولاية النورماندية في استخلاص نفسها ونزاع في ... الى ان تولى هنرى الثانى أول العائلة البلانتاجنية وهو اسم حشيشة كانوا يضعونها في قلانسهم فقصدت العائلة الملوكية سنة ١١٥٤ فاجتهد هذا الملك جهده في ازالة تعصبات الجهات وازال ما فيها من الحصون وقصد شيئاً من شوكة الاعيان واجرى نوعاً من التسوية في الحقوق فهدأت الحروب في مدته ومن مشاهير فروعه في الملك ريكاردوس الملقب بقلب الاسد المتولى سنة ١١٨٩ وهو الذى اشترك في حرب الصليب ثم اسر عند النمسا وفداه اهله وقتل وهو محاصر لاحدى القلاع في فرانسا فولى أخوه يوحنا الموسوم بالمختل العقل حتى ضيع من ممالك الانكليز في فرانسا وقتل ابن اخيه فثارت عليه الاعيان وارغموه بما يأتى غيروا به ذات حالة المملكة الى طور آخر

(مطلب في تاريخ انكلتيره الجديد) اعلم ان مبدأ ظهور الحرية في جميع اوروبا في الاصول المعروفة هي انكلتيره ولذلك كانت هي اسبق ممالك اوروبا الى ذلك وحصول تمام هذا الامر على نحو ما سيأتى ولهذا الاعتبار ذلك فهو تاريخ جديد لانكلتيره لانها استمرت على اصوله وزادتها بارتقاء الى الآن وان اعترت في الاثناء توقفات ومعارضات تارة بقصد شوكة القانون وتارة بتزايد الكبر على كل حال قد ثبتت اصوله وادركتها العقلاء ومرت منهم الى غيرهم لحرية شأن الاصلاح في كل شيء (وحاصل هذا البناء) ان الملك يوحنا المذكور لما تصرف تصرفات اضرت بالمملكة والدولة تعصب اعيان المملكة وفرضوا قانوناً عرف بالشرط الكبير وارغموا الملك قبوله وامضاءه والعمل به وذلك في سنة ١٢١٥ ولم يسعه الا العمل بذلك وملخص هذا الشرط الكبير هو ان الملك التزم في حق نفسه وحق من يأتى بعده بمنح الحرية الى جميع الممالك وان فرض الضرائب على الامة لا يكون الا برضاء مجلس مركب من الاساقفة ورؤسائهم

واهل

وأهل الخطط الدينية والاعيان من الامة أصحاب لقب البارون والكنت والمتوطنين
في الدولة وان ذلك يجرى أيضا فيما اذا اقتضى الحال حمل اعانة مالية على مدينة لندره
مع بقاء حريتها القديمة ومن مجلس الحكم العام لا يلزم ان تقاله الى حيث يثقل المال وان
المكثرين للاراضى لا يلزمهم العقاب المالى لاجل هفواتهم وغاية ما يكون العقاب على
الجناية ولا يؤخذ لاجلها الا ما يزيد على القدر الضرورى للعائلة وهكذا الباعة والسوقة
لا تمس رؤس أموالهم لا تعطل حركاتهم التجارية ولو لجناية وكذلك الفلاحون الذين
تحت تسلط الملاك واصحاب الاملاك لا توضع عليهم ضرائب العقاب عند الذنب الا بقدر
الطاقة بحيث لا تتعطل أشغالهم وان جناياتهم الموجبة لذلك لا تثبت الا بشهادة اثنى عشر
قساما يرضون للشهادة مع اليمين وان يبطل عمل التعذيب بأخذ حيوانات الاهالى
وعجلاتهم لاجل انتقال الملوك وبقصد عبارات كيل الوزن والقيس في سائر المملكة على
عيار لندره وان لا يحبس حق لانسان مطلقا في كل ما يرجع لذاته وماله وعرضه ولو من الملك
الا بمقتضى القانون وحكم المجالس به وان لا يمنع أحد من السفر الى أى مكان اراده برا
وبحرا ولا يمنع من الرجوع متى اراده مع التزام الطاعة على مقتضى القانون (الخ) فمن
تأمل ما لخصناه من تلك الشروط يعلم ما كانت عليه الحالة سابقا مما يناقض الشروط المذكورة
الهائم حتى ان ذلك الملك ابنه هنرى الثالث ودام في الملك ستا وخمسين سنة مع كونه غير
مقيد بالتصرفات وغير مصدق على أول تلك الشروط وزادتا كيدا بالقانون المسمى
بتقرير أكسفورد نسبة الى البلد المذكورة بها وعلم منه ان مجلس البارلمان أى مجتمع
البارونات هو لدى بعض أعيان المتوطنين والحكام الذين يتبدلون في كل سنة ويحرسون
قصور الملك يجتمع ثلاث مرار في السنة زيادة على بقية السنة تحت هيئة مركبة من اثنى
عشر عضوا ينتخبون دائما مع مجلس الملك ويوجدون في كل مقاطعة اربعة أعضاء لقبول
الشكايات من الاعيان والمتوطنين ويعرضونها على البارلمان عند أول اجتماع (الخ)
ثم ولى ادوارد الاول الملقب بذى الساقين سنة ١٢٧٢ ودخلت في مدته بلاد والس تحت
الانكليز وولد ابنه بها فهو أول من لقب بولى العهد برنس دو والس وبرنس دى غال نسبة الى
الى المكان المولود به من الاعيان المذكورين ثم ولى ابنه ادوارد الثانى سنة ١٣٠٧ بعد
حروب طويلة في مدة الملك أفضت بالثانى الى الموت في السجن واستولى بعده ابنه
ادوارد الثالث سنة ١٣٢٧ وهو ابن اثنى عشرة سنة وهو المبتدى لحروب المائة سنة
مع فرانسا بدعوى استحقاق تاجها لانه من ذرية البنات الاقرب من فليب فالوا ملكها

واستولى على كالى وبردو وبايون مع مستعمراتها من فرانسا بعد حروب هائلة وفى مدته
ظهر مذهب البروتستانت الذى انتشأ فى انكلاتيره من رجل داسق متدين بالنصرانية
ولا زال يقوى فيهم هذا المذهب وبحروب مستمرة تارة للديانة وتارة لجور الملوك الى
ان استولى الملك هنرى الرابع سنة ١٤٠٠ وهو اول الملوك من العائلة اللانكسترية
الى دولة ولاية تسمى بهذا الاسم وامتدت الحرب فى ايامه الى ان خلفه ابنه هنرى الخامس
سنة ١٤١٣ الذى هجم وفتح انكلاتيره وفرانسا فتملكهما لانه غلبه وعند موته توج
ابنه فى حضن مرضعته بمدينة باريس بان صاحب مملكته ابن تسعة شهور ولقب هنرى
السادس غير انه ضعيف امره بانقياده لامر زوجته فنشب بينه فانقسمت انكلاتيره الى
قسمين احدهما تابع لهذا الملك والآخر تابع للعائلة السابقة واتخذ الاهالى شعارا
دالا على الشيعة فاتباع الملك شعارهم وردة حمراء والآخرون شعارهم وردة بيضاء ولهذا
سمى حروبهم تلك التى دامت ثلاثين سنة بحروب الوردتين وخرجت فى مدتهم فرانسا
واستقلت وكثرت الحرب عن رجوع الملك الى العائلة السابقة بتمكين ادوقا ثم من الملك
ادورد الرابع الذى تسبب فى ذلك ولم يطل الملك فى مدته وتوفى سنة ١٤٨٣ وعين ابنه
انتزاعه من ابنه الصغير الذى تحت وصايته ثم افضى الامر الى نفسه بقتل الموصى
عليه واخيه وما وسعه سنة ١٤٨٥ متقلبا هنرى السابع واستمر ما ... السيس
ادخال اوسط الدوحة الملكة بان ... الاهالى منه ... مجلس للاوصية
فى هذا اليوم وان تنشر حرب الاهلية مدة طالها ولو ... اجنبى ... امرا حافيما
بقى لانكلاتيره ... بعوض قدره اربعمائة الف ليرة واغتنم من الاموال
... حتى قيل ... الخاصة عشرة ملايين ليرة ...
بعده ابنه هنرى الثامن سنة ١٥٠٩ وكان شديد البطش ... المحكمة
بالاصلاحات التى اجراها وهو اول متمذهب بالمذهب البروتستانت ... له حق
أمر قتل كل من لا يقبله وفى مدته دخلت ارلاندة تحت انكلاتيره وصارت مملكة واحدة
وملك بعده ابنته المتولية بعد اخيها وهى مريم حتى افنت بلدة ... اقتلها اهل ذلك
المذهب بل حرقتهم ايضا وخمدت شوكة القواعد ومجلس البارلمان بعزلها من
مناصبها وتولية من يوافقها ... مدينة كالى من فرانسا ... اتباعها انتصارا
لزوجها ... سنة ١٥٥٨ رفعت الاضطهاد الدينى وزاد
مذهب البروتستانت انتشارا ... الاهالى من الحرية فى ... وحصلوا على

درجات

درجات من التقدم بالصنائع والمعارف ممن هاجر إليهم من ألمانيا وفرانسا وغيرهما من
أهالي المذهب البروتستانت لما وجدوا هناك حريتهم من القتل لهم في أوطانهم وفي
مدتها عرف الشاي عندهم وعرفت الساعات وفي سنة ١٦٠٠ تشكلت كمبنية الهند
التي تمدد بيان أعمالها في الهند وحيث لم يكن لها وارث عهدت إلى أحد قرابتها وهو
ملك اسكوتلاندا المذهب جمس استوارد وبه اتحدت مع انكلترا وهو أول عائلة استوارد
استولى سنة ١٦٠٣ وكانت أيامه في نوع من التقدم لأنه منع الحروب وكان في
مدته أن يحرق مجلس البارلمان عن قصد من البابا فوضع تحته لغما لكنهم فطنوا
له وولي بعده سنة ١٦٢٥ ابنه كارلوس الأول وتفاقم الخلاف بينه وبين الأمة في
حدود سلطته إذ أراد أن يبقى مجلس الأمة المسمى بالبارلمان صوريا وهو يتصرف
كيف يشاء ويجعل المسؤلية على المجلس لاجتماع الأمة وترتيبه فعارضه الناس
عن أغراضه وفي وقت آخرين الأمة كان كل حزب أناسا كانوا على خط مالهم في
معارضته حتى تمادى الخلاف وشهرت الحرب بين الأمة والملك وكان من حزبه أغلب
الأعيان وكبراء البيوتات لما لهم من حظ من إطلاق الملك لأنه كلما أطلقت يده
انطلقت أيديهم أيضا فالحظ يقتسمونه بل يكون لهم منه الأنفس الأوفر حيث أن كلا
منهم مستبد في خصوص مرضاة الملك وهو لا يبالي من الظلم والتعظيم البالغ الذي
يصدره بالأهالي ويصيب إلى الملك جزء من الأموال التي بيدهم أرشاه لأولئك الأفراد
ثم يطلق عنان شهواته في ملايين من الناس على حسب إرادته يتعوض منهم كلما
دفعه من المال والأعمال بل وربما تعدى أعراضهم في أرضهم لما وقع بينهم من الفساد
والقتال فما هو الآن برضى الملك أشد وبعضهم من صدمه بالقتل على أوجه لا تحصى
من الجمهوري بدعوى من لزوم حكم مجالس صورية ثم ما تقبل من الملك وحزبه للعرى
بالقتل وغيرهم أنواع الإضرار وعمل التنكيل بدون القتل كالضرب والسجن
مع أن ذلك كل اثباتا مما الاتصورية على ظاهر الأعين لأنهم لم يقصدوا
القوانين حتى لا تقود العامة وأماله ولي كبر حزب الأمة هو لبعض من الأعيان والكبراء
وجمهور الأوساط والرعاع فأما الباعث لهذا الجمهور على ذلك فهو وضع الأمة هم
موضوع الاعتناء الواقع به المتقدمة وقد كانوا على أوامر السابق ما كانت عليه حالتهم
ثم ما آلت إليه بعد تأسيس القوانين والاحتفاء بها وأما الباعث لبعض الأعيان
والكبراء فربما أشكل مع ما قررناه في حق أعيانهم لكنه في الواقع بين هؤلاء هذا العموم

ماذل ينظر في العواقب ولا يعتني بالبحث عن الاحوال نعلم ان الانحرافات التي تحصل
بالتسلط لا تدوم لانها مآلها الى انقراض الامة وضعفها فتهجم عليها امة اخرى فترديه
وتصير اولئك الاعيان كالسوقة (كما قال تعالى) وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون
ورعايا صدا السوقة وهم الجمهور ذلك لطمعهم بالاستراحة بعد همهم فيه وايضا فان تلك
الزعوفة التي يحصلونها اي الاعيان بتسلطهم مع قلة مدتها هي في نفس الامر غير صافية
لعدم الامن معها وعدم الاطمئنان عليها لما اشرنا اليه من كونها موقوفة على رضاء
شخص تتلاعب به اهواؤه وحاشيته والمقربين اليه بمجرد اعراض شهوانية فيصيرونها
عرضة للاضمحلال متى ما اراد الملك فلا يأمن المقرب من حضرة الملك البعد والاخلاق
فربما غضب على مقربه اليوم الذي كان يرضى به بالامس وايضا الامير ديدنه
مصابات اقرانه وحساده املا في عدم كونهم تجري عليهم مثلما جرت على صاحبهم كما قيل
(من حلقت لحية جاره فليسكب الماء على لحيته) ولهذا انضم القسم حتى عقلاء حاشية
الملك والبعض من رجال الدولة اذ تيقنوا انه لا حرمة لهم في نعم لا امن معها لا على الدم ولا
العرض ولا المال ولا الحريم ولا الذرية فاي نعيم يحصل لهم وهم على شفا جرف هار وكان
مقدام هذا الحزب رجلا من اعيان الانقليز يسمى كرومويل ذا بسطة في المال
والعقل والشجاعة فحرضت حروبهم انكشفت عن خلع الملك وحبسه ثم قتله بحكم
مجلس على انه خائن للامة وابتدأ اولاً برياسة المدينة مدة ثم تلقب بحامل وكان يوم
دخوله بالعسكر منتصرا الى لندره تلقاه الجم الغفير بالهناء والترحيب فقيل له الم تر هذا
الاحتفال من العامة بك ايها الحامي عن تلك الامة وعن ذلك اقسم فقال ان هؤلاء
الرعاع لا يلتفت لا الى تعظيمهم ولا الى تحقيرهم فانهم تبع للغالب اذ لو كان هذا اليوم
اخرجت فيه الى القتل لكانوا اسرعوا الى التفرج على قتلي وجاؤا الى قتالي لا تزويره
يعلم ان تلك الحالة جارية في سائر الامم على السواء اذ هي امة لا تقبل اي قيل في المثل فيما
يجب ان تكون حرة مثل افكاره اذ قال فيم رعيها المذكور ما حصل وبقيت الدولة
الانقليزية جمهورية جمع سنين الى وفاة الجنرال المذكور واستيلاء ابنه من بعده
واستعفائه في مدة قليلة ورجوع ابن الملك السابق سنة ١٦٦٠ واسمه كارلوس الثاني
وسار على نحو ما كان يريد ابوه وخرق سياج القانون باستبداده على البرلمان متستراً
باقامة خمسة من اكابر الاعيان لتدبير الامور ونفذها بدون مراجعة لندره وحارب
هلانده واخذ منها مدينة نيورك من امريكا ثم عقد معاهدة مع لويز الرابع عشر على

فرانسا

فرانسا ثم اتحد مع فرانسا على هلانده ثم جمع للندوة وبقى مضطربا الى ان مات وخلفه
اخوه جاك سنة ١٦٨٥ فزاد الامر ارتباكا من ايثاره للمذهب الكاثوليكى الى ان خلع
ونودى باحد امراء هولانده المتزوج بابنة ملك انكلاتره الاسبق واقب بوليم الثالث سنة
١٦٨٩ فاحيا اجراء القوانين وراتب شارة الندوة وارتاح فى نفسه حتى لقب بالصياد
لاشتغاله براحته وحبه الانفراد بما هنالك من السياسة ودائرة المملكة وزادت الندوة
احكاما فى شروط القوانين منها ان لا يتولى تخت الملك الا من كان على مذهب البروتستانت
واحتاجت الدولة الى اموال للاصلاح وادامتها فى ايامه فاستقرضت من الاهالى وهو اول
دين على الدولة وتشكل لاجله بنك انكلاتره اى محل اجتماع الاموال من الناس كثيرين
لاجل الشركة فى التجارة بذلك المال او لاجل ان يقرض المال على شروط وذلك البنك هو
المعروف الى الآن وذلك سنة ١٦٩٤ وهو اول على اجراء القوانين بعدم غصب الاموال
من الرعية وترقت المملكة فى ايامه باتساع المتاجر وزيادة من هاجر اليها من فرانسا
لاجل ما وقع سابقا من الاضطهاد المذهبى ثم خلفه الملكة حنة سنة ١٧٠٢ وفى مدتها
استولت انكلاتره على جبل طارق من اسبانيا وشدت الحرب مع فرانسا وكان من اعظم
امرائها مارلبوره وانضمت انكلاتره الى سكوتلاندا وهولانده ثم انقرضت العائلة الستوارتية تلك
المالكة ولم يكن منهم من تتوفر فيه الشروط فنودى لاجل ذلك باحد امراء العائلة وهو امير من
الهانوفر من المانيا ولقب بجورج الاول سنة ١٧١٤ وهو اصل العائلة الموجودة الآن
واستقرار امره بعد حروب مع من فى سالف الارادة من العائلة السابقة كاثوليكيا
وبعد استقرار جورج المذكور لم يمكن فى انكلاتره ما يلزم لبلاده والتصرف
بيد الوزراء ولذا وقع ثم خلفه ابنه جورج الثانى سنة ١٧٢٧ ونشأت فى مدته عدة حروب
منها الداخلية لاجل اهل من بقايا العائلة السابقة ولم ينجحوا (ومنها) الخارجية فواقعها
مع فرانسا حيث كانت الحرب قائمة بين اوروبه والروسيا والنمسا لاجل الاستيلاء على
بولونيا وكانت فرانسا ضد اوروبا معاضدة لخصومها فقامت انكلاتره بروسيا لاجل
زيادة اشغال فرانسا لما حدث فرانسا الخائب فوقها من مستعمراتها بامريكا لتقوية
نفسها فى اوروبا وعند ذلك هجمت انكلاتره على ما لفرانسا من امريكا وضمته الى
ممتلكاتها حتى صار لها ذلك جميع ما لها الآن فى امريكا مع جميع الممالك المتحدة
الآن وذلك بعد حروب هائلة ثم خلفه ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ واستقلت فى
مدته امريكا اعنى الدول المتحدة وذلك لان دولة الانكليز لما اشتدت املاكهم هنالك

وتكاثرت فيها الخلق المهاجرون المهاجرة في الغنى فيها من خصب واتساع الاراضي
الجديدة تحت الدولة ثم انها تركت الى الاباء وحملة عليهم ولاة انكليزيين هم
احق بانهم مستبدين في التصرف فحصل ظلم للاهالي فاشتكوا امرهم الى الدولة وبينوا
لها عمالهم فمراتهم واولئك ولاة من الاهالي ما نجبهم عمران الانتخاب لم يكن حقا
بالرضى ولذلك اتفق هؤلاء لولا اترابهم الاديم فشكى الحقد على الدولة ثم زادت
عليهم الضرائب لما رأت من غناهم فقرروا [illegible] حتى [illegible] الجمع [illegible] ولا [illegible] ان
تجرى فيهم ضريبة الورق المختوم في صكوك تجمع فساعدتهم الدولة لكن اهاجتهم غيرها
فعقدوا اجتماعا [illegible] واعلنوا الحرب الاستقلال تحت راية جورج وشنطون سنة ١٧٧٦
واعانتهم فرانسا واسبانيا وهولندا لما لهم على انكلاتيرة من الصدق الحربية
ودامت الحرب الى سنة ١٧٨٣ التي عقد فيها الصلح بباريس على ان ترجع انكلاتيرة لفرانسا
الاراضي التي نالتها بافريقية وترجع الى اسبانيا [illegible] وعلى ان
تستقل الممالك المتحدة بامريكا [illegible] الحروب في مدة جورج الثالث
المذكور مع فرانسا وعلى راسها نابوليون الاول واشتهرت اذ ذاك انكلاتيرة بالقوة
البحرية والمهارة في حروبها البحرية لما ظهر الاميرال نيلسون من البراعة والشجاعة
في مواقعه المتجاوزة على الحد [illegible] واشهرها هجومه على حصون كوبنهاك
قاعدة الدانيمرك مع ان قسم الكبير من الاسطول لم يدخل معه في المضائق و[illegible]
هو عن تحت امرته من الاسطول عندما رآه الاميرال الكبير قصده ان يرجع من سفنه اشار
اليه بالرجوع ولكن هو اعرض لما حصرت اشارة حمل الطارة على عدوه وقال
اني لم ارتشها [illegible] ولا في [illegible] الى ان غلب عدوه واجرى شروطا لما اراد
ومع هذا الانتصار حكم عليه امجلس الحرب بالعقاب لمخالفته الامر وقد مات ذلك الاميرال
في حرب سنة ١٨٠٥ ضد فرانسا واسبانيا وكانت هزيمة الروسي [illegible] وعشرين
فاقترب من [illegible] الى ان اصابته رصاصة تمزقها
للنزع وكان ينتظر البشارة بالانتصار وبعد وبانتهاء [illegible] قبل الموت بساعة دخل عليه لابسه
قريب من ساعته ويبشره بالانتصار فقال كم غنمنا من السفن قال اظن اربع عشرة او خمس
عشرة لا فال [illegible] الفدوم [illegible] الانتصار قبل عدمه فقال لكني كنت اشترط
على نفسي ان تكون عشرين ثم قضى نحبه وقد دام الملك جورج الثالث في الملك ستين
سنة لكن كان في اغلبها لا يتصرف في شيء بل لا بد له من مصالح الملك لاختلال في

عقله

عقله ولذلك جعل له ابنه ولي عهد نائبا عنه في حدود سنة ١٨٠٤ ، ثم توفي ذلك الملك سنة
١٨٢٠ ومع ما حصل في مدته من خروج الممالك والحروب فإن انكلاتيرة تقدمت
فيها خطوة وسيعة في التمدن واتساع التجارة والقوة حتى وصلت إلى الدرجة القصوى فإنها
أحدثت في ظرف أربعين سنة مائة وخمسين ترعة وتكاثرت فيها معامل القطن
والصوف التي نفعها حتى رجحت صنائعها على سائر ما في غيرها رخصها وإتقانها وأكثرت
واستملكت سيلان ومالطا وغيرهما وتقدمت فيها المعارف والتآليف إلى نحو ما هي عليه
الآن واستفادت حكمة سياسية علمت بها كيف تدير مستعمراتها الواسعة في سائر
أقطار العالم وحملت على قهر امبراطور نابليون وغيره واستعدت لإدارة الدولة
بغير نزاع ولا دسائس ولذلك صار يضرب المثل عندهم بأن حرية انكلاتيرة عامة ثم
جاء في مدة ملكهم المجنون وخلفه ابنه جورج الرابع وفي أيامه وقع الغدر في أسطول
الدولة العثمانية من أسطول انكلاتيرة المترئس على أساطيل الدول في تظاهرهم على
طلب تسليم الدولة العثمانية لليونان بالاستقلال من غير إعلان بالحرب فاتحدت
الأساطيل ما بين أسطولها المركب من سفنها وسفن مصر وطرابلس وتونس والجزائر
وهم على اطمئنان السلم والأمن فأطلقت عليهم النيران دفعة واحدة بحيث لم يبق
منهم باقية غدرا وشناعة لا تمحى وصورة ذلك على خصوص الانكليز لأنهم هم
الذين بيدهم أمر جميع الأساطيل الدولية وعندما عمت الشدة الانكليزية بفظاعة
الواقعة هاجوا وماجوا وأبرموا حكم رئيس الأساطيل وحكم عليه مجلس حربي
بالقتل مع دفاع وزير البحرية بكل ما أمكن من الاعتذار وتلمس دعوى بأن إحدى
السفن العثمانية أطلقت النار عليهم ولم يجد كل ذلك شيئا وعندما تحقق الرئيس الحكم
عليه بالقتل أظهر إلى وزير البحرية التذكرة التي بخطه في الأمر بإحراق الأسطول
العثماني فدعي أن يحرقها ويعمل مثل ما أمر (وحينئذ) تحول الناس إلى جلسة سرية ثم
أطلق الرئيس وسيأتي في الكلام على الدولة العثمانية الباعث على ذلك التحامل على
المسلمين وما آلت إليه الديانة في سياسة الدول الكبيرة في الخارج ايضا كسياستهم في
الداخلية ثم ورث ملكه وليم الرابع سنة ١٨٣٠ وزاد القانون في أيامه تمهيدا
وتعودوا أول سكة حديدية أنشئت في أول مدته من ولايته وألزمت الدولة عتق العبيد
في الهند وعوضت أصحابهم أثمانهم وكانت نحو عشرين مليون ليرة واحتدت انكلاتيرة
على عتق العبيد في سائر الأقطار ترغيبا وترهيبا لأهلها ولا زالت على ذلك إلى الآن ثم

ورثته الملكة ويكتوريا سنة ١٨٣٧ وهي الملكة الحالية واعانت الدولة العثمانية على اخضاع مصر واسترجاع الشام منها وعلى حرب القريم ثم حاربت الروسيا وآلت الحرب الى معاهدة باريس وحاربت الصين بالاتحاد مع فرانسا واخمدت الهند من الثورة الهائلة بمعاضدة افغانستان وخرج الهند من وقتئذ من تحت الشركة التجارية الى الحكومة السياسية كما ربة المقدمة وتلقبت بامبراطورة الهند ثم استولت على الافغانستان ثم جعلتها مستقلة تحت نظارتها بعد اخذ اجزاء منها وحاربت الزولو من بلاد الكفر ناقر وفيها ثم صارت تلك المملكة تحت نظارتها وتداخلت في حرب الروسيا مع الدولة العثمانية عند عقد الصلح الى ان افضى الى معاهدة برلين مع زيادة التقدم والترقي في داخلية المملكة الانكليزية

﴿مطلب في السياسة الداخلية بانكلاتيره﴾ (اعلم) ان السياسة المستقرة الآن ان استقرت من سنة ١٨٣٢ واما اصولها فقديمة كما اشرنا اليه في التاريخ وهاته السياسة مبنية على اعتبار تساوي الملك ونفوذ الاعيان واحتساب الاواسط من الناس فكل من السلطات الثلاث مرتبطة ببعضها وينشأ منها ادارة المملكة بما يرضي الجميع ولا يتجاوز كل منهم حدوده بما يضر بغيره ولهذا كانت قوانين الانكليز على نوع مباين لبقية ادارات الاوروباويين من حيث الاشتراك في السلطة وعدم التساوي بين طبقات الرعية في الاعتبار ونيل الرتب مع ابالة الرعية غاية الحرية والامن وتفصيل هاته الادارة وعلل ارتباطها واطرادها قد تكفل به كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك لخير الدين باشا التونسي بما به يعجب طوارهم وعلا همم فليرجع اليه من اراد البيان

وانما نقتصر هنا على الالمام بكليات لا بد منها (فنقول اما القسم الاول) من ذوي السلطة فهو الملك وله حدود مضبوطة بقوانين من اهمها ان الملك وارث في ذرية الملك الذي هو من عائلة هانوفر من البكر لبكره والانثى تستحق ذلك على شرط ان لا يوجد لها اخ ذكر والا فهو احق بالتقديم وان كان اصغر منها (ومنها) التزام مذهب البروتستانت (ومنها) ما اقتضى هذا القانون من حرمان التاج الانكليزي من له ملك او ارض بمملكة اخرى فان الامة لا يلزمها الدفاع عن ذلك مثل ما يلزمها فيما يرجع الى الانكليزية ما لم ترض بذلك الدولة (ومنها) ان رياسة الديانة للملك بحيث يوظف مناصبها مثل ما يوظف المناصب السياسية (ومنها) رياسة سائر القوات والصلح والحرب لكن ذلك كما هو في ملك ايطاليا (ومنها) تلقبه بملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند حتى يقول في

طالملك كانت الرعية مقصورية فلان سنة ١٨٠١ تسمى ملك المملكة المتحدة من بريطانيا
العظمى وارلانده وامبراطور الهند حاميا عن العقيدة تاج والتلقب بامبراطور الهند حدث
سنة ١٢٩٣ بالتصاق الجالس وقوله حاميا عن العقيدة اشارة الى رياسته الدينية (ومنها)
ان اجراء كل حق للملك فى التصرف انما يكون بواسطة رؤساء متوظفيه وهم وسائط
الاساقفة والوزراء (واما القسم الثانى) وهو واسطة الاعيان وهؤلاء الاعيان هم الملقبون
باللوردات وبالقرناء حسبما فى مبحث لهولانده خصوصياتهم وامتيازاتهم والذى يتعلق
بهم هنا انه يتركب منهم مجلس اللوردات المشتمل (على) رؤساء الديانة (وعلى) عائلة
الملك (وعلى) سائر لوردات انكلاتيرا (وعلى) ستة عشر لوردا من لوردات اسكوتسيا
(وعلى) اربعة لوردات من لوردات ارلانده ولوردات المملكتين الاخريين ينتخبون من
امثالهم فى اقاليمهم لدلالة اهل مدة حياتهم ويناط بهذا المجلس سائر الاحتساب على
التصرفات وانشاء القوانين وتغيير العادات والحكم فى المتوظفين بحيث لا يصدر عن
الدولة شئ لا يرضاه وليس لاعضاء هذا المجلس مرتب وعددهم غير محصور وربما
قد يبلغون نحو خمسمائة ولاعضائه اعطاء الرأى فيه بالمباشرة او بارساله مع احد
امثالهم كافة والوزراء ينتخبون من هذا المجلس ومن مجلس النواب والملك انما ينتخب
رئيسهم فقط وهو ينتخب بقية الوزراء كما فى بقية اوروبا وعدد الوزراء تسعة الرئيس
وهو وزير المال فى الاغلب ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير الهند
ووزير المستعمرات ووزير رياسة المجلس الخاص ووزير الحرب ولورد قاضى القضاة
وهو رئيس مجلس اللوردات ومعطى الحكم بقانونية ولورد الخاتمات وهؤلاء
الوزراء هم المباشرون لسائر اعمال الدولة بعد اذن الملك وليس له عزلهم الا اذا اوقفته
اغلبية الندوة فحينئذ يستبدلهم بغيرهم وهؤلاء الوزراء يضم اليهم الملك اعضاء من
بقية اللوردات فيتشكل منهم مجلس الملك الخاص ورؤساء ادارات الوزارات ولا يزيد
مرتب الوزير عن مائتين وخمسين الف فرنك فى السنة (ومنهم) من له نصف ذلك فقط
ووظيفة هذا المجلس الخاص التدبير فى اجراآت الاعمال كما ان من حقوق الاعيان
ان يكون منهم حكام الولايات كل ولاية حاكمها من لورد ثم وليس للملك عزل احد
منهم من مرتبته اللوردية (ومنهم) ايضا اعضاء مجالس العليا فى الولايات التى لها
التصرف الكلى

﴿واما القسم الثالث وهو واسطة الاواسط﴾ فهى بانتخاب الاهالى منهم نوابا عنهم

مجلس النواب للاحتساب على تصرفات الدولة وحماية حقوق السكان وما يستقر
عليه رأيهم يجرى اذا وافقهم مجلس اللوردات كما أنه يسوغ للملك أن ينتخب من هذا
المجلس رئيس الوزراء ولهذا انتخب بعض الوزراء من بقية أعضاء هذا المجلس
ومدة انتخابهم لاعضاء المجلس سبع سنين ونواب العموم يكونون من غير محكوم
عليهم بما يشين العرض ذا دخل من أملاك فى المملكة غير منقولة يبلغ مائتين وخمسين
فرنكا أو صاحب معارف له اجازة فيها من المدارس العلمية ولهذا انحصر هذا
الانتخاب فى أواسط الناس ولم يكن للأسافل فيه حظ وعدد أعضاء هذا المجلس
نائب واحد على العشرين الف نفس من السكان وكان عددهم يتردد فى زهاء
سبعمائة ومجموع هذا المجلس مع مجلس الاعيان هو المسمى بالقمرة أى الندوة
والتهامها دائرة لا تعطل فى الداخلية والخارجية ومن اصولها ان ميزان المال ليس
بجامد على حالة واحدة دائما بمعنى أنه اذا كان الدخل الموضوع يوفى بمصاريفها
لسنة ويحصل منه باق فالأصل فى الجزية أو يشترى به من ديون الدولة واذا كان لا يوفى
يزاد فى الضرائب الى أن يقع التسديد كما هو جار فى الممالك الاخرى بل قاعدة الانكليز
هى عمل الميزان فى كل عام بمجرده نظرا الى مقدار اللازم من المصاريف وعلى مقتضاه
يعمل الدخل بحيث لا يكون للدولة فاضل ومن الاصول أيضا اعطاء الحرية لكل فرد
وجماعة فى عرض أفكارهم بأن يتكلموا فى السياسة بما هو الصواب وتصرفات المتوظفين
مصالحا واعلان آرائهم بالقدح أو بالمدح فى الصحف وفى مجامع الناس ولهم الاستدعاء
الى الاجتماع ولو اجتمع ملايين من الخلق من غير أن يتعرض لهم أحد بشئ ومن الاصول
أيضا التى استقرت الآن أنه تنشأ فى الامة حزبان (أحدهما) يسمى حزب المحافظين
يعنى أنه يريد التحفظ على القوانين الموجودة الجارى عليها فى الداخلية والمساعدة على
ترك ما يساعدها فى الخارجية وأن لا يتغير شئ الا ما تدعو اليه الضرورة (والحزب
الثانى) يسمى حزب الحرية يعنى أنه يريد زيادة اطلاق الحرية فى الداخلية وفى كل
الممالك ويساعد على قيام عروق الحرية فى أى جهة كانت عما تقتضيه حال الانكليز
ولكل من الحزبين جرائد مشهورة يعبرون بها عما يقولون ويكتبون للانتصار وتشتمل عليهم
المدد ونوع ممالات أكثر بحيث لا يكاد أحد الحزبين وحده أن يكون الوزارة مركبة
من أعضاء ذلك الحزب فلا تزال تدور الدولة بينهم ومن لازمها انه كلما تغيرت الوزارة
يتغير معها سائر المأمورين الذين عليهم مدار الاعمال ولو من علائق ذات الملك فان كاتب

سره

عمره وحواشيه الذين يخدمونه بما يتعلق بتصرفات الدولة يلزم تبدلهم بانصرام
الوزارة خشية من نفوذ أمرائه اصدقاؤهم لوشاية أو الترقي من جهة ما يتعلق بالملك
مما يضر بالاحرار وينشأ عن هذا عدم ثبات السياسة الخارجية على طريق واحد داعي
في الآراء انتقال المملكة بدل وزارة وان كانت كل وزارة تراعي أصل ما سبقته
بقية الكنه تغير به معنى لا به شيء فلا يحصل الاعتماد عليه من الخارج ومن الاصول
أيضا ان خدمة العسكرية لا يدخل اليها بالغصب أو بالقرعة وانما هي بالاختيار ان
رغب فيها ولهذا تجد في عساكر الانكليز في الحرب كثيرا من الاجانب لرغبتهم في
المال لديهم بل انهم في هذا الوقت الحرب خارج المملكة انما اهتمامهم بالعدو المالكة
وجب على كل الاهالي الدخول في سلك العسكرية على قانون لهم في ذلك حتى ان السلطان
اراد به من الدخول في ذلك والمن من التعلم وكذلك العساكر الارضية خارج المملكة
يدخل اليها بالاختيار وهي عدا الضابطة التي تلزم أهالي كل جهة ومن أهم اصولها
أن لا ينتقض الا بعقب اداء الشهادة حتى يكون كلامه حجة على الجاني وذلك
من الاصول المانعة في اوروباوية قرار الراحة لان حرمة الضابطة ونفوذهم
من أهم الوسائط المؤدية وهي أهم ما ينبغي بها ومن أصول الانكليز أن لا يولى
المراتب السامية في الدولة الا من كان على مذهب الكنيسة البروتستانت وتأمل في هذا
مع ما يأتي ان شاء الله في أحوال تداخلهم في بلاد الاسلام بدعوى الحرية ومن عاداتهم
قبول جاه العامة منهم والاعيان في توظف مصادرهم واقرارهم اذا لم يكن فيه شيء من
الاهلية مع امكان عمره وان كان أحق من يقدم ومن ذلك رتب العسكرية فلا تنال
الا للاعيان والعامة والافراد العسكرية لا يستحقون ذلك مهما فعلوا غير انه قد
منذ سنة ١٢٨٩ هـ ١٧٧١ م ابطل اشتراء رتب العسكرية من ملازم الى امير الالاي
بأمر من الملكة حيث ذا اصل اشتراء ذلك كان بأمر من الملك لا قانون واعتاد لذلك
كثيرون نفوذهم لكن المصلحة غلبت وصارت رتب العسكرية لا تنال
الا بالاستحقاق في المعرفة وبهذا التدبير العسكري لم تلك السلطة وان كانت
المدونة بناء على حق قديم لهم مع موافقة لوزارته

﴿ بحث ادارة الولايات ﴾ قد تقدم في صدر بيان أنها تنقسم الى نحو وغيرها من ولاية
وهاته الولايات فيها مدن ذات خصوصية بالامتياز بالشرف حسب عوائد قديمة ومدن
كبيرة استحقت بكثرة سكانها أن تسمى مصوا اكثر في المدونة ومدن بمكرماء ان

من كبراء بلادهم ومدن وقرى نائبة عن الامتيازات المذكورة (فاما) الانواع الثلاثة
الاول فان لها ادارة خاصة لا تدخل في عموم الولايات التي هي بها (واما) النوع
الرابع فهو مشمول بادارة عموم الولاية (والحاصل) في ادارة عموم الولاية هو انها راجعة
الى الوالي العام على الولاية وهو واحد اللوردات المتحصل على عضوية الندوة بنفسه المالك
لذلك وليس له مرتب على هذه الوظيفة وهو ينتخب نائبا من اهل الولاية من الاعيان
ايضا لاعانته ويوظفهم له الوزير الملقب بقاضي القضاة وليس لهم مرتب ايضا ومدار
اعمالهم حفظ الراحة ورياسة العساكر المحافظة والتطرق لاعمال العسكرية
ولهم ايضا رجع الاحكام الشخصية والتصرف في مصالح الولاية الادارية وحفظ
الطرق وانشائها الى غير ذلك من المصالح كما هو دأب الادارة من الاصناف الثلاثة
المذكورة سابقا (ومنها) مدينة لندرة بان يكون لها مجلس ورئيس المجلس
البلدي الذي اعضاؤه من الاهالي المنتخبين منهم وانتخاب رئيسه من احد
اعضائه كل سنة ولا مرتب له ووظائف المجالس البلدية مرجع جميع المصالح المتعلقة
بالبلد ومنها ادارة الضابطية ولا دخل للدولة فيها ابدا وعلى رؤساء هذه المجالس ايضا
الاحتساب على كيفية انتخاب اعضاء مجلس النواب فيباشرون نظرهم الى ان يكون
الانتخاب موافقا للاصول وهو الذي يرأس جمعية الانتخاب ويتصرف في الاحكام
الشخصية كتصرف قضاة الصلح الآتي بيانهم ويوم تولية رئيس هذا المجلس
الذي هو شيخ البلد يكون في لندرة موكب حافل من اعظم المواكب وله من الاحترام
والتوقير كالامراء الملوك ثم ان مستوظفي الديانة في كل الجهات هم مرجع من يزداد
او يموت وهم المكلفون بحفظ الكنائس والمقابر والفقراء والطرقات ايضا واعانة
الضابطية عند الحاجة هذا (واما) الاحكام الشخصية فان لها ادارة مخصوصة
رئيسها اللورد قاضي القضاة الذي هو رئيس ندوة اللوردات ثم نائبه ثم اللوردات قضاة
المجالس العليا في الجهات الكبرى ثم حكام مجالس الولايات ومجالس الضابطية وكل
هؤلاء لهم مرتب وهناك حكام الصلح الكثيرة لا مرتب لهم وكذلك احكام تجري على نحو
الممالك التي تقدم ذكرها غير ان الامر الذي انفردت به انكلاترة هو ان احكامها
لا تستند الى قانون خاص فتعسر بذلك اصعب الشرائع لانها تستند الى مجموع اشياء وهي
ما يوجد من القوانين في بعض امور وما يوجد في احكام سابقة صدرت من مجالس
الاحكام القديمة وما في احكام الرومان وما يقع عليه اجتهاد اصحاب الاجتهاد وهم

اللوردات

اللوردات أهل المجالس العليا وقاضى القضاة وقرنائه وعلماء الاحكام وهم المسمون بالابوكاتو فلذلك كان علماء الاحكام من أشهر الناس وأوجههم ومن غريب عادات المملكة انه اذا حدثت نازلة ووجد حكمها فى احدى تلك الاصول لكن اصحاب اجتهادهم ظهر لهم ان المصلحة الوقتية تقتضى بخلاف تلك الاحكام لاختلاف الزمان فانهم يجرون اجتهادهم لكنهم لا يجعلونه ناسخا للسابق بل يبقى السابق ويبقى الحادث حتى تكون الاصول متناقضة ويبقى لاهل الاختيار عندهم الخيرة وبذلك يعلم مقدار النفوذ والسلطة للطبقة العليا من الناس عندهم لانهم هم الذين يكون منهم اهل الاختيار كما علمته فلما اعترض بعضهم على احكام المذاهب بمناقضتها خلاف الاصول فى كتب الفقه مع جريان الفتوى فى القضاء بما يوجب لهم التحرز من الدخول تحت الاحكام الغير معلومة للمحكوم عليه لان ذلك لاعتراض على بعض اسلافه كما هو ذوق عندهم اعظم عيب يرمون به علينا ثم ان الاحكام المذكورة لما ترتب فى حقيقتها من مجالس ورؤساء المحاكم لاجل الخفيف منها والثقيل وما يرجع الى المعاملات وما يرجع الى الجنايات فالخفيف لا يخفى التحقيق الا اذا حصل علم وقع فيه الاحتساب العام واما الثقيل فينقل الى مجالس تحققه الى ان ينتهى الى المجلس الاعلى باعتبار حيث كانت المرتبة فوقه والاحتساب فى رفع الظلم فلكل كل احد رفعه الى مجالس الاحتساب ولو كان فى حق غيره مع اباحة نشر النوازل والافكار فى صحف المرتبة وفى اعلانات ومطبوعات تنشر متى ما اراد المشهور فى مجامع عمومية علنية كان التعدى على الحقوق من اصعب الامور عندهم

(فى بعض ادارة مستعمرات الانكليز) اعلم ان الانكليز عندهم اتساع مستعمراتهم فى مشارق الارض ومغاربها شيئين (احدهما) حسن انتظامهم فى داخليتهم المؤدى الى القوة الحربية (وثانيهما) حسن الادارة المذكور عليه بالنسبة لغيرهم من الدول مع ان خروج امريكا من يد استعمارهم من ذلك الاسباب والبواعث الموجبة للاعتبار منهم باستقرارهم انهم فى كل جهة من المستعمرات يجعلون مركز الوجود فيه مركزا لهم ويجعلون بها نائبا من ثقات اعيانهم مقيد التصرف بالشورى مع اعضاء منهم ومن اهالى المستعمرة يرجع الى هذا النائب الذى هو الحاكم فى تلك الجهة الامور الكلية من الادارة السياسية واما بقية الجزئيات والاحكام والسيرة فانها تفوض للاهالى يجرون على حسب عقائدهم وعاداتهم واحكامهم وكذلك الاداء المرتب

الحكومة وكيفية استقلاله ونزوعه الى غير ذلك من غير تداخل الانكليز معهم في شيء
سوى انهم بعث ترجمانا عليهم ابطال المظالم والتعدي على بعضهم وابطال بعض العوائد
القبيحة بالقتل راجعة الى علم لفركاحرق الاحياء انفسهن بموت من قرابتهم او دفن ثم
وكسر رقاب الناس لاجل ذلك او ذبحهم ... وللخلاص منه جمهور الاهالي ويبقى
الحاكم الانكليزي يحاسبه مرة في الثلاث السنوات وانما الانكليز والاهالي حتى ان اعظم
مستعمراتهم الان وهو الهند له حكومة مخصوصة كما تقدم في المقدمة واعظم الوظائف
فيه هو الحاكم العام وهو انكليزي لكن ثاني رتبة منه وهو قاضي القضاة هو من
اهلها الاصليين وجميع احكام الهند راجعة اليه ومرتبه سنويا اربعة عشر الف لبرة
انكليزية وهو على ذلك المنوال بغيره لا ورود دخل تلك الحكومة خاص بها الا ما اخذ منه
الدولة الانكليزية شيئا وصار به كما اراده الى حكومة الهند وعلى ما اذا حدث
حرب حوار الهند مع حكومة اعانتها الدولة الانكليزية على مصروف محرب او ود النفع
اليها او لهما بل ربما حمل اكثر المصروف عليها كما وقع منذ قريب في حرب الافغانستان
كان انكلترة تستمد من عساكر الهند دخولهم في امرها عند الحاجة اذا حدث
حرب مع دولة اخرى وكثيرا ما تبقى لهما الالتفات على حالتها لملوكها وامرائها وعمالها عليهم
بمجرد المراقبة والحماية وتلزم الملوك باجراء العدل في عمالتهم واجراء الشورى وبذلك
يحصل خير للعموم اليها (فان قيل) اذا كان الامر كذا كما ذكر فاي فائدة للانكليز في هذه
المستعمرات سوى تشويش البال وصرف الاموال في الحماية او الثورات (فالجواب)
ان فائدتهم عظيمة من وجوه (اولها) وهو اهمها رواج التجارة الانكليزية فان مائتي
مليون من الخلق لا يعولون الا في السلع والبضائع الانكليزية وهذه من الاهمية مالا يخفى
وثانيها بقية الاهالي اما ان تتمتع بالوظائف بها لمن عظم همم لتفرق في تلك
المستعمرات او يدخل منها مالا وجوده عند الانكليز مما هو حاجي فاما المصانع
الانكليزية فقد حصل منها من الادوات تيسير لهم بصناعة ولا نقص لهم ما يقبضه
ثلاثون مليونا من الانكليز الصغار يكونون معتمدين على رواجه في مستعمراتهم
كل على قدر احتياجه او زيادة عن لوازمه الاعتيادية وكفى بذلك غنى للامة الانكليزية
واي فائدة اعظم لها من ذلك ويدل ذلك مثلا الهند وان مستعمرة الهند وحدها كانت قيمة التجارة
الصادرة والواردة اليها في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون
فرنك يخص الانكليز وحدهم منها ألفان واثنان مليونا والباقي مع سائر الممالك واعلاها

الصين

الصين فهذا مستعمر الهند وحده راجت تجارتهم فيه بذلك المقدار وليقس عليه غيره
(وثاني الفوائد) اشتغال معلميهم في الفنون والصنائع في تلك المستعمرات الواسعة
الكثيرة السكان بما يعلمونه للاهالي على وجه الارشاد والتعليم والتأديب عن طيب
نفس منهم من المكاتب والمعامل وطرق الحديد وغير ذلك (وثالث الفوائد) عمور
الاراضي الخالية عن السكان وتعميرها باهالي انكلاتره الذين ضاقت بهم جزائرهم
فصاروا يهاجرون منها الى كل الآفاق التي تتيسر لهم بها المعيشة والعمل فيهاجرون الى
مستعمراتهم أولى لهم حتى تنشأ منهم دولة جديدة كما وقع بالعمل في دول امريكا المتحدة
اذ غالب اهلها اصلهم انكليز وكذلك ما هو حاصل الآن في استراليا (ورابع
فوائدهم) القوة الحربية التي تتصرف فيها انكلاتره من عساكر تلك المستعمرات مع ان
المصاريف على العساكر من دخل المستعمرات فهم بذلك من قوة الانكليز حتى ان
عساكر الهند الذين تحت امرة اصناف عساكرها المتعددة فهاته الفوائد
اعظم واضح لامة الانكليز من اخذهم ضريبة على سكان المستعمرات نحو حملهم الى
الحقد والثورة عليهم كما وقع في امريكا وايدهم ايضا من جهة السياسة هاته النفوذ
والرفعة والوقار الحاصل للانكليز في جميع جهات المعمورة ليس بحاصل لاي دولة
كانت اروباوية وذلك ابين للانكليز من ان يعدو الفا او عشرة آلاف منهم باطلاق
التصرف في احد المستعمرات فيكون اهلها تحت قبضتهم ويديرون فيهم قانون
الانكليز بالعدل ويوفون فيهم من قضاتهم ويعبرون عن ندمهم وشرائعهم لما يلزم
لذلك من مصاريف تكثير القوات وكون الهند في المستعبدين حتى ينتهزوا الفرصة لفك
قيودهم متى ما سنحت الفرصة وعدل هاته السياسة ومجاراة الاهالي في مقاصدهم
وعاداتهم واحكامهم وكبرائهم وحدة نتيجتهم تيسر لها امتداد المستعمرات واتساعها وطول
بقائها دائمة بدون كثرة مصاريف فان الهند الذي هو اعظم المستعمرات وفيه من
السكان ما ينيف عن مائة وستين مليونا انما تضبطه دولة الانكليز بعشرين الف
عسكري انكليزي فقط وان كانت حكومة الهند لها نحو ثلاثمائة الف من العساكر
تحت السلاح لكنهم كلهم من الاهالي ماعدا العشرين الفا المذكورة وذلك ما خلا
ما للملوك والامراء المستقلين بالادارة في الهند من العساكر والقوات وما ذاك الا بمجاراة
الاهالي بما لا يغيرهم مع اجراء العدل بينهم والزام امرائهم وملوكهم بذلك وحريتهم في سائر
اطوارهم حتى انها تعظم لهم شعائرهم الدينية كما يعظمونها في انفسهم ما لم تكن مثلا

تعلق لهم المدافع فى أعيادهم وتمنعهم من الاشتغال فى المواسم وتعزف الموسيقى
العسكرية فى أعيادهم وكذلك تعمل مع المجوس وتصرف على جميع أموال الأباهمة فى
المعابد وأهل الديانة من دخل الهنود فى عيد الفاجور الكوكو فى نهر المدعو
أهل الأمر والحكم من الانكليز ويأخذون ذلك بحور من أيدى الحكومة بالقوة فى
النهر مراعاة للأهالى (وحينئذ) تنشر الرايات وتطلق المدافع من الأبرج والسبب فى هذا
فالبلاد التى تحت ادارتهم أبقاها أصلا عن البلاد المستقلة بالادارة فالأهالى يوازنون بينها
فانهم من حالة الاستقلال وما هم عليه من المنافع التى لم تكن حاصلة اليهم مع موازنة
المشقات والأهوال الحاصلة لهم من علان الثورة لان الانكليز أيقنوا قلوبهم فهمة
غليظة عند الثورة يعزون بالقطع التى تقشعر منها جلود السامعين ويقول القائل أين
القدس ورحمة الانسانية والشفقة التى يدعون بها التنويه بهما وما هى الا سواد على
بياض يأمرون بما عبرهم ولا يرون من نهاتيج ما يعملونه من الغدر باغراء أقسام
الأهالى للانقسام وبذل الأموال العظيمة فى ذلك فاذا حصل الانقسام وقع الانتقام من
الكل على التدريج وربما حصل من بعض الأقسام أشد مما يحصل من نفس
الانكليز فلذلك آثرت أهالى المستعمرات السكون والرضى بما هو عليه ومقتضى
ثمرة ذلك بقدر الامكان بل ان بعضهم يكتم دولة الانكليز من الاستقلال وأعانت لهم
بذلك ورضوا هم قبوله خوفا من تسلط غيرها عليهم أحدهم وربما يعاملهم التساهل بما
لم يعاملهم به الانكليز يومئذ ما وقع فى جهة من جهات الهند نحو من خمس ... يروبع
مامر فقل ما يعلم وقت عن حدوث ثورة فى احدى الجهات من المستعمرات المذكورة
وفى الأغلب بعد حصول الراحة بالقوة أو باللين وهو الأغلب ترجح الدولة البواعث على
الثورة حتى تمنع المصادمة مع الأهالى على وجه كأنه راسخ واف فلما أن الأمر هوا غلب
لانا رأيناها لا تستعمل القوة الا بعد استعمال حدود اللين حتى انها فى نفس حرب جامع
الثائرين لا توجه عليهم قوة كبيرة من أول وهلة بل ترسل مقدارا غير كاف لاخماد النار
اذا كانت مستمرة بعصيان قوى وكثيرا ما تنكسر قوتها أولا وثانيا وثالثا لكن الانكليز
على حقها الا بعد بلوغ أربها اما بمداومة الحرب على الصواب السابق مع تزييد القوة شيئا
فشيئا الى أن تغلب أو بوقوع الصلح على ما يرضيها ويرضى به الثائر على نوع ما كان ذلك
لعدم وجود قوة عسكرية تمنعه السلاح ولا حاصر للدعوى متى أرادت الدولة أمرا من
ان الانكليز لابد يخلون العساكر الا بالرضى وليس لهم الا مقصد حفظ الراحة فاذا ثارت

جهة لزوم الدولة انحصار العساكر برصاصهم وذلك لا يتأتى تحصيلا مثل ما يأتى للدول المرتبة
العساكر وأصحاب عدد محصور منهم تلزمهم هذه التدريب ثم ان العساكر عندهم تلزمهم
المصاريف أكثر من عساكر بقية الدول لان من قانونهم ان العسكرى لا يخدم شيئا سوى
الحركات الحربية فيلزمهم من الخدمة وحمل الاثقال ما هو أضعاف عددهم ولا يخفى ما فى
ذلك من المصاريف والكلفة المحوجة الى الوقت حتى ان عساكرها الذين وجهتهم على
الحبشة منذ نحو عشرين سنة لزمها ان تحوز لهم طريقا حديدية وقنوات لجلب المياه كلها
موقتة وكان خدمة العسكر ضعف عدد العساكر وهكذا أحوالها فى حروبها وبناء على
اتساع المستعمرات وتفرقها وبعدها عن مركز الدولة وكون الطرق البحرية مع ان
نفس مركز المملكة جزيرة لزم ان تكون دولة الانكليز هى أقوى دولة فى البحر من حيث
السفن الحربية ومن حيث كثرة السفن التجارية ووجود البحارة والعارفين بسير البحر
(مطلب فى السياسة الخارجية للانكليز) اعلم ان ما تقدم من الاحوال العامة
فى الخارجية للدول العظيمة مما تقدم ذكره فى ايطاليا والنمسا هو أيضا جار
فى انكلاتيره مثل وجود السفراء والمراقبة لحركات المنافع الخ فالذى يخص انكلاتيره
هنا هو بيان علاقات اهتمامها فى الخارج وحيث قد تقدم ان لها مستعمرات فى جميع
أقسام الكرة المعروفة كانت عنايتها فى الخارج أوسع من غيرها من بقية دول أوروبا
لكن ليست الجهات كلها سواء فى ذلك بل هى متدرجة ففى أوروبا ليس لها من النفوذ
فى داخلية دولها شئ سواء كانت الدول كبيرة أو صغيرة لابتناء اداراتهم على قواعد
راسخة مسلمة بين جميعهم مقررة بمعاهدات وان ترى لها كالانكليز بإزاء المملكة فى بر ابن
قاعدة الا زار لا فى موناكو التى هى دولة مستقلة فى بلادة محاطة بايطاليا البعد وسكانها نحو
أربعة آلاف نسمة والكل فى الحماية ذات أحكام من رعية الانكليز سواء وانما
نواب الدولة يراقبون لاحوال السياسة بخلاف الاحكام الشخصية ثم لدولة الانكليز زيادة
اعتبار فى خصوص مملكة البلجيك بما تضمنه معاهدة سنة ١٨١٥ من استقلال
هاته المملكة عند سقوط نابليون الاول وجعلها تحت حماية كبار الدول غير ان المراقب
لتلك الحماية هى دولة الانكليز فهذا هو وجه زيادة اعتبارها هناك ومثل ذلك حاصل
فى دولة البرتغال لما تسبب عن حروب لتمنع اسبانيا وفرنسا (وأما) بقية الدول فلا
فضل عندهم للانكلاتيره على مونكو فى احوالهم سوى ما نجر لها السياسة الآتى
ايضاحها (وأما) امريكا فهى أيضا على ذلك المنوال (وأما) آسيا وافريقية ففى وجه

أنموذج دولتها من حيثيتين (الأولى) هو المعاهدات القديمة مع الأمم التي أبرمت فيها
الامتيازات القنصلية إذ الأمم لم تقيد المعاهدات بمدة محدودة فتمر الأزمان وتتغير
الحالات وتبقى أحكام المعاهدات على ما هي عليه ويلزم منها أن تكون لدولة الانكليز
شبه دولة مستقلة في كل من هذه الممالك بحيث ان رعاياها غير داخلين تحت الأحكام
مثل الأهالي بل تحكم في قضاياهم قناصلها وحدهم أو بحضورهم أو بحضور أحد
من مأموريهم مع حاكم البلد وله الاعتراض على الحاكم في الحكم وفي بعض الممالك إذا كان
الحكم في جناية وقعت بنفس أحد من رعايا الانكليز الى غيرها فلها تفسير معه للأهالي لوصول
الى حق ويحصل منه شبه حكومة مستقلة في وسط المملكة وليس ذلك مختصا بالانكليز
بل عام في جميع دول أوروبا مع تلك الممالك وغاية الخلاف هو زيادة التظاهر والتظلم من
أحكام البلاد من الدول القوية ذات الغرض في استعمار تلك المملكة وفقد ذلك ممن
ليس له قوة أو ليس له غرض (وثانيتهما) الحيثية هي أن مستعمرات الانكليزية وإن
أهمها الهند فكانت ممتازة عن كل ما عداها من قوتها فيها وما يواسطها أو قصد إحدى
صارت تحافظ على الطرق الموصلة اليها فكانت قبل فتح خليج السويس تتوصل اليها
من المحيط الجنوبي ورأس الرجاء الصالح فاتخذت عدة مراكز في أطراف قطعة العربية
والجنوبية والشرقية مع عدن في آسيا كل ذلك لتكون لها أدوات ومراكز تلتجئ اليها عند
الحاجة وبه يعلم أن ثمرة المستعمرات ليست خاصة بالأرض التي أشير اليها بل منها أيضا
أهمية المستعمر من جهة كونه مركزا حربيا فقط وذلك مثل جبل الطارق ومثل مالطة
وغير ذلك فبناء على ما قررناه صارت سياستها الخارجية مع كل الدول القريبة من الهند
والتي هي في طريقه والتي لها مصالح أو مطمح نظر اليه على نوع آخر من المشاحنة مع
القوي والتودد مع الضعيف وتستعمل لذلك كلا من الترغيب والترهيب فالدول التي
لها معها دائما زيادة محاورات سياسية هي دولة روسيا من حيث أنها امتدت في دواخل
آسيا حتى اقتربت من الأفغانستان الذي هو في حدود الهند ومن حيث طموح نظرها
الى الاستيلاء على الممالك العثمانية التي يمر بها مأخذها كما يأتي إيضاحه والدولة الثانية
التي لها معها زيادة عناية سياسية هي الدولة العثمانية وذلك من وجهين (أولهما) أنها
لا تريد زيادة عمرانها وقوتها خوفا من امتدادها الى المشرق وارتباط المسلمين هناك
بها حتى المتحمسين من مسلمي الهند وبعود الهند لما كان عليه من التعلق بالخلافة
الإسلامية (وثانيهما) تخوف عليها من الضعف المفرط حتى تقتسمها الدول المجاورة لها

فيكون

فيكون ان يحوز موقعها الحرافي النفوذ والسطوة التي تحفظ بها انكلاتيرة على تقدم
قوتها واعتبارها المادي والمعنوي وبناء على هذا صار لها تداخل كلي في سياسة
الدولة العثمانية الخارجية فوجهها على ذلك التداخل مع بقية الدول الكبيرة الستة
لما لها من الماس بتلك السياسة سواء كان قصدا او بواسطة واضطرار ذلك
انكلاتيرة الى حالة ملاينة فرانسا لانها دولة بحرية قوية مثلها وموالاتها اولى لها
بمقاصدها الاستعمارية تقاوم سياستها على جانبيه بحرب مهما امكن كما تقدم بيانه
تستعمله حتى في الحرب مع الخارج حتى تستعين بكل الوسائل لقطع اسبابه مع التحفظ
على حقوقها كما وقع في الحرب سنة ١٢٩٤ من الاتصال بالسلطان الافغاني لاجل
اوانه تاريخ ارسال رسول الى بلاد انكلاتيرة ويقطع معها المناسبة الداعية
للحرب من عدم قبوله لسفير مقيم عنده في كابل وغير ذلك مما اوجب عليه اغراء اوروبا ولم
يقبل التوسط حتى وقع في الحرب كما تقدمت الاشارة اليه في محله وذلك لما بعث دعاها الى
ملاينة فرانسا كما تقدم في سياستها الخارجية حيث طمعها في تسليم ها في السلطة على مصر
ارفق لانفصل على تساعدهما معا على ارباب نفوذهما في مصر حتى تنسخ الفرصة
لانكلاتيرة في الخلافها حيث كانت الآن هي اقرب الطرق الى الهند بعد فتح خليج
السويس مع ما في ذلك مصر من الاهمية الكبرى وتبين (حينئذ) وجه زيادة اشتغال
انكلاتيرة باحوال الدولة العثمانية وعلى الخصوص احوال مصر وما يجرها من ذلك
الى بقية الدول الكبيرة ومع بقية الدول التي تجاورها مصر تراعي حسبها في القوة
والضعف ثم اعلم ان سياسة الانكليز لما كانت مبنية في التصرف على مذهب الحزبين
الذين مر ذكرهما في السياسة الداخلية وهما حزب المحافظين وحزب الاطلاق الحرية
كانت تختلف في الخارج على حسب مقاصد الحزب الذي يتولى ادارة المملكة ويؤثر ذلك
في السياسة الخارجية ايضا تأثيرا بينا فترى تغير السياسة يتبع تغير توالي الحزبين حتى
يكاد ان لا تثق دولة بالاعتماد على معاهدة لانكلاتيرة ولا ثم لانه ربما يكون حزب
المحافظة باتفاق الاحتراس على مملكته موثوقة وتعتمد هي على معاضدتهم واذا
بحزب الاطلاق قد جلب افكار العامة اليه فيصعد الى تخت الادارة وينقض عمل
سابقه ويخذل من اعتمد عليه وسياسة كل من الحزبين وان لم تكن مبنية دوما على وحدة
السياسة لاخر حتى لا يتميز له امثال حرب معه وده او نقض صلح نبرم لكنه يسعى بقدر
الطاقة في ابراز كل ما وجده من عدم نجاحه حتى يبرهن الخارج على فساد ما سعى به

سالفه من غير أن يثبت عليه نقد هو الذي كان سببا في الصلح ولهذا صار كل من الحزبين
يحمد مسلماته في عدم الدخول في حرب مؤخرا لكن لا يجد ضده بالتشنيع عليه لأن
عاقبة الحرب مع الدول الكبيرة مجهولة وانبنى على هذا وسم دولة الانكليز من سائر الأمم
المستقلة أنها دولة تجارية لا تبحث على زيادة غنى أهاليها من غير بحث عن الشرف
والجاه الذي للأمم الكبيرة القوية ومنذ دخولي الى انكلاتيره وجدت رئيس الوزارة
هو رئيس حزب المحافظين وهو اللورد بيكنسفيلد واسمه الأصلي دزرائيلي الذي عقد معاهدة برلين
سنة ١٢٩٥ حيث نجح سعيه في تغيير معاهدة سان استفانوس بتلك المعاهدة
واستولت انكلاتيره على قبرس وكان هذا الرجل من نسل اليهود لما ترقى في السياسة
غير دينه لدين الدولة حتى يمكن له الترقي للمناصب العالية واشتهر بتآليفه وأفكاره
وخطبه حتى تمت له رياسة حزب المحافظين وولي الوزارة مرارا (وأما رئيس حزب
الأحرار) حينئذ فهو مستر كلادستون وليس له لقب شرف لكنه باتساع معارفه
حاز تلك الرتبة وتولى الوزارة مرارا

(فصل في بعض فوائد لانكليز وعاداتهم) اعلم أن كتاب كشف المخبا عن فنون أوربا
للبليغ اللغوي أحمد فارس قد اشتمل على تفاصيل في هذا القوم يعز وجوده في غيره فمن
رام الاطلاع على جزئيات أفكارهم وعوائدهم فإنه كاف في المراد بعد ذلك
(ومما يحكى) أن أصل الأهالي كافة من قبيلة من قدماء الغول يسمى اختلطت مع قوم
قدماء في الشمال وتناسل منهم هذا الجيل وهم أقوياء بيض الوجوه محمرون الدم يغلب
فيهم الطول وشقورة الشعر فاستوى فيهم الأخلاق ... ثم ... الأخلاق الحرية فيهم
لا يتعدون عن حدود الاستقامة ولا ينقادون الى حكم حتى ان العموم منهم الحكم العمومي
لعدة مئات من الألوف وتكلموا في السياسة وهاجوا واضطربوا ووقع بينهم خلاف
في تلك الجامع أحوجت الى الخروج من القول الى العمل فما هو إلا أن يصعد حاكم البلد
المقيم على مكان مرتفع ويقول بعد نداء كذا الآن آمر كل فرد منكم أيها المجتمعون
بالتفرق حالا وأن يدخل كل منكم مسكنه أو محل صناعته تحت قيد الحكم الصادر في أول
سنة في دولة الملك جورج في قمع الخروج والعوغاء والله يحرس الملك فحينئذ يتفرق
الجمع الآمن بلا احتياج الى أعمال القوة من الضابطية والحرس والعساكر بل وعلى كل مار
إعانة الحرس الأعوان برتبة اللورد فمن عصى عوقب بذلك ومن النادر القليل وجود
حالة تخل بذلك بل الأفراد الجناة يحضرون للحكم وينقادون الى أمر أعوان الحكم بمجرد
القول

الهولودي فرص الاجتماع يخرج له العون عصبة على رأسها صورة تاج الملك فيطالب
رأسه ويشهد ويسلم [illegible] وحينئذ [illegible] على [illegible] مرها عاشت هاتيك
الجلفاء [illegible] والمتشان [illegible] فقد تقدم أن عدد الكان نحو
اثنين وثلاثين مليونا [illegible] بقيم [illegible] وقليل من الكاوليك ثم اليهود ثم
الدهرية ثم الوجديين أي الذين يوحدون الله و [illegible] و العبودية والبشرية
[illegible] بالكتب وهم أقرب الى الاسلام ويزل بكثرة [illegible] في المانيا
وأمريكا [illegible] على [illegible] على نحو ع
سواء [illegible] على خمسة أصناف (الاولى) [illegible] ولهم امتيازات
تقدم [illegible] في [illegible] ومن خاصيتهم أن لا يدخلوا في الاعمال [illegible] التي تجب
في العموم ويتنزهون عن مخالطة غيرهم [illegible] يكون كل منهم في داره [illegible]
ما [illegible] ولا [illegible] في الخارج الاجر [illegible] الازرق [illegible] أو [illegible]
الذي هو [illegible] على نحوهم [illegible] هؤلاء هم أصحاب [illegible] الباب
[illegible] القبعات الورنية والتي [illegible]
[illegible] الامراء والوزراء [illegible] أصحاب [illegible] الكبار
(الثانية) هم الاعيان [illegible] أو [illegible] العيش
و [illegible] ليس لهم [illegible] الاولى (الثالثة) [illegible] والمشرعون
والقسوس وأصحاب الكار (الرابعة) [illegible] وأصحاب [illegible] المكتبة
(الخامسة) بقية الناس [illegible] التباين
والثلاثة [illegible] بكل منها [illegible] من فوقه [illegible] تحتها [illegible]
على [illegible] أن ينقل [illegible] في [illegible] على نحو ما تقدم
في [illegible] في تلك [illegible] حالهم
[illegible] على نوع من صفات [illegible] والكبرياء [illegible] باللعب
واللهو [illegible] في [illegible] من الذهب و [illegible] والحبل
[illegible] لا [illegible] ترى للواحد من [illegible] الارض [illegible] للراجل [illegible] العرس
[illegible] ألف فرنك [illegible] ويكون له في [illegible]
أو نحو ذلك [illegible] أهل المشرق والمغرب [illegible]
[illegible] نحو ذلك [illegible] من [illegible] الى [illegible]

كان من طبقته وبينهم مودة أو من يتعطفون عليه بالمعرفة وهي إنما تحصل للغريب
إذا كانت له وصاية من أحد قرابة أو تلك المعرفة قد تعرف به في أحد الأقاليم
وحينئذ يرى من إكرامهم وتعظيمهم له ما شئت إكرامهم ويحثهم عليه ما يقربه
منهم من القصص والأخبار والآداب والأراكب والمكاتبات والمداراة حتى يكون
لبعض هؤلاء الغرباء أكثر خاصة في طريق الحديد وبه على نزلاء العرب يبرون
بها إلى حيث أرادوا ويؤوونه أي الصحب من ملاطفاتهم وإكرامهم له بإعطاء قدح
الشاي من يد كبيرتهم ما يكون به على يقين من الصداقة لأن ذلك من غاية الإكرام
وإلزام الضيف من الغذاء ما هو عيب في عادتهم المحافظة على الآداب والقواعد المعروفة
لديهم كعدم التوسع ولا أحد يجبر ضيفه ولا التدخين ومن عجيب أطوارهم فيه
النشوق الشام فمنهم من يكرهون شم أثره على الثياب وبعضهم يدخن كل حال
وأن ترى من واحد من هؤلاء ذوي الملايين أو آلاف الملايين يتكرم بشيء ذي قيمة
ونهاية التودد بالهدية هي صورة أو ما شاكله مما قيمته زاد تفاهة تبلغ أمر فرنك
بل كاد أن لا يوجد من يتصدق منهم على الفقراء إلا أن يكون لرياء أو سمعة ويمر أحدهم
على فقير يتضوع جوعا فما رأى له من داع إلى رحمته حيث أنه يعلم أنه يعطى سنويا
إلى ديار الفقراء منفردا من المال ملايين ولا يكون ذلك أقل لدى أنه في حالة مرع
من البرد أو الحر أو الجوع مما يمكن له الوصول إلى تلك الدار أو أنه لم يمكن إيواؤه
لقبوله وأقول إنه بهذه الحالة كادت أن تكون عامة في أوروبا لا في باريس فإنهم يجرون
على حسب مكارم الأخلاق وأما الأطوار الصادقة الدينية وهي أشنع ما مر ذكره في جميع
الفرانسيس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السمعة والحركات فيتطيرون
من أشياء كادت أن لا تحصى وينقادون إلى السحرة والدجالين عما يخرج عن
حد المعقول وكاد أنه لم يكن عندهم مجهول لأنهم قد لا يعمى سوى ما يرجمون
لهم الفرص في الكنائس ومن هذا القبيل اعتقاد عامة أهل ارلاندة أن انقطاع
الحيات من جزيرتهم بسبب قديس مع أنه أفقدها الثلج والبرد مع عدم الاتصال بالقارة
حتى يحصيها برها ولهم في ذلك خرافات وتحصل أن مدة الاستكبار على الإجمال هي
السكون والرزانة وتخاشن عن العرب الأواسط في الشرف حتى لو ابتلي بأطوارهم
سنين لا يكاد أن يقول له واحد أحد شخصا إلا كأن من طبعهم الإقبال على الشغل
والجد فيه وعدم الاعتناء بالقدر حتى إذا يئس أحدهم من المال قتل نفسه فكثيرا

ما

ما تسمح بذلك ويقتل الآباء لأولادهم وكذلك الأمهات والعكس ومما يحصل عندهم
من الوقاحة أحيانا مصاحبة الأب ابنته والأخ أخته لكنه لم يسمع بمصاحبة الابن أمه
ومنها أيضا بيع الزوج زوجته لمن يحبها أو يقضى لهم الحكم بذلك ومن عجب أنهم يعيبون
على بيع الرقيق في الآفاق ويحكمون بصحة بيع الزوجة بما أو فلسين لأن الطلاق
عندهم له شروط وهي ثبوت الفاحشة من الزوجة لدى الحكم ومن غريب الوقائع في هذا
الصدد ما وقع منذ عهد قريب ونشر في سائر صحفهم وغيرها من أن زوجة أحد اللوردات
ولدت وعندما بشرت بأنها ولدت ذكرا قالت من أخرجه وابن ولي العهد وكانت قرابة
زوجها يسمعون ذلك وثار عجاج النازلة إلى أن رفعت لدى مجلس الحكم لكي يستطيع
الرجل طلاقها وادعى وكيلها أنها اعترتها جنون من النفاس حتى صارت تقول ما لا أصل
له وادعى وكيل الزوج أن المخالطة حاصلة من قبل مع ولي العهد وكانوا يتزاورون
ويتنزهون معا واقتضى الحال باستدعاء الشهود ومنهم ولي العهد وعند حضورهم في
المجلس الذي هو عام وحاضر فيه كتاب الأخبار وغيرهم قال القاضي لما ينبغي أن
لا يسأل الإنسان عما يستحى أو يشين العرض وينبغي للشاهد أن لا يجيب إذا سئل عما
يشين عرضه ثم دعي بولي العهد وسأله عن معرفة المرأة فأجاب بمعرفتها ثم سئل عن
اجتماعه بها فأجاب إلى أن قال إنهما اجتمعا في منزل من المنزهات للطعام فشربا وأكلا
وبقيا مدة بعد الأكل في محل خاص ثم رجع كل منهما إلى محله بعد قضاء النزهة فقال
له القاضي لدى بيعه ساعة ما أسألك عن واقعت هذه المرأة عند الخلوة فرفع ولي العهد
صوته قائلا لا فضج المجلس له بالتصفيق وحكم القاضي ببراءة المرأة وبقاء زوجيتها وأغلب
الأعيان يتغاضون عن بيع الزوجات لكثرته في السوقة وبعضهم تشمئز منه نفسه كثيرا
ومن عاداتهم الأكام وهواته كلما عرض لأحدهم حنق على صاحبه الاتبادر بضرب جمع
الكف وعندما يغلب أحدهما كثيرا ما يصافح صاحبه ويتراضيا ولا حكم في ذلك
ولا يحصل هذا بين الأعيان وإنما يتعارضون بينهم بالمبارزة كما هو جار في الممالك الأخرى
من أوروبا وهي أنه إذا اشتد الغضب بين اثنين على شرط التكافؤ في العرض يرمي أحدهما
صاحبه بقفازه أو شيء من متاعه ثم يرسل له شاهدين يطلب منه التقاتل فيعين الآخر
شاهدين ويتفق الشهود على آلة التقاتل ومكانه وزمانه بعد إعمال الوجوه للتراضي
وإسقاط الطلب فإن لم يفد أحضروا طبيبا وحضر المتقاتلان والشهود والطبيب وتقاتلوا
على الصفة المتفق عليها فإما أن يموت أحدهما أو يسلما أو يحصل عطب فيعالجه الطبيب

وينفصل الامر بان يجب احدهم القتال [illegible] الامام الناس و[illegible] وقدر صاحبه
مهما الافاء ان يوضع بدله وهذا اتفاق وان لم يكن مباحا بالاحكام لكن الحكومات
تغض النظر عنه [illegible] لا تعتني به وان [illegible] بالشكاية فيحكم له
لكنهم [illegible] بفعله ما يأتي عن علو الهمة والشجاعة [illegible] من عجائب [illegible]
لان الحكومات [illegible] لدفع [illegible] والسمعة [illegible] الشخصية المفرقة بين
[illegible] في اوربا ويجب من ازدياده تدريجا من عادة الاكابر
التطير باشياء كثيرة من صباح المرأة [illegible] مالم تتكلم ومن اهل العام لا سيما في
عامتهم الى اقوال لا تكاد [illegible] وخصوصا [illegible] من احبارهم حتى يقولون
انفسهم وكثيرا ما [illegible] واولادهم خشية الاملاق واكثر ما تلد المرأة اربعة اولاد
في بطن واحد وتكاثر الحال عندهم [illegible] حتى لا يجدون [illegible] في بلادهم [illegible]
الالوف يهاجرون سفرا الى الآفاق [illegible] بل [illegible] تعدادهم في [illegible]
[illegible] في [illegible] انكلترا وأي
المملكة [illegible] من جزيرة انكلترة [illegible] في سنة ١٨٥ [illegible] الى سبعة
عشر مليونا [illegible] سنة ١٨٨٢ [illegible] في الانكليز [illegible]
ثلاثة وعشرين مليونا [illegible]
[illegible] من ذلك العدد [illegible] في [illegible] في ذلك [illegible] على يوم
الاحد [illegible] ولو لم يكن
من [illegible] بهم [illegible]
في [illegible] علم [illegible]
[illegible] في ليلة الاحد [illegible] الصباح فقلت كيف وهو
يوم الاحد [illegible] الكنيسة [illegible]
الكنيسة وكان الوزير صاحب [illegible] الى
القسيس في [illegible] يوم الاحد [illegible] يوم الاثنين ولو في
الساعة الثالثة قبل [illegible] وثلاث [illegible]
الاشغال [illegible] على الجلد وهم
[illegible] في ذلك [illegible] وكثيرا ما يحصل [illegible] الجلد [illegible]
من [illegible] في [illegible] او [illegible] ان اخلاق الانكليز [illegible] ولا [illegible]

بالاجنبي

بالاجنبي مثل ما يقع من الفرنسيس غير انهم ما داموا احدهم اخذ ما يحتاجه من عملتهم فانه
يحافظ على عوده و يدوم على ولائه و يحمون ذمار وطنه و ولوع بحب وتربيتها وتنميتها
وعنايتهم بالصنعة لا تطلب ذلك والفرنسيس ذوي لطف اصواتهم وحسن حركاتهم وهيئة اصحاب
هم ايضا مثل من تقدم ذكره من اطالتهم ويصدق انكليز نوع من البشر يعدون
عند اهل تونس بالزمارية وفي الاستانة بفرنكاله وبالافرنساوي بابوشينه وهم في
الحقيقة يوجدون في اغلب الامصار شرقا وغربا وفي كل جهة محافظون على عوائدهم
واهمها الحول وعدم مخالطة الغير وتعاطيهم اللعب وسكنى الخيام وتعاطي
الصنائع الدنيئة الا بلاغة المعروف ما يخصهم ومن عادات اولاد الانكليز
وعنايتهم بحسن تربية الام لاولادها بحيث ينشؤن على التهذيب والفطن الى التعليم من
عرفهم حتى انهم كثيرا ما يتعلمون الحروف ومبادئ القراءة بمجرد التربية في ايدي
الام او المربية لاصغرهم مع اللطافة والابعاد عن الاخلاق الدنيئة وكل اوربا على هذا
الاصول لهم في ذلك التعليم الحسن

المطلب في التجارة. للانكليز اعلى الاصول التجارية التي مر ذكرها في المقالات
السابقة في حرية كذلك في انكلترا لكن هؤلاء بالخصوص يمتازون بكثرة المال
بما روج من تجارتهم في مستعمراتهم وغيرها حتى احصى سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م
ملك الانكليز من المنقولات التي لم تدخل فيها املاكهم مكك الحديد وديون الدول وغيرها
فكان نحو ... ما ارد فرنك وبلغ مقدار الصادر والوارد ذلك في السنة
ما يرد الى ... (١) فرنك منها
من خارج المملكة ... في ... مقدار ... هؤلاء القوم ... تجارتهم فان
مراكبهم تصل الى جميع جهات المعمورة ... واعظم ... الخارجة
من مملكتهم هو الفحم الحجري فقد اخرج من مقاطعاتها سنة ١٨٦٦ ما يزيد على الف
مليون قنطارا والمقاطع الموجودة في انكلترة من هذا الفحم ثلاثة آلاف ومائتان
واحدى وثلاثون ... حيث ... والخارج ... له
في ... حيث ... ولذلك
اشتدت عنايتهم به حتى انه كثير من الاقتصاديين عندهم يبحث عن احوال فراغ
ذلك المعدن ... عند ... الانكليز وفي سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م اشتد
البحث في هذا الامر وعينت الدولة لجنة لتحقيق الامر وبعد مدة ... استقر رايهم على

انه يمكن بقاء هذا المعدن عندهم لمدة ثلاثمائة وخمسين سنة ثم يفرغ قنطار الكية
ما يستخرج منه سنويا وقنطار الصعوبة مع راجعه وما يحصل من شقاق الارض وكثرة
المصريين عليه حينئذ من ثلث لسدس ارتفع قنطار الاقتصاد في استخراجه ولازل
ايضا مما يوجد في وطن [illegible] القور او يوجد ببرق في مصر ثم ومن موارد تجارتهم
الواسعة ايضا ما يخرج منهم من المدبوغات او الجلود لعدم الحبوب لان ما يخرج منها
عندهم غير كاف لهم ويحصل في اوروبا الانكليزا التي لا يوجد في غيرهم كما يوجد فيهم
الفقر المدقع بكثرته وقد انعقد في خصوص لندره شركات للتجارة والزراعة ٢١٢٥
شركة او من منها ٤١٢ شركة رأس مالها ٤٠٠ مليون ورنك وذلك في خصوص سنة
واحدة وهي سنة ١٨٨١

(مطلب في الاحكام بانكلاتيره) قد مرت اصول الاحكام القضائية عندهم في مبحث
السياسة الداخلية ومما نقوله هنا ان قضاة الانكليز يضرب بهم المثل في اوروبا في العفة
وعدم الميل الى الاغراض وفي مدة قضاتهم وهناك مدن يقيم فيها القاضي ومدن
تذهب اليها القضاة في اوقات معلومة من السنة وتعرض عليهم الدعاوى المهيأة لهم من
حكام الجهات والاحكام التي لها عادة تصدر من القضاة بحضور الجوري وقد تقدم
الكلام عليه غير ان جوري الانكليز يختص بانه على قسمين فالاحكام الكبيرة جوريها
بالانتخاب من قسمهم وادنى ثم ان كل منهم امين على كل مادة والاحكام الصغيرة جوريها
من السوقة واصحاب الحرف مثل [illegible] جوري الانكليز [illegible] على نفس
الجوري فان [illegible] الدعوى [illegible] كان الحكم حتى يقع اجماعهم على رأي
واحد من غير اكل ولا شرب [illegible] ويمنع احدهم شيئا من مواد المعاش غرم ملا وهذا
من عجائب الاحكام اذ كيف يلزم اتفاق اراء عديدة على قول واحد دائما او يحصرون
على ذلك عوضا ان يكون ذلك وسيلة للعدل ربما كان وسيلة للجور كانهم صاروا
يعتمدون تعويض الحكم بالاهمال الناشئة عن القتل [illegible] وذلك [illegible]
الشركا صرحت به عمومهم [illegible] وكذلك صاروا لا يحكمون بحبس المدين وانما على
الدائن اثبات ماله والحكم بوصوله [illegible] ومن احكامهم المبنية على العادات القديمة
تعريضهم للوطئ في وعاء [illegible] وهو من اشد الشناعات عندهم ومع
ذلك فهو فاش في كثير منهم مراعاة للعادة الجارية وقد وقع عندهم منذ مدة قريب
ان احد الاهالي وجد فيه لاعبات جميلات [illegible] فدعاهن [illegible] واختلوا بهن وبعد
مدة

مدة مديدة اكتشف الحرس على أنهن في الواقع غلمان فشددا البحث عن حالهم
فوجدوا كأكثر الأطباء أنهم ممن عمل معهم كثير لكن حكم فيهم أشد حكم وتتبع الجزئيات
لكي لا يقع الافتضاح لبعض العائلة وقد يبنى على عدم حصر أحكامهم في مرجع واحد
طول مدة المحاكم وكثرة المصاريف عليها زيادة عن حد من الطول في محاكم وربما التي
تطول بهم الى زوال جدا ومن أحكامهم إباحة الزنى بالتراضي مثل ما في غيرهم لكن يمكن
أن يقال أن نساء الانكليز أعف من غيرهن في الممالك الاخرى وفشو اللواط أندر فيهم على
ذلك النحو بما عدا هؤلاء ولا تراهن يتبرجن تبرجا للأماثل بل وربما أفضت هي
الرجل

(مطلب في المعارف بانكلاتيره) لا جدال أن امتداد الثروة وتمدن على كل من المدن
والاهالي قدر ارتقاء ذلك أخو الثروة وما قدمه من اجمال حال ثروتهم يدل على حالة
المعارف عندهم وأصول المعارف هي الموجودة مرهاصن المبادئ السابقة وتقسم
تعاليمه الى التقاسيم الموجودة في فرانسا وأعظم المدن التي توجد بها مزجيات لارتقاء
لاقامة التلامذة بمدارسها هي مدينة كمبريج واكسفورد وأكثر أساتذة لا يعتنون
بقيمون بماله المدارس ولهذا كان كل من المدينتين غالى الاسعار ادا عادة التلامذة يمضون
أوقاتهم في الملاهي والتفاخر ولو انهم انتظموا لما برع ابناء الاغنياء في العلوم
لكن على كل حال لا يوجد فيهم الجهل المطلق ومما اختصت به انكلاتيره وجود
جمعية بالتبشير فهم المرتبة التي تنفق النفقات الباهظة على ارسال الرسل
لتنصير الناس في أقسام الارض وحماية دولتهم وراءهم فيغرون الناس بالمال وبالمباحثات
الدينية وفتح المدارس لتعليم العلوم ودرس العقائد فيها وقد استطاعوا في الهند
لتبديل عقائد أهله وحصلت مع المسلمين مباحثات شهيرة وكان الانتصار فيها ولله الحمد
للمسلمين حتى انه لم يهتدوا كثير من الهنود بل في هذه المدة لم أر بعث قسوس من
الدين تعدو الانزاع والجدل بسبب صدق الديانة الاسلامية ورسوخ اعتقاده سائر
وتبحرهم في العلوم ثم ان اسباب تيسير نشر المعارف في انكلاتيره كثرة سهولة المتداولة
فقد صدر ورأى في سنة ١٢٩٨ ه ١٨٨١ م انه يوجد بلندره وحدها ٨٧١ مطبعة
و ١٦ معملا لصنع المكابس التي تستعملها لأيدي فضلا عن معامل مكابس البخار
(وتسمى) معامل لالات أعضاء الجرائد روف و ٢٢ معملا لصنع مكابس المطابع
الحجرية و ٢٢ معملا لسبك الاحرف بلوازمها وكل مدينة فيها من المطابع والمكاتب

ما يناسبها وعدد الكتبات التي في انكلترا ٢٠٠ مكتبة فيها من الكتب المطبوعة ٢٨٧١٤٨٣ ومن الكتب التي بالخط ٣٦٠٠٠ وأعظم هذه الكتب مكتبة [illegible] الكبرى وهي ثانية لمكتبة الامة في باريس ومن أهم وسائط المعارف وانتشارها الجرائد عندهم المسماة [illegible] وهي على أنواع [illegible] فمنها خاص ببعض فنون علمية كالطب والكيمياء وغيرها والبعض عام في الفنون والبعض جامع للسياسة والفنون والتجارة وأهم [illegible] من هذا النوع جريدة التيمس وكان أول انتشارها غرة كانون ثاني سنة ١٢٠٣ هـ ١٧٨٨ م وكانت لرجل خاص ثم صارت [illegible] للشركة ولم يزل [illegible] نشرها [illegible] وصارت [illegible] في الساعة الواحدة [illegible] صفحات [illegible] عشر صفحة والورق الذي تطبع عليه [illegible] وكل قطعة من الكاغد [illegible] الانكليزية ويوضع لها [illegible] القطع من [illegible] على [illegible] مائة وعشرين ميلا [illegible] الاخبار [illegible] واصف [illegible] المشتركين [illegible] بالمرتبات كل من [illegible] في موضوع [illegible] فانه يعطي صاحبها [illegible] الاقطار كاتبون [illegible] ولهم [illegible] في صرف [illegible] الاخبار [illegible] الصحف [illegible] بل ويرشون من [illegible] بعض الدول [illegible] قبل وصولها [illegible] وهؤلاء المكاتبون [illegible] الوزراء والامراء [illegible]

وعند وقوع حرب [illegible] يرسلون [illegible] الحرب في المعسكرين حتى [illegible] الحرب [illegible] عليهم ان [illegible] من الاخبار [illegible] وهؤلاء الكاتبون من [illegible] في الحرب [illegible] دون [illegible] الرمي

الرمي وكثيرا ما يكونون بقرب رئيس العسكر ومن المعلوم ان لا يعاطر احدهم بذلك الا
لكثرة المال فادارة التيمس لها من الدخل والخرج السنوي ما يضاهي دولة من
الدول الثانوية مع ان كل نسخة منه لا تباع الا بثلاثين صانتيما اي ثلاثين من مائة من
الفرنك الواحد ولو اشترى الورق وحده ابيض لكان اغلى من ذلك لان ورقه هو من
معمل خاص به فالربح العظيم انما هو من كثرة الخرج مع كثرة الاعلانات وعدد نسخ كل
دفعة نحو من السبعين الف نسخة وعلى نحو منه في اصول الادارة صحف اوروبا الشهيرة
كلها

﴿مطلب في الصنائع في انكلاتيره﴾ اما الفلاحة فهي مترقية للغاية واكثر ما يستنبت
هو القمح والشعير والبطاطس وشجرة لدينار التي تستعمل منها السكرة اي البيرة وكل
المستنبتات لا تكفي حاجة الاهالي فيجلبون من الخارج كثيرا لاسيما الحبوب وبقية
الصنائع فاعظمها عمل آلات الحديد بانواعها والصمغ والمنسوجات القطنية ولهم فيها
مهارة على سائر الملل حتى صارت ارخص عندهم من غيرهم ثم المنسوجات الصوفية
لاسيما المتخرجة من صوف غنم الرفيعة المشابهة للحرير وبقية الصنائع هي دون ما في
فرانسا في الحسن والرواق لكن جميع مصنوعاتهم متينة

﴿مطلب في هيئة المساكن في انكلاتيره﴾ المساكن في انكلاتيره على خلاف الممالك
المتقدم ذكرها فان هيئة البيت من خارج على نحو ما في لاصاقة من خروج جهات من
الدار ودخول اخرى وكذلك العوالي تنتهي ابوابها بارتفاع الى فوق مع كونها غير كبيرة
مثل ما في بقية اوروبا وكذلك الديار كل منها لا يسكن الا عائلة واحدة ولا تزيد طبقاتها
عن ثلاث ولبنائها كلها من الآجر والسقوف والدرج من خشب متقن الصنعة والالصاق
بيوتها ومن احسن ما عندهم هيئة الكنف واتساعها ونظافتها وان كانوا يعاملون
عليها على وصف ما تقدم في الابنية هو انه لا يوجد فيها مثل بقية ابنية الممالك السابقة ثم
ان منازل المسافرين هي ايضا مثل الممالك السابقة غير ان اكثر الواردين انما يسكنون
في ديار منفردة معدة للانسان حاضرة بجميع لوازمها وينفق في اكلها على حسب
ارادته والذي يقوم له بلوازمه هو صاحب المحل فيسأله عن مقدار ما يريد ان يصرف يوميا
وعن اجمال الوقت اكله وما هو مشتهاه ويصرف له على نحو ما يريد ويخدمه خوادم
المحل الذين هم في الاغلب من البنات الجميلات ومن اراد كراء بيت واحد فله ذلك وهذا
الطريق ارفق بكثير من السكنى في منازل المسافرين لانها في انكلاتيره غالية جدا لانها

معدة لأرباب الحرف خاصة ثم إن حارات السكك لا تخلو دائما من حوانيت للطعام أو غيره من
اللوازم بل ذلك من عيب المساكن عندهم والطرق التي بها الأسواق وحوانيت الباعة
لا تسكن إلا للأراذل بحيث يصح أن يقال [illegible] ثم في المساكن غرابة كثيرة من عادات
المسافر في أمر [illegible] ثلاث وجب به [illegible] من الشرق بعد انقضائه في دخول الديار
تنظيمها كل على قدر جهده أما الفرش والأثاث فهو على نحو ما تقدم في الممالك السابقة
من أوربا ومواد الأكابر في البيوت أتقن من غيرهم وتلزمهم نفقة تضاهي نفقات
المشتغلين بالبرد وطول مدته وما رأيت من البلدان ما كان أن يكون كأهل الآخر
ومن نهى عما رأيته من كثرة ما له في الطرق (أما الطرق) في أشكالها ورتبها
دون غيرها من ممالك أوربا المتمدنة ففي الكثير [illegible] بها
حتى إني رأيت في ذلك لندره [illegible] فلا يسع لا عجلة واحدة لا تكاد تجد له غيرا فيه من
كثرة ما فيه من الوحل والطين مع كثرة [illegible] (وهكذا) سائر الطرقات كثيرة
الوحل فإنه [illegible] وفي أوقات نزول المطر الذي لا يكاد ينقطع وهذا الأمر عائق عن جل
تبليط الطرق بقطع الخشب لأنها [illegible] (وأما تنوير الطرق) فهو على نحو ما في سائر أوربا
لكن القرى الصغيرة في البلاد لا تكاد تجد فيها [illegible] من غيره [illegible] ولا يوجد
فيه [illegible] لا [illegible] من بيع ما لا [illegible] كما ذكره الشيخ أحمد
فارس في صفته في هذه البلدة حتى يكادوا يلحقوا بالوحشيين ثم إن الطرق
الحديد والترع والسجن هي مما ذكروه فمن غيره من الأبنية التي
بها السجن فهو عندهم [illegible] في سائر أوربا قسم على أنواع [illegible] حسب الجنايات
وحسب الإيقاف والحكم فمحل الإيقاف لمن [illegible] ثبت عليه الحكم أشد [illegible] منه
بحيث ثم يتدرج الأمر إلى الجنايات الشديدة فيحبس الجاني في بيت منفرد [illegible]
لضوء من أعلى ويغذى [illegible] ويعطى [illegible] أو فراشه [illegible] من البرد [illegible]
مما [illegible] من طعام واحد ويخرج في وقت معلوم للمشي في البستان الذي حول السجن
لكنه يمنع من الكلام مع غيره [illegible] الأوامر في [illegible]
وإذا مرض عولج بالطبيب والدواء [illegible] ثم [illegible] لا [illegible]

وما [illegible] في الملبس فإن كثيرهم [illegible] الأكابر مثل ملبس العرب [illegible] بل
والشابات المترفات [illegible] في التقليد على [illegible] وهم يؤثرون مصنوعات
[illegible] عن مصنوعاتهم في الملبس [illegible] العساكر [illegible] من لبس [illegible] غيرهم

نظافة وشكلا وان كان على نحو واحد وانما كانت الابخرة والدخان والضباب
في انكلاتيرة تكثر جدا كانت الثياب البيض كالقمصان تحتاج الى التغيير بكثرة
محافظة على النظافة فاحتاجوا الى جعل رقبة القميص ورؤس يديه وصدره مفصولة عن
القميص وتوصل به بواسطة ازرار حتى لا يلزم تغيير جميع القميص بل مجرد وضع ما يظهر
منه عدة مرات في اليوم وهذا وان كان موجودا في فرنسا الا انه على الوجه عند اواسط
الناس لكن الذي حدث به انكلاتيرة هو جعل تلك القطع من ورق ثخين ابيض
متين وجعلوه مثله وان كان لا يصلح لازيد من استعمال مرة واحدة ارخص من ثمن الكتان مع
دوامه لما يحتاج اليه من كثرة عمل الصابون والنشا وللماس بالحديد المحمى

(عوائد في الاكل في انكلاتيرة) الانكليز اكثر اكلا من غيرهم حتى ان المقلل
منهم لعددها يأكل اربع مرات في اليوم صباحا وقبل الظهر وفي الساعة السادسة بعد
الظهر وقبل النوم ولا سيما في الحانات من المطبوخ ومنهم من يأكل ثمان مرات
في اليوم واكلهم في العموم بسيط جدا شوربة ولحم خالص مقلي او مشوي او مسلوق
وبطاطس مسلوقة في الماء ولا يضعون في الطعام شيئا من التوابل بل يأتون
بها في اواني امام الاكل يأخذ منها المفسدون حتى الملح كذلك عند بعضهم ومن
هاته التوابل الحريفة كثيرا كالفلفل وغيره مما يستعمله الهنود ويأتون الى موائدهم
بقطع كبيرة من اللحم وهو لذيذ جدا لانه كامل اللحم اصلا يأتون به قطعا كبيرة جدا
بحيث يأتون بعجل بقرة صغيرة كاملة قطعة واحدة كما انهم اكثر اكلا للخبز من غيرهم
عن رايت الترون منهم والمطاعم الشهيرة لعامة يأتون بطاجين وراء ساويين وقد
رأيت باحدى المطاعم بلندره (قسما) لاكل الانكليز (وصنفا) لاكل المشرقيين
(وقسما) لاكل الفرنساويين ويختار الاكل الهيئة التي يريدها وكان الداعي لبساطة
اكلهم ولو عند الاغنياء كثرة الغش في الماكولات بحيث لا تكاد تجد حرا من دقيق
الحنطة حقيقة بل هو فيه انواع شتى تركب باتقان حتى لا يفرق بينها وبين الاصل لا
بعمليات كيماوية وكذلك الزبدة فانها الاشحم حيوانات تركب مع اجزاء باعمال
كيماوية حتى تصير مثل الزبدة (وهكذا) سائر الاشياء الا اللحم وقد ذكر في كشف مخبا
ما يتعجب منه من خلط الماكولات وغشها وجهل العموم بانواع الطبخ وهم كثيرو الشرب
للمسكرات الروحية وكذلك المسكرة اي البيرة الشديدة المعروفة لهم وذلك لانه حيث
لا ينبت بارضهم العنب ويخلطون البيرة بورق التبغ حتى تصير شديدة التاثير ويكثرون

منها ما يخفى عليهم بل ان أيام الآحاد ترى النساء والرجال سكارى على الطرق ملقون
ويتفوهون بالفحش وبعضهم أحيانا يموت من كثرة السكر وأهل البلاد يشربون
الشاى بكثرة سيما فى الصباح ولا يدعو أحد أحداً بعضهم اليه ويتناولون اشربه ويجعلون
فى أقداح الشرب قطعا من الليمون الحامض أو يخلطونه بشئ من اللبن و يأكلون معه
شيئا من الخبز والزبدة ونحو ذلك من المآكل الخفيفة لكنهم لا يضعون فيه العنبر ونحوه
مما تصنعه المغاربة والمشارقة وأكثر ما يتخذونه فى الاوانى من الحديد لا النحاس لانها لم
يعرض دائما ينشأ منه الصدأ القتال ولقد صار أغلب أوروبا الآن يطبخون فى أوانى الحديد
أو النحاس التى يعمل داخلها طلاء بنوع من الخزف بحيث لا يمس النحاس الطعام ومن
عاداتهم فى الاكل أكل اللحم النئ سيما فى بعض الطيور حتى يصير الطير يكاد يتحرك
من الدود الذى نشأ فيه واذا أدخل الى بيت الاكل زكمت أنوف حتى الكلاب من
نتن رائحته وهم يستلذونه على ذلك المثل . وبان افرنجية من القواعد الجارية فى عموم
أروبا بان لحم البقر لا يؤكل الا بعد يوم من ذبحه فى الاقل ومثله الطيور وأهل يرى ان هذا
يحسن من جهة تليين اللحم وقابليته للطبخ واللذة سيما فى البلاد الباردة لكن لا يصل
الحد به الى حدوث أدنى رائحة به فان هذا مضر بالصحة فضلا عن استقذاره (أما لحم الغنم)
وما شاكله فيؤكل فى يومه وهو لذيذ لكنهم يعوضون من لذة أكل الخروف الصغير
اذ الحكم يمنع ذبح الشاة دون سن العامين لاجل الاقتصاد بكثرة اللحم لان الشاة اذا كبر
جسمها كانت أضعاف أضعافها وهى صغيرة نعم من اراد ذلك وله ذبح خروف بخصوصه
و يؤدى عليه أداء زائد للحكومة بحيث لا يوجد الا بالاقتضاء

(مطلب فى المواكب فى انكلتره) المواكب عند الانكليز هى رأس السنة
والاعياد الدينية واجتماعات مثل ما تقدم فى عرضهم غير انهم عند تهنئتهم للملكة يلبس
الكبراء ذلك الشعر الابيض العاريه و يقبلون يدها على ظهر الكف ومنهم من يقعد
عند ذلك على ركبة ورجل وتقبيل يد الملكات جار عندهم أيضا وزوجة الملك
تعامل معاملة الملكة فى ذلك بل و بعض الممالك مثل المانيا النمسا كذلك يقبلون يد
الملك أيضا ومن المواكب الشهيرة فى لندره يوم دخول صاحب الملك المدينة زمنها
متوجها الكنيسة مار بولس متشكرا على أمر أو لافتتاح بناء مهم عام فحينئذ
يأتى راكبا الى البلاد ولا يدخل الا من باب تميل بار وهو فى أول طريق السيتى الشهير
فيغلق الباب فى وجهه شيخ المدينة فيتقدم الملك الى أن يصل الباب فيفتحه أحد كبراء
أتباعه

أثنائه في بوق ويدق آخر الباب وتقع مخاطبة بينه وبين شيخ المدينة ثم يفتح الشيخ
الباب ويقدم للملك مفاتيح البلد فيأخذه منه ثم يرجعه عليه ثم يسير الشيخ في ركابه إلى أن
يصل إلى مقصده مع الاحتفال التام وكمال الازدحام ومن المواكب المشهورة يوم تولية
شيخ المدينة في كل سنة في شهر تشرين ثاني فإنه يحصل في الطرق حواجز لمنع مرور العجلات
وتنقص الطرق بحيث يخرج الشيخ من قصر كلدهال في موكب هائل ويركب عجلة
مزينة ذات قيمة عظيمة تجرها أفراس ويركب معه قاضي القضاة والمكلل باللباس الرسمي
ويوضع أمامه آلات الحرب على عجلة مزينة تشبه الأرض وعلى عجلة أخرى سفينة ذات
شرع تجرها ستة أفراس أيضا وتنتشر في الطرق الشرط وتمشي أمامه وتنصب حول
طريقه فرق عديدة منهم بعضها يعزف بآلات الطرب وبعضها ينفخ في أبواق وبعضها
يحمل رايات مختلفة الألوان وبعضهم متدرع بالدروع العتيقة وفي موكبه جميع أصحاب
الرتب العالية وشيخ المدينة المعزول وبلادية في الطرق ووزراء الدولة وأعضاء المجالس
والمندوبون وسفراء الدول وعند استقراره بقصر الحكومة يقدم له وجميع الأعيان وليمة
فاخرة تشتمل على ٢٦٣٧ صحن مع زينة المائدة بأواني الذهب والفضة ويجعل
أمامه صحن به سمك يصطادونه من نهر التيمس ويكون ذلك اليوم يوما مشهودا وذلك
الشيخ من أعظم رجال الدولة مع أنه يمكن أن يكون صاحب حانوت أو نحوه عسكريا على حسب
ما يختاره أعيان البلد ويجاوز مسماه ومرتبه نحو عشرة آلاف ليرة ولا يستمتع منها
لذاته بشيء إذ كلها تصرف في أبهة المنصب وولائمه

﴿ مطلب في اللغة في انكلاتيرة ﴾ اللغة الانكليزية مستمدة ومتولدة من اللسان
الانكلوسكسوني القديم وهي لغة ضعيفة مملوءة بالشواذ وتؤدي المعاني كلها إجمالا بالتركيب وقد
اشتهرت هذه في أمريكا وهندستان حتى صار عدد من يتكلم بها نحو ثمانين مليونا فصاعدا ممن
يعرفها وليس بسهل تعلمها ونطقها لغة حلقية لأن أغلب أحرفها حلقي ولا تساعد
على إنشاد الشعر والغناء إلا بكلفة كبيرة

ومن ذلك

٢ ٧٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	دخل الدولة الانكليزية مع حكومة الهند وخرج مثله سنة ١٨٨١ نحو
١ ٦٣٠ ٠٠٠ ٠٠	دخل حكومة الهند والخرج مثله
٠ ١٦٠ ٠٠٠	عساكر برية تحت السلاح
٣٥٠ ٠٠٠	عساكر الهند تحت السلاح
٠ ٠٦ ٠٦٥ ٠٠٠	عساكر بحرية وبوليس للهند مماشى في وقت الحرب في خارج مصر بالاجرة كان يبلغ عدد الجموع عليها فاذا هم كلهم محاربون
١٠ ٠٠٠ ٠٠ ٠٠٠	قوة التجارة المالية نحوا
٠٢٠ ٥٢٨	عدد السفن الشراعية الحاملة للراية الانكليزية
٠٥ ٠٢٧	عدد البواخر الحاملة للراية الانكليزية
٠٠٧ ٢٩٤	عدد المعامل ذوات الآلات لشغل المصنوعات في بريطانية
٠١٨ ٠ ٠	امتداد سكة الحديد المعدة لاجل مرور الركاب في سنة واحدة ستة ملايين
٠٠٠ ٦١	عدد البواخر المدرعة للحرب والاحتياطية
٣٦٠ ٠٠٠	جوم طونولاته وكل طونولاته عشرون قنطارا ومدافعها على حساب المعدل الواحد طونولاته ٣٧

الباب السابع ❀ في جزيرة مالطه

{الفصل الاول في سفري اليها}

لما رجعت من ورائها الى تونس في أواسط رمضان سنة ١٢٩٦ وجدت انقلاب الاحوال في استيلاء من اساء عليها افندنيم ولم تحد مصطفى الى وزير تونس مصطفى بن اسماعيل وزارته اصعرلي الشر حتى ادى الى نصب اصادقين بعزمه على المشي ولو ادى الى القتل متعدا برهان داخل ورائها اذ لا خشية من فشو ما اطلعت عليه من عزمهم وحصول النشاط لهم حسبما سبقت الاشارة الى طرف منه في ذيل تسلط فرنسا على تونس وفي اسباب سفري ولم يحد عنه الا الانقلاب برأي وطابت من ذلك الوزير

الوزير كتابة اعفائي من الوظيفة مع الابقاء فى قائمة الكبرى فاجابني كتابة بالمنع فطلبت الاذن
بالتوجه الى الحج فمنعني اولا فاضطررت ان اعين له بسعة لاقول حجته فاذن لى قائدا
بالاستراحة وشاورني فيمن يتولى عنه وراءه فاشرت عليه بالذى ملازمه ووزيره
صدره فانتقيناه من شهرهم واخذت ورقة تجوز روسورت واسطة شوال من ثالث
السنة الى الحج على طريق مالطة بحرا فوصلت اليها بعد سفر الباخرة الفرنسية بعد ايام من يوم
ذهابي من الجزيرة ترى فيها حيطان من الحجر مرصوصة منتشرة على قلل الجبال ومرساها
من اعظم مراسي البحر الابيض ثم انا وصلنا اليها وحمدنا وقعة على الجهة الشرقية من
شبه الجزيرة الايطالية التي هي قاعدة الجزيرة وصعدنا الى الباخرة لدى اسرة لمنازل المسافرين
واتفقت مع صاحب النزل على اوانى بباريس على ان يكون اجر اليوم والليلة فيه
عشرة فرنكات بالاكل والمشي والسكنى فى بيته ولاكل مرتب لانهم يسألون عن
كمية الاكلات لا من كثرة الاكلات التى يكثر دخلها الى البلاد ولم يطالب اكثر
الا الاداء على الاكولات وذلك لان السفر الى طرابلس يلزم فيه قدم برى ليس فيها مرافق
لحضرتي من الاكولات التي تدخلوها معه فى البلاد التي عرفتها ومع ذلك
كنت جمعت ما استطعت ولم اعلم باشارة بعض الاحباب من حمل كثير من اللوازم معى
الى اجدها فى البلدان المذكورة وكان الامر على ما قالوا كما فى فعلها انتظاره
ولما كان المطروح من تلك الاشياء فى حمل المركب اداء على شيء سوى الاكولات
التي تؤدى الى المجلس البلدى لمصالح البلاد وحيث كنت لا احتاج الى تلك الاشياء فى مالطة
ابقيتها مؤمنة فى الكمرك واحدث فيها لاجل ان لا اؤدى عليها شيئا وبعد الاستراحة
بالمنزل نزلت فاذا بالطبقة السفلى منه ملآنة باصدقاء بكر وفاء احد رجال وصاحب الخاص
ومعه بعض خدمه وحشمه والطبقة العليا فيها عائلة من المسافرين ومعهم رجل عن الخط
المصرية فقاله متكلم لى بمحادثة بكلمات بعضها عربي وبعضها تركي ولم اكن
ادرك اوسع لتركي بما علمه انى لم افهم فعدل لى العربية وعلى انه من حاشية احد
الكتبة بطرابلس الغرب من متوظفي ايالتها وانه ارسل الى الاذن بها الشهير الاستانة
فبعث اهله مع بقية الخدم وذكر فى حديثه مقدار مرتب متبوعه فظننت انه هازل فتحقق لى
المقدار وان ذلك هو الواقع فاتفق ذلك الشهر فتعجبت من الامر كيف يكون صاحب ثلاث
المدعوة كتبة لذلك المرتب ويتعب لاجله من الاستانة الى طرابلس الغرب مع شدة
التنابذ فى الهوا فانحر وانه مع حلو لوجه عن مقام عال حتى يحصل لصاحبه رغبته فى

المبيت فدل على وجود برج آخر على غير الوجه الرسمي مما يضر بالمدينة ونظافتها طيف
حفظا (وهاته) البلاد أعتني بالبناء فيها عدة مالطية متصاعدة في جبل حتى ان أغلب طرقها
يصعد فيها بدرج وبها عرق رحبة للعجلات أحسنها واحد يمر من الشمال الى الجنوب
خارق البلاد الى طرفيها وبعضه مبلط بالخشب لحرارة قليلة بالبلاد لبعده ولا أولا باعث عليه
لا من جهة الوسع المسبب عن عدم انقطاع الامطار ولا من جهة فرقعة العجلات
المتكاثرة ولا من جهة ترصيص الاخشاب اذ ما طافه على خلاف ذلك كله وهي على نوع
البلاد الاوروباوية في التوسعة في البكور والحس غير انها ضيقة نظافة الطرقات وان كان
أهلها يبولون الا في الطرقات لكنهم غسلوا محلات لبول كل يوم وبها قصر كم
وفيها آثار عتيقة على بدروية البلاد وليس منها ما يذكر لا مدافع من أول نوع اخترع
وهي ورقات من نحاس مصبوغة بحبال ثم ما شوف عليها الدعابة ظاهرة على بابه عرب دون
كل مدفع غالبه أشعار وفي رواحله سبع عشر وقبة ما في البلاد ليس منه ما يعود بالذكر
غير انها حاوية لا يوجد ما في المدن الحسنة عمارة مع لي القصبة على نحو ما في اوروبا
ولا نطيل باعادته. (أماكن القصب) وهي من أول أقسام المراسي والبلدان لحصانة
عما حولها من الحصون المعمرة بالمدافع من أضخم مدافع الكثيرة وحصنها طبقة فوق
أخرى انما ساعد على ذلك من الجبل وهي حصون مصونة فيها لا تخربها القنابر ولو من
أعظم المدافع يصح أن لانها لا يمكن للهاجم اتخاذها وأخذها الا بالحصار
لاحتياجها الى القوت من خارج ... الحصار ... وسط في البحر
الابيض فتجيء اليها القوارب من البحر الاسود وغيره ويخرج فيها من الجنوب وغيرها ما يكفي
أهلها عدة سنين كما انها تشتمل مرساها على معمل مهم للسفن واصلاحها وعلى مخزن تامة
على كل المواد اللازمة لها وبها مرسى أخرى تسمى مرسى موسى ... عرفه عن مرسى
الشط وهي مرسى الكرنتينة اي مكان اقامة الواردين من البلاد المصابة بالامراض
المتوبئة وهي دون الاولى وحولها بساتين مقسمة على أقسام على وجه يمكن به
الاحتراس من مخالطة السكان بعضهم ببعض وهي مساكن لا بأس بها كما يوجد خارج
البلد مقبرة اسلامية محوطة بسور وبها باب مفاتيحه عند امام الجامع وهو جامع
ظريف والامام يقيم ... والقائم بالجميع الدولة العثمانية ... لكثرة ورود المسلمين الى
هناك تجارا من الشرق والغرب وقيم ذلك لامام الصلاة ... على من عرف
لسكناه عوضا عن سلوكه مسالك الدينة كان مقيما على الخير ... ولله عاقبة
الامور

الامور وعند مروري على حوانيتها وجدت بها اسرة من حديد صغارا جميعة تعلق حتى
يصير لواحد في طول ذراع وعرض نصف ذراع وعدة وجدت في الدكان ايضا لدي بفرش على
ظهورها ومع ارادتي اخذت منها اثنين للرحلة في البحار ووقفت على ... صغير يمكن حمله
بسهولة لاني لم اجد منه ولا وجدت شيئا يحتمل انى لا اجده في غيرها فاكتفيت
بذلك وسافرت منها بعد اقامة فيها ثلاثة ايام راكبا بابورة تجارية انكليزية متوجهة الى
اسكندرية

الفصل الثانى

﴿ في التعريف بمالطة ﴾

يسمى هذا الاسم ثلاث جزر واقعة في البحر الابيض على دقيقة ٤٥ درجة ٣٥ من
العرض الشمالي على دقيقة ٤٤ درجة ٢٢ من الطول الشرقي الجزيرة الاولى تسمى
مالطة ومساحتها ستة عشر ميلا اكبرها فالبلد التى هى العاصمة والجزيرة الثانية
تسمى (أدوج) مساحتها عشر قرية والجزيرة الثالثة تسمى كمونة بقربها اخرى
تسمى فلفلة صغيرة ... وكان ... يقدم اهل الجزيرتين الاعريب
للاختلاف بينهما واختلاف ... في ... مالطة ثم من جهة من افريقية ومنهم
من ... اوروبا بالقرب ... (وكل ...) ... جبال صخرية غير ان ... ها
... فاذا ... بالشمس ... لكن لشدة العمل
والمالحة صارت صالحة لزرعة كل النباتات التى بالبلاد الحارة (واما ...) ...
... وليس بها ... وليس بها ... الامطار ... السيول وليس بها
بحيرة (واما مياهها) فتوجد بها عيون ضعيفتان (احداهما) بالجزيرة الاولى
(والثانية) بالثانية ... يشرب ... الملوحة واكثر شرب اهلها من
ماء المطر المخزون في ... (واما هواؤها) فهو ... المعتدلة الحارة
ويحدث فيها ... كقوة ... مع رعود وبروق ... تنكشف بسرعة
ويحدث ذلك ... الا انه ... في الحر ... والشتاء فهو كثير الهواء
مضر بالصدر كثيرا ... حتى ... المأكولات وغيرها ... اماكن ... تغير الهواء
(واما نباتها) فينبت بها ... البقول وهي جيدة والقمح والشعير ... من
الحبوب ... متوسط كما ينبت بها القطن والعنب والرمان والليمون وغير

ذلك من الأشجار التي تحمل الحر ولا تحتاج إلى كثرة الماء ولذلك لم يكن بها غابات وما
ينبت فيها من الشجر لا يرتفع عن وجه الأرض إلا يسيرا فترى الخرنوب الذي يكون في
تونس الواحدة منه ممتد غصنه شاهقة وهو في مالطة لاصق بالأرض لا يكاد يبين
(وهكذا) سائر الأشجار ويعظم بها العارجد (وأما حيواناتها) ففيها المعز الحسن كثير
اللبن وبقية البهائم يجلب لها من خارج وبه تقع الأقلال من أعدام المرعى وبها
الحمير بكثرة والبغال والخيل بقلة (أما الحيوانات الوحشية) فليس بها إلا الأرانب ومنها
نوع إنسي يعظم ويربى في السباع منقعة والصيود الأنسية كالدجاج عندهم ويوجد
بكثرة العصفور الأصفر الحسن الصوت المسمى بالكناري ولو أمر به قابلة الأبيض الرحالة
كالحمام (وأما المعادن) فليس بها إلا الحجر ويصنعون الجير منه شيئا قليلا جر كمية
صناعية (وأما مدنها) فهي قاعدتها المسماة فاليتا وإليها بقرى مجموعها أحد
وثلاثون قرية أدم معظم الكنائس (وأما سكانها) فقد تقدم أن مجموعهم عظيمتين
عدا وما عداها فأغلبهم من ... ومائة ألف (وأما أهاليها)
فعددهم مائة وعشرون ألف كلهم مالطيون وبينهم قليل من الطليان نحو ا
ومن الانكليز عسكرا وبعض ... ومن العرب ... واصل
الأهالي على غالب الظن من بربر تونس وأما ... نصرانية على مذهب الكاثوليك ولهم
غلو شديد في دينهم ومائل في اعتقاد الخرافات

الفصل * الثالث

{ في تاريخ مالطه }

{ ... في التاريخ القديم } أول من سكن هاته الجزيرة الفينيقيون وسموها اجاجية
ثم عمرها اليونانيون وسموها ماليتة واشتهرت بذلك من قبل التاريخ المسيحي سنة ٨٢٢
ولم تزل ولايات المستولين على إيطاليا تتداول عليها إلى أن ملكها القرطاجنيون ثم رجعت
للرومان ثم ألحقت بالدولة الشرقية ... الأهالي واشتدت وطأتهم ... فاستعانوا
بالمسلمين فأخذها المسلمون ... من تونس ... إلى صقلية في المائة الثالثة
هجرية ولا ... أهلها أحيانا ثورات شديدة إلى أن تم الاستيلاء عليها ...
إلى مالطة المعروف الآن ... من الاسم الروماني السابق وبقيت بأيدي
المسلمين ... ومائتي سنة ثم ألحقت بصقلية تحت ... الرومان ثم التحقت بمملكة
الفسا

الفرنساوية المالقية اذ ذاك امبراطورية بريطانيا ثم الحقت بفرانسا ثم سابقا ثم استولى عليها نابليون الاول والحقها بفرانسا ثم عند حرب الدولة العثمانية مع فرانسا في مصر وتحزب الانكليز مع الدولة العثمانية قامت دولة انكلتيره على مالطة

«مطلب في تاريخ مالطة الجديد» لما دخل الفرنساويون الى اهل الجزيرة بانتهاك حرمة عوائدهم وكنائسهم ثاروا عليهم ثورة شديدة واستنجدوا بالانكليز فاعانوهم وسلموا الحكم اليهم وكان ذلك في سنة ١٨٠٠ ولم تزل حكومة الانكليز مستقرة هناك واغلب الاهالي مائلون اليهم عن حب نفس

«مطلب في سياسة مالطة الداخلية» الحكومة الانكليزية تعنى ان الحصول والفشل بيد حكام انكليزية والحاكم العام الانكليزي يراعي للاهالي عوائدهم حتى انه يتحرى لهم اسبابا ويرسل لهم حاكما على مذهب الكاثوليك من اهالي ارلانده وقد وقع ذلك مرة عندما تعرض احد الحكام البروتستانت لعادة لهم في احد اعيادهم فثارت لكوامنه وعزاه دولته انكلتيره حالا وصرفته بكاثوليكي ولا تزال تراعي لهم ذلك وهو عندها احدى الكبرى اسبابا لمرتبطين من قلوبهم وعوائدهم حتى في انتصاب مذهب البروتستانت وذلك الحاكم هو في وظيفته خمس سنين ثم يبدل بغيره لان تعاب الاهالي ابقاءه ثم ان تصرفه مقيد بمشورة عشرة من اعيان اهالي مالطة في كل ما يعود على مصالحهم وحماية بلادهم وكل المتوظفين في السياسة والاحكام هم من اهل مالطة الا الكاتب الاول للحاكم العام وجميع دخل الحكومة لا تأخذ منه دولة الانكليز ولا درهما واحدا بل كله يصرف في مصالح الاهالي وعساكر الدولة تصرف عليهم من خزينتها لا من دخل مالطة والاحكام الجارية فيها هي اصول القانون الانكليزي مع تحرير ما يصلح بالاهالي ومطابقة لعاداتهم حتى ان احترام يوم الاحد الذي يلزم في انكلتيره على جميع الكاثوليك فيه لا ترى منه في مالطة شيئا فالحاصل ان الحكومة شورية قانونية والاحكام لتعصيبة مجردة من الادارة الغرضية ونعم الحكومة الانكليزية وحقيقتها اهلية غير ان اكثر الواردين من الانكليز سواء كانوا متوظفين او غيرهم متكبرون كبرا شديدا على الاهالي لاحتقار عاداتهم وبلادهم فاورث ذلك كرها عند الاهالي لهم وان لم يقدر واحد من الانكليز على ظلم احقر الاهالي

«مطلب في السياسة الخارجية لمالطة» ليس في مالطة من سياسة خارجية تعتبر اذ هي لاحقة بانكلتيره واعانة في قاعدتها فاستعمل لكل الدول الكبيرة مراعاة لكونها

ساوى متوسطا بين المشرق والمغرب فقوى لهما المدن البحرية الا الطرفين ليس
لاوقت القتال من شئ سوى قضاء ما يحتاج اليه تباع دولهم داخل الحكم في الادعاء على
الجميع سواء من دون دخل امتثال القتال اشهو وكان تجارية تم لهم فائدة في الاعلام
بالحوادث السياسية ان حصلت هناك وذلك كتب اغلب القتال وهناك اصحاب
وظائف شرف لا وظائف عمل فكثير منهم لا مرتب له وغالبا يكون من ذوى الثروة فيقنع
برسم الشارة المذكورة لنسوب الجاهى باب داره بمجرد انفراد الافرنج مطلقا وان كانوا
من اهل الطائفة ام من غيرهم ولوع زائد بحب الفخر فتراهم يتهافتون على نياشين
الافتخار وعلامات الامتياز ولو من دولة صغيرة وانما هي عبارة عن اربعة آلاف
نجمة ابرز ينوطها صدورهم في المواكب او يجعلون في عراويهم عراوات على شكل الوردة
ذات لون مشيرة لما عندهم من علامات الامتياز فاذا دخل الرجل مقاما ابتلا الوردة
نال من المرور زيادة المراعاة ولو من حاجب الدور ومن مقاربين ومن ضعافة عقول
بعضهم ان يقلد تلك الاشارات ويدخل على الناس حتى تمسكه الشرطة والحاج او غيره
بناء على انه من طبقة الناس وقد نشأ عن هذه الرغبة في النياشين ان بعض الدول صار
لا يعطيها الا لمن يدفع النيشان الذي هو ازيد من قيمته زيادة على ذلك صار بعض
الدول يعين لمعرفته في الخارج عددا مخصوصا من كل طبقة من النيشان ليبيعه
ويتعوض بثمنه عن احد مرتب له من دولته وكذلك مرتب اتباع السفارة مع ما يحصل
له من رعيته اذا كان مقيما في مملكة يسوغ فيها تداخل امرائه وقناصل في الاحكام

﴿ مطلب في بقية عادات الباريزيين واحوالهم ﴾ لما تقدم لنا الكلام في المطالب
السابقة على بيان احوال الاوروباويين وعاداتهم فلا داعي لي لاطالة بالاعادة على غير
فائدة لان ما اصفه قطعة من ملحقات اوروبا واجمل احوالها اداما على العموم في احوال
سعادة الطليان والاعيان منهم من اعيان اوروبا سوى انهم يزيدون عليها بكثرة لبس
الخواتم في الاصابع ونساؤهم جميعا اذا خرجن في الطرق يدعمان على رؤوسهن
رداء اسود ممدد على جميع البدن ويمكن معرفة الاجنبي باتيان
وكذلك اهتم بلغتهم المشهورة الشاعرية معروفة
جدا يدخل فيها كثير من الالفاظ
والاصطلاحات
الايطاليانية

الباب الثامن في الاقطار المصرية

﴿الفصل الاول في سفري اليها﴾

بعد أن أقمت بمالطه ثلاثة أيام بمنتظر سفر الباخرة الى الاسكندرية حيث لم يكن بينهما
بواخر بريدية تواصل البريد بها وانما ترابط بها أو غيرها من جهات المشرق ثم يذهب
الى الاسكندرية فيلزم طول مدة السفر فلذلك أتيت باخرة تجارية من بواخر الانكليز
التي تتوجه الى الهند بكثرة فوجدناها مشحونة بالفحم تجري انزالت منه ما انزلت
في مالطه وحملت الباقي الى الاسكندرية والكراء فيها أوفق منه أرخص من بواخر
البريد لانه راجع الى السفن من حيث ان أصحابها ليس لهم الا الحمولات التجارية التي هي
موضوع تشغيل السفينة ولم يكن بها الا الطبقة العليا والاخيرة للركاب وليس بها
المتوسطة وهي افضل طبقات البريد فركبتها بالطبقة الاخيرة عند تمام افراغ فحمها انتظار
من غير تأخير ولكنها لم تسافر الا صباحا بعد الشروق وأسفت من ركوبها لما رأيت بها
من الوسخ سوى داخل البيت الكبير فانه نظيف ومثله حجرات النوم ومن المعلوم أن
المركب بعدما فارق الفحم في وقت العصر أربع ساعات الا ... وغسل ظاهر
الباخرة غسلا محكما وثبت فصارت من أنظف البواخر ويحق أن يقال ان بواخر الانكليز
مطلقة أشد نظافة من سائر ما نراه من غيرها أعني كل نوع بالنسبة الى نوعه وذلك اني كنت
رأيت بواخرهم الحربية نظيفة مع غيرها من البواخر الحربية للدول الكبيرة عند قدومها
الى تونس سنة ١٢٨٠ في الثورة المعلومة. وبواخر الانكليز أنظفها ... وكذلك
البريدية والتجارية ولهم في ذلك اهتمام زائد ثم سيرنا السير المعتاد في غاية السكون
وكان معنا ممن ركب في الطبقة الاولى اثنان من الكتابيين لهما معرفة بالتصوير فلكنا
ان لا نمر بشيء الا وصوراه من طير او سحاب او سفينة بل وكل من في الباخرة حتى كان فيها
في الطبقة الاخيرة على ظهر السفينة أناس من المغرب وآخرون من صفاقس كلهم
متوجهون الى الحج وفي كل يوم عند ارادة غسل ظاهر الباخرة يؤمرون بالانتقال من مكان
الى آخر مع حمل رحالهم فيكونون في شدة التعب مع الدوار الحاصل لبعضهم وعرض
الغرض تصويرهم على تلك المشقة والجهد الجهيد ولما نظرت الى حالة هؤلاء الحجاج
شاهدت مصداق قول الفقهاء بعدم وجوب الحج على تلك الصورة لانهم لا يصلون صلاة
واحدة مثل فريضة الحج وتركهم الصلاة يأتي من عجمة ابدانهم من تفريطهم بلا

استغاثوا من البلاء المتفاقم عليهم بغسل النجاسة من عدم وجود مكان للصلاة لانهم في موضع
من تجاوزه كان حبسهم ومع ذلك فيعاملون معاملة الحيوانات البهم من الحربيين
بالاهانة والسب الى غير ذلك وايضا فيجري بعضهم الدوار اخرى فيبقى بمكانه بل
منهم من يغوط ويبول فيه ويتصل بجنبه من يجتنبه فلما رأيتهم في مدة تلك الحالة
ذهبت اليهم واعلمتهم بالحكم الشرعي في وجوب نحو وضوء وما الاستطاعة فيه وسألتهم
لماذا يعدلون عن ركوب السفينة الوصى في تواتر امرها وفي العبادة لشمول البيت
بغالبه وبعضهم تظهر عليه آثارا بقوة فأجابوا بأن ذلك امر لا ضرر فيه لانه يدخول
عليه في السفر الى بيت الله بل مهما زاد فكان ثوابه اكثر واصبروا على ذلك منكرين
على قولي فعدلت عن ذلك ولمتهم في المحافظة على الصلاة فقالوا كيف نصلي ونحن على
هذه الحالة واين نصلي فقلت لهم انكم مالكية ومذهبكم يرى صحة الصلاة ولو على ما انتم
عليه لان ازالة النجاسة سنة وقيل تجب فقط مع القدرة والذكر فقال لي واحد منهم
اني اصلي كما ابقى فات من يصلي والآخرون قالوا لو وجدنا مكانا او تركونا ندخل
فاسعها لي فخاطبت رئيس الباخرة على ان ادخلهم في التخت واستعمال الماء في
المرحاض فقط لكن اغلبهم مع ذلك لم يصل ونفد ماؤهم ايضا بموجب كثرة رحالهم
حتى ان بعضهم رفع جرة كبرى مملوءة بشربات محلاة بالماء وقريبة من الادام والمدينة
الى غير ذلك فقالوا اذا لا قوت لنا فقلت لهم تقومون الى مدن ان لم تكن اكبر من
مدنكم فهي نحوها ولا بد ان يكون لاهلها ما يكفيهم ولا يسعكم ما يسعهم وزاد الطريق
في البراري يؤخذ من اقرب مدينة اليه وهو اولى بلا شك وهذا الذي عندنا انما هو
من بيوتنا فقلت لو بعتم هذا واضفتم ثمنه لنحو زاد لكان ارخص عليكم من
شراء الزاد من الاماكن اللازمة فقالوا ان تلك بلاد لا نعرف احوالها والاولى التزود من
اماكننا وهكذا حرث العادة من غير العوائد امر صعب جدا وفي غروب اليوم الرابع
وصلنا الى الاسكندرية ولم يظهر لنا منها شيء لان ارضها منخفضة ولا جبال بها حتى يمكن
رؤيتها من بعد وحيث كان وصولنا بعد الغروب ومن الرسوم ان لا تدخل السفن الميناء
الا بهاد يهديها الطريق حيث كان قرب مرساها صخرات لا تتبين من البحر وتضر بالسفن
اذا صادمتها لزم حضور او انتظار الهداة ليدلوا السفن على الطريق ولهم على ذلك اداء
معين فلزم الباخرة ان تكون طول الليل عديمة الحركة في نحو ميلين ولم يظهر لنا من البلد
سوى منارة هداية السفن وقرب الشروق ظهر الهادي في قارب قادما للباخرة فاعرض

عنه

عند السفر بحقوق الحوالة بدأت مشاهدتي لتحامل الافرنج على المصريين وتبين ان السفن
كان عليها باباظ ولكنه غير توقف عن الدخول لمجرد الرسم ودخلنا المرسى فاذا هي
ذات مين وان مرسى صغيرا يضم بواخر الحكومة المصرية الى جهة خاصة غربية
بواخر كان كلها خشب وفيه من البواخر التجارية الاجنبية اربعة عشرين وفيها
باخرة حربية حتى قوبلت بعد تمام الارساء احد لاحاجة بحرية من مأموري الصحة في
انزال المسافرين كان الاذن لركابنا بالنزول وذلك لان من القوانين الصحية ان كل مدينة
تسافر من مكان يلزمها ان تتقدم لمأموري الصحة الذين لهم ديوان خاص
منصوص له حالة البلاد التي سافرت منها من جهة الامراض العامة وقد رماني الطبيعة
من الركاب وانواع الماء التي بها واوصلت الى مرسى مقصودة اول مانقابلها
مأمورو الصحة فيطلبون ذلك الصك ويفتشون عن صحة الركاب وعددهم فان لم يوجد
بها شيء مضر اذنت بالافراغ ما تريد في تلك المرسى فاما اذا كانت الباخرة القوارب العمومية ونادى
عجاج الصباح من اصحابها فخاطبني من اهلي واوقع في النزاع على [illegible] الانتقال
ورد كتب ولما رأيت الامر تعاقد اصحاب الباخرة [illegible] دفات رجلي وجاءت
حرب الهاف زاد بعد ان اصحاب القوارب كدوا يختصمون الرحال شاهدت صاحب الرأي
من غير مشاورة فلا جرم ذلك حالهم في اي بلد كانوا ثم بعد الوصول بضروب الاحراضات ما
مضاهية ولما نزل جميع الركاب مع رحالهم ولم ... في حول الباخرة الا قوارب السلم التي
عهد شهاءي القمرق دون قارب اراتقت معه على اجرة ... واعاني على ذلك ابن
وكيل حكومة تونس الحاج علي العبراني رحمه الله حيث تلاقى في الباخرة بعدان ورد
تابعه انا لا ... وعلمته احد اولاد القاريين ... لان ... لا ... ثم
لما وصلنا الى القمرق طلبوا ورقة الجواز وكادت ان تحصل انا اتعاب عدم الدخول الى
الاسكندرية حيث كانوا يمنعون دخول من يريد الحجاز جعلوا لهم خارج البلاد مكانا
معا بالماء وكرحبت لا يسوغ للوارد الا ان يركب في البحر او طريق ... بعيدا الى
السويس وكان سبب ذلك كثرة من كان يرد من الاقطار الغربية للحج لا مال وزاد
منه كانوا بمصر يعملون حكومتها واهاليها ... لهم مالا داعي اليه لا شرعا
ولا عقلا لان اصل فرض الحج معلق على الاستطاعة بنص القرآن الكريم فلا يسوغ
الاقدام على السفر بدون شروطه ثم اذا وقع العارض فقد المادة فالمال يقوم به في
الرجوع لوطنه او ذل ماله او اقامته في بيته مال المطالب فهم ممن بعض الكتاب لا بناء

السبيل فيعطون حقهم في بلوغ مكانهم ولو كان ابن السبيل غنيا لكنه في ذلك
الطريق لا مال له فتدارك ما الله بلطفه وأذن الحاكم بالدخول للبلد فنظروا الى رحالنا
وأرادوا التشديد في تفتيشها وطلب عليه على ما فيها امتثالا لغير الاحباب اليهم ولم يستثنى
الا الخاص من انهم يدفع شيء من المال زيادة بالحد المعروف من الخوف من تشتيت
رحلي والمرافقة معه مع التعب ثم قصدت منزل المسافرين الافرنجي المسمى أوتيل دي روب
في أكبر شوارع البلاد بمدينة فيها في الناحية الغربية النزول عند وكيل تونس الذي لا داعي
اليه سوى تحميله الكلفة بالضيف والمصروف عليه مع تمكني من لزوم مراعاة أحواله
وعاداته بما لا يوافق حالتي وعاداتي واتمكن في مصروفيتي مع ما أنا عليه من
المرض الملازم لدي منذ صدر رجوعي الى تونس بسبب الانفعالات النفسانية ويلزمني
الاعتدال في الأكل والنوم وغير ذلك مما يحصل بضيق مشقات أو يضرني تركه
فاكتريت في ذلك المنزل بيتا واسترحت به على ما اعتدته وعشت في جامعه وأكلت
ثم أكتريت عجلة وقصدت أخي في الله الصفوة الخيرية عالي الاخلاق والاعراق
سيدي ابراهيم السنوسي الحسيني وهو المحدث البليغ المتمكن في علوم المنقول والمعقول
والسياسة صاحب الاخلاق الرقيقة لارتياحه الى نشر ما بينه الاصيل عند نفس
البيضاء قاعدة مملكة المغرب وحصل من العلوم ما استكمل به فخره ثم رحل الى تونس وأقام
بجامعها الاعظم واسترحت به أفاضله واعتنى بأمانة سير جعله أديبه وكاد أن يتخذها قرارا
لولا المحنة التي وقعت بها من سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٨٦ فارتحل عنها على ما دعت
اليه مقتضيات الاحوال من فساد الحكومة واستقر بالاسكندرية فحفظ على كماله
وفضله وعفافه وتمت نعم الله عليه لا زال أهلا لكل فضيلة ولاقيته في الطريق
وأنزلني بالاستقرار في مقره وحيث كانت الاسباب المذكورة آنفا في الخلاص من الصيدة
مفقودة مع أخي الفاضل المومى اليه ملأ من جهتي ولا جهته ساعفت مراده وأقمت عنده
سبعة أيام ولاقيت أيضا أخي في الله التقي النقي الكامل رستم باشا التونسي وهو الفاضل
العفيف المصروح المؤتمن نشأ في بلاد الجراكسة من جبال القوقاس ووفد على تونس
دون سن العشرة أدخل الى مكتب الحرب وحصل على القرآن العظيم ونصيب كاف من
العقائد والعبادات والتجويد والصرف والحساب والهندسة وغيرها من الفنون الرياضية
والحربية مع تحصيل اللغة الفرانساوية ومعرفة اللغة التركية وشيء من علم التصوف ثم
تقلد المناصب العالية في حكومة تونس فولى أميرلوا حراسة الامير ثم مستشار الداخلية

ثم

ثم وزيراً فيها وعضواً في المجلس الخاص والمجلس الاكبر وكان من أشد الذابين عن العدل
والشورى ولما وقعت النكبة العامة لتونس سنة ١٢٨٠ ومات أعلامها من المظالم سافر
المشار اليه الى أوروبا ثم رجع الى تونس سنة ١٢٨٦ باستدعاء الحكومة وتقلد وزارة
الحرب مع نيابته في كل من المدة وولايته عملاً على أعمال بديعة بحربيه والاعراض
وغيرها وسافر مراراً أميراً على المعسكرات لاقرار الراحة والأمن في الولاية وفي كل ما تقلد
به كان مستقيم السيرة والسريرة مثنى عليه بالسن الخاص والعام ولما ابتدأت النكبة
الكبرى الاخيرة لتونس ورأى مباديها ترخص من الوالي المعزل لتداوي فأقام في أوروبا
مدة ثم أقام بالاسكندرية ملاقيه مساقي احدى المنار لكونه بالرملة والآن سمات
من الكل الدموع لما توقعه مما هوان المرء ولا حول ولا قوة الا بالله وهاته البلاد
أعني اسكندرية هي ثاني مدينة في القطر المصري وهي مباح تجارته مع سائر الممالك
التي على البحر الأبيض واتساع المرسى ومساحته ومن حصينة وقشلات العساكر ومكاتب
عديدة لسائر الفنون وقصر للخديوي بقرب المرسى أنيق فاخر ومتنزه عام خارجها
بالمكان المسمى بالعمودية وهو متنزه به حديقة بها الوحوش في الرحبة لمشاهدة
واكن أكثر من يرد اليها عامة لا جانب وفي العمودية طريق ومنبع صناعي حوله
الأشجار العظيمة يتماشى فيه المترفون بعلاتهم ويقرب منه فرع من النيل وعليه آلات
بخارية لرفع الماء وتصفيته وتقسيمه على ديار البلاد في قنوات وأغلب طرق البلاد
مبلطة بالحجارة حسنة المنظر ساحات الافرنج اتي بوسطها الطحمة الكبرى ذات
الجنينة والنوارات وحولها القصور الشاهقة ومن تحتها الحوانيت المزخرفة
وبوسطها صورة محمد علي باشا مجسمة ضخمة كأنه راكب جواده وأغلب
طرق البلاد في حارات لها بعض ضيق وما عداها فهو متسع وبها من الجوامع الشهيرة
جامع الامام البوصيري رحمه الله وهاته المدينة بناها الاسكندر المقدوني وهو الرومي
اليوناني الذي نشأ في مقدونية المعروفة الآن بالروميلي في بلد فيلبه وهو تلميذ
أرسطو الذي أشار عليه بتفريق ممالك الفرس عند تغلبه عليها سنة ٩٣٥ قبل الهجرة
وقال له الحكمة المذكورة الى الآن وهي اقسم تحكم كما قال في الاقباسوس وليس اسكندر
هذا باني سد ياجوج فان ذلك من الملوك المعروفين بالاذواء فهو من حمير ملوك اليمن
واسمه الصعب ولقبه ذو القرنين ولقي ابراهيم الخليل وعاقده كما في الصحيحين واطال في ذلك
فليرجع اليه من أراده وهذا مما يؤيد ما قلناه في الكلام على سور الصين في المقدمة فوته

الجدود وقد سماها الاسكندر هاته البلدة بالاسكندرية باسمه وكانت هي قاعدة الاقطار
المصرية الى الفتح الاسلامي وكان تجاهها جزيرة يقال لها جزيرة فاروس فاتصلت بالبر
برصيف بناه بطليموس وهي الآن جهة راس التين وفي شمالها الشرقي منها بنى المذكور
منارة الاسكندرية الشهيرة وكان ارتفاعها نحو ١٥٠ قدما واحد جوانبها يزيد
عن ٥٠ ذراعا ولكن انشأ عليها احمد بن طولون قبة من خشب واحد فهدمتها الرياح ثم
اصلح المنارة الملك الظاهر بيبرس وبنى عليها مسجدا انهدم بزلزلة ثم جدد ثم
انهدم الجميع وبني بمحلها الطوابي الموجودة الآن من آثار محمد على باشا وقد كان أسس
بطليموس الاول خزانة كتب تمادت في مدد الزمان تحتوي على ٧٠٠٠٠٠
مجلدا وزعم بعض المتأخرين من المؤرخين ان اميرا منهم بعد ان عمر امر بحرقها مع انها
احترقت قبل الاسلام بعدة مديدة من لدى ارخه هو يوليوس قيصر الروماني عندما كان
محاصرا بالاسكندرية ورامت اعداؤه الاستيلاء على سفنه فاضرم فيها النار وكانت
بقرب من المحل الذي يحتوي على الخزانة المذكورة فاحترق الجميع كذا في جغرافية
مصر الكبرى قال ومن المحقق انه بعد مدة من الزمن كان يقال لرومي في هذه
المكتبة كليوباترة من كتب مدينة برغام ٣٠٠ الف او ٤٠٠ الف كتاب وتجدد
بذلك خزانة كتب عظيمة ثانية دون الاولى واصابها الحريق مرتين ثم مرت
بالتمام بواسطة المتعصبين للديانة النصرانية لازالة ذكر عبدة الاوثان في مدة حكم
تيودوس قبل الاسلام اه باختصار وكان بهذه المدينة الآن نحو ٣٠٠ الف نسمة
وبها البريد من ٣٠ الف محل مابين كبير وصغير وتشتمل على محل قناطر السفن واصلاحها
ومن غرائب البلدة المسلة الواقعة قرب محطة سكة الحديد الموصلة للرملة وهي اخت
المسلة على صورة المسلة التي ذكرناها في باريس وقد ... من مسلة مصر ولم
يبق بها الآن منها فقط وطولها ٦٤ قدما في قطعة واحدة من حجر عليها كتابة قديمة
وبها عمدة ... سنة ١٧٣٦ قبل الميلاد وبها ايضا عمود السواري
الشهير الواقع جهة ... وهو عمود على قاعدة عظيمة وفوق تاج عال ارتفاعه مع
تاجه اكثر من ٣٠ مترا ومحيطه نحو ٢٨ قدما يقال انه عمل مدة ... الروم وبعد
اقامتي بهذه المدينة اياما وتزودي منها ما لزم اشتريت الحجارة ... الحمام واقرب فاتي
احدهم من مصر ... ارخص عمارات ... ذلك في السويس توابع الحجاج
والخادم الذين استأجرتهم من الاسكندرية توجهت حينئذ الى مصر القاهرة راكبا على

طريق

طريق الحديد ولم نجد به اعتناء باصطناع الفرش ومرافق مثل ما يوجد في اوربا وكان
ركوبي بعد العصر فسار ونزل ميزو طاو لم يقف الا ببعض بلدان كبيرة وكان منظر
الارض قرب الاسكندرية فليس بها الا غابات ومراحات وبعضه بالماء كما انه مزروع
في الاثر لكن تعبيرا ظهر بحسن النبات والزراعة ببعض حصة وبطل بذلك المنظر
الجميل لارتحال السلام ووصلنا الى القاهرة بعد مسير اربع ساعات ونصف فاتفق
في اوقت اصحاب الوجه الحاج على الثعالبي ركيل تونس واعتذرت اليه عن الاقامة
بمنزله ونزلت في منزل المسافرين امام الحمارة الكبيرة وامام روضة
الازبكية واسمه رهاية لدارل نحو من اسفار اوربا

الفصل * الثانى

{ في صفة مدينة مصر القاهرة }

هاته المدينة هي قاعدة الاقاليم المصرية منذ الفتح الاسلامي غير انها اختلفت اسماؤها
ومواقعها على حسب اختلاف الدول والاعصار وان كان مركزها واحدا فاولها
عمارة بعد ما اختطه الصحابة رضوان الله عليهم مدينة الفسطاط حيث ضرب
بيده عمرو بن العاص فسطاطه في الفتح وعند ارادته التقدم جهة الاسكندرية بقي
هي القاعدة بذلك وحدث بها فرجع الى عمرو فسطاطه فاجاره وابقى الفسطاط
الى ان رجع الجيش بعد الفتح واختط المدينة حول الفسطاط ثم بقيت به الى ان تغلب
الامر الفاطمي على مصر على يد قائده جوهر واختط القاهرة وصارت هي دار الامارة
وهي مدينة رحيبة بقرب الجبل بجهاتها وعليه آلات بخارية لرفع الماء وتصبه وارساله
في قنوات تفرق على جميع المدينة وعليه جسر حديد طوله متر ٥٠٠ وعرضه متر
عليه سكة عجلات وعلى حافتيه طرقات للمشاة وقد صنع سنة ١٢٧١ وعلى حدودها جبل
شاهق عليه قلعة حصينة وكانت مستقر الامراء وهي ذات حصون متينة صناعية مشحونة
بالمدافع من الطرز الجديد اضخم زيادة على حصانتها الطبيعية وتشرف على سائر المدينة
وارباضها وترى عظم اتساعها وادخل فيها لقامة جامع ضخم ذو قبة شاهقة جدا ومنارتين جليلة
مرتفعة وبه اسطوانات من المرمر الملون ذات سمك وارتفاع عظيم وصحنه الرحب منوصا
انيق جميل وبني هذا الجامع محمد علي باشا كما بنى قصر الحكم بها وهو ذو بيوت واسعة
واواوين رحيبة مشتمل على جميع الفرش ولا زال هو القصر الرسمي للموكب المهمة

وان لم يكن فاخرا مثل القصور الحديثة التي يقيم بها الخديوي بالقلعة أبصاء مكررو ديوان
نظارة الحربية وبها بئر عجيب جدا يدعي الجهال انه جب يوسف عليه السلام ولكن الحامل
لهم على ذلك غرابته ووجود بئر في ذلك الارتفاع فعدده مجرة وبالقاهرة أسواق
كثيرة جدا بل ان الدار البلد أكثرها حوانيت في سائر الجهات وأهم طرقها القديمة
هو الطريق الموصل من الازبكية الى جامع سيدنا الحسين ويسمى بالموسكي فهو متسع في
بعض جهاته ضيق في بعضها او مسقوف بأخشاب وفي بعضها قصور جميلة المعمار واما بقية الطرق
القديمة فأكثرها الاتربة والعلالي وبعضها ربما له سكة واحدة ومن الطرق الجديدة
التي فتحها اسماعيل باشا في عشرة ثمانين والمائتين والالف في الحارة المنسوبة اليه
المسماة بالاسماعيلية فهي على نحو الطرق الاوروباوية تماما واستقامة وهناك الآن
كما احدثه ملحقة بعمرو من جهات القاهرة حديقة الازبكية الجميلة الانيقة المحاطة
بسياج من قضبان الحديد الجميلة وبها أبواب من كل الجهات على الطرقات المحاطة
بها وهي ذات غياض ورياض واشجار وانوار وقاعات وقهاوي تلعب بها الموسيقى
الرسمية كل يوم عشية لكنها لا يحضرها غالبا الا الافرنج وقصور الخديوي وقاربه
وحواشيه مماثلة للعمارات الحديثة مستوفاة طارئة واهمها قصر عابدين أما القصور
التي له حول القاهرة فهي كثيرة مضاهية لأرقى قصور ملوك أوروبا جمعت بين
ما للاوروباويين من الغرب وما للشرقيين من التزويق والاسراف الكل منها حدائق
وعيون وحيوانات غريبة ومن اهمها بستان شبرا وقصر ذي البركة رحمة الذي
انشأه محمد علي به عداني القاهرة نحو ثلاثة أميال وله طريق جميل هو منتدى أهل
التمشي والنزه بعلاتهم وخيولهم من العالم البهيجة بالأشجار العظيمة ومن ورائها
البساتين والقصور المؤنقة لأهل الترف والمدنية من الاوروباويين والامراء والوزراء وعلى
جانبه ترعة من النيل وهكذا عمارات الافرنج والعمارات الحديثة في تزيين البناء والقصور
ونحوها من القاهرة فضلا عن الداخل لكن ديار الاهالي ليس منظرها من الخارج
مما يسر النظر أما ما اشتملت عليه القاهرة من المقامات والاماكن المعظمة فاولها مقام سيدنا
الحسين رضي الله عنه وارضاه وذلك انه بعد الشنيعة الشنعاء بكربلاء أيام يزيد سنة ٦١
حمل الرأس الشريف المكرم ويقال انه دفن بعسقلان الى ان نقله الملك الصالح طلائع بن
رزيك وزير الفاطميين سنة ٥٤٨ الى القاهرة في موكب عظيم ودفن بالمقام المشار اليه ثم
عملت عليه المقصورة من الفضة الموجودة الآن سنة ١١٧٥ وبني حوله المسجد

الرحيب

الرحيب وقد تشرفت بزيارة هذا المقام الشريف وصليت الجمعة وغيرها في مسجده ولله
الحمد وقد صلى الخديوي محمد توفيق تلك الجمعة هناك فلم يكن له من الأبهة والفخامة
الكبرى بأبهة ما يشكر وغاية ما معه بعض خدم وأعوان ومن المشاهد أيضا مشهد سيدتنا
زينب شقيقة السبطين رضي الله تعالى عنهم ومشهد سيدتنا رقية ابنة سيدنا علي بن أبي
طالب ومشهد سيدتنا سكينة بنت الحسين السبط ومشهد سيدتنا نفيسة الطاهرة من
ذرية سيدنا الحسن الشهيرة بأرض الصلاح ذات المناقب المأثورة ومشهد الإمام الشافعي
خارج القاهرة في القرافة وغير ذلك من المشاهد والمقامات التي لا تكاد تحصى رضي
الله تعالى عنهم أجمعين وذلك لأن مصر محط رحال الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين
رحمهم الله أجمعين وكذلك الجوامع التي تكاد تفوق العد وأول مسجد بني بها هو
الجامع العتيق ويسمى الآن جامع عمرو وأسس سنة ٢١ عند الفتح الإسلامي ثم زاد فيه
مسلمة بن مخلد الأنصاري سنة ٥٣ ورونقه وقيل إنه بنى به أربع منائر بأركانه الأربع بأمر
معاوية وهو أول اختراع في ذلك وفيه يقول عابد بن هشام الأزدي

وكم لك من مناقب صالحات * وجدد بالصوامع للأذان
كأن تجاوب الأصوات فيها * إذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوي * وأرعب كل مختلف الجنان

ثم الجامع الأزهر وهو أول جامع أسس بالقاهرة بعد السلطنة أسسه جوهر القائد سنة
٣٦١ وجدد الأمراء عمارته وهو ينقسم إلى بيت وسيع ذي تقاسيم مرفوع سقفه على
أعمدة وإلى صحن وسيع محاط به أروقة يقيم بها جماعات من الطلبة المجاورين لأخذ العلم
وهذا الجامع هو مدرسة العلم الجامعة في الأقطار الشرقية وفي القاهرة جوامع أخر عديدة
ذات بناءات ضخمة أشهرها بعظامة البناء وضخامته وارتفاعه وإتقانه جامع السلطان
حسن بن قلاوون ابتدأ في عمارته سنة ٧٥٧ وأتمه في ثلاث سنين ومقدار ما صرف عليه
بمكة لوقته نحو ثلاثة عشر مليون فرنك فهذه هي أشهر الأماكن بقاهرة مصر ومنها
مدارس العلوم الرياضية وقد جمع بها جميع الكتب التي كانت متفرقة وتشتمل على نحو
مائة ألف مجلد منها الآثار العجيبة البديعة ومن نفائس الكتب نفائسها وخطها
ما لا يوجد غيرها ومنها مصحف كريم يقال إنه بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه
ومصاحف أخر عديدة عظيمة الحجم مزوقة بالذهب إلى غير ذلك من الكتب العتيقة
والعجيبة وذلك بخلاف مقامات الحريري من الكتب التي نقلها إلى باريس ده ساسي لأنه

على عهد مدة نابليون بونابارتي وكذلك البيمارستانات أي المستشفيات الجامعة للتداوي
وتعليم فنون الطب وقد شاهدت أحدها [illegible] الكيميا والطبيعيات
والاحكام المصرية [illegible] من بني آدم وغيرهم [illegible] في ايوانه لا آثار هي
على شبه حرف من الاضمحلال [illegible] في [illegible] مصر [illegible]
[illegible] ومن مهمات ما يذكر في الاهرام هرام [illegible] بقربها في مكان المسمى
بالجيزة وقد [illegible] الارض
حوله مرحلة ولم يصل [illegible] الصناعة بها والاهرام بارض مصر كثيرة جدا منها ما هو باق
الى الآن وعدد [illegible] وقد قيل انها ٢٧ هرما ومنها ما تعذر بالهدم وصروف الايام
وأكبر ما وجد منها أهرام الجيزة المذكورة وهي ثلاثة أهرام أكبرها وسطها ويعرف
باني هرمس وأشهر الاقوال في بانيه هيرودوت كيوبس أحد فراعنة [illegible] الرابعة
من فراعنة مصر وعلى ما حرره المؤرخون [illegible] الآن نحو ثلاثة آلاف سنة
وكانت مدة [illegible] في اثناء ٥٠ سنة [illegible] ٣٠ سنة وكان المشتغلون
في بنائه ٣٦٦ الف نفس [illegible] كل يوم من السنة الف نفس
للشغل [illegible] على [illegible] الزمن وقد وضع على شكل
مخروط قاعدته مربعة [illegible] مركز ثقله في
وسطه [illegible] على نفسه [illegible] الرياح كي
لا تؤثر به [illegible] وفي داخل هذا
الهرم [illegible] الدخول اليه
لان المدخل ضيق [illegible] أمامه أحد [illegible] هناك
بنور شمعة وأنا [illegible] ضيق الصدر [illegible] الكلام
فيه من [illegible] محمد [illegible] فكري وكذلك [illegible] تتعلق
بالاوطان المصرية [illegible] كتاب جامع [illegible]
[illegible] هذا الهرم [illegible] حجرة [illegible]
حوض بديع [illegible] واحدة [illegible]
داخله ما يبهر العقل من كمال احكام تركيب [illegible] الحجارة [illegible]
الواحد منها [illegible] مكعب [illegible] واحدة [illegible] أعلاه من داخل
بسطح [illegible] منار [illegible] أعلى الهرم [illegible] سطح ارضه

١٤٦ أما طول سطح احد جهاته فهو ١٨٤ وطول كل ضلع من قاعدته ٢٣٠ مترو والاهرام الاخر اصغر من هذه وقد تغالت الاقوال في الغرض من بناء الاهرام حتى قال عمارة اليمني

تنزه طرفي في بديع بنائها ۞ ولم يتنزه في المراد بها فكري

اهـ ما قصاروا الظاهر الاول انها قبور لاصحابها وبقرب هذه الاهرام صورة اسد جاثم منحوت في الحجار [illegible] رأس آدمي [illegible] وهي أعظم ما يكون من الصور واصله من أعمال [illegible] الاولين يسمى ابا الهول وبقربها اطلال بناءات هائلة [illegible] ثم كشفت منها بيوت [illegible] في قطعة واحدة من الحجر وسقفها كذلك حجرة واحدة [illegible] الزائر [illegible] وكيف امكن [illegible] ووضعها بجهاتها وحول هذه الجهات اناس [illegible] لهم صناعة لم [illegible] سوى التفتيش على الاشياء العتيقة من تحت الارض [illegible] الالواح والظروف [illegible] غرائب تلك الآثار القديمة مع ان الحكومة المصرية عينت كثيرا [illegible] الآثار العتيقة التي يمكن نقلها وحفظها في محل خاص [illegible] ومن أهم [illegible] لكل قاصد [illegible] وفي [illegible] الجهات المصرية عجائب من صنائع الاقدمين مما يدل على تقدمهم التام في المعارف [illegible] الآن [illegible] الانتقال وحفظ اجسام الاموات على حالها [illegible] المومية المصرية التي [illegible] القرون [illegible] من مواد حجرية [illegible]

وقد [illegible] في [illegible] كانت مقر [illegible] الاثار [illegible] وكل ما يمكن أن [illegible] ايدي الدول [illegible] فقد جمع في القاهرة [illegible] الآثار [illegible] حتى [illegible] بل [illegible] جميع ما في [illegible] على الحكومة [illegible] صحة ذلك القول [illegible] الآثار [illegible] حتى صح [illegible] مثل ما [illegible] وقد [illegible] في القاهرة [illegible] وأعيانها وقد زرت العلامة المصري [illegible] الشيخ ابراهيم [illegible] لم يبق له من [illegible] سوى الكلام [illegible] وهو على [illegible] والتمكن [illegible] على جانب عظيم من التواضع [illegible] وحسن الاخلاق [illegible]

انه من تلامذة الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي التونسي وانه اخذ عليه واجازه عند اختباره عصر الحج وسألني عن ذريته ودعا لهم بخير وبحبه الشيق من الشيخ التونسي ودعا لي وللسامعين عند رجوعي انه قبوله وآمنّا ان سنه نحو الثمانين سنة وكذلك حضرت ثم كان درس العلامة الازهري الشيخ محمد عليش صاحب التآليف الشهيرة وهو حدثه يقرأ في شرحه على مختصر خليل في الفقه المالكي اثناء كتاب النفاق بمسجد قرب جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه لانه لم يستطع القراءة بالجامع حيث تكثر فيه الاصوات من الدروس وهو اكبر سنه البالغ نحو الثمانين وضعف بدنه كان يخفض الصوت حتى اني لم اتمكن من سماع تقريره كما ينبغي لانخفاض صوته مع مزيد السكون في المسجد ومع ذلك فقد اطال الدرس حسب معتاد المصريين فكانت مدته ساعة ونصف وانصرفت وهو لا زال يسرد الاقراء عليهم من نهاية العلم واصلاح ما يؤذن بصحبته الشهير وكذلك اجتمعت بالفاضل الصفوة الخيرة سيدي عمر السنوسي اخي صديقي سيدي ابراهيم السنوسي المتقدم ذكره في الاسكندرية وهو ذو اخلاق مطابقة لما هو من مجد الاعراق وغير هؤلاء من بعض الاعيان من الاهالي والمتوطنين من اهالي الاقاليم الاسلامية كالفاضل الحسيب عمر الاصابي من اعيان تجار اهل المغرب ذوي الثروة والشهم الهمام الزبير باشا الذي كان حاكما من مملكة دارفور من السودان ودخل طاعة الخديوية المصرية في تمام كلمة الاسلام ثم عزله اسماعيل باشا وابقى مقيما بالقاهرة وهو رجل ذو هيئة وجاهة تعجب جالسه من كمالاته مع انه من اهالي السودان وان كان اصله من نسل العرب الكرام وهو مهذب الاخلاق عارف بالسياسة والحروب وبصحراوية دواخل افريقية وشئون طباعها الشمالية فنود على الله كثر منه من امثاله وقد دعت الظروف الى الاجتماع بحضرة الخديوي محمد توفيق باشا توجهت اليه واحضرت ابياتا تضمنت تاريخي ولايته اذ كان اذ ذاك قد ولي منذ بضعة اشهر وتلقاها مني بسرور وبيت التاريخ الهجري هو قولي

في هناء الملك أرخ • لاح توفيق الخديوي

١٢٩٦

وبيت التاريخ الميلادي هو قولي

فانشد التاريخ صاح • قرة توفيق الخديوي

١٨٧٩

والصاد بعدد تسعين لان ذلك هو حساب المشارقة فيها واما المغاربة فهي عندهم بستين وذلك

وذلك لان حروف أبجد حساب مجمل وقع في اعداد بعضها خلاف بين المشارقة والمغاربة وها أنا الحروف بذكرها هنا لتتم بها الفائدة حيث رأيت كثيرا من أهالي القطرين يجهلون ما اعتاده اخوانهم حتى انهم ربما حملوهم على الخطأ في العدد مع ان ذلك مبني على الاصطلاح الذي لا مشاحة فيه ودونك حساب الاحرف والذي فيه الخلاف أضع حساب المشرق عن يمينه والمغرب عن شماله وباقيها أضع له عددا واحدا ا ١ ب ٢ ح ٣
د ٤ ه ٥ و ٦ ز ٧ ح ٨ ط ٩ ى ١٠ ك ٢٠ ل ٣٠ م ٤٠ ن ٥٠ ص ٩٠ ٦٠ س ع ٧٠
ف ٨٠ ض ٩٠ ٨٠٠ ق ١٠٠ ر ٢٠٠ س ٣٠٠ ت ٤٠٠ ث ٥٠٠ خ ٦٠٠
ذ ٧٠٠ ظ ٩٠٠ ٨٠٠ غ ١٠٠٠ ٩٠٠ ش ٣٠٠ ١٠٠٠ وحيث كنت قاصدا الاياب في المشرق رأيت قاعدتهم فاجتمعت بالخديوي في قصر عابدين ولم يكن معه أحد وهو متواضع دين متمدن متبصر وبعد اقامتي بالقاهرة اسبوع أيام واشتراني منها القرب لحمل الماء في الطريق واشتراء الحيوانات اللازمة لذلك سافرت الى بلدة السويس في طريق الحديد وكان العمران قرب القاهرة جميلا لكن لما خرجنا عن خط النيل الا وكانت الارض صحراء خاوية لا نبات بها ولا أنيس سوى بعض نخل لقصب على حافتي الترعة الذاهبة الى السويس وبها أفراد من القوارب الصغيرة الحاملة كل منها الانسان أو اثنين مع بعض بضائع فوصلنا الى السويس بعد الغروب وكان السير من القاهرة اليها نحو ثمان ساعات فنزلنا في النزل المسمى وكيل المغاربة بتلك البلدة وترى بها جميع منازل المسافرين على نحو ما مر في غيرها وما هي قرية بها بعض الاجانب وبها حاكم يلقب بالمحافظ وضابطية وعساكر واهلها ماؤهم من الماء الصناعية وبقربها من الشرق فرضة الخليج الجامع بين البحرين الابيض والاحمر وحول المرسى محل للضغط المسمى بالكرنتينة وعليه عساكر محافظون وفي البلد نخيلات وشبه جنينات حول ديار بعض الافرنج وما وراء ذلك فهو صحراء خالية وان كانت الارض قابلة للاصلاح لكن تشديد الحكومة في اعلا اسعاره أبقاها خرابا وجميع المنازل التي خدمة خليج السويس لها بعض جنين ومياه النيل واصلة اليها

الفصل ❁ الثالث

(في التعريف بمصر)

هاته المملكة صارت الآن من الممالك العظيمة في افريقية فيحدها شمالا البحر

الابيض ويبتدئ الحد الشرقي منه مارا على خط موهوم بين الشام ومصر ثم على
شاطئ البحر الاحمر الغربي شاملا بلاد النوبة الى أن يصير تخما لبلاد الحبش الذي يفصل
بينهما خليج الهنانك فينعطف الحد منه مشرقا محيطا بامارة الجنوب مارا مع البحر الاحمر
مجاورا لمصادمه الى أن يصل الى باب المندب ومملكة الحبش حينئذ داخلة في الحد لكنها
لا تتصل بالبحر الا بمملكة مصر بشطوطه ثم يمر الحد مع البحر ويشمل مملكة
عادل المسماة بزيلع ويمر على شاطئ افريقية الشرقي على المحيط الشرقي الى أن يصل الى
حدود مملكة زنجبار ثم يبتدئ الحد الجنوبي فيمر من الشاطئ مغربا الى دواخل افريقية
السودانية وينعطف الى الجنوب حتى يصل الى حد الدرجة الثالثة جنوبا وراء خط
الاستواء ويشمل مملكة دار فور ويصل الى حدود مملكة وداي ويمتد الحد الغربي مع
مملكة وداي الى أن يصل الى الصحراء الكبيرة فيتعسف معها ذاهبا الى الشمال من غير
تعيين لخط معين حيث ان الامر مهمل ولا حصر فيه وهكذا في الجهات السودانية
الى أن يصل الى طرابلس ويمر منها الى أن يصل الى البحر الابيض حيث ابتداء
التحديد وحيث كانت على ما علمت من الاتساع والكبر لا جرم ان كانت صفة
ارضها مختلفة جدا (فأما مصر) الاصلية فالمعمور منها هو عبارة عن واد بين سلسلتين
من الجبال مارة من الجنوب الى الشمال يضيق تارة الى ثلاثة اميال ويتسع اخرى الى
نيف وعشرين ميلا كلها يسقيها نهر النيل وذلك كان في غاية الخصب والنضارة فقد
ارضه سنويا بفيضان النيل ويخرج منه انهار كانها ما حوله به مصر فيه عامرة وما عدا
هذا الوادي فهو عبارة عن جبال مجدبة لا نبات بها واراضي بادية مرملة لا ترى فيها
الا الحصا (واما) بلاد النوبة الداخلة في مملكة مصر وهي المجاورة لها من الجنوب فهي
ذات صحاري وجبال خصبة واراضي خصبة وبقية الممالك وهي وداي ودارفور
وزيلع وغيرها فكلها ذات جبال وآجام وخصب (واما جبال) ممالك مصر فهي كثيرة
ليس منها جبل بركاني ولا منها الزائد في الارتفاع واعلاها ما هو الفاصل بينها وبين
الحبشة (واما انهرها) فأولها نهر النيل وما ادراك ما النيل وهو نهر يحمل السفن الصغيرة
الى أول شلالاته عند الخرطوم وهو عندهم ينقسم الى ثلاثة اقسام (احدها) يسمى
نيل السودان وذلك من منبعه الى الخرطوم (الثاني) منها الى فيلة وهي جزيرة في وسطه
قرب مدينة اسوان (الثالث) منها الى البحر الابيض فالقسم الاول يتكون من نهرين
يسمى احدهما البحر الابيض والآخر البحر الازرق عبارة عن عظمهما حتى الحقا
بالبحر والبحر الابيض كأنه هو الاصل للنيل وهو يجتمع من عدة انهر في اواسط افريقية

وهو

وهو اعظمها وابعدها منبعا لانه منبعث من بحيرة اوكريوي المعروفة بفكتوريا
على ظن آخر المحررين الآن وان كان التحقيق انه مجهول حيث تبين ان تلك البحيرة
تستمد من بحيرة أخرى ولكن الوصول الى اكتشافها صعب ولعله تعدد اسباب
لذلك وطوله الى حيث يجتمع بأخيه قرب الخرطوم ٢٣٠٠ كيلومتر اى نحو
الفى ميل (واما) الازرق فحجمه نحو الثلث من السابق ومنبعه من بحيرة دمبيا في بلاد
الحبشة ويمر على عدة شلالات ثم يجتمع باخيه ويسير معه في القسم الاوسط فتنصب
فيه عدة انهار غير معتبرة وذلك في بلاد النوبة فاذا وصل الى اصوان حدثت منه الشلالة
الاخيرة التي تمنع زيادة صعود السفن عن هذا الجهة لكونها من ارتفاع الارض في المجرى
الاعلى وانخفاضها في المجرى الاسفل مع صخور مرتفعة فيكون له خرير كالرعد القاصف
يسمع من بعد بعيد فاذا وصل النيل الى اسفل القاهرة انقسم الى فرعين شرقي وغربي
فالشرقي يصب في البحر الابيض عند دمياط والغربي يصب في البحر المذكور عند
رشيد واحدثت من النيل ترع عديدة حتى صار يصب في البحر الاحمر وخليج
السويس والاسكندرية وغير ذلك وصنعة الترع في مصر كانت معروفة في مصر باحسن
مما هي عليه الآن حتى كانت تروى سائر رباه بل وجباله ايضا ويرشد الى ذلك
قوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فكانت ارض مصر كلها
عامرة بالانهار وهذه الترع تحمل القوارب وتنفع بالمواصلات وتبين عمارات في مصر
انهار عديدة عظيمة تسيل في السودان وتجتمع الجميع في النيل ولولا عظمة المياه
لتلاشت في الصحارى التي تمر عليها ومن غرائب النيل انه يفيض في وقت معين من كل
سنة وهو وقت الانقلاب الصيفي ويستمر على ذلك الى الاعتدال الخريفي فياخذ في
النقصان الى الانقلاب الشتوي فيعود في مجراه الى السنة القابلة ويختلف فيضانه
بالزيادة والنقصان واعتداله المطلوب للسكان هو ان يرتفع على المجرى الاعتيادي سبعة
امتار فان زاد اهلك بالغرق وان نقص اجحف الناس بالقحط ولهذا الفيضان كانت
مصر الاصلية لها مناظر عجيبة ففي الربيع الذي هو شباب الزمان في سائر البقاع
تكون مصر عجوزا وما اقل ما يجف من نباتها في وقت نموه وفي الصيف الذي تعم فيه المياه
في المعروف تكون مصر بحرا من الماء العذب واسعة فيه قرى ومدن وامصار يصل
من بعضها البعض في القوارب وفي الخريف الذي يبتدئ فيه في غيرها ذبول النبات
تكون هي قد شب نباتها وازدهرت وربت وفي الشتاء تنتثر ازهارها وتعقد اثمارها

ويحصد زرعها وتدبر أقواتها وتمتص على المياه محصولاتها فانفردت بذلك عن غيرها
وليس هناك ما يشبه الانهار الشديدة الجارى على سطوحنا فانه يقرب من ذلك من حيث
فيضانه فى الصيف ولما احدثت الآلات الجديدة لرفع الماء من النيل زمن نزوله قل
ضرره من القحط اذ لم يعهد انه جف ماؤه الا سنة ١٢٧٨ وكان كربها شديدا (أما ضرر) ارتفاع
فيضانه فقد اعان على تخفيفه الاخبار بالاعمال الكهربائية حيث يأتى الخبر بتدفقه
من بعض السودان ومصر العليا فتفتح له افواه الخلجان وترتفع الناس عن الاراضى
المنخفضة ومع ذلك يحصل منه ضرر عظيم أحيانا وقد اختلفت الاقوال فى أسباب فيضانه
وأظهرها انه مركب من شيئين أحدهما ذوبان الثلج المتراكم على جبال
الحبشة الشاهقة وعلى جبال أرامة اذ يعقبه حر أوائل الربيع وتسيل مياهها وتطوف
بالنهر الازرق ونحوه وأطول امتداد لانه ربما يصل ماؤه الى مصر الا فى الانقلاب الصيفى
(وثانيهما) ان جنوب خط الاستواء فصوله على عكس فصول شماله فالربيع عندهم هو
الخريف عندنا والصيف عندنا هو الشتاء عندهم وقد علمنا ان النهر الابيض منبعه من
جنوب خط الاستواء بعدة درجات وان الامطار فى اقاليم الحارة تتراكم دفعة حينما
وقت الخريف والخريف فى الجنوب هو ربيع فى الشمال فلا يصل ماؤه الا فى الصيف
فى الشمال فيحدث من ذلك طغو النهر الابيض أيضا ويلتقى بأخيه وهما ناميان
فيحدث فيضان النيل زمن الصيف فى مصر (أما) بقية الانهر فى عمالات مصر فى النوبة
والسودان فكثيرون كالانهار والجداول منها ما يصب فى النيل ومنها ما يجف فى الصحارى
وليس منها مهم سوى النهر الابيض والازرق المتقدم الذكر وفى ارض مصر من
صعيدها الى بحريها لا يوجد نهر اصلى سوى النيل لكن احدثت منه انهار عديدة عظيمة
تسمى بالترع حتى صارت أغلب الاراضى المصرية كجزيرة بين الانهر الصناعية ومنها
الكبير الذى يحمل السفن النيلية ومنها الصغير ومنها الدائم الامتلاء بالمياه ومنها ما يجف
عند نهاية غيضان النيل والموجود الآن من هاته الترع يزيد عن الستمائة وأحد
عشر وأطولها الابراهيمية فانها تقرب من مائتى ميل ولا زال الاعتناء بكثير الترع
المستلزم لتكثير اراضى الزراعة حتى بلغت الآن الى ما يقرب من خمسة ملايين فدانا
معقية مزروعة والفدان عبارة عن مساحة ٥٩٢٩ مترومربع وهذا المقدار وان
كان كثيرا فى ذاته لكنه لم يبلغ ما كانت عليه الترع فى مصر قديما حيث كانت زمن
الفراعنة تصعد مياه النيل الى أعالى رباها وجبالها وتسقى جميع أراضيها احسن مما نص

عليه

عليه في التاريخ ويشهد له قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي فجمع الانهار والافتخار بها أدل والتعاظم الى حد دعوى الالوهية فاض
بانها كثيرة جدا وبالغة في حد خارج عن المعتاد في الكيفية كصعودها الى الاعالي
والواسطة في ذلك اما ان تكون بواسطة لانتقال الماء من أسفل الى أعلى بكثرة
حتى يجري في الانهار ثم من هناك يحمل كذلك الى مافوقها الى أن يجري ومن هذه أيضا
الى ما فوقها وهكذا الى نهاية الارتفاع ولا آلات اما ان يديرها الماء نفسه او قوة
أخرى كحيوانات الآن فيما اندرس من علوم الاقدمين او تكون الواسطة هي تدريج الترع
من أعالي النيل قبل الوصول الى الشلالات بان يؤتى لاول شلالة مثلا فتدار المياه منها
وتتفرع له فروع ذاهبة مع ارتفاع الاراضي كجبة هندسية وبناء قناطر وحنايا للمرور
الماء من الاعالي الى الاعالي ثم من شلالة أخرى بعد ذلك وهكذا وحينئذ تجري الانهار في
الارتفاعات كما تجري في المنخفضات وتحصل منه الثمرات الجليلة ومناظرها البهيجة
(واما) بحيرات مصر فهي عشرة أربعة كبيرة أكبرها بحيرة المنزلة ومحيطها نحو من
مائتين وخمسين ميلا وتجري بها السفن الصغيرة [illegible] دائما وموقعها شرقي مدينة
دمياط ويخترقها خليج السويس ولبحيرة أعلام ابو صانع الخالج وليس لها فائدة مهمة
سوى استخراج الملح من بعضها [illegible] وبعضها يجف تماما أيام [illegible]
السودان فيه بحيرات مهمة مثل بحيرات منبع النيل وغيرها والكل [illegible] الخديوي
بالنسبة للمنافع مثل بقية ذخائر السودان (واما) هواء مصر فانه معتدل على العموم
حار رطب في [illegible] على شاطئ البحر الابيض [illegible]
سيما عند زيادة النيل (واما) الجنوب وسائر السودان فهو حار جدا حتى اني كنت في
مدينة مصر في شهر [illegible] بعد فيضان النيل ولم أكن أستطيع النوم بالغطاء بالاسحاق
الكتان ولكني لا أستطيع ايضا فتح الطيقان لكثرة الندى المضر ورأيت مثل ذلك في
اسكندرية أيضا التي هي [illegible] من الحر مع اني كنت بها في ذلك الشهر أيضا
(اما) السويس والصعيد فلانها أقل [illegible] بعد الانقلاب الشتوي يحصل
بها البرد الى درجة تطلب التدثر والتدفي فيكون الهواء [illegible] الارض
بالنباتات (واما) نباتاتها مع [illegible] أن يقال انه يوجد بها كل ما يوجد
من نباتات الدنيا [illegible] حتى الاشجار التي تكون في الاراضي الباردة فانها توجد في
الجبال الشاهقة في دواخل السودان ذات الثلج الدائم وفي السودان غابات عظيمة صالحة

أخشاب البناء لسقف والدبابيز والأعمال الجيدة يضاهى الابنوس وغيره ولكن أرض
مصر الأصلية ليس بها من غابات طبيعية وغاية ماله بها منتظر الغابات هو التحويل فالحاصل
ان ممالك السودان مشتملة على كل ما يحتاج اليه من المزروعات الحبوبية والاشجار ذات الثمار
وغيرها (وأما حيواناتها) فمنها الخيل بقلة بالنسبة لذاتها لكن يوجد في السودان نوع
منها جليل يعرف بالكحيل والبغال قليلة والحمير كثيرة يركبها حتى الاعيان وطلاب اعتبار
ويحلقون شعرها وتصير بالتربية تقوم مقام جيادهم حتى اذا قال الحمار بحمير صغيرة
ملاعبت وصارت تمشي على ثلاث ما دام الشرطي ينظر اليها أخذوها من غير دفعها للحكومة
والابقار والابل كثيرة جدا ومنها نوع الهجين وهو نوعان في السير احدهما يتعب
راكبه وهو الذي اذا سار رفع رأسه وعنقه والثاني لا يتعب راكبه وهو الذي اذا سار دلى
رأسه الى الارض ومد عنقه الى امام وكلاهما من الابل المعدة عند اصحابها يختارون
الجيد للاسفار او لمطلق الحركة ثم يمرنونه من الصغر على مداومة سرعة السير فيسير
طلقا او يبقى ناحلا ويكون عدة لاصحابه للوصول الى الامد البعيد في الزمن القريب
وكان عند الاقدمين عوضا عن طريق الحديد الآن غير انه لا يحمل الاثقال الكثيرة
ولقد رأيت من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما أخبر به الطلب ايماء وذلك في الحديث
الذي رواه الامام مسلم في صحيحه في الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام ونصه ولتتركن
القلاص أي الابل بمعنى انه لا يسعى عليها وصاحت الشراح في تطبيق ذلك والحق ما بينته
المشاهدة من الاستغناء عنها بالرزل وطريق الحديد والله أعلم انه سيتم حتى يصل الى قرب
ويصل الى مكة والمدينة حيث ان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل هناك والله أعلم والبقر
قليل وهو نوع ضخم والجاموس كثير واصطلاح من العامة الذي له بقرة منه تعتبر من كثير
من الاشياء فيشرب ويبيع من لبنها وسمنها ويبيع من نسلها وتحرث عليها او توقد
بجلتها وينتفع بأولادها ولذلك صارت البقرة عنده أعز شئ عليه في الدنيا (وأما) الغنم
فهي كثيرة في السودان والحيوانات الوحشية يوجد منها في السودان كل الانواع التي
تأتي من البلاد الحارة كالاسد والنمر والفيل والزرافة وغيرها (وأما) الطيور فيوجد سائر
الطيور الاليفة (وأما) الوحشية فغالبا يوجد منها بمصر الرحالة كالعقبان والخطاف
والحدأة كثيرة وكذلك الغراب ولقد شاهدت منه ما عنوانا ان لونه أبلق وعليه
فيكون الصفة في قوله تعالى وغرابيب سود هي صفة كاشفة لا مؤكدة حيث يوجد في
الغراب الاسود والابلق بعضه اسود وبعضه أبيض كما يوجد في السودان أنواع شتى من

الطيور

الطيور الغريبة كالببغاوات الالوان البهية المذهبة والمفضضة وغير ذلك من انواع الطيور
(واما) معادن مصر ففيها اكثر انواع المعادن المعروفة فالذهب يوجد بكثرة في عدة اماكن
من السودان منه ما هو في معدنه ومنه التبر الذي يوجد في رمال مديرية [illegible] واشهر
معادنه في سنار حتى يعرف بالذهب السناري وكذلك يوجد الفحم الحجري المعدني في بلاد
النوبة ويوجد انواع المرمر والرخام الابيض والازرق في جهات من الصعيد وكذلك
الملح في عدة سباخ والجبس والشبان والرصاص في مواضع حوالى شط البحر الاحمر
والنحاس في عدة اماكن والحديد بكثرة في عدة جهات والكبريت حتى انه يوجد جبل
يسمى به (واما) الفضة فهي قليلة وتوجد احجار ثمينة واهمها الزمرد لكنه قليل ويوجد
الفيروزج والعقيق والذي يعتنى به لاعتنائهم هو حجر البلور وكثير منه يضاهي ما في
بوهيمية لنصاعته كثرة وصفاء واكثر هذه المعادن متروك الاستعمال لعدم العناية به
او لصعوبة نقله حتى رأيتهم يأتون بالحجارة للبلاط اعرف في الاسكندرية من بلد تريست
في مملكة النمسا مع ما في البلاد من الحجارة التي صنع منها القدماء تلك الاهرام والهياكل
والمعابد التي تعد من عجائب الدنيا ولا شك ان الحكومة لو توجهت الى استخراج
منافع السودان لسهل نقل تلك الحجارة وسائر المعادن باخذ الفحم الحجري للطرق
الحديدية التي تتم الى اتصال الانهار والاقطار وفي السودان كنوز لا يحصيها
الا خالقها واعظم بكثرة غاباتها واحشائها الارضية كالشمشير والابنوس وغيرها حتى
لا يحتاجون لجلب اخشاب البناء وغيره من خارج المملكة فانهم يأتون حتى بحطب الوقد
وفحمه من الخارج وذلك ضعف للبلاد (واما) مدن مصر ففي مصر من القرى والمدن
ما يجاوز الثلاثة آلاف بلدة واشهرها قاعدتها وقد تقدمت صفتها ثم الاسكندرية
ومر ذكرها ثم طنطا ورشيد ودسوق واسيوط والابيض على وزن محمد قاعدة كردفان
وابو حراز ودنقلة قاعدة دارفور سابقا وتسمى فاشر وغير ذلك وقد كانت بها مدن هائلة
في الصعيد تحتوي على بنايات عجيبة وصنائع غريبة وقد دثرت تلك المدن ولم يبق لها
من اثر سوى ان بعضها صار محله قريات ليست بذات اهمية وتلك الهياكل القديمة
قد اكتشف عنها وتسمى بالبرابي وتقصدها السواح للاطلاع على ما احتوت
عليه من الاعاجيب والصنائع المندرسة ومن هذه البرابي واحدة في بلد ادفو التابعة
لمديرية اسنا اخبرني الرحالة محمد مراد انه رأى به ايوانا كبيرا منقوشا في الصخر على
حيطانه صور جميع المصنوعات المعلومة الآن وانه رأى فيه بعير رأسه صورة طريق

الحديد نصفان ممتد وعليه حروف رأيت مجلات الكرام ادون مزحية أعنى لا آلة تجارة
كما رأى فيه صورة الملك الكهربانى بمعنى صورة أعمدة عليها سلك ممتد متصل الى
آلة ورأى صورة سفينة ذات مجلات وصاعد من مدخنتها صورة الدخان وسمعت
من غيره أنه يوجد فى جملة المرابى بيتان عظيمان أحدهما يحتوى على صور جميع
الحيوانات والآخر على صور جميع المصنوعات وان منها ما تقدم وكأنه نقش فى الحجر
ورأيت فى جغرافية متفكرى ذكر تلك المرابى واحتوائها على النقوش والصور
لكنه لم يذكر خصوص ما تقدم ذكره (واما) مراسى مصر فهى الاسكندرية ثم
برج سعيد ودمياط ورشيد فى البحر الابيض والسويس فى خليج
مصوع والقصير وسواكن فى البحر الاحمر وليس غيرها فى جهة الشرق واما أهاليها
فهم على قسمين الاول أهالى مصر وهم نحو ستة ملايين بعضهم من ذرية قدماء أبناء
المصريين القدماء وبعضهم أبناء العرب الفاتحين واختلط كل من أهل من القدماء
بالثانى وصار الجميع مصريين وتكاثر عددهم فى هذا القرن أعنى حيث كانوا فى
أول دولة محمد على باشا لا يبلغون الاربعة ملايين ولما انتظم التهذيب والضبط
على الصحة بتحسين الهواء والمساكن نجاهم الله من مصيبة الوباء والجدرى الذين
كانا دائمين فيهم وارتفع عددهم الآن الى ما ذكر والقسم الثانى منهم هم أهل السودان وهم
ايضا على قسمين الاول أهالى النوبة وكانت تابعة لهم سابقا وهم من الزنج وذرية
الكوش من العرب ثم تسلطت عليهم قبائل العرب ودخلت فى الاسلام وبقيت فى
الحماية الى أن افتتحها محمد على سنة ١٢٣٦ والثانى أهالى دارفور وعدد
سكانه خمسة ملايين وهم من نوع سودانى يسمى فور ووجدت الادهم وديانتهم الاسلام
وبعضهم نوع يسمى المسبعات ولكثرة اختلاط الجميع بالعرب ودخول قبائل منهم فيهم
حتى كانت عائلة الملك عربية صار الجميع يتكلمون بالعربية والمحصل ان الاهالى
على العموم أكثرهم عرب واللغة العامة والرسمية عربية وتوجد لغات أخرى سودانية
وعدد الجميع بالاضافات ستة عشر مليونا والديانة الغالبة هى الاسلام وتوجد النصرانية
على مذاهب شتى ومنها المختلطة شئ من شعار اليهود وشئ من شعار الوثنيين كما يوجد كل
من الديانتين (واما) صفتهم على العموم فأهل المدن الكبيرة بكثرتهم نبهاء
والعارفون بالمصالح العامة المشتركة والباقى على الاطلاق هم على السذاجة واهل
بالمنافع الخاصة فضلا عن المشتركة واللون الغالب أحمر وأسود وأهل السودان والعرب

من

من أهل الأمصار نجباء (وأما) فلاحو مصر فلما طال عليهم الاستيلاء الاستبدادي ضعفت فيهم الشجاعة بالمرة وكادوا أن يفقدوا الغيرة كما حكاه الثقة برى

الفصل * الرابع

﴿ في إجمال تاريخ مصر وطبقاتها ﴾

﴿مطلب في تاريخها القديم﴾ اعلم أن مصر اشتهر بقاع العالم بمعرفة أصول تاريخها القديم لكنه في الواقع غير محرر ولا موثوق به وقد أطنب العلماء الإسلاميون وغيرهم في تواريخ مصر وعلومها وتمدنها بما تستطيع هذه الأعصار الإلمام بإشارات الى أنموذج ذلك معرضين عما التبس فيه من المبالغات والخرافات ويدعي بعض المتأخرين أن المحقق عندهم في علم قدم التاريخ فيها المحقق هو قبل الميلاد بألفي ومائتي سنة والحق أنه غير محرر لأن استنادهم في ذلك على الآثار والتوراة التي بين أيديهم وهي كانت سابقا غير صحيحة سيما في علم التاريخ وقد أقر بعض متدينيهم بالغلط الفاحش في ذلك لمحل تسبب اعتبار رجع الى أن تاريخ العالم ونسخها الأوحد من الكتابات المنقوشة على الأحجار المتبددة وغيرها من القرائن الواضحة ونظار في تصحيح أن التوراة بأن موسى عليه السلام لم يقصد تاريخها وإنما الحادثة وإنما قصد ذكر توحيده ولا يخفى أن هذا غير معقول إذ كيف يذكره ونسبه في تواريخ مخالفة لنفس الأمر لأنه يلزم أن يكون قائلا إن فلانا مثلا بعد الطوفان بكذا ثم فلان بعده بكذا وفي زمن الملك الفلاني المتسلط في تاريخ كذا مع أن ذلك الوقت ليس مطابقا لذلك التاريخ فما هو إلا عين الكذب أو الخطأ المنزه عنه كلام الباري تعالى والمعصوم منه رسوله فلا محيص عن القول بالتحريف في التوراة التي بين أيديهم وإذا أضفت الى ذلك الميزان المعقول في حساب العمران وكيفية التناسل من البشر بعد الطوفان ولو على القول بعدم عمومه في سائر الكرة ونظرت الى المدة التي ذكر أن إبراهيم عليه السلام أرسل فيها وما كان عامرا من الجهات التي لا نزاع أن الطوفان عمها وهي محل إقامة إبراهيم عليه السلام وقومه ومن كان معاصرا له من الأمم الذين طغوا في البلاد وتجبروا عليها من القوة والعدد والعلوم لا شك أنه يستحيل عندك أنهم كلهم نشؤوا في مدة مائتي سنة من نسل أربعة من أولاد نوح عليه السلام وأصحابه ويستحيل أن تنمى وتتعدد من هجرة الطوفان الحادثة من عقول أمة في قرنين إذ يمكن أن يكون بعض من

ادرك من ادركه المرض بعد الحياة فكيف مع ذلك ينسى توحيد الله وعبادة الله
غيره ولا ينافى ذلك الا بطول الزمان ونسيان الهجرة وانقراض العلماء ومن عاصرهم
فى مدة مديدة ولذلك لا نعتمد حينئذ على تعيين اوقات ما تعرض له من الدول القديمة
وانما نقول ان مصر قبل بعثة موسى عليه السلام كانت قامت فيها دول عظيمة ذات
شأن وقوة وعمران وملوكها يسمون بالفراعنة جمع فرعون وهى عبارة مصرية
معناها نور الشمس واول من يعرف الآن من فراعنتها هو منس (او) مصرايم الذى
حول مجرى النيل وبنى مدينة منفيس ثم زادها احد ملوك بعده رونقا حتى كانت اعظم
مدن الدنيا واتخذتها الفراعنة تختا لهم ولو بعد انقراض عائلة فرعون المذكور
وفى مدة اعقاب المشار اليه نشأت دول اخرى صغيرة فى اراضى مصر وانقسمت على ثلاثة
اقسام بقى احدها تحت العائلة المذكورة ولا مر بان بعث عائلتين اخريين الى
ان تغلبت على الجميع العائلة الرابعة من الفراعنة ومنها فرعون البانى للهرم الكبير
الذى بالجيزة ومرد كر ثم انقسمت الى عدة اقسام كان منها العائلة الخامسة وتولى
منها عدة ملوك احدهم بانى الهرم الثانى بالجيزة ايضا وكذلك العائلة السادسة
وغيرها الى الثانية عشر كلهم متفرقون على جهات من مصر الى ان قهر الجميع تحت
حكم فرعون اوسيرطاس (او) سيزوستريس ثالث ملوك العائلة الثانية عشر
وضم الى ممالكه بلاد الحبشة وغيرها من السودان وانقرضت عائلته بعده بقليل وغاية
ما يعلم انه تداول مصر بعد ذلك عائلتان وهما الثالثة عشر والرابعة عشر وكان حوادثهما
ليست مهمة فلم يوجد لهما وقائع شهيرة (واما) الخامسة عشر والسادسة عشر فلهما
اعتبار من جهة قوة الملك والترقى فى الصنائع والمعارف وفى آخر الاخيرة ابتدأ تسلط الملوك
الرعاة على مصر وتم استيلاؤهم على قسم عظيم منها او عليها كلها لكن بقى للاهالى
جهة من اعالى الصعيد ملكوا عليها العائلة السابعة عشر من الفراعنة ولم يكن لها
اهمية فى جنب مملكة الرعاة وهؤلاء الرعاة يغلب على ظن محققى المؤرخين انهم من
العرب اجتازوا الى مصر ومكثوا فيها مدة طويلة ذوى شأن وسلطان مهيب قوى وقال
بعض الاخباريين ان دخول يوسف الى مصر كان فى دولة هؤلاء الرعاة ولما قضى على
تلك الدولة بالانقراض كان الذى باشر قهرها فرعون اموسيس وانشأت العائلة
الثامنة عشر ولهذه العائلة آثار باقية الى الآن من المبانى والصور الدالة على قوة الملك
والتمدن كالمسلتين الموجودتين بالاسكندرية والقسطنطينية وكذلك الموجودة بروميه

وقال

وقال بعض المؤرخين ان دخول يوسف عليه السلام انما كان في هاته الدولة ويستدل
من الآثار ان عبادة الاصنام تفاحشت في مدة تلك العائلة ثم استولت العائلة
التاسعة عشر من الفراعنة وكان منها فرعون سيزوستريس المشهور عند اليونان
بذلك الاسم وامتدت مملكته من نهر الطونة في اوروبا الى نهر الكنك في الهند
وانشأ في كل مملكة افتتحها آثارا تدل عليه وارتقت مصر في مدته الى غاية
كبرى من المعارف والغنى حتى قيل انه أول من رسم خريطة لصورة الممالك الواسعة
وزادت رتقاء وعمرانا وانتهت في معارف الطبيعيات والهندسة واستمرت في مدة حفيده
فرعون زمن موسى عليه السلام حتى ادعى مالكه ومعاصره الالوهية وكان من قصته
ما هو مذكور في القرآن العظيم ومن غريب ما يستحق الذكر ان مؤرخي مصر القدماء
لم يذكروا حادثة غرق فرعون ونجاة موسى عليه السلام وبني اسرائيل بانفلاق البحر
مع انها حادثة كبرى وبناء على اهمالها انكرها من لا دين له من متشددي هذا العصر
وأضافوا الى ذلك في الاستدلال ان قبر فرعون المذكور واسمه منفطا الثاني موجود
بين قبور الفراعنة في الصعيد بالمكان المعروف بباب الملوك فلو كان غرق لما كان له
قبر واجاب عن هذا بعض النصارى بان وجود القبر لا يدل على وجود المقبور كان وجوده
يمكن ان يكون قبل موت فرعون على عادة امثاله من الجبابرة ورسم صنعة مزخرفة
وهو قد هيأ ذلك وان لم يدفن فيه ويحتمل ان يكون ايجاد القبر تعصبا من المصريين وعنادا
في اخفاء الامر الذي احاط بهم دفعا للعار عنهم في الاجيال المستقبلة واستدل المجيب
المذكور على ان فرعون موسى هو منفطا المذكور بان الذي ولي الملك بعده ابنه
وتصرف بالنيابة عنه نهارا وجهارا الا انه لم يكن له ولد سواها او ابن صغير قاصر فدل ذلك على
حدوث أمر عظيم انقرضت به عائلة الملك حتى صار الى امراء ورؤساء مع ان جدهم
القريب سيزوستريس المار ذكره قد ترك من الاولاد نحو عشرين فهذا الحادث
الذي انقرضت به العائلة ليس هو الا ذلك الغرق لفرعون وملائه اه ولا يخفى ان كلا
من الجواب والاستدلال غير مسلم (اما) الجواب فان وجود القبر الاصل فيه أن يكون فيه
مقبور سيما اذا كانت عليه كتابة باسمه التي بها عرف انه قبره وتاريخ موته فما هو الا توهم
الابعد وضع صاحبه فيه واحتمال ان المصريين اتخذوا ذلك القبر على تلك الكيفية
قصد الاخفاء لواقعة في الاجيال القادمة احتمال بعيد كسابقه لا يؤثر مع الباحث سيما
وواقعة غرق فرعون مع ملائه ونجاة موسى بني اسرائيل بانفلاق البحر من المعجزات

الباهرة التي لا يبقى معها للمصريين عذر بعد مشاهدتها وهلا لا ملوكهم الذين كانوا
يعبدونه فلا تبقى فيهم بقية يفتكرون بها عن الاجيال المستقبلة واين هم من هذه مع
اختصاصهم لانفسهم وبجميع معاصريهم ومن هو تحت حكمهم من الامم بسائر ما يبين
الطوية ولكن ادعهم اشغل بانفسهم والانقياد الى الحق او الى تدارك امرهم الذي وقع
في الاقل بين اعين الامم الذين ينظرون الى هلاك مدعي الالوهية مع امرائه ووزرائه
وجيوشه فكيف يخطر لهم في تلك الحالة المدهشة على اجيال مستقبلة مع ان سائر
معاصريهم ينقلون خلاف ذلك (واما) الاستدلال فهو غير منتج اذ لا يلزم من تولية البنت
انقراض عائلة الملك كيف ذلك ونحن نرى في التاريخ بل وفي خصوص تاريخ
المصريين مدة اسرة مصرية ملكات مع وجود العائلة بل ولم يزل ذلك جاريا في جهات من
الارض الى الآن وهم لا تكون ولاية البنت لان قاعدتهم كانت وراثة الملك لاكبر اولاد
الملك الاناث والذكور سواء وتصرف زوجها حينئذ نيابة عنها باختيارها لا لانقراض
العائلة وكاني ارى هاتيك التمحلات في الجواب مبنية على اهمال علم السند والرواية اما
لو كانوا يعرفونه وجرت عليه اعمالهم بانهم لما اعتسفوا مثل ذلك واقتحموا من
مهاو مهلكة مع ان علم السند والرواية امر ضروري بل طبيعي لاخذ الاخبار بدلا
من المشاهدة واذا ابتنت عليه الاحكام استقام الامر وخلص من الغلط والغش والتكذيب
وبناء على اعتبار ذلك نحن المسلمون نقول ان الذي نقطع بوجوده هو غرق فرعون
مصر مع ملائه ونجاة موسى عليه السلام وبني اسرائيل بانفلاق البحر بعصاه اما كون
فرعون المذكور رعمسيس او منفتاح او غيره وكون مدته الى الآن كم هي فلا علم لنا به ولا دليل
لنا عليها وذلك العلم حصل لنا بالنقل المتواتر في القرآن من نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام الذي ثبتت نبوته وصدقه بالمعجزات المتكاثرة فاخباره لا شك في صدقه
ويوافقنا على ذلك الخبر المتواتر من امة بني اسرائيل من حصول تلك الحادثة ممن شهدها
منهم وهم امة عديدة يستحيل تواطؤهم على الكذب الى من بعدهم منهم ومن غيرهم نقلا
منهم جيلا بعد جيل على تلك الصفة الى الآن وعدم ذكر الواقعة في تواريخ علماء دين
المصر لا ينفي وقوعها لان المسكوت عنه الذي ليس بنفي له وهناك حامل على عدم الذكر
لان المؤرخ انما يكون من علمائهم الذين هم اشد مصادقة للديانة واذا شاهدوا نبأ امثل
ذلك ولم يجدوا وجها لقدح فيه وتخريجه على ما يلائم مذهبهم يسكتون عنه على انه
مندمج في رموزهم ما يسردونه الى عبث القادحين فيها التي يفسرونها الى نوع من الباطل عنادا

او

أو هؤلاء العياذ بالله وانى لا أعجب من انكار ذلك من غير ذوى الديانات من أهل العصر
وانما العجب من انكار النصارى واليهود الآن معجزة سيدنا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهى انشقاق القمر مستدلين على انكارهم بمثل ما استدل علماؤهم فى انكار
واقعة الغرق من عدم ذكرها فى التواريخ مع انهم يحتجون بمثل ما تقدم ونحن نقول ان
معجزة انشقاق القمر ثبوتها أبين وأمرها أوضح وذلك انها وقعت ليلا بعد مضى حصة منه
لان القمر كان ليلة البدر أى الرابعة عشر وهو فى كبد السماء كما تشير اليه روايات
البخارى من ان نصفه بقى ظاهرا فوق الجبل ونصفه غاب وراءه والروايات وان اختلف
لفظها فهى دائر مدار معناها ان المصطفى اشار فانشق وهذا ما عليه ولا ريب ان
حوادث السماء لا يشتغل بها العموم دائما الا اذا حدث العلم من قبل بها فالتفتت اليها
الانظار أو تقع بحسب الصدفة فيما الامر الذى لا يطول زمانه مثل بعض الشهب المؤثرة
للضوء الاقوى أو غيرها مما لا يطلع عليه الا افراد رصدوه ولا يعلم خبره فى جميع الجهات
والآفاق وان ذكره بعض الناس فلا يثبت عند علماء المؤرخين لعدم ثقتهم عندهم
لعدم ثقتهم باخبار الافراد القليلين فلا يكون سكوتهم دليلا على عدم الوجود على ان
وراء ذلك ما هو أوضح وهو ان الممالك المعهودة اذ ذاك الحاوية للعلماء المؤرخين الذين
يمكن لهم رؤية القمر عند استقامته فى كبد السماء فى مكة المكرمة غاية مكانها ما بين
شطوط المغرب الى مبادى جبال هملاى أما أهالى اروبا لم يكونوا اذ ذاك من أهل المعارف
والتدوين سوى جهاتها الجنوبية من بقايا الرومان (وأما) الصين وشمال آسيا الشرقية
فلا يرون القمر اذ ذاك لغروبه عندهم أو قرب غروبه فى ضوء النهار فيهم وان كانوا
اذ ذاك متمدنين وعلماء لكن ذلك غير مرئى لديهم ثم ان الممالك المذكورة التى يمكن لهم
رؤية القمر اذ ذاك هم فى أنفسهم مختلفون فى الوقت فيكون الوقت اذ ذاك عند
الهنود بعد نصف الليل وعند المغربيين عند غروب الشمس أو ما قارب ذلك فى كل
من المكانين وها تيك الاقطار ما مضى عليها من وقت انشقاق القمر نيف وعشرون سنة
الا وقد ادخل خالد بن سنان فى جيش المسلمين فى المغرب فرسه فى المحيط الغربى
وقال ليس لى وراء هذا ما أفتحه وقد بلغت فتوح الجيوش الاسلامية فى الشرق الى
بخارى وسمرقند وأوماستان وسائر تلك الجهات ومما هناك من الاقطار عند الفتح الذى
كان بقرب انشقاق القمر لان الانشقاق كان فى السنة الخامسة قبل الهجرة وافتتح ثم
فى مدة الخلافة سيدنا عثمان كانوا على قسمين منهم من آمن وهو الغالب ومنهم من

بقى على دينه (فاما) من آمن وألف فقد روى مثل سائر المعاني الانشقاق اما رؤيته
أو رؤية أحد ممن يثق به من أهل وطنه مع التأييد بالرواية المستفيضة والتواتر
القطعي من الصحابة الذين شاهدوا ذلك وعلموه ونقلوه بالكلام الذي يتعبد دون
بتلاوته ولا يرتابون في حرف منه وكذلك صار نقل كل من آمن من سائر تلك الاقطار
ولهذا تواتر النقل بمجرد ذكره وتعدد ذكره على كيفية الوقوع وهو أيضا بالغ مبلغ
التواتر مع ان الاصل ثابت بصراحة لا يحتاج لاسناد كما في سائر المتواترات لانه اذا قال قائل
ان الكعبة في مكة المشرفة ولا يقال له عمن تروى هذا لانه قطعي معلوم بالضرورة
وكذلك نقل الانشقاق لانه متواتر بالقرآن في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر (وأما) القسم الثاني من علماء تلك الاقطار الذين لم يؤمنوا فانهم لا تحقق عندهم
ما تقدم عند المسلمين فإن ثبت ذلك عند بعضهم من قبل لا شك انه يضرب عن ذكره في
تاريخه لانه يكون حجة عليه وهو يتأول في وقوعه بما تحتمله الآية الكريمة فهو
حريص على عدم اثباته بالمرة لكنه لما عارضه النقل القطعي سكت عنه ولم يتعرض له
بنفي ولا اثبات ولا غيرهم لم يذكر احد منهم ان ذلك الزمان قد كان فلان وفلان
يرصدون القمر أو السماء ولم يروا هذه الحادثة مع انهم حريصون على ذكر كل قادح
في الدين فسكوتهم في الحقيقة هو نص الاقرار بالوقوع ولا يحتمل مع عدم ذكره
ان مجرد السكوت عنه حجة في عدم الوقوع والحال ما ذكرناه ويتأيد هذا بالممالك
التي بعدت لم تصح وكان فيها غيم من الشمس وهي يمكن منها رؤية الانشقاق مثل بقية
ممالك الروم الشرقية والغربية فانهم لما تعلق عداوتهم في تلك المدة القريبة بدولة
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان من معجزاته انشقاق القمر وهم على دين
النصرانية وثبت ذلك عندهم قطعيا من قصر اعمارهم وعلموا ان ذلك الانشقاق
حجة لخصمائهم فعلى تقدير ان يكونوا رأوه واثبتوه في بعض تواريخ نجومهم عند وقوعه
فلا يبعد ان أضربوا عنه بعد بلوغ وصفه اليهم لكي لا يكون حجة عليهم ولا يبعد اثباته
عند من يأتي من قومهم حكماء والملوك ذوات تحت الانقياد للقسوس وكبراء الديانة
فربما انهم محوا من ذكره كما يمحون سرا ما يضر بدياناتهم فهذا ما يأتي مثل هذا
التعليل الذي مر ذكره عن بعض النصارى في شان غرق فرعون وهو هنا على غير
ما أوضحناه أبين وأمكن فلذلك قلما اشتد عجبنا من انكارهم له ولا يقال لماذا
انكروه واستندوا الى عدم ذكره في التواريخ من حيث وقوع الخلاف في وقوعه حتى

عند

عند الصحابي لان رواية أحاديثه لا تخرج عن الافراد الآتية المارة فقد قال بعض
المفسرين فيه ان الفعل الماضي وضع موضع المستقبل لتحققه لما سيقع فلا يكون هناك
النقل بالتواتر للوقوع الفعل والوجه في سقوط ذلك بديهي عند من تضلع بالفنون
الشرعية وبيانه انا قدمنا ان الاحاديث المروية في الصحاح انما هي في بيان الكيفية
والاسباب أما أصل ثبوت الواقعة فانه منقول تواترا معنى فالاسناد مدار جميع الروايات
البالغة حد التواتر على اثبات الوقوع فليس هي من الآحاد وكذا التصريح القرآن
قاطع فيه وما ذكره بعض المفسرين ليس هو من كلام أحد من الائمة ولا خلاف عندنا
في ذلك وانما هو من كلام بعض الملاحدة والمرتدين لادخال الشبهة كيفما كان الحال
على الصحابي وان نسب القول بذلك لاحد الائمة فانما هو من التزوير والبهتان حيث
لم يثبت بطريق الرواية الصحيحة عن الثقاة نسبة قول ذلك لاحد علماء الامة ولذلك لا ترى
كل من نقل ذلك من المفسرين الا وقال أثره ورده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر الآية فانه اذا كان المعنى
سينشق القمر لا يكون لقوله يعرضوا الخ من معنى لان ذلك الزمن لا آتي ليس فيه
من يدع المعجزة حتى ينسبوها الى السحر وايضا قوله تعالى وكذبوا نص صريح في
تكذيبهم بان انشقاق القمر معجزة عاينوه والى السحر وقد جاءت قراءة وقد انشق
القمر بزيادة التأكيد للماضي ولهذا نقل الاجماع غير واحد على ان الانشقاق قد وقع
وانه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وكذلك الروايات في الوقوع فقد قال الواقدي انها
متواترة بالقطع وبه صرح القاضي عياض وغيره من ممارسي الرواية والحديث وقال
القاضي عياض أيضا ما معناه ان من يدعي عدم التواتر في ذلك انما هو الجاهل كمن
يغمض بصره ويقول مالي لا أرى الضوء وكذلك هذا فان المعرضين عن الاطلاع على
الحديث والسير هم الذين لا يعرفون تواتر الرواية في ذلك زيادة على ما قدمنا من صراحة
القرآن فيه واجماع الامة على تفسيرها بالانشقاق وبلا ولا شبهة ولم ينقل أحد خلافه
سوى دسيسة الملحدة المذكورة بما لا يروج على حال وكان نقل كثير من المفسرين لها
للرد عليها هو الذي صرح بما ذكر والحق ان كثيرا من المتأخرين الذين فسروا ولم يراعوا حق
القرآن في تنزيه تفسيره عن سفاسف الاقوال مما هو مردود بالبداهة واصول العقائد
والاجماع كما وقع في هاته الآية فهما حملا للقول ذكروا وان لم يكن له من أساس ولا سند
ولا عجب لالحاد الملحدين ودسائسهم في المعاني بما افتعلوا بل انهم طعنوا حتى في

الاغلاط وأرادوا أن يدخلوا عليها الشك والتحريف مع العلم القطعي بتواتر كل حرف من
القرآن في محله ومرور ألف وثلاثمائة سنة وعشرين سنة عليه ولم يقع الشك فيه ولا راج
التشكيك على أحد من الامة من عامتها فضلا عن علمائها ومن هذا القبيل ما رأيته عند
كتبي لهذا المحل في تأليف جديد للمولى أحمد فارس المسمى بالجاسوس على القاموس فهو
وان كان في بابه من جهة اللغة حسن الموضوع لكن لما كان صاحبه غير متضلع بالعلوم
الشرعية اغتر وراج عليه ما يذكر في بعض كتب أدبية لذوي مجون متعرفين بذكر
ما يروونه من الحرف والطرائف لتقضية الوقت والتزلف لدى جهال الامراء حتى قالوا ان
بعض كلمات القرآن الكريم وقع فيها التحريف واختلاف الرواية في القراءة بسبب عدم
وجود الشكل والنقط في الاحرف العربية في الزمن القديم وعدوا من ذلك جملة الفاظ
حتى قال ان منها اناثا قرئ أوثانا وقضى قرئ ووصى ويأس قرئ يتبين وعباد الرحمن قرئ
عند الخ ولولا اتضاح المقصود لهؤلاء الماجنين لما ذكرت ذلك والا فأي ذي عقل يقول
ان أحرف الكلمات المذكورة يشتبه بعضها ببعض حتى يقرأ على ما ذكر فأي أتت
الواو في اناثا حتى صارت أوثانا وكيف يشتبه قاف قضى بالواو في وصى ومن أين أتت الالف
في عند حتى صارت عبادا وهذا كله في سياق التمشدق والا فالحق ان القراآت
السبع كلها متواترة باجماع أهل الملة والدين كما نص على ذلك علماء أصول الفقه
وأصول الدين وسائر القراء وإذا قال أحد مدعي العلم في عصرنا ان التواتر يحصل
به العلم التام فبالي لم يحصل لي حتى الظن بذلك فضلا عن العلم فيقال ان ذلك من
الجهل المركب وذلك لأن المراد بكون التواتر يحصل العلم إنما هو عند من علم التواتر
وعند أهله أي أهل موضوع التواتر لا عند جميع الخلائق ومثاله مثل ما انك اذا
سألت أحدا من أهل السياحة وعلماء الجغرافية عن وجود المدينة المسماة سنكهو لم اجاب
حالا بأنها موجودة قطعا وانها تحت مملكة الصين بدون ان يرتاب في ذلك مثل ما لا يرتاب
في وجود نفسه فاذا أتيت جمهور علماء الجامع الأزهر وعلماء جامع الزيتونة وعلماء
جامع القرويين وغيرهم من عدد علماء الدين وسألتهم عن تلك البلاد لا تجد عند أحد
منهم شعورا بها ولا يجيبك الا باني لا أعلم هذا الاسم من موضوع فهل يكون عدم معرفة
الجمهور العظيم من علماء الشريعة قادحا في وجود تلك البلاد أو في وجودها أو في كونها
تحت تلك المملكة بثبوت التواتر لمن يشاهدها من أهل العلم بذلك كلا وكذلك لا يكون
جهل جميع العلماء قادحا في وجود التواتر بالقراآت السبع بل قال جمع من الاصوليين

ان

ان القراءات العشرة متواترة فضلا عن السبع واذا كان كذلك فلم يبق محل لدعوى التصحيف او التحريف فى تلك الكلمات وأشباهها مما ثبتت به القراءة واعلم ان ذلك من التشديق الذى لا اعتبار له سوى التسويد فى الكتب لينقل عنه من يرى ان العلم كاف فيه وجوده فى كتاب مسود وسيأتى لهذا الموضوع مزيد بيان فى الخاتمة ان شاء الله تعالى ولنرجع الى تاريخ مصر فنقول انه من عهد منفسا وابنه لم يوجد فى التاريخ شئ معتبر من أحوال مصر سوى استيلاء عائلات أخرى الا ثلاثة الى ان بلغت الى العائلة الثانية والعشرين فكان منها فرعون شيشنق الاول الذى حارب ملك الشام وهو ابن سيدنا سليمان عليه السلام وفتح مملكته وبقيت تحت حكمه وصور فتوحه على هيكل الكرنك وكتب عليه بالنقش بصورة مملكة يهوذا فى قبضتي ثم خرجت عليه الشام وحاربوه بعده وانكسر ثم لم يكن لوقائع مصر من أهمية الى ان استولت عليها العائلة الخامسة والعشرون وهى من ملوك الحبشة وأولها فرعون سباقون وصارت من هاته العائلة عدة ملوك وحاربوا ملوك آشور التى كانت مملكتهم بين الفرس والشام وعظمت مملكة مصر فى ايام تلك العائلة حتى اتحدت بالحبشة وعامة افريقية وصار فيها تمدن عظيم حسبما دلت عليه الآثار ثم انقرضت الدولة وانقسمت المملكة المصرية الى اثنى عشر قسما ثم تحدت تحت العائلة السادسة والعشرين واولها فرعون ابساميتيكوس وترقت المملكة فى ايامه وكان به الابتداء استعمال الحروف الاصلية فى الكتابة عوضا عن الكتابة بالصور التى كانت مستعملة سابقا كل صورة علامة على كلمة ومن هذه ابتدأ التثبت فى التاريخ المصرى واتضح حاله نوعا عما كان من قبل فى اثبات الزمن وكانت ولاية المذكور سنة ٦٦٤ قبل الميلاد وكان خلط بمعارفهم معارف اليونان وكثرت بينهم الخلطة ثم استولى ابنه ونخو بن سياروننا بابل وأراد وصل النيل بالبحر الاحمر ولم يتم له وخرج عنه ايضا بعض مالقيه فى آسيا كمالك الشام ثم استولى عدة من ذريته الى ان فتح مصر بخت نصر وقتل فرعونها واولى عليها احد اصحابها ثم خاف عليه فصار بيده مملكة فارس وتغلبت على جميع البلاد وصارت مصر ولاية فارسية حدثت فيها عدة ثورات من الاهالى لانقاذ أنفسهم من الفرس ولم تمن شيئا ونهاية خروج مصريون بدأها ما كان فى حدود سنة ٣٥٨ قبل الميلاد ولم يتولاها احد منهم الى الآن بل كانت سائرة دولها من المتسلطين من خارج ثم بقى بعد تلك الثورات استقرار ملك فارس الى ان ظهر اسكندر المقدونى اليونانى

وشرع في الفتوح وافتتح مصر وجعل قاعدتها الاسكندرية كما مر وكان فتوحه
سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم استولى عليها بطليموس الاول من اليونان أحد قواد
الاسكندر بعد اقتسامهم الممالك بعد موته وانشأت الدولة البطليموسية التي تحفظت
على ما امكن لها معرفته من علوم قدماء المصريين وزادت معارف اليونان وقد دفع
بطليموس المذكور الشام وجعلها ولاية مصرية واهلك من اليهود ما أبقاه بخت نصر
حتى لم يبق منهم الا القليل النادر من الرعاع ثم لما تولى ابنه اعتق من وجد منهم وردهم
الى بيت المقدس مكرمين وهو الذي أمر بترجمة التوراة من سبعين رجلا من اليهود
العارفين باللغة اليونانية فترجمها كل منهم بما مراده وقوبلت التراجم مع بعضها
واستخرج من الجميع نسخة واحدة وهي المعروفة الآن بالسبعينية ومع ذلك فهي مخالفة
الآن للعبرانية والسامرية وكانت السبعينية أوفق تحريرا للاتفاق عليها اذذاك وكان
تحت مصر دولتا تونس وطرابلس وكثير من جزيرة العرب والشام وكثير من جزائر
اليونان ثم تولى بطليموس الثالث ووسع في الفتوح الى ان دخل اواسط آسيا ثم تولى
الرابع وقتل ابيه وفي مدته انحطت المملكة شرذمة وتولى بعده ذريته والكثير منهم لم يكن
لهم من تقدم اجدادهم سوى اسم الملك أما الاعمال فهي قوية استبدادية شهوية وسنة
الله في انقراض الدول حتى استولت منهم امرأة ذات جمال فائق واسمها كليوباترة بعثت
في البلاد الفساد وضعف ملكها واقتصد فهددها امبراطور الرومان بالحرب وارسل لها جيشا
ولكنها لما اجتمعت برئيس جيوشه فتنته حتى تزوجها بعد ان كانت تزوجت
احد بها او جدها بعد آخر ثم قام معها رئيس الجيوش الى ان ارسل اليها جيش آخر
وقتل في المعركة ولما أيقنت الملكة من أخذها مكنت حية قتالة من ثديها فلدغتها
وماتت وقد رأيت صورتها في عدة اماكن من اوربا والحية في ثديها وكان بذلك
انقراض دولة اليونان من مصر واستبدادها بسلطة الرومان عليها فلم تزل ولاية رومانية
يلقب واليها بالمقوقس له الاقل التصرف الى ان جاءت الملة وخاطب النبي صلى الله
عليه وسلم الملوك بالدعوة الى الاسلام فكان من الملوك المخاطبين منه عليه الصلاة والسلام
المقوقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه بسم الله الرحمن الرحيم من (محمد) عبد الله ورسوله
الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى (اما بعد) فاني ادعوك بداعية
الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا

بعضا

بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون اهـ فأجابه بالعربية
ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما
بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقي
وكنت أظن أن يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان
من القبط عظيم وكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام فلم يكن فيه إجابة ولا إنكار
وإنما يومي إلى قرب الإجابة ثم فتحت مصر في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ٢٠
على يد عامله سيدنا عمرو بن العاص في جيش عدده ثمانية آلاف وأمده الخليفة بأربعة من
أسود الصحابة قال إن الواحد منهم في مقام ألف فتلاشت أمامهم العساكر بعطب أتباع عنتر
العامين قليلة وتمادى الفتح منها إلى بقية إفريقية حيث كانت أسرارها إلى العائلة المحمدية
العلوية مبسوطة في التواريخ لا يمكن استيفاؤها فنقتصر هنا على ذكر الدول وسنذكرها
مع الملاحظات في صحائف جدول خاص هذا وأما بقية ملحقات السودانية وهي القسم
الجنوبي من النوبة وما يليه جنوباً من قبة السودان وقاعدتها الكبرى تسمى سنار باسم
المملكة فعبارة ما يعلم من أحوالها أنها قبل الهجرة بنحو ٢٧٣٥ سنة كان يسكنها
قوم من الزنج لا تعرف أحوالهم ثم وردت عليهم طائفة الكوش من العرب وحصلت
بينهم وبين المصريين وقائع اضطرت المصريين إلى إقامة قلاع في الحدود وتقلص ظلهم
عما كان لهم في النوبة من العهود ثم تسلط أهل سنار العرب على مصر وهم أرعاهم ثم
خرجت منهم كما سبق ذكره ثم دخلت في أهالي سنار وغيرهم الديانة النصرانية في القرن
الرابع من الميلاد ثم في القرن الأول الهجري افتتح العرب هاتيك الجهات وبقيت على
الاستقلال بإدارتها سوى التبعية الدينية للخلافة إلى سنة ٨٨٩ فاحتلتها قبيلة تسمى
الفنج (أو) الفون ولا يعرف من أين أتت فتسلطت على تلك الجهات وتملكتها وكانت
على الديانة الوثنية ثم أسلمت وصار منها علماء أجلة في عدة مدن وارتحل منها طوائف
إلى قواعد الإسلام لأخذ العلوم فبرعت منهم فحول وكان ملكهم من أقوم ملوك الإسلام
إلى أن حدث فيهم التنافر الداخلي والانقسام وتغاير وافيما بينهم فجعلوا بذلك وسيلة
لجارهم في التسلط عليهم فاغتنم محمد علي باشا الفرصة واستولى على جميع سنار
بعد استيلائه على النوبة سنة ١٢٣٦ أما شطوط النوبة الشرقية أعني ما كان منها
على البحر الأحمر فإنه كان في أغلب الأوقات تابعاً لمصر حتى بعد الفتح الإسلامي وعند
ما أنشئت الدولة العثمانية بمصر بقيت هاته الجهة تحت إدارة خاصة بها تابعة للدولة

الى سنة ١٢٤٣ ففوضت ادارتها الى محمد على وجعلت جزأ من الممالك المصرية والحقت
بها أيضا بلدة أصبا وملحقاتها التى كانت تابعة لقعدة فاستولت عليها مصر شيأ
فشيأ (وأما) دارفور فغاية ما علمت من تاريخها أنها كانت من الممالك الاسلامية القديمة
وأهلها من اخلاط السودان والعرب وآخر عائلة من ملوكها عربية سودانية ينتهى أولهم
السلطان عبد الرحمن توفى سنة ١٢١٨ وانتقل الملك فى أبنائه الى ان تغلب على المملكة
اسماعيل باشا سنة ١٢٩١ (وأما) زيلع وغيرها من بقية جهات السودان على شطوط
أفريقية الشرقية فحاصل ما بلغت اليه انهم قوم من العرب انحازوا الى هنالك من عهد
الاسلام ثم أسلموا فى صدر الاسلام ولما استولت الدولة العثمانية على اليمن وغيره من
جزيرة العرب والحقت بقية جهات تلك الممالك أيضا وصارت فى طاعة الدولة ولم تزل جارية على
عوائدهم وعلى الحكم السابق الى أن الحقت تلك بمصر بمقتضى فرمان مخصوص الى اسماعيل
باشا وورثته وذلك سنة ١٢٩٢ (وأما) بلاد النوبة فكانت قد بسطت دولة عاصمتها دنقلة
فى منار الى أن استقر الاسلام بمصر فبقى أهل النوبة على الشرك حتى انه فى زمن
المأمون لما قدم الى مصر اشتكى اليه ملك النوبة من عامل اسوان وأهلها انهم ملكوا
أراضى فى بلاده بالشراء من أناس والحال انهم أى البائعين عبيده فأحال فصلهم على
قاضى اسوان ولم يقر المأمون برق فحصل عليهم ملك النوبة وبطش بهم ثم صار التعدى
متواليا من النوبيين على أهالى مصر وكلما اغاروا وجه لهم حاكم مصر رادعا فيذعنون
ثم يعودون الى زمن صلاح الدين بن أيوب فالتجأ اليه ابن أخ ملك النوبة مستنصرا على
عمه فاعانه وأولاه ملك النوبة وضرب عليه خراجا وألحق بمصر نحو الربع من النوبة ثم
لما ملكت الدولة العثمانية استقلت النوبة وكانت حدودها عند مصر مأوى للامراء
أصحاب الفتن يلتجئون اليها الى أن استولى محمد على فاستولى على جميع النوبة وغيرها
وصار أغلب أهلها مسلمين ودونك جدول حكومات مصر منذ الفتح الاسلامى

﴿ جدول حكومات مصر ﴾

التاريخ من الهجرة	أسماء الحكومات	ملاحظات
٢٠	مبدأه عمرو بن العاص وخلفاؤه	عمال تابعة من الخلفاء الراشدين ثم الامويين ثم العباسيين
٢٦٤	أحمد بن طولون وذريته	سلطان مستقل بالادارة خاضع الى الخليفة العباسي تعيينا
٢٩٢	عمال العباسيين	مثل سائر العمال
٢٩٣	الدولة الاخشيدية ومنها كافور الاخشيدي	سلطان مستقل يدين بالتبعية للخلافة العباسية
٣٥٨	الدولة الفاطمية أولها المعز بن المهدي	خلافة مستقلة على مصر وسائر المغرب
٥٦٧	الدولة الايوبية وأولهم استقلالا صلاح الدين وآخرهم شجرة الدر	مستقلين وملكوا الشام وغيره وصلاح الدين هو فاتح بيت المقدس من أيدي الافرنج وصاحب الوقائع الشهيرة في حرب الصليب وفي مدتهم انتقل الخليفة العباسي الى مصر سنة ٦٥٩ وهو صوري فقط
٧٨٤	دولة الجراكسة أولهم المعز ايبك زوج شجرة الدر المذكورة	مستقلين خاضعين لخليفة عباسي بالاسم
٩٢٢	الدولة العثمانية وعمالها ومنهم المماليك	عمال لآل عثمان لهم ادارة مختارة فوضى
١٢١٣	الفرنساويون	تغلب نابليون الاول وبقي الى أن أخرج بسيف الدولة العثمانية واعانة الانكليز

﴿مطلب في تاريخ مصر الجديد﴾ لما استولى الفرنسيس على مصر وكان قاصد التوصل
من هنالك الى افتتاح الهند من الانكليز لما كان بينهم من الحروب والعداوة بل وكانت
سائر اوروبا اتحدت ضد الفرنساوية حسبما تقدم ذلك في محله فحينئذ عاضدت انكلاتيره
الدولة العثمانية على حرب فرنسا واخرجاها من مصر ١٢١٦ وبعد استقرار امرها
للدولة استولى على امارتها محمد علي باشا الذي اصله من الارناؤط وقد عسكر تابع
عساكر الترك لاخذ مصر من الفرنسيس وكان كامل الاوصاف للرياسة فتقدم اليها
بنفسه على بني جنسه وانقادت له الجميع وقررت ولايته الدولة على دفع خراج معلوم سنويا
وذلك سنة ١٢١٩ فوجد مصر في نهاية درجة الفقر والبربرية والجهل بل حتى ان
الامراض الوبائية من الطاعون وغيره تمكنت فيها وصارت عادية تفني من الناس سنويا
خلقا كثيرا حتى قل العمران ولم يبق من مآثر تقدم المصريين سوى الاسم في التواريخ
ثم وجود للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الازهر من العلماء وذلك كله لما مر عليها
من تقلبات الدهر والظلم والجور والاستبداد والحروب في الايام الخالية فشمر عن
ساعد الجد ووافقه البخت وفتح لمصر عصرا جديدا فقدم فيما حدث انتظاما من اهلها
ورتب الاداء على الاهالي على قانون غير مجحف والزمهم بتعمير الارض وفتح الترع وانشا
المدارس العلية للعلوم الرياضية والحربية واحضر لها من اوروبا واحدث المارستانات
والزم الاهالي بالنظافة وتوسيع الطرقات والبنا وارسل التلامذة الى اوروبا لتعلم
الفنون واحيى العلوم الشرعية وسهل ابواب التجارة وانشأ معامل السلاح والسفن
وترجمت الكتب المدونة في فنون شتى من لغات شتى الى العربية ونشأ في مصر جيل
جديد وعصر جديد بسطت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة وافتتح النوبة
وسنار واستولى على الشام والحجاز واستخلصه من الوهابي بل امتد بالاستيلاء الى قرب
الآستانة في الاناطولي وخشيت شوكته من عصيانه على الدولة العثمانية فتعصب
الانكليز الى الدولة في الظاهر لتوطيد قدم كلمتها وفي الباطن خشية من انشاء دولة
اسلامية شابة ذات قوة متينة ومركزها مصر فتقتضي ان تتقدم من هنالك الى الهند الذي
هو روح قوة الانكليز سيما اذا عضدتها احدى الدول الاوروباوية مثل فرانسا فلذلك
حاربته مع الدولة العثمانية التي هي اذ ذاك على ضعف شديد من حرب الروسيا
والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك فقهر واضطهد محمد علي ولكن لاتمام مقصد
انكلاتيره لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار اليها أيضا

فكان الاوفق لها ابقاء مصر في شبه استقلال لضعف كل من الجهتين وبقي محمد علي
واليا على مصر على ان تكون الولاية في ذريته من اكبر الى اكبر ويؤدي خراجا سنويا
للدولة ويعينها عند وقوع حرب معها بالمال والرجال بعدد دون الاربعين الفا
وكذلك يعين بالباشوية من الرتب العالية في مصر بعض رجاله واصحابه وتوابع الدولة
والسكة والخطبة تكون باسم السلطان العثماني والعلم عثماني ايضا وحرمت مجاوزته
الى الدولة وكذلك الشام وبقي على ذلك الى ان ضعف بالسن فتنازل عن الولاية لابنه
الاكبر وهو رئيس جيوشه وحروبه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ وكان على قدم ابيه
وتوفي ثالث السنة فتولى بعده ابن اخيه عباس باشا بن طوسون بن محمد علي سنة ١٢٦٥
فاخذ عنه دوار التمدن في شيء من الانحطاط لصرف الداخل في الشهوات لكنه احدث
شيئا من النافع كبعض طرق الحديد والسلك الكهربائي واحكم الصلة مع الدولة
العثمانية ثم توفي سنة ١٢٧١ وولي بعده سعيد بن محمد علي فزاد انحطاط التمدن
وعم خرق الاسراف وشرع محاباة لمساعي الفرنساويين بفتح خليج السويس وكثر الدين
على الحكومة ثم توفي سنة ١٢٨٠ وولي اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا فاعاد عصر
التمدن والمعارف واتساع الثروات الزراعية والتجارية وشيد الاحكام والاعمال الكبيرة
ثم جعل له آخذا يروق الاستقلال بالمرة عن الدولة العثمانية وصادف ان كان في ايام
ولايته حصلت حرب امريكا المتحدة في بعضها فانقطع منها جلب القطن الى انكلترة
وتشدد طلبه من مصر وحصلت ثروة لم تعهد مع امتداد طرق الحديد الى جهات
شتى والى السودان ثم تم فتح خليج السويس في مدته ودعي له ملوك اوربا فحضر له كثيرهم
كامبراطور اوستريا وامبراطورة الفرنساويس زوجة الامبراطور نابليون الثالث
من غير توسط الدولة العثمانية مما زاد الشبهة في دعوى الاستقلال لكنه كان تحقق
من داره ان المقصد لا يتم له فغير سيره من وقتئذ وعاد الى طاعة الدولة العثمانية
وقد قدم اليه السلطان عبد العزيز نفسه الى مصر والى مقره في الاسكندرية وحصل منه
على فرمان منها بان صار الوراثة في خصوص بنيه من اكبرهم الى ابنه الاكبر
وهكذا وزاد في الخراج للدولة واخذ منه بملكه بلاد دارفور وكردفان وغيرها
من السودان وزادت المعارف كلها بنهضة في ايامه وانشأ المحاكم المختلطة بمصر لترفع
حكم القناصل وانشأ مجلس النواب من الاهالي لكنه صوري وكذلك مجلس الوزراء
الا ان ذلك كله لم يمنع امره وحده لكن ازداد الدين على الحكومة بكثرة المصاريف

الداخلية في انشاء القصور وغيرها كالترع والعرف وبكثرة المصاريف للدول لتحصيل
مطلوبه منهم مما ذكرناه وافتقر الاهالي من الظلم وأخذ أموالهم بالضرب وغير
ذلك مما هو غير معلوم ومع ذلك لم تقدر الحكومة على الوفاء بفائض الديون الاوروباوية
وجعلت تزيد في القرض الى أن توقف المقرضون عنه فتداخلت الدول في حفظ
أموال رعاياهم وأنشأوا وزارة فيها وزير انكليزي للمالية ووزير فرنساوي
للاشغال العامة وعزل الوزراء غير الاجنبيين حينئذ في عدم الاذعان لمجرد
ارادة اسماعيل باشا وتقلب مرارا في تغيير الوزراء ثم عمد الى أن ثار الجيش باغراء
منه فقام مجلس النواب وأهانوا الوزارة الاجنبية كما يدعون انها قصت من مصاريف
الجيش وعدده ولكن المعاملة مع الوزير الفرنساوي كانت لينة وهو مغتفر منهم حتى كان
لسان الحال يدل على ان فرانسا ربما توافق مع الخديوي يوافق قصده في التباعد
من انكلتيره حتى شعرت بذلك وأرسلت له رسولا خاصا ابلغه نصيحة شديدة مما لها
ان النافع له هو الرفق بالرعية والكف عن الاسراف وان ركونه الى غيرها لا يفيده
عند تمحيص الحق فأجاب بالخضوع مما رمى به واتخذ حيلته من التداخل الاجنبي الى أن
حصلت تلك الامور من العساكر وعزل الخديوي الوزارة فارتعبت فرانسا وانكلتيره
وطلبوا من الخديوي أن يتنزل عن الخديوية فأبى وألحوا الى أن كادوا أن يباشروه
بالحرب وكانت الدولة العثمانية قد اشتد الأمر وجهها من حرب الروسيا التي أنهكت جوا
كثيرا من عمالات الدولة فأرادت الدولة أولا أن تحمي الخديوي لكنها لما علمت أن
لا مناص من عزله حتما كما قيل بيدي لا بيد عمرو وحفظا للناموس أو لاتهامات بارسال
أمر بالتلغراف الى اسماعيل باشا فيه بعزله وأمر آخر الى ابنه الخديوي الحالي محمد
توفيق بأمره بالولاية وتسلم زمام الامور وذلك سنة ١٢٩٦ . ثم سافر اسماعيل الى ايطاليا بحرمه
وأبنائه وبقي ساكنا في نابلي بقصر الحكومة بها ابدا وتصرف الخديوي توفيق في مصر
بواسطة الوزراء وجعل رئيس الوزارة مصطفى رياض باشا وجعل الكل من انكلتيره
وفرانسا مراقبا ماليا يحضر مجلس الوزراء وله صوت فيه بحيث لا ينفذ شيء الا ما وافق
عليه المراقبان ووضعت مداخيل الحكومة على قسمين أحدهما لفائض الديون وقدر
تلك الديون نحو الف مليون فرنك ومقدار ما عين لفائضها واستهلاك أصلها نحو مائة
وستين مليونا فرنكا سنويا والباقي من مداخيل الحكومة يدفع منه خراج الدولة
العثمانية وبقية مصاريف الحكومة وجرى الصرف للوزارة بدون مجلس النواب

مع

مع وعد الخديوى عند ولايته بفتحه واجراء مقتضاه الى أن ظهر للوزارة ان تحدث قانونا فى
رتب العسكر كان من مقتضاه ان أبناء مصر العارفين بالكتابة والقراءة لا يتجاوزون رتبة
رئيس الالف أى بين باشى والذى لا يعرف ذلك لا يتولى الا رتبة رئيس عشرة وبقية
الرتب يتولاها الدخيلون فى مصر كالترك والافرنج فامتنع من الامضاء على القانون فى
وزارة الحرب عدة من أمراء الالايات معللين بان ذلك خلاف الانصاف فسجنهم وزير
الحرب فثارت العساكر وأخرجوهم من السجن وأحاطوا بقصر الخديوى طالبين عزل وزير
الحرب فعزل وحصلت (حينئذ) طنطنة لاتحاد العساكر واتفاقهم وجاء المصريين
ونشأ فى الامة حزب يسمى الحزب الوطنى رئيسه فى الكلام رجل يسمى عبد الله نديم
فصيح اللسان عارف بطرق الكلام وكثرت منه الخطب فى الجوامع والمواكب ومن عبروا ايضا
فى الحث على الاتحاد وأسعد الاشياء لابناء الوطن وكذلك الوظائف وخروج من و[illegible]
الاجانب الذين اشتد احتقارهم للاهالى واستبدادهم عليهم بالمرتبات الباهظة حتى انى
لما مررت بمصر كنت أسمع دوى علياء الاهالى من التشكى من كثرة توظيف الاجانب
الذين بلغ عددهم نحو ألف ومائتى متوظف يأخذون سنويا نحو واحد عشر مليون
فرنك مع اقتدار الاهالى على الوفاء بتلك الوظائف وحرمانهم من ذلك بكثير ثم بدا
للوزارة لزوم التنقيص من عدد العساكر فنفر العساكر واحدقوا بقصر الخديوى متسلحين
حتى بالمدافع بعد ان أرسلوا الى نواب الدول بالامن عليهم وعلى رعاياهم والاعلام
بمقاصدهم وكان رئيس ذلك الاتحاد رجل من أهل مصر فى رتبة أمير الاى فصيح اللسان
ثبت الجنان اسمه أحمد عرابى فخاطب هو ورؤساء الجيش لا سمع بالخديوى ثم تيقن
الخديوى مطالبهم بواسطة خطاب فقال انه كبيرهم نادوا هم واعلموا بان مطلبهم هو
عزل الوزارة وولاية رئاستها لشريف باشا وجمع مجلس النواب واجراء قراره وفقه وان
تكون له الحرية اللازمة لمثله وان لا يمس حقوق الاجانب وتعهدات الحكومة معهم
فلم يسع الحال الا القبول بجميع المطالب واجرائها فعلا وزاد عرابى نفوذا وانطلقت
الالسن بالحرية فلما اجتمع مجلس النواب الف قانونه الذى تتفق عليه أعماله وكان من
جملته ان له الحق فى الاطلاع على حساب الحكومة فى المال وله الرأى فيه مع ان ذلك من
خواص مأمورية المراقبة الفرنساوية الانكليزية فامتنعت وزارة شريف باشا من قبول
ذلك خوفا من تداخل الدولتين فى الامتناع حتى يفضى الى التداخل فى السياسة
فأصر المجلس على رأيه وأظهرت العساكر التعصب الى المجلس فامتنع شريف من وزارته

ومن هنا نوجت الاعمال عن القصد الجميل لما يوقعها في الزوال لان العاقل ينظر لجميع
مقتضيات الحال ونسبة قوة الدول فيتباعد من موجبات الفساد ولا تطلب النهايات في
البدايات كما هو القاعدة الشهيرة القائلة من طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه وما
بالعهد من قدم قد رأوا تداخل الدولتين في عزل الخديوي السابق حتى تم مرادهم
فكيف يفتح لهم باب التداخل وهم بالمرصاد منهم لكن سبق القدر فلم يتدبروا
واستعجلوا وأصروا على طلبهم فعرض الخديوي انتخاب الوزارة الى المجلس مع انه من
حقوقه تطييبا لخاطر الاهالي فاستولى رئاسة الوزارة محمود سامي وتولى وزارة الحرب
عرابي وانتدبه ايضا من هنا لا اعتراض عليه من العقلاء في قبول الوزارة لان مقامه من
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعسر بتلك الولاية ويصير له غرض خاص به من
الارتقاء الى المناصب العالية سيما بعد ان رقى من كان معه من رؤساء العساكر الى رتبة اللواء
وقبل هو من الخديوي تلك الرتبة بعد الالحاح عليه فوافقت هذه الوزارة رأي مجلس
وكذا افكار الاهالي ومعهم مع مطابقة بالقدح في الاوروباويين والتشنيع بما
هم عليه من استقلال السابق فهاجت ضدهم صحف اوروبا جميعا واشتد ... هم
الفرانساويون والانكليز حتى برقت وارعدت دولتاهم متهددين بالحرب طالبين
نفي عرابي وبعض من رؤساء العسكر الذين رقوا الى رتبة اللواء وارجاع وزارة شريف
ودحض مطلب مجلس النواب في التداخل في امر المراقبة فوقع اضطراب وهيجان ظهرت
فيه دعوى على بعض من العساكر الجراكسة بانهم قصدوا قتل عرابي باغراءات سرية
منها المنسوب الى الهامي باشا احد علائق اسماعيل باشا فنفي اولئك الجراكسة الى
الاستانة وبقوا فيها تحت الحفظ مكرمين في احد العمارات السلطانية الى ان رجعوا
بعد الحرب الآتي ذكرها فلما اصرت الدولتان على ذلك اعلن الخديوي بعزل الوزارة
فثارت الاهالي والعساكر والزموا الخديوي بارجاع عرابي الى وزارته وقدم اذ ذاك
مرخص عثماني وهو المشير درويش باشا ومعه عدة رجال لاقرار الراحة في مصر بالوجه
السياسي لان الاهالي ايضا كثروا من التشويه بانتمائهم للدولة العثمانية ووردت منها
افراد على الوجه الخصوصي من قبل لاراحة الاهالي وكان الخلاف بين عرابي والخديوي
عند قدوم درويش باشا اشتد حتى ظهر الخبر بان الاهالي قدموا عريضة بطلب عزل
الخديوي بل جرى الطمع حتى الى اخراج الخديوي عن عائلة محمد علي بالمرة وطلب أن
تكون مصر مثل ايالات في امتيازاتها التي منها اختيار الوالي وان لا تتداخل فيهم الدولة
العثمانية

العثمانية التي في ادارتهم بل ربما تعرضت عموما بانها لو ترسل عساكر ضدهم فانهم
يقاتلونهم كما قاتلوا سائر الدول وحينئذ اعلنت كل من فرانسا وانكلتيره بلزوم ابقاء
الخديوي ونفوذه وقطع مضادته بالقوة الجبرية غير ان فرانسا تطلب ان تكون قوتها
وقوة انكلتيره هي العاملة ولا تسمح للدولة العثمانية بذلك وانكلتيره على ضدها
تطلب مبادرة عساكر للدولة العثمانية فلذلك قررت الدولة العثمانية ان فصل النازلة
يتم بدون احتياج الى قوة وارسلت درويش باشا ومن معه لذلك وحصل من قدومه
ما اغاظ كثيرا من الاوروباويين لانقياد العساكر المصرية والاهالي للسلطان
وامتثال امره وابتدا السكون والتوافق والرضى بالحصول شيئا فشيئا لكنه حدث في
اسكندرية التي كانت اذ ذاك مراسيها غاصة باساطيل الدول الاوروباوية حادثة شنيعة
وهي قتال بين المسلمين والنصارى السكان بسبب مشاجرة عادية فطبل الاوروباويون
بذلك وزمروا واقتضى توجه الخديوي ودرويش باشا وعرابي الى الاسكندرية لاقرار
الراحة واقر الدول ان الواقعة عادية لا دخل لها في السياسة غير ان اصل المسئلة من
اصرار الدولتين على مطالبهم وامتناع اهالي مصر لا زال على ما كان وقررت اشد اقداما
وتهديدا باعلان الحرب وطالبت انكلتيره مؤتمر في الآستانة لما يجب من العمل
فامتنعت الدولة العثمانية من التداخل فيه لما لها من حق السيادة وحدها على مصر
فرأت ان ذلك من باب تداخل الدول في داخليتها لكنهم عقدوه ودخلت فيه الدولة
العثمانية اخيرا وبينما هو في التعارض كانت العساكر المصرية تصلح في حصون
الاسكندرية حسب النوبة ولا استعداد فيها لان الدولة العثمانية كانت حجرت على
اسماعيل باشا تحصينها عندما احكم حصن ابو قير جوار الاسكندرية وحصون دمياط
وغيرها مما سبقت الاشارة اليه في اخبار اسماعيل باشا ولما رأت اساطيل الدولتين
ذلك التحصين ادعوا انه تهديد لهم وطلبوا الاقلاع عنه فامرت الدولة العثمانية بالكف
عن التحصين وادعى المصريون الامتثال وادعى رئيس اسطول الانكليز عدمه وطلب
دخول عساكره الى الحصون فتفاقم الخلاف واطلقت النيران من الاسطول الانكليزي
على الاسكندرية فخربتها في نحو عشر ساعات وتقهقرت بعض مدرعاته وانحازت
العساكر المصرية الى مكان يسمى كفر الدوار وحيشوا هنالك واستولت العساكر الانكليزية
على الاسكندرية وبقي الخديوي فيها وانكشف الغطاء على مخالفة العساكر للخديوي
وكان معه درويش باشا المذكور فرجع الى الآستانة وبقي مع الخديوي الكاتب الثاني

للسلطان واشتد الحاح الانكليز على الدولة في ارسال العسكر وترددت الدولة الى أن
وقعت عدة محاربات بريه كان النصر فيها للمصريين واستولت الانكليز على برث
سعيد وعلى خليج السويس وكان أكبر المعسكرات المصرية في التل الكبير بين
القاهرة والاسماعيلية وتسابق الانكليز في لزوم قوة كبيرة لهم لاتمام قصدهم لان
فرانسا لم تنجح على نوال الاستشارة في حرب مصر انكر ذلك أشد الانكار وسحبت
اسطولها وبقيت على الحيادة والدولة العثمانية وان وافقت أخيرا على ارسال عسكرها
لكن تشدد الانكليز في جعله تحت أمرهم وأن لا يتصرف الا على فكرهم واشارتهم وأن يخرج
متى ما امروه بالخروج ألزم تأخر ارساله وكان تصرف العساكر المصرية بغاية الاحتراز من
الاعمال البربرية سوى ما صدر من افراد من العربان والملاحين في جهات قليلة وبينما
الامر على ذلك واذا بالدولة العثمانية نشرت اعلانا حسب طلب الانكليز بان عرابي
وكل من انضم اليه عصاة فلم يمض على ذلك بضع أيام الا وقد انحلت عرى التعصب
المصري ودخلت العساكر الانكليزية الى القاهرة راكبة في التل بدون أدنى حرب
ولا معارضة مع ان الجيش المصري ومن انضم اليه من العربان وغيرهم المتجاوزون المائة
ألف وخمسين ألف محارب باتم قوات لاستعداد تفرقوا جميعا أيدي سبا في بضع ساعات
وسلم عرابي نفسه أسيرا الى الانكليز فرجع الخديوي الى مصر وأقيم وكيل مدافع
انكليزي عن رؤساء العساكر المصرية وآل الامر حسب ارادة الانكليز بان حكم
بقتل عرابي لكن الخديوي عفا عنه لانه لم يعمل شيئا الا عن وفاق من يتبع وأبى له مرتبا
للقيام بنفسه ونفي هو وكبراء الرؤساء الى جزيرة سيلان في الهند وذلك هو التعليل
المبني مع ان جرم باعظامها من الانكليز وان جناية أولئك العساكر سياسية
لاتوجب القتل ولذلك حكم عليهم المجلس الحربي بالقتل لكن الخديوي عفا عنهم
وأبدل القتل بالنفي ولم تزل العساكر الانكليزية مقيمة بمصر وحكامها السياسيون هم
مرجع الامر والنهي والوزارة تحت رآسة شريف باشا وناظر الداخلية الذي له كمال
النفوذ رياض باشا وانكلترة بصدد ترتيب حالة جديدة للسيرة السياسية داخلية
وخارجية لمصر مع انه لا نهاية ان مصر تحت سيادة الدولة العثمانية على امتيازاتها المقررة
بالفرمانات السلطانية وان الترتيب التي هي بصدده لا تمس شيئا من حقوق الدولة
ولا معاهدات الدول الاجنبية وتقلص نفوذ فرانسا في مصر ولم تزل غير مقرة رسميا
لانكلترة بمرادها والروسية ميل الى معاضدة فرانسا هذا ما وقع الى الآن وهو المحرم

سنة

سنة ١٣٠٠ وبه يعلم صحة ما كنا ذكرناه في استيلاء فرانسا على تونس وكتبناه سنة ١٢٩٨ والله يفعل ما يشاء ويحكم وله عاقبة الامور

﴿مطلب في السياسة الداخلية المصرية﴾ اعلم ان مصر مملكة عثمانية لها امتيازات خاصة بينها الفرمان الصادر في ولاية الخديوى محمد توفيق باشا وهذا نصه

الدستور الاكرم المفخم الخديوى الافخم المحترم نظام العالم وناظم مناظم الامم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديوى مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلا والحامل لنيشاننا الهمايونى المرصع العثمانى ولنيشان المرصع المجيدى وزيرى سمير المعالى توفيق باشا أدام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله انه لدى وصول توقيعنا الهمايونى الرفيع يكون معلوما لكم انه بناء على انفصال اسماعيل باشا خديوى مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ وحسن خدمتكم وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا بان لكم وقوفا ومعلومات تامة في خصوص الاحوال المصرية وانكم كفؤ لتسوية بعض الاحوال الغير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة ولاصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية محدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضي المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقا للقاعدة المقررة بالفرمان العالى الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحيث انكم اكبر اولاد الباشا المشار اليه وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة اهاليها وسكانها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن اجل مرغوبنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان العالى الشان المبنى على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائزة لها الخديوية المصرية قد سببت منه الاحوال المشكلة الحاضرة المعلومة صار تبيين المواد التي لا يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكيدها وصار تبديل المواد المقتضى تعديلها وتعديلها واصلاحها على ما تقرر اجراؤه الآن هو المواد الآتية وهي ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفاؤها باسمنا الشاهانى وحيث ان اهالى مصر ايضا من تبعة دولتنا العلية والخديوية المصرية ملزومة بادارة امور المملكة الملكية

والمالية والعدلية بشرط ان لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعد في وقت من الاوقات
فخديوي مصر يكون مأذونا بوضع النظامات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها
بصورة عادلة وأيضا يكون مأذونا بعقد وتجديد المشارطات مع مأموري الدول الاجنبية
في خصوص الكمرك والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية لاجل ترقي الحرف والصنائع
والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب أو
الاهالي والاجانب مع أمور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل في معاهدات
دولتنا العلية السياسية وفي حقوق متبوعية مصر اليها واعطا قبل اعلان الخديوية
المشارطات التي تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالي وايضا يكون
جائز التصرفات الكاملة في أمور المالية لكنه لا يكون مأذونا بعقد استقراض من
الآن فصاعدا بوجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقد استقراض بالاتفاق مع
المداينين الحاضرين أو وكلائهم الذين يعينون رسميا وهذا الاستقراض يكون منحصرا
في تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصوصا بها وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الى
مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية وأودعت
لديهم فلا يجوز لاي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة
أرض من الاراضي المصرية الى الغير مطلقا ويلزم تأدية مبلغ ١٥٠ ألف كيسة عثمانية
الذي هو الويركو المقرر دفعه في كل سنة في أوانه كذلك جميع النقود التي تضرب في مصر
تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ ألفا لان هذا القدر
كاف لمحافظة أمنية القطر المصري الداخلية في وقت الصلح وأما حيث ان قوة مصر البرية
والبحرية هي مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز أن يزاد مقدار عساكر بالصورة التي
تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية
والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم ويباح لخديوي
مصر أن يعطي الضباط البرية والبحرية رتبا الى غاية رتبة أمير الالاي والملكية الى
الرتبة الثانية ولا يرخص لخديوي مصر أن ينشئ سفنا مدرعة الا بعد الاذن وحصول
رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية ومن اللزوم رعاية كافة الشروط السالفة
الذكر والاجتناب من وقوع حركة تخالفها ولاجل ذلك صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد
السابق ذكرها فأصدرنا أمرنا هذا جليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايوني وهو
مرسل صحبة افتخار الاعالي والاعاظم مختار الاكابر والافاخم علي فؤاد بك باشكاتب
المابين الهمايوني وهو من أعاظم رجال دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية
والمجيدية

والجديدة ذات الشأن والشرف حرر في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من
هجرة صاحب العز والشرف

وبهذا تعلم أصول الحالة التي عليها حكومة مصر (أما) كيفية الادارة فلما قدمناه في التاريخ لا يتيسر لنا التصريح بالحقيقة التي يجري عليها الحال لانها غير مستقرة كما علمت وان نقول انها الآن للخديوي يتصرف بواسطة وزرائه على نحو القاعدة الاوروباوية وما عدا هذا فهو موقوف الى الآن وهو سنة ١٣٠٠ ومن العجب ان تبقى الحال هكذا على غير استقرار وكل حين يسمع انهم يريدون ان ينشئوا أساسات للادارة ولم تظهر لها وجود مع شدة التشكي من الاهالي من الحالة الراهنة التي مآلها عدم العلم بمرجع الامر وعدم تعيين المتصرف رسميا ولان القوة الحربية بيد الانكليز وهم أصحاب النفوذ لكنهم مصرحون بانهم لا يتصرفون في الادارة وانها راجعة الى الخديوي وحكومته وهؤلاء أيديهم قصيرة اذ كل شيء مرجعه صاحب القوة لاسيما بعد ان استعفت وزارة شريف باشا وتولية وزارة نوبار باشا الذي علم ان لا مناص من مجاراة القوي مع تفاقم الثورة في السودان التي كانت ابتداءاتها من مدة اسمعيل باشا بسبب تعدي المأمورين على رجل منسوب للصلاح يسمى محمد أحمد كان شيخ طريقة وله اتباع فعارضتهم اتباع طريقة أخرى فاغروا بهم عامل تلك الجهة وهي دارفور فارسل اليهم من اتباعه من خالفوهم وقهروهم وتكرر ذلك وكلما ارسل اليهم قوة كسروها فحصل لهم شهرة الى ان ادعى المهدوية وكانت الاعيان والامراء من السودان في حرج من ادارة المصريين فانضموا اليه بتدبيرهم وأموالهم الى ان استولوا على أغلب السودان المصري وكسروا المصريين في جيوش عظام احدها تشمل ازيد من عشرة آلاف قتلوهم من آخرهم واستولوا على مهماتهم وفي اثناء ذلك دخل عسكر الانكليز الى مصر فاعلنت انكلاتيره بفصل السودان عن مصر واستقلالهم بامرهم متعللة بانهم لا نفع فيهم للحكومة مع ضيق مالها عن الوفاء بحربهم وكان ذلك سبب استعفاء وزارة شريف باشا متمسكا بان ذلك لا يصح بدون أمر الدولة العثمانية المسلم لها السيادة والضرر بمصر أيضا لكن انكلاتيره أصرت على رأيها ووافقها نوبار باشا وفائدتها من ذلك هي تضعيف مصر واستقلال السودان بعد تقدم اليها ان حكامه كانوا أشد عليهم مما كانوا مع المصريين فارسلت لهم مرارا كثيرا كان معاشرا لهم يسمى غردون كان متوليها حاكما عاما عليهم مدة اسمعيل باشا ليحاول تسكين ثورتهم فلم يقبلوا منه صرفا

ولا بد لاقتصاص بلاد الخرطوم وطلب القوة من دولته وكانت الوزارة اذ ذاك بيد حزب
الحرية فاظهروا من التناقض في القول والعمل ما يتعجب منه في ارسال القوة وامرها
بالتقدم تارة وبالتأخر أخرى الى أن فتح السودانيون الخرطوم وتم لهم جميع اعمال السودان
وحصل من مجموع الامور المذكورة الراهنة في مصر من الامور وكثرة التشكي من الادارة
التي هي على غير أساس فعقدت انكلترة التي زمام ادارتها بيد حزب المحافظين
اتفاقا مع الدولة العثمانية هذا نص تعريبه (أولا) ترسل كل من الدولة
العثمانية وانكلترا مندوبا عاليا الى مصر (ثانيا) يتدبر المندوب العالي العثماني
متفقا مع جناب الخديوي أو مع من يعينه لهذا الغرض المبين في الوسائط اللازمة
لتسكين السودان ويتفاوض المأموران والخديوي في جميع التدبيرات التي يمكن بها
تعديل الاحوال المصرية عموما ويكون اجراؤه بالرضا الجميع (ثالثا) يباشر المندوبان
العاليان ومعهما الخديوي اصلاح وترتيب العساكر المصرية (رابعا) ينظر المندوبان
العاليان مع الخديوي في جميع فروع الحكومة المصرية ويمكن لهم ان يدخلوا
التعديلات التي يرونها لازمة في كل ما هو داخل في دائرة الفرامين السلطانية (خامسا)
يقع الاعتراف من طرف السلطنة العثمانية بجميع المعاهدات العمومية الاجنبية التي
عقدت مع الحضرة الخديوية وذلك اذا لم تكن مخالفة للامتيازات الممنوحة في الفرامين
السلطانية (سادسا) عندما يرى المندوبان العاليان ان هناء الحدود استقر
وصارت سيرة الحكومة المصرية منتظمة وامورها مضبوطة يقدم كل منهما تقريرا الى
دولته لعقد الاتفاق باخلاء العساكر الانكليزية البلاد المصرية في وقت مرضي
(سابعا) يقع امضاء هذه المعاهدة في ظرف خمسة عشر يوما وتكون مبادلتها مصدقة
في القسطنطينية اه وقدم المرخصان المشار اليهما في الاتفاق وعند وصول المرخص
العثماني وهو مختار باشا احتفلت به الحكومة أزيد من احتفالها بالمرخص
الانكليزي الذي كان سبق صاحبه (وأما) الاهالي فاحتفلوا بالشرف مدة وعند الاتفاق
معه للسلام مع جمع من الاعيان أنشدته ذين التاريخين اولهما

الى طلعة تهدي دوام منتصرا * قد احتذاه مؤرخ بمختار كم

وثانيهما بشرى القطر عموم اهل المصر اذ * اصلاحه ارخ بمختار غير

وبقي المرخصان بمصر وهما مباشران الآن للنظر في الاصلاح وتأسيس الادارة على
اصول راسخة وهذا ما وقع الى تاريخ طبع هذا المحل وهو ربيع الثاني سنة ١٣٠٣

ومطالب

«مطلب فى السياسة الخارجية» الاسباب التى بيناها فى اوهام الداخلية هى بعينها
جارية فى الخارجية فالامور بيد الانكليز وجميع الدول مسلمة بذلك الا فرانسا
فصرحت بالاعتراض وبمقتضى ما ذكرنا فى سلطة فرانسا على تونس يظهر ان رجال الانكليز
هم فى مصر سيما وهم متخذون طريقتهم فى جلب الاهالى اليهم قلبا وقالبا باعراضهم
وحرماتهم وسائر عوائدهم واصولهم كما هو ديدنهم فى الممالك التى لهم فيها النفوذ لكن
الاهالى مصرون على النفور لان التصرف الانكليزى كان فى مصر على صورة تبعد
من احد قط لانهم فى الرسم معاونون بانهم لا ياخذون مصر ولا يعاملونها تحت حمايتهم وفى
نفس الامر الفوا بيدهم ولا يصدر شئ الا عن ارادتهم الى ان حصلوا على الاتفاق الذى ذكر
فى المطلب السابق مع الدولة العلية فحينئذ صار لهم حق المداخلة برضاء صاحب الحق
قطعا للدول لان بعضهم وهى المانيا اشارت بالتعريض سرا على انكلتيرة بتصريحها
بالاستيلاء على مصر والنمسا موافقة لها وايطاليا كذلك مع مزيد القيام بانكلتيرة فى
المساعدة حتى ادخلت عساكرها الى مرسى مصوع واعانت بالاستيلاء عليه لكنها
لا تمس حقوق الدولة العثمانية وهو كلام لا يعقل ولا مفهوم له الا عدم التصريح
بالاعتراف واعرب من ذلك ان الدول اجابوا الدولة العثمانية لما طلبت منهم التداخل
مع ايطاليا فى نزعها حقوق الدول بانهم لا يتداخلون حيث صرحت ايطاليا بمراعاة
حقوق الدولة (واما) الروسيا فلم تبد ممانعة ولا موافقة (واما) فرانسا فكانت ممانعة
للانكليز لكنها منذ رأت الدول الكبيرة موافقة على نحو ما رأيت وقد تكفلوا بان
تكون عليهم جميعا كفالة قرض الى مصر قدره تسعة ملايين ليرة ومع ذلك كله فان
الانكليز امتنعوا من الاستيلاء الرسمى او وضع الحماية كذلك بل حتى من كفالة القرض
المذكور وحدهم لخوفهم من كونهم اذا فعلوا ذلك فتحوا بابا للدول فى اضرار بالدولة
العثمانية ويرجع ذلك الى عدم معرفة ما تأخذه كل دولة ويرجح به ميزانها فرجعوا
على انكلتيرة ولذلك مالت الى ذلك الوجه من التراضى مع صاحب البلاد وكان لها
وحدها حق برضاه لعلها تتخلص من اضرار الدول بالدولة العثمانية الا انه عليها بالضرر
ايضا لكن الاشاعة الى ايطاليا فى الاستيلاء على مصوع مع تلك الدعوى التى اقرت
الدول بانها كافية فى اقناع الدولة العثمانية لم يبق معه الدور الذى اراده انكلتيرة
وهو ان تداخلها لم يكن الا بالرضى الظاهرى فان كل دولة يسوغ لها ان تستولى على بلاد
الاخرى وتقول لها انها لا تمس حقوقها والكلام وحده هدر فالحاصل ان السياسة التى

وقعت من الدول فى مصر وبالخصوص من الانكليز امرها عجيب واختراعها غريب
ونبه فيهم على عيب هم صائرون اليه

(مطلب فى بعض صفات وعوائد المصريين) أما أهل مصر الاصلية فقوم مختلطون من العرب الفاتحين وأبناء القدماء المعروفين بالقبط وأبناء الروم الذين امتلكوا مصر نحو الستمائة سنة ومن جميع أمم الاقاليم من أبناء الترك والمغاربة وغيرهم من الوافدين الى هناك ولهم حسن أخلاق وطراوة وبشاشة فى الخطاب واذا احتدت نفوس الرعاع العوام تراهم سليطي اللسان لهم مهارة فى أصناف السب حتى اذا انتهوا الى حد التضارب قال أحدهما لصاحبه (ماعليهشى) فتصالحوا وعادوا الى المصافاة ومن أخلاقهم حب الصياح لكنهم اختصوا بكثرة اظهار استعانتهم بالله ومع رفع الصوت ولا يتحاشى من ذلك حتى مشاهير أعيانهم بل انهم يستأجرون أناسا معدين لذلك لكي يصرخوا بالله وحتى تصحب أصواتهم صوت الموسيقى والطبل وتغنى الجمعة كهيئة هكذا ومن عاداتهم استئجار قراء القرآن فى بيوتهم ليلا للتلاوة بالانغام ويعطونهم أجورا على ذلك لكن من الغريب ان بعض القبط أيضا يفعلون ذلك ومن عاداتهم فى السلام انه اذا دخل الداخل يقف له جميع الحاضرين فيشير بيده للسلام هاويا بها نحو الارض ويرفعها الى رأسه فيجيبونه بمثل ذلك ولا يعم عندهم التقبيل لايد العالم على ظهرها او القادم من سفر يقبل فى كتفيه وسلامهم مع الامراء والكبراء هو بالاشارة أيضا لكنه فيه تعظيم كبير بان يدخل الداخل واضعا يده الى صدره ويقرب نحوه مكبرا له مهللا بالطاعة حتى اذا لصق بالرئيس هوى الى الارض كانه يريد تقبيل رجله أو ذيل سترته ويمسك الذيل ثم يجعل يده على فيه ثم جبهته والمتواضع من الكبراء المسلم عليهم يضم ذيله اليه كانه يمتنع من ذلك ويقول استغفر الله استغفر الله وغيرهم لا يفعل ذلك لكن أكثرهم متواضع وكلهم يقفون للداخل كبيرا كان أو صغيرا الا الحقير بالمرة مع التعظيم جدا ويتكرر الوقوف الى الداخل مهما تكرر دخوله الا اذا كان خادما أو صاحب شغل وأكثر ركوب المصريين على الحمير الا العرب فالخيل ويوجد فى المدن العجلات للركوب على أنواع شتى وسائقوها أسوأ أخلاقا من أمثالهم فى سائر البلاد وان كانوا فى جميع غيرها تعب واذا ركب أحد الاعيان عجلته جعل أمامه رجلا يركض وهو لابس لباسا مزركشا وبيده عصا طويلة وهو حافى الرجل ويصيح بالمارين ليتنحوا للعجلة وما أصبرهم على الجرى وما أجراهم حتى اذا خرجوا من البلاد وخرجوا خلف العجلة فاذا رجعت الى البلاد رجع

جاريا

جاريا أمامها والمصريون أهل جد وكد في شغلهم لا يميلون الى البطالة بل يقبلون على
أشغالهم من غير فتور ويوجد عندهم السؤال الخشن المخشون حتى انهم اذا رأوا من
أعطى سائلا يكادون أن يسلبوه ثيابه غصبا من الالحاح بل ربما أضروه في بدنه
فالاصلح بالانسان ان لا يعطي الا من الجهة الخفية جدا اذ السؤال صار صناعة ذات
الفرق ولهم رؤساء وعليهم أداء مقدر ولهم وقائع عجيبة في العمى وكتمانه فقد ذكر لي
ثقة انه في حدود عشرة السبعين من القرن الثالث عشر كان أحد الشحاذين مارا في الطريق
فسقط منه كيس وكان بمرأى من أحد الضابطة فالتقطه لذلك فلما اعلم به انه ضابطي انكر
ان يكون الكيس له فالح عليه الضابطي وآل الامر الى المشاحنة حتى رفع الى رئيس
الضابطية فأمر الشحاذ بأخذ كيسه الذي وجد به عدد كبير من الليرات الذهب فامتنع
وأنكر ان يكون له حتى جلده رئيس الضابطية جلدا وجيعا وهو مصر على انكاره فأطلق
سبيله وجاء شيخ الشحاذين وداواه من ضربه وشكر صنعه كل بني حرفته وادوا له جميع
ما خسره في الكيس ورد ذلك لانه لم يظهر عليهم أثر الغنى لكي لا يحصل عليهم ضرر
ولكي لا تقسو عليهم القلوب ولهم وقائع كثيرة من هذا القبيل مع ابداع وفنون في الالحاح
والتضرع تحت القلوب ولا أرذل في البلاد منهم قذارة ويغلب على الجميع الوسخ في الثياب وفي
البيوت ولذا يارى لابعض الاعيان ومن عدا القصور الافرنجية وأكثر ذلك في الفلاحين وأصحاب
القرى بل ان هؤلاء لا يستحيون من كشف العورة نساء ورجالا (وأما) أهل النوبة وبقية
السودان والعرب فقد تقدم في التاريخ أصلهم وأما عاداتهم فالسودان وان كانوا قريبي
الطبع من المصريين لكنهم أحذق أنواع السودان وأقربهم للتمدن سيما من خالطوا العرب
فتكونوا مثلهم وأما العرب فهم على نحو الصفات التي ذكرناها في عرب تونس ومن عادات
الجميع ان مبدأ توقيت الساعات عند الغروب ويجعلون اذ ذاك عقارب الساعات في
الساعة الثانية عشرة وهي مبدأ الحساب عندهم وما بقي ما بينها من الاثني عشر ليس لها
وقت معين بل هي على حسب ما يصادف وهذا أول روزنامة لذلك وعليه عمل جميع الجهات
الشرقية (أما) جميع الاقطار التي مر ذكرها كلها فانها تعدل على الزوال أي الزوال هو
الساعة الثانية عشرة وتنتهي الى نصف الليل فتبتدئ الساعات الاثنتا عشرة التي هي تمام
الاربعة والعشرين ساعة المقسم عليها الليل والنهار ولا شك ان اعتبار الزوال أصح في
التأقيت لانه لا يختلف عن زمنه سواء طال النهار أو قصر بخلاف الغروب وذلك لان
الزوال عبارة عن توسط الشمس في قوس النهار وخط نصف النهار يقسم جميع أقواس

النهار بالسواء أعنى أقواس طوله وقصره ولاختلاف الزوال عن وقته باختلاف الشروق
والغروب لان الشمس تنتقل عن محلاتها كل يوم وبذلك يكبر قوس النهار أو يصغر
فيتبعه الغروب اتباعا متقدما عن زمنه بالامس أو متأخرا عنه بحسب سير الشمس فى
طول النهار وقصره بحيث انك اذا حررت الحساب تجده من زوال يومك الى زوال غده
اربعة وعشرين ساعة تامة واذا حررته من الغروب الى الغروب القادم تجدها اربعة
وعشرين ساعة الا دقائق فى أوقات زيادة النهار فى القصر أو اربعة وعشرين ساعة
ودقائق زائدة فى وقت زيادة طوله لكن كان عدول الشرقيين عن التاقيت الذى
لا اختلاف فيه هو مصادفة الشرع فى اعتبار مبدأ اليوم من الغروب وان لم يكن بينهما تلازم
(مطلب فى الاحكام بمصر) الاحكام بها الآن على ثلاثة أنواع (النوع) الاول الشرعى
الاسلامى وهو فى كل ما يرجع الى الزواج والطلاق والوقف ونحوه مما يرجع الى احوال
الديانة فى المعاملات وهذه له قضاة ومفتون على المنهاج الشرعى وان احدث فيه
مضاربون باخذها القاضى على الدعاوى مع بعض عوائد تجحف بالخصوم مما
أوجب الشكوى من ذلك والنوع الثانى بقية المعاملات بين سائر الاهالى وهذا ما بالمجالس
السياسية (ومنها) الحقانية يحكم بحسب قوانين سياسية موافقة للشرع غالبا وتارة يحكم
الحاكم باجتهاده كما فى سائر الاقطار السودانية والنوع الثالث المعاملات التى بين الاهالى
والاجانب فلها مجالس مختلطة من سائر الاجانب يحكمون بقانون متفق عليه ملائم لعادات
الاقطار وعلى الاجمال فاهل مصر لهم الحرية الشخصية فيما يرجع الى الديانة وشعائرها
حتى صارت المنكرات جهرا ولا يقدر الانسان على منع احد منه من مثل ذلك بالحكم دائما
سالمة لو وأما الحرية الشخصية وهى أمن الانسان على نفسه وماله وعرضه الا
بحق فهذا كانه موجود فى العموم لكن اذا اراد الحاكم اخلاله فالحيل ممكنة وأما الحرية
السياسية وهى مشاركة العامة للحكومة فى الراى فالتحقيق انه غير موجود وان كانت
الصحف تتكلم فى السياسة لكنها مخصوصة بالسياسة الاجنبية أما القدح فى تصرفات
الحكومة فهو ممنوع ثم لبعض الصحف المستند أصحابها على خصوصيات مبنية القدح
فى سيرة بعض افراد لمنفعة خاصة والامر موقوف على ما يستقر عليه الحال من الترتيب
السابق ذكره فى أحوال السياسة
(مطلب فى تجارة مصر) التجارة بها متسع جدا فى السلع الوطنية والهندية
والسودانية والاوروباوية وأغلب الاوروباوية فى يد الاجانب (واما) غيرها ففى يد الاهالى

ولهم

ولهم براعة فى الاكتساب ولكنهم قليلوا الاسفار فلا تكاد تجد منهم خارج ممالكهم الا النادر وكل من أقام بمصر من الغرباء ربح الربح الحسن من التجارة لان محصولات الاقطار كثيرة ويخرج منها أنواع كالقمح والشعير والفول والتمر والعدس والذرة والارز والسكر وهو جيد كثير او قصبه والصمغ وفيه أنواع شتى والنطرون والصوف والافيون والعصفر والجلود والحصر والقطن وهو الغالب وفيه أنواع جيدة وبزره وكذلك سن الفيل وريش النعام والمنسوجات الكتانية وغيرها وهذا كله يصدر منها أما الداخل اليها فأهمه الجوخ أى الملف والحرير والشاشية وازرار على أنواع والاخشاب للبناء والوقود والعنبر والنقل كالفزدق والجوز والاشربة والبن والصابون والدخان والورق والشمع والزجاج والنحاس وغيره من المعادن مصنوع وغير مصنوع والفرش الصوفية وغيرها بحيث ان مصر مسابقة لاوروبا فى الغنى بالتجارة وانواعها عظيمة منها ما هو على النحو الاوروباوى كالتجارة فى رقاع الدولية والتجارية ولها مرسح عظيم فى الاسكندرية وكذلك البريد فيها على غاية الانتظام برا وبحرا خاص بالحكومة وتأتى اليها أيضا برد اجنبية بحيث لا يخلو يوم من ورود بريد البواخر الاقطار مع السفن التجارية الكثيرة ومنها ما هو على النحو العربى من التجارة فى القوافل الى دواخل السودان والصحراء واهمها القوافل السنوية وهى قافلة دارفور وقافلة الحبش وقافلة فزان ولكل منها عند وروده يوم حافل وكل منها تأتى بتجارة ما والاها من دواخل افريقية ولو زاد تسهيل الطرق والاعتناء بما فى السودان لاستغنت من الخارج وزادت ثروتها لا نهاية فان فى السودان كنوزا مكنونة ودونك نتيجة قوة التجارة مع الممالك الخارجية لتعلم منه ما يحصل سنويا من المال فى المملكة

٣٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠	قيمة السلع الخارجة فيها	
١٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠	قيمة السلع الداخلة سنة ١٢٨٩	نحو فرنك
٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	الفاضل	

فلولا فائض الدين الاجنبى الذى يخرج سنويا الى أوروبا حيث كان أغلبه بيد الاجانب لكان يبقى سنويا فى مصر مائتا مليون فرنكا ولكن مع ذلك ايضا فلا أقل ان يبقى فيها خمسون مليونا كل سنة هذا فضلا عن حركة التجارة فى داخل المملكة وبين أقسامها

﴿مطلب فى الصنائع بمصر﴾ فمصر الصنائع فيها مناسبة لتقدمها وان كان بها بعض المنسوجات الحريرية والقطنية وغيرها كالفخار والنجارة حتى فى السودان لكنها متأخرة

ما يصلحها ثم ان الفلاحة من الصعيد الى سابقة عصر الروم هي في غاية التقدم
وللفلاحين معرفة جيدة بكيفية رى الارض حتى بالآلات الجارية رافعة الماء من
النيل والترع وبكيفية اثارة الارض وتسميدها فلهم اليد الطولى في ذلك وترى الفلاح
بفأسه ومسحاته يشتغل آناء الليل واطراف النهار واصحاب الفلاحة من الاعيان لهم
منازل في اراضيهم لمباشرتهم الاعمال ولهم ثروة عظيمة من ذلك اما انواع الفلاحة
فهى زراعة القمح والشعير والفول والعدس والحمص والترمس الذى يتخذ منه الاشنان
والكتان وخس الزيت والسمسم اللذان يستخرج منهما الزيت والبرسيم والجلبان والبسلة
والحلبة والقرطم وهو حب العصفر والخشخاش والخردل وغير ذلك من الخضروات
والحبوب والقطن على انواع كثيرة وله بزر يخرج منه الزيت للصابون والقمح
وكذلك قصب السكر الرفيع ويزرع ايضا التبغ المسمى بالدخان والفول السودانى
فى كل من السودان ومصر وهو صالح للاكل ويستخرج منه زيت جيد جدا بلا رائحة
له ولا طعم واذا اشتعل ليس له دخان مثل غيره (واما) الاشجار فلا يكثر عندهم الا النخل
فى جميع الجهات والزيتون استنبت لكنه ردئ الزيت لكنهم لهم حبوب اخرى
زيتية كالسمسم والخروع غنية جدا (واما) البرتقان والليمون فهو قليل والموز كثير
في البلد وعندهم شجر الدوم الشبيه بالنخل وكذلك الاهليلج ويزرعون الزهور الطيبة
مثل الورد والياسمين وغيرها والاشجار الغير المثمرة قليلة كما تقدم تفصيله فى التعريف
بمصر وايضا قد وجد اعتناء بانواع من الصنائع سيما التى تمس اليها الحاجة كالحكومة
وتقدم فيها الاهالى كصناعة الاسلحة والبوابير وتوجد معامل بحكومة مصر لعصر
السكر متقنة ومعامل آخر لطبع اوراق الطبع وعمل الكتب ومعمل للسلاح وآخر
للمعدن وحوض لها وآخر للجوخ وآخر للدبغ وآخر للورق وكلها على الطرز الاوروباوى
المتقن ويمكن ان تقوم بعملها من الاهالى حتى فى صنع المدافع والبنادق من الطرز
الجديد وللاهالى ايضا عدة معامل فى صنوف شتى (واما) الجهات السودانية فكثير من
اراضيها وان كانت صالحة للزراعة لكنهم مهملون لها فلا يوجد منها الا القليل حول
المدن واشتغالهم انما هو برعى الغنم والخيل والابل وصيد الوحوش النافعة للتجارة
كسن الفيل وريش النعام وجلد الاسد والنمر وتحصيل الذهب من معدنه الآتى
بالطبع كالتبر من سنار والصحراء وغيرها

(مطلب فى المعارف بمصر) العلوم الشرعية لها نافقة فى القاهرة وتكفى بالجامع الازهر

مدرسة العلوم عامة فقد دخلت اليه ووجدته يزار ويموج بالدروس والتلامذة ولهم طريقة حسنة في معرفة حفظ الكتب اقراء بحيث ان كل كتاب لهم به مدة معينة لا يسوغ مجاوزتها ولا يعرجون في التقرير عن الشارح والحاشية المعينة للاقراء ووجدت عندهم اعتناء في الاقراء بالحواشي بحيث لا يقرأ كتاب بلا حاشية معينة يتفق عليها الشيخ والطلبة ولهم اصطلاح في الاوقات للعلوم مثلا الصباح كله الى الزوال للعلوم النقلية كالفقه والحديث الخ والمساء للعلوم العقلية كالاصول والبيان الخ ويقرأ فقه المذاهب الاربعة وللازهر شيخ هو مثل شيخ الاسلام له النظر على سائر العلماء وتوظفهم وكثير من التلامذة يقيمون بالازهر في رواقات خاصة وتجد صحن المسجد ملآن بالتلامذة الطالبين والحافظين للمتون وغيرها وفي كل من الاسكندرية ودمياط وطنطا جوامع حافلة بالعلوم الشرعية وفي بعض مدن السودان ايضا مثل سنار وهرر كذلك ومن عاداتهم جميعا في الدروس التطويل حتى يبلغ الدرس الى ثلاث ساعات ولا اقل من ساعة ولذلك ترى التلامذة الاطلاق في هيئة الجلوس بل حتى يتكئون على جنبهم ووجوههم ويأكلون وينامون وهم في الدرس (واما) العلوم الرياضية فلها مدارس عديدة منها الابتدائي ومنها التجهيزي جامعة لتعلم اللغات كالتركية والفارسية والانكليز يقرؤا مع انها وبه يتعلم الطبيعيات والفلاحة والهندسة والحساب والجبر والهيئة والفلك والطب والتشريح العلمي والعملي والكيمياء وتركيب الادوية وسائر العلوم ومعلموهم من الاجانب والاهالي وفي المدارس سائر الآلات والكتب المحتاج اليها ومنها ما هو مجانا ومنها ما هو بالاجر من التلامذة ومنهم المقيم ومنهم المنفصل دفعا وكذلك المدارس الحربية وهذا كله خاص بالقاهرة وتليها الاسكندرية (اما) بقية البلدان فلا يوجد بها الا المدارس الابتدائية في بعض مدن والقرية غالبا يوجد بها مكاتب للقرآن والخط وبعض من العلوم الشرعية في بعض من الجوامع لكن لا توجد بلدة ولو قرية صغيرة بدون مكتب وقد احدثت هاته المكاتب الابتدائية في القرى حتى شملت تعلم مبادي الحساب والعبادات والعقائد ورأيت في جغرافية فكري احصاء في سنة ١٢٩٢ لاحوال المعارف دونك خلاصته

تلامذة	مكاتب ومدارس	معلمين
١٤٠ر٩٧٧	٤٨٠٧	٩٠٤٦

ولا شك ان العدد تزايد من ذلك التاريخ فلا شك انها في غنى عظيم بالمعارف والعلوم

الهاتية الرياضية يكملون تحصيلها فى الممالك الاروباوية ورأيت من تلامذتهم فى باريس ولندره وجنيف وغيرها ورأيت فى مصر وبولاق اسماء العاملين والرؤساء من الاهالى والاجنبيون متوطنون لا للضرورة بل لدواع أخر ولهذا وقع التشكى المشار اليه فى بحث التاريخ وقد كثرت المطابع وطبعت فيها الكتب على حسب سائر المطالب عندهم وكذلك كثرت الصحف الخبرية يومية واسبوعية لكنها فى الجرية على حسب حالة الحكومة

﴿مطلب فى هيئة المساكن﴾ البناء الجديد بكامله على الطرز الاروباوى ظاهرا وباطنا سيما عملات الحكومة ورجالها (وأما) الابنية القديمة والمعتادة للاهالى فليست بجميلة الظاهر بل انه لما كان الطين الذى يبنون به مسودا من أصل لون التراب ولا يضعون فيه ماء الجير الا قليلا حيث كان غاليا ولا حاجة اليه لقلة المطر أو انعدامها عندهم ثم انهم لا يطلون ظاهر البناء على الطرق ولا يبيضونه فصار منظره بشعا وان كانوا يتأنقون فى الرواشن الخشب بالنقش والهيئة لكنهم أيضا لا يصبغونه فيكون لونه مكدرا وصورة عموم الديار أن يكون فيها دهليز ووسعة غير مسقوفة تحتوى على بعض بيوت لجلوس الرجال والضيوف ووضع بعض المرافق ومحل لغسل الثياب والطبخ ومحمور للماء كل ذلك فى الطبقة السفلى ثم باب ودرج فى الغالب غير حسنة يتوصل منها الى فسحة أعلى يوجد فيها عدة بيوت أعلاها مائل الى التربيع ويكون منها طاق فى الصحن للنظر وتكون أيضا كثيرا بالوعته مكشوفة وغالبا يحصل منه رائحة كريهة وغالبا تكون البيوت والدرج غير مبلطة وبعضهم يفرش ذلك بفرش الحصر والزرابى فى البيوت ويعملون فيها للجلوس اما مساطب من خشب أو تبن وعليها مساند محشوة قطنا وعلى الابواب ستائر ليست بانيقة وغالبها من منسوجات القطن وحول المقاعد متكآت بالية محشوة تبنا وعليها الخوطر بعض القطن ولا تزيد لبنتها على طبقتين غالبا وأما الاعيان فتكون ديارهم على ذلك الصورة لكنها أكبر وأنعم وألطف وربما زادت طبقة ثالثة الى السابعة فى القديم والمفروشات تكون حريرية وصوفية جميلة مع تزيين البيوت بالمرايات والساعات والادوات الصدفية والذهبية والفضية على حسب الرفاهية ويكون فى الطبقة السفلى التى للرجال دواوين كبرى وفى أعلاها كذلك من البناء بعضه للجلوس عليها والجميع مبلط بنحو الرخام والكذان وعند الجميع فرش النوم وهو فرش محشوة قطنا أو صوفا خفيفة يوضع بعضها فوق بعض من اثنين الى ثلاثة توضع ليلا عند النوم وتسوى بالوسادات واللحف

وتارة

وتارة يوضع على انا موضوعة ثم يرفع جميع ذلك صباحا ويوضع في خزائن في البيوت معدة لذلك ويبقى البيت للجلوس وليس لهم فرش دائمة ولا مكان خاص بالنوم وحدهم ومن ذلك في تعب كبير وتلك العادة جارية عند جميع المشرقيين فيما رأيت من البلدان لكن من اخذ في تقليد الاوروباويين صارت بيوتهم ودارهم ومفروشاتهم ونومهم كله على نحو ما ذكرنا في بلاد اوروبا ومما تعجبت منه في مصر رؤيتي الزرابي مفروشة وغير ذلك مما ذكرناه مما يزيد في الحر مع ان قطرهم حار وكان الاولى به الرخام والابزو وغير ذلك مما يبرد المكان ويروق هواءه لكن لما تذكرت قاعدة الناس على مذهب امرائهم زال عني التعجب وذلك ان امراء مصر منذ مدة طويلة وهم من الترك وهؤلاء بلادهم باردة فجروا في مصر وشامهم على ما اعتادوه في بلادهم وقلدتهم الاهالي وحتى العائلة الخديوية الآن لم تزل ناهجة منهج شارة الترك واصطلاحهم بحيث لا يشك الرائي انهم اقسام من الدولة التركية فيما يرى من اسلوب جميع حركاتهم وهيئتهم هذا (واما) الطرقات فالجديد منها متسع تمر فيه العجلات والقديم في ضيق عظيم لا يكاد يتخلله الهواء وكانها غير مناطة الا اسكندرية لان امر قابيل النزول عندهم او مقصود الافرنج اسكندرية وفي كل لهم نظارة لمصالحة الطرق والتنوير ليلا وتنظيف البلاد على حسب التدبير ولم يزل العمل متماديا في توسيع الطرق ومصيبة ضيق الطريق عامة في سائر بلدان المشرق التي رأيتها وكان ذلك في الاقاليم الحارة لشدة الحر فاذا ضاق الطريق لا تنزل الشمس الى الارض لارتفاع الابنية فيقل الحر وغاب عنهم ان ذلك مضر بالصحة لصعوبة تجدد الهواء وكثرة الندى وهذا مخالف للشرع ايضا لان المشروع في الطرق ان يكون عرض المعتاد منها سبعة اذرع والطريق العام اثني عشر ذراعا ولعطفات التي من المشروع ايضا ان تكون امام المسجد تكون ستين في ستين كما نص على ذلك في الفقه والسير وصرح به مكتوب الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه الآمر برسم الكوفة ومما ذكره ان لا تزيد طبقات دورها عن طبقتين والوجه في ذلك هو ان الدار اذا اشتملت على اكثر من طبقتين سكن بها اربعة من يسكن في طبقتين فتصغر البلد مع انها بالادلة الاسلامية مطلوب في وجه العدو فالاصلح تكبيرها وايضا فساد الهواء من كثرة الاجتماع في محل واحد ضيق المساحة اذا كانت الطبقات كثيرة وايضا تعب الساكن بكثرة الصعود وايضا كثرة التعب ولا اسراف في مصروف البناء اذا علت الطبقات لان المصروف في الطبقات العليا ازيد بكثير من الطبقة السفلى لما يحتاج اليه من كثرة العناية وايضا فيه نوع من الكبرياء

والضرر المنهى عنه شرعا وعلى هذا فضيق الطريق قبيح شرعا وعقلا وحر الشمس يدفعها
بعمل من الظلالات والسقوف كما هو واقع فى عدة جهات من مصر فى الاسواق بل وفى
الطرقات أيضا من سقوف خشبية بعضها محكم وبعضها ليس فيه الا دفع اذاية
الشمس والطرقات فى القاهرة ترش بالماء عدة مرار فى اليوم حتى يحصل فيها نوع طين
والطرق الجديدة العامة كلها محصنة الارض وحواليها الاشجار المظلة والقنايل من
الديار بها حنفيات وبها ماء النيل جار فى القنوات والطلب ان يأتى السقاؤن بقرب او
براميل من ماء النيل غير المصفى ويخزن فى الديار فى جرار كبيرة وكل دار لها عدد معلوم يأتى
فيها السقاؤن من مدة

﴿مذاهب فى الملبس بمصر﴾ (اما) لبس رجال الحكومة العادى والرسمى فهو على النحو
الافرنجى غير ان اشارات العلامات هى تركية صرفة حتى الشاشية والسترة والبنشين
هى ذات العثمانية باجمعها (واما) لبس الرجال من اهل المدن الاعيان فيلبسون قميصا
وسراويل واسعة يربطونها تحت القميص ويسدلون القميص عليها وهو طويل الى نحو
نصف الساق ويلبسون عليه صديرية مقفولة الوسط يعقدونها وفوقها قفطان طويل الى
الكعبين ويداه تصل الى أصابع اليد ويطبقونه على صدورهم ثم يحزمون عليه بحزام
ويلبسون فوق جميع ذلك جبة طويلة ايضا الى حد القفطان ومقدمها مفتوح الى الاسفل
ويداها ضيقتان الى اسفل المرفق والجميع من الحرير من منسوجات رفيعة وعلى رؤسهم
شاشية تونسية وعمامة فتلة الموصلى ملفوفة على نحو العمامة التونسية وهو لباس للعلماء
وكبرائهم يزيدون فوق الكل جبة واسعة جدا وواسعة الاكمام أيضا وبعضهم
يلبس العباءة عوضا عن الجوخة والفرجية (واما) الاواسط وبعض التجار
فيلبسون القميص من اسفل وفوقه صديرية مثل السابقة وفوقها صديرية غير مقفولة
ومنتان يصل الى الحزام وسروال واسع جدا طويل لا ينتهى الى الارض اسود اللون
ويحزمون به فوق القميص وعليه حزام والجميع من المنسوجات الرفيعة المخيطة والمزينة
بخيوط من الحرير حتى تصير كلها مزينة وفى الشتاء يلبسون فوق ذلك كبوتا من الجوخ
يصل الى الركبة وعلى رؤسهم شواشى تركية وحدها او معها عمائم هندية مطرزة
بالحرير (واما) الاسافل والخدمة فيلبسون من الشكل الاول الى القفطان وفى الاكثر
يكون من قماش ابيض وعليه بنطلون افرنجى وشاشية تركية او تونسية والفلاحون
واهل القرى يلبسون قمصا زرقا وعراقية لبس الاولاد يلبسون فى ارجلهم شيئا
(واما) بقية الاصناف فيلبسون الاحذية على انواع شتى من الانواع الافرنجية او نوع

من

من الحذاء أحمر بلا قدم عال ومن جهة الاصابع يكون مخروطا منحنيا مخروطه الى أعلى
(وأما) النساء فالصنف الاسفل يقتصرن على القميص ولا يتسترن في الطريق بل رأيتهن
يخدمن في آلات البناء ويناولن الحجر والطين وغير ذلك مثل الرجال وهن مشوهات الوجوه
(وأما) الاواسط والاعالي فبعضهن صرن يلبسن مثل نساء الافرنج نصا سوى انهن اذا
خرجن في الطريق يلبسن رداء من حرير وينقبن ببرقع من الحرير أو الابيض على
أنوفهن فقط وهن في الحقيقة وجوههن كلها مكشوف واذا ركبن في العربات تكون
طواقيها مفتوحة غير انهن يسدلن ستاراتها نحو النصف من الطاقة والبعض الآخر
الذي لم يزل على العادة القديمة فيلبسن على القميص فرملة مزركشة بالفضة وعلى
هاماتهن رقيعة وعلى رؤوسهن مخروطة من ذهب أو فضة أو نسيج رفيع وكل ثيابهن يصل
الى الكعب واذا خرجن من القصر في رداء ضخم وعلى وجوههن نقاب ضخم ويجعلن على
الانف شيئا مثل الاصبع مجوفا في النقاب ليبعد النقاب عن الاعين والانف للنظر
والتنفس والنساء لهن صولة على الرجال في البيوت

﴿مطلب في الاكل بمصر﴾ (أما) الخبز فالعام عند الجميع هو نوع مقدر في ارتفاع
أصبع ذليل النضج فطيره أزيد من خميره ويوجد بقية أنواع الخبز الافرنجي (وأما) الاطعمة
فيها أنواع عديدة والغالب في الاسواق نوع من الفول مطبوخ في الماء وعليه شيء من
السمن وكذلك نوع من السمك مقدد ممن الرائحة وسائر طعامهم فيه الادام بكثرة
وادامهم السمن (وأما) الزيت فلا استعمال له الا في السلاطة وربما هو ردي لانه مجلوب من
اكريد والشام وكل لا يحسنون عصر الزيتون والحسن عندهم هو المجلوب من ايطاليا
ولا يستعمل الا فيما ذكرناه كما انهم لا يأكلون من النعم الا الغنم ولحم البقر لا يأكله الا
الفقراء وهو معيب كما انه في نفسه ردي والافرنج يأكلونه والفقراء يأكلون الجاموس
والابل وفي القرى والعرب والسودان يكثر أكل الابل وكذلك الذرة والدخن أي الدرع
أما هيئة الاكل فهي على نحو الانواع التي ذكرناها في تونس (وأما) وقته فهم يأكلون
مرتين غالبا أحدهما صباحا بعد الشروق ويخرجون الى أشغالهم ثم يعودون الى ديارهم
قرب الغروب فيتعشون

﴿مطلب في المواكب﴾ (أما) المواكب الرسمية فهي في العيدين أي الفطر والاضحى
يجلس الخديوي في ايوان كبير بقصره بعد الاعلان من قبل بوقت لمائدة ويكون
لابسا لباسه العسكري الرسمي متقلدا بنياشينه فيدخل عليه رجال دولته
والعلماء الاعيان واحدا اثر الآخر مسلمين عليه بتقبيل ذيله ويقف هو للكبراء

ثم ينصرفون ويكثر تزاور الناس فيما بينهم (وأما) الأعراس والختان فيحتفلون
لها بزينة الدار ويدعون طباخين معدين لذلك فيأتي الطباخ بأدوات الطعام
والموائد والمناديل والخدمة ويتابع كفاية كل المدعوين الذين يعين لهم
الوقت للدعوة من بعد الظهر إلى قرب الغروب وهو ما حضر اثنان أو أربعة أدخلوا
إلى بيت كبير وتقدم لهم مائدة على قدرهم فيها أنواع شتى من الطعام المطبوخ والحلو
ويكثرون من الأصناف إلى نحو العشرين لونا والمترفون يزيدون إلى نحو الأربعين لونا
وهكذا الكل جماعة بحيث يأكلون أكل شبع ولا يوضع ما يظهر عليه أنه به أثر أكل
سابق وعادة تكثير الطعام موجودة حتى للضيوف بل حتى في الأكل العادي يوميا
بحيث أن أواسط الناس لا يكون في مائدتهم أقل من ستة ألوان فطورا وعشاء ولهم
عادة التطوف بالمختون على نحو ما ذكرنا في تونس بل ويزيدون بالتطوف ليلا
والشموع والمناير موقودة والمغنون رافعون أصواتهم بالشعر والمدائح وكذلك
الأعراس يطوفون بالعروسة ومعها المواكب والطبول والمزامير تزف ولهم أيام لبعض
المنتسبين للصالحين يخرجون فيها تلامذتهم بالألبسة الرفيعة والأعلام والمباخر وغيرها
وينبطح بعض الناس على الأرض في الطريق ويأتي شيخهم راكبا فرسه ويمر فوق أولئك
المنبطحين ولا يضرهم وطء أرجل فرسه ويعدون ذلك كرامة وأعظم المواكب يوم خروج
ركب الحاج وكسوة الكعبة فيحضره الخديوي والعساكر وخلائق لا تحصى وتحمل
الكسوة في محمل على جمل مزين ويخدمها الخديوي وكبار الدولة بل قد فعل ذلك أمراء
الإنكليز مع الخديوي بغاية التوقير والمدافع تطلق إلى أن يخرج الركب عن البلاد
وينزل هناك حتى يجتمع المسافرون ويتوجه إلى الحجاز ويحمل ذلك الركب أيضا
أموالا عديدة مرتبات وعوائد لأهل الحرمين مع صدقات ومحصول وقف الحرمين ومن
المواكب مولد السيد البدوي في بلد طنطا ويعقد فيها سوق عظيم تأوي إليه التجار من
سائر أطراف القطر المصري ولهم حكايات في كراماته رضي الله عنه في نفاق السلع لكل
قادم غير أن ذلك السوق يشتمل على منكرات الزنى ما يستهجن ذكره وشهرته (وأما) الحزن
عندهم فيها من عادات الجاهلية أمر فظيع جدا وذلك أنه ما دامت الميت تأتي النائحات
الصايحات وتبقى تنوح أمامه ليلا ونهارا بما يزعج أهل الحارة حتى أني سكنت المكث
بدار صديق في الإسكندرية فمات جاره ولم أستطع النوم ليلا ولا نهارا وأفجع من ذلك
أن النائحات والنسوة يخرجن مع الجنازة في الطريق إلى أن تدفن ويرقصن هكذا

نائحات

ناعمات والقريب ان ذلك يقع ولو فى محلات العلماء مع انه منكر شرعا وفيه وعيد شديد وكذلك انكاره عقلا وعادة زعمهم انه يرجع للسنة عند دفن الميت فيطلب قائل الشهادة فيه من الحاضرين فيشهدون فيه بالخير علا بحديث من اثنيتم عليه شرا وجبت له النار ومن أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم

﴿مطلب فى اللغة بمصر﴾ اللغة هى العربية ولو فى السودان غير ان بعض جهاتهم لهم لغات أخرى بربرية لكن اللغة العربية حرفت هنالك كثيرا سواء فى تغيير الحروف أو فى ذات الكلمات فان الجيم لا يكادون ينطقون به وكذلك الدال يبدلونه زايا الى غير ذلك واذا سألت أحدهم عما تريد قال (تعو رابه) وأشباه ذلك بل ان ذلك جرى حتى عند بعض أصحاب الصحف فيكتبون كتابة مختلطة بين أصل العربية والاعتيادية مع ان الاصل فى الكتابة هو الرجوع الى حقيقة العربية وهو الجارى عند العلماء والكتاب نعم ان الكتاب الرسميين صاروا يستعملون بعض الفاظ اصطلاحية أو فرنساوية وكذلك نفس اصطلاح الكتابة كاد بعضهم أن يخرجه عن الاصطلاح والاسلوب العربى غير ان هذا ليس بعام بل المهرة منهم لا بأس ببلاغتهم فى الصحف وغيرها من الكتابات ومع ما ذكرناه من صعوبة النطق عندهم ببعض الحروف تجدهم أتقن خلق الله أداء لقراءة القرآن وتجويده ولهم نغمة فيه تخشع لها القلوب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

﴿مطلب فى الاحصائيات بمصر﴾

٥ر٠٠٠ر٠٠٠ عدد أهالى مصر

٥ر٠٠٠ر٠٠٠ عدد أهالى دارفور

٦ر٠٠٠ر٠٠٠ عدد أهالى النوبة وزيلع وغيرها

١٦ر٠٠٠ر٠٠٠

١١٠٠ طول سكك الحديد أميال

١١٤٧٣ طول اسلاك التلغراف أميال

١٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠ قيمة التجارة الداخلة فرنك

٣٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠ الخارجة

٢٤٣ر٠٠٠ر٠٠٠ دخل الحكومة فرنكا وكان دخلها فى ولاية سيدنا عمرو بن العاص من خصوص الدخل الشرعى مائة وثمانين مليونا فرنكا خصص منها الثلث لتكثير الترع والزراعة حتى أوصل ترعة تسير فيها السفن من الفسطاط الى مراسى الحجاز

٢١٦ر٠٠٠ر٠٠٠ خرجها
٤٠٠٠ر١٠٠ر٠٠٠ الدين الذى عليها القدا يليون فرنكا
٠١٦٢ر٠١٠ر٠٠٠ فائضه
٠٠١٧ر٦٠٠ر٠٠٠ خراج الدولة العثمانية
٠٠٠ر٠١٨ر٠٠٠ عدد العساكر وقت السلم
٠٠٠ر٠٠٠ر٠١٣ عدد السفن ليس منها مدرعة وهذا عدا بواخر البريد والنهر

الباب السابع فى الحجاز

﴿الفصل الاول فى سفرى اليه﴾

بعد ان اقمت فى السويس بعض ايام منتظر السفر باخرة الى جدة وجدت عدة بواخر اجنبية ومصرية فاخترت المصرية وكان رئيسها اسطا وسائر متوظفيها ابصاعلوب ولا يركب احد الا بعد اخذ اذن مرسوم على ورقة جواره من محافظ البلدة ويؤدى على ذلك اداء ثبت قدره باطنه خمسة وعشرين قرشا وعند ركوبى فى الباخرة وجدت الازدحام من الركاب والمتبعين فوق الحد فلترمت ان انضم الى اتباعى ورحلى الى استقرار الحال فى السفر وحللنا فى حجرتى بالصفة الاولى لان بينها صغيرة ليس بها الا سريران احدهما اسكنه احد المصريين بعيالة والاخرى سكنتها انا ورايت من ازدحام الركاب وتراكمهم على بعضهم مع الوضع وسوء الحالة وعدم احترامهم للطائفة الاولى وكثرة السكان على سطحها من النساء والرجال بحيث لا يجد الانسان محلا يستريح به ما اسمعت منه على الركوب هناك ولكنى تسليت بما رأيت من انشراح جميع الركاب وعدم اكتراثهم بما هم فيه من المشقة والكدر كما تسليت برفقة الحال منى على الفتوة احد ظافر الطيب النسب وحسن اخلاق رئيس الباخرة والركاب على السطح من الطائفة الاولى وهم من اعيان قرى المصريين وعربانها وبعضهم له اطلاع على مسائل الفقه وكان ايضا ركابا معنا ناظر بواخر البوسطة الخديوية فى الحجاز وهو محمد رجبى اغا فى رتبته العسكرية بيكباشى وهو كامل الاخلاق والمعارف وله مشاركة حسنة فى العقائد والفقه والعربية مع محافظته على شعائر الدين من الصلاة وغيرها وله اطلاع كامل على احوال فن البحر لانه كان رئيسا لاحدى البواخر التى نحن بها المسماه بالزقازيق ورأيته يشير على رئيسها بعدة امور وهو ينقاد اليه وله اطلاع ايضا على الجغرافية والعلوم الرياضية وبعض الالسن مع

تفطن

تعطن للاحوال المناسبة فاتفق رفقته مع نخبة الركاب وكثيرا ما يقضى الوقت فى مداعبات مع بعض العربان الموجودين بالشبح وكنت أجد الباخرة كما بدا لى باقامة الاذان فى اوقاتها كلها والصلاة جماعة فى عدة جهات لكن الكثير لا يصلى ولا يستطيع الصلاة سيما عند اضطراب البحر وان كان لم يقع منه شئ شديد لكن حصل فى الباخرة من الرائحة سيما فى اليوم الاخير لان أكثر الركاب لا يغسل يديه من الطعام مع كثرة ادامه فضلا عن غير ذلك حتى كانت بيت الطبقة الاولى عفنة لازدحام خدمة سكانها وكثرة اكلهم المؤدم وعدم تورعهم الوسخ لكنهم يقضون أغلب الاوقات بالتلاوة الحسنة او انشاد الشعر وقد وجدوا عند تفقدهم الركاب وارتفاق ركوبهم ان احدهم ركب فى الازدحام بدون اداء الكراء وهو فقير واجتمعت اصحابه عن الاداء عليه فسجن فى سجن الباخرة وبعد عدة ساعات انتدب احد اصحاب الخير الى ان دار فيقال لذلك المسجون خيرا واذنه بالتطوف على جميع الركاب البالغين ستمائة شخص وسؤالهم بحالة رقيقة وطاب اعانتهم له فى اجر الركوب فحصل له مقدار ذلك وزيادة وعند حصول المال احضر المسجون وأطلقه نائب البوسطة محمد لطفى المشار اليه مجانا ودفعت له الدراهم والدنانير المجتمعة له ليستعين بها فى حجه ورأيت من بعض الاغنياء اشح المطاع فى هاته الواقعة ومن بعضهم الاقتصاد ومن بعضهم الكرم والسماحة وعند رابغ اعلم الرئيس الحجاج بذلك ليحرموا فاغتسلوا واحرموا بنزع ثيابهم والله اعلم بكيفية غسلهم واداءهم فرض الاحرام لان حالة الضيق والوسخ فوق ما اقدر ان اصرفه ولا يعلم مقدار ذلك التعب الا من شاهده واضف الى ذلك ان الباخرة لا تعطى الاكل الا لاصحاب الطبقة الاولى فلزم كلا أن يطبخ لنفسه واغلب الركاب كان معهم زادهم مما يصبرون الطعام من لحم وغيره وكنت اخذت زادنا من السويس مما دجاجا وخبزا وغيره فكان ما يبقى يطبخ لى وان معى فى طبخ الباخرة وفى ذلك من المشقة ما لم يعتد العمر الا بحق فكان ذلك من عجيب أمر الباخرة مع انها بريدية وذلك خلاف معهود مثلها ولما سألت نائب البوسطة عن سبب ذلك قال ان الركاب الى جهات البحر الاحمر لا يوجد منهم من يأكل من الباخرة فرأينا ترتب ذلك عبثا ولهذا تجد بواخر البريد فى البحر الابيض على نحو غيرها واما هنا فلا ثم عند غروب اليوم الثالث من ركوبنا اقل سير الباخرة واعلى الرئيس بذلك لانها ان دامت فى سيرها تصل الى جدة ليلا ولا يتيسر الدخول اليها لانهار فكان تقليل السير أولى من الوقوف قربها وعند شروق اليوم الرابع وصلنا الى جدة فتلقانا دليل المرسى

وهو أعرابي لابس قميصا أزرق وعلى رأسه عمامة حمراء راكب قاربا فصعد إلى الباخرة
وصار يأمر بالسير بينما نحن لا نرى إلا الكثير من شعاب المرجان المغطاة بالماء حتى
دخلنا حوض المرسى فإذا هو حوض واسع أمين طبيعي بما حوله من الأحجار المثقبة
وفيه عدة بواخر أجنبية وباخرة حربية صغيرة للدولة العثمانية وعدة من شراعية صغيرة
وبعد الإرساء وأخذ الإذن في النزول من مأموري الصحة ونزول أصحاب الركاب نزلت
مع رفقائي ودفعت على كل واحد منا نحو أربعة فرنكات لأخذ ورقة على أن المدفوع
لنظافة أماكن الحجرة وكان نمرة ورقتي ٧٦ ألف ونيف من المئات والآحاد ونسيت الآن
تحرير كل الأعداد ولقيت أحد مطوفي التونسيين وهو رجل لا أخلاق على خلاف
غيره فادينا رسالتنا للمعرف وتعسف المأمورون إلى أن أخذوا عشرة فرنكات وأقل
مكرهم عن لا يعطيهم تركهم لمواقفه أياما بدعوى كثرة علمهم فيهم من أحسن
المأمورين وأكثرهم معرفة بكلمات ذلك من الأشعار وغيرهم ثم دعاني المطوف على دار
اكتريت إحدى طبقاتها وأقمت هناك ثلاثة أيام وجدة بلدة على ساحل البحر
مرسى الحجاز العظيمة للحجاج والتجارة من سائر الجهات وسكانها أخلاط من العرب
والهنود ثم المغاربة والآفاقيين حتى الإفرنج ولها أسواق رحيبة مسقفة وتكنس البلد
وترش يوميا وتنور بالزيت المعدني وبها جوامع حسنة وماؤها مر يؤتى به من بعد
في قرب من مصانع وفساقي وهو وقاها حجارة ردئ لا بأس بها عامة وبها بعض دار
جميلة المنظر لنواب الدول وبعض التجار وأغلب المباني الكبيرة للكراء فيها ملك للأشراف
وبعد أن أتممت ثم اللوازم المصرية من الفرش والبسط وأخرجت منها ما كنت قاصدا له
لما تربلي فيها إحرامي لم أنزع ثيابي وقد بت عن لبس الإحرام اكتريت جمالا لي ولأصحابي
فركبت الهودج الذي اشتريته من هناك وهو مثل مهد من عيدان مضفورة مشدود في
بعضها على نصفين كل نصف طوله نحو ذراعين وعرضه ذراع أسفله الذي هو محل الجلوس
حصير من عرق النخل مشدود في تلك العيدان وفي زواياه الأربع عيدان صاعدة نحو
ذراعين ونصف ثم تقوس إلى أن تتصل ببعضها فيحصل منه شكل أربعة أقواس متقابلة
ويشد له على نحو الربع الأعلى منها شيء من حبال حيدة من المظلة لتحمي الراكب
من السقوط وذلك في جهة واحدة وهي جهة الجنب المقابل لظهر الجمل ثم يوصل كل من
النصفين بصاحبه فيتألف من ذلك مهدان متلاصقان مربوطان مع بعضهما بحبال متينة
ولكل منهما أربعة أرجل تستند بها على الأرض إذا برك الجمل ثم يوضع على الجميع من فوق
زربية

زربية أو كليم أو منسوج قطني على حسب ارادة صاحبه ويدلى على الجنبين الخارجين
ويحاط على ثلاث الأعواد ثم يجعل من فوق جلد بقر أو جمل وغطاء أيضا لمنع نزول
الماء ان وقع ثم يفرش كل من الشقين بزربية على عدة طبقات ومن الخلف مخدة محشوة بما
ثم توضع عليه سجادة أو غطاء فوسادتان محشوتان أيضا من جوانبه الاربع ويتقى
بالقصع [illegible] الماء الشامل من الجهة الخارجية خطوط فقط استارة من داخلها ترفع وتنزل
وتسدل بخيوط ويربط في قوائم الأعواد من [illegible] جيوب من [illegible] لوضع الماء
وغيره مما لا بد منه من ضروريات السفر ويجب ان يصير كل من الشقين متوازنا
مع ما يضطجع به الراكب ويكون أمامه وخلفه مفتوحا وجنبه الايمن من جهة زربية
مفتوحا أيضا وجنبه الآخر به طاقة ان اراد فتحها ولا يهمهم بوضع الشبرية على الجمل
ويربط بحبال عليه ويوضع سلم من خشب رقيق في مقدم الهودج المسمى بالشقدف ليصعد
منه الراكب الى شقه ويمسك الجمال الشق الآخر الى ان يصعد اليه صاحبه أيضا ويعدلان
في الثقل وبعد [illegible] الجمل ويلزم ان يكون [illegible] لا ينقلب بذلك وكان ركوبنا بعد
صلاة العصر خارج البلد ومع كون ذلك المركب متوسط الراحة وجدت في نفسي
تعبا من سير الجمل حتى حصل لي نوع من الدوار لكن [illegible] لا [illegible] يومين
يزول عنه ذلك وبعد مرنا ما سوى الامر [illegible] الجمل [illegible] الضعيف والفقير
المؤنس [illegible] شبه [illegible] وكانت عدة [illegible] احد [illegible] على جمال
رجال وبعد ان سرنا [illegible] ليلتنا وصباحنا ولم ننزل الا [illegible] في أوقاتها وصلنا
[illegible] قرية [illegible] في [illegible] بصعوبة [illegible] من اجل
وعلى الطريق قهاوي من اعواد الخشب والحصير كثيرة العدد [illegible] لمن يريد
النزول ونزلنا بها [illegible] بين [illegible] لنا [illegible] كانت
من زادنا [illegible] وصلنا مكة
المشرفة بعد نصف الليل [illegible] لا سيما على الحمر
لان كثيرا منهم من يركب من جدة الى مكة على الحمر [illegible] في نحو تسع
ساعات الى احدى عشرة ساعة لكن ذلك وان كان [illegible] قلة [illegible] فلذلك
آثرت الجمل وعند الوصول الى خارج مكة المشرفة [illegible] حمامات فاجبت
بانه لا يوجد الا الماء البارد ولا ينفع الاغتسال به فلذلك [illegible] الوضوء [illegible] لنا
المطوف [illegible] ان يكتفي بالاعلام [illegible] ولا [illegible] ان [illegible] هذا

باب السلام والكعبة فعند ملاقاة البيت أول عين الى غير ذلك حيث كانت
ام هم يزيدون وينقصون ويدعون [illegible] لم يرد به الشرع وكنت استصحبت
عدة كتب في الفقه وفي خصوص المناسك واخذت منها ما يسره الله [illegible]
وجدت في بعض رسائله في المناسك لملا علي قاري فيما اظن [illegible] الان [illegible] باله
عمره في حق ابوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكون له [illegible] أدنى منه
واعتنابا لله [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في آله
الكرام والله [illegible] اعظم [illegible] وعلى آله افضل الصلاة والتسليم فاقمت لي باب
السلام [illegible] ما ينبغي [illegible] محمد ثم دخلت المسجد
الحرام وطفت بالبيت الكريم ووقفت [illegible] والمروة واديت
ما استطعت مما [illegible] في ذلك القدوم [illegible] ثم توجهت [illegible] الطواف الى دار وكيل تونس
حيث كان سكناه [illegible] الاخيار الثقات السيد احمد [illegible] والسيد محمد
[illegible] القادمون من تونس قبل [illegible] واقمت فيه ثلاثة [illegible] وصليت
الصبح في المسجد الحرام ثم [illegible] اقمت فيه ولم [illegible] احد [illegible] عليه
وابتدأت [illegible] اخلاق [illegible] على ما كان [illegible]
[illegible] تشرفون [illegible] الى دخول البيت [illegible]
اخلاق [illegible] شيء وذلك [illegible] ولم يكن [illegible] الا [illegible]
بذلك [illegible] وكذلك تشرفت بالمثول بين
يدي [illegible] الشريف [illegible] الاخلاق [illegible] مع ما هو عليه من رفعة
الشأن [illegible] الشهيد سيدنا الحسين [illegible] الاخلاق
متواضع [illegible] الابارع
احمد [illegible] وكيل تونس في [illegible]
الذهاب الى منى وعرفات واكتريت [illegible] العرب
ثائرة في الطريق [illegible] على جمال واكتريت [illegible]
[illegible] ايام الحج [illegible] في غاية الراحة والامن والعمران واذا
نحن بطريق [illegible]
[illegible] مكة الا اربعة [illegible] عرفت [illegible] عن الجميع
واقمت [illegible] ثم توجهنا [illegible] يوم الثامن الى عرفات لوقوع شك في ثبوت الشهر
وانا

وأقمنا فيه الى قبيل الغروب من الشهر بعد الوقوف وأخذ حصتنا من النيل أفضنا من
من عرفات بعد أن أدينا ما نسأل الله قبوله وكان موقفا تقشعر منه الجلود من خشية الله
لا تجد عاصيا لله الا وهو قد حمد أمرهم وكانت الارض ترتج والخلائق ضارعين لباريهم جل
وعلا تتلى فيه بأصوات الجميع وعند الافاضة اتفقت مع جمال ومع الرفقاء على التأخر
عن الازدحام وأحد الطريق الاول ازدحاما وكان دليلنا مصرا على خلاف ذلك لانهم كانوا
يرون من شدة تزاحمهم الصواب وهم عن حقائق المشروعات غافلون فيرغبون في الالتحام
والزحام والخصام الذي لهم وقائع يحدثون بها عن شدتهم فلما أفضنا كانوا يسرعون السير
ومن عدم تجربتهم أن لا ينقاد لي راكبه بل الى سائقه فسقط ولو اتسع للحكم من فيه
ومطلوبا كرها في وسط الزحام ولم يبق ماء واحد يسمع صوت صاحبه لشدة الزحام وضجيج
الضجيج والشرق فرحا بعدو ومن داع يدعو ومن مصرخ ينادي رفيقه ومن
صاحبه مضغوطا بالمارة من متوطئا ومن آخر يئن من كسر أصابه ومن باك متذكر
هول المقام ومن هارب وساقط على ظهره وحمار يتقرر بالاثقال والناس مشاة وآخرون
يجرون وآخرون يزدحمون وآخرون يقفون اصلاح رحالهم والناس لا يذكر بعضهم
بعضا كل طالب أمنه ونفسه قربت أحوالهم هول يوم الفزع الاكبر ومالبثت بعد
المشي حتى دهمني بعض شدة في الحمل فانثنى عن جماعتي ومشيت من على أرجل
الحيوانات متعبا الى ذات اليمين حتى يسر الله لي الخروج عن الطريق بالصعود
الى محل مرتفع فعلمت حينئذ عادته في الحياة وبعد حين لحقني بعض أصحابي
وهو الدليل حاثا لي على الذهاب ولا تمكن في حضرة الدليل ولكن تعاتبه بأنه ارتحل
الى ما نحن فيه هذا الوقت الجدال ولكن ما عليك من الاستدراك وانا في هذا
أفعل أخف الضررين لان الدليل لا يعلم أكثر من الحال وهو الذي تدعو اليه لان
أهله يدعى على أنهم يقتدون بهذا السبب ودونه الدفاع ما استطعت وورائه هذا كله
انه لا وجود اشيء مما نقول به وهؤلاء الملاذ في الطريق وعند آخرهم أنوحه فدفعني
ونهى فذهب مما معما ولبثت أمر في عجائب الحق من الحالة التي بيننا بعضهم الى
أن خف الناس فرفقت آخرهم حتى وصلنا الى المزدلفة ولم أجد رحلي فبقيت في قهوة
حتى مر بي أحد أصحاب رحلي فدلني عليه وجمعنا بين المغرب والعشاء ثم بعد أداء
مناسك المزدلفة توجهنا الى منى ونمت في موضع من الارض في أطراف بين الجبال
مع أهلها الى حوده ورجعت الى مكة وأديت بقية المناسك وفككت الاحرام ثم رجعت

الى منى الى تمام أيامها وكان فى اليوم الاول عند رمى الجمار من الزحام ما وصفناه بصفحه
حتى مات عدة أناس ونكسر عدة واغماد كثير هذا تنبيه لذوى الحجى حتى يحترزوا من ذلك
ولا يغتروا بأقوال الادلاء لان لهم منفعة قصدوا لها واغراضهم وحدهم ثم انه بعد ما انتهينا من منى رجعنا
الى مكة واكتريت بيتا فى المحصب خارج مكة تطلبا لصحة الهواء وبرودته لان المرض
اشتد على ثم اعترتني نوبات منه بمكة ثم حينما قرب الركب الشامى الى أن تهيأت
القافلة التى اكتريت منها الجمال للتوجه للمدينة المنورة فى يوم التاسع عشرين
الشهر واشتريت حمارا للركوب عليه فادى الى أنى كنت أركبه بعد الظهر فتقدم
ومعى أحد رفقائى الذين صاروا ثم اعتزمت التوجه الى أن أصل الى أول القافلة المكونة
من خمسمائة من الابل السائرين فتأتى لى حينئذ مسافة فى الطريق وتحاشى على
زرينب وتنزعج وتترضا وعلى فى نحو ساعة أو سعة لا ان نوفيانى آخر القافلة فتركب
الحمار ونعمل كذلك مرتين أو ثلاثا الى أن نصلى المغرب ويشتد الظلام فنركب الجمل وكان
سيرنا على الطريق الفرعى بمصاحبة مشايخ أصحاب الابل لامير مكة فى أمن من هجوم
وكان كراء الجمل الذى عليه الهودج ثلاثة وعشرين ريالا دورو أى مائة وخمسة عشر قرشا
من مكة الى المدينة ومنها الى ينبع وقيمة حمل الرحل والاتباع لكل جمل خمسة
وسبعون قرشا وقد اكتريت رحالى وبامن مولى بجمالة شجاعة وبالعود الجمل الذى
نركبه والاعانة على بقية اللوازم فرأيت منه خير الكرم ووفى بوعده فانه توفى
فى المدينة المنورة ولم يصل الى ينبع فرحلنا من مكة اليوم الاول بعد العصر ومررنا بوادى فى
طريق طيب ونزلنا بعد العشاء ثم رحلنا قبل الشروق وصعدنا فى جبل وعر جدا وبعد ان
مررنا به نحو خمس ساعات سرنا فى طريق بسيط الى المدينة المنورة ولولا ذلك الجبل لكانت
العجلات تستطيع السير بسهولة فى الطريق وكان سير الجمال لا يزيد عن ثلاثة أميال فى
الساعة حسبما جربت ذلك وهو سير هين متعب وتدوم الرحلة من اثنى عشرة ساعة
الى ستة عشرة ساعة وواحدة منها دامت اثنتين وعشرين ساعة بحيث جعلوا مرحلتين فى
واحدة لكى يستريحوا يوما دون رحيل فى بلادهم وهى الجديدة ولا يغربون الاقرب ما وفى
الليلة الثانية عشر وصلنا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فرحلنا بها
عند الفجر وتلقانا المطوف السوسى المحترم لابه والمعروف بيتهم فزرنا ونزلت
عنده له فضل الحضر وصاحب الاخلاق الحميدة والصفات الحميدة والطبع الكامل
عبد الجليل برادة جازاه الله خيرا وكثر من أمثاله فى الامة وبعد أداء لازم دأبى واستق

أسعدف

أسعدنى الله بالوقوف بين يدى نور العالم وسيد الانام عليه السلام وفضل الله على خلقه ورحمته للعالمين سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيالها من حظوة سعيدة بالمهد وبالها من فضل يدى من كرم الله وسعة وحظيت بالسلام عليه وعلى صاحبيه عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام وصحبه الاعلام وفى اليوم الثالث انشدت بين يديه عليه الصلاة والسلام قصيدة فى التى مطلعها

الى السدة العظمى شددت عزائمى * لى سدة الاجلال نعمى المكارم

وبثثت اليه عليه الصلاة والسلام شكواى فى دنياى وأخراى وبثثت قصدى اعتاب مولاى وشه الحمد والحمد لله ما قضى فى حجته ومهما أمامنا قصاراه ومدة قابلة وانا ارجو كرم الله فى قصده باقيها بوسيلة رسوله عليه الصلاة والسلام وزرت آل البيت عليهم السلام وكثيرا من الاصحاب ولائمة الاسلام بالمشاهد المباركة ثم قمنا مع القافلة وتوجهنا الى ينبع وركبنا ما ابقيناه من رحلتنا فى بلد الحديدة ووصلناها فى الليلة الرابعة قرب العصر فاردت النزول فى خيامى فنصب لاجل ان اكترى دار الامير حاكم البلدة واكتراها الى بخمسة وثلاثين قرشا فى الليلة وهى اربع بيوت متخربة تحت فوق الباب والدرج خربة وليس بها ولا حصيرة أقمت بها ثلاثة ايام وكان فى المرسى ثلاث أو أربع بواخر تنتظر ركوب الحاج فيه يأخذ لها بقافلة من الجند ومرة على جدة ثم ينبع ما كثير بها قاصدا الاستانة

الفصل * الثانى

﴿فى صفة البلدين الكريمين وموكب الحج﴾

﴿مطلب صفة مكة المكرمة﴾ أما مكة المشرفة فهى واقعة فى عرض ٢١ درجة و ٣٠ دقيقة شمالى وطول ٣٧ درجة و ٣٦ دقيقة شرقى ومن أسمائها مكة وبكة وأم القرى وأول من سكنها سيدنا ابراهيم عليه السلام ووالدة ولده سيدنا اسماعيل عليه السلام فكان سيدنا اسماعيل أبا العرب ورفع هو وأبوه قواعد البيت العتيق فكان مقصد الامم الحنيفية وهذا البيت الكريم هو فى وسط المسجد الحرام وزواياه الاربع مقابلة للجهات الاربع أعنى الجنوب والشمال والغرب والشرق وآخر بنائه الى الآن هو بناء السلطان سليم الثانى على نحو الاصل الذى كان عليه زمن النبى صلى الله عليه وسلم لان سيدنا عبد الله بن الزبير بناه على قواعد ابراهيم عليه السلام وادخل فيه الحجر ثم هدمه

عبد الملك وأعاده على هيئته زمن الرسالة الخليفة أبو جعفر المنصور أراد أن
يعيده على ما بناه ابن الزبير لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها لولا
قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد ابراهيم فلما رأى المانع وجود رقة
الايمان ترجح عوده الى الاصل واستشار الخليفة الامام مالك بن أنس رضي الله عنه فقال
له ما معناه يا أمير المؤمنين لا تجعل بيت الله ملعبة بأيدي الملوك فان الذي رأيته وان
كان صوابا لكن بقاؤه على حالته احتراما له أولى فبقي على ما هو عليه الآن وأساس
جدران الكعبة مرتفع عن الارض ما بين عشرين سانتي الى ثلاثين ورتبة العرض عن
الحيطان ما بين عشرين الى اربعين فهو كالدرجة محيط بالجدران وهو المسمى بالشاذروان
والحجر الذي هو من قواعد ابراهيم عليه السلام في جهة البيت الواقعة بين المغرب والشمال
ويحيط به الحطيم الذي هو سور مستدير نحو نصف دائرة ارتفاعه متر وسمكه متر و
نصف مغطى بالرخام وينتهي قوس النصف دائرة قبل أن يصل الى جدران الكعبة بنحو
مترين وخمسة وثلاثين سانتي والمسافة التي بين المركز وارضه مرتفعة عن مساواة
المصطبة نحو مترين وبابه قرب ركن الشرقي مستقبلا ما بين المشرق والشمال
ويصعد اليه بدرج مثل المنبر المركب له وعند فتحه الحجبة يؤتى به بسلم صغير
وعتبة الباب من فضة وعضادتاه من رخام والباب مصفحة وحلقة قفله من ذهب وهو
من خشب الساج وداخل البيت ثلاث أعمدة من القماري قطر كل واحدة [illegible] من
شبرين وارتفاعها اربعة عشر ذراع وعليها كاسات من ذهب والبيت مبلط بقطع
كبيرة من المرمر وكذلك حيطانه وسقفه من الساج وفي ركنه الشرقي من خارج ما بين
المشرق والجنوب في ارتفاع قامة الحجر الاسود وهو حجر محفوف بالجوانب بصفائح من
فضة أسود لامع أثرت فيه أيدي اللامسين حتى صار في بعض جهاته انخفاض وصار
ذا شكل مقعر مثل اناء الشرب واصله قطعة واحدة ثم تشقق من ضرب المنجنيق عند
ما حوصر ابن الزبير رضي الله عنه فجعل له صندوق من الفضة وبه فوهة يظهر منها
الحجر قطرها سبعة وعشرون سانتي ميتر وأي نحو ثمانية [illegible] وفي سطح البيت ما بين
الشمال والغرب ميزاب الرحمة من ذهب يصب في الحجر والبيت طوله ما بين المشرق
والشمال أزيد مما بين المغرب والجنوب فطوله اثنا عشر ميترو وعرضه عشرة أمتار
وعشرة سانتي عدا الشاذروان وارتفاعه خمسة عشر ميترو ويكسى كل عام بكسوة من
الديباج الاسود يؤتى بها من مصر وعليها حزام مزركش بالفضة مكتوب به آيات
كريمة

كرية وكذلك نفس الكسوة وفيها كتابات جيدة . القسم الثاني من نفس المسجد وقبالة
باب الكعبة على نحو اثنى عشر مترا مقام ابراهيم عليه السلام وفيه بيت مربع داخله
آيات بينات من اثر القدمين في الصخرة ووراءه بانحراف الى الجنوب الشرقي بئر زمزم
وعليه قبة وحوله أحواض وعليه بكرات من النحاس ثم صحن المسجد متسع جدا طوله مشرقا
ومغربا مائة واثنان وتسعون مترا وعرضه مائة و ثمانية وثلاثون مترا والرواقات
مرفوعة أقواسها على اسطوانات من حجر وسقوفها قباب من [illegible] وفي وسط الصحن على بعد
نحو اثنى عشر مترا من الحطيم اسطوانات من حديد أو نحاس ذاهبة في الهواء وموصولة
ببعضها بسلاسل من نحاس يعلق بها مآثر ومصابيح وهي دائرة بالبيت علامة على حدود
المطاف وعلى سمت ركن الشمالي على دكة لجلوس المؤذنين والمسمعين وخلف المطاف
وقبالة جهة البيت التي بها الميزاب يقيم امام الصلاة من مذهب الحنفي وله محراب وهو أول
مصل في الأوقات كلها ما عدا المغرب فاذا أقيمت الصلاة وتقدم الامام الحنفي رأيت المسجد
الحرام كله على غاية من الهدو ولم أر بأم تدخله البدعة أبدا لا الصلاة في ذلك الوقت
ما عدا التبليغ المسمع وهو زيادة على بدعة تسبب يريد أن يسمع المؤذن أصبعه في أذنيه وهو
في الصلاة وما عدا هذا فانك ترى آداب الاسلام حقيقة وامتثال الخلق أمر خالقهم فيقع
من الخشوع ما لا يعلمه الا الله سيما في صلاة الجمعة ترى الحكمة البالغة في وسع المسجد
كل من يدخله وترى الخلق مع ذلك الازدحام على غاية من التؤدة وامتثال أمر الشرع بحيث
لا تسمع لاحد همسا من قيامهم وتكبيرهم في الركوع والسجود فاذا سلم الامام الحنفي
عادت الحركة لما كانت عليه ولو صلاة كل من أئمة المالكي والشافعي والحنبلي حتى
لا يكاد المؤتم يعلم حركات الامام أمامه لكثرتهم فتقدم مذهب الشافعي على غيره لأن
مذهبه يرى استحباب التبكير وكل أحد من الأئمة له جهة من جهات الكعبة يصلي
اليها وقد علمت محل الامام الحنفي وأما الشافعي فمحرابه خلف مقام ابراهيم عليه السلام
وأما المالكي فمحرابه تجاه الضلع الغربي الجنوبي من الكعبة خلف المطاف بعيدا بين
وأما الحنبلي فمحرابه مواجه للضلع الجنوبي الشرقي على نحو ذلك البعد أيضا وباب السلام
من المسجد الحرام تجاه باب الكعبة وباب الوداع في الجهة المقابلة له ووراء الرواقات
مدارس لسكنى المجاورين وسكن بيوت الحجاج بها وحول المسجد من أغلب
الجهات طرق وباب السلام يفتح في الطريق الموصل من الصفا والمروة وهو طريق متسع
حوله ديارات عديدة طبقتين ومنها دار الشيبي وأسفل الديار حوانيت عليها مظلات يباع

بها المأكولات وغيرها، وكل من الصفا والمروة محل في نهاية زاوية من الطريق مقسم ذو
درج مرتفعة تنتهي الى حائط وبينهما طريق متسع عرضه ما بين عشرة وثنتي عشر
مترو وطوله نحو اربعمائة وخمسة أمتار وفي وسطه محل الهرولة في السعي تبتدئ من
الميلين أي العمودين الاخضرين على بعد خمسة وسبعين مترا من الصفا عند باب [illegible] من
الحرم وتنتهي الى العمودين الآخرين بعد نحو سبعين مترا عند باب علي وكل من
العمودين قائم مثله في الحائط [illegible] وفي مكة المشرفة أسواق كثيرة يباع بها سائر
الاقطار وأكثرها سلع الهند كما ان التجار أكثرهم من أهالي الهند والاسواق مسقوفة
بالالواح وفيها القهاوي كما ان أطراف البلاد عند مداخلها قهاوي على نحو الخصوص
ويجلس فيها على كراسي كبيرة وصغيرة من اخشاب [illegible] وخارج البلد
على طريق عرفات مقبرة المعلى ثم بعض مدافن لافراد من الاشراف رضي الله عنهم
وبيوت لبعض من الاعراب وغيرهم وفي جبل أبي قبيس المطل على المسجد الحرام مسجد
صغير وبعض ديور وزاوية للشيخ السنوسي وشرب [illegible] الاهالي من عين زبيدة التي
أوصلتها امرأة الخليفة هارون الرشيد من قرب عرفات الى مكة [illegible] على مجراها
في الطريق والبلاد [illegible] لانها [illegible] ويحصل من كثير من الناس
تمد [illegible] فيها من الاوساخ كما توجد آبار أخرى [illegible] وغيرها يؤتى
بالماء منها ويعرفه السقاؤون على الدواب [illegible] في جرار [illegible] دوارق ويوضع في
طواقي أو غيرها معرضة للهواء ليبرد ويبرد الماء المكي من عادتهم فيه انهم يبخرون
الدوارق بعود يسمى عود الفضل وهو الكثير وتارة بالمصطكى فيحصل طعم في الماء غير
شهي والفضل أسود وهم يرونه حسنا [illegible] سكان مكة الى ستين عشرة [illegible] وقيل ان عدد
سكانها مائة وستون ألفا

﴿مطلب في صفة المدينة المنورة﴾ واسمها المدينة وطيبة وطابة ويثرب وهي في وسط
من الارض المرتفعة في عرض ٢٥ درجة و ٣٠ دقيقة شمالي وطول ٣٧ شرقي
وغربي بمكة على نحو [illegible] أميال جبل أحد [illegible]
وخزائن للذخائر الحربية والحرم الشريف النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام في
جهتها الشمالية الغربية وقد حدد الحرم الشريف والمسجد السلطاني [illegible] فكان
المسجد وحده مائة وستة وستين ذراعا طولا أي من الجنوب الى الشمال وعرضه
مشرقا مغربا من جهة الجنوب مائة وخمسة عشر ذراعا ومن جهة الشمالية ثمانون

ذرعا

ذراعا وضوئلث المسافة أيضا صحن المسجد لدى هو جهة الشمال ويحيط به رواقات
وكله من بناء فخم مرفوعة قبابه على أقواس قائمة على اسطوانات من المرمر الاحمر
المأخوذ من مقاطع بجوار به قرب المدينة وكذلك عواميد الابواب وصحن المسجد يحيط
به رواقات وما عداها مكشوف وليس بين المسجد والصحن أبواب وباب السلام من غربي
المسجد قرب حائط القبلة والمحراب في نحو ثلثي عرض المسجد أعني أنه أقرب الى الشرق
حتى يكون قبالة المحراب النبوي الاصلي لان المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة
والسلام قد زيد فيه مرارا أولها في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه حين ازدادت كثرة
المصلين وآخرها الى الآن ما زاده السلطان عبد المجيد رحمه الله وكل من زاد فيه تحرى
مواقف النبي عليه الصلاة والسلام ليبقى محفوظا ولذلك لم يزد في جهة القبلة حتى صار
حائطها بعيدا عن حرم الحجرة الشريفة نحو ثمانية أذرع مع أن حائط القبلة كان مساويا
لحائط الحجرة لكن بقيت بقعة المحراب الاصلي محافظا عليها والمحراب الجديد قبالته
أما المنبر فهو وإن تغيرت ذاته لكن على ما هو عليه والآن من المرمر المتقن والاصلي من
خشب وأما الحجرة الشريفة فالاصلية عليها بناء فخم مستطيل من الغرب الى الشرق
وعليه قبة عالية أرفع من سائر قباب المسجد وداخلها القبر الشريف المكرم لاصق الحائط
القبلي من جهة الغرب ويليه قبر الصديق رضي الله عنه مائلا الى جهة الشمال متأخرا الى
الشرق بحيث ان رأس الصديق رضي الله عنه مسامتة لاسفل من رأس رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحو ذراع وذلك تأدبا من الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يليه
تماما أيضا بانحراف الى جهة الغرب قبر الفاروق رضي الله تعالى عنه وهذه الحجرة لا يدخلها
أحد ووراء حيطانها من خارج شباك من حديد مبني متصلة قواعده برصاص مذاب
غليظ الحجم مالئ للاساس الى عمق عميق حتى اتصل بطبقة الماء في الارض والسبب
في وضعه هو انه كان في مدة السلطان نور الدين الشهيد عمر حدث حادث عظيم بالمدينة
وكان أمر الحجاز ذاك تابعا لسلاطين مصر فرأى السلطان نور الدين رؤيا هالته وهي أنه
رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له أنجدني أنقذني من
هذين الرجلين وأشار اليهما ورآهما رجلين أشقرين فحقق وصفهما وعلم لما تأكد من
النبي صلى الله عليه وسلم في أمرهما والاسراع به فاستيقظ السلطان رحمه الله متهجدا
فصلى الفجر الا وقد أحضر وزيره وعشرين نفرا من صناديد فرسانه واحضر أموالا
جسيمة وركب جواده في خاصته وفرسانه وما خف من الزاد ووصل الى المدينة المنورة بجد

السير ولم يعلم بما رآه أحد فوصلها في ستة عشر يوما فزار النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر
باحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدق عليهم ويتأمل تلك الصفة التي رآها في
النوم الى ان نفدت الناس فقال هل بقي أحد فقالوا لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين
مغربيين يكثران الصدقة فطلبهما فلما رآهما وجدهما الرجلين اللذين رآهما مناما فسأل عن
منزلهما فأخبر انهما في رباط بجانب المسجد بقرب جهة الحجرة الشريفة فأمسكهما ومضى
الى المنزل فلم يجد به سوى ختمتين وكتبا في التصوف ومالا كثيرا واثنى عليهما الاهالي ثناء
كثيرا فرفع السلطان حصيرا في البيت فوجد تحته سردابا ذاهبا صوب الحجرة الشريفة
فارتاعت الناس لذلك وقال السلطان اصدقاني وضربهما حتى اقرا بانهما نصرانيان
بعثهما ملك من النصارى في زي الحجاج وأعانهما بأموال كثيرة للتوصل للذات الشريفة
ونقلها فنزلا بأقرب رباط وصارا يحفران ليلا ولكل منهما محفظة جلد يملآنهما ترابا اصباحا
ويذهبان الى البقيع بزعم زيارته على عدة كرات وهكذا دأبهما مدة فقتلهما
علانا وعمل ذلك الحاجز الرصاص رحمه الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله
وآله وصحبه ومن والاه ولا يخفى ان الواقعة كانت مدة حرب الصليب ورأى أحد ملوك
النصارى الظاهر بين المحاربين ولم يبينه أصحاب التاريخ لعدم اعتنائهم بذلك عن ذلك
حتى انك تراهم يذكرون الوقائع الحربية في الشام مع النصارى ولا يذكرون من هم حيث
نصبت اذ ذاك ملوكهم مع لباسهم رايات واحدة على المحاربين ولذلك لم يبين الملك
المرسل لهذين الرجلين لاجل مكيدة المحاربين بنقلهم الجسم والتشفي منهم ولاجل
ابطال معجزة نبيهم عليه الصلاة والسلام دون غيره من الانبياء عليهم جميعا الصلاة
والسلام وفي المدينة المنورة أسواق وصنائع لكل ضروري ومدارس لسكنى
المجاورين وكتب موقوفة في عدة خزائن على الخصوص أهمها مكتبة عارف باي ورأيت بها
كتابا لم أكن أعرفه وهو الجامع الصغير في الاصول لابن هشام مع اشتهار كتبه وطرق المدينة
غالبها ضيق لا يمر به الا رجل واحد الا الطريق للباب المصري الموصل لباب السلام وقرب
الباب المصري المناخة وهاته المناخة فسيحة جدا وحولها مخازن للفحم ومن
عادات أهل المدينة انهم لا يركبون داخلها أدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم
الا المعذور واذا لاقى أحدهم غيره صافحه وهو راكب ترجل له خلافا لمن روى
وبقية عوائدهم على ما ينبني في العادات المعهودة عن سلفهم رضي الله عنهم حسن
أخلاق أهل الارض فيما علمت من اجابة وصفاء القلب ومواساة القريب
والبعيد

والمجد والكرم ولو كان بهم خصاصة وعزة النفس والشهامة والشجاعة فهم أهل
لذلك الجوار كما ورد وصح مدحهم في القرآن العظيم ومن وفد عليهم تحقق بحقهم
لأن أصل الأنصار لم يبق منهم هناك إلا عائلة واحدة وبقيتهم كلهم من الوافدين
وما بعد إلا سادة الأشراف حفدة من أبناء سيد الوجود وابن عمه سيدنا علي رضي
الله عنه وأما بقية المهاجرين فلم يبق من نسلهم هناك أحد معروف سوى واحد نقيب
في ضريح سيدنا حمزة وهو من بني العباس رضي الله عنهم أجمعين

﴿ مطلب في صفة موكب الحج ﴾ لما كان الحج فرضا على كل مستطيع له من المسلمين
فهم يهرعون إليه من كل فج عميق ويجتمع المسلمون من جميع قبائل الأرض من مشارقها
ومغاربها وقد كان في الزمن السابق يأتي أكثرهم برا أما بعد حدوث البواخر فصار
الأكثر يأتي بحرا بالركوب في البواخر إلا من كان من أهالي جزيرة العرب فإنهم يأتون برا
وكذلك الركب المصري وإن انتقل معظمه بحرا لعدم تطبيع هذا الحين وأما عندهم فإنه كان
يأتي برا ومثله في الإتيان برا الركب الشامي الذي كان يخرج من القسطنطينية ويأتي
إلى دمشق الشام ويجتمع هناك بركب العراق مع حجاج الشام ويسافر الجميع إلى مكة
وصرة هذه الأركاب هو أن يعين السلطان حاكما من رجال دولته على الركب ويسميه
أمير الصرة أي حامل الأموال المعينة لمصاريف الحرمين وسائر المتوطنين والأعراب
الذين لهم عوائد من الدولة وتلك الأموال مأخوذة من دخل أوقاف الحرمين ومن خزينة
الدولة كل بما يخصه وكذلك يحمل الهدايا والصدقات الخاصة التي يرسلها السلطان
وأهالي دولته وسكان قصره بحيث يجتمع عنده أموال جسيمة وقد صارت الآن الذي ترسله
الدولة للقيام بما يعود إليها من جميع ما يلزم الحرمين سواء كان من الخزينة أو من الأوقاف
هو الآن نحو مليون ونصف فرنك ما عدا الهدايا الخاصة ثم يمشي مع هؤلاء قسم من
أنواع الجيوش فرسان ومدافعية ورجالة وتنصب لهم خيام الرحلة بالشام وينضم إليهم
كل من أراد الحج بخيامه وسائر لوازمه كل حسب مستطاعه ويحصل يوم خروج المحمل من
دار الخلافة موكب مشهود ثم يسير الركب نهارا ويقيم ليلا على مراحل معلومة إلى أن
يصل إلى مكة وكلما مر على بلد انضم إليه حجاجها وقد بقي الحال الآن على ذلك سوى
كون السفر من الآستانة إلى مرسى بيروت صار بحرا ثم من بيروت إلى دمشق الشام يسافر
من غير تعب وانتظام ومن دمشق ترتب له العساكر وغير ذلك ويسافر على نحو ما ذكر
وعلى نحوه الركب المصري وما المؤلف من الجهات الأخرى فإنها تأتي كل قافلة

عليها فتوضع للارتفاق و يسافرون حسب مستطاعهم فاذا اجتمع الجميع فى مكة واتخذ كل
منهم مكانا يخصه للاقامة فيه خرجوا ليوم ثامن من ذى الحجة الى منى ومنها الى عرفات
وهم محرمون فيقفون يوم عرفة وبعيد الغروب يمضون الى المزدلفة ثم قبل الشروق
يأتون الى منى وذلك يوم العيد ويقيمون ثلاثة أيام لاداء المناسك ويحصل ليلة ثانى
العيد أفراح عظيمة من عساكر الاركاب بالالعاب النارية واعمال صور حربية
بالمشاهدة لكى يحصل ارهاب الاعراب من الحركات العسكرية وسرعة سلاحهم وعظم
مدافعهم ثم فى صبيحة يوم ثانى العيد يحصل موكب عظيم فى منى لدى فسطاط الشريف
أمير مكة فيحضره الوالى وأمراء الاركاب ورئيس العسكر بالحجاز وسائر الاعيان من
أهل مكة والحجاج كلهم بالملابس الرسمية ولما يكتمل الموكب يخرج السيد الامير
الشريف ويقف فى الصدر وتقف الناس حوله على حسب مراتبهم ثم يتلى المنشور
السلطانى المؤذن بالثناء على الامير وتقليده الامارة أو ابقائه عليها وتحريضه على ادامة
الامن والقيام لواجب حقوق الحرمين والاهالى وهو باللغة التركية ثم يتلى تعريبه ثم
يخلع عليه أمير الركب الشامى الخلعة التى يرسلها امير المؤمنين الى امير مكة السيد
الشريف وهى جبة من الجوخ واسعة سوداء مطرزة بالذهب ثم يشمل الجميع بالتهنئة
للعيد للامير ثم يتفرق الناس الى خيامهم ويقضون مصالحهم ويبادر كل ركب بعد عوده الى مكة
فى يوم معين بعد اداء جميع المناسك وتمام الامور للاصحاب والمصريين من الامراء
والرؤساء وكل منهم أى الاركاب يعود الى بلده على الطريق الذى قدم منه ويكون كل
ركب كأنه بالمراحل يحصل فيه من النزهة والانشراح لذوى اليسار ما ترغب فيه النفوس
هذا ولا يخفى ان مناسك الحج مقررة فى كتب الفقه بل وقد خصصت بها تآليف مفردة
لعلماء كثيرين فلا يمكن لنا الاتيان بذكرها لانها خارجة عن الموضوع وانما الذى
يناسب ذكره هنا هو ان الحج من أحد أركان الاسلام الخمس وهى كلمة الشهادة أى أشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج
البيت على من استطاع اليه سبيلا وهو فرض مرة فى العمر و يندب تكراره كلما
استطاع الانسان وقد ذكر العلماء حكمة مشروعيته كما ذكروا الحكمة فى مشروعية
جميع الاركان وحاصل ما أشاروا اليه هو كونه شكرا لله على ما خصنا به من نعمة السلطة
على الانعام أى الحيوانات وهو عبادة مركبة من أعمال بدنية وأعمال مالية و يمكن ان
يكون مشتملا أيضا على حكمة أخرى مرعية فى نظر الشارع وهى أحكام الوصلة بين قبائل
المسلمين

المسلمين وتعرفهم ببعضهم واطلاع كل منهم على حاجات أخيه وعوائده ليعين كل منهم
أخاه في الحضرة والغيبة بما يستطيع حسبما أمره الشارع بذلك ويتم منه مزيد
المواصلات بين الامم والشعوب والقبائل من مشارق الارض ومغاربها كما هو الامر
الواجب شرعا في جعل المؤمنين عصابة واحدة وقد مثلهم الشارع بالبنيان يشد بعضهم
بعضا ومثلهم بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد وجعلهم اخوة
رحم الدين الواحد الى غير ذلك من النصوص الدالة على انضمامهم ووحدتهم مما
لا يمكن ايجاده بدون تعرف يحصل لهم في كل سنة وعدا يجتمعون فيه ليحصل ذلك القصد
وبما انه ينشأ من مناسك الحج اتساع لذلك حتى يحصل على أكمل وجه فانه عين لهم المحل
الذي يجتمعون فيه بصورة لا يحصل معها انكار من بعضهم على بعض في التفضيل كما لو
كان الاجتماع في بلد قبيلة أو جهة نبوية بل جعل ذلك المحل هو خاص وخالص النسبة
للخالق جل وعلا وحده ثم عند زيارة بيته الذي هو واسطتهم الى خالقهم ولا يحصل من
قصد ذلك المحل أدنى امتياز بعضهم على بعض ثم انه أوجب عند أول القدوم الى ذلك المحل
الاحرام الذي هو من جملة ما نص عنه ترك لبس المخيط وغيره من سمات الرفاهية التي يحصل
فيها التمايز بحيث يكون الناس كلهم سواء لا فضل للاغنى على راع ولا للعالم على جاهل
وأوجب على من اضطر الى ترك شئ أن يزيد في الاحسان والصدقة الجالبة للقلوب
الفقراء لديهم مظنة انكسار القلوب بما يرونه من الرفاهية فيعوض ذلك بزيادة
صلاتهم والاحسان اليهم لان الاحسان يجلب القلوب فتعتدل الحال وكذلك شرع مزيد
النفقات والاحسان على حسب رتبها واستطاعة المنفق لكي يزيد التوادد ثم قصر ذلك
الاحرام على مدة مخصوصة هي مظنة حصول التعرف واستقرار التوادد بين الافراد فاذا
حصل التوادد ثبت كمال الصلات بعد زوال الفخر ورؤية امتياز المسلم عليه ولذلك
اباح اللبس حينئذ وكذلك شدد النهي والنكير على الجدال في الحج الموجب
للتباعد الذي هو نقيض المقصود كما شدد مثل ذلك في الفسوق الذي هو موجب
لاستنقاص العبد بمعصية خالقه فيقول أخوه اذا كان هذا لم يراع حق الخالق في بلده
الامين فكيف يرعى حق أخوته بالغيب وكذلك منع التمتع بالنساء لكي لا ينصرف
الفكر هناك الا لطاعة الخالق وحده وفي طاعته ما أمرنا اليه من احكام الوصلة
مع اخوته المؤمنين وهذا الامر وهو كون الحج مشتملا على حكمة الوصلة بين الامم
قد أشار اليه بعض المتأخرين تبعا لبعض المتقدمين في التحريض على مزيد المواصلة

بين الامة وقالوا ان اهل الملة الواحدة اذا اكد عليهم الشارع زيادة عما يلزم في حق
الجوار امراً تضمنته عبادة الصلاة التي هي اجتماعهم خمس مرات في اليوم يجتمعون فيه
للصلوات الخمس فيجتمع الاعلى والادنى في صعيد واحد بين يدي امامه على سواء ويروا
احوال بعضهم ويتأسى بعضهم ببعض الى ان تتأكد الوصلة الروحية بالوصلة البدنية
ويعامل كل بما يجب عليه في حق اخيه ثم اوجب على اهل المصر الواحد الاجتماع العام
في يوم من الاسبوع وهو يوم الجمعة ليحصل ما اشرنا اليه مع جميع اهل المصر ثم زاد هؤلاء
يومين آخرين في كل سنة على حالة مخصوصة من اظهار الزينة لكل واحد بحسب حاله
حتى يستدل غيره بزينته على حالته ليعلم مقتضى الحال في الصلة وذلك يوما العيد وكان
ومعه تكبير وذلك مرتين احداهما بعد الصيام شهراً والاخرى في الحلق وفي الحلق والتذكية
في وسط العام على معتاد الناس لمزيد التودد ومزيد تقوية الصلة للتعرف بالقرابة واكد
الشارع في جميع هذه الاجتماعات باجتناب المحرمات وباجتلاب القربات كالابتعاد
من اكل الثوم وكالتطيب والنظافة ثم اوجب على كل فرد الحج مرة في العمر ورغب فيما زاد
على ذلك ليحصل ما اشرنا اليه في الحج ولا شك ان ايجاب الحج يحصر جميع اهل الاقطار
كلهم في محل واحد ليحصل على استقرار اجتماعهم من كل مرة عمقاً فاذا حصل
منهم ما اشرنا اليه دامت الوصلة بينهم ولا امر يحصر في ذلك وقد وجد ما اذا
عمل به منتهى التعرف ومنتهى الشدة والوصلة بالارتباط والانتشار والتعارف فلا عجب
احياناً من الشرع من امة الى اعانة امة اخرى ولو دهمها عدو هجم عليها لاجل ذلك هو معلوم
في وجوب القتال وجوباً عينياً على كل فرد فيما اذا هجم العدو على قسم من الامة وعجز
او تقاعس عن دفاعه فانه يجب على من جاوره او بلغه الخبر دفاعه ومنه يسري الى
من وراءه وهكذا حتى يعم الوجوب المشرق والمغرب ولو على النساء والاطفال ممن يقدر
على الدفاع وما ذاك كله الا لتوحيد المؤمنين وحفظ بيضتهم الاسلامية لكنا الآن
نرى ان الناس غافلون عن جميع ما ذكرناه ولا يعتبرون ثمرات الحكمة ولا يلتفتون اليها
ولا نرى الا اهل كل اقليم مقتصرين على مجرد المحافظة مع بعضهم بعضاً بل ربما لا يخالطون
ولا يتعرفون الا من عرفوه في بلدهم سابقاً فضلاً عن التعارف مع اهالي الاقاليم الاخرى كأنهم
ليسوا منهم ولا هم منهم وكانوا يأتون لاداء مناسكهم حتى انه يرجع الناس الى اقطارهم من غير
شعورهم بشيء من حالة اخوانهم في الاقطار الاخرى كأنهم لا يصابون منهم بشيء وقد كانت
رجال الامة على غير هذا وكانوا ملاحظين لما ذكر فترى من حج منهم يتعرف باهالي
الارض

الارض وحصل بذلك اشتهار رجال الامة فى الاقطار لاسيما العلماء والصالحين فانهم
يتشرفون بزيارتهم ويعرضون عليهم ما يهمهم من حاجات وان اردت ان ترى فى حجهم ومن طالع
التواريخ والسير والرحلات علم من ذلك كثيرا فسبحان محول الاحوال ومواليه فى
لا رب سواه

الفصل * الثالث

﴿ فى التعريف بالحجاز ﴾

اعلم ان الحجاز قسم من جزيرة العرب ممتد على شاطئ البحر الاحمر وحدوده الآن التى
تحت تصرف الدولة العثمانية هى انه يحده شمالا العقبة المعروفة بالبحر الاحمر وجنوبا
اليمن من قرب صنعاء وشرقا الحناكية وهى تبعد شرقا عن المدينة بمرحلتين فى حدود
نجد وهذا الحجاز احد اقسام جزيرة العرب الخمس وهى اليمن وهو القسم الجنوبى منها
الممتد على شاطئها الى المحيط الهندى الى ان يصل الى خليج فارس والحجاز هو القسم الثانى
وهو القسم الغربى منها الممتد على شاطئ البحر الاحمر ويليه شرقا القسم الثالث وهو نجد
يحده شمالا بالشام ويحده غربا الحجاز شرقا العراق وجنوبا اليمامة والقسم الرابع
تهامة وكان ممره بين الحجاز واليمن ويمتد من البحر الاحمر الى ان يتصل باليمامة على
خليج فارس ويحده جنوبا اليمن وشمالا الحجاز ثم نجد وشرقا اليمامة وغربا البحر الاحمر
وقد اضمحل هذا القسم فى اعتباره السياسى وصار مقسما بين جيرانه والقسم الخامس
هو اليمامة وهى يحدها جنوبا اليمن وشمالا العراق وشرقا خليج فارس وغربا نجد
وكذلك هذا القسم صار فى السياسة تابعا لغيره لعدم ذلك لان الاقسام هى الاقسام الاصلية
لبلاد العرب التى كانت متميزة من قبل [illegible] ولكن لا فرق بينها من جهة
طبيعة الارض غير ان القسم المشهور بحسن الهواء وخصوبة الارض وجودة الحيوانات
فهو قسم نجد ولذلك كثر فى اشعار العرب وامتداحه بينهم واما بقية الاقسام فكلها كان
منها مواضع [illegible] وجيدة الهواء وخصبة النبات [illegible] وعلى ذلك
الخصوص [illegible] وهو الحجاز وقد عاشت حدوده الآن واما جباله فهى كثيرة وان شئت
قلت انه كله جبال [illegible] من شدة [illegible]
غربه فى [illegible] جمادى [illegible] ٦٥٤ [illegible]
زلزال شديد [illegible] جهة جنوب

المدينة على مرحلة منها من جهة الموضع المعروف (حبس وسيل) وسالت النار فى وادى
أحيلين كالنهر العظيم فحطم جميع مامرت به وتحمل الصخور ثم مائعة تجرى كالنهر
العريض العظيم وامتد مداما الى قرب المدينة أى الى أن بلغ حرمها فصرف عنها ذات
الشمال ووقف وانطفأت النار وبعد ان كانت ظهرت أول يوم نهار جمعة كالغمام الاسود
الذى عم الافق حتى أظلم الجو وظنوا أن الشمس والقمر قد كسفا ثم انه لما أظلم الليل ظهر ضوؤها
وعلا فى الجو الى أن رئيت من حول بصرى ومن مكة والطائف وكان لها دوى كالرعد
ونهرها يغلى بأمواج كالبحر من النار المتلاطمة وتقذف فى الهواء الصخور كالجبال والمدن
ونهرها دوالوا زرق وحمر ورعبت منها قلوب الناس والتجؤا الى ملاذ الخلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهت الى حرم المدينة صرفت وانطفأت ومع عظم لهيبها وسطوع
ضوئها على الاماكن البعيدة لم يصل من حرها الى المدينة المنورة شئ وكان النسيم بها
باردا وكان خروج تلك النار احدى معجزاته صلى الله عليه وسلم التى لا تحصى فقد روى
البخارى ومسلم فى صحيحيهما وهما فى أول القرن الثالث حديث لا تقوم الساعة حتى
تظهر نار بحجر وللبخارى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الابل ببصرى ورواياتها
كثيرة حتى كان فى ابتدائها تيقن [illegible] خروجها وانذار الساكنين به منها فكان الامر كما
قال صلى الله عليه وسلم وبقية جبال الحجاز كثيرة منها المشهور كاحد وأبى قبيس وعرفات
وهو ليس بمرتفع ومن أحسن جبالها هواء الطائف فانه فى شدة الصيف يكون معتدل
الهواء وهو مصيف أعيان مكة وجدة وأما انهر الحجاز فليس به نهر مستديم وانما تسيل
الانهر به عند نزول المطر حتى ان أحدها يأتى من جبال الطائف ويمر على المدينة المنورة
على صاحبها أكمل الصلاة والسلام ثم يذهب مغربا الى البحر وأما بحيرات فليس بالحجاز
بحيرة وأما العيون فبها عيون عظيمة عديدة احداها العين الزرقاء التى تسقى المدينة
وهى نابعة من قباء تحت الارض فى عمق عدة أذرع وتذهب الى المدينة تحت الارض
وعليها عدة منافذ لملء الماء وفيها الكفاية لجميع البلد وما حولها وانما سميت الزرقاء
نسبة لمجددها مروان بن الحكم أزرق العينين أجراها بأمر معاوية رضى الله عنه ومنها
عين زبيدة التى تسقى بها مكة وهى آتية من قرب عرفات تحت الارض مثل السابقة وقد
أجرتها زبيدة زوج الرشيد العباسى وقد عمرت الآن عمارة حسنة صارت بها فى غاية
الانتظام ومنها عين بلد الصفراء وهى أيضا تحت الارض لكنها ليست بعميقة بل انها
تبعد عن سطح الارض نحو ذراعين وبها ماء غزير صاف عذب بارد يشرب بلا حاجة لحل فى

الاوانى

الاولى برد وهى تفور بعد البلد فى الارض ولا ينتفع منها الا الذى يصير للشرب وفى
بعض بساتين وشاطئ بلد المدينة مع أن كلا منهما يصلح لسقى غابة عظيمة مع حسن
الماء وجودته فقد شاهدت عين الزرقاء قد أباحت جوفها فاولتها الحقول وعلى أريد
من سقت له نعمة وهرع الى العين جميعهم لغسل ابدانهم وثيابهم واحمل اكرش الغنم
التى ذبحت يوم وصول القافلة ومع تراكم هذه الاوساخ كنت أرى الحصباء ظاهرة فى مجرى
العين والماء يزيد عمقه عن ذراعين وأما هواء الحجاز وهو على الحالة حار لكون عرضه
من خط الاستواء ولا شك أن الاودية بين الجبال تزيد من علاوة الارتفاع ولذلك يعتبر
الحال فى كون مكة المشرفة شديدة الحر حتى انى كنت فى بعض الاوقات أردت صلاة
العشاء فى الحرم لم استطع الجلوس على الارض بدون بساط فى وقت العشاء لما يبث
الشمس فى الارض فان الصائف لا يمكن فيه فى الصيف لا للتدفق بل بالغطاء النهى
وقد شاهدت من أمر السراب شيئا عجيبا وهو انى لما كنت مسافرا من مكة الى المدينة
سمعت من اصحاب القافلة انهم يقولون ان الماء بالبير موجود ولا بد من المبيت على الماء
وكان الوقت بعد العصر فرأيت على قرب من الطريق غدرانا كثيرة وسألت الجمال هل
هناك ماء فقال ان المطر صبت قبل مرورنا وقال كل ذلك لم يسعوا من اين هذه الغدران
حينئذ وقال ليس هذه غدران وانما ذلك سراب فلم اصدق قوله واردت احد اتباعى
بان يجىء من ذلك الماء الذى أرى له فذهب وهو يذهب الى الماء بالصباح لى فلا
ليس هناك شىء وصدقت من الجمال وما رأيت الماء فانى لم أشهد السراب على ذلك النحو
وذلك لحرارة الهواء ولذلك وأما النبات فانه في الحجاز جميع النبات الذى يكون
بالاقاليم الحارة ووراء مثل شجر الشنى اقل من غيره كبرى بوادينا صغيرة
وشجر كثير صالحة للبناء واحتياجها واكثر شجر القضبات على انواع شتى
ورقبة الشجر دوالها لا يغرس منه العيون كثرة الزيتون والعنب والرمان وهو يوجد
للغاية لاستعمار المطر والتين كما تنبت بعض البقول مثل الدباء والطماطم وقليل
من بعض المستنبتات ومن نوادر الحكمة فى جهة انتشار الحرم المكى والمدنى من المنع
عن قصد الشارع فى منع اكثار الشجر لما يرد من الحكم على الامة فانه يجلب
السحب ويكثر الامطار وبعض الهواء ويشرح النفوس ويقى الناس من الشمس
ويلطف الحر ويوجد به وصل ما يقصع منه الخصب ومن شاهد تلك البقاع علم شدة
الاحتياج الى الاستظلال من الشمس وعلم حكمة تحريم الشجر حول البلدين المكرمين

الذين التزم عمارتهما وشرع الناس إليهما من كل فج عميق وقد أشار إلى حكمة تحسين
الحرم بالشجر وحرمة قطعه بعض العلماء ومنهم السمهودي في خلاصة الوفا بأخبار دار
المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال قال الطحاوي يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد
المدينة وقطع شجرها كون الهجرة كانت إليها فكان بقاء ذلك مما يزيد في زينتها ويدعو
إليها كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن هدم
آطام المدينة فإنها من زينتها فلما انقطعت الهجرة زال ذلك اهـ وقوله انقطعت الهجرة
أي بموته صلى الله عليه وسلم أو بعد الفتح وكلامه تمايل لمذهب شيخه في عدم
تحريم المدينة وأما لا غنى [illegible] على تحريمها مثل مكة وذلك قوي به والحاصل
أن المراد هو أن تكثير الشجر لا سيما في البلاد الحارة مما يرغب فيه وقد صرح
السيوطي في كتاب [illegible] عن قطع شجرها والحرب بلا حاجة إليه [illegible]
من دار خير الخلق عليه الصلاة والسلام الذي يحترمها وتحريم ما حولها أكثر الأئمة
رضي الله عنهم مع العائلة الطاهرة من ذلك (وأما) حيوانات غاره ووحده بالحيوانات
الا [illegible] كاد لا يصيب [illegible] أي [illegible] بها وعمت بها
[illegible] الأيام [illegible] لا [illegible]
[illegible] واحد [illegible] وجد [illegible] و [illegible] الأبيات [illegible]
موجوده لا [illegible] (وأما) الآساد غير موجود بكثرة ولكن عماد كره شر
في قصيدته التي شطرها الشيخ قابادو التونسي [illegible]
أرض العرب وذلك لقصيدة ما كانت بديهة أنبتها هنا مع تشطيره المنتظر براعة المشطر
الذي صار كأنه بدوي مع كونه حضريا بحتا وهي

(أفاطم لو شهدت ببطن خبت) * لهالت عندك الأخبار خبرا
ولو أشرفت في سفح عليه * (وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا)
(إذا لرأيت ليثا أم ليثا) * وكل منهما بأخيه مغرى
يرى كل على ثقة أخاه * (هزبرا أغلبا لاقى هزبرا)
(تبهنس إذ تقاعس عنه مهري) * وأقبل نحوه أدنيه ذعرا
فكاد يريه يختل مني * (محاذرة وقلت عقرت مهرا)
(أنل قدمي ظهر الأرض إني) * أرى [illegible] للأقدام أحرى
وأنت مزحزحي شيئا ولكن * (رأيت الأرض أثبت منك ظهرا)

(وقلت)

(وقالت له وقد أبدى نصالا) * بأهون فاغر بمرون صرا
وسوسا ذات الماء تلطى * ([illegible] ذو وجه [illegible])
(بكف [illegible] حدى يديه) * كأن الموس ينزع مسبطرا
ولا يثنى براثن منه الا * (وييئ للوثوب على أحوى)
([illegible] يا بن فبرى) * فلى بقيا عليك وأنت أدرى
ومهرى قائل لك لا تخاتى * ([illegible] ان تحمى كل مرا)
(ألم [illegible]) * ألست ترى [illegible] جهرا
ألم [illegible] * ([illegible])
(فأما [illegible] غش) * و[illegible] المراءة فاستترا
وحج [illegible] في نزل * (وطالعني كأني [illegible])
([illegible] ومشيت من [illegible]) * مساوة فلاقى الصبر [illegible]
ورجا الارض [illegible] * (ربما كان [illegible])
([illegible]) * [illegible] من [illegible]
ولم [illegible] له لاى * ([illegible] الصبا [illegible])
(وأطلت [illegible] من [illegible]) * [illegible] أمرا
بابرق [illegible] أن برق * ([illegible] من لا [illegible])
([illegible]) * [illegible]
وكدت [illegible] * ([illegible])
([illegible]) * وشق [illegible] بطنا وظهرا
وشبكاما التى منها [illegible] * (لدى [illegible] قد كان [illegible])
(وقالت له [illegible] على الى) * أرى [illegible] شطرا [illegible]
واسعى المروءة أن تراى * (فتاة [illegible])
(ولكن [illegible] أمر لم [illegible]) * أبى لا يبيع النفس [illegible]
وبئس [illegible] * ([illegible] ولم أعلق بالليث [illegible])
(تحاول أن تعلى قرار) * فهل [illegible] أن [illegible]
وتنقص [illegible] عرى * (أمراية [illegible])
(أتيت تروم للإشمال [illegible]) * [illegible] الدماء [illegible]

ولكنى أقيد منها واجى * (وأطلب لابنه البكرى مهرا)
(فلا تبعد فقد لاقيت حرا) * برى وبقران أبانت عذر
وعن كرم بررت الى كريم * (يبادر أن يصاب فتى حر)
ولا أسف على عمر تقضى * أبادله بحسن الذكر عمرا

* وأما معادن الحجاز فانه يوجد به الرخام الرفيع ويوجد قريبا من المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام حجر البلور المشابه للالماس ويوجد أيضا الذهب وكان مستخرجا منذ زمن ولا يبعد وجود الفحم الحجرى وكذلك غيره من المعادن احتياجه للبحث

* مدنها وأما مدن الحجاز وأصل قاعدته وقاعدة عموم الاسلام هى المدينة المنورة وكانت مدة اقامة الخلافة بها اتسعت وكثرت وكذلك بعد ذلك فى العصور الأولى من الاسلام وان حدث فيها الخراب الكلى والجلاء لعام هجرة يزيد ثم دون ذلك مدة القرامطة ثم تراجع عمرانها الى النمو ثم عادت الى ما هى عليه الآن مما ذكرناه فى صحتها وقاعدة الحكومة الحجازية الآن هى مكة المشرفة وقدمنا ذكر صحتها ومن اعتبر ما جرى عليه الحال فى ظهور الاسلام يرى أن عناية الله بالمدينة عظيمة وقد جعلها مظهرا للدين القويم وانتصار الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام وكانت مكة تابعة فى الحكم للمدينة حتى بعد فتح مكة وقد خاف الانصار عند فتح انتقال النبى صلى الله عليه وسلم الى بلده الأصلى فأعلمهم بأنه لا يبرح عنهم ويستقر هو ومن بعده من الخلفاء الراشدين بالمدينة الى خلافة سيدنا على فكان صدرها بالمدينة ثم خرج بالكوفة ومع ذلك فقاعدة حكم الحجاز هى المدينة وذلك هو الموافق لحالة عناية المولى بالمدينة من اختياره وان كان الحاكم فى مكان تمهدت سائر السبل اليه وعلى تقدير حدوث بعض الموانع فى الطرق يرسل من محل وينفذ الأحكام فى الأطراف لاستقرار القوة فى الوسط وليست مكة المشرفة على ذلك النمط وقد تغير الحال مرارا مدة الاسلام فى قاعدة الحكم بالحجاز وكان الأمر على ما ذكرناه من كون المدينة هى القاعدة ثم صارت مكة بحكمها وصارت المدينة مستقلة ثم صارت الأحوال تتقلب فتارة تكون مكة تابعة وتارة متبوعة وتارة يستقل كل منهما بحكم ولو بعد استقرار الدولة العثمانية والذى عليه العمل الآن هو أن مكة هى القاعدة والمدينة لما لم يرجع فى مرة لحكومة مكة وما بقى من المدن بالحجاز رأيتها عن جودة وعدا الموجود بها من قرى مثل الطائف وهى أكثرها العمر والجديدة وجدة وينبع وخيبر وقد شاه كثير من الجغرافيين حتى من العرب فى ذكرهم أسكان هاته البلدة

وكونهم

وكونهم يوردا عنزا [illegible] رفق أصحابهم وفضله عجب ويوم في خلافة سيدنا عمر رضي الله
عنه من خلافة جميع ذلك بالإسلام من جزيرة العرب [illegible] لا يصح عن الشارع
في كونه لا يجتمع بها دينان [illegible] لم [illegible] وكانوا لا [illegible] من
ضفة القنال [illegible] وهم تبع لحكم المدينة صورة وفي الحقيقة تحت حكم محمد بن رشيد
النجدي أكبر حكام [illegible] على جميع أولاده فان جزيرة العرب وهو
على مذهب الوهابي وله نفوذ تام وحكم عادل [illegible] وشهرته أن [illegible]
[illegible] في جميع الأنحاء من أراد له [illegible] ويجلس [illegible] لقاضي
و[illegible] أحد [illegible] المتي ويقف حوله أصحاب الخيل من أعوانه [illegible] في الخصومات
فإذا دخل المشتكي ألقى دعواه على القاضي [illegible] بحضوره و يحكم القاضي
بما يراه [illegible] للأمير [illegible] حكم القاضي موافق للشرع أم لا
فإن وافقه [illegible] أو لا [illegible] وما يرى عليه [illegible] الأمير [illegible] وأما النوازل المتعلقة بالإدارة
[illegible] لا [illegible] يحكم فيها [illegible] لا [illegible]
[illegible] مع [illegible] في [illegible] وهو في
[illegible] وأسره [illegible] في [illegible] ولا [illegible]
[illegible] فأخبره [illegible] الأمير [illegible] فقال له في [illegible]
وقال له كيف [illegible] فقال [illegible] فلما كان
من [illegible] فقال لهما كن [illegible] أن [illegible] حتى [illegible]
فائدة [illegible] في ذلك لولا [illegible] كما أخبرت عنه ومن علم
حالات القوم وطباعهم في هاته الأزمان [illegible]
[illegible] من ولاية [illegible] لا [illegible] الحكم [illegible]
أمرو[illegible] على تنفيذه فإنه [illegible]
التي [illegible] إلى [illegible] الأمور [illegible] في وقت [illegible] هو
و[illegible] جيشه [illegible] الأمور [illegible] إلى أن [illegible]
[illegible] إلى الأمور [illegible] أخذ [illegible] وإن كان معه
من العسكر [illegible] وعلى [illegible] إليه مع كونه جوادا وفيا
بالعهد عالي الهمة على شيمة كرام العرب [illegible] المدن [illegible] حصن
أو يقربه حصن لإقامة العساكر فيها [illegible] لأن [illegible] أغلب الحصون صار خربا

للاهمال واليس بها مائية فيها . وأما مرامي الحجاز فأشهرها مرسى جدة ثم ينبع البحر وهاته هي أقرب المرامي الى المدينة المنورة بحيث يصلها البريد في يوم وتبلغها القوافل في ثلاثة ثم بقية المرامي على قلتها ليس لها أهمية غير ان الموجود منها كلها هي مرامي أمينة لما هو من لطائف الله عليها من احاطة الصخور المغمورة حول الحوض لدى ترسى به السفن بحيث يصعب اقتحامه الا ان لدينا نحو ثلاث البقع ادخالها بالدليل الذي هم من حذاق أهل التدبير والتوسع في المعارف بالصنائع البحرية وقد شاهدت كلا من مرسى جدة وينبع حوض كأنه مأمن من السفن ... في أمن تام ولو عند تلاطم الامواج التي كالجبال وأعلت الحربيتين لا يدخلونها الا بدليل من عربة أهالي تلك المرامي وقد شاهدت الخريطة البحرية التي في الباخرة المصرية التي سافرت فيها الى جدة متقلدا علامة على جميع تجارة المنورة بما يرجعون شرق البحر الاحمر مع بيان نحوها ومركزها وهي من صنع الاوروبيين فسألتهم هل لهم نوع خريطة مصرية أو عثمانية فأجابوا بأن تلك الخريطة هي للدول فلم نعتمد عليها ولو للعثمانيين لديهم البحر الاحمر بحيرة تملكهم من جميع جهاته فتعجبت واندهشت من جمود قوم واهمال آخرين وهي احدى علامات تأخرنا مصريين وعثمانيين ولا يتعرض الاجانب لها

وسكان الحجاز هم ... وما سكان الحجاز فهم كما هو معروف من نسل العرب الاقدمين الا سكان البلدين المكرمين فأغلبهم من الوافدين من جميع ... وأكثرهم كانوا من الهنود واما في المدينة فأكثرهم من المغاربة وعدد جميع السكان في الحجاز نحو من مليون ونصف ... في الارض ما بين مكة والمدينة هم قبيلة مزينة وتعرف بالاحامدة ومنهم من يعرف بقبيلة حرب وهم التجار ومنهم الجمالة لدى يكثرون قطع الطرق بين البلدين المكرمين وهاته القبيلة هي مزينة المعروفة بالاحامدة وتنقسم الى قسمين كبيرين أولهما بنو مسروح وهم سكان البرية من مكة الى الصفراء وثانيهما يعرف ببني سالم ومنهم ... وهم سكان بقية الحجاز وديانة جميع اهل الاسلام على مذاهب شتى عامتهم أهل سنة على المذهب الحنفي والشافعي وانتشر فيهم اهل الطريقة بكثرة زوايا الشيخ السنوسي المنتشرة في جميع جهاتهم وقد مر الكلام على مذهبهم عند الكلام على جزيرة العرب في المقدمة وعلى حوادث رئيس في ... كما يوجد المذهب الوهابي بقلة وان كثر في جهات نجد ... ودوام تقاسيم الاهالي بالنظر للحكم فان كل قبيلة لها مشايخ تشاور ... ترجع الى امير مكة الذي هو شريف

﴿ تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس أوله فصل في تاريخ الحجاز ﴾

بحمد من أسبغ نعمه على العباد والصلاة والسلام على بدر الهدى وعلى آله نجوم
الرشاد قد تم طبع الجزء الرابع من صفوة الاعتبار على يد مصححه مصطفى
محمد ذهنية المفتقر إلى رحمة الكريم الغفار مصححا كما رام حاويا
من الفوائد ما يتم به المرام وذلك بالمطبعة الإعلامية التي
هي عن النظر بغنية ووافق طبعه يوم الاثنين
المبارك وهو التاسع من شهر جمادى الأخرى
الذي هو من شهور سنة ثلاث وثلاث
مائة وألف من هجرة من خلق
على أكمل وصف وصلى
الله على سيدنا محمد
وعلى آله
وصحبه
وسلم

﴿ طبع بالمطبعة الإعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتبار ﴾

صحيفة

صحيفة

عن الحماية

صحيفه

صحيفة

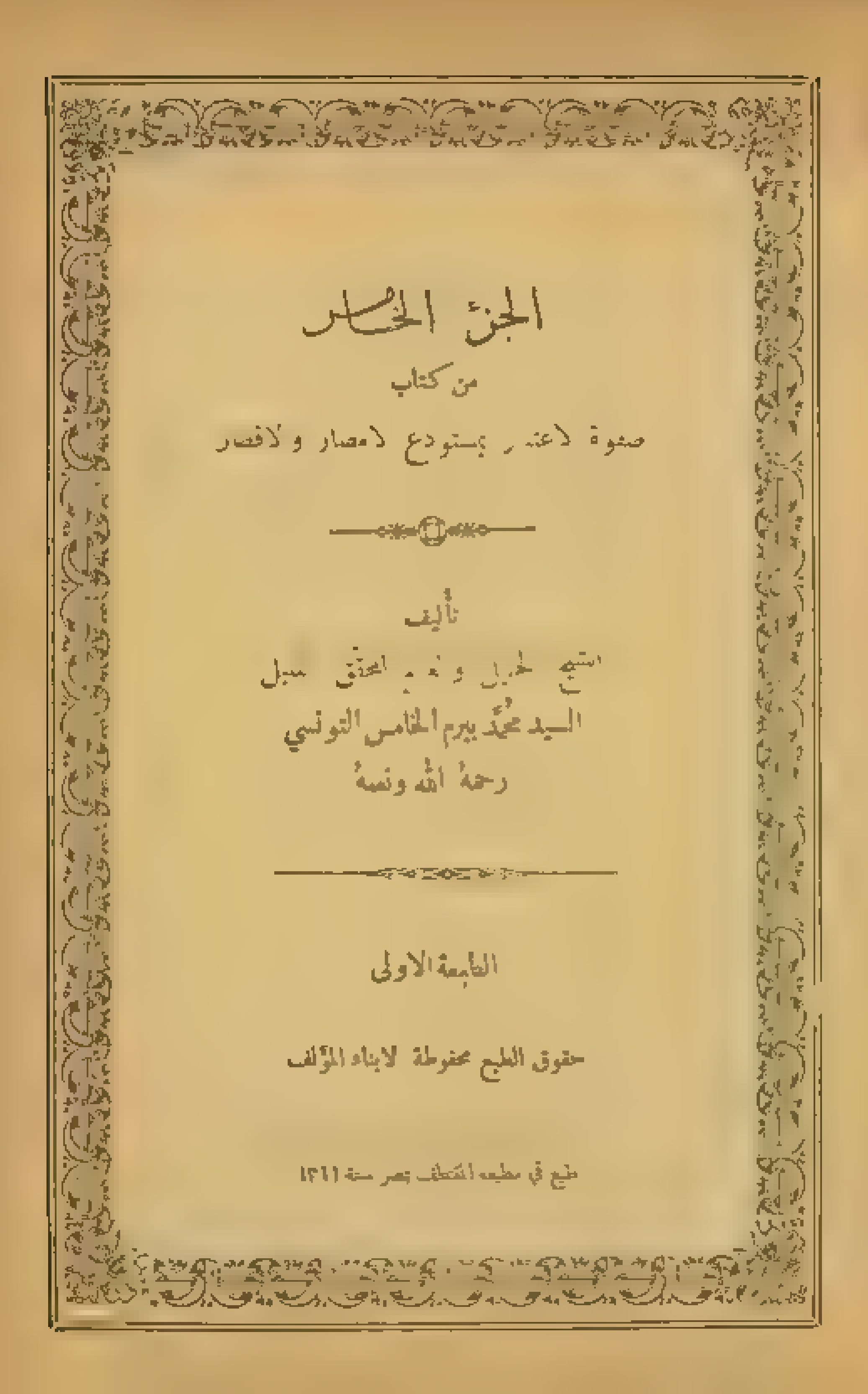
صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾



الجزء الخامس

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

تأليف

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل
السيد محمد بيرم الخامس التونسي
رحمه الله ونفعه

الطبعة الاولى

طبع في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٣١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما

فصل في تاريخ الحجاز

مطلب في تاريخه القديم

اعلم ان سكان الحجاز هم العرب فتاريخه هو تاريخهم وقد كان الحجاز معموراً بهم لكن ذلك العمران قد خفي تاريخه لبعد قدم عهده مدة كبيرة وغاية ما يعلم من حوادث ذلك التاريخ هو بعض [illegible] تتعلق ببعض الاماكن المشرفة مثل بيت الله الحرام فانها بنيت قبل عهد سيدنا آدم ثم بناها سيدنا شيث عليه الصلاة والسلام وجددت ايضاً في زمن سيدنا ابراهيم ولكن لا يخفى ان مثل ذلك لا يكون مبنياً عن تحقيق تام ولما تكونت امة العرب واستقرت في جزيرتها حدثت فيها حوادث تاريخية [illegible] غير انها في ذاتها ايضاً منقسمة الى اربعة اقسام [illegible] اقسام العرب في انسابهم لان العرب منذ نشأتهم الى الآن منقسمون الى اربع طبقات فالطبقة الاولى هي العرب البائدة والثانية العرب العاربة والثالثة العرب المستعربة والرابعة العرب المولدين او المخضرمين

فاما الطبقة الاولى فهي التي كانت قبل سيدنا ابراهيم وانما سميت بائدة لابادتها اي انقطاعها وانقطاع اخبارها وان كانت [illegible] وهم بقية الطبقات وانقطاع اخبارها مما جاء من شدة طول العهد والامد فلم يعلم من احوالهم الا بعض حوادث قصها الله تعالى في القرآن المجيد مثل ما ذكر من احوال رسول الله سيدنا صالح مع قومه ثمود وكذلك قصة عاد مع رسولهم سيدنا هود والاشارة الى ما كان عليه الامة

من القوة والعمر والثروة وشدة البأس الى غير ذلك من احوال انقراضهم والاعتبار
بما كان لهم ونقمت بعض آثارهم في ديارهم وما غير ذلك من تفاصيل تاريخهم فلا يوجد منه
الا قصص يذكرها بعض المفسرين والمؤرخين لا سند لهم فيها الا الاخذ بقصص
القصاص مما لا ينبغي الاعتماد عليه اللهم الا ما قد ورد شيء من ذلك عن الصادق الامين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ينبغي ان يتلقى بالقبول ولعله لا يوجد من ذلك عدا
ما في القرآن المجيد الا النزر مما روي بصحيح السند وهكذا ما يروى عن الصحابة رضي
الله عنهم في ذلك الصدد لانهم قد صحت الرواية عنهم لا يقولون الا ما له ثبوت باحدى
الوجوه الموجبة وحاشاهم ان يذكروا خرافات القصاص وبذلك كانت الاخبار عن تلك
الطبقة من العرب ضعيفة جدا لانهم وان تحقق منها هو انهم كانوا امة عظيمة ذات قوة
شديدة وعمروا الارض عمرا طويلا خارجا عن حدود المعروف في عادة الخلائق وارسل
اليهم الرسل في زمان [illegible] بدعوتهم [illegible] فعاندوا الى ان اخذتهم العقاب وطول
زمن [illegible] ما بين [illegible] حتى امر [illegible] الحمد [illegible] ويدل عليه ايضا
[illegible] القوم [illegible] من بين سيدنا نوح وبين سيدنا ابراهيم
عليهم جميعا الصلاة والسلام [illegible] في التوراة باضعاف مضاعفة
فان تكون [illegible] من الكثرة والشدة
وغير ذلك من الصفات لا بد له من زمن طويل كي يكون ذلك العدد الوافر من زمن
وجدتم [illegible] معجزة لطول [illegible] يستدعي ايضا ذلك الطول ثم ان
تعدد الرسل مع تعاقب [illegible] كل واحد منهم في [illegible] من بعد الاخر وكل واحد منهم يجيء
لعقب [illegible] حاجة [illegible] الى غير ذلك يدل ايضا
على شدة طول الزمن [illegible] حتى تنوسي خبر السابق وكل ذلك قبل سيدنا ابراهيم عليه
السلام ولابد ان تكون مدة بينه وبين سيدنا [illegible] لا يعلم مقدارها الا الله تعالى
ومجموع ذلك يدل على طول عمر الدنيا [illegible] انها [illegible] الى الفناء وهذا
كله يبين [illegible] قوله عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه
الكريمتين الوسطى والسبابة وكذلك ما دل من الآيات والاحاديث على قرب الساعة وقرب
[illegible] اقرب وهذا لا [illegible] وقد مضى من زمن البعثة الى الآن ازيد من
الف وثلاثمائة سنة ومع ذلك لم تظهر العلامات الكبرى كنزول سيدنا عيسى عليه السلام
وطلوع الشمس من مغربها الى غير ذلك فنقول ان الامور نسبية في علم المقدار الكثير

من مدة الدنيا التي مضت وتم ما بقي منها وأن الساعة قربت وهي مقارنة تابعة ولا يبقى [illegible] ذلك الآن [illegible] كانت مدة مخصوصة بحيث طولا كبيرا كما هو الواقع والمشاهد من حالة الآثار الدالة على أن ما مضى يزيد على العشرات من آلاف السنين فسنة الفين سنة و ثلاثة آلاف من تلك العشرات من الآلاف هي [illegible] لا كتب [illegible] صادقين و تقريب واه اذ اعتبر ما يزعمه من الكتب من المدة وهي ستة آلاف مثلاً ولا يمكن التهم لأنه على ضرب من التدوين الذي لا يحفظ [illegible] للواقع ولنبين الحرب الثالث فيما يسند اليه من الكتب الذي [illegible] ذكر فيه محمد على [illegible] شريعته مطهرة عن مثل الخرافات المخالفة للواقع

واما الطبقة الثانية من العرب وهي العرب المعربة فهي التي من زمن سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل [illegible] العرب معروفين في عهد [illegible] وهذه الطبقة اخبارها معروفة الا ان الاقرب منها متأخرة [illegible] في شعرها وقصائدها وخلافها [illegible] كانت [illegible] الحوادث التاريخية غير محققة لاسيما القرون الأولى [illegible] متوسطة فمعدوم حدود تواريخ محررة في اخبار هاته الامم من العرب [illegible] الاسلام [illegible] الذي يوجد في زمانك من التاريخ انما هو بعد الاسلام عندما حدث تدوين الكتب في الامة الاسلامية وذلك من القرن الثالث من الهجرة فيوجد في التواريخ الاسلامية اخبار كثيرة عن هاته الطبقة وكثير منها يلوح عليه سمت الصحة [illegible] من الاعراب وقائع وحروب [illegible] على مع ذلك [illegible] مقصود لانه لا يمكن الا زيادة تحقق من حدود التواريخ المشهورة في ذلك مثل تاريخ المسعودي او تاريخ [illegible] وغيرهم من التواريخ الكبيرة ومن الذي يبقى ما ذكره هو ان نقول ان هذه الامة قد [illegible] فيها دول عظيمة وممالك واسعة وكانت في اغلب الاوقات منقسمة الى قسمين قسم جنوبي وقسم شمالي ووسط

واما القسم الجنوبي فهو اليمن وحدث فيه دول عظام مستقلة بنفسها في اغلب الاوقات ولكنها لم تتسلط على غيرها من الامم الا نادرا ثم قد تسلط عليها غيرها احيانا فتارة تكون تابعة لملوك فارس وهو الاكثر وتارة لدولة الحبش او دولة اليونان و الرومان او المصريين وفي كل الاحوال [illegible] يكون حكامها منها وان كانوا [illegible] عن ذكرناه ونشأ فيهم تمدنا جيلا كما دلت عليه الآثار التي حول المدن القديمة مثل صنعاء وغيرها وصار في اليمن رجال ذوي فطنة وفكر ونقد ونظر للكمال كما يرشد اليه الحديث الشريف القائل الايمان يمان و حكمة يمانية او كما قال عليه الصلاة و السلام

واما القسم الثاني فهو مملكة غسان في الجهة الموالية للشام والعراق فانه كثيرا ما حدثت بها دول مستقلة ذات شأن لكنها لم تبلغ مقام دول اليمن وفي اكثر الاحوال تكون هذه المملكة تابعة لصاحب ملك الشام كالروم وغيرهم وفي اكثر الاحوال ايضا تكون رؤساؤهم منهم وان كانوا من غيرهم

واما القسم الثالث وهو اواسط البلاد كالحجاز ونجد وتهامة فالمجازفة في اغلب الاوقات ان لم نقل في كلها كان منفردا

واما غيره فيكون تارة تابعا للعرب وتارة للشام وتارة ينفرد بنفسه مثل الحجاز والحجاز الذي هو بيت القصيد مع كونه كان بعيدا عن الخضوع لغيره لان يكون خضوعا اسميا يعني الادلاء بالتبعية لبعض ملوك [illegible] في نفسه لم يكن به دولة مملكة قط وانما جميع سكانه منقسمون الى قبائل كل قبيلة خاضعة الى رؤسائها فقط ولا سلطة لواحدة على اخرى الا ما يكون الى طريق الغلبة والعدوان وقد انفردت قبيلة قريش من بين سائر قبائل العرب [illegible] واعتنت [illegible] العربية باختصاصها بسكنى حول بيت الله الحرام الذي كان معظما عند جميع العرب من عهد سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل [illegible] والعرب وكانت سائر [illegible] معظمة من جميع الآفاق اليمن والشام وغيرهم [illegible] وبكرمه [illegible] على قريش بنو هاشم منهم [illegible] وبذلك اشتهرت في قبائل العرب اكثرهم مكارم لا سيما قريش بمكة [illegible] على حفظ الجد وحماية النسب فيحفظون انسابهم ويفتخرون بها ويكرمون الضيف ويتنافسون في البذل والكرم ويحمون الجوار ويوفون بالعهد [illegible] في الشجاعة و[illegible] والفروسية و الاعتناء بتربية الخيل الجياد [illegible] ويتحرون [illegible] ويستهجنون الظلم وان فخروا به في قهرهم به لاعدائهم [illegible] اكثر [illegible] ومكارم الاخلاق حسب ما يرشد الى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ويؤكد ذلك حلف الفضول الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو دعي به في الاسلام لاجبت الخ وذلك ان قريشا تحالفوا على ان لا يجدوا مظلوما الا نصروا اليه حتى يردوا ظلامته ويأخذون حق الضعيف من القوي ولسابقهم في [illegible] حدثت بين القبائل المساجلات على [illegible] وكثرت [illegible] بينهم وصاروا على قلوب شتى

وكان اعظم همهم ورغبة تفاخرهم هو البلاغة في لغتهم التي بها يعبرون عن حسن
خصالهم وبسط مناقبهم حتى صاروا يعقدون لذلك اسواقاً كسوق عكاظ فينسلون اليه
من كل فج عميق وتأتي القبائل بما لديها من النثر والشعر ويقع بينهم تعارف وروح
في الشعر ولكن موضوع [illegible] الاجتماع هو عرض كل قبيلة كلام فحول شعرائها من نثر
ونظم فتنتصب لاصحاب البلاغة والبيان الطلق المنابر ويسرد كل منهم ما لديه من القصائد
التي كان تأنق في اختيارها حتى ربما يبلغ الحال بأحدهم ان لا ينشر قصيدته الا بعد
التروي والتدبر فيها واصلاحها مدة العام وعامين حتى كانت لهم قصائد تسمى الحولية
وقد يكون الانشاد ارتجالاً مع الابداع ولا غرو من مقدرتهم في عرض شيء من
[illegible] وحكم وصفة مكارم الاخلاق [illegible] و[illegible] وخطوب او في حرب
والسيف او مفاخرة ومدح [illegible] شعر [illegible]
[illegible]
في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] بعض
الكلام على بعض [illegible] في صحائف موثقة
ويعلق في داخل الكعبة التي هي مهبط [illegible] دلالة على ان
ذلك الكلام قد بلغ [illegible] من
الفصاحة ومن ذلك المعلقات السبع المشهورة [illegible] الجاهلية قد [illegible]
[illegible] عقائد [illegible]
[illegible] والارض
يقولن الله وكذلك [illegible] على [illegible]
من وثنية ومجوسية ودهرية [illegible] في [illegible] او متهودين مستغرقين في الضلال
الذي عم جميع اطراف الارض في ذلك العصر بحيث لم يكن من [illegible] على حق
الا عدد من افراد مخصوصين [illegible] كل [illegible] الارض في ذلك [illegible] احداث [illegible]
الله قد سطع وكشف عن [illegible] ومولانا محمد [illegible]
بني هاشم سادة العرب [illegible] لاحوال [illegible]
بالدين والدنيا [illegible] عامة على معمور من
الارض في [illegible] والكلام على تفاصيل [illegible] من [illegible]

وعلم التاريخ الاسلامي قد بسط ووفر في مجلدات ضخمة من كتب السير والتاريخ لا يمكن الاحاطة بها وشرحها مبنية على السنن وهذا الذي ينبغي التنبيه عليه هنا لم يكن حينئذ فرق بين تاريخ ذلك العصر اعني عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وبين [illegible] من الشهود ما لا بد منه في معرفة [illegible] من الرواة وعن صحة الاسناد و [illegible] بحيث يصح ان يكون معتمدا لاسناد الاحكام الشرعية عليه لان جميع حركات وسكنات رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعية [illegible] ولما قام الدليل على اختصاصه به عليه الصلاة والسلام وهكذا [illegible] من بعده ومن [illegible] في كتب الاصول من الادلة الشرعية لا [illegible] مجرد [illegible] لا [illegible] يكون [illegible] على اوجه [illegible] وهو رواية [illegible] وهذه الامور [illegible] في كل منها ويهذا يتبين [illegible] ان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه [illegible] علم السير الذي هو تاريخ سيرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكذلك سيرة خلفائه الراشدين من بعده وهم سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهم لان كل ذلك [illegible] عليه كثير من مسائل الاحكام [illegible] من [illegible] الادلة التي يستند بها المجتهد [illegible] محمد بن الحسن [illegible] منهم ابو حنيفة رضي الله عنهم [illegible] لعلوم [illegible] ولا [illegible] في [illegible] يسمونه [illegible] الى النبي صلى الله عليه وسلم في [illegible] لانهم يسمون تاريخ ذلك العصر خصوصا ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم هو من التواريخ التي تتوقف على مجرد الرواية مع عدم [illegible] وقد عرفت ان الامر عندنا ليس كذلك بل هو مشروط بما ذكرناه [illegible] بما يذكره الافرنج لان في تواريخهم في هذا الموضوع [illegible] على خصوص [illegible] اوطانهم [illegible] الافرنج على الاطلاق لاتكالهم على تعاليمهم وعدم [illegible] في حق [illegible] معارف المسلمين حتى جرهم ذلك الى [illegible] طريقة [illegible] الافرنج مطلقا مع [illegible] الامر ليست مطابقة للواقع في الموضوع الذي ذكرناه ثم ان هاته [illegible] كتب الله لها ان تسود على الارض ويعم حكمها فيها في الطول والعرض [illegible] في قرب مدة بحيث انها في خلافة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه سوى سنة ٢٧ هجرية امتد حكمها من جبال

القرار في المحيط الغربي جهة اسبانيا ومراكش وكان ذلك احدى معجزاته عليه الصلاة
والسلام حيث قال (زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي
مقدار ما زوي لي منها) فكان الامر كذلك ثم توقف ملك الامة في الجنوب وفي
الشمال مثل ما توقف في المشرق والغرب كما ذكرنا لحكمة [illegible] في الاحياء وسبب
ذلك والله اعلم أن العمران في الارض كان في ذلك التاريخ غير منتشر في جهتي الجنوب
والشمال وانما ساح الامم ومقام جميع الخلق في حقي المشرق والمغرب وكان الوجه في
الاتيان بلفظ المشارق والمغارب بصيغة الجمع هو الاشارة الى ان المشارق بالنسبة
للعرض التي تعددها تبعًا لاختلاف الفصول وبالنظر الى الطول الى مشارق اهل
الارض فان كل جهة من الارض شرق لمسكون الى جهة المحيط الشرقي بالنسبة
لنصف الكرة الذي هو القسم المعمور والغرب كذلك وهكذا الغرب فيكون في
الحديث على الوجه الثاني اشارة الى عدم ذلك المسلمين في امريكا كما هو واقع بالفعل
لانها ليست بمشرق ولا بمغرب لاحد ساكني هذا القسم في القسم [illegible] على سيا
وافريقيا واوروبا لان تعد مدة امريكا من هذه القارة لحين مشرق شطوط قارتنا
ومغربها هو اخر [illegible] امتداد ملك هذه الامة الى ذلك الحد وبقي القائمين في
تلك الاصقاع المفتوحة وحكامهم [illegible] ورجوع تلك الامم ايضًا الى مركز الحكم والخضوع
تحت الديانة ايضًا لانهم دخلوا فيها افواجًا بسبب ذلك كله حدثت الحدفة لسنة من
العرب وهي العرب المستعربة التي [illegible] العرب [illegible] يكونوا في الاصل عربًا وسمت
هذه الطبقة الى نهاية دولة العرب في الشورة ومضى على ذلك حدود هذه الدولة التي
تقلص فيها ظل دولة عصبية العرب وما بقي فيها الا ذلك لكن عصبة ونصرة والقائمون
بها والمدافعون عن الدولة في أيديهم حقيقة هم الاعاجم من الترك والموالي الذين اتخذهم بنو
العباس بطانة لهم فتغلبوا على الاطراف وعلى نفس الخليفة تارة مع شدة في الاستيلاء
وتارة مع ضعف الى ان انقرض ملك الخلفاء بالمرة بوقعة هلاكو خان على بغداد التي بها
انقرضت دولة بني العباس وان عادت بعدها الا مسمى بعد مدة قليلة من السنين بظهور
احد ذرية بني العباس في مصر واكرامه بالبيعة الصورية وتسميته خليفة ثم يحجرون
عليه في قصره الرحب بحيث لا يكون له من الامر شيء ويكتب كتابًا يشهد فيه على
نفسه انه فوض الامر الى ذلك السلطان الذي ولاه ويبقى متمتعًا في لذاته التي يعطيها
عليه حسن ظن من سلاطين ذلك الزمان تفهم حتى اعتقدت العامة ان وجود الخليفة

موقوف على شرط النسب العباسي وحده فأراحت هاتيه البدعة الدولة العثمانية عند استيلائها على مصر سنة ٩٢٢ هجرية بفتوى الفقهاء

ومن تاريخ انحصار دولة العرب اي بني العباس في مملكة العراق وخروج الحجاز عنها غالباً الى يومنا هذا هو عصر حدثت الطبقة الرابعة وهي العرب المخضرمون الذين هم سكان جزيرة العرب الى الآن فانهم وان كان اكثرهم من عربية النسب اصالة لكن لغتهم قد خرجت عن اصلها وكذلك طباعهم وعاداتهم لتقيدهم لامم المتغلبين على الدولة التي هي اكثر نفوذاً في ممالك الاسلام فهم وان كانوا عرباً من جهة الانساب لكنهم غير عرب من جهة اللغة والطبائع وبعض الاختلاط في الانساب ولذلك اطلق عليهم اسم المخضرمين وقد ادّانا الكلام على اجمال اوصاف الطبقات الاربعة من العرب الى التكلم عن شيء من حالة التاريخ الجديد للحجاز لكي يسمح تعريف تلك الطبقات على وتيرة واحدة ثم نعود الآن الى ديدننا في التكلم على التاريخ فنقول ان انتهاء التاريخ القديم للعرب كان بظهور الاسلام

فصل

في التاريخ الجديد للحجاز

اعلم انه ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة العرب وسيد الامم قد حدث تاريخ جديد في سائر العالم لا في الحجاز فقط الذي هو مطلع نوره عليه الصلاة والسلام وذلك بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم دينه ولد عام الفيل الذي كانت تؤرخ به العرب وهو العام الذي قدم فيه ملك الحبشة للاستيلاء على مكة ومعه فيلة للحرب تولى كبيرها على عساكرهم وانهزمت الحبشة بدون حرب وكان ذلك من الارهاصات الدالة على البعثة وذلك العام قبل الهجرة بسنة ٥٣ ويوافق ذلك سنة ٥٦٩ ميلادية وقد كان والد النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي قبل ولادته فكفله جده عبد المطلب وارضعته اخواله بنو النجار في المدينة ثم نشأ صلى الله عليه وسلم على كمال الاخلاق واشرفها سجيةً فطر عليها من غير تعليم ولا تأديب حتى انه كان امياً لا يقرأ ولا يكتب على ما هو الغالب في الامة اذ ذاك وكفله عمه ابو طالب بعد وفاة جده فلما استكملت شبوبيته تعاطى التجارة

على وجه المضاربة وهي ان يكون المال لانسان والعمل على الآخر وكان الذي اتجر به
كان لخديجة بنت خويلد احد اعاظم قريش واغنيائها فسافر الى الشام ورجع بربح فائق
على افكاره ثم تزوج السيدة خديجة وقد رغبت فيه لعلو نسبه حيث كان صفوة بني
المطلب وبني هاشم سادات العرب كما تقدم ولكمال حسبه لما رأت من جزيل الارباح
في تجارته مع ما هو عليه من استجماع كافة مكارم الاخلاق ووفرة العقل وجلالة
المهابة حتى كانت قريش يدعونه الامين وينقادون لاشارته ومن ذلك انهم لما اختلفوا
عند تجديدهم بناء الكعبة فيمن يبني الحجر الاسود وهم بالمسجد الحرام وتراضوا على تحكيم
اول داخل فكان هو النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا جميعاً رضينا هو الامين

ومن كمال تدبيره ارضى جميعهم في ذلك حيث اخذ ثوباً ووضع فيه الحجر الاسود
ثم قال لهم لترفع كل طائفة من احدى جهاته ورفعوه جميعاً حتى اذ بلغوا به محله وضعه
فيه هو عليه الصلاة والسلام وهكذا عرف بين الجميع بالصدق والوفاء والنزاهة عن كل
نقيصة فلما بلغ الاربعين من عمره بعثه الله رسولاً بنزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم
مع الملك واقام بعد ذلك بمكة ثلاثة عشر سنة يدعو فيها الناس للايمان بما نزل عليه من
القرآن واقامة الدليل والبرهان واظهار المعجزات الخارقات للعادات من الاخبار بالمغيبات
الماضية كحوادث الامم الماضية مما تحدث فيه احبار اهل الكتاب فجاءهم فيه بما يوافق
الحق والعقل وان خالف اقوالهم جميعاً وكذلك المغيبات الحالية كالاخبار عن بيت
المقدس وتوصيفها توصيف معاين لها مع انه لم يرها قط لأنه في الاسراء الذي هو معجزة
له عليه وآله الصلاة والسلام وكذلك المغيبات المستقبلة كغلب الروم من الفرس وعود
الكرة لهم وانتصار المؤمنين وعزتهم وامتلاكهم مشارق الارض ومغاربها مما جاء كله على
نحو ما قال وهكذا اجابة دعواته وغير ذلك من المعجزات واعظم معجزة انشقاق القمر
التي بينا ثبوتها القطعي في الكلام على مصر وفوق ذلك كله معجزة القرآن الذي هو من
جنس كلامهم ومن النوع الذي فيه محل تفاخرهم واعتنائهم فقد كان يومياً يقص عليهم
القصص ويقيم البراهين على الايمان ويعظ ويرغب ويرهب باساليب شتى ويدعوهم الى
المعارضة بان يأتوا بمثله ويبادي عليهم بالتعجيز مما يزيد في حماستهم في المعارضة ولم يأته واحد
منهم بشيء حتى لجأوا الى انه سحر وغير ذلك من اعذار المعاندين العاجزين كقولهم انه تعاليم
يسطرها الرومي مما رده عليهم القرآن الكريم حيث قال لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
وهذا لسان عربي مبين (الآية) فقد اخطأوا وافتروا ولم يفقهوا ان مناط المعجزة هو اللسان

العربي وهو محض مبادأتهم الى المعارضة وذلك لا يتأتى فيه قولهم لان لسان من زعموه
عجمي وليس هو موضوع التحرير وهذا كاف في دحض باطل الدعوى من كون نسطور
لم تكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم علقة ولا مواصلة ودية لان النبي صلى الله
عليه وسلم قد رآه اثنان من الرهبان قبل النبوة وأما بحيرا فعلى عده من الصحابة
على قول من يرى الصحبة تثبت بالرؤية مع الايمان ولو قبل البعثة وهذا احد الرهبان اوهو
يسمى بحيرا او جرجيس رآه صلى الله عليه وسلم عند اول سفرة له صلى الله عليه وسلم مع
عمه ابي طالب الى الشام وهو ابن اثني عشر سنة وكان الراهب في صومعة له فنزل
حولها الركب فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ورأى بعض العلامات التي استدل عليه
بها قرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتفحص حتى رأى الخاتم وتعرف اخباره من
رفقائه ثم تلطف الى عمه حتى رجعه الى بلده خوفا عليه من اليهود واخبر عمه ورفقاءه
بما يكون له من الشأن والامر (والثاني) من الراهبين هو نسطور الراهب رآه ايضا قبل البعثة
وعند سفره للتجارة الى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة زوجته فلما رآه من الصومعة ايضا
تعرف خبره من الرفقة واخبرهم بما يكون له من الشأن ايضا ولا يعلم ولا ينقل عن
احد لا في الثقات ولا في الموضوعات انه اجتمع بغيرهما في غير ذلك الموضعين الا ما روي
بضعف من انه صلى الله عليه وسلم سافر وهو ابن عشرين سنة الى تجارة ايضا بالشام وفي
صحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وان نسطور اجتمع به اذ ذاك ايضا وحذره ورغبه
في الرجوع عن الشام خوفا عليه من الروم فارسل معه ابو بكر رضي الله عنه غلامه
مصاحبا في الرجوع وهاته الرواية على ما فيها من الضعف ليس فيها شيء زائد عما في
الروايتين السابقتين بالنسبة لامر الراهبين فيا ليت شعري من اين تأتى لبعض المتشدقين
من الافرنج المدعين معرفة التواريخ بان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مودة مع ذلك
الراهب وهو بحيرا وبصحبة بالنصائح وقد علمت مما مر سابقا ما يشترط في حالة تواريخ
ذلك العصر ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد امره الله بالهجرة الى المدينة التي قدر ان
تكون هي مظهر اصلاح هذا العالم الارضي ونجاة اهله في الآخرة وكان اذ ذاك قد فشا
خبر الاسلام والبعثة فتلقاه الانصار اهل المدينة بالبيعة والطاعة وشدت عليه القبائل
بالايمان وبعد اذ ذاك الاذن بامر ربه واحكامه على من عانده بعد اقامة البرهان
والحجة وتمم الله وعده لرسوله وللمؤمنين ففتحت مكة ودخلت في اثرها جميع قبائل
جزيرة العرب ولم يزل الدين ينتشر الى ان عم البسيطة في نحو نصف قرن ثم ان تاريخ

الحجاز لما كان من ذلك الوقت هو تاريخ الامة الاسلامية الى نقل الخلافة منه في خلافة
سيدنا علي ثم عودها اليه في خلافة سيدنا الحسن رضي الله عنهم جميعاً ثم خروجها منه من
ابتداء خلافة سيدنا معاوية والكلام على ذلك كله مبسوط في جميع التواريخ الاسلامية
فلا ثمرة في ذكره الا انه لابد مما ذكرناه هنا طبقاً لقاعدتنا وانا نقول من الخلافة لما انتقلت
عن الحجاز صار على كل من مكة والمدينة والٍ مخصوص من الامراء والي مكة قد تعين
من وقت الفتح واول والٍ بها هو عتاب بن اسيد في سنة ثمان عند الفتح وولي ايضاً
على اقامة الموسم والحج ثم ان بني امية كانوا لا يولون على المدينة الا اقرب الناس واخصهم
لديهم واستمر الامر على ذلك الى حدود سنة ٢٥١ التي استقلت فيها عائلة سادتنا الاشراف
بني الاخيضر وبقيت بايديهم الى ان تسلط عليهم القرامطة سنة ثلاثمائة وسبعة عشر وهؤلاء
القرامطة قوم ظهروا بالبحرين مظهرين الاسلام والتمسك بالسنة وهم اشد كفراً ونفاقاً من
المنافقين فادخلوا في الدين الدسائس ووضعوا الاحاديث وفعلوا من المناكر ما هو غير
مأثور حتى استولوا على مكة والمدينة وحربوا الكعبة وقلعوا الحجر الاسود من موضعه
الى ان رجعه بعد ذلك بنو العباس الذين ظهرت بايديهم الحرمين من اولئك
القرامطة ثم استقل بالحرمين ايضاً السادة الاشراف بنو سليمان بن داود بن الحسن
المثنى وبقي الملك بايديهم من سنة اربع وثلثين وخمسين واستقل بملك الحجاز الهواشم
الذين هم العائلة المستولية الى الآن من سادتنا الاشراف وهم سيدنا مولى الشريف
ابو هاشم محمد العلوي المتولي في السنة المذكورة والمتوفى سنة ٤٨٧ وبقيت في بيته الى
الآن فهم كانوا من ذلك التاريخ مستقلين بالامر والنهي والنصب والعزل وسائر الادارة
الداخلية الا انهم يدينون بالتبعية صورة الى الخلفاء العباسيين والسلاطين الذين تغلبوا
عليهم ببغداد الى انقراض دولتهم فدانوا بالتبعية الى سلاطين مصر ومما كان الحال يختلف
عندهم فتارة تنفرد مكة والمدينة بامير واحد منهم وتارة تستقل كل منهما بامير الى ان
فتح السلطان سليم الاول مصر وقام بها مدة فاستقبله في طريقه وهو راجع الى الاستانة
الشريف المقدس ابو نمي ابن الشريف بركات فاعطاه بيانه على بيعته السلطان فولاه امارة
الحجاز كله بشركة لابيه في حياته واستقلالاً بعد مماته ولم تزل ولله الحمد هاته العائلة
الكريمة الشريفة هي الحاكمة على الحجاز الى الآن وذلك اعظم دليل على ثبوت نسبها لانها
من عهد استقلالها الذي هو كبد القرن الخامس وتوفر جملة معرفة الانساب من الدولة
العباسية التي لم تزل الى ذلك التاريخ ذات صولة وشوكة خصوصاً في يعود الامر المنتسب لذي

يخشى منهُ حتى السلاطين متغلبين عليهم لانهم يخشون من خروج الخلافة الى غير العباسيين الذين هم من شيعتهم واجمعوا الناس بأسمهم ان يتلاشى امرهم تلاشي متبوعهم فلم يقروا لهم بالنسب ويرضوهم بالسكوت عن الجهار لأنما يعلمون من حقيقة نسبهم وثبوته عند الخاص والعام وهكذا بقيت هاته العائلة بارك الله لنا وللمسلمين فيها حاكمة على منبع البعثة أمرَ الله علينا وللمسلمين بوجودهم والقيام بسنة الحق لانهم وحدودهم والامير الحالي هو مولانا همام الشهم عون الرفيق ابن مولانا المقدس المبرور سيدنا مُحمَّد بن عون صلوات الله وسلامهُ على جدهم رسولهِ وعليهم وعلى جميع قومهم

مطلب في السياسة الداخلية للحجاز

اعلم ان مدار الادارة كبيرها وصغيرها كلياتها وجزئياتها قد كان سابقاً منوطاً هو بالامير السيد الشريف وكانت على حسب اصول المراسم الشرعيةُ المتعارفة من قديم مثل تفويض الاحكام الشخصيةُ الى القاضي والمفتي وانفراد الامير بالجلوس الى رفع المظالم واجراء بقيةُ الادارة واستمر على ذلك بعد الخضوع للدولة العلية ايضاً زمناً مديداً من الزمن حتى في امر القوة الحربيةُ فقد كان للامير عساكر خاصون بامارتهِ ليقيم بهم ما تستدعيهِ القوة وقد بقي الى الآن شيءٌ من ذلك حيث ان للامير نحو الحراس او العساكر الخاصة لا يبلغ عددهم المئتين وبعد ما بدى للدولة العليةُ الاحتراس من امر الولاة مدة السلطان محمود الثاني في اواسط القرن الثالث عشر لكثرة مخالفة ولاة الاطراف على ما سيأتي بيانهُ في محلهِ حصل ذلك التغيير ايضاً في الحجاز لكنهُ بأمر هين وهو جعل القوة العسكرية الكبرى خاصة بالدولة العليةُ ان ترسل هي من جهتها عساكر يقيمون هناك وتزيد قوتهم وتقللها على قدر الحاجة ورئيسهم من طرف الدولة ايضاً ليس بمحروم لامتثال امر الامير فيما يراهُ من معاقبة بعض القبائل بل هو على حسب ما يظهر لهُ في الواقعة وعند تخالفهما في الرأي للامير بحران الدولة معاً لما تراهُ وكذلك امر العساكر اي الكرك في المراسي البحريةُ استبدت بهِ الدولة وحدها بمأمورين ترسلهم من طرفها ونشأ عن ذلك في اول الامر قلاقل ومحاربات افضت الى ابدال الامير بغيرهِ من فروع عائلتهِ الكريمة ولم يزل يزداد تدخل الدولة في التصرفات الداخليةُ الى ان جعلت والياً على الحجاز من احد كبار رجال دولتها مشرقيةُ ولايتها مع بقاء سيادة الامير على منصبهِ واعتبار نفوذه وامره

على الاطلاق ولا يخفى ما في وجود آمرين على مأمور واحد في زمن واحد من الاضطراب ونشأ ايضاً عن ذلك الاحتراس ان الدولة صارت تستدعي من يلي سيادة الامير في السن من عائلته ليبقى بتخت السلطنة ويتخلق باخلاق الدولة ويتعرف سياستها الداخلية والخارجية لانه هو ولي عهد الامير فاذا آلت به الولاية كان عالماً باحوال الدولة التي هو خاضع لها وتقلده الدولة مدة اقامته بتخت السلطنة رتبة الوزارة والمشيرية وتجعله عضواً بمجلس شورى الدولة الذي يرجع اليه غالب التدبير في اغلب مصالح الدولة الداخلية هكذا ظاهر الحال وهم المستثنى لو يكون هو الامير والوالي بحيث تحدد له الدولة تصرفاته على نحو بقية ولاتها غير انه ينفرد بكونه من عترة عدم خروج الامارة عنه وعن عائلته ويكون الادارة في امارته تجري على طبق الشريعة المطهرة مع غاية الاحتراس عن البدع التي لا داعي لشيء منها هناك لكنهم اقتصروا على خصوص الفائدة في ابقاء ولي العهد بالتخت لمآرب للدولة ربما احتاجت اليها مع سيادة الامير نسأل الله التوفيق

والجاري الآن هو ان يختص سيادة الامير بالامر والنهي والولاية والعزل في جميع قبائل الاعراب وكذلك الوظائف المتعلقة بالبيت الحرام من امامة وخطابة وغيرها الا انه يعني الى الدولة ما يراه في كبارها لتصدر الاوامر السلطانية على حسب ما ينهيه وعلى نحو من ذلك الوظائف الدينية بخصوص مكة كالفتوى في المذاهب ونقابة الاشراف وما شاكلها واما القاضي فانه يرسل الى مكة قاضٍ والى المدينة المنورة قاضٍ من تخت السلطنة على نحو بقية ولاياتها وكذلك بقية الولايات العربية كلها تتصرف فيها الدولة والحاصل ان الذي استقر عليه الحال الآن هو اختصاص الامير بامر قبائل الاعراب ما لم يستدع الحال محاربتهم وبعض الوظائف في خصوص مكة مما مرجعه الديانة كائمة الصلاة في البيت الحرام من المذاهب الاربعة وهم وان كانوا اربعة الآن لكنهم لم يقع استقرارهم هكذا في زمن واحد بل كان الامر اولاً امام واحد شافعي ثم زيد ثانٍ من المذهب الحنفي ثم آخر من الحنبلي ثم آخر من المالكي في ازمان متباعدة بحسب المناسبات في اتباع ذلك المذهب ونفوذهم لدى الدولة الحاكمة وهكذا الامر في ائمة المسجد النبوي على صاحبه افضل الصلاة والسلام وعلى آله فان الامام المالكي لم ينصب الا في عشرة التسعين من القرن الثالث عشر

واما بقية مدن الحجاز التي هي المدينة المنورة وجدة فاما المدينة المنورة ففيها محافظ وهو كبير العساكر وشيخ الحرم النبوي على صاحبه افضل الصلاة والسلام وقاضي

وكلهم يأتون من تحت السلطنة وفيها مفتٍ وأئمة وخطباء وأمين الحرم مع وظائف أخر صغيرة وهؤلاء الموظفون سيما أصحاب الادارة والحكم تابعون لوالي الحجاز مع بعض امتياز لهم في مخاطبتهم للدولة رأساً

واما جدة فموظفوها مثل موظفي بقية مدن المملكة العثمانية ما عدا المجالس الحكمية القانونية لان الاحكام سيأتي بيانها وانها على خلاف بقية الممالك العثمانية اذ لا مجالس عرفية بها فاجمال الحال ان الادارة السياسية مرجعها هو سيادة الامير مع الوالي اللذان يرجعان جميعاً الى ما تراه الدولة العثمانية

وكليات الادارة الآن هناك ليس فيها مكوس ولا ضرائب ما عدا الكمرك على الواردات البحرية وبعض اعشار على النخيل في القبائل الخاضعة حقيقة وكل هؤلاء القبائل لا يدفعون شيئاً الى الحكومة ولا الى الامير بل ان خضوعهم لدى ذكرناه الى سيادة الامير في الحقيقة هو ظاهري فقط وانما يختلف الحال فيها بحسب الزمان وشدة الطغيان في الانقياد وعدمه وبعض الجهلة ينسب ذلك الى ارادة بعض الامراء من العائلة الشريفة مطالبين ذلك لان بقاءهم في الامارة انما هو لاخضاعهم تلك القبائل فهم لا يريدون ان يكسروا شوكة القبائل بالمرة حتى تجري فيهم الاحكام مثل غيرهم ويدخلون تحت قياد الدولة اذ ربما استغنت اذ ذاك الدولة عن الامراء الاشراف والحق ليس كذلك فان بعض هؤلاء الامراء قد اخضعوا جميع القبائل الى الاحكام حقيقة منذ عهد ليس ببعيد زمن السلطان عبد المجيد وولاية المولى المقدس الامير الشريف عبد الله بن عون بعد ما ساعدته الدولة وعملت برأيه وامدته بالعساكر مثل ما اراد والباعث الحقيقي على اهمالهم هو عدم مساعدة الدولة للامراء على اخضاعهم متعللاً رجالها في الظاهر باحترام هاتيك البقاع الكريمة ومراعاة مجاوريها وسلاطين كل عنصر احترامهم وتعظيمهم لشعائر الدين وتوقيره شنشنة معروفة قديماً وحديثاً وبذلك يوافقون على مثل تلك النصيحة على انها ربما كان باطنها غير ذلك وهو عدم استفادة اولئك الرجال من انقياد تلك القبائل لانهم وان خضعوا حق الخضوع فلا مساغ لضرب شيء من الضرائب عليهم لا سراً ولا جهراً فتكون فائدة خضوعهم راجعة لسيادة الامير وحده من نفاذ احكامه واوامره فيها فيصير اولئك الرجال النصحة اي السلاطين على نحو ما قدمناه مع ان اخضاعهم واجب شرعاً لأمن السبل وحفظ الحجاج من التعدي واقبال تلك القبائل على عمران اراضيهم لانهم الآن زيادة عن عدم دفعهم للدولة ولا للامير حتى اعشار املاكهم فهم يأخذون من الدولة

اموالاً في كل سنة بمجرد محافظتهم على امن السبل ولا يؤخذ منهم شيء من المال قل او جل غير انهُ قد كان في اواسط القرن الماضي عشر رجل من قبيله حرب يسمى الشيخ سعد قد تقوى بدهائهِ على اتحاد جميع قبيلتهِ وعظمت شوكتهُ بانقياد غيرهم من القبائل ايضاً ولم يخضع الى الحكومة قط لأنهُ هذا احد امور ثابت التي اشرنا اليها امن طريق الحاج الى المدينة وعند ما تسافر القوافل اليها يعد جمال كل قافلة ويأخذ على كل جمل نصف ريال اي اثنين قرشاً ونصف ضريبة منهُ على اصحاب الابل وبعد موتهِ وخضوع ابنهِ وانقياد القبائل نوعاً ما انقلبت تلك الضريبة على اصحاب الابل عند ما يكترونها الى الحجاج وليس للدولة غير ما مر ذكرهُ من انواع المداخيل الأ انواع من الضرائب الخفية اكثرها يستفيدهُ افراد من متوظفين لانفسهم مما يؤخذ على حجاج بأسماء سموها كضريبة على تعيين من في البلد من الضحايا وغيرها مما لا يصرح منهُ في الحقيقة الأ النزر اليسير في الجهات التي يذكرون الصرف لاجلها وكل المصاريف اللازمة لكلّ من الحرمين سواء كانت الوظائف المدنيّة و السياسيّة او شعائر المسجدين او اقامة المواسم كلهُ تصرفهُ الدولة من خزينتها وهو مقدار يبلغ نحو مليونين ونصف فرنك لان الاقامة بخصوص شعائر المسجدين الشريفين مبالغ في قلتها ولا اقول على حسب الاستحقاق لان حقها لا يبلغ اليه ولو بذل النفس والنفيس . ومن المعلوم ان الشريعة المطهرة كان منبعها تلك الاماكن المكرمة وقد اجريت فيها الشريعة حق الاجراء واستقر الامن في سائر جزيرة العرب وكانت القوافل تؤدي الى بيت المال الاسلامي ما وجبهُ الشرع على كل مسلم فكيف يغير ذلك الآن حتى يتجرأوا على انتهاك حرم الله بعد الامن بالخيبة والاتيان بما يسود منهُ الوجه يوم القيامة ويبقى منهُ في التدوين الصحيحة مع ان حملها على الاستقامة امر سهل يسير

وما حدث هاتيك الاماكن الشريفة بالخاصة فيها على ادارة تحافظ على السنة وعمل الخلفاء الراشدين الذي هو الامر الوحيد في جلب قلوب سائر المؤمنين من الدولة التي تجري ذلك فضلاً عن خصوص اهالي الحجاز ولا ريب ان ذلك يرفع قدر الدولة وتستغني عن الاحترامات الناشئة عن الدسائس في رمي بعض ذوي الامر بمعاضدة بعض الدول الاجنبية لتطلب الخلافة او الاستقلال نسأل الله اصلاح الحال

مطلب في السياسة الخارجية

اعلم ان الحجاز مرتاح ولله الحمد من امر السياسات الخارجية اذ ليس في داخله ومدنه ما عدى جده وينبع اجانب ولا يدخله الا المسلمون وليس لواحد الادعا بحماية احدى الدول الاجنبية وكل من دخل فهو خاضع لاحكام البلاد ولا ريب ان المسلمين يحجون في كل عام من جميع آفاق الارض وعلى الكثير منهم استيلاء الدول الاجنبية التي يبلغ عددها في هذا الوقت الى ثلاثة عشرة دولة منها القوي ومنها الضعيف ومنها المنصف ومنها المتعسف ومع ذلك كله ليس لهم ادنى تداخل و تكلم فيما يتعلق برعاياهم المسلمين هناك ولله يديم ستره الجميل نعم ان جده يوجد بها قناصل كثيرون للدول الاجنبية الذين لهم عناية او علاقة بالمشرق وهم تجار اروح في تلك المرسى وكذلك بعض الدول الاجنبية الذين ليس لهم هناك شيء يذكر تجد لكثير منهم قناصل يستولون تلك الوظيفة برغبة منهم للدولة الموظفة بمجرد فخر لهم من غير داع ولا مرتب وعلى كل حال فسياسة او مثل القناصل متعلقة بالدولة العثمانية اما بواسطة واليها هناك او بواسطة سفرائهم في تحت السلطنة فالسياسة الخارجية حينئذ في خصوص جده تابعة سياسة الدولة العثمانية التي سيأتي الكلام عليها في محله ان شاء الله تعالى

مطلب في عوائد وصفات الاهالي

اعلم ان البلدين الاكرمين سكانهما الآن غالبهم من غير العرب الاصليين فان المدينة لا يوجد بها الا العائلة الشريفة حقيقة من العرب وقد كنت رأيت رجلاً واحداً من ذرية العباسيين مجاً في ضريح عمهم سيدنا حمزة ولم يبق من الانصار هناك الا بقية عائلة واحدة وبقية سكانها كلهم من الآفاق واكثرهم مغاربة واما مكة فلا يوجد بها من العرب المحققين الا عائلة السادة الاشراف وعائلة الشيبي والبقية كلهم من الآفاق واكثرهم هنود ولا يخفى ان العوائد والصفات تغلب على السكان باعتبار اصلهم غير انه لا بد ان تحدث فيهم تغيرات تناسب حالة السكان الاصليين فأخلاق هذين البلدين على الاجمال مناسبة لاخلاق العرب غير ان اهالي مكة تعتري اخلاقهم الحدة بخلاف اهالي المدينة فانهم لينو الاخلاق كرام الطباع ويغلب على الجميع الحشمة والحياء وسلامهم بالمصافحة او الاشارة باليد ويقفون لكل داخل ولو تكرر دخوله واهالي المدينة اشد حرية في الطباع

وعدم الشدة والتمكن في اخلاق الرجولية وحيث انهم يكونون حسن ويسافرون في الجهة ركوبًا على الهجين من غير تحوط مع السير حيث مع التمكن في معرفة الرماية والفروسية ولكل منهم سلاح مستوفٍ . واما الملاهي فلا يلتفتون اليها ولا وجود لها كما هو الواجب سيما في تلك الاماكن نعم قد وجد من بعض الوافدين تساهل وتجري على استعمال الخمر وآلات السماع سرًا وكاد ان يكون من بعضهم جهرًا سببه من بعض اخلاق العساكر والمتوظفين الذين لا يخافون الله ومن معلوم ان الفساد ملازم لفتح الشر فيسرع فيه التقليد لكنهم مع ذلك لا يزال الامر بحمد الله مستورًا فلا تجد عارم متجاهرًا بها ولا ترى حانة خمار او دارًا معينة للفسوق وان وجد شيء فما يكون في بيت صاحبه في الستر . وعلى قريب من هذا حتى هالي جدة . واما بقية العرب فهم على اخلاق بقية السكان من قبائل العرب الذين لم يبق فيهم من الاخلاق العربية التي قال فيها صلى الله عليه وسلم (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) الا القليل وعادتهم التسحر بالنساء وهجوم القوي على الضعيف فلا تجد الامن مستقرًا الا قليلًا لانهم في نهب [illegible] وتوقير الصغير الى الكبير فاذا جهل الرجل منهم [illegible] ومنهم يده على ذمته كناية عن حفظ ذمة المستجير به فانه يوفي بعهده ولو [illegible] حرب [illegible] وقبائلهم هذه بقية ما يمكن ان يذكر من الصفات الحميدة مع اكرام الضيف وتقديم الطعام . واما بقية الاخلاق السابقة العربية فكادت ان لا يوجد منها شيء كجودة القريحة والدهاء في الامور ومعرفة احوال العالم فمن عجب ما شاهدته من البلادة في بعضهم انه كان احد الجمالين مصاحبًا لفرقة في طريق مدينة منورة على صاحبها افضل الصلاة والسلام وعلى آله وهو كهل يحسب شيئًا في حساب يسير فقال له الطالب سبعة وعشرون مع سبع كم هو فقال له اكمل جبة فاعاد عليه السؤال فاجابه بالجواب الاول ثم اعاد ذلك ثانيًا ايضًا فحسب حسبة انتهت في سبعة وعشرين فقال له صاحبه هيه ايضًا واصطلحوا على ان ذلك هو الحساب وعلى ذلك فقس ولا تكاد تجد من عامتهم من يتصنع للحصافة في البديهيات ومما خصهم بعض من الآداب التي بقيه بها الضروريات غير من حفظ حريم والبنات من عصورهن فانهم فيه مسامحة كثيرة بحيث لا يمكن ان يرى الرائي مرأة وهي سافرة وما صدر منهن على حد في تحذر فقد كان رئيس الجمالين في قافلتنا استصحب معه عياله من مكة الى بلد الحديدة وكان مردفًا لها على جمل له فكانت من ساعة ظهورها الى ساعة دخولها بيتها التي في مدة تنيف عن ستة ايام وهي ملتفعة

بعباءة تحيبة من الصوف سوداء لا يظهر منها مقدار ظفر ولو من اصابع رجليها فضلاً عن يديها او وجهها ليلاً ونهاراً لا تفترق حوبة المعير وعلى هذا النمط النسوة في المدن ثم أن نساء البادية بمرة فقط ومن مكة فكان بعض نسائها يخرجن لاداء مناسك الحج لكنهنّ في غاية التستر بحيث لا يظهر منهنّ شيء وعددهنّ في الجميع ان لا يخرجن الا ليلاً مع شدة التستر بخمار ولحاف وان يخرجن خروجاً نادراً فلا يمررن بالاسواق ولا بالطرقات الكثيرة المرور ويوجد قسم منهم يسكن في عوالي المدينة في خارجها بقرب من منشيه يسمون بحاولة وهم قبيلة اصلها من قوم قد تعرفوا في الشرق الارض وهم في كل قطر مستقلون بانفسهم لا يدخلهم احدٌ ولا يخالطون الناس الا في ضرورة البيع والشراء ولهم في كل مصر لقب بحسب عرف اهله فيقال لهم في بلاد الترك شكاكة وفي تونس حمارية ويشتغلون في كل جهة بالصنائع الخسيسة مثل صلاح اواني النحاس وصنائع الحبال وقد اتخذوا في جهة المدينة صنعة خسيسة ويتمذهبون بمذهب الشيعة على دعواهم ويستخفون بالحجاج ... بعض حجاج الفرس من يرى مذهبهم يأوي الى بيوتهم ... ومن الحجاج نفسه وامرهم في ذلك ... وليس عليه كبير ولا امر لله الذي اليه المصير

مطلب في التجارة بالحجاز

عرفت بلدة جدة في مرسى تجارية عظيمة لانها مركز للصنائع الهندية وغيرها من البضائع في الاقطار الشرقية ومنها يرسل لمكة وبقية الاسلامية التي تجارها مسلمون وكذلك لكثير من البلاد الاوربية كالصنائع الاوربية والبضائع العربية من بلاد فلسطين وكذلك بلاد الترك ومصر والشام يأتي بها الى جدة وترسل الى الهند وغيره من الاقطار الشرقية فلذلك كانت جدة مرسى تجارية كبرى فضلاً عما يدخل منها الى جزيرة العرب على طريق البر سواء كان للحجاز او لغيره من بقية الاقطار ومركز تجارة جزيرة العرب في مكة المشرفة فيأتيها البضائع من جدة وتوزع منها على القوافل الى سائر جهات جزيرة العرب الا ما قرب من جزيرة الى جهات اليمن التي لها مراسي تجارية مثل الحديدة وقليل ما هي فكانت مكة حينئذ في معتبرة محور العرب وتجارها معتبرون فيها اغنياء هنود وماجدة تجارها من جنس مخصوص وفي اسواق كل من هذين البلدين تقسيم حسنة مخصوص لكل

صنف من التجار جهة مخصوصة وتجارتهم غير حدًّ واما المدينة المنورة فالتجارة فيها مقصورة على اهلها غالباً فيؤتى اليها بالبضائع المحتاج اليها فيها وتباع لاهلها والقبائل تحمل البضائع على قوافلهم الى مراكز القبائل والى جهات جزيرة العرب مع الامان على البضائع التي يحملونها فالقافلة لها رئيس يكون ذا مروة وله كعدل اعيانه في الجهات التي يذهب اليها ويحمل منها فيسلم اليه البضائع والمكاتيب الرسمية ويسلمها اماناً الى اصحابها وان حصل ضياع لشيء منها ولو تعدي بعض القبائل بالاغارة فكفلاؤه يؤدون لاصحاب البضائع جميع ما يضيع لهم ومن اهم انواع التجارة التجارة في المأكولات من الحبوب كالقمح والشعير وقد علمت ان البريد موكول الى هولاء القوافل التجارية فامره غير منتظم كما انه غير محتاج اليه في اغلب تلك الجهات غير انه يوجد بين مكة وجدة بريداً منتظماً يومياً صباحاً ومساء يحمل على الحمير السارة فيصل في نحو ست ساعات كما انه يوجد في مكة مركز للتلغراف اي السلك الكهربائي ويصل الى جدة ومنها يتصل بجميع العالم كما انه يوجد بريد منتظم في كل شهر مرة بين مكة والمدينة لأن يكون امراً مستعجلاً فيرسل مع سيار مخصوص وهذا البريد كله ما عدا اصحاب القوافل مرتب من الحكومة والمباشرون له من قبائل الاعراب الساكنون في اماكن مروره وفي كل سنة في موسم الحج تروج التجارة في مكة لان اغلب الحجاج يشترون منها البضائع التي لا تعمل في بلادهم تماماً على وجه التجارة فيها وهو القليل او على وجه الاهداء الى اقاربهم واحبائهم وكذلك تروج التجارة بالمدينة المنورة لان سكانها يأتيهم في ذلك الوقت وارد الذي اماناً من اموالهم في بلادهم او من اهدائها التي ترسل من الآفاق او من الاوقاف او الارصدات المعينة لذلك في بعض الجهات وهاتيك الجهات هي ادوية العثمانية وهي الوكيل في ذلك لانها ترسل في كل عام للقيام بشعائر الحرمين الشريفين ولمرتبات مجاوريه واهل الوظائف ما يبلغ مقداره سنوياً نحو المائة الف ليرة اي مليونين ونصف فرنك وكذلك الحكومة المصرية ترسل كل عام احدى وعشرين الف اردب من القمح مع اموال عينا يبلغ مقدار جميعها الى نحو العشرين الف ليرة اي نحو خمسمائة الف فرنك فضلاً عن قيامها بمدرستين في كل من مغاني احدى الحرمين ولها اوقاف مخصوصة بمصر يرسل منها قدر كسوة القائمين هناك في كل عام وكذلك القطر التونسي يرسل من اوقافه المعينة على الحرمين الفين ليرة في كل سنة لكل حرم الف اي خمسة وعشرين الف فرنك فاهالي المدينة اذا فرقت عليهم تلك الاموال يدفعون منها ما كان عليهم من ديون ترتبت عليهم في ضروريات اشتروها

نسبته ثم يشترون كفايتهم للسنة القابلة اكلاً ولبساً وان فضل شيء بعد ذلك ادخروه لبقية السنة فبذلك يحصل في ذلك الوقت رواج للتجارة وهذا بالنسبة لغير ذوي الثروة منهم اما هولاء فهم على نسق غيرهم من ذوي الثروة وكذلك بعض قبائل الاعراب المقيمين بين الحرمين لهم نصيب مما ترسله الدولة والحكومة المصرية فيحصل منهم ايضاً رواج في التجارة بما يشترونه من ضرورياتهم والحاصل ان التجارة المعتبرة مركزها هو جدة ادامها الله بلد اسلام

مطلب في الصنائع

لا يخفى ان الصنائع شعبة من شعب التمدن فتتكاثر وتقل على حسب ما في المكان التي هي به من التمدن وحيث تطاول زمن بعد الخلافة عن الحجاز وتكاثر بعد عهدها فيه الهرج وقل العمران وتغيرت طباع العرب السكان على حسب ما اشرنا اليه فلم يبق الآن بالحجاز الا الصنائع الضرورية وبعض الحاجية فاما الفلاحة فكادت ان تنعدم لما ان صار اهل الحجاز عيالاً في قوتهم جميعه على ما يرد اليهم من خارج بلادهم لأن ما تدر والمسافر في تلك الاقطار لا يرى من الزراعة الا زرع يسير حول بعض البلدان لا يسد من عوز مع ان عشر ما حول المدينة وحدها قد كان في خلافة سيدنا عمر يبلغ الى اربعمائة الف اردب من الشعير وحده فضلاً عن بقية الحبوب ولو جمع الآن حاصل جميع ما بالحجاز لما بلغ الى عشر المشار اليه من ذلك المقدار وعلى نسبة من ذلك امر زراعة الاشجار فانه يوجد بالطائف بساتين بها كثير من انواع الشجر الليمون والرمان والعنب وغيرها من الفواكه المتعارفة كثيراً وغير هذه البلد لا يوجد بها الا بعض شجيرات من تلك الانواع لا تستحق الذكر وان كان حول المدينة بعض من البساتين لكنها ليست على ما ينبغي الا النخيل فيوجد منها كثيراً كما يوجد بجهات اخرى حول المدن والقرى وفيه انواع كثيرة جداً من انواع التمر منها الحسن للغاية ومنها دون ذلك وفيه بعض تجارة سيما في موسم الحج لشراء الزائرين للتمر وحمله الى اوطانهم كل على قدر سعة حاله تبركاً بذلك واما البقول فكادت ان لا يوجد منها الا النادر كالبصل وما شاكله من البقول المتعارفة الشهيرة وكذلك الازهار واما بقية الصنائع فيوجد منها البناية والخياطة والنجارة وبعض صنائع اخرى من الحاجيات كالسروج وحوايا الابل وغيرها مما يحتاج

اليه آكداً من غير تحسين والسبب في هذا الانحطاط في كل من الزراعة وقلة الصنائع
هو اعتماد السكان [illegible] على [illegible] والحرب [illegible] من الدولة والاوقاف ويعوّل
الاعراب على مثل ذلك ايضاً لان [illegible] جميع ما يلزم من مال وحبوب
للقوت ليقوموا بحفظ الطرق ومنع [illegible] عن الناس [illegible] الا [illegible]
حينئذ [illegible] تلك [illegible] عن ذلك [illegible] الاعراب بقطع الطرق وتعديهم
على قوافل الحجاج [illegible] متوحشين [illegible]
هم [illegible] في توزيع ذلك [illegible] في تنقيص شيء [illegible] الاعراب من مرتباتهم
[illegible] في الارض [illegible] حتى ان المدينة
[illegible] على [illegible] كبير [illegible] محصورة [illegible]
[illegible] القوت
والحبوب [illegible] الاعراب [illegible] كان هذا
حال المدينة [illegible] لا يزرع [illegible] الا
[illegible] وفيها
عيون كثيرة [illegible] في عصر الخلافة [illegible] وقد شاهدت في كل
من [illegible] الحمراء والجديدة عيناً [illegible] عرضها [illegible] من ذراع [illegible]
[illegible] في غابة المدينة [illegible] في [illegible]
برد [illegible] لا [illegible]
يسيح الى الارض [illegible] وقد ذكر في [illegible]
[illegible] كثيرة [illegible] ذلك [illegible]
سوى [illegible] وكذلك [illegible] الى قرب المدينة [illegible] كلها ذات اشجار
مثمرة وغير مثمرة صالحة لاجود الاخشاب [illegible] ولا ينتفع اهالي البلاد
[illegible]
[illegible] الامن والجبل [illegible] لقطع [illegible] الاراضي
[illegible] فقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه حمى
في وادي نقرى [illegible] ترعى فيها ثم زاد [illegible]
[illegible]
[illegible]

ومن تجرأ على [illegible] عوقب وتنفذ الشريعة حتى [illegible] لأذى السكان على العمران
وكفى الله المؤمنين [illegible] التعب وما الله بغافل عما يعملون

مطلب في المعارف

من البديهي ان [illegible] ذكرناه في [illegible] من جهة [illegible] والمكة هو اساس ايضاً
في المعارف [illegible] لان [illegible] على [illegible] من [illegible] يوجد [illegible] هو محصور
ومقصور على خصوص المدرسين المكرمين [illegible] في كل [illegible] بعض دروس في [illegible]
[illegible] في بعض العلوم العربية وبعض [illegible] يوجد من [illegible] دروس نحو
والمعاني ومن المقاصد بعض دروس في التفسير والحديث والفقه على خلاف [illegible]
يكن يوجد بمكة من المدرسين المكرمين [illegible] في [illegible] اخرى ثم [illegible]
لآن هناك لا [illegible] من بعض [illegible] من العلماء الذين من
لا يقدر على [illegible] خصوصية غير [illegible] ولا مفيدة العموم وفي هذه المدة الاخيرة أنشأ
بعض [illegible] كتاب [illegible]
الحق مدرسة بمكة [illegible] من العلماء [illegible] بعض
دروس في [illegible] وبعض علوم اخرى [illegible] ايضاً
وما ذكرناه مع السكان لاسيما العرب [illegible] الجهل [illegible] الاخلاق
غير ان لطف الله خفف بما حدث منذ مدة قريبة من انتشار طريقة [illegible] الذي
[illegible] ذكرناه [illegible] من [illegible] لان [illegible] كان المستقر بمكة المشرفة
و[illegible] في [illegible] طريقة [illegible] في قبائل اولئك الاعراب حتى
كادت ان لا [illegible] وبذلك [illegible] طريق [illegible] في [illegible]
من [illegible] الاسلامية [illegible] وقد [illegible] في هؤلاء
شيء من صلاح [illegible] عن [illegible] لاجل [illegible]
فيا اسفا على [illegible] وصيرورتها في [illegible] ولولا وجود [illegible]
من طلاب الدولة [illegible] لاحد [illegible] من [illegible]
[illegible] على الطريقة القديمة لكن [illegible] على طريقة [illegible]
العلم حقيقة فانهم [illegible] في علاج الامراض ولولا هؤلاء [illegible] في البلد التي

يفترض على عموم الامة تعميرها فان ابا حنيفة وغيره من الائمة يقولون بحرمة سكنى البلاد التي لا طبيب بها وكل من المدينة المنورة ومكة المشرفة يفترض حمايتها فكيف يسوغ اهمالها بأمر المعارف واهلها حتى تخلو من طبيب لولا أولئك وانما قلت في اطباء المدن انهم عاملون بالطب على الطريقة الطبية احترازًا من المدخلين ممن يدعي هذا العلم مع جهله المطبق به المتكاثر ظهورهم بالبلدان التي لا تنتبه حكوماتها لمنعهم من ذلك التدجيل لانهم يضرون بعملهم وقد شاهدت ذلك في نفس مكة عيانًا حيث كنت مريضًا بابهام رجلي اليمنى حيث انقلب الظفر تدريجًا وغاص في اللحم و شتد امره حتى كاد يمنعني عن المشي وكان حصل لي مثل ذلك واما باريس فجيء لي بطبيب خاص بذلك النوع من الامراض وعالجني برفع الظفر بآلات وكيفية في عملها لم يحصل لي منها شدة ألم وجعل تحت ظفري ورقة من الرصاص صغيرة لكيلا يغوص ثانيًا وقطع الظفر الى محل التصاقه باللحم وعافاني الله بسبب ذلك منه كنت نسيته وعاودني مثل ما وقع سابقًا وذكرت لبعض الحاضرين عندي ما كان وقع اخبرني انه يوجد حكيم يعمل مثل ذلك فجيء به لي وكنت عازمًا منه لكي رايت معه آلات للقطع وغيره كثيرة متقنة وابتدأ في العمل من غير كثرة ألم فطلبت انه عن علم فلم يصل لأن قطع الظفر نكى عنه ألم كدت معه ان لا استطيع المشي لولا لطف الله لانه اراد الزيادة في القطع بعد ذلك فامتنعت لانه ليس له من العلم شيء سوى كونه حلاقًا تعلمًا تعوّد على قصد بعض الناس فامثال هذا يمنعون شرعًا عن مباشرة اعمالهم

وكل البلاد اذا افتخرت وصوح نبتها رعى الهشيم

فاذا خلت البلاد عن حكماء عارفين بعلم الطب يضطر الناس الى هؤلاء الدخالين والحق ان امر المعارف مع كونه وجب في كل صقع وبلاد فهو في الحرمين اشد تاكيدًا وانا لله وانا اليه راجعون

مطلب في الاحكام

قد علمت مما مرّ في مبحث السياسة الداخلية الاصول التي تجري عليها الاحكام وحاصلها ان سيادة الشريف امير الحجاز هو مرجع الحكم في قضايا الوقائع التي تقع بين القبائل وهو ايضًا مرجع الشكايا من مظالمهم فيحضر رؤساءهم ومشايخهم ويأمرهم بما يراه

ويبعد الحكم في احكامهم بحسب اجتهادهم هكذا الاصل ولكنهم الآن مستبدون بامورهم
كل قبيلة لا تخضع لأمر مشايخها ورؤسائها كما ذكر في زمن الثورة وكل يحكم باجتهاده
واستبداده ولو في القصاص في الانفس وقد تعدت فيه على أخرى كان الامر لمن هو
اقوى فطاعتهم الآن لسيادة الامير انما هي ظاهرية وهو لن يستطيع على اخضاعهم ولو
بدون عساكر الدولة بل من ينضم اليه من قبائل المتمدنين لكنه لا يقدر على تبعيد ذلك
الامر في احوال السياسة الداخلية كما يرجع الى سيادة الامير فصل الخصام في اهل مكة
والوالي هو الذي يجلس لفصل الخصام فيما يقع بين العسكر في مكة ايضاً ومحاكم
مشتركة بين الامير والوالي لكن الوالي يعين ... جدة والمدينة المنورة يجلس
فيها الضابط في مثل ما ذكرناه وفي كل بلد حاكم ... يجري ما ذكر ايضاً في
المسائل الخفيفة والمسائل الثقيلة ترفع الى ... مكة او الى سيادة الشريف الامير
والقبائل كلها مشايخهم هم مرجع الحكم في سائر القضايا ثم ان كلا من ... الاكرمين
بها ... هو مرجع الحكم في كافة الامور ... يجرى ... الشريعة وفي كل من
البلدان ... حتى يستوجبه ... في ... لكن ...
فتواه بل لا يجري لأمر ... كان ... ولا يجمع ... الأ لاوامر
باب مشيخة الاسلام في تحت ... الى ... ولا يخفى ما في
ذلك من المشقة بعد المشقة كما يوجد في كل من ... الاكرمين ... له ... امر
المعاشات وقيم البيوتات وعش ... وحسب ... ويحكم في ذلك كله
بما يراه من الاجتهاد ولو ... كما يوجد ... على بعض المذاهب
الاخر يرجع اليهم اهالي ذلك ... في الاحوال الشخصية ويقومون بحسب مذاهبهم
وهؤلاء مفتيون كلهم يتولون ... من الدولة العثمانية

واما بقية البلدان ... من ... وغيرها من البلاد ... عن
القاضي بمعية قاضي مكة لاجراء الاحكام الشرعية في ... وهيئة لادارات
والاحكام ترجع الى ... او شيخ وهو الذي يحكم بما يريد والحاصل ان دائرة الاحكام
بالحجاز لا زالت ... الآن ... من ... محاكم للاحكام
العرفية وغيرها من القوانين ... العثمانية لان ... الامر يجري حقيقة على
المنهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون كيف وهو مركز ظهور الشريعة و ... العدل
وتأسيس التمدن الحقيقي الصالح لاستقامة الدين والآخرة والامر لله وحده لا رب سواه

مطلب في هيئة المساكن

المساكن بالحجاز تختلف بين حالة المدن وحالة القرى فاما المدن فالديار بها في شبيهة بالنوع الذي ذكرناه في مصر غير انها في مكة تكثر طبقاتها حتى انها ربما بلغت الى الست طبقات كل منها مسكن النوم لا يحتاج الى غيره في السكنى والطابقة الارضية لا يبقى بها للسكنى وانما هي للمرافق وخزن الرحل بخلاف المدينة المنورة فان دورها كل منها ساحة رحبة يسكن فيها في الصيف لانها ابرد من العلوية غير ان المبيت بكل منها يكون على في الصيف في السطوح التي يجعل لها حرم كاف لوقاية السكان من السقوط والابنية كلها لا تخلو من ... في بعض الديار الحسنة لاهل الثروة فانها تجصص وتبيض حيطانها وتدهن سقوفها اي تحلى من غير ... وتجعل عليها من اسفل الواح لاصقة منظمة ويعلق بينها ... وما بنية ... وسائر الابنية فان الحيطان يسد فيها ما بين الاحجار حتى انه ... اركب من الجير والطين ثم تبيض بماء الجير والسقوف تكون من عيدان ... مكسوة ... وفوقها حصير من نوع الحلفا وفوقه التراب وليس في حجرات ... ولا غيرها من الارض تكون ... عليها الحصير او زرابي (الابسطة) لا المدينة المنورة فان الطبقة الارضية مبلطة بنوع من الاحجار الشبيهة بالرخام ... في كل غير ... ودرا وديار مكة لا سيما المعدة للاجرة كل طبقة منها لا يوجد بها مطبخ وانما يطبخ اهلها باحدى حجراتها بالفحم او الحطب ... لا ... في الشتاء و... في الصيف الا يسخنون ... للاستعمال ... لا يوجد في كل من مكة والمدينة لا حمامات بكل منها لان السكان يغتسلون في ديارهم ... المدن ليس بها حمامات ومفروشات الديار على النحو الذي هو جار بمصر وغيرها من ... بالمفروشات التركية والاوروباوية ومن غريب صنعتهم غلق ... الابواب فان المفاتيح نحو عود مستطيل في آخره اسنان تدخل في ... في الغلاق وترفع الى فوق ويجذب الغلاق بعجلة اذ ذاك فينفتح ولا ريب انه سهل السرقة اذ تصنع مفاتيح على ذلك النحو بيسر لكن الامر الفصيح هو ان تلك ... على شكل الصليب وقد رأيت على باب الحجرة النبوية معلاقا من تلك المعاليق وهو من ذهب تغشى من رؤيته الجلود وقد خاطبت من يقتدر على تغييره فعلل بان ذلك لا يخطر على فكر احد من الاهالي لجهلهم الصليب وبقي الحال على ما هو ولله الامر

هذه في المدن وما في غيرها من البلاد الاخرى فكل دار مؤلفة من طبقة واحدة لأن الدور
من طبقتين وهي في الحقيقة بيوت لا دور و[illegible] بين الدار والبيت ان الدار هي المسكن
الذي يشتمل على جميع المرافق [illegible] والبيوت حجر وفي وسطها فسحة تكون في وسطها
عالياً مكشوفة الى السماء وما البيت فهي حجرة مثل ما ذكر غير انها لا فسحة لها مكشوفة
على السماء التي فيها ابواب الحجرات وهذا هو الفرق اللغوي وان كان الاستعمال
يختلف بحسب الاصطلاح في [illegible] ومصر [illegible] يطلقون على المكان بيوت وتونس
والمغرب يطلقون على المكان دار وهذه البيوت في القرى الحجازية مصلحة عالياً ولا
يجعل لها [illegible] على السقوفات وليس لها فسحة مكشوفة [illegible] لاجل ان يجعل الحجرات
ملاصقة للحدود وتقرب السقوف [illegible] من [illegible] لانهم يمددون [illegible] كما
تقدم سابقاً فتلك البيوت شبيهة بالقبور ولا [illegible] لأن الدور ما عدا سطوحها
التي هي على نحو سطوح [illegible] من [illegible] في [illegible] فيها كلا تخترقها الامطار فتكاد هاته
القرى ان لا تبين للمارين [illegible] في مرتفعات الجبال للبعد
فانها لا تكاد تبين والحاصل ان الابنية على العموم [illegible] كمسة نقية الصانع التي
مرّ ذكرها في مطلبها غير انه يوجد في صناعة النجارة اتقان للرواشن وبعض الابواب
والشبابيك على العموم في [illegible] الحجرات وغيرها لا يوجد بها زجاج يمنع
دخول الريح لأن الدور في [illegible] ترى البيوت معروشة
[illegible] في الحقيقة غير مستعدين للوقاية لأهل
المدينة [illegible] يمنى ويسرى
مرتفعة الارض عن الوسط الذي [illegible] وسقفه مكشوف الى السماء يحدث
منه الهواء [illegible] ويكون [illegible] وربما [illegible] ذلك الحوض ويحبس [illegible] باحدى الحجرتين
التي يجعل بها [illegible] وكل [illegible] منطه [illegible] كما ذكر سابقاً وذلك
مناسب للعدة على خلاف [illegible] مكة وغيرهم فانه ليس لهم مثل ذلك واما الطرقات على
العموم [illegible] وغيرها فهي ضيقة ليس لها تحسين ولا اضاءة [illegible] لانها تكنس في
المدن فهي نظيفة واغلبها ضيق حتى يكاد [illegible] لا يمشي بعضها الأ انسان واحد مع ان
اصل الشريعة على خلاف ذلك [illegible] سيدنا عمر رضي الله عنه لما استشير في بناء بلد
للصحابة والجيش بعد فتح الفرس لما استوخموا ارض فارس امرهم باختيار ارض تشبه
ارض العرب فاختاروا الكوفة فامرهم [illegible] بها وان تكون دورها لا تجاوز الطبقتين

وان تكون طرقها العامة كل منها ثلاثة عشر ذراعاً والطرق الخاصة سبعة اذرع عرضاً والمحجات التي تكون امام المسجد ستون ذراعاً في مثلها وهذا هو الاصل الذي يستند اليه مذهب الحنفي في ذلك وانظر كيف كانت حالة المدن في صدر الاسلام ويؤيد هذا ان بيرحا التي هي امام المسجد كان لابي طلحة الانصاري رضي الله عنه قد كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم خارج المسجد النبوي كما هو مذكور في صحيح البخاري رضي الله عنه وهي هي الآن من المسجد النبوي داخلة لان ابنية ودور وطرقات واسوار وغير ذلك بما يعلو ويقع من هدم التنظيم بحسب الشريعة بكثرة التقدم ومصالح الناس حقيقة فليس توسيع الطرق وتنظيمها من تقليد الافرنج كما يدعيه الجهلاء بل هو من شريعتنا التي توصي بالصحة ان ذلك منها وحيث كانت الطرق على نحو ما مر ذكره يكثر فيها الوحل زمن المطر عليه بسور يؤخذ من قبل الحكومة وليس من القصدير والزجاج تعلق في الحيطان وسقوف الاسواق لان كل صناعة لها سوق يخصها وبعض هاته الاسواق من اكثرها مسقوف بالالواح على نحو ما ذكر في اسواق تونس وحوانيت هيئتها ايضاً على ذلك النحو وليس لمدينة حمام ولا محلات خاصة والبول بوسطها في الطريق نفسه الى حد انها شبيهة بمكة ومصر وقد انحرفت حارات المدينة فهي على طبيعتها الاصلية واما الطرق بين مكة والمدينة فصالحة لمشي العجلات ويمر فيها المدافع الآن وهي مثل العجلات وكذلك الطريق بين جدة ومكة فليت شعري اي مانع لاستعمال العجلات في المواصلات وفي ذلك الاثر وجدة وبين الحجاز بمكة ودلوا انه ليس بها غيرها ورأيت بالمدينة عربة قيل انها لركوب بعض الرؤساء في المدينة وبعض عجلات لحمل المسيح ملقاة في الطريق وكان امر الامن هو الاساس

مطلب في اللبس وبقية العادات

اما اللبس الرسمي فهو كالبس الدولة العلية الذي تقدم مثله في مصر وكذلك لبس الرجال هو مثل لبس اهل مصر والاعيان يلبسون جبة واسعة الاكمام كعلماء مصر لانها فارقة مرتفعة خصوصاً للسادة الاشراف ويجعلون على رؤوسهم كوفية مطرزة بالحرير على اشكال حسنة بديعة تكون مكورة في الوسط وعليها عمامة مكورة عظيمة يشدونها شداً محكماً جميلاً وهي ... واما الاشراف في القبائل فيجعلون على رؤوسهم

مسدلاً من الحرير ملوناً وعليه عوض العمامة عقال من وبر الابل مقصب بخيوط الفضة
المذهبة ولكل واحد منهم مطلقاً في البلدان او القبائل خنجر معقوف في حزامه في وسطه
من امام وكانها في علامة الشرف مع بعضهم عباءة عجمية و عراقية مقصبة بالذهب
ونحوه في هذا سائر الاعيان من الحضر وغيرهم يلبسون عادة عمامة على قميص ويمنطقون
على القميص بمنديل او غيره وكثير منهم يعلق على جنبه خنجراً والكل يلبسون في
الارجل النعال الحجازية ذات الشراكات التي تدخل بين الاصابع وتختلف جودتها ورداءتها
على حسب ثروة اللابس وربما تدثر بعض اهل البلد بالجبة ذات الفروة المعروفة
بالكرك ويلبس نساؤهم سراويل من نسيج الحرير او مقصب بالذهب بحيث انهن
يتنافسن في صنعه على حسب الثروة والمكنة ويرتدين الاقمصة وفوق السروال فيما ذكر
مثال يشق صدره ويلبس ذو كمام ضيقة لا تسع مرفقين وفوق الجميع نحو عباءة من
المنسوجات الخفيفة مشقوقة الى المرفق من اعلى الاكمام واسعة جداً حتى تكاد تغطي اصابع
الكف وان كان لها ثقوب في محل الاكمام تخرج منها الايدي وعلى رؤوسهن نحو المنديل
من منسوجات خفيفة يحيطون طرفها بشريط مكة محشو بفضة او حرير على حسب
الاحوال ولهن [illegible] من نوع الشاش موشاة [illegible]
على ذلك حفاة [illegible] الاصابع [illegible] ذي الكم ستر الاصابع وخمار
مسدول الى السرة مثقوب حذاء العينين ويلبسن ايضاً [illegible] وعلو كعبها . ومن الاكل
فانهم يعدون له على الارض ويوضع على [illegible] وهو مثل ما تقدم في الاكل عن مصر
غير انه اكثر اداماً من السمن واكثر بهرة [illegible] الاعراب اكثر كلامهم الارز مع العدس ولا
يأكل الجميع لحم البقر الا نادراً بحيث يستغربه الاعراب [illegible] ويكسبون الجبن بكثرة
ويبخرون الماء بالمسطكي وعود الترمس ثم يجمعونه في اواني ويعلقونه في مهب الريح
لاكتساب البرودة

واما المواكب فاعظمها موكب الحج وقد تقدم الكلام عليه ولاهل مكة موكب
يسمى الرجبية يسافر به ذوو اليسار في زيارة النبي عليه وعلى آله افضل الصلاة وازكى
السلام ويحصل من ذلك في المدينة المنورة موكب حافل في رجب ولكثرة اسراف اهل
مكة في حجهم والتباهي بينهم بما يفعلونه فيه يضطر بعضهم الى تأخير فرضه الى ان يبلغ
سن الشيخوخة خشية المعرة من كونه لم يفعل تلك العادات الاسرافية في الرحل
والمركب والخيام ونحو ذلك واما الاعراس فهي اقرب عندهم الى الطريقة المشروعة

من جهة عدم وجود [illegible] حيرة والتشتي لأن [illegible] وشيء من غيره مع حفظ
المستوفي السادة والاهالي لديه عادة وهي ان الرجل اذا تزوج ببكر ودخل بها فلا يخرج
من بيته اسبوعاً تاماً لأنه يجتمع [illegible] في [illegible] وان خرج يوماً ولو للصلاة [illegible]
المرأة لان ذلك دليل على انها غير مستحسنة عند زوجها وما الشيء فلا يعتقدون ذلك
فيها . واما [illegible] فهي على الوجه المشروع من اكثر وجوهها فلا عياط ولا ربط ولا
قراءة للطرقات ولا ولائم من صاحب [illegible] ونحو ذلك مما هو مشروع في
السنة اجرى الله احوالنا واحوالهم جميعاً على الوجوه المشروعة

مطلب في اللغة

لا يخفى ان الحجاز هو معدن اللغة العربية وعليه [illegible] فصاحة الكلام لكن ذلك
كله قد انعكس على [illegible] ولا يكاد تجد [illegible] العربية حيث دخلت المفردات
العجمية بين القوم منذ [illegible] الاعاجم على [illegible] امر [illegible]
يتقلدون العادات والزي حتى في [illegible] وكلامهم [illegible] ذلك في دخول مفردات الاعجمية
حتى سرى الامر الى اللحن في الاعراب كما هو مقرر من قديم حيث ذكروا في سبب وضع
علم النحو [illegible] علي عليه السلام لحناً في الكلام فسارع بوضع ذلك العلم ومن
البديهي ان الامر [illegible] لاسيما في ذلك الوقت لم يكن الا اختلاط
الامة بامم اخرى ثم زاد بعد ذلك [illegible] فسدت اللغة في [illegible]
فساداً كلياً حتى لم يبق من يكتب كتابة مستقيمة في الاعراب والالفاظ الا
النادر ممن هم اهل علم وربما [illegible] كثير من
المفردات الاعجمية لشهرتها [illegible]
من اهل العربية وسبحان مقلب
الاحوال وهو لا يتغير
ولا يزال

الباب العاشر

في المملكة العثمانية

(تنبيه) * لما كانت هاته المملكة ليست كسائر الممالك التي مرّ الكلام عليها لا من جهة الذات ولا من جهة معنى ما تقدم فيها مركبة من ممالك شتى كانت كل واحدة منها مستقلة بنفسها ولا يزال كل منها له صفات خاصة من جهة جغرافيته وحسبة اهله وعوائدهم واخلاقهم وغير ذلك فتجمع الكلام عليهم كلهم من هاته الجهات بصفة واحدة وان تكلمنا على كل واحدة منها بمفردها لزم تطويل الكلام فيها بجميع ما تقدم وما يأتي في الممالك التي تعد عظيمة وقد رأيت ان نتكلم عليها من الجهة التي يدل عليها اسمها وهو كونها مملكة عثمانية وليس هناك قطعة من الارض تسمى في الاصل بهذا الاسم وانما لكل منها باعتبار ذاته اسم خاص والجامع بينها في هاته التسمية هو كونها تحت سلطة دولة سلطانها من هاته العائلة وهي العائلة المنسوبة الى عثمان الذي هو اول من تسلطن من العائلة وبقيت في دولته الى الآن هذا من جهة الذات واما الحوادث على مخالفة ما سبق في مثلها من جهة المعنى فعمومها لاجل ان نقصد ولان قول الحق صعب والكذب حرام ومحق وان كنا في هذا القصر السعيد نعد في عصر خديويه المعظم التوفيقي لا زال قرة لاعين اهل الاسلام ومكملا لمكانته من الامن والحرية مما يسمح للانسان بقول الحق ولا يخشى لومة لائم غير ان بعض المقتضيات لحال تستدعي الاقتصار في القول والاختصار في الكلام على هاته المملكة العثمانية لأن الاقتصار على الاجمال على حسب ما نسيمه لاحوال الى ان ييسر الله بمقصود او دهاتو المملكة بتأليف خاص يحتوي على التفاصيل في الحقير والجليل ورحمته تعالى قريبة لا يعزب عن امره شيء وهو على كل شيء قدير

فصل في سفري اليها

قد تقدم ان ركبت من مرسى ينبع في رجوعي من الحج وقد كان ركوبنا في باخرة نمساوية من احدى البواخر البريدية السيارة بين الهند واوروبا فسارت بجدة وحملت منها ذلك الطود الشهير ذا النسب الخطير والحسب المنير السيد سلمان القادري حفيد قطب الاقطاب الاكبر مولانا سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنهم وهو نقيب اشراف

بعد ذلك ايضاً واكثر عنايته وكان حاجاً في ذلك العام فمن الله تعالى علي برفقته عندما
احضرت الباخرة تونس بسبع وركب في الباخرة ايضاً بعض من الحجاج الترك العثمانيين
والروسيين غير انه لم يركب في الطبقة الاولى سوى السيد ورفقته اخوه السيد احمد
وابن عمه السيد عبد القادر وجوار له وبعض من الخدمة القائمين بين يديه لانه ابقاه
الله قد اتخذ الحجرة الكبرى في الباخرة احدى زواياها واختص بها وفرش بها فرشاً
عربية وكانت خدمته هم القائمون بشؤونه زيادة عن مباشرة خدام الباخرة مثل كونه يأكل
منفرداً هو ومن معه على مائدته الخاصة في الارض من خصوص طعامه الذي يطبخه
له طباخه الخاص غير انه من مكارم اخلاقه كان يجري للاكل وقت كل الرفقاء
بحيث كنا نتعاطى وكل ما على مائدته حتى على الطعام لدي بين يدي كل ما اذ
كنت جالساً مع بقية ركاب الطبقة الاولى وسعي في ذلك الايوان للفطور والعشاء
وسارت بنا الباخرة ثلاثة ايام ووصلنا جزيرة الطور ووقفنا هنالك مدة الحجر وهي يومان
ونزل كل من كان بالباخرة لا سيما ركاب الطبقة الاولى ومن انزل ابقى رحله في الباخرة
لان القدر الذي يحتاجون اليه وجدوا عند صعودهم انه لم يحصل لهم مشقة القلة للازدحام
وكان من هؤلاء الترك رجل من اهل بوسنه يعرف قليلاً من العربي حصلت بيني وبينه
مودة حتى استفادت عليه رئيس الباخرة واذن له في الجلوس معي بايوان الطبقة الاولى
وهو جميل الاخلاق له بعض مشاركة في النحو والفقه وقد تزاحم يوماً بيني وبين احد
الترك الروسيين من اهل ولاية قزان وان كان تفهمه منه عسراً جداً لان لغته مخالفة
للغة الترك العثمانية وله بعض اطلاع على العربية من جهة كونه قرأ بضاعة مزجاة في
الفقه فسألته عن حالة المسلمين هل شيء من جهة الاحكام الروسية فكان مآل كلامه
ان الروسية لا زالت محترمة لهم في خواصهم الشخصية ولا يتداخلون فيما شجر بينهم اذ
مرجعهم في ذلك الى حكام منهم ولكن هذا خاص بتلك الولاية التي صارت مع
الروسية على توافق لطول عهد استيلائها عليهم ومحافظتهم على الشروط التي خضعوا بها اليها
لان الروسية مجرية في الولايات التي استولت عليها في الحرب الاخيرة مع الدولة العثمانية
ما هو جار في بقية ولاياتها والزمت جميع السكان من مسلمين وغيرهم بان يكون التعليم
بلغتها فقط لان اللغة هي التي توحد الجنسية واذا تنوسيت لغتهم صاروا روسيين حتى في
الجنسية ثم انا وصلنا الى خليج السويس الموصل بين البحر الابيض والبحر الاحمر وهو
احدى ما تم هذا القرن لان السفن صارت تصل من شطوط المغرب في افريقيا الى

شطوط الصين والهند في ايام قليلة لا تتجاوز الشهر الى ابعدها بعد ان كانت يلزمها
عدة اشهر لانها كانت يلزمها الخروج من خليج طارق ثم تحيط بجميع قارة افريقية
بالبحر المحيط ثم تعود. هذا فلعمري انها مأثرة مفيدة تجارة على العموم وان كانت فيها
مضرات سياسية بالنسبة لكثير من المسلمين وقد روي ان عمرو بن العاص استاذن
سيدنا عمر بعد فتحه مصر بفتح خليج موصلاً ما بين البحرين ولعله هذا المكان الذي
هو عليه الآن لانه احسن الاماكن لذلك حيث كانت متوسطة بحيرات عميقة معينة على
حفر خليج فيها. ثم ان سيدنا عمر سأله عن هذا الخليج الذي يراد فتحه هل يحصل به
فصل بين ارض جزيرة العرب ومصر فاجابه نعم فقال لا فصل بين ارض المسلمين
بالبحر. ويقال ان سيدنا علي رضي الله عنه قال لمخبره عند ما استشار كبار الصحابة
في ذلك انه اذا تم ذلك اصبح ينتشر سفن الروم تضرب الى جدة وغيرها من مراسي
بلاد العرب وليس للمسلمين سفن تدفعهم فيحصل الضرر على بلاد الاسلام ولذلك
كتب سيدنا عمر رضي الله عنه امير المؤمنين الى عامله عمرو بن العاص بان يضرب عن
ذلك صفحا ويمكن ان يكون خليج في هذا موجوداً في العهد القديم. ثم ان الرمال
تراكمت في احدى جهاته على ما سيأتي ذكره فسدت البحر وبعد عرضها الى ان صارت
الارض واحدة ما عدا البحيرات التي في الوسط فانها باقية الى الآن دلت على اتصال
البحر سابقا. ويدل على هذا ان بعض المفسرين روى في تفسير قوله تعالى "حتى اذا
بلغا مجمع البحرين" في قصة موسى والخضر عليهما السلام ان بعض المؤرخين يقول ان
المراد بالبحرين هما بحر فارس والروم اما بحر الروم فهو معلوم واما بحر فارس المعروف
الآن فيستحيل ان يتصل ببحر الروم الذي هو البحر الابيض خصوصاً في هذا الزمن
القليل نسبياً من زمن موسى عليه السلام الى ما قبل البعثة معروف فيه هيئة الارض
على ما هي عليه الآن فلا يصح ذلك الكلام الا اذا كان البحر الاحمر يطلق عليه بحر
فارس سابقا لانه متصل به وقريب منه جداً لانهما يكتنفان الآن جزيرة العرب
اي شطوطها الجنوبية فلا يبعد ان يكون الاسم يطلق سابقاً على الجميع سواء. واتصال
البحر الاحمر ببحر الروم سهل جداً كما رأيناه وهو مشاهد بالعين حيث اتصلا في
هذا الزمن وسبب هذا الاتصال هو ان رجلاً فرنساوياً يقال له فردينان دي ليسبس
له مهارة في الهندسة وهو من مشاهير قومه بدى له بان امكان اتصال البحرين بهذا
الخليج واعانته على مرغوبه دولته لمآرب سياسية في قرب الاتصال بالهند لعلمه يمكن لها

يوماً ما حدث النفار من الانكليز على نحو ما سبق في تاريخ الدولتين فساعدهم على قصدهم
والي مصر اذ ذاك سعيد باشا ابن محمد علي باشا وكان الانكليز من اشد المعارضين
في ذلك سراً وكان الاقدار تقول لهم (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) فانهم حصلوا
فيه على اكبر فائدة اذ صارت سفنهم هي اكثر السفن مارة به مع تحصيلهم على مآرب اخرى
سياسية كدخولهم في القطر المصري وغير ذلك زيادة عن كونهم صاروا هم المالكين
للقسط الاوفر منه وحاصلين على ارباحه الباهرة وذلك لان فردنان دي ليسبس الف
جمعية لذلك العمل وجعلت هاته الجمعية التي هو رئيسها رأس مال مقدار نفقة العمل
وجعلته على اوراق ذات اسهم تباع وتشترى لكل من اراد وكان للحكومة المصرية من
تلك الاوراق مقدار قيمته نحو ثلاثة مليون فرنك وآل الامر بعد ذلك الى ان باع
اسماعيل باشا خديو مصر الاسهم حكومته فاشترتها الدولة الانكليزية تماماً زيادة عن
المشترى سابقاً ولاحقاً من الاسهم بعد ذلك وصار ثمن بيت السهام يتزايد اضعافه
حتى صارت كل رقعة منها اصل سعرها خمسمائة فرنك تباع الآن بالفين وثلاثمائة فرنك
او نحو ذلك لان تلك الجمعية شرعت في العمل وفتحت بحراً خليجاً من البحر الاحمر
بمحاذات مرسى السويس ووصلته بالبحيرة الاولى ثم حفرت خليجاً بين هذه البحيرة
والبحيرة الثانية الى ان وصلت الى البحر الابيض وعند تمام تممه عقد اسماعيل باشا
خديو مصر لفتح هذا العمل الغريب موكباً مشهوداً احتفل به القطر المصري كانه دار
عرس واستدعى اليه ملوك وربما كنت تشاهده مرور ابواب باخرة تمر في ذلك الخليج
وكذلك غيرهم من الاوروباويين وكل من قدم منهم قضى بضيافة مدة اقامته بالقطر
المصري على الحكومة المصرية ولم يبرحوا حيث شاؤا وقد ساح بعضهم حتى الى السودان
مع القيام بكل مهم على حسب مقامه اعظم قيام وورد ضيوفاً من ملوك اوربا العظام
امبراطور النمسا وامبراطورة الفرنسيس اي زوجة الامبراطور وولي عهد كل من
انكلترا والروسيا وبروسيا فضلاً عن بقية الملوك المتوسطين والصغار وصرفت في ذلك
كالوس الحكومة المصرية اموال يكاد ان لا تحصى تعاظمت بها ديونها وذلك كله لمآرب
سياسية لم يحصل منها المقصود ونشأ عنها وحشة مع الدولة العثمانية آلت الى الارصاد بعد
صرف اموال باهظة ثم استقر عمل جمعية الخليج على ادمة عملاء ومراقبين على محافظة
الخليج ويستخلص على كل سفينة تمر فيه مقدار معلوم من الاموال على حسب حمولتها
ونوعها حربية او تجارية وفي رأس كل سنة تقسم الارباح على اصحاب الاسهم بعد

اخراج المصاريف الكثيرة لان الخليج من جهة السويس لم تزل الرمال تنثال عليه فقد
فتحوه الى الآن لولا شدة العمل في رفع تلك الرمال ليلاً ونهاراً على مسافة طويلة تزيد
عن العشرة اميال ومع ذلك كله فقد شاهدت في الباخرة التي اجتزنا فيها ان سيرها
كان بطيئاً جداً هناك وكذلك غيرها احتراساً من الغرز في الرمل مع كثرة العلامات
المجعولة في الماء لمحل المرور ومع ذلك كله قد اصطدمت الباخرة في الرمل عدة مرار حتى
اني خلت انه عمل لا يدوم لشدة التعب لدي شاهدته من العملة في جر السفن والبواخر
المصطدمة في الرمال حتى كأنها تجر بالايدي مع كثرة وجود عدة العمل بالآلات لرفع
الرمال ومع ذلك كله لا تجري فيه الا سفينة واحدة فقط [illegible] وقوف السفن اذا كانت
تعارضها سفينة اخرى في [illegible] احداها غادية والاخرى رائحة [illegible] لانه لا يمكن وسعه تمر فيه
السفينتان ولذلك يجعلون علامات على محلات مرتفعة في البر يميناً وشمالاً يدرك منها رئيس
الباخرة ما يامر به محافظو الخليج من وقوف او مشي لسريع او لبطيء او غير ذلك
ولذلك رأيت رئيس باخرتنا قد اخرج كتاباً فيه جميع العلامات وشرح ما يراد منها لمن
يفهمها عند دخوله في الخليج وبسبب ذلك كانت السفن لا تخرج وتدخل الا في تاريخ مرورها
وقد وقفت مرة لمعارضة باخرة انكليزية حربية [illegible] لى قدر مدة للساعتين ولما مرت
بجنب السفينة [illegible] في زورق مع [illegible] في [illegible] البحرية اكثر عظم
تلك الباخرة الحربية التي هي من نوع الفرقطين [illegible] ذلك [illegible] كانت ذات ثلاث
طبقات من مدافع موجودة لاربعة آلاف [illegible] عسكرية وكثير منهم معهم عيالهم وكانوا
على هيئة تامة [illegible] وما صاروا يصرخون ويضحكون ثم وصلنا الى مرسى الاسماعيلية التي
هي بوسط الخليج ويقربها ينصب جسر [illegible] ولا ينصب الا عند وجود
المرض ويدفعون عليه حرجاً للحكومة المصرية وشيئاً بحسب [illegible] وفي صبيحة اليوم
الثالث وصلنا الى بورت سعيد ووقفنا بضع ساعات وكان عمال الحكومة المصرية حارسون
لباخرتنا لكيلا ينزل منها احد لانهم منعوا في ذلك التاريخ من لا يدخل الى القطر المصري
حاج لأمن هو من اهله لانه كان كثير من المغاربة يدخلونه وهم فقراء وربما حملوا
الاهالي والحكومة مصاريف لرجوعهم الى اوطانهم ولذلك اعلنوا بذلك التحجير ثم قطعنا
من هناك الى ان وصلنا الى مرسى بيروت اعظم مراسي ولاية الشام المعروفة بسورية
فطلب مدير صحية تلك الباخرة من الركاب ان ينزل منهم الى تلك البلدة كل من كان
قاصداً القسطنطينية وما جاورها وما القاصدون [illegible] وغيرها ممن تكون لهم

مرسى تريستا طريقاً دونه يقوم في الباخرة لانها قاصدة هناك نوء و للذين يريدون
وكانت الباخرة تعهدتهم بالوصول الى القسطنطينية وما حولها فانهم ينتظرون هناك الى ان
تأتيهم بعد خمسة ايام باخرة اخرى لجهة الباخرة الاولى وتحملهم الى مقاصدهم وكل من
اراد من هؤلاء ان يحد مصاريفه مدة انتظاره فله ذلك يدفعها اليه وكلاء شركة تلك
البواخر النمساوية المسماة شركة لويد وقد اخذ منهم بعض كثير ممن نزل لكن
بعد مشقة لعدم التفاهم حيث كان اغلبهم من الترك والروسيين الذين قل من يعرف لغتهم
ولاستشاطة بعضهم في مقدار المصاريف التي طلبها مع ان اللحمة مقومة لاهل كل طبقة
مقدراً عن كل يوم مما علم ما هو لاني عرفت الطريقة حيث كان النزول هناك من اعظم
مرغوباتي لزيارة ان التقي بحضرة السيد حسن القدوري والمعرف بتلك البلاد

فمررت هناك وكانت لي فيه صحبة جداً بعد ارساء الباخرة عن الشط وركوبنا في
زوارق مع هيجان البحر وبعد ان وصلنا وحللنا من الكمرك الذي لم نر من اهله الا خيراً
دخلنا الى البلاد واخذنا امرنا وعدنا جودنا ما ركبت حول الكرك فدلني رجل من المتشبثين
بخدمة المسافرين على منزل مسافرين قريب من جهة مرتفعاً كاشف على البحر فاذا هو
منزل لاحد الافرنج مثل فندق ورتبة متوسطة الحسن واحدث به ساكنوه ذات حجرة
للنوم والصندوق وحجرة للجلوس و عملت في حجرة و هيبة تلك البلدة ، لا اكل فيه حسن
ومن عند شرعنا في زيارة بعض عظماء البلاد والمعرج على منازلهم ومباحثها فاذا هي بلدة
جميلة الموضع في سفح جبل مطلة على البحر وجوه كبير … وجبل لبنان بحيث ان
حدوده منها على نحو ربع ساعة محصونة بعلامات ولها دائرة منتشرة كما سياتي في محله
وواليه يسكن في الـ… في بيروت وهو … رستم باشا وقد رايته يوماً راجعاً من
الجبل الى داره متخذاً جهة باخرة في عجلة يجرها ثلاثة من الخيل العتاق وامامه فارس
ووراءه اربعة من العساكر خيالة متسلحين وبيد كل منهم حاملها في وجهه وهذا الباشا
هو شيخ مسن اصله طلياني خدم الدولة العلية مدة بنصح وثبات في خدمتها وسمعت الثناء عليه
في تلك البلاد وغيرها من مسلمين وغيرهم غيور على الدولة محافظ على ناموسها ومصالحها
ومن غريب ما سمعته عنه انه كان مرة يتفقد في جهات ولايته على ذلك الجبل فصادف انه
بمعهد الجهة القريبة من طرابلس الشام ووصل الى تلك الجهة آخر النهار وليس بقربه
مكان صالح للمبيت لأن بلد طرابلس فارسل من صباح اليوم الى متصرفها … كما يعلمه
بانه يبيت ضيفه وكان الوقت رمضان فعرضه آخر النهار ذلك المتصرف وعلماء البلد

ووجهاؤها ثم دخلوا جميعاً الى دار المتصرف وجلسوا في ايوانها كلهم فدخل الخدمة
باطباق مشروبات المبردة والحلويات وكان المعروف لم يقع وكان هو اسيء رستم باشا لا
زال على دين نصرانيته لكنه لما رأى تلك الاطباق داخلة وعملة البلد ووجهاؤها جالسون
اكفهر وجهه وقال للمتصرف ما هذا فاجابه بانه مشروبات مبردة فقال الباشا أليس هذه
رمضان فتبسم المتصرف وقال ثمة من عذر من يريد الافطار قصدوا لمجاملة الدين ثم هو
رمضان ولكن حاكم مسافر وانا ايضاً مثلكم وها انا ابتدئ بذلك واخذ الكاس وشرب
فاشتد حنق الباشا عليه وخاطبه بشدة بما معناه انك ان كنت لم تراع ديانتك فانا يجب
علي ان اراعي دولتي ووظيفتي لاني متوظف ووزير خليفة المسلمين وهذا المقام انما جاءني
منه وهاته البلاد بلاد مسلمين وهؤلاء الجمع مسلمون فاني لاجل خدمتي [illegible] نصرانياً
فاني اذب على الشعائر الاسلامية التي صرت بها امامي ولو اقتدر بها على احتقارك وطردك
ايضاً من هنا فاخرج حالاً حيث لم تراع سلطانك ومولاك الذي هو خليفة المسلمين ولا
اهل البلاد التي انت عليهم ولا انا الذي تعدني شيئاً فخرج المتصرف من المجلس وشكر
الحاضرون كلهم عمل ذلك الباشا فقال لهم ليس هذا لتشكروا وانما هي واجباتي دينها
ولعمري ان مثل هذا الرجل يحق ان يستخدم ويثبت متوظفي الدولة كلهم على عمله
كثّر الله من المخلصين الصحيحين امثاله ووفقه لسعادة الدارين . وحاصل وصف هاته
البلد انها بلد جميلة المنظر لان ديارها محصنة بالجبس من خارج وحسن كثير طرقها غير
ان مجاري الطريق تجري في وسطها على عمق شبر مكشوفة وربما اضرت بالمارين والبناء طينة
مخلوط بالحجر فهو حسن المنظر ويقرب شكله الى ديار من ديار تونس غير انهم يجعلون
لبعض الديار ذات الطبقات درجاً مكشوفة في السطحات الخاصة بالديار وحسن في
البلد طريق للعجلات وهذا الطريق واصل الى دمشق الشام حملته شركة افرنجية منتظم
السير في اوقات معلومة وكراء معين وتغيير الخيل في مراكز معينة ليلاً ونهاراً وكنت
اردت الذهاب فيه الى دمشق لكن قصر الوقت مع تعطيل السير في الطريق لكثرة
الثلوج منعني من ذلك

واعظم جوامع البلد الجامع المنسوب لسيدنا يحيى عليه السلام وهو جامع واسع
نظيف وكذلك بقية جوامعها نظيفة وحماماتها جميلة نظيفة جداً متقنة التحسين بانواع
المرمر وفوارات المياه وبها اسواق جميلة وان كانت صغيرة على نسبة البلاد لان البلد
الاصلية صغيرة وكثر حولها البناء المتقن على اشكال شتى منها قصر بديع صالح للملوك

وحوله بستان مونق عليه انيق فيه من خرير في الماء وارجاء وانواع المغروسات البديعة والاشجار وتقسيم المشي وهو لاحد الاهالي النصارى ذوي الثروة الكبيرة التي حصلت له من بعض خدمات له عند خديو مصر السابق ثم اتحصل على ان يكون قنصلاً للروسية في بلده . ويوجد بيوت اخرى حسنة تقرب من ذلك كما توجد مدارس عالية اسسها القسوس من البروتستانت الاميريكانيين ومن الجزويت الفرنساويين وقد اثرت هاتان المدرستان تأثيراً واسعاً في معارف هذه فتقدمت النصارى سكان بيروت في التحصيل على معارف جيدة من اللغة العربية نحواً ولغة وانشاء وفي معرفة بعض اللغات الاجنبية وعلى مبادي الفنون الرياضية حتى صاروا متاهبين للتقدم وتقلد الوظائف في بلادهم وغيرها ويحصلون ذلك في مدة قليلة بسهولة التعليم بالكتب التي اخترع بعضها بعض الاهالي وغيرها غير ان سائرهم بالمرة يكون عالماً على غير اللهجة الفصيحة والاسلوب العربي الصحيح لان بعض التلامذة يولعون باللغات الاجنبية فيسبكون كتاباتهم العربية على اسلوب تلك اللغات فيصير السبك عجيباً في قوالب عربية يمجها من ذوق طعم البلاغة . وقد وصلت ما كتبت رسالة من رسالة لاحد … تلك الوجه وهو البارع المتفنن رشيد الدحداح كتب … وذلك معنى عن شيء … منها بعد ان ذكر ما طرأ على اللغة العربية الشريفة ومن جملتها من التعبير بالاساليب الاعجمية في … قال « وكذلك لاحد نجيب … ترويج لسان العرب باللغة العربية حتى تصير لساناً له ويصير لساناً لها فيبدأ … لاخيه فيحصل … مثال هدي ويبدل مريم بماريه وقد كتب رسالة … وقال حدث عربية لا كتب لكم وعندي الشرف ان احرركم في ملك رسائلكم بكرمه وبالطبع صرت ممنوناً لما تضمنته من احساسات الودية والتعابير الوصفية ورأيتها مملوءة من روح الصداقة . ورغبة في دوام العلاقة واخذت الاحتياطات اللازمة لادخالها في عمدة الجرائد ليس فقط لاجل سروركم بل بالسبب الاقوى لاجل مصلحتنا ولكن من سوء البخت مراعاة الظروف توجد على نوع ما ان نحد انفسنا بالعمل في فرصة وفوق كل شيء لانه الآن حاصل هنا افكار واستعدادات حربية واما عمومي الالقاب فاقصد ومع الاعتبار يقدم لكم الشكر ويهدي لكم السلام حاكم فلان . وقس على ذلك الف داهية من التعبيرات الوهمية التي هي بالمقت حرية والتي في تسميتها صرف . كعندي الشرف . ومما هو احط من السماجة كقول الرسالة وكم من الصيغ كطبيعياً وبالطبع . واسر من ربب

المنون كالمصون واصبح من الخسائر . كهذا الاسف للروح والافكار والتقدم والاستعدادات
والاحساسات والشعائر" . الى ان قال " اما تشبثه بمادة احد هذه الامور وموت احمر
ولو حرمت عليهم اليوم هذه المادة لكسروا الاقلام وعجزوا عن الكلام فتراهم يعبرون بها
عن كل الاعمال العربية فيقولون اتخذ الباشا مادبة للقناصل وعمل ملاطفة لهم وتعهدوا
الدعاء للدولة . الى ان قال فيا للخسارة ويا للاسف على مرض الامة واشرافها على التلف .
وايم الله انه لصدع لا يلتئم وجرح لا يلتحم " الى آخر ما طبع به في تلك الرسالة
المنشورة في جرائد عديدة عربية ومنها العدد ٩٥ من مرآة الشرق وهذا الكاتب وان
كان من اهل لبنان البارعين في العربية والفرنساوية لاقامته بفرنسا مدة من
عمرها لكنه مستمد من ذلك التعليم لان هذا التعليم شرف اهل [illegible] يتسابقون اليه والحق
يقال ان فوائده جليلة حسن التعليم وان اثر بعض التاثيرات [illegible] في حب اطماع سهل
طمعة الى حب جنسية المعلمين لكنه من حيث انهم لهم مزية ممتازة تقدم بها النصارى
هناك على المسلمين حتى تفطن في المدة الاخيرة بعض مسلمي بيروت هذا المدرك
ووجدوا والياً يمد اليهم يد مساعدة وهو مدحت باشا فعقد لهم جمعية سمي جمعية المقاصد
الخيرية ومكنهم من الاوقاف التي في البلد وكانت استولت عليها ايدي الاختصاص والمطامع
الشخصية فاستغلوها مع ما يوزعونه على اهل البلد من كل ذي همة وعلى [illegible] التلامذة
وانشأوا بذلك مدارس على نحو النوع السابق ذكره وكنت دخلت في كلا القسمين
ورأيت من تلامذتها ما يسر القلب ولعمري انها مأثرة جليلة تحق ان تذكر * وهذا الرجل
وهو مدحت باشا هكذا دأبه في كل ولاية وليها لا بد ان يترك فيها مأثرة تذكر وان
اعترى كثيراً منها بعده بعض الخلل لانها لا تزال فتية قائمة من الصحة المساعدة
وهو في الحقيقة من افراد رجال الدولة الذين يشتمل عليهم تاريخها تحققاً وتدبيراً وعملاً
وعمله اكثر من قوله بحيث لا يجد القادح فيه قولاً لولا تعصبه لكثرة حملة عليها مداومة
ما يشاهده في وطنه من الشبهات والتسويف الذي يستعمله الرؤساء في وظائف
الدولة حتى صار لهم طبيعة والوقت لديهم ليس له عيار فاداه ذلك الى انتهازه للفرص
التي يجدها لاجراء المصالح بعجل وحزم فذلك ما اوقعه اخيراً فيما اداه الى الوقوع في
حتفه رحمة الله عليه رحمة واسعة . وقد حصل من تلك الجمعية فائدة لا تنكر في المعارف
لاهل تلك البلاد وهي وان انتشرت في جميع البلاد الشامية لكنها كانت في بيروت اشد
تقدماً في المعارف حتى صارت هي اول البلاد الشامية في معارف على عمومها وان كان بدمشق

مزيد التقدم في الفنون الشرعية ثم ان اهالي بيروت وان كانوا قسمين مسلمين ونصارى لكنهم جميعاً في غاية الالفة بعضهم مع بعض وعوائدهم جميعاً واحدة حتى في محاسن اخلاقهم وقد شاهدت من فضلاء القسمين ما شكرتهم عليه من محاسن الاخلاق والفرح بالضيف مثل الشيخ المدركة الشاعر البارع ابرهيم الاحدب وله ديوان شعر شهير ومثل الاعيان الاجلاء حسين بيهم ومحيي الدين بن رئيس الجمعية الخيرية وعبد القادر القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون احدى الجرائد العربية المتكاثرة في هذه البلد لما في اهلها من التقدم الذي اشرنا اليه مع بعدها عن مراكز السياسة ومن اصحاب الجرائد الذين اجتمعت بهم هناك ايضاً البارع المجيد الشيخ سليم البستاني صاحب جريدة الجنة وجريدة الجنان وهو من النصارى اعيان البلاد وممن اجتمعت به منهم ايضاً وجهاء الاعيان ابرهيم اليازجي ابن الحسن الذكر المتحلي بالعلم الشاعر ناصيف اليازجي صاحب المقامات الشهيرة ومنهم سليم ثابت وغيرهم ومنهم الكاتب البارع حسن افندي وهو وان كان من اهالي دمشق الا اني اجتمعت به في بيروت لانه قدم اليها بصحبة والي الشام اذ ذاك مدحت باشا رحمه الله لانه كان من كتاب الولاية المجيدين عربية وتركية ومتحصلاً ذوي بصحبه ومحاسنه ثم ترقى بعد ذلك في خدمات الدولة العلية وكذلك اجتمعت بنوبي بسار بيه هناك لما لي معه من المعرفة السابقة في باريس ولابيت عنده مرة الصبوح [illegible] متصرف بيروت اذ ذاك ولقد شاهدت من هؤلاء الجمع اكراماً يوجب عليّ الثناء عليهم جزاهم الله عني كل خير وجل ما حصلت عليه في هاته المدة تجديد الاجازة في الطريقة القادرية من مولاي وسيدي السيد سلمان القادري ومثله اثابه الله من مجيز ويحافظ على شريعة جده الاعلى عليه وعلى آله الصلاة والسلام ونعم ما اجازني فيه [illegible] لي [illegible] في امر الاذكار وآداب الطريقة ليست هي الا الشريعة تقف على ما ورد به الشرع وعمل به وهكذا يكون المرشدون وما اجازني بذلك الا بعد مزيد الالحاح [illegible] نفعه الله الى ان اتت ليلة سفري فساعني بزعوني فودعته وسافرت صبيحة تلك الليلة الى القسطنطينية في احدى البواخر السابق ذكرها * فوقفت بالسفينة ساعات على ازمير التي هي قاعدة احدى ولايات الدولة ونزلت متفرجاً على مرسيها وما حولها فاذا هي ذات مرسى جميل حصين صنعه احد الافرنج برخصة من الدولة وفيه برج خرجة ونصر سكة الحديد الى رصيفه وهي ذات فرعين تمتد الى داخل الولاية شرقاً وغرباً وحول المرسى قشلاقات عسكرية وبعض ديار للافرنج والطريق فيها واسع جميل وبقية الطرقات والاسواق ضيقة عليها

آثار الروم لان غالب الابنية من الخشب وعدم عهدها فلم ار ما يذكر الا كونها
بلاد تجرية [illegible] الولاية [illegible] من كثرة [illegible] لي تحمل منها
في [illegible] لادنى [illegible] كثيرة [illegible]
ذات جمال [illegible] وفيها جزيرة
رودس وجزيرة [illegible] والانهار
[illegible] ثم وصلنا الى [illegible] القسطنطينية
والبلدة [illegible] شيء يذكر [illegible]
و [illegible] ما يدهش [illegible] ذلك [illegible] على
[illegible]
[illegible] وسط الجبال المحيطة بالجانبين وما يظهر منها
[illegible] مركز عظيم
[illegible] لا يمكن [illegible] ولا يدخله
[illegible] ولذلك [illegible]
لاحد [illegible] لا تطول مدتها [illegible] القوارب
من [illegible] يمكن ان يذكر من صنعها
[illegible]
[illegible] ثم دخلنا الى بحر مرمره
متوسط بين [illegible] التي على البحر الابيض
والاخرى [illegible] على البحر الاسود [illegible] طلوع الفجر وما اتفق
[illegible] من [illegible] وبينها قباب
[illegible] من القنطرة الموصلة بين
[illegible] السلام ثم
[illegible]
[illegible] الوزير
المذكور [illegible] شتربت
[illegible]
[illegible] من صفر سنة ١٢٩٧ الى شعبان سنة ١٢٩٨ وحضرت في [illegible] البكر من

تونس وعيت باسطنطينية منتزه الفكر والبدن متمتعاً بهوائها الحسن متأنساً بالاصدقاء ذوي لوفاء الى ان حل ناوص ما حل في سنة ثمانية من استيلاء الفرنساويين عليه مما كنت به بدرت ولم تعد استيحه عسة فوه والله يقتضي ما ار د فدخت الى ايطاليا لاحاير عائلتي في نقلهم ويبع املاكي وفي سنة دفت ذهبت الى حيث من مملكة معيسرا فوضعت بها بي في مكتب خصوصي ثم رجعت الى ايطاليا لاتمم ما ذكرناه ثم رجعت الى القسطنطينية بعد ان اعلمني بانني سفرها اليها فمررت على مملكة نابيا ثم تمسا ثم الروماييا ثم الصرب والبلغار وسياتي ذكر هاته ممالك ان شاء الله كل منها مفرداً بابه ثم رجعت الى القسطنطينية مقيماً بها معطلي من ... سنة تسعة الى اول سنة اثنين وتذلله اني توجهت فيه الى مصر حيث ثم احد من ... مكرية ... ما يستقيم به الحال وكذلك ... كانت ... حتى تعطل على برتب وكراء بيت لم يمكن اشطر دها ... في حرية ... من اسبق فحصحت حتى بالقيام بالضروريات الواجبة في اطلب الجهات ... الله مريح الكروب

مطلب في صفة القسطنطينية

هاته البلدة قديمة الانساء وتأسست تحت مملكة الرومان المعروفين بالروم سابقاً على ما تقدم في تاريخ ايطاليا وسميت البلدة باسم احد ملوكهم ذوي الصيت المنتشر وهو قسطنطين المتوفي سنة ٣٣٣ ميلادية وتجد موقعها في احسن موقع للكرة الارضية في نصفها المعروف قديماً وموقعها ايضاً احصن هايت الموقع لانها متحكمة بين البحر الاسود والبحر الابيض وبوصل بينهما خليج بدي بوسطه بحر مرمرا وهذا الخليج بمكان البلدة بكتفة جبال يميناً وشمالاً وجبال مكساة بغض النبات الناضر في جميع الفصول وقد وضعت البلدة على سفح ثلاث جبال يفصل بينها الخليج اما قسم منها فيفصل بينه وبين غيره الخليج الكبير وهذا القسم هو المسمى باسكودر الواقع في قارة آسيا والقسمان الآخران يفصل بينهما فرع من هذا الخليج داخل في قارة اوروبا الى ان يتصل بجدول يعرف بكاغدخانة فالقسم الشرقي من القسمين يسمى بغلطه والقسم الغربي يسمى باسلامبول وقد كان في القديم محل البلدة معزولاً عن بقية القارة بخليج وصل الى بحر مرمرا وهو قرب مقام سيدنا ابي ايوب الانصاري الآن فكانت جزيرة منفردة

وهذا القسم هو مقر البلاد الاصلية الذي يشتمل على مركز الادارة و الاسواق وغير
ذلك وحيث كانت البلد واقعة في عرض [illegible] كان هواؤه يغلب عليه
البرود وتنزل عليه الثلوج في كل سنة [illegible] في فصل السنين [illegible] في جميع
اوقاتها فان مصر معدودة في الارض [illegible] حيث كان [illegible] في
الوسط ومحتوية على جميع شطوطها ممتدة نحو ٢٢ [illegible] ومساكن [illegible]
الوان [illegible] بالاحجار ويدهن [illegible] مع كثرة [illegible]
ويتحلى هذا البناء [illegible] مع [illegible] في [illegible] مع جودتها وتعدد [illegible]
القباب [illegible] ثم وراء [illegible] على سطح [illegible] والحدائق و الاشجار الملتفة
والعيون المتدفقة [illegible] اشجار [illegible] هذا الحسن
في ذلك المصر القديم مدة [illegible] ان كانت في سيدة البلدان السياسية
خصوصا ووضعها [illegible] على كل من [illegible] وعلى كل من البحرين الابيض
و الاسود ولهذا يسمونها في التقديم [illegible] بين البرين والبحرين لكن ذلك
المطر والجبال [illegible] درجات عديدة [illegible] الى البر وتحمل [illegible] في
شوارعها لان طرقاتها [illegible] ضيق [illegible] على [illegible] حافتها [illegible]
تتعب الراكب والماشي وكثيرا من [illegible]
في [illegible] الذي [illegible] على [illegible] لان [illegible] وهم اكثر
[illegible]
[illegible] في العربات والبوية [illegible]
[illegible] كل [illegible] عشرة [illegible] الاوربا
و [illegible] الصنائع الضرورية والحاجة و [illegible] على
[illegible] وكان [illegible] ذلك هو [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] في [illegible] وما قوم [illegible] كان [illegible]
[illegible] ايدي [illegible] الاوربا [illegible]
صنائعهم و [illegible] بل لانحطاط درجة
المعارف [illegible] عن الصنائع وغيرها من [illegible] لانحصار الامال في
مجرد التوظف في الدولة ولهذا ترى البلاد ممتلئة بالقهاوي و بالقرائتخانات التي هي

فروي [illegible] في هذه البلاد

[illegible] حو وشاء

بيوت [illegible] مخوف [illegible]

[illegible] على [illegible] القسطنطينية [illegible]

و [illegible] في وسط

[illegible] الملاك [illegible]

في [illegible] على [illegible] الى [illegible]

[illegible] على [illegible] الى [illegible]

واورطه كوى [illegible]

[illegible]

جهة [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] او مراتهم [illegible]

بدون الاجنة [illegible] مع [illegible] شركة [illegible]

[illegible] الطرق [illegible] شرط [illegible]

بالطريق [illegible] هذا [illegible]

[illegible] على [illegible]

ويعد هكذا مستطيلا على نحو [illegible] باب [illegible]

[illegible] في [illegible]

في [illegible] في الخليج

[illegible] في [illegible] الحديقة

[illegible] في حيات سراية

[illegible] الديار التي

على [illegible] الموجودة

[illegible] لسات

[illegible] ماشوب

[illegible] الظاهر والباطن

وصورتها ان يدخل من الباب الى دهليز فيه درج قيبة يصعد منها الى الطبقة الاولى
التي هي ايوان مثل وسط الدار مسقوف مع سقف بيوتها وفيه ابواب هذه البيوت التي
هي مربعة او مستطيلة وفيه ايضاً نحو المصعد يميناً وشمالاً في الغالب ثم ملاك الدرج
تمتد صاعدة الى الطبقة العليا التي هي على نحو التي تحتها وتختلف اشكال الدرج في
كونها ذات فرع واحد الى آخرها او ذات فرع وفرعين وكل دار تشتمل على عدة
مراحيض جميلة وضع بطريقة كل منها في محل الوصول ونحن لمديد نحب ان نوضح في
عادات البلاد [illegible] على صاحبه مع طريقة المكان وحق ان نجمع [illegible] وجمع
احوال السكان بحسب العادة كل على حسب حاله عسراً ويسراً وقصور السلطنة ومساكن
السلاطين قد اشتملت على اشكال البيوت المتقدمة في اكثر الاحوال واعظمها بهجة
ورونقاً قصر دولمه بغجه الذي هو الآن قصر السلطنة الرسمي وله باب عظيم ذو
نقش وتزويق بالذهب لم ير مثله قط ضخامة وزخرفة في جميع [illegible] وغيرها وهو [illegible]
الى ساحة عظيمة [illegible] وفي [illegible] جامع [illegible] ذو بهجة وقريب من باب
القصر في [illegible] باب [illegible] يفتح الى [illegible] فكلا [illegible] يدخل الى ساحة
عظيمة [illegible] القصر الذي هو منقسم الى ثلاثة اقسام في جهة [illegible] وسطها
[illegible] القسمين الآخرين [illegible] القسم الوسط [illegible]
واحد هو مجلس السلطان في [illegible] الذي [illegible] قدر اتساع
قصر تام [illegible] القسم الاول [illegible] تحت الارض
ونصفها فوقها وتشتمل كل [illegible]
بالذهب والرش [illegible] وبيوت [illegible]
تأتي فيها السلاطين [illegible] القسم [illegible] مخصوص [illegible] للرجال والقسم
الثالث مثل هذا القسم [illegible] رونقاً في الفرش وهو مسكن حرم السلطان
[illegible] الخاصة السلطانية وخاصته
وطبيبه [illegible] على [illegible] احد القسمين
السابقين هو مسكن ولي العهد [illegible] لا [illegible] فيه اكابر ابناء
السلاطين [illegible] السلطان [illegible] وهذه القصور [illegible] عبد المجيد رحمة
الله وتسمى دولمه بغجه وقريب منه قصر آخر [illegible] عبد العزيز يسمى تشراغان
هو اشد رونقاً وزخرفة في داخله من دولمه بغجه لكن لا [illegible] منظراً وجميع على

شاطئ الخليج تعجب الناظر وواشيها المتكاثرة كما هو شأن جميع الديار هناك فلا تجد بين الشباكين أزيد من نصف ذراع أو ذراع وعلى نحو من هذين القصرين في قسم اسكودر قصر بناه السلطان محمود رحمه الله يسمى بكلربك وهو أصغر من الكل ثم قصر آخر بديع للغاية يسمى بيقوز تجارته كأنه داخلا وخارجا من المرمر الاحمر والاخضر منقشة لا على الحصر ولا سيما الاحمر وهناك قصور أخرى عديدة صغيرة دون هاته لأن القصر السلطاني الآن الذي يسمى يلدز الذي هو في الاصل مثل هاتيك الصغيرة لكنه لما رغبه السلطان المعظم عبد الحميد بالانفراد فيه والسكنى به دائما تزايدت قصوره شيئا فشيئا حتى صار يعد في الداخل من الكل وان كان من خارج لا يظهر منه الا القليل ووقوعه في وسط بستان متسع مائف بالاشجار ومحيط به أسوار ومساكن للعساكر على جميع محيطه

فصل

في مجمل تاريخ الدولة العثمانية

اعلم ان الدولة العثمانية كانت تأسست بعد ما تفرقت الدولة الاسلامية واستبد كل منهم بجهة مع خروج عن حد الشرع بسبب الشهوات واسترقوا الرعية وتصرفوا في الاموال بحسب الاغراض فضعفت شوكة الاسلام وصارت ممالكهم عرضة للاجانب ورحل من وراء النهر في عهد جنكيز وبعض من جاوره وكان على حدودها الشرقية قبيلة من سلجوق تراكمة تحت رئاسة سليمان شاه جد عثمان حتى التجأوا الى السلطان السلجوقي لما شملهم من ضيم المغول فامنهم بالامان واسكنهم ... ادب لرئيسهم ارطغرل بعد وفاة ابيه سليمان شاه بغزو حيث كان دائما هو واولاده مغرمين على الحرب وفتح بسيفه التاتار ارضي ولده ثم وفوض امرها اليه السلطان السلجوقي وانى بعده عثمان من بعده فلقب بالسلطان عثمان وذلك في سنة ٦٩٩ وقد نظم الحبر الشيخ محمد بيرم الثاني قصيدة تشتمل على المرجح من تاريخ هاته الدولة مع اسماء سلاطينها ذكرتها هنا لا بيانها بالمقصود وسماها "عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان" وهي

اقدم قبل القصد شكراً لمنعم ... عليما به رقى على كل انعم
على عز هذا الملك وملة التي ... وان حققت فازت بفضل التقدم
ومنعة اركى الصلاة مسبقا ... على الشرف تحوق قدرا وعظم
نبي له وصف النبوة ثابت ... وادم بين الماء والطين دعم
(محمد) من قد اظهر الله دينه ... بمكة ذي البيت العتيق المعظم
وعلاه بالانصار اذ حل طيبة ... فحيا بوجه مشرق ذي تبسم
وما زال محروس الجناب مؤيداً ... بكل امام بالعلا ذي تقدم
محوطاً الى ان آل تدبير دوره ... وحفظ حماه بالخميس العرمرم
الى خلفاء بعضهم البعض مرهم ... اذا طرقت احدى الليالي بمعظم
كرام فلا ذو بعض يدرك ثاره ... لديهم ولا الجاني عليهم بمجرم
ملوك بني عثمان سلسلة العلا ... عفون عن ذنوب ... عن معظم
فلله ما قد شيدوا من مآثر ... وما هدموا للكفر من كل معلم
لقد احكموا امر الجهاد بانه ... باعظم صنع ... من بعد اعظم
فكان لهم ولله بكلا محمدهم ... بما فعلوا حق على كل مسلم
وقد رمت في ذا النظم جمع اسماءهم ... ونعض مزاياهم لتروى ...
فاولهم (عثمان) باكورة العلا ... تدبق اردا من باسو كل محرم سنة ٦٩٩
له تحت رضا وتحت سريرهم ... فكان لما في ذاك فضل التقدم
وثانيهم (ارخان) من قد تشبه ... كريمة من صلب ... المعظم سنة ٧٢٦
شجاعته قد اظهرتها حروبه ... ... تخار فيها تكلم
وثالثهم من نال فضل شهادة ... (مراد) على القرن جمرة عندم سنة ٧٦١
فذلك الذي قد خص حتم ادرنة ... فذاقت به برد الهنا والتنعم
ورابعهم شمس العلا (بايزيد) هم ... مواقفه في الحرب مرة مطعم سنة ٧٩١
لئن كان مع تيمور ما بعد القضا ... فان ارتكاب الغدر منشا التظلم
ولا عجب للاسد ان طرقت بها ... كلاب الاعادي من فصيح واعجم
فحمزة وحشي صفت جمرة ردا ... وحتف علي من حسام ابن ملجم
وخامسهم فخر الملوك (محمد) ... مجدد هذا الملك بعد التصرم سنة ٨١٦
وسادسهم ثانيا (مراد) على من رقى ... من العز مرقى لا ينال بسلم سنة ٨٢٤

تخلى عن الامر اختياراً لشبله ... وعاد لخير الحال خوف تألم
وما بهم فحل الفحول (محمد) ... له فتح اصطنبول اشرف مغنم سنة ٨٥٥
عقيلة عن صيد الملوك تمنعت ... وكلهم يبغي وصلها ذو تهمم
لقد جاءها يختال في العز مودعاً ... حبايا المنايا بين جيش عرمرم
لدى اسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد اظفاره لم تقلم
فدحرج عنها سيد الروم خاسئاً ... لدى حيث القت رحلها ام قشعم
وحل بها لما تنادت جنوده ... بتكبير منشي العالمين ومعدم
وقد وسم السيف المدافي رؤوسهم ... كأنهم قد خضبوها بعندم
فما الحرب الا ما رأوا من بلائه ... وما هو عنها بالحديث المترجم
وثانيهم فرع له (بايزيد) م ... ابو الجود ماذا سد خلة معدم سنة ٨٨٦
وثالثهم مفتاح فتح ممالك ... بدت في جبين الدهر غرة ادهم
(سليم) الذي قد حل بالشام بأسه ... ددر يهوي الارض من قرب جهضم سنة ٩١٨
ولاح [illegible] ... عروساً تجلت في وشاح منمنم
ومذ برقت بالشام انوار برقه ... دعته دعاء البائس المتظلم
فسكن منها روعة بقدومه ... وضمت عليه سورها ضم معصم
وواجه مصراً بالاذى اذ تلكأت ... فاجرى بها نيلاً تدفق بالدم
وقد غرها الغوري فغار بدابق ... واقبل طومان كذيب لضيغم
فاصبح مصلوباً بباب زويلة ... يداس باقدام ويوطا بمنسم
ولم يبق من ابناء شركس ناعق ... كأنهم قد لامسوا عطر منشم
واضحى سليم القائمين خادماً ... بذاك ينادي للسلاطين خدم
وعاشرهم ذو الرأي والبأس والندا ... (سليمان) جراع المدا كاس علقم سنة ٩٢٦
قد انتضت [illegible] في ممالك ... فصار له امر العراقين ينتمي
وقد ظهرت آثاره تحديثها ... حداة الورى تحدو بها كل موسم
فمنها ويا لله غزوة رودس ... تغني بها طير الفلا بترنم
وفي سكتوار بعد ان فتحت له ... اجاب الى المولى بقلب مسلم
فلاحت بافق الملك طلعة شبله ... (سليم) عظيم الملك فرع معظم سنة ٩٧٤
لمنتجع العلياء قبرص اذعنت ... تقابل مسعاه بوجه مقسم

وفي بن من بعد بدء فتوحهِ | لوالدهِ الارضى اتى بالمغنم
واحيا بهِ الرحمن تونس عند ما | سدت بعد عزة شمل في تحطم
فشدَّ بضبعي مجدها فاقامهُ | وكان بقهر الاسر صاحب مجثم
ومن بعدهِ قد بايع الناس فرعهُ | (مراد) كريم النفس وابن مكرم سنة ٩٨٣
ويتلوهُ في دست الامامة شبلهُ | (محمد) معتني بصروف عن فعل مأثم سنة ١٠٠٣
اقام على اغرى فابدى بافقها | سحائب حرب امطرت كل لهذم
وعفر للرحمن في الارض وجههُ | فآب نتيج الطواغيت مرغم
وقام ابنهُ ذو الحسن (احمد) بعدهُ | يجي يبدو تحت تاج منظم سنة ١٠١٢
ومن بعد هذا (مصطفى) بن محمد | [illegible] ولكن عقدهُ غير صارم سنة ١٠٢٦
فبويع (عثمان) بن احمد بعدهُ | وأنزل من قربٍ لامر محتم سنة ١٠٢٨
وقد عاد بعد الخلع خاقان مصطفى | وأُنزل بعد العود مثل المقدم سنة ١٠٣١
فجاء (مراد) نجل احمد بعدهُ | فكان كحلمٍ لاح اثر تؤم سنة ١٠٣٢
احل على دار السلام بجيشهِ | تأنقذها من رافضيٍّ مذمم
وقد لبست ما زانها لمسرة | وانقت [illegible] قد شان من ثوب مأتم
وعادت الى عاداتها دار سنة | تجرر اذيال الهنا والتنعم
وقد قام (ابراهيم) وهو ابن احمد | بسيفٍ من حزمٍ وحسن توسم سنة ١٠٤٩
بكندية منهُ وقد جاس ارضها | باسياف اجنادٍ لما نهش ارقم
اقاموهُ عن كرسيهِ وتقدموا | [illegible] في عيد اضحا والنعم
(محمد) فرع منهُ فانصدع البنا | وهبَّ من الكدر كل مصرم سنة ١٠٥٨
ولكنهُ لما تكامل واستوى | [illegible] منهُ حزمٌ [illegible] كل حزم
فتم فتحت سنهُ [illegible] لهُ | بكنديه عظم به من [illegible]
وهيك من شيء يصدق [illegible] | [illegible] في التواريخ تعلم
ومن بعد هذا ثم بجمع امرهُ | فيالك من فعلٍ قبيحٍ مذمم
فقام (سليمان) اخوهُ مقامهُ | [illegible] حيدٌ في صلاح لمحطم سنة ١٠٩٩
ومن بعدهِ قد قام (احمد) صنوهُ | فبات جراحٌ لا تداوى بمرهم سنة ١١٠٢
واعقب هذا (مصطفى) بن محمد | [illegible] من تقدم سنة ١١٠٦
فقام اخوهُ (احمد) بعد خلعهِ | وسلم لما شام برق التألم سنة ١١١٥

وقد فتحت تبريز قهرًا وعورة   بايامه وجه الزمان المطهم

فبويع السلطان (محمود) بعده   هو ابن اخيه مصطفى المتقدم سنة ١١٤٣

سنه ١١٦٨ ومن بعده قد قام (عثمان) صنوه   ومن بعد هذا (مصطفى) ذو التقدم سنة ١١٧١

الى الموسقواذ وجه العزم نحوه   وجرد في حرب له كل اصرم

ومن بعده (عبد الحميد) اماما   اخوه عظيم من عصيم مخم سنة ١١٨٧

ابان له الله المدى واناله   رشادًا وتسديدًا لدى كل مبهم

فهاك سلاطين الزمان جميعهم   بنظم كسمط باللآلي منظم

وعدتهم سبع وعشرون قد غدت   سماء العلا منهم تضيء بانجم

ودولتهم حسن الحميدات عمرت   وفي طول هذا العمر لم تك تهرم

وذا في ثمان بعد تسعين ضمها   الى مائة من بعدها الالف تعم

وناظمها العبد الفقير محمد   [illegible]

يقول تنادي المعالي تقولها   [illegible]

ايا دولة [illegible] على كل سابق   عليها لعز الدين والملة اسلم

وقد [illegible] حتى رأت في سريرها   هماما به الدين الحنيفي يحتمي

(سليم) [illegible]   لدينك يا مولاي منه وسلم سنة ١٢٠٣

[illegible]   الى زمن المهدي وعيسى بن مريم

يقول حفيد الشيخ قدس سره   موافقة في الاسم لا في التعلم

لقد انجح الدعوى بفضل نواله   كريم له النعمى على كل مسلم

بتسليم هذا الامر ليث (مصطفى)   لعبد الحميد الفرد لقب بابنم سنة ١٢٢٢

ولما قضى نحبًا قتيلًا من الاولى   اضاعوا التقى واستبدلوا الامن بالدم

تعالى الى دست الخلافة حازمًا   اخوه الرضي (محمود) خير ميمم سنة ١٢٢٣

له صولة في الروسيا مع بغاته   فاروام ماء الردى والتقسم

ومن بعده قام ابنه من لجدم   غدى ينشر الاعلام في كل معلم

الا انه (عبد الحميد) وحيدهم   له النصرة سراه في كل معظم سنة ١٢٥٥

بحرب القريم الخطب دام مصابرًا   فنال المنى من بعد طول تجهم

ونظم قانونًا الى الخير راشدًا   وتمم ما ابداه رأيه المقدم

فاصبح وجه البسيطة مبهجًا   بنا [illegible] من وط عدل متمم

ومن بعد ذا وافى الى الدست جيم له مفخر اربى على كل ضيغم
فذاك الذي عم البسيطة عزه وسلطانه فاق السوى بالتنظم
وان رمت عداً للمآثر تكتفي بذكر اسمه (عبد العزيز) مترجم
لقد خضعت سود الجبال لعزمه فاضحت لعز بالخلافة يأتمي
ومذ ارتقى فوق السرير تروجت بافضاله هام الزمان بانعم
لذاك تباشير الولاية ارخت حبيب به الاسلام ما زال يحتمي سنة ١٢٧٧
ولكنما قد حل ما جل امره نخيف من الخطب العظيم المطهم
فقم باهل الحل والعقد خلعه ونادوا بحل للعام المقدم
(مراد) ولكن لم يطق عبء حملها لاخلال شرط بالامامة محرم سنة ١٢٩٣
فنادوا مراراً مجمعين باسرهم عن بجسم دهول في كل معصم
الا انه عبد الحميد امامنا عماد الورى والدين نجل المكرم
لاربى على كل الملوك مفاخراً تحلى بها الآفاق في كل موسم
تلافى بحسن الرأي ماجل خطبه بدس العدو الموسقو المذمم
فارجع قهراً طاعة الصرب يومنا وهرسك بلغارا بنصر متمم
كذا الجبل الـ...دلا عر... بنشك وطم ثم عاد لاعظم
فكان الى الروس الطغاة معاضداً وحل القضا اعظم به من محتم
وابقى اله العرش حوط الخلافة بابقاه جيل للمالك محتمي
فاسدى لها سلطاننا فيض عدله باجرائه تأسيس عدل منظم
ولا زال يبدي كل يوم فضائلاً تترجم عن شد النهى والتقدم
فنسأل من فيض الكريم له حمى بنصر لاعلام الخلافة مبرم
ودونك بشرى للولاية ارخت مفتح ابواب الصفا والتقدم سنة ١٢٩٣
وان رمت بشرى الحال تاريخها اذاً لعبد الحميد الحيد اسعد موسم سنة ١٢٩٧

فتمعن مما تقدم يشار اليه عنه تحت الاحمر تاريخ السلاطين لمدعى ولهم السلطان عثمان وحرم السلطان سليم بن السلطان مصطفى كما عمر تذييلا تاريخهم من السلطان مصطفى بن سلطان حتى خاقان عبد الحميد بدأ لله وتبين مما سبق ان الدولة العلية لم تزل منذ ستمائة سنة ولله الحمد قائمة معتبرة بين الامم غير انها منذ نحو مائتي سنة نقصت مطوبيا عما كانت عليه لاسيما في حروبها مع روسيا لان الدولة

الروسية منذ وليها بطرس الاكبر في سنة ١٦٨٢ حصت مطمح نظرها توهين شوكة الدولة العلية و الاستيلاء على ما بقي من ممالكها بالاستيلاء على ثلثة معمور الكرة مدونة الروس في سياستهم في عصرهم على ما هو معروف من الكرة ذلك وبرهن هذا صريح وصية بطرس الى ذلك القيصر واول من شهرها في اوروبا هو فريدريك كياردي سنة ١٨٣٦ وهذا تعريبها

من بطرس الاول — الى كل من يخلفني على تخت الروسيا العظيمة ... الله سبحانه لم يزل مؤيدا ... لا ... على ما حملني على الاعتقاد بان الامة الروسية ... على ذلك ... (لا ... الله) والدليل على ذلك ... الامم الاوروبية ... الثلاثي ... الروسيا ... لا ... شوكة العمر وعندي ان شعوب الامم ... على ... من احكام ... الادة التي لا ... نعودها كما وقع ... عند شعوب الامم ... على شمال اوروبا ... وحدت الروسية ... بحرا ... عصبيا يعطي عبادها ... ولا يعرض ... عزمهم ... الاعتقاد على ان اقررها الاصول ... المقصود ... وهي

اولاً

على ملوك الروسيا ملازمة حرب ... حيوشهم ... على حال الرياضة و الاستعداد ... على حرب ... الاصلاح ... وحيث نقص من العساكر وترصد فرصة الهجوم على الاعداء للحرب والصلح ... حسب ما تقتضيه ... الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

ثانياً

عليهم ان يجلبوا من سائر الاقطار الاوروباوية العارفين النافعين ... مدة الحرب و ما مدة الصلح فعليهم ... من ... من العلماء ... الروسيا ... الاخرى من دون خسارة ما لها طبيعة

ثالثاً

عليهم التدخل في سائر ... الملك الاوروباوية وخصوصاً الدنيا لقربها الينا

رابعاً

التداخل في احوال بولونيا وفي انتخاب ملوكها حتى لا ينتخب الا من يتبع للروسيا وادخال جيوشها بها لحماية هولاء الملوك حتى يتيسر التسلط على البلاد وان تعرضت الدول الاخرى يجب الاجابة الى مطالبها الى ان تقدر على استرجاع ما تعطيه

خامساً

تأخذ من مملكة السويد ما يمكن اخذه وتعمل بينها وبين الدانمرك عدواناً دائماً

سادساً

لا تزوج امراء روسيا الا بأميرات [illegible] لتكثير العلاقات بين اوروبا و[illegible] وتكثير وسائل المواصلة بينهما

سابعاً

يجب الاعتناء بمحالفة انكلترا [illegible] من الجهة التجارية [illegible] لانها [illegible] مستفيدة منها [illegible] الى صلاح [illegible] سطوة [illegible] وغيره من نتائج [illegible] انكلترا [illegible] موصلة بين تجارها [illegible]

ثامناً

[illegible] تقدر لامكان من جهة الشمال وعلى [illegible] البلطيك كما يجب السعي [illegible] من جهة الغرب وعلى شواطئ [illegible] الاسود

تاسعاً

تقرب من القسطنطينية و[illegible] قدر الامكان [illegible] القسطنطينية [illegible] الدنيا وبناء على ذلك يسعى [illegible] الحرب مع [illegible] وممالك [illegible] شواطئ [illegible] والبحر الاسود [illegible] ويسعى ايضاً تعجيل مملكة الفرس من [illegible] الى خليج [illegible] الشام و[illegible] تتقدم الى [illegible] الدنيا [illegible] انكلترا

عاشراً

يجب السعي في تأكيد محبة مع دولة [illegible] باسمها ظاهراً على ما قصدته من التسلط على الدنيا مع [illegible] عليهم [illegible] الدنيا سراً

حادي عشر

نشارك النمسا في قصدها من اخراج الترك من اوروبا ثم نسعى في الاستيلاء على القسطنطينية ونهيج دولة اعدائها من العيرة لاجل ذلك فنسعى دونه من دول اوروبا على محاربتها ونسلم لها جانبا مما حصلنا عليه ونسترجعه في اول فرصة

ثاني عشر

نجمع سائر الاغريق سواء في ولاية النمسا وبعضهم قدر الامكان باحبابه والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا احباء ما بين الاعداء

ثالث عشر

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وقهر الفرس وبولونيا والاستحواذ على ممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول اساطيلنا البلطيك والبحر الاسود نشرع في المفاوضة السرية مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة العالم بيننا فان ارتضت احدى الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها وهي ما ولا يصعب علينا ذلك حينئذ حيث يكون عندنا ممالك المشرق ومعظم اوروبا

رابع عشر

ان امتنعت كلا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليها وهذا مما يبعد وقوعه يجب السعي في تحريض احداهما على الاخرى فننتهز الفرصة ونهجم على المانيا ونبعث عليهم ونوجه اسطولين من بحر المحيط والبحر الابيض للاستيلاء على فرنسا وبعد قهر فرنسا والمانيا لا يصعب الاستيلاء على بقية اوروبا

وهاته وصية وان انكرها رجال الدولة الروسية لكن السيرة السياسية والعسكرية الموجودة في الخارج من ذلك التاريخ الى الآن تصدق وجودها اذ هي مصدقة لها مطابقة العمل بالرحل فلا زالت تجد مطلوبها في اوروبا وحيث كانت الدولة العلية هي الدولة ذات الشأن مجاورة لها في كل من القارتين مع محافظة الدولة حماتها تمنع نظره ووجدت سبيلا لمخادعة الدول الاوروباوية بالانتصار للمسيحيين الموجودين لهم في الدولة لما تدعيه من التعدي عليهم فتريد بذلك منعهم من استيلاء الدولة العلية عليهم على ما سيرد مبسوطا في الفصل الاول من الخاتمة فجعلت تثير ثورات في احد الاقسام ثم تنتصر له بان يجعل له ادارة مستقلة في داخليته وبعد مدة تغريه بالاستقلال وتنتصر له فاذا تم

استقلاله لا تلبث ان تتبعه ثم تنتقل الى قسم آخر بواليه وهكذا وما نهضت الدولة
العلية في عهد متقصد تدارك الامر باصلاح الادارة على حسب ما تقتضيه الاصول
الشرعية ويزيل تلك الاعتراضات حتى تستوي وتمنع عنها وتستخلص تقية الدول الاوروباوية
الى التصرفها من مشاحنتها فتعاطى المرحوم السلطان محمود مبادي الانتظام بعد ان لاقى
متاعب شديدة مع العساكر الينكشارية الذين كانوا اعظم اسباب تقهقر الممالك
العثمانية لعيثهم حيث عاثوا في الارض بظلم الرعية والاستيلاء على الاحكام السياسية في
القاعدة وعصاة الملك وخروجهم عن طاعة السلاطين وتلاعبهم بهم بعد ان كانوا هم
عمدة الاسلام ومشيري السلام فتمادوا عندما ضعفت الدولة في خلال القرن الحادي
عشر فاستبدوا بالحقوق دكرة وعادوا يتلاعبون بها حتى وهنت الشوكة وتداركها السلطان
محمود خان ذلك التعسف بالمرة بعد حرب دموية وبطش عوضهم العساكر النظامية على نحو
انتظام العساكر الاوروباوية في مدة قصيرة مع انه كان في تعب عظيم من حرب
روسيا التي كانت تحملها معاهدة ذرية مجحفة لتنمو استقلال الدولة العلية وحماية
اوروبا ابدا في حول بلاد العثمانية وكذلك كان السلطان في مهم من ثورة الاغريق في
جزيرة مورة وبعث اليها عدد الاسطول الانكليزي باسطوله واساطيل الولايات التابعة
للدولة كمصر وتونس والجزائر فسيرت تلك الاساطيل العظيمة راسية في نحر حوز الاحتراس
في شأن ثورة مورة واذا بالاسطول الانكليزي وارد فيها في صورة المقصد لان الاسلم
متاكد بين الدولتين ولم يكن يسمع شائعة حرب مرة واشارت الاساطيل الى بعضها
بعلامات السلام ثم ثبت ان حالت بين الاساطيل العثمانية حتى اذا تم تمكنه منها اطلقت
عليها النيران من جميع الجهات في آن واحد مع شدة الاقدام والتداخل والمسلمون في
حال دهشة عن ذلك فلم يتحقق فهلكت جميع تلك الاساطيل وغرقت في لجة البحر
دفعة واحدة بمن فيها فكانت حادثة لا تنسى ولا تمحى من صفحات التواريخ حتى ان اعضاء
مجلس الاعيان ومجلس النواب من الانكليز انفسهم هاجوا وماجوا على دولتهم من تلك
الفعلة والزموا الوزراء بالمحاكمة والقصاص فتكلم وزير البحرية آذنه بذلك وقال ان فعل
رئيس الاسطول ما فعل هو خيانة منه ولا امر لدولته به فأمروا احضاره والحكم عليه
بالقتل وعند ما احضر ووقع في مجلس الحكم وصدر الحكم بقتله وعلم انه لم يبق له مفر
ابدى على وزير البحرية ومسارة في ذلك وقال ايها الوزير ان تلك البطاقة التي بعثت
قد سبقت ان احرقها وها هي الآن في جيبي فبهت وجهه واطرق صامتا ثم عقد جلسة

مصرية واطلاق [illegible] ويقاس الاحسن على ذلك ما هو مركوز في طباع الدول سيما اذا كان القصد هو [illegible] بالغير [illegible] بيد ان الدولة الانكليزية لم تزل من ذلك الوقت الى الآن تعاضد الدولة العلية وتنصح لها وتظاهرها متى استطاعت كما يأتي ومع غاية [illegible] التي تقدمت الاشارة الى بعضها فالسلطان محمود رحمه الله ونعمه لم ير حدا مقدما حتى انه [illegible] سمعه خبر الاصطول وهو يحدث احد كبراء دولته لم يرد على سؤاله عن تحقق الامر من [illegible] ثم عاد لحديثه الذي كان فيه وشمر عن ساعد الجد في تجديد الاصطول و[illegible] راحة [illegible] لعساكر النظامية والاحكام [illegible] و[illegible] قبل الاستتباب وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد [illegible] في [illegible] القديمة الى التهذيب الوثق الذي هو [illegible] في [illegible] اربع من [illegible] وصدر [illegible] الحدث للتنظيمات [illegible]

[illegible] عند الجميع [illegible] العدة لم تزل من مبدء [illegible] امرها معتنية بكمال رعاية الاحكام [illegible] والقوانين [illegible] السنية قد وصلت بذلك الى [illegible] القصوى من القوة و[illegible] ورفاهية [illegible] والقرى [illegible] وخمسين سنة [illegible] وعمرانه [illegible] و[illegible] الحر و[illegible] وذلك [illegible] متصعبة و[illegible] منها تجاوز الحدود الشرعية والقوانين [illegible] ولا يخفى [illegible] التي لا [illegible] على [illegible] القوانين الشرعية لا تدوم [illegible] لم تزل [illegible] على [illegible] مصروفة الى تدبير [illegible] عمارة [illegible] ورفاهية [illegible] في مدة يسيرة بعون الله تعالى [illegible] موقع [illegible] على [illegible] ذات الاراضي الخصبة والاهالي ذوي الاستعداد [illegible] وضع قوانين جديدة مؤسسة على القواعد الشرعية [illegible] على [illegible] متوسمين [illegible] صلى الله عليه وسلم ومدار القوانين المشار اليها على وجوب حفظ [illegible] و[illegible] وعلى بيان [illegible] في تعيين [illegible] وطلب [illegible] اللازمة [illegible] وجوب حفظ [illegible] والعرض [illegible] عن [illegible] الامور الدنيوية [illegible] لا [illegible] عليهما [illegible] الى [illegible] بيه [illegible] من كان وان لم يكن في [illegible] محمولا على [illegible] ولا يخفى ان ذلك مما يضر بالدولة و[illegible] بخلاف ما اذا كان [illegible]

على نفسه وعرضه فانه لا يحيد عن طريق الصدق والاستقامة وصرف الهمة الى حسن
الخدمة لدولته وملته واما المال فمن فقد الامن عليه لا يتأتى له القيام بحقوق دولته
اذ لا يجود الا من شغل بال واضطراب حال بخلاف ما اذا كان آمنا على ماله فانه يشتغل
نفسه بما يعنيه في دينه ودنياه وينظر في توسيع دائرة معارفه وعيشته وبذلك يتمكن من
قلبه حب الوطن وتشتد غيرته عليه وعلى دولته ويكون سعيه على حسب ذلك واما تعيين
الاداءات فالمرجع فيه ان كل دولة تحتاج في حفظ ممالكها الى القوة العسكرية كما تحتاج في
ضبط تصرفاتها الى مصاريف لازمة ولا بد لها من مبلغ وافر من النقود بحسب احتياجها
ولما يتحصل ذلك يصرف على نتاج تلك الدولة لزم ان يوضع للاداء مقدار اليه
طريقة مخصوصة وذلك ان الالتزام وان نشأت منه مهلكة سامة والحمد لله على ذلك لكن
ما برحت آثاره من الاختلال والخراب وذلك لان جعل زمام مصالح المملكة السياسية
وامورها المالية بيد شخص واحد موكولة الى اختياره بل لا مانع ان يقال موكولة الى
قهره وجبره تسلسل عنه ما ذكر خصوصا اذا لم يكن ذلك الشخص من اهل خير ذاته
يكون مفتقرا على مصلحة الغير ويكون تصرفاته مبنية على الظلم والجور فوجب لذلك ان
نبادر بترتيب معيار مضبوط يعتبر في توزيع الاداء على الاهالي مراعى فيه قدر المكاسب
واليسار بحيث لا يؤخذ من احد ما فوق مقدوره بعد ان يجعل لمصاريف الدولة
اللازمة للعسكر وغيره حد محدود بقوانين لا تتعداها واما حال العساكر فهو من اهم
ما يتوقف عليه حفظ الدين والوطن والذب عنهما فيلزم للاهالي ان يقدموا عساكر منهم
للخدمة العسكرية لكن الطريقة الجارية في ذلك الى الآن مع ما فيها من عدم الانتظام
تؤدي الى اختلال اصول الزراعة والتجارة وعلى هذا الشكل يقع النقص في الاموال
والانفس والثروات ومنشأ ذلك عدم اعتبار عدد النفوس الموجودة في بلدان المملكة
فيؤخذ من بعضها اكثر من المقدور ومن بعضها اقل من الميسور واستمرار خدمتي في
الخدمة العسكرية مدة حياته وبسبب ذلك يقل النسل ويحصل الضجر الحق من تلك الخدمة
المذكورة فبناء على ذلك نرى من اللازم اتخاذ سنة خاصة لاخذ العسكر من الممالك ان
يوضع لذلك اصول مناسبة جارية على منهج التساوي المطلوبة ثم يسن سنة في الاستخدام
العسكري طريقة مسنونة بحيث لا يبقى الشخص في الخدمة المذكورة اكثر من خمسة
اعوام مثلا فمجموع الاصول التي عليها مدار القوانين والتنظيمات يحصل بمعونة الله مع
العمران والقوة والامن والراحة فلذلك تحول يلزم من الآن فصاعدا ان لا يعامل احد

من ارباب الجرائم و الجنايات مما يفضي الى اتلاف نفسه من سم وغيره بدون مبالاة بل لا يحكم عليهم الا بما تقتضيه القوانين الشرعية وان لا يسلط احد على الوقوع في عرض آخر وهتك حرمته وان يتصرف كل انسان في امواله و املاكه بغاية الحرية وعدم معارضة وان من جنى جناية لا يحرم ورثته من حق وراثته بالاستيلاء على امواله للحكومة التي تبرأ منها وهذه المساعدة ما جارية في حق المسلمين وغيرهم من سائر التابعين لسلطنتنا بدون استثناء احد منهم ولاتمام الامان وتعميم الاحسان قد زيد في عدد اعضاء مجلس الاحكام العدلية قدرما يلزم للنظر في سائر اللوازم وتصحيحها مما يتفق عليه الاكثر وعلى وكلاء دولتنا العلية ان يحضروا المجلس المذكور في بعض الايام ويبدي كل واحد ما يستحسنه دون تحاش ولا مداراة وما مخصوص في شأن الشئون العسكرية ثم تكون دار الشورى الكائنة تحت السر عسكر وكل ما يستقر عليه الرأي من القوانين يعرض علينا لنوشحه بالخط الهمايوني ويكون دستور العمل ... وحيث كل وضع هذه القوانين الشرعية المشار اليها انما هو لاحياء الدين والدولة ... كذلك ذلك بعهد وميثاق من طرفنا الملكي على ان لا يصدر منا شيء يخالفها و ... على ذلك في بيت الخرقة الشريفة بحضور جميع العلماء والوكلاء ويحلف كل منهم على ذلك فاذا صدر بعد ذلك من احد الوزراء والعلماء ما يخالف تلك القوانين الشرعية فانه يجري بالتأديب المناسب لجريمته الدينية بدون التفات لرتبته ولا مراعاة لشأنه وحيث ان مأموري الدولة لهم مرتبات كافية ومن ليس له ذلك الآن سيرتب له ما يكفيه وحيث ان ... قطع مواد الرشوة المستشنعة طبعا وشرعا بوضع قانون يخص عقوبتها ولاستيفاء ... المشار اليها والاصول المبنية هي عليها مغايرة للعوائد الجورية القديمة وحيث ... نشر هذه الاوراق السلطانية الى سفراء الدول المتحابة المقيمين بالاستانة نسخة ليكونوا شاهدين على امضائها كما نشرها في ممالك الاستانة وسائر ممالكنا المحمية فمن سعى في حل عرى هذه القوانين الموضوعة على اساس شرعي متين فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا ينال فلاحا الى يوم الدين ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لاجراء هذا الخير العميم آمين ". اه

ثم ان الجهلاء واصحاب الفوائد الشخصية من المنتسبين للعلم ومن اهل السياسة كادوا ان يحدثوا تحزبا في الملك باشاعة ان التنظيمات تضاد الديانة الاسلامية فاضطر المرحوم السلطان عبد المجيد الى ... وهم من الافكار بارساله شيخ الاسلام احمد عارف الى الملك فقام فيهم خطيبا يشرح ان الشرع المحمدي لا يخالف التنظيمات بل

يقتضيها ولما كان هذا الحلم معروفاً بالرسوخ في العلم والورع انقادت العامة الى عظيم اما ذوو الغايات الخصوصية من ذوي الرياسات فلم يألوا جهداً في تعطيل اجراء التنظيمات بالفعل الى ان وجدت الروسيا سبيلاً الى [illegible] حتى سنة ١٢٧٠ واضطرت الدولة العلية الى حربها المعروفة بحرب القريم وساعدها كل من دولتي فرنسا وانكلترة وسردانيا حيث توجه [illegible] باشا الى فرنسا [illegible] على [illegible] الامبراطور نابليون الثالث [illegible] و[illegible] دولوين [illegible] لصرف النظر عن تطاول الروسيا لا تأمن بوائقه الدول الغربية لان الروسيا لا سمح الله لو تسلطت على الاستانة [illegible] او مصر ملكت التسلط على البحر المتوسط وتحولت التجارة عن سائر الممالك الشرقية من الممالك الغربية وايضاً تحصل على النفوذ السياسي الذي تحرم منه الدول الغربية اذ لم يبق [illegible] تستولي عليها وحيث كانت فرنسا مباشرة [illegible] البحر في سيمور لا يسوغ لها [illegible] النظر عن هذه الحادثة وترك الدولة العلية منفردة مع خصمها [illegible] حركت الحمية الفرنسوية في الامبراطور [illegible] في مساعدة الدولة العلية [illegible] من انكلترا على اتفاقها ومساعدتها ثم [illegible] حتى وجد [illegible] وكادوا [illegible] يحملونه على الاعناق وتحت [illegible] والعمل وحماية [illegible] فلم تلبث الحرب [illegible] حتى [illegible] فرنسا وانكلترا [illegible] وانضمت اليهما دولة سردينيا [illegible] في زمرة الدول العظام [illegible] وانتهت الحرب [illegible] على شروط معاهدة باريس ومحصولها هو ابقاء استقلال الدولة العلية في جميع [illegible] وبعدم [illegible] سائر تصرفاتها الداخلية التي يشترط فيها الحرية و[illegible] على احلاف [illegible] الممالك التي لها استقلال في ادارتها [illegible] من النصارى كالصرب و[illegible] الاسود والافلاق والبغدان تبقى [illegible] تؤدي الخراج للدولة تحت حمايتها و[illegible] البحر الاسود فيكون خالياً حتى لا يسوغ لاحدى الدولتين [illegible] حربية فيه سوى عدد يسير لمجرد حفظ [illegible] وكذلك نهر الطونه يكون نهراً تجارياً فقط تحت مناظرة جمعية اوروباوية ومن ذلك الوقت تخلصت الدولة العلية من [illegible] الروسيا [illegible] ودخلت في سلك الدول الاوروباوية العظام وتكفلت الدول باستقلالها ومن سوء البخت لم يزل اهل المتوطنين في [illegible] على السيرة الاستبدادية والعدو منهم بالمرصاد [illegible] جمعيات سرية في قواعد مملكته وارسلت عمالها الى الولايات العثمانية التي [illegible]

سكانها نصارى والقوا دسائسهم بتعميم الثورة وانه زادت العداوة بين الراعي والرعية هذا
وسعي الروسيا في معاهدة خلافة بجعل وجه التودد الى اوروبا والاستمالة الى مصالح
الدولة لطالع من مصلحة من رجال الاستقلال بالغيرة لاستعدادها التي هي مسيرة
الروسيا لكن على شرط التسليم في البلادات التي يسكنها الصقالبة وبذلك تعقد دونه
الروسيا مع الدولة العلية معاهدة على الدفاع والاقدام وتعوضها بقصد ممالك سلامية
عوضاً عما يخرج من عهدها وتساعدها ايضاً على الحط من ديونها الى المقدار
الذي تطيق بها فاثرت هذه الوساوس واحست الدولة العلية بعدم اقتدارها على دفع
فائدة ديونها حتى اغتاظت منها ممالك اوروبا واستغنم الاهالي في شأن تلك الجمعيات
السرية حتى ثارت ولايتا بوسنه وهرسك ثم البلغار ثم الجبل الاسود ثم الصرب وقد زل
رجال الدولة الصادقين خشية تعطل الى الحد ... اصله الى اس القصد منه لا
سيما والدولة بعدها وحملها في قسمة عدوها وابعادها عن الدول الناصحة لها مع انها
استقرضت من رعاياها منذ سنة ١٢٧٠ نحو خمسة آلاف مليون فرنك ولم يحصل منها
ومن مداخيل الدولة التي هي نحو عشرين مليون ليرة في السنة على ممر تلك السنين التي
هي ست وعشرون سنة ما يشبع بعد لأنما تعمه التقرير الذي قرره الصدر الاعظم
بحضرة السلطان عبد العزيز في الباب العالي وهو مشهور فانه قد نفذ جميع الوسائل
اللازمة لاصلاح شأن مجالس الحكمة وبين نفعها وترتيب خدمتها على اعدل وجه
يمكن حتى يبان جميع رعايا الدولة منها عناية وموطن من حسن المعاملة والانصاف من غير
مراعاة جنسية ولا مذهب وانه بذل جهده في اصلاح قوى الدولة وتعميمها على
ما يعادل قوات الدول الاخرى وان حملة العساكر مع الرديف تبلغ الآن ثمانمائة الف
من غير الجبال الشام ومصر وتامة مهمات من مدافع المتقنة حسب الاختراعات الجديدة
وان الاساطيل عنى باصلاحها غاية الاعتناء حتى اصبحت الدولة العثمانية الآن عندها منها
ما يجعلها ثالثة الدول البحرية الكبار وانه قد جرت السعي مشروع الآن في انشائها في
الترسانة العامرة يكون للدولة من المراكب المدرعة والمونيتور وهي من ذات البرج ا
سبعة عشر فلكاً وانه ابرز الاوامر اللازمة لتحصين سائر حدود السلطنة بالابراج والحصون
حسبما تقتضيه ضرورات الوقت وانه حين ترسانات الدولة بالادوات والماكينات
والمعدات اللازمة حتى صارت الآن تستطيع ان تجري ترسانات ... في انشاء السفن
الحربية واصلاحها وانه يجري عن قريب من ... المصنع الحديد الذي شرع في انشائه

منذ مدة في الطوبخانة وهو مصنع يستطيع ان يصنع ثلاثمائة مدفع في كل عام من أحسن
مدافع الشنيدر وان اهتمامه الآن بمساعدة وزير المعارف ورفيقه الوزراء الآخرين موجه
الى تكثير عدد المكاتب والمدارس وتوفير الاسباب للتعليم وترتيبها على وجه يمكن سائر
الناس من الانتفاع بها لانتشار المطبوعات وان الاعمال المتعلقة بالسكك الحديدية والطرق
المعدة لسير العجلات وقع الاهتمام بها من غير انقطاع ولا توان وان في شهر اغسطس
الآتي يكون سكة الحديد مشروع في انشائها بين اسكودار وازميد وان الخزانة لا يزال
موجهاً اليها كل ما تستحقه من عظيم اعتنائه وهمته وتزداد يوماً من التسهيلات سائر ما
تحتاج اليه منها دون انقطاع الادوات والآلات اللازمة لها على اختلاف انواعها من
دفع رسوم الكمرك على الاطلاق في سائر اقاليم السلطنة وهذا كله زيادة ترغيب الناس
في الاشتغال بها حالة كونها في اعظم ينابيع الثروة في الممالك وختم الصدر الاعظم تقريره
بقوله ان مالية الدولة باقية على ما كانت عليه . هذا وبعض التقرير لم يكن في الخارج
سوى ما ذكر ولدى تعاقب الامر فيما بعد على ان استندت رجال السياسة والعساكر الى
فتوى من شيخ الاسلام في اعتزال فكر سلطان و وذوا السلطان مراداً وحيث كان ضعيف
المزاج و رجع بكيفية ولايته وفوت عمه و ثورة على اوربا من بعض المسلمين لم يطق
تحمل عبء الخلافة فاستند اهل الحل والعقد الى فتوى بعزله ونادوا بسلطاننا عبد الحميد
ايده الله فبادر الى امر الادارة باصداره الخط الهمايوني عند تقلده الامامة وهذا تعريبه
" انه لما اعتزل اخي الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مسند السلطنة والخلافة
وفرغ منها حالما توجب الله من انتهي على تخت اجدادنا العظام وقد وجهنا لعهدتكم
مسند الصدارة العظمى ورياسة مجلس الوكلاء ثقة وتحديداً بناء على ما لذاتكم من
الروية السليمة والخبرة المجربة وما لكم من الوقوف والاطلاع على مهم امور الدولة
وكذلك قررنا جميع الوكلاء على مناصبهم واني شديد الاتكال في جميع الاحوال على
تسهيلات حضرة موفق الامور هو الله سبحانه وتعالى) وتوفيقه تعالى وقصارى آمالي
ومنتهى قصدي مصروفة بالحصر لتأييد مباني شوكة دولتنا ومكنتها بحيث تنال صنوف تبعتنا
بالاستفادة حرية وتنعمون جميعاً بنعمة العدالة والرفاهية وانا على ثقة تامة ان جميع وكلاء
دولتنا وعمالها يشاركوننا في هذا الاثر ويعضدوننا عليه وقد عرف الناس اجمع بان حال
[illegible] اسم دولتنا قد حدث وسيأتي متنوعة وصور واشكال متعددة فاذا
معنا النظر في ذلك من اي جهة كانت نجمع مادية واساسية في نقطة واحدة وهي عدم

جريان القوانين والتعليمات المؤسسة على الاحكام الجليلة الشرعية التي هي المسند الاساسي في دولتنا على حقها وتمامها وتتابع كل فرد افراد تبعتنا في ادارة الامور انما اتساع ميدان عدم الانتظام الطارئ على ادارة دولتنا ملكا ومالا وما حصلت عليه امور ماليتنا من عدم الامنية في الافكار العمومية وتعذر وصول المحاكم الى الدرجة المتكملة بتأمين حقوق الناس وتأخر استعادة مملكتنا حالة كونها قابلة لانواع وسائل العمران كالحرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو معلوم فهو من عدم الثبات الذي وقع على كل ما شرع به من الاجراءات وكل ما حصل من التشبثات الصادرة عن نية خالصة بقصد اعمار مملكتنا ورفاهية حال رعايانا وتبعتنا وسعادة حالهم ومآلهم بدون استثناء الحرية الشخصية وكون ذلك بالجملة صار عرضة لتغييرات متنوعة منعت نتاج المقصد الاصلي فلا ريب في انه تولد ونشأ عن عدم الثبات ما ساع القوانين والنظام ولذا كان من اهم ما يلزم من التدابير الواجب وضعها اولا فاولا في مطلب قوانين مملكتنا المقتضي وضعها وتنظيمها في صورة تكفل بامنية العموم وتقتضيه ينبغي ان يتخذ بها من هذه النقطة المهمة وهي ان يترتب مجلس عمومي تكون هيئته ودوره مستوجبة لثقة العموم واعتمادهم ويكون موافقا لقابلية مملكتنا واخلاق اهاليها كافلا بتقدم تأمين اجراء النواميس حرفا بحرف سواء كانت القوانين موجودة والتي تتأسس من الآن فصاعدا توفيقا موافقة لاحكام الشرع الشريف المقدسة ولما هو بالحقيقة ضروري ومشروع مملكتنا ومتنا وماضيا في موازنة واردات الدولة ومصارفها تبحث الوكلاء في هذا المجلس ويتذاكروا فيه بتدقيق وتأمل ويعرضوا قرارهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسئلة توديع المأموريات الى غير اهلها من مأموريها وتبدلاتهم المتوالية من غير سبب مشروع هي من جملة الامور الباعثة على ايقاع جريان القوانين والنظامات كما ينبغي في حيز الاشكال وهذا مما يأتي بكثير المضرة ملكا ومصلحة فينبغي ان يتعين من الآن فصاعدا مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والمأموريات وتتخذ قاعدة ثابتة يستخدم بمقتضاه في كل عمل من يكون اهلا له ولا يعزل احد ويبدل من مأموريته الا بموجب على وجه ان تكون كافة الوكلاء ومأموري الدولة كبارا وصغارا مسئولين عن الوظائف الموكولة لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى المحققين ان ترقيات ملل اوروبا المادية والمعنوية انما هي حاصلة بقوة الفنون والمعارف وبما ان استعداد كافة صنوف تبعتنا وما فطروا عليه من الذكاء والحمد لله يؤهلهم من كل وجه للترقيات وهم ما لدى الامن من الامور

لاسراع تعميم المعارف وحصر ما تقدم والحاجة هذه ان يحصل الاجتهاد بالاسراع بتخصيصات المعارف الى الدرجة الكافية حسبما يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل الموصلة لتعميم نشر حصول المعارف على الدوام ويبادر عاجلاً لاصلاح الاصول الملكية والمالية والضبط في الولايات بحيث توضع ضمن دائرة الانتظام في صورة مماسة للقاعدة التي تتخذ في المركز وحيث ان الحادثة التي ظهرت في العام الماضي في اطراف هرسك وبوسنة باغراء ارباب الاغراض قد انضم لها ايضاً مسئلة عصيان الصرب والدم المهرق من الطرفين انما هو دم اولاد وطن واحد وكل دوام هذه الحال التي يرثى لها موجب لتكدرنا وتأثرنا الشديد يلزم المبادرة بالتدابير المؤثرة الحسية لاستئصالها وفيما نؤيد مجدداً كافة احكام المعاهدات المنعقدة مع الدول المتحابة نؤثر رغائب على الوجه الحسن ويسعى بالمثابرة والاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمودة المتبادلين بيننا وبين الدول ونسئل حضرة الرب سبحانه ان يقرن مساعينا جميعاً بتوفيقه واسعافه في كافة الاحوال آمين . يوم الاحد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٣ »

ثم اشتعل الجرم في الثورة ونهض جميع العصاة في سائر الانحاء وعندما رأت الروسيا تخاذل الوسائل التي اعدتها لم تحقق صحة حتى جهزت الجيوش ووقفت على قدم الحرب مدعوى ان تعهدات الدولة العلية في حق النصارى لم تجر وانهم لا يزالون في الظلم من الولاة والتعدي من المسلمين وان تعهدها الجديدة الموافقة للائحة الكونت اندراسي وغير ذلك التي قدمتها على وجه المودة والنصح ومساعدة الدولة العلية للاصلاحات المطلوبة له لا يمكن ان تكون كافية ولم ترضهم فتريد اذاً الدولة الروسية ان تطلب الاستقلال في الادارة لتلك الولايات على ان تكون تحت حمايتها وانها تنفذ هذا بقوة السلاح ولولا ان انكلترا جاهرت في حقها وصرحت ما عدا ما كانت تعد الثائرين حقاً ومعنى انها ان لم تكف عن هذه الحرب السرية فانها تدخل معها في الحرب الجهرية وكذلك دولة النمسا ظهرت التحرش من جهتها خوفاً من كل عمل على مصالحها ودولة الانكليز تخاف من تملك الروسيا الخليج فارس وخليج السويس وبذلك تسقط من يدها مستعمراتها في الهند ودولة النمسا تخشى عواقب الصقالبة بجوارها فيطمعون فيها وتلاشي فيما يهم مع سابقية التآلف بين النمساويين والمجاريين لانهم قسم مستقل من مملكة النمسا حتى ان رئيس الدولة يلقب بامبراطور النمسا وملك المجر وهذا التآلف جاء من مساعدة الغرب بين هم عندما كان قدم للنمسا قاهراً هنكاريا ومستبداً عليها في التصرفات السياسية غير

انهُ منع كل من الدولتين مانع من نفاذ قصدها بالفعل واما دولة انكلترة فانها لما كانت دولة حربية محضة لم يكن في قدرتها التصرف الا على طبق ارادة الامة وامتها منقسمة الى حزبين احدهما يسمى حزب المحافظين والذي يسمى حزب الاحرار وتقدم بسط هذه النسبة في الكلام على انكلترا وكان الحزب الذي في مقام الانتصار دونه للدولة العلية حتى انهُ لما كان بيده زمام التصرف في سنة ١٢٨٨ وانتهزت الروسيا الفرصة من حرب جرمانيا وفرنسا فطلبت تغيير معاهدة باريس فيما يتعلق بتقوية شأنها في البحر الاسود ساعدت على ذلك دولة انكلترا على ذلك المطلب وغير شرطهُ وفي هاته الدولة المتكلم عنها كان التصرف بيد حزب المحافظين لكن الحزب الآخر [illegible] لم وكاد ان يجذب اليه الحزب الآخر فلم يكن في وسع رئيس هذا الحزب الذي بيده زمام تصرف الدولة ان يجاهر بالمرة بما واساعت على ابعاد سياستهم مع المحافظة لم يخص في هذه الا انهُ كما يقرهُ المصير واضف الى ذلك عدم تحقق تحالف ذي قوة برية معتبرة يكن لانكلترا ان تعتمد معهُ للانتصار للدولة العلية لان فرنسا الوحيدة مثل ذلك لم يكن في وسعها الانتصار في الحرب لما تقدم في الفصل الثالث من المقصد في الكلام على فرنسا وهذا السبب المتعلق بفرنسا هو الذي نكص دولة النمسا عن [illegible] مع كونهما [illegible] للدولة العلية حيث ان الموازنة الاوروباوية تغيرت وتغلب الامبراطور الالماني امبراطور النمسا وروسيا [illegible] ما حققه وما حكم على [illegible] ويتبعهم [illegible] حوادث [illegible] اسود ذهب ذهاب المشار اليه [illegible] مشفاعة كل من انكلترا والنمسا لكبح الروسيا ان عقدوا مؤتمراً في لاهاي لاتفاق ما بين الدول [illegible] على معاهدة باريس على ما يصلح به الحال ويرجع السلم بين الدولتين المتحاربتين [illegible] وعلى ان طلبوا من الدولة العلية ما يأتي

اولاً. تغيير حدود الجبل الاسود باعطائه بعض اراضي من المملكة العثمانية. ثانياً تشكيل حكومة [illegible] الدول الاوروباوية تعيين تلك الحدود الجديدة. ثالثاً ابقاء حكومة الصرب على حالتها السابقة بان تكون لا لها ولا عليها وتقرر حدودها من جهة بوسنة عملاً بمقتضى الخط السلطاني الصادر سنة ١٢٣٢. رابعاً الولاة الذين يتعينون الى بوسنة وهرسك والبلغار ينتخبون من جانب الباب العالي مع موافقة دول اوروبا في ذلك وابقائهم في مأموريتهم مدة خمس سنين. خامساً نظراً الى توقع الحروب تقسم تلك الولايات الى الوية ويتعين لها متصرفون من جانب الباب العالي بعد انتخاب اولئك الولاة لهم. سادساً

ثالثة مجلس مركب من ثلاثة اعضاء يشكل من الولايات تستحق مجلس الولايات تحرير دخل الولاية وخرجها وانتخاب اعضاء مجالس الادارة وتوزيع الضرائب السلطانية على الاهالي ما عدا رسوم الكمارك والدخان الراجعة للدولة العلية سابعاً اعطاء طريقة الالتزام مدخولات الدولة ونفقات الدوائر السابقة لكل من الولايات الثلاث . ثامناً دخل الولايات المذكورة عدا ما هو راجع للدولة كالدخان والكمارك يدخل منه قسط لخزينة الدولة العامة والقسم الذي يصرف في مصالح الولايات المذكورة ويعطى لكل منها دستور للعمل بذلك . تاسعاً ترتيب المحاكم المختصة . عاشراً عساكر حربية للاهالي . حادي عشر تعميم الحرس الاهلي . ثاني عشر العفو العمومي عن من فر من الطاينات السياسية . ثالث عشر اعطاء رخصة للاهالي في شراء الاراضي السلطانية . رابع عشر الشروع في تنفيذ تلك الشروط بعد مضي ثلاثة شهور . خامس عشر تعيين لجنة من طرف دول اوربا للاطلاع على اجراء تلك الشروط وغير ذلك . ولدى الدولة العلية نسخة من قبول الاقتراحات المذكورة شبيهة باسماء جاءت دولة عثمانية حربية تخرج لصنف رعاياها على المواد القانون الاساسي الذي أحدثه مؤسس السلطان عبد الحميد ايده الله ملكاً وقد سبقت الاشارة اليه في الفرمان الذي صدر عند الدعوة العامة واذاره للعمل بالقانون عنده . كان هو في مدونته ومنحة بخط الشريف لا ثاني نص عربيه في موكب مشهود وكانت تلاوته في يوم كان يوم عيد وهو

"وزيري سمير المعالي مدحت باشا

" ان سلطنتنا السنية كانت في حد شهرتها في الايام السابقة واسباب ذلك التقهقر لم يكن ناشئة عن الدين فتعطلت عن وفق الاحوال وبعدت عن الطريقة المستقيمة في الادارة الداخلية حتى ضعفت الماني وقوتي ولذلك كان المرحوم والدنا السلطان عبد المجيد مع بعض دول في تحسين الادارة مرونة بالتنظيمات الخيرية اشتملت على تأمين جميع الرعايا في انفسهم واموالهم وعرضهم وشرفهم طبقاً لقواعد الشريعة المطهرة والتنظيمات المذكورة هي التي كانت سبباً لالتئام الدولة محافظة على دوام الامنية الى الآن ومن آثارها المشكورة ساعيا في تأسيس هذا القانون الجديد لدى افتتاح ولنا التي تحت حيث من تلك الامنية وقد تيسر لنا في هذا اليوم الاعلان به وما كان هذا اليوم من الايام السعيدة فانه يلزمني ان اذكر الآن المقدس المرحوم والدنا وبصفة نصوان مجيي الدولة وان اذكر

مقاصده الحسنة ولا شك انه كان سعي بسعيه في ادخال السلطنة في العهد القانوني
الذي سنستظل به الان ولو تيسرت مدة تأسيس الشعوب لخيرية الاسباب المتوفرة
لان لكان . ولذا المرحوم اسس اذ ذاك احكام هذا القانون الاساسي ولكن العزة
الالهية قدرت ان يكون هذا التبديل السعيد الذي هو الكفالة العظمى لخير رعايانا في
مدة ولايتنا ولله المنة على ذلك. ومن المعلوم ان تقرر اصول ادارة الدولة صارت مغايرة
للتبدلات المتتابعة التي وقعت سابقاً في تصرفاتنا الداخلية وفي زيادة خلطتنا مع
الدول الاجانب وغاية مرغوبنا ازالة جميع الاسباب المانعة الامة والبلاد من الانتفاع
بالنتائج الطبيعية التي لم تحظ بها كما ينبغي وان نرى جميع رعايانا قد جاوزوا الحقوق
التي من اللائق للامم المتمدنة بحيث يكون كلهم متصفين بنسبة حالة في التقدم والالفة
والاتحاد فكان من الواجب اتخاذ طريقة نافعة مستقيمة للحصول على المقصد المذكور ووقاية
حقوق الدولة ومحو الخصوصيات والمعاملات الناتجة من الاعمال الغير المباحة الناشئة من
وجود التصرف الاستبدادي بيد امر واحد او بعض افراد وان نمنح حقوقاً متساوية
لجميع الطوائف المركبة منهم الامة وان نحفظهم في حالة يمكنهم معها الانتفاع بخير الحرية
والعدل والتسوية ولا فرق بينهم في ذلك وهذا هو الوجه الوحيد لاصلاح حماية جميع المصالح
وضماناتها وهذه القواعد الملكية الثلث وجوب عمل حر مفيد للغاية وهو وجوب تقييد اساس
ادارتنا بصورة شورية عمومية ولذلك لما اصدرنا خط عهد همايوني على كرسي السلطنة
قررنا لزوم احداث مجلس للامة (وفي الاصل پارلمنتو) وقد انتخبت جمعية خصوصية مشكلة من
رجال دولتنا واهل العلم والمتوظفين الاعيان في تأسيس اصول هذا القانون بغاية التدقيق ثم
وقع الناظر فيه بمجلس وكلائنا والموافقة عليها وهذا القانون مشتمل على اثبات حقوق راحة
للذات السلطانية وحرية جميع الرعايا بمقتضى السياسية والمدنية وتسويتهم لدى الاحكام
السياسية والعرفية ايضاً وبيان مسؤولية الوزراء والمتوظفين ومعاملات وظيفتهم وحق مجلس
الامة في الاحتساب على اعمالهم واستقلال المحاكم الحكمية في خدمتها والمعادلة بين دخل
الدولة وخرجها معادلة حقيقية وتوسعة التصرفات الحكمية بالاوطان مع بقاء النظر الاعلى
فيها للدولة وجميع هذه الاصول مطابقة لاحكام الشريعة المطهرة ولضروريات الوقت
والمرغوب قاست النية الحسنة التي شأنها تحقيق خير الجميع حيث ان ذلك غاية المراد وقد
جعلت اتكالي على الله وعلى امداد رسوله في ذلك والتزمت لمعهديتم هذا القانون بعد ان
وافقت عليه بامضائي السلطاني ويقع العمل به حالاً بحول الله في جميع جهات السلطنة

فالآن ارادتنا انكم تعلنوا هذا القانون وتجروا العمل بمقتضاه من هذا اليوم كما يجب عليكم ايضاً اتخاذ جميع الوسائل اللازمة المتأكدة للاستعمال في تهيئة الترتيبات التي يقتضي ذكرها القانون المذكور والله تعالى المسئول ان يقارن بالنجاح سعي كل من اشتغل فيما يؤول الى نجاح السلطنة والامة وكتب في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٢٩٣ ".

غير ان اعضاء المؤتمر لم يثنهم ذلك وساروا جميعاً من الاستانة دفعة واحدة مظهرين عدم الصداقة للدولة العلية والدولة لم تكترث بذلك حيث ان ما عملته من الرفض المطلق كان عن رأي الامة لانها عقدت مجلساً عاماً من جميع وجوه اصناف رعيتها حتى انه حضره المعروف بالدرويش والديانة امير الامراء (الفريق) رستم باشا وزير الحربية اذ ذاك في المملكة التونسية حيث كان رسولاً عن اميرها في تهنئة حضرة السلطان بالولاية وجمع جميع اولئك الاعيان على خلاف دياناتهم على رفض تلك المطالب الا ان النصارى واليهود منهم قالوا نؤثر رفقة آخر نقطة من دمنا وصرف آخر درهم من مالنا على حفظ شرف مملكتنا من الاهانة بالتجزئة وان كان هذا لم يبد الا بعد حقيقة الامر الرفض دون النقض هذا بعد ان كان عرف جميعهم الرجال ووجد مدحت باشا صاحب الصدارة اذ ذاك تعرض الامراء على الدول واجمل نصحهم جميعاً لكي ينصروا الامر حقيقة ضميرهم لم يتزحزحوا شيئاً فاعتمد السلطان ووزيره هذا الرفض وقد دعم من رجال الدولة لم يسع سائر الامم الا انصافهم والاذعان بان لهم الحق في رفض ذلك الاقتراح بل ان اللورد سالسبوري اشد المخاصمين في المؤتمر قال عند ما سفر نحس ووزراء في انكلترا لقد انصف القوم في رفضهم لمطالب لم ان حصص د قال وعلى بان دولة العلية اهانت اوربا لكي يجوز حقانة في اشهر الحرب بعد ان انكلترا مع ذلك لم تسمح له بما اراد وحث على التعال للدولة العلية واجتمع سفراء الدول في انكلترا واستقر امرهم على لائحة هذا نص تعريبها

" ان الدول التي تعاطت عموماً اسباب سلم المشرق واشتركت هذا المقصود في مؤتمر الاستانة قد رأت ان الطريقة الوحيدة في بلوغ المقصد الذي اعتمدت عليه في المحافظة على التوافق الذي وقع من حسن البحث بينهم ومع ذلك يجددون تقرير امر يهمهم وهو من مصالح العموم اعني تحسين حالة امم النصارى بالممالك العثمانية واجراء الاصلاحات في بوسنه وهرسك والبلغار حسبما قبله الباب العالي على ان يجريها من عند نفسه وبذلك اعتبر عقد الصلح مع الصرب نتيجة اما ما يتعلق بالجبل الاسود فان الدول تعتبر عقد الصلح معه امراً مرغوباً فيه ولا بد له من توطيده بان يقع تعديل الحدود وتعطى حرية الجولان في

من الموبابه لان الدول تعتبر الاوقات التي [illegible] بين الباب العالي وصربيا [illegible]
كانوا قد قدمت خطوة في السكون [illegible] العصيان وهم يستدعون [illegible]
العالي لتوكيده بترجيع العساكر على قدم [illegible] ولا تبقى مباحث غير [illegible] اكثر اللازمة
لتقرير الراحة ويبادر الى اجراء الاصلاحات اللازمة [illegible] وتحسين الولايات في وقت
ومن حتى يقع [illegible] بها المؤتمر وقرروا تقسيمها [illegible] الباب العالي [illegible] اجراء
القسم الاعظم من تلك [illegible] صورة [illegible] مؤرخ في ١٣ فبراير سنة ١٨٧٦ وما
قررته الدولة العثمانية في المؤتمر [illegible] وذلك كان في يد وكلائها وقد كان [illegible] الدول
[illegible] في [illegible] ومصالحها الحقيقية في اجرائها انها متيقنة بما
[illegible] الباب العالي [illegible] الفرصة [illegible] ويقوم [illegible] لاجراء [illegible]
[illegible] تحسين حال النصارى [illegible] من الامور [illegible] الراحة [illegible]
وحيث ان هذه الطريقة [illegible] ومصالحه ان يجربوا في ذلك العزم على
[illegible] فتعلمت الدول [illegible] بدولة [illegible]
واسطة وكلائها في [illegible] حرى [illegible]
تحسين حال النصارى [illegible] ثم [illegible] التي تضطرب
بها دائماً راحة المشرق فلعله سيظهر لهم من [illegible] يقررون [illegible] هذا الحادث
لا يوافق مصالحهم ومصالح [illegible] الدول [illegible] ما يرونه
عموماً من الطرق التي [illegible] لاحوال النصارى [illegible] العمومي
وكتب في لندرة في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ »

وارسلوها للدولة [illegible] كان
صدرت من [illegible] الدولي [illegible] من الدول اذا كان اجراء
الاصلاح حقيقة مقصوداً لا [illegible] معاهدة باريس المصرحة بكمال استقلال
الدولة العلية في ادارة [illegible] مصرحة [illegible]
الدول لها ولا معنى لجعله شرطاً في معاهدتهم [illegible] يكون لهم حق في طلب اجرائها كما
يطلبون اجراء سائر شروط المعاهدة [illegible] في ذلك ما يدعو [illegible] لكن باب ارتكاب
[illegible] لا ينسى ولا يخفى [illegible] دولة الروسيا [illegible] ما يبعد عن الثمانين مليوناً
واذا اضيف لها [illegible] كانت نحو [illegible] مليوناً من النفوس
[illegible] من الحرب [illegible] عشرين سنة [illegible] سكك حديد [illegible]

ممالكها التي يعتني بها ولا ينسى انه منذ ثلاث وعشرين سنة فقط قد حاربتها اربع دول معا وكانت الحرب بينهم مع ان الدولة العلية لا تشمل اكثر من اربعين مليونا منهم خمسة عشر مليونا كانوا معاضدين لعدوها بالمال و الرجال وانهم لا يعبئون بالمال الا عن مضض فضلا عن [illegible] وقد كانت دولتنا في حرب ماضية دامت نحو السنتين ولم اتيها بكمال الاستعداد لتوهم الانتصار للدول لما ودادهم قد عردوا عنها وتركوها وحدها فقامت الحرب على ساق وظهر من صدق الاخلاص ما هو معروف حتى في سائر الاجناس ثم انهم مع [illegible] حرب [illegible] عسكر البطل الغازي عثمان باشا القدير حاله قاتل في [illegible] التي صيرها حصنا عجيبا في مدة حربه بجيش لا يبلغ الاربعين الفا جيشا عرمرما من الروس و الرومانيين نحو [illegible] مائة والعشرين الفا وقتل منهم ما ينيف على عدد جيشه ولولا [illegible] عدم [illegible] تيسر للروس مجرد حصار جيشه حتى اضطر الى هجوم خرق الحصار [illegible] من جيشه الذي قدره سبعة وعشرون الفا فتراكمت عليه [illegible] او [illegible] للتسليم [illegible] القيصر [illegible] وما سلم [illegible] فقال له [illegible] بحالك [illegible] ورد اليه السيف وكفى بذلك شهادة [illegible] وتقدمت الى [illegible] القسطنطينية ومنعت من توسط الدول في الصلح حتى طلبته الدولة العلية منها رأسا وعقد على شروط تضمنتها معاهدة سان استيفانوس وهذا نص تعريبها

الشرط [illegible] تتوجب الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة وتقتضي الشروط [illegible] تصحيح حدود ممالك الدولة العلية و[illegible] الاسود وذلك لاجل [illegible] والمصادمات المتتابعة الوقوع فيما بينهما فالحدود تمتد من [illegible] دوبروبجة على [illegible] الذي [illegible] المؤتمر الذي كان حصل في الاستانة الى غوريتو وبلكه والحد الجديد [illegible] وعلى هذا [illegible] تصرف الجبل الاسود وتمتد الحدود [illegible] من مجمع نهر بيوه وتدرة وتمر من نهر درين الى جهة الشمال وتنتهي الى مجمع هذا النهر مع البحر [illegible] واما حدود الجبل المذكور الشرقية فتبتدئ من نهر تيم الى بريزة بولة ومن روستراق الى سوق بلانسا وبيهور وروستراق [illegible] ذلك يكون تحديد الخطوط هكذا [illegible] من خال المسلسلة الجامعة [illegible] وكوزنة الى [illegible] ومن رؤوس جبال قوبريويق وماناور [illegible] حدود [illegible] على ذروة جبال بروقلي ومن هذه النقطة الى

كثيب يسقاشيق ويتبع الحد على الخط المستقيم الى عين الماء في حسني هوتي ويفصل فيما بين حسيني هوتي وحسيني قاسترابي ويتجاوز ماء اشقودرة الى ان ينتهي لنهر بويانة وهكذا مع النهر الى مصبه في البحر وبموجب ذلك بقي نكسيك وغاشقه واشبوزي وبودغوريجة وزابلياق وبارض الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود امارة الجبل قطعيا بمعرفة لجنة مركبة من بعض مأموري دول اوربا بشرط ان تكون وكلاء الباب العالي والجبل معهم وبعد فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وامنية البلاد المتاخمة في الجهتين ثم تجري في الخريطة الى التعديلات التي ترى لها لزوما وتعلم بها في الحق وتوضح في ذلك مالها من صالح الجهتين ثم لا يجوز ان امر سير السفن في نهر بويانة لم يزل يجلب النزاع فيما بين الباب العالي والجبل الاسود فلاجل قطع هذا النزاع يصير تحرير نظام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

الشرط الثاني ان الباب العالي يثبت استقلال امارة الجبل الاسود على الوجه القطعي ثم فيما باقي تقرر فيما بين دولة الروسيا والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات التي ستكون بين الباب العالي والجبل وتصير تعيين وكلاء من طرف الامارة في الاستانة وفيما يقتضيه الحال من ممالكها ويتقرر ايضا امر اعادة ارباب الحاجات الذين يعرفون من بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة ومن اطاعة اهل الجبل المقيمين او المارين في بلاد الدولة العلية وانقيادهم الى نظامات ومأموري الدولة وفق الحقوق الجارية بين الدول والعادات والمعاملات القديمة التي كانت تجري بحقهم في بلاد الدولة وستنعقد ايضا مقاولة فيما بين الباب العالي والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل المتعلقة بالانشاءات العسكرية في قرب الحدود وحول ومساسات الاهالي المجاورة هناك واذا اختلف الباب العالي مع الجبل في بعض مسائل ولم يكن فصلها باتفاقهما فتحكم بينهما دولتا الروسيا والاوستريا ومن بعد هذه المعاهدة اذا وقعت مباحثة او مصادمة فيما بين الباب العالي والجبل ما عدا المطالب الملكية الجديدة ينبغي ان يعرضا امرها الى دولتي الروسيا والاوستريا وهما باتفاقهما يفصلانها بينهما وقد تقرر انه من بعد عقد مقدمات الصلح الى عشرة ايام يجب على عساكر الجبل الاسود ان تخرج من البلاد الغير الداخلة ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الثالث ان امارة الصرب تكون مستقلة ويكون حدها بموجب الخريطة المربوطة لهذه بقاعدة مجرى نهر درينة وتبقى كوجك زوربيق و سقار في

ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر « رەرەوە » الكائن حوار « ستانبلاق » على حسب الحدود القديمة وتبتدى الحدود الجديدة من هناك مع مجرى نهر رزوه الى نهر راسقة ومنه الى « يكي بازار » ومن يكي بازار يصعد الخط الفاصل ويمر من جوار قريتي « مهتره » و « ارعويج » الى اعلى النهر المذكور حتى ينتهي الى منبعه ويمتد الى بوسود ملاتيا الكائنة في وادي ايبار ويدور مع الماء الجاري الذي يصب في النهر المذكور ومنه يسير مع نهر ايبار وسيدنج ولاب الى منبع نهر باتسه الكائن في جنوب غربي شيحة بلاتيا وبعدها يمر من التلال الفاصلة بين نهري قربوه وتوبيحة ومن اقصر الطرق الموجودة على مصب نهر ميو واجقة حتى ينتهي ايضاً الى نهر ويرجة ويسير مع هذا النهر ويقطع نهر ميو واجقة وملاتيا ويصل الى جهة موروداة في قرب قرية قبناس ومن هنا يسير الى قرب قرية اسناقوجي ويجتمع هناك مع نهر بلوسنية وهكذا مع النهر الى مورووة ويمتد مع النهر الى اعلى حتى يصل الى « قوماويجه » ويقطع سوق ملاتيا ويجتمع بنهر بيوة ويتصل بقرية قروتحج ومنها يمر من اقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة الى جنوب شرقي « قرة دول بور » وعلى هذا الخط تتصل بنهر الطونة وتقرر اخلاء « اطه قلعة » وهدمها وترتب لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب لاجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعي في برهة ثلاثة اشهر ويكون ذلك بمعاونة مأمورين من طرف دولة الروسيا وهذه اللجنة تفصل ايضاً المسائل المتعلقة بجزائر نهر « درين » وتقطعها وحين تبتدىء هذه اللجنة تعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والبلغار ينبغي ان يكون وكيل واحد من طرف البلغار بين يشترك معهم في هذا الامر

الشرط الرابع ان المسلمين الذين لهم املاك في البلاد التي صار الحاقها بالصرب اذا لم يريدوا الاقامة هناك فلهم الخيار ان احبوا اجروا املاكهم وان احبوا اقاموا وكلاء من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير المنقولة تفصلها لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب باعانة مأمورين من طرف دولة الروسيا في طرف سنتين وهذه اللجنة تفصل ايضاً في برهة ثلاث سنين امر فراغ املاك الدولة والاوقاف والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لهم علاقة ونفع في الاملاك المذكورة وذلك يكون عقب انعقاد المعاهدة ما بين الدولة العلية والصرب والاناس المقيمون او الذين يجولون في بلاد الدولة العلية من تبعة الصرب تكون معاملة معهم على القواعد الكلية بمقتضى الحقوق الكائنة بين الدول وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى خمسة عشر يوماً

يجب على عساكر الصرب ان تخرج من البلاد التي ليست داخلة في ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الخامس . ان الباب العالي قد اثبت استقلال رومانيا على المملكتين وهاتان تطلب من الدولة العلية غرامة الحرب وتجري المذاكرة بهذا الشأن فيما بينهما وعند ما تنعقد المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا تنال تبعة رومانيا الامن و لاعتبار طبق تبعة دول اوربا

الشرط السادس . تقرر ان تكون البلغار امارة مختارة في ادارتها تدفع مبلغ معلوم الى الدولة العلية وتكون مأمورو الحكومة والعساكر الاهلية من المسيحيين ويصير تعيين حدودها على الوجه القطعي بمعرفة لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والروسيا وذلك قبل خروج عساكر الروسيا من الروم ايلي وعند اللجنة تبين هذه في الخريطة التعديلات التي يقتضي اجراؤها وتلاحظ ملة اكثر الاهالي وتوضح مع تحديد تطبيق نفس خطيط الاراضي وعرض تعيين وتبين مقدار تساع امتداد المستقلة في خريطة وخصوصا في قطع الحدود وخط الحدود يبتدئ من حدود الصرب الجديدة ومن غرب «وراجه» الى سلسلة الجبل الاسود ومن جهة الغرب يمر من غرب «قومانوه» و «قوجاني» و «قلقان دلن» الى جبل «قورب» ومن هناك يمر من [illegible] ويتجه الى دربه ويلتفت الى جهة الجنوب الى حدود غرب [illegible] حتى ينتهي الى جبل [illegible] ومنه يمر من غربي كوريجه واستروه وتتصل [illegible] وكذلك يمر من [illegible] «قسار» ويلتصق بنهر موغلينجه ويسير مع النهر الى [illegible] بكيجه ويمر من [illegible] ومن مصب نهر واردار [illegible] قريه [illegible] صاري كوي [illegible] يمر من وسط عين [illegible] الى مصب نهري [illegible] و [illegible] ومن السواحل الى «بوروكل» ويمتد الى [illegible] ويمر من سلسلة جبل «رودوب» الى جبلي «حاتشه» و [illegible] ويمر من [illegible] و «جيبدون» و «قره قولاس» و [illegible] الى «نهر [illegible]» ويلتفت لجهة جنوب ويمر من قراء سوكوتلي وقره حمزة و [illegible] كوي واقرجي واسحه الى «تكه دره سي» [illegible] «دربه» ومن تكه دره سي و «حورجي دره سي» [illegible] برغوسي ومن هناك نهر «صوحق دره» [illegible] قرية «سوركي» ومنها من التلال ويقطع «حكيم طابيه سي» حتى يتصل في ساحل البحر الاسود ويبتدئ [illegible] من [illegible] مقاليه ويترك [illegible] ويمر من شمال حدود لواطولجي ومن فرق [illegible] الى نهر الطونه

الشرط السابع . ان امير البلغار ينتخب مجاناً من طرف الاهالي بالحرية التامة والباب العالي يثبته بانضمام آراء الدول ولا يجوز انتخاب احد من افراد ملوك دول اوربا الجالسين على سرير الملك للامارة المذكورة وحين تخلى الامارة كذلك يكون انتخاب الامير الجديد على هذا المنوال وبهذه الشروط وقد تقرر انه ينبغي من قبل انتخاب الامير ان يجتمع مجلس معتبري البلغار اما في فلبه واما في طرنوا تحت نظارة مأمورين من طرف الروسيا وفي حضور مأمورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظامات هذه الادارة المستقبلة توفيقاً للامثال التي اعطيت للمملكتين التي تعينت في سنة ١٨٣٠ عن انعقاد مصالحة ادرنه وبعد تأسيس تلك الانضمامات ستصير وقاية حقوق ومنافع الاهالي من المسلمين والروم والافلاق وغيرهم الموجودين والمختلطين مع البلغاريين وتقرر ايضاً احالة تأسيس هذه الادارة الجديدة في البلغار مع ما يلزم من النظر في صورة اجرائها لعهدة مأمورين موظفين من طرف دولة الروسيا مدة الى سنتين وفي انقضاء السنة الاولى من تأسيس الادارة الجديدة اذا لم يحصل سبق تعهد الشأن فيما بين الروسيا والباب العالي والدول وربما يكون للدول المشار اليهم حق ان يوظفوا مأمورين يرافقون المأمورين الروسيين

الشرط الثامن . ليس للعساكر العثمانية حق بعد هذا الاقامة في البلغار وستصير هدم القلاع القديمة الكائنة هناك بمعرفة الحكومة العثمانية وان الباب العالي له حق ان يتصرف بالادوات الحربية الموجودة في قلاع الطونة التي صار اخلاؤها من العساكر بموجب سند المتاركة الذي تحرر في ٣١ يناير والآلات الحربية الكائنة في مدن شمنى وورنه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كما هي ويبقى عساكر الروسيا في البلغار مقيمة الى ان ينتهي ترتيب العساكر الاهلية لكافية حفظ الراحة وتوطيد الامنية واذا اقتضت الحال يقومون عملاً باسمه مأمورين وستصير تعيين عدد العساكر الاهلية بالاتفاق ما بين الدولة العلية ودولة الروسيا وان مدة اقامة عساكر روسيا في البلغار تكون سنتين والعساكر التي تبقى هناك بعد خروج جميع العساكر الروسية من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق من البيادة وفرقتين خيالة وجميعها خمسون الفاً ومصروف هؤلاء العساكر يكون على البلغار ويكون لها طرق مراسلات في المملكتين في شطوط البحر الاسود من جهة وارنة وبرغوص وفي مدة اقامتها هناك يكون لها مخازن مقتضية على الشطوط المذكورة

الشرط التاسع . ان المرتب السنوي الذي يلزم على البلغار اداؤه للدولة العلية يتسلم الى البنك الذي يعينه الباب العالي وهذا البنك يصير تعيينه بمعرفة دولة الروسيا والدولة العلية وسائر الدول وذلك في نهاية السنة الاولى من ابتداء جريان اصول الادارة الجديدة ومقدار ذلك المرتب يتأسس بالنظر لايراد البلاد والاراضي التي تكون في ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغار تتعهد بالقيام في التعهد الذي على الدولة العلية الى شركة سكة الحديد بين طريق وارنة وروسجق عقب المذاكرة مع الباب العالي وادارة الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الاخرى الموجودة ضمن الامارة يصير حلها بمعرفة الدولة العلية وحكومة البلغار وادارة الشركة

الشرط العاشر . ان الباب العالي له حق في مرور العساكر ونقل مهمات والذخائر من الطريق المعينة في داخل البلغار الى الايالات العثمانية التي وراء البلغار ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الاحتياجات العسكرية العثمانية يوضع نظام بالاتفاق مع الباب العالي والامارة من ابتداء تعاطي هذه المعاهدة في ثلاثة اشهر من ذلك وهذا الحق منحصر بالمرور والعبور يختص بالعساكر العثمانية فقط دون الباشبوزق والجراكسة والعساكر المعاونة والباب العالي كذلك له ان يتعاطى البوسطة عن طريق الامارة ويستعمل مسالك التلغراف في مخابراته وهذان الامران كذلك يصير تعيينهما وتنسيقهما في المدة والشروط المحررة اعلاه

الشرط الحادي عشر . ان المسلمين وغيرهم من اصحاب الاملاك اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة لهم ان يحفظوا املاكهم ويؤجروها او يوصوا امر ادارتها الى من يريدونه ثم ان مأمور الدولة العلية ومأمور البلغار يجتمعان تحت نظارة مأمور الروسيا ويفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفي منافع مسلمي البلغار وذلك يكون في ظرف سنتين واملاك الدولة والاوقاف يصير تعيين امرها اما بالبيع واما باستعمالها على الوجه الذي يكون به النفع زائداً لجهة الباب العالي ويصير تعيين ذلك بمعرفة لجنة مخصوصة محدودة في السنتين المذكورتين والاراضي التي تبقى بدون صاحب بعد انقضاء السنتين تباع بالمناداة والمزايدة ويؤخذ ثمنها ويدفع الى ايتام وارامل المصابين في الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

الشرط الثاني عشر . ان القلاع الكائنة على نهر الطونة يصير هدمها جميعاً ولا يبقى من بعد هذا على سواحل نهر الطونة قلعة ما مطلقاً ولا يجوز وجود سفن حربية في مياه

روماليا والصرب والجبل الاسود سوى السفن الصغيرة والزوارق المختصة ومستعملة في الامور الاصطلاحية فقط وحقوق ووظائف وامتيازات هذه الطونة محفوظة تبقى بتمامها على اصلها

الشرط الثالث عشر . ان الباب العالي يتعهد بتنظيف البحر في مضيق «سنه» وارجاعه الى حاله السابق ليصلح لمرور السفن منه ويتعهد ان يضمن العطل والضرر الذي حصل للتجار بسبب منع مرور السفن من نهر الطونة مدة الحرب وسيصير تعيين ٥٠٠٠٠٠ فرنك من اصل ديون هذه الطونة الى الباب العالي لاجل هذا الامر

الشرط الرابع عشر . ان الاصلاحات التي قدمت الى مرخصي الباب العالي في اول جلسة مؤتمر الاستانة ينبغي حالاً اجراؤها بالفعل في بوسنة وهرسك مع التعديلات التي ستقرر ما بين دولتي الروسيا والنمسا ويجب ان لا يطلب من هاتين الايالتين بقايا الخراج وان لا يؤخذ شيء من واردات هذه الايالات الى شهر مارس سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها في الاحتياجات المحلية وبدلاً عن الاهالي والعيال الذين اصيبوا في الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين مبلغ الذي يدفع عن الاهالي دفعة في كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق ما بين الدولة العلية ودولتي الروسيا والنمسا



الشرط الخامس عشر . يتعهد الباب العالي باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع في سنة ١٨٦٨ بخصوص جزيرة كريد مع ملاحظة الاهالي الذي يسوه مقدماً ويجري اجراء الاصلاحات مثل مطالب كريد في «ترحاله» و«وتابيه» وفي سائر جهات الروم ايلي التي ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالي لجلة في كل ايالة لاجل ترتيب وتاريخ النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالي ليتذاكر مع دولة الروسيا في ذلك

الشرط السادس عشر . ان خروج عساكر الروسيا من ارمينية وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن ان يفضي الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فبهذا يتعهد الباب العالي حالاً باجراء الاصلاحات على حسب الاحتياجات المحلية في الولايات التي سكانها ارمن وتأمين المسيحيين من تعدي الاكراد والجركسة

الشرط السابع عشر . ان الباب العالي سيعلن العفو العمومي عن المتهمين في الاحوال الاخيرة ويطلق سبيل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك

الشرط الثامن عشر . ان الباب العالي يتعهد بالنظر بعين الدقة الى ما بينه وكلاء الدول المتوسطة في خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه القطعي

الشرط التاسع عشر ان مبلغ الغرامة الحربية التي طلبتها حضرة قيصر الروسيا هي في مقابلة الاضرار والخسائر التي تكبدتها دولة الروسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي قد تعهد بدفعها من هذه المبالغ اولاً ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٠ روبل في مقابلة مصروف العساكر والادوات الحربية والاشياء التي تلفت . ثانياً ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة في سواحل بلاد الروسيا الجنوبية وفي اخراجات البضائع التجارية وفي طرق حديد ثالثاً ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ روبل في مقابلة الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس رابعاً ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبعة الروسيا المقيمين في الممالك العثمانية ومأموريتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ٠٠٠ر٠٠٠ر٤١٠ر١ روبل يعني ٣٩١ر٣١٧ر٢٤٥ ليرة عثمانية وريال مجيدي بيض ونصف هذه ولكن القيصر بما رآه من الاحوال صعب حال الدولة العلية من جهة المال وتأمل في مقاصدها التي وقعت عنها في هذه المسائل ووافق بالقبول على ان تترك الدولة العلية الاراضي محررة اسماؤها ادناه عوضاً عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة اولاً .

الطوجي يعني بصاه كيد وسنه ومجوديه وايساقجي وطوطي وماجين وبابا طاغي وحرسوه وكوستنجة ومجيديه وجزر الكائنة في نهر الطونه قد تركتها الدولة العلية جميعاً الا ان الدولة الروسية ليس لها فكر بالحاق هذه البلاد بممالكها بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة بسارابيا التي حدث منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ الحدود قطعة بسارابيا من جهة الجنوب محدودة من اراضي كيليا ومصب نهر الطونة والجهات التي يصطادون فيها السمك في النهر يصير تعريفها بمعرفة مأمورين من طرف الروسية ومن حكومة الممكتين في برهة سنة واحدة اعتباراً من تاريخ تعاطي هذه المعاهدة . ثانياً . اردهان وقارص وباطوم وبايزيد مع الاراضي الحاوية عليها الى جبل صوغانلي سيصير تسليمها الى دولة روسيا وحينئذ الحدود الآسية تكون هكذا اعني يبتدئ الخط الفاصل من جبال التي فيها بين المياه الجارية والمنصبة في نهري « هوبا » و « جورق » ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قصبة « ارتوين » ومن جوار قريتي « ولات » و « بشاكت » ومن فوق « درويك » و « كي » و « هوجه رال » و « مجقين طاغ » ومن الجبال الفاصلة للماء التي تحيط بنهري « تورتم » و « جورق » ومن فوق قره « باي » و « هين » و « لم كليسا » الى ان ينتهي في نهر تورتم ومن هنا يمر من صيوري طاغ ومن مضيق سيوري طاغ وينصل بقرية ريقان وينعطف الى جهة الجنوب حتى يصل الى « روعن » ومن روعن يمر

من غربي طريق اردوست وحراسان في جنوب جبل صوغانلي ويتصل بقرية « كيلحان » ومنها يمر من جبل « تريا » ومن قرية حميم ومن اوبرست مسافة ومن تلال « طاندور » ومن جنوب و دي بيريد وينتهي في الجهة الجنوبية من « قازلي كول » وهذا المحل هو الحد الفاصل قديمًا في ما بين حدود اراضي الدولة العلية واراضي دولة ايران وان الاراضي التي صار الحاقها بملك الروسية ومذكورة في الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة يصير تعيين حدودها قطعيًا بمعرفة مامور من طرف الروسية ومامور من طرف الدولة العلية وهما يلاحظان قواعد تخطيط الاراضي وقضية تأمين حسن ادارة القصبات

(ثالثًا) ان الاراضي التي صار تركها لدولة الروسيا كما هو محرر اعلاه قد اعتبرت بمبلغ ١ر١١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ روبل (مليار ومائة وعشرة ملايين روبل) واما الباقي من الغرامة وهو ٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ روبل (يعني ثلاثمائة مليون روبل) ما عدا ١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ روبل التي هي في مقابلة خسائر تبعة الروسية وتأسيساتها فتتفق دولة الروسيا مع الدولة العلية على قضية دفعها وتأمين ايفائها. (رابعًا) ان العشرة ملايين روبل التي تخصصت لتبعة الروسية ومؤسساتها يصير تسويتها هكذا اعني ان سفارة الروسية في الاستانة تجري التدقيقات اللازمة بهذا الشان على مستدعيات ارباب العلاقة وتعرض الكيفية الى الباب العالي والباب العالي يجري التسوية على مقتضى عرض السفارة

الشرط العشرون . ان الباب العالي يتعهد بان يستعمل التدابير المؤثرة سريعًا في فصل الدعاوي المتنازع فيها منذ سنين عديدة المتعلقة بتبعة الروسية وانه اذا اقتضى الامر يدفع غرامة وينفذ احكام الاعلامات

الشرط الحادي والعشرون . ان اهالي البلاد التي تسلمت الى الروسية ان ارادوا الهجرة منها لهم ان يبيعوا املاكهم واراضيهم ويهاجروا وقد اعطي لهم مهلة في ذلك ثلاث سنين من تاريخ تعاطي هاته المعاهدة فالذين لا يبيعون املاكهم في هاته المدة ولا يهاجرون يدخلون في حكم الروسية عند انقضاء تلك المدة واملاك الدولة والاوقاف يصير بيعها على حسب الاصول التي يعينها مامور الروسية ومامور الدولة العلية في مدة السنين المذكورة وهما يعينان ايضًا كيفية نقل الادوات الحربية الموجودة في المحلات التي هي الآن في يد الروس سواء كانت من البلاد التي تسلمت الى دولة الروسيا او غيرها

الشرط الثاني والعشرون . ان القسيسين والزوار الذين يسكنون او يسيحون في الممالك العثمانية في الروم ايلي و الاناطولي من تبعة الروسيا سينالون الحقوق و الامتيازات

التي بالها القسيسون والزوار من تبعة سائر الدول سوية ورهبان الروسيا الكائنة في الاستانة وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسساتهم والرهبان وغيرهم الموجودين في الاماكن المقدسة وبالخصوص في « ايبوروز » هم حائزون حقوقهم التي كانوا حائزين عليها في السابق ويعطون للديورة الثلاثة الكائنة في ايبوروز مع مشتملاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات المذهبية الكائنة لغيرهم هنالك سوية

الشرط الثالث والعشرون . ان المعاهدات والمقاولات التي كانت موجودة فيما بين الدولة العلية والروسية المتعلقة بالتجارة والمحاكمة وتبعة الروس المقيمين في بلاد الدولة العلية وتعطلت احكامها بسبب هذه الحرب ينبغي ان تجري احكامها كما في السابق وان دولتي الروسية والعثمانية قد عادوا المناسبات التي كانت قبل هذه الحرب في الامور التجارية وغيرها بمقتضى احكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ما عدا المواد التي نسختها هاته المعاهدة

الشرط الرابع والعشرون . ان بوغاز الاستانة وبوغاز جناق قلعه سو كان في زمن الحرب او زمن الصلح يكون مفتوحا للسفن التجارية التي تريد المرور منه الى بلاد الروسيا من الدول التي تكون على الحيادة والباب العالي ليس له من بعد هذا ان يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحر الازاق والحال تقتضي معاهدة باريس التي صار امضاؤها في ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

الشرط الخامس والعشرون . ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية الكائنة في اوروبا (الروم ايلي) ما عدا البلغار وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعي الى ثلاثة اشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاماكن الموجودة في البحر الاسود وبحر مرمرة عند السفر للركوب في السفائن التي تحضرها او تستأجرها دولة الروسيا حتى لا يكونوا مجبورين على الطاقة مدة الاقامة في الممالك العثمانية وفي رومانيا واما خروج عساكر الروسيا من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة اشهر ولهم ان يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هناك يسافرون الى القريم او القوقاس

الشرط السادس والعشرون . ان اصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة الروسيا في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاته المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا

ان امير العساكر الروسية يخبر الضابط الذي يعينهُ الباب العالي عن سير عساكر الروسية وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان تسلم لهُ القلاع والايالات

الشرط السابع والعشرون ان الباب العالي لا يجازي احدًا بسوء من تبعتهِ الذين دخلوا في مناسبات مع دولة الروسيا في زمن الحرب وليس لمأموري الدولة العلية ان تمنع او توقف احدًا من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

الشرط الثامن والعشرون ان اسرى الحرب يصير ارجاعهم تحت نظارة مأمورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقيب تعاطي مقدمات الصلح وهولاء المأمورون يسافرون الى اودسا وسباستبول و ما مصروف اسرى العساكر العثمانية تدفعها الدولة العلية في طرف ست سنوات تحت تأدية عشر قسطًا بموجب الدفتر الذي يحررهُ المأمورون المذكورون واما قضية مبادلة الاسرى فيما بين حكومتي رومانيا والصرب و امارة الجبل الاسود فيصير اجراؤها على هذا الاساس لكن يطرح مقدار الاسرى الذي عند الدولة العلية من مقدار اسرى عساكرهم ولا تدفع فيه تلك المصاريف

الشرط التاسع والعشرون ان حضرة امبراطور روسيا و حضرة الوكالة السلطانية ستثبتون هذه المعاهدة وامضاء تثبيتها يكون في بطرسبرج في ظرف خمسة عشر يومًا او بوجه اسرع من ذلك ان امكن وكذلك يجري التصديق رسميًا على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في معاهدات الصلح وان الدولتين المتعهدتين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون رسميًا بانهم متعهدون بان مرخصي الطرفين قد امضوا هذه المعاهدة كما يأتي تصديقًا لمضمونها . حرر في ايا ستفانوس في ١٩ شباط الرومي (فبراير) و٣ ايار (مارس) الافرنجي سنة ١٨٧٨ الامضاء

الكونت اغناتيف صفوت نيلدوف سعد الله

لكن انكلترا لم تسمح بالاقرار بذلك حتى ادخلت اسطولها بحر مرمرا وعاضدتها بقية الدول في طلب تعديل تلك المعاهدة وعقدوا لذلك مؤتمرًا في برلين وارسي الامر فيهِ على معاهدة نص تعريبها

بسم الله القادر على كل شيء

لما كانت حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلاندة وامبراطورة الهند وحضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وحضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريا وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك ايطاليا وحضرة

امبراطور جميع الروسيا يريدون لاجل اقرار الراحة العامة في اوربا انهاء المسائل التي ظهرت في الشرق بسبب تقلبات الاحوال فيها في هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التي عاقبتها معاهدة ايا صطفانوس استقرّ رأيهم جميعاً على عقد مؤتمر يكون احسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرر في معاهدة اياصطفانوس وبناء على ذلك عينت الذوات الملوكية المشار اليهم وحضرة رئيس جمهورية فرنسا مرخصين وهم

حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلاندا وامبراطورة الهند عينت الاونوربل بنيامين دزرائيلي الذي هو كبير وزراء انكلترا والاونوربل روبرت ارثر تالبت غاسكون سيسل مركيز صالسبري الذي هو ناظر خارجية انكلترا والاونوربل لورد اود وليم ليوبولد روسل الذي هو سفير من الطبقة الاولى لانكلترا لدى حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا البرنس بسمارك كبير الوزراء في بروسيا وبرنارد ارنست دوبولوي مستشار خارجية والبرنس هوهنلوه شلنغفورست سفير المانيا لدى رئيس جمهورية فرنسا

وعين حضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريا الكونت اندراسي وزيره الخاص ووزيره في الامور الخارجية والكونت لويس كارولي سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا والبارون هنري دوهايمرل سفيره لدى ملك ايطاليا

وعين حضرة رئيس جمهورية فرنسا موسيو وليم هنري ودنطون احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وشارل ريموند كونت دوصان دييه من اعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وفيلكس ديسبرد المكلف بادارة الامور السياسية في دائرة الخارجية

وعين حضرة ملك ايطاليا الكونت لويس كورتي احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وادورد كونت دولوني سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين امبراطور جميع الروسيا البرنس الكسندر غورجيقوف وزيره في الامور الخارجية والكونت دوشوفالوف من قرباء الحضرة الامبراطورية ومن اعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وبول دوبريل سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيه

وعين حضرة سلطان العثمانيين الكسندر قره تيودوري باشا وزيره في الامور النافعة ومحمد علي باشا المشير في عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك

بروسيا فاجتمعوا في برلين بحسب اشارة دولة اوستريا هنكاريا وبموجب استدعاء دولة جرمانيا ومعهم سائر عورت المؤذنة بالترخيص فبعد ان وحدث مطابقة للاصول وقع بينهم الاتفاق على بنود الآتيه

(المادة الاولى) صارت الآن البلغار امارة مستقلة في امورها الداخلية (ادارة مختارة) تدفع خراجاً في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعية الحضرة السلطانية ويكون لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

(المادة الثانية) تكون امارة البلغار عبارة عن الاراضي الآتي ذكرها وهي ان حدود تلك الاراضي من جهة الشمال تبتدئ من حدود الصرب القديمة وتمر عن يمين ساحل نهر الطونة وتنتهي الى محل في شرقي سيلستريا وبعد تعين سيرها تعينه من طرف المؤتمر الذي يتشكل من مأموري دول اوروبا ومن هنا يبتدئ باتصال خط في بحر الاسود ويمر من جنوب منقاليا التي صار الحاقها برومانيا ومن جهة الجنوب فانه يبتدئ من منبع النهر ويمر من جنوب القرى المسماة «موجه كوي» و«سلامكوي» و«ايو حق» و«قوسة» و«صوحه حق» على امتداد النهر في جهة فوق الحدوبة و«دي قايحق» ومن جنوب «ببه» و«كه لق» على بعد من «حسكه» مقدار متر ٢ ونصف ويجوز «دي ماجي» ويمر من شمال «حاجي محله» ويصعد في ذروة الجبل الكائن فيما بين «تيكلك» و«ايدوس بروص» ويمتد الى شمال «قرين ابادي» و«بقاق» «ويره رويقه» ومن بلقان «قرعان» الواقع في شمال الجبل المسمى «قوش» الى ان يتصل بمحل «تيمورقپو» وعلى هذا يكون مروره من منحدر البلقان الكبير لانهاية ويمتد على جميع مساحته الى ان ينتهي الى ذروة «قوريقه» ومن هنا يترك ذروة البلقان ويمتد الى جهة الجنوب ويسير من بين قريتي «بيرتوب» و«دورتجي» ويغادر قرية بيرتوب المذكورة الى البلغار وقرية دورتجي الى شرق الروم ايلي ويصل نهر «طوپولي دره» ويسير مع مجرى النهر الى مصبه في نهر «طوپولچه» ثم الى نهر «سموسكيو» الذي يصب في نهر طوپولچه المذكور بجوار قرية «پتريچوه» ويترك من الاراضي الكائنة فوق نهر سموسكيو المذكور مقدار كيلومتر ٢ الى شرقي الروم ايلي ويمر من منقسم المياه فيما بين سموسكيو ونهر قاميه ويمتد الى الجنوب الغربي من الجبل المسمى «ووشاق» وينتهي رأساً الى النقطة المذكورة في خريطة اركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مستقيم الجهة العليا من وادي «هتيان» ويمر من بين بوغديه وقره ولي ويتصل بالخط في منقسم النهر

المرج فيما بين اسقر وقرلي وحاجيلر ويسير مع خط المذكور من تلال « ولنبا »
و« موغيلا » الى الممر الواقع في نقطة عدد ٥٣١ والى محلات المسماة « رمايليقا »
و« دره وسومانيقه » ويدخل من بين « ميوري حاني » و« قادرتيه » ويتصل بحدود
لواء صوفية ومن هنا يبتدىء من « قادرتيه » الى جهة الجنوب الغربي ويمر من بين نهر
قره صو ونهر « استروما قره صو » ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال جبال المسماة
« تيمورقنو » و« استوقيه » و« قوجه بلقان » و« حاجي كدك » تجاه بلقان قاشيق
ويتصل بحدود لواء صوفية القديمة وكذلك يمر من بلقان قاشيق المذكور ومن بين وادي
« ربلسقارقا » ووادي « سفر رقا » ويسير مع خط مقسم المياه ويدور تل « ودبنجه
بلانيا » وينزل الى وادي استروما في نقطة التي يختلط بها نهر استروما مع نهر
ريلسقارقا ويدع قرية « برابي » للدولة العلية ويصعد من جنوب قرية « بلتينقه » الى
فوق ويمر من اقصر خط الى سلسلة جبال « لاد » و« عيتقة » ويتصل بحدود لواء
صوفية ويترك كامل صنشا صوفارنا للدولة العلية ويلتفت الى جهة الغرب من جبل
« رحيلة » ويدور جبال فدروس يابونه وحدود لواء صوفية القديمة من جبل « قرلي وره »
ويمر من فوق مياه « اكريصو » ولدقه ويطلع الى تلال « باسابولانا » حتى ينتهي ايضاً
الى جبل قرلي وره المذكور ومن هذا جبل يمر من تلال « استرور » و« وبله عوصو »
و« مسيد بلانيا » ومن بين « استروما » و« موراوه » مع خط مقسم المياه الى عاصيا
وقريه طراوه ودر فوسقة ودرابيقة بلان وبعدها من فوق دوشا قلاد نق ومن مقسم انهر
صوفوه وموراوه ويذهب رأساً الى الجبل المدعو « ستول » ومن هنا ينزل الى الطريق
الموصلة الى صوفية وبيرونه ويقطع في هذه الطريق الف متر ومنه عن طريق ويدليا
بلانيا ويصعد على خط مستقيم الى جبل « رادوجدا » الكائن في سلسلة البلقان الكبير
ويترك قرية دويقيجي الى صربستان وقريه سنقوس الى البلغار ثم يلتفت الى جهة الغرب
ويدور تلال البلقان المسمى سبروق من صوب استاره بلانيا ويتصل شرقي حدود امارة
الصرب القديمة بجوار « تولا صميده قوقه » ويسير على هاته الحدود حتى ينتهي الى نهر
الطونة عند « رافوبجه » ثم ان هذه الحدود جميعها سيصير تعيينها بمعرفة لجنة مركبة من
وكلاء الدول المحمية على المعاهدة وحصل الاتفاق اولاً على ان هاته اللجنة تنظر بالاعتناء
في خصوص محافظة حدود بلقان شرقي الروم ايلي الكائن تحت سلطة الدولة العلية وثانياً
ان لا يصير انشاء استحكام في اطراف « صماقو » بمسافة ١٠ كيلو متر

(المادة الثالثة) يكون انتخاب امير البلغار من اهلها بحرية تامة واقراره من الباب العالي برضى دول اوروبا العظام ولا يصح انتخاب امير عليها من بيوت الدول المذكورة واذا توفي عن غير ولد يكون انتخاب امير مبنيًا على الشروط والاصول المقررة

(المادة الرابعة) بعد انتخاب الامير تجتمع اعيان البلغاريين في طرنوفا لترتيب احكام ونظامات تخص الامارة وفي الجهات التي يكون سكانها من الترك واهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

(المادة الخامسة) المواد الآتية تكون اساسًا للحقوق العمومية في البلغار وهي ان الاختلاف في المذهب والاعتقادات لا يخرج احدًا من الاهلية والجدارة من التمتع بالحقوق المدنية والسياسية ومن دخوله في وظائف الميرية او الحكومية او نوال الشرف او استعمال الصنائع والحرف المختلفة كما ان كل فرد له حريته ومباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغي تأمينها لجميع الناس القاطنين في البلغار من اهلها ومن الاجانب ايضًا ولا يسوغ ايجاد منع ما للترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة ولعلائقهم مع رؤسائهم الروحانيين •

(المادة السادسة) تكون ادارة البلغار الموقتة تحت ادارة مأمور من دولة الروسية الامبراطورية الى ان تتم ترتيب القوانين الاساسية ويقتدي مأمور من طرف السلطنة العثمانية والقناصل الذين تنتخبهم الدول الاخرى وتمضي على هذه المعاهدة بقصد مراقبة اعمال الادارة الموقتة المذكورة واذا حصل خلاف بين القناصل المذكورين فالحكم يكون على حسب الاكثرية واذا حصل خلاف بين الاكثرية والمأمور المذكورين والمأمور من طرف الامبراطورية الروسية او المأمور من طرف الحضرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالاستانة العلية وتمضي على هذه المعاهدة في مؤتمر (كنفرانس) لتقرر ما يجب على انهاء الخلاف المذكور

(المادة السابعة) ان تكون الادارة الموقتة المذكورة لا تبقى اكثر من تسعة اشهر اعتبارًا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الامير تصير مباشرة اجراء الاحكام الجديدة وتصير تلك الاحكام دستورًا للعمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية (ادارتها المختارة) حوزًا تامًا

(المادة الثامنة) جميع المعاهدات التجارية والبحرية والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يبطل عملها جاريًا تبقى مرعية الاجراء مع امارة

البلغار فلا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارتهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وحصانات الاجانب مقررة في المعاهدات (التي عقدت بين الدول والباب العالي) مرعية الاجراء في الامارة ما دام لم يحصل تعديلها برضى الدول

(المادة التاسعة) الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظامها الجديد بالاتفاق بين الدول الموقعين على هذه المعاهدة وهذا الويركو يحسب بحسب متوسط ايراد الامارة وحيث انها ستتحمل جانبا من ديون السلطنة العمومية ينبغي للدول ان تتذاكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذاكرتهم في امر الويركو

(المادة العاشرة) جميع العهود والاتفاقات التي وعدت السلطنة العثمانية باجرائها مع شركة سكة الحديد بين روسجق وفارنه تدخل في عهدة امارة البلغار اعتبارا من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة واما تسوية الحسابات السابقة التي كانت بين الشركة المذكورة وبين الباب العالي فامرها يكون بين الباب العالي وحكومة البلغار والشركة المذكورة وكذلك تدخل في عهدة البلغار سائر تعهدات الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا ومع الشركة المنوط بعهدتها استعمال سكك الحديد في الروم ايلي فيما يتعلق بتتميم السكك المذكورة واتصالها في الاراضي التي دخلت الآن في حوزة البلغار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلغار عند اقرار الصلح

(المادة الحادية عشرة) بعد هذا لا تبقى العساكر العثمانية في البلغار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة في ظرف سنة واحدة او اقل من ذلك ان امكن وينبغي لتلك الحكومة ان تتخذ وسائط فعالة لذلك ولا يسوغ لها ان تبني بدلها حصونا جديدة ويكون للباب العالي حق في ان يتصرف في المهمات الحربية وغيرها من الاشياء التي هي ملك له الباقية في حصون الطونة التي اخلتها العساكر العثمانية بموجب الهدنة التي حصلت في ٣١ جينواري (كانون الثاني) وكذلك التي في شمله (شمنى) ووارنه

(المادة الثانية عشرة) المسلمون وغيرهم الذين لهم املاك في البلغار ويريدون السكنى

خارجاً عنها يبقون متمتعين باملاكهم بحكمهم والحاله هذه ايجارها الى غيرهم و ادارتها بمعرفة من ينتخبونه وتتشكل لجنة مؤلفة من الترك والصربيين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل املاك الوقف لحساب الباب العالي والمسائل المتعلقة بالذين هم مصالح فيها وهذه التسوية تكون في ظرف سنتين ثم ان الصربيين الذين يسافرون ويسكنون في اطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

(المادة الثالثة عشرة) تتشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم «ولاية الروم ايلي الشرقية» وتكون تحت تابعية حضرة السلطنة تبعية سياسية وعسكرية بشرط ان تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليها نصرانياً

المادة الرابعة عشرة) حدود «ولاية الروم ايلي الشرقية» تكون متصلة بحدود البلغار من جهتي الشمال والشمال الغربي وولاية المذكورة تكون عبارة عن الاراضي الكائنة ضمن الدائرة الآتي ذكرها فحد هذه الولاية يبتدئ من البحر الاسود ويسير على النهر الواقع في جوار القرى [illegible] كوى وسلام كوى و ابواحق وقوله وصوحنق الى جهة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] مقدار مسافة كيلومتر ٢ ونصف [illegible] ويتصل بجنوب قرا [illegible] و «[illegible]» ثم يصعد الى التل الكائن فيما بين «[illegible]» و «[illegible]» ويمر من ملقرن «قرم اباد» و [illegible] و [illegible] حتى [illegible] الى [illegible] بالجهة الشمالية من [illegible] وبعدها [illegible] جميع [illegible] [illegible] [illegible] ويتصل الى [illegible] «قوزيقه» وفي هذه النقطة [illegible] [illegible] [illegible] الكائن على غربي حدود الروم ايلي [illegible] الى جهة جنوب [illegible] من بين قرية [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الروم ايلي ويصل الى نهر «طوزلي دره» ويسير مع النهر الى محل مجمعه مع نهر طوبولنقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى محل مجمعه مع نهر [illegible] [illegible] في جوار قرية «[illegible]» وعلى هذا يترك الروم ايلي الشرقية في خطوط مجاري هاتين الانهر بمقدار كيلومترو ٢ ثم يتبع الخطوط الفاصلة لمياه المذكورة ويسير الى جهة [illegible] على طول نهر [illegible] [illegible] و «قامسقه» ويتصل الى الجنوب الغربي في [illegible] [illegible] ويصل الى [illegible] المبين في خريطة اركان حرب دولة اوستريا بعدد ٨٧٥ ويقطع على خط عمودي مجرى نهر «ايجان دره» من الاعلى ويمر من بين «بوعدينا» و «قارولا» حتى يصل الى خط الفاصل الكائن فيما بين نهري «اسقر» و «[illegible]» ويمر على طول خط الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠

من تلال «وولبا موحيلا» و «حمامليقا» و «روه سومثانقا» ويجتمع بحدود لواء صوفيه فيما بين «سيوري طاش» و «قادر تبه» فعلى هذا تفرق حدود الروم ايلي والبلغار من جبل «قادر تبه» ثم الخط الفاصل المذكور يمر الى الامام من بين نهر ماريقا وتوابعه وبين انهر «مستة قره صو» وتوابعه تابعاً استقامة الخطوط الفاصلة لهذه المياه ويتوجه الى جهتي الجنوب الشرقي والجنوب [illegible] من تلال جبل «دسبوط» الى صوب جبل «كروشوو» وهذا الجبل كان مبدأ حدود التي عينتها معاهدة اياستفانوس ثم الخط المذكور يتبع الخط المبين في معاهدة المذكورة على انه يبتدئ من هذا الجبل ويمر على سلسلة «قره بلقان» من تلال «قولاقلي طاغ» و «اشك جلي» و «قره قولاس» و «ايشيقلر» ويسير جهة الجنوب الشرقي حتى ينتهي الى نهر «اردة» ويسير مع هذا النهر على طوله حتى يصل الى قرية «اده قلعه» وتبقى هذه القرية في سلطة الدولة العلية ومن هنا يصعد ذروة جبل «بش تبه» ثم ينزل ويمر من جسر «مصطفى باشا» ويتجاوز نهر «مريج» من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر الصغار التي تصب في نهري «حاجي دره» و «مريج» ويسير على خط مقسم المياه الى المحل المسمى «كودرلي بايري» ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى «صقار بايري» ومنه الى وادي «طونجه» والى «[illegible] دربند» ويترك «بيوك دربند» و «صوجاق» الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التي تصب في نهر طونجه من جهة الشمال وفي نهر المريج من جهة الجنوب على خط مقسم المياه ويصعد الى [illegible] «[illegible] ايلر» ويبقى قسم [illegible] الروم ايلي الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر المريج من جهة الجنوب وبين قرنتي «[illegible] دور» و «[illegible]» التي تصب في البحر الاسود ويصل الى جنوب قرية «[illegible] ادلي» ويدور تلال «[illegible] وسمه» و «روانق» من شمال المحل المسمى «قره كلق» ويسير مع خط الفاصل فيما بين نهري «دوكه» و «قره عاج» حتى يتصل بالبحر الاسود

(المادة الخامسة عشرة) يكون للحضرة السلطانية حق في ان تباشر محافظة الحدود البرية والبحرية وذلك بان تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر ولتأمين الراحة العمومية في ولاية «الروم ايلي» الشرقية بشكل فيها ضبطية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالي الذين تؤلف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم من طرف الحضرة السلطانية وقد تعهدت الحضرة السلطانية بان لا توظف في

حصون الحدود عساكر غير نظامية كالباشي بوزق والجراكسة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساكر النظامية المذكورة ان تتعدى على الاهالي وعند مرورهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحكامات) لا يسوغ لهم الاقامة فيها

(المادة السادسة عشرة) يكون للوالي حق في ان يستدعي العساكر العثمانية اذا حصل ما يخل الراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي نواب الدول بالاستنابة عن قراره وعن السبب الذي اوجبه اليه

(المادة السابعة عشرة) يكون تعيين والي « ولاية الروم ايلي الشرقية » مدة خمس سنين من طرف الباب العالي باتفاق الدول

(المادة الثامنة عشرة) تجري مبادىء التوقيع على هذه المعاهدة تشكيل لجنة اوروبية للنظر في ترتيب ادارة « ولاية الروم ايلي الشرقية » بالاتفاق مع الباب العالي ومن حيث عملها ان تعين في ظرف ثلاثة شهور وظيفة مأمورية الوالي وما يلزم من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والعدلية والمالية ويكون ... حكام الولايات وما حصل عليه المذاكرة في الجمعية العامة من مؤتمر الذي عقد في الاستانة وبعد ان يحصل القرار على جميع المصالح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية متعلقة الباب العالي الى الدول

(المادة التاسعة عشرة) ينط بهذه اللجنة الاوروبية المذكورة بالاتفاق مع الباب العالي ادارة المالية في الولاية الى ان تتم القوانين الجديدة لترد وضعها

(المادة العشرون) جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التي جرى تداولها بين الباب العالي والدول الاجنبية والتي ستعقد فيما بعد يكون معمولاً بها في « ولاية الروم ايلي الشرقية » كما هو جار في سائر السلطنة العثمانية وجميع الامتيازات والخصائص التي حازتها الاجانب على اختلاف وطنيتهم ومصلحتهم تبقى محترمة في الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالي بان جميع احكام السلطنة فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الحادية والعشرون) تبقى حقوق الباب العالي وتعهداته فيما يتعلق بسكك الحديد في الروم ايلي الشرقية معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الثانية والعشرون) تكون قوة الروسية في البلغار وفي « ولاية الروم ايلي الشرقية » مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على

٠٠٠ ٢٠٠٠ نفر وتكون مضاربهم على الولايات التي احتلوها وسق علائقهم ومواصلتهم مع الروسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذي يحصل بين حكومتين مذكورتين وفضلا عن ذلك تكون بواسطة مرسي البحر الاسود مثل وارنه و وورغاس حتى يمكن لهم ان يتخذوا هناك مخازن للوازمهم مدة دمتهم وتقرر ايضاً ان اقامة العساكر الامبراطورية في «ولاية الروم ايلي الشرقية» والبلغار تكون مدة تسعة اشهر اعتباراً من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة وقد تعهدت دولة الروسية الامبراطورية انه من انقضاء هذه المدة تتم مرور عساكرها من رومانيا وتخلو منهم امارة البغدان

(المادة الثالثة والعشرون) قد تعهد الباب العالي بان يجري في جزيرة كريد النظامات التي تقررت فيها في سنة ١٨٦٦ والتعديلات التي يرى من العدل اجراءها وكذلك يجري في بقية الولايات طبقاً وتوفيقاً على ما تقتضيه المصالح المحلية كما في كريد ما لم ينص عليه في هذه المعاهدة خصوصياً الاجرى تطبيق النظامات كما هو جار الآن في كريد ويشكل من طرف الباب العالي هيئة مخصوصة يكون اكثر اعضائها من الاهالي للنظر في تفصيلات النظامات الاجراء اجراءها في كل ولاية ثم تعرضها على الباب العالي للتروي فيها وبعد ان تعمل ... وتعمل دستوراً تعمل بموجبه الباب العالي ان يستشير اللجنة الاوروباوية المنعقدة للنظر في احوال الروم ايلي الشرقية

(المادة الرابعة والعشرون) اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالي ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود كما تقرر في المادة ١٣ من ضبطة مؤتمر برلين فدول جرمانيا واوستريا هنكاريا وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا والروسية تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين تسهيلا للمذاكرات

(المادة الخامسة والعشرون) تشغل عساكر اوستريا وهنكاريا ولايتي بوسنه وهرسك وتضبطهما ايضاً ... وحيث انه لا تريد ان تتولى ادارة سنجق بكي بازار الممتدة بين الصرب والجبل الاسود على الخط الجنوبي الشرقي ما وراء ميتروويتسه فالادارة العثمانية تبقى معمولاً بها هناك وحيث ان المراد قرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات وتأمينها فدولة اوستريا وهنكاريا تحفظ لنفسها الحق بان يكون لها قشل وطرق تجارية وعسكرية في جميع الجهات المذكورة وهذه الغاية تحفظ لنفسها هي والدولة العثمانية ان تتفقا على المواد المتعلقة بهذه المسألة

(المادة السادسة والعشرون) قد اعترف الباب العالي استقلال الجبل الاسود

وكذلك اعترفته بقية الدول الموقعين على هذه المعاهدة [illegible] يعترفوه سابقة

(المادة السابعة والعشرون) اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال الجبل الاسود يكون مربوطاً بالشروط الآتية وهي لا يسوغ التفريق في الاعتقادات الدينية في الجبل فلا يحرم احد من الاهالي [illegible] جميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية والعمومية ونوال الشرف او استعماله الصنائع والحرف بنفسه كيف كان حرية المذاهب للاهالي التابعين للجبل الاسود وللاجانب ايضاً الحرية التامة في اجراء [illegible] مذهبية ولا يسوغ [illegible] في ترتيب درجات ارباب المذاهب بنفسه وفي مخابرتهم مع رؤسائهم الروحانيين

المادة الثامنة والعشرون [illegible] الحدود [illegible] الجبل الاسود كما يأتي وهي انها تبتدئ من [illegible] من فوق [illegible] ثم [illegible] عراقارو [illegible] ومنها [illegible] الحد الى [illegible] جهة [illegible] الذي [illegible] في [illegible] مقدار كيلو متر [illegible] الى [illegible] [illegible] ثم [illegible] من الشمال الى جهة [illegible] على قدر [illegible] عن طريق [illegible] مقدار ٦ كيلو متر [illegible] ومنها عن جهة شرق [illegible] هرسك ثم [illegible] من [illegible] الشرقي [illegible] و[illegible] من قصر طرق [illegible] النهر [illegible] الكائنة بين [illegible] ويقطع [illegible] [illegible] موضوق [illegible] ويتصل [illegible] القديمة ثم يمر الى [illegible] الى [illegible] طريق [illegible] ٢١٦٦ ومن فوق مقسم [illegible] واقع بين [illegible] ثم يتصل بالحدود الجديدة بعد مروره [illegible] بين قبيله [illegible] و «[illegible]» و « غرودي » وبعد ذلك [illegible] غرودي و[illegible] بلاد [illegible] ويتصل [illegible] ومن [illegible] جزيرة « [illegible] »

ويتجاوز ماء اشقودره ويسير رأساً من « عوربقه » طوبول الى التلال ويمر من مقسم المياه الكائن ما بين « معورد » و « فايد » مع خط المقسم المذكور ويترك « ميرفوتق » داخل الجبل وينتهي الى بحر ونديك (فيبيا) عند قرية « ارجحي » ثم يلتفت الى الشمال الغربي ويمر في الساحل من بين قرى « سوساته » و « زوبسي » ويتصل بمنتهى الحدود الجديدة في جهة الجنوب الشرقي نوق « ورموته بلاديا »

(المادة التاسعة والعشرون) انضمام انتواري (باري) وشطوط البحر التي تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصورة الآتية وهي ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضي الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بويانا من ضمنها دولسينيو ويضم الى دلماتيا مرسى سبتزا والاراضي المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هي مبينة بالتفصيل في خريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسير في نهر بويانه ولكن لا يسوغ له ان يبني على النهر حصوناً او استحكامات الا ما لزم للمحافظة على اشقودرة خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير خارجة عن دائرة مسافتها حول المدينة المذكورة ستة كيلومتر (٦٠٠٠ متر او نحو عشرة اميال) ولا يكون له بواخر حربية ولا راية ولا يسوغ لاي دولة كانت ان تدخل بواخرها الحربية الى مرسى انتواري اما الحصون الكائنة في ارض الجبل بين النهر وشط البحر فتهدم بالكلية ولا يسوغ اعادة بنائها ويفوض لعهدة اوستريا وهنكاريا دائرة البحرية والصحية في انتواري وفي شطوط الجبل وعلى الجبل ان يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلماتيا (باوستريا) وقد تعهدت اوستريا وهنكاريا بان تحمي بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل ان يتفق مع اوستريا وهنكاريا على مد سكك الحديد وايجاد طرق عديدة في الاراضي التي دخلت حديثاً في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلة عليها

(المادة الثلاثون) المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم حق بان يبقوا مالكين عقاراتهم بايجارها او تشغيلها بواسطة من يختارونه وتتشكل لجنة مؤلفة من مامورين من العثمانيين واهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك وحرثها وادارتها سواء هي من املاك الوقف او الاملاك الميرية التي للباب العالي فتجري تسوية جميع متعلقات الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

(المادة الحادية والثلاثون) على امارة الجبل الاسود ان تتفق مع الباب العالي على

ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة او في جهات اخرى من السلطنة العثمانية عما يرى لازماً اما اهل الجبل المتجولون في السلطنة العثمانية او المسافرون فيها فيكونون تحت احكام الدولة العثمانية على حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد المقررة مع الجبل

(المادة الثانية والثلاثون) يلزم عساكر الجبل الاسود تخلي الاراضي التي هم الآن مستولون عليها مما لم يدخل في حدود امارة الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة او اقل من هذه المدة ان امكن كذلك يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الآن في حوزة الجبل

(المادة الثالثة والثلاثون) حيث انه يلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب شروط الصلح تعين نواب الدول الاجنبية في الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب العالي على اصول عادلة

(المادة الرابعة والثلاثون) الدول الموقعون على هذه المعاهدة معترفين استقلالية امارة الصرب ربطتها بالشروط المحررة في المادة الآتية

(المادة الخامسة والثلاثون) لا يسوغ تمييز في الاعتقادات الدينية في الصرب ضد احد حتى يحرمه من الاهلية و جدارة جميع ما يتعلق بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية و بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نوال الشرف او استعمال الصنائع والحرف المختلفة كيف كان مقره تحصل لجميع الاهالي المتعينين للصرب والاجانب ايضاً الحرية التامة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة وفي علاقاتهم مع رؤسائهم الروحانيين

(المادة السادسة والثلاثون) امارة الصرب تكون مالكة للاراضي الموجودة في ضمن الحدود الآتي ذكرها وهي ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالي ومن مصب نهر « درينه » في نهر صاو ويذهب مع المجرى ويترك « زرونيق وزخار » للامارة ولا يترك الخط المذكور اعني الحدود القديمة الى « قابونيق » ثم يفترق في ذروة جبل قابونيق عن الخط المذكور ويسير من جنوب الجبل على طول حدود بيش الشرقية ويمر من تلال « مارتقا وماردار بلانيا » وهذه التلال هي الخط الفاصل بين انهر « ايبار وسيتيقا

وصوليقا » وعلى هذا تنتهي [illegible] ولاد [illegible] الحدود الحالية و[illegible] تسلك خط تقسيم مياه
في جهة الجنوب من [illegible] و[illegible] ودي محدودها كما للصرب
ويصعد الى تل « قوچق [illegible] » ويكون ذو خط [illegible] الانهر المسماة
بوحيقا وتريقا ومورو [illegible] ثم يذهب من خط [illegible] الايبا
الى مجمع النهر [illegible] ويسير على خط الانفصال [illegible] مياه
النهر الذي يخالط ميرو[illegible] في [illegible] بالجهة «
فوق « ترغويست » ومن هنا [illegible] من ذروة [illegible] الى ذروة [illegible] قنتروق
وغير من التلال المدرجة في خريطة تحت عدد ١٥١٦ و ١٠٤٧ ومن [illegible] عورا
وينتهي الى [illegible] « قرب [illegible] » [illegible] ويجمع محدود [illegible]
من تلال « استره مرو ويلوغو [illegible] بلانيا » [illegible] خط تقسيم مياه [illegible]
بين [illegible] و « [illegible] » [illegible] وقريه [illegible]
ودر[illegible] لا « ومنها [illegible] من [illegible] على مقسم مياه [illegible]
و[illegible] ويذهب [illegible] من جهة
[illegible] الغربي ويقطع طريق بيروت [illegible] كيلومتر على [illegible]
على خط مستقيم [illegible] [illegible]
اسلاف الكبرو[illegible] لامارة الصرب [illegible] « [illegible]
ثم يسير من ذروة هذا الجبل الى جهة الشمال الغربي وغير من [illegible] « [illegible] » و[illegible]
« [illegible] » [illegible] فوق « يتصل
بحدود الصرب الشرقية القديمة تسير على هذه الحدود [illegible] نهر [illegible] وتنتهي عند النهر
في « [illegible] »

(المادة السابعة والثلاثون) لا يغير شيء في الصرب من الشروط الحالية في يختص
العلاقات التجارية الكائنة بين [illegible] الاجنبية وبين امارة الصرب الى ان يجري عقد
اتفاقات جديدة ولا يسوغ ان يؤخذ على البضائع التي تمر في الصرب مارة الى جهة
اخرى شيء من العوائد و الرسومات [illegible] والامتيازات السالفة الآن رعايا
الدول الاجنبية في الصرب وحقوق الاحكام وحماية القناصل لرعاياهم على الاصول
المعمول بها الآن تبقى مرعية الاجراء الى ان يحصل اتفاق بين امارة الصرب والدول
الاجنبية على تعديلها

(المادة الثامنة والثلاثون) التعهدات التي تعهد بها الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا او مع شركة سكة الحديد في الروم ايلي او فيما يتعلق باتمام السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية لاجراء عند امارة الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة يجري اتفاق بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلغار على قدر ما يختص بتسوية هذه المسائل

(المادة التاسعة والثلاثون) المسلمون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي ضمت الى الصرب ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم الحرية بان يبقوا مالكين عقاراتهم بان يؤجروها او يشغلوها بواسطة من يختارونه وستشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين والصربيين لاجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل وادارة الاملاك المتعلقة بالوقف او الاملاك الميرية التي للباب العالي وكذلك تسوية جميع متعلقات الناس الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

(المادة الاربعون) تكون معاملة رعية الصرب الطائفين في السلطنة العثمانية او المارين بها بحسب اصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى ان تخص معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

(المادة الحادية والاربعون) يلزم لعساكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم في ظرف خمسة عشر يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

(المادة الثانية والاربعون) حيث انه يتعين على الصرب حمل حساب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراء الدول الاجنبية في الاستانه يعينون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالي

(المادة الثالثة والاربعون) المتعاقدون الموقعون على هذه المعاهدة معترفين استقلالية رومانيا وربطها بالشرطين الآتيين

(المادة الرابعة والاربعون) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد احد حتى يخرجه من الاهلية والاقتدار لجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية ونواله الشرف او ممارسته الصنائع والحرف

المختلفة كيف كان مفتوحاً للجميع لاهالي التابعين لرومانيا و للاجانب ايضاً الحرية التامة في جميع المعتقدات المذهبية ولا يسوغ تحديد مانع ما في ترتيب درجات رتب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحيين فتكون معاملة رعايا جميع الدول سواء كانوا من تجار او غيرهم في رومانيا بدون تمييز في المذهب على قدم مساواة تامة

(المادة الخامسة و الاربعون) امارة رومانيا تعيد على حضرة امبراطور الروسية اراضي بسارابيا التي كانت فصلت من الروسية بموجب معاهدة باريس التي عقدت في سنة ١٨٥٦ وحدودها في جهات الغربية من مجرى نهر بروت وفي جنوب من فم «كيليا» وفم «ستاري استانبول»

(المادة السادسة و الاربعون) تنضم الى رومانيا جزر الدلتا التي على الطونه وجزيرة «يلان عدسي» ومتصرفية طولجي وفيها اقضية كيليا وسولينه ومحمودية وايساقجه وطولجه وماجين وبابا طاغ وهرسوا وكوستنجه ومجيديه وما عدا ذلك ينضم اليها ايضاً الاراضي الكائنة على جنوب الدبروجه الى ان تصل الى خط يبتدئ من شرق سلسترا وينتهي الى البحر الاسود على جنوب منكاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود في تلك المواقع بمعرفة اللجنة الاوروبية المعهود اليها تعيين حدود البلغار

(المادة السابعة و الاربعون) مسألة تقسيم المياه والمصايد تعرض على لجنة الطونة الاوروبية فتكون حكماً عليها

(المادة الثامنة و الاربعون) لا يجوز وضع رسومات او عوائد في رومانيا على السلع التي ترد اليها بقصد ارسالها الى جهة اخرى

(المادة التاسعة و الاربعون) يسوغ لرومانيا ان تعقد مع الدول لاجل الاتفاق لتسوية مسألة امتيازات ووظائف قناصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم في الامارة لأن الحقوق الحالية تبقى مرعية الاجراء ما دام لم يحصل اتفاق عمومي بين الامارة و الدول

(المادة الخمسون) تبقى رعية رومانيا القاطنون في ممالك العثمانية او المسافرون فيها و رعايا العثمانيين المسافرون في رومانيا و القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التي تشمل رعايا بقية الدول الاوروباوية الى ان تعقد معاهدة لتسوية امتيازات القناصل ووظائفهم بين الدولة العثمانية ورومانيا

(المادة الحادية و الخمسون) تعهدات الباب العالي ووظائفه فيما يتعلق بالقيام بالاشغال النافعة وما اشبهها في الاراضي التي دخلت في حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا

(المادة الثانية والخمسون) لاجل زيادة تأمين حرية السفر في نهر الطونه التي اعترف انها من المصالح الاوروباوية قر رأي الموقعين على هذه المعاهدة بان جميع الحصون والاستحكامات الموجودة لآن على النهر من عند المحل الذي يقال له « بوغاز الحديد » الى فم النهر تهدم بالكلية ولا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز سير احدى البواخر الحربية على الطونه بعد « بوغاز الحديد » الا البواخر الصغيرة المعينة لخدمة الضابطة في النهر وخدمة الكمارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة في فم نهر الطونة لاجل الحراسة ان تسافر في النهر الى غاية « غلاتس »

(المادة الثالثة والخمسون) تبقى لجنة الطونه الاوروباوية مقررة في وضعها ولرومانيا مندوب فيها وتجري عملها ووظائفها الى « غلاتس » بحرية تامة مستقلة عن الحكومة مأموري تلك الاراضي وتبقى جميع سائر معاهداتها وتعهداتها واستحقاقاتها وامتيازاتها فيما يتعلق بامتيازاتها وخصائصها ووظائفها ثابتة لاجراء

(المادة الرابعة والخمسون) قبل نهاية الاجل المقرر سابقا للجنة الطونه الاوروباوية بسنة واحدة يلزم للدول ان يتفقوا على تمديد سلطتها او على التعديلات التي يرون اجراءها من اللازم

(المادة الخامسة والخمسون) جميع التعليمات المتعلقة بالسفر في النهر وبوظائف الضابطة فيه من « بوغاز الحديد » الى « غلاتس » يكون ترتيبها وتنسيقها من طرف اللجنة الاوروباوية بمساعدة مندوب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر ويصير تابعها بالنظامات الموجودة او التي تحدث في امور النهر بعد من غلاتس

(المادة السادسة والخمسون) يلزم للجنة الطونه الاوروباوية ان تتفق مع الدول فيما يتعلق بتنوير المنارات الكائنة على جزيرة « يلان طاغ »

(المادة السابعة والخمسون) قد فوض لاوستريا وهنكاريا الاعمال اللازم اجراؤها لازالة موانع السفر التي تحدث من « بوغاز الحديد » والشلالات ويلزم على الممالك المجاورة للنهر من الجهة المذكورة ان تجري جميع التسهيلات اللازمة لمصلحة تلك الاعمال اما المواد المقررة في المادة الرابعة من معاهدة لندرا التي امضيت في ١٣ مارس سنة ١٨٧١ فيما يتعلق باخذ ضريبة موقتة لسد مصاريف تلك الاعمال والاشغال فتبقى منوطة بدولة اوستريا وهنكاريا

(المادة الثامنة والخمسون) الباب العالي يسلم الى امبراطورية روسية في اسيا

(لاناطول) اراضي اردهان وقارص وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضي الكائنة بين تخوم الروسية والتركية القديمة و تخوم الآتي بيانها وهي « الحدود الجديدة » تبتدئ من البحر الاسود على حسب الخط المقرر في معاهدة اياستفانوس الى نقطة في الجهة الشمالية الغربية من « خوردة » وعلى جنوب « ارتوين » وتمتد على خط مستقيم الى نهر « جوروك » وبعد عبوره هذا النهر يسير شرقي « شمشين » ويستمر على خط مستقيم في الجنوب وهناك يلاقي حدود الروسية المشروحة في معاهدة مذكورة وذلك في نقطة على جنوب « ناريمان » مع بقاء مدينة « اولتي » في حوزة الروسية ثم يبتدئ الخط بالقرب من « ناريمان » الى الجهة الشرقية ويكون مروره من « ترسيق » وبعد دخول مدينة ترسيق في حوزة الروس يسير الى « سنت شاي » مارا بمروره الى ان يصل الى « باردوز » وبعد دخول مدينة باردوز وبكي كوى في عهدة الروسية يتوجه نقطة من غرب قرية « قره اوغان » تمر الحدود منها على خط الى ان يصل الى « مجيجرت » ومنها على خط مستقيم الى ان يصل الى تلال قدوج ويستمر على خط ... نهر « اراكس » في الشمال ومصب نهر « مرادصوى » في الجنوب الى ان يصل الى حدود الروسية القديمة

(المادة التاسعة والخمسون) امبراطور الروسية يصرح هنا بان غاية مقصده ان يجعل باطوم مرسى حرًا (يعني حرًا ان تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول او الخروج)

(المادة الستون) تعيد الروسية الى تركية اودية الشرد ومدينة « بايزيد » التي ملكت للروسية بموجب المادة ١٩ من معاهدة اياستفانوس وقد سلم الباب العالي الى مملكة ايران مدينة « قطور » واراضيها كما قررت ذلك لجنة الانكليزية والروسية التي نيط بعهدتها تعيين تخوم تركية وايران

(المادة الحادية والستون) الباب العالي تتعهد بان يجري بدون تأخير في الولايات التي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات التي تحتاج اليها امورها المحلية وان يتعهد بتأمينهم من تعدي الجراكسة والاكراد عليهم ويفيد الدول الاجنبية مرة بعد المرة التشبثات التي اتخذها هذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

(المادة الثانية والستون) حيث ان الباب العالي اظهر رغبته في ابقاء اصول حرية الديانة وتوسيع مدها توسيعا مطلقا فان موقعين على هذه المعاهدة يتلقون هذه الرغبة منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في جميع اطراف السلطنة العثمانية

حق يحرج احدًا عن الاهلية والجدارة بجميع مايتعلق بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره ويؤذن لجميع الناس بان يؤدوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز احد في الدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس (اصحاب الرتب الكنائسية) والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم ايلي والاناطول حائزين حقوقًا واحدة وامتيازات وخصائص واحدة ويوض لى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية اولئك المذكورين وحماية محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة او غيرها اما الحقوق المسلمة لفرنسا فلم تزل مرعية الاجراء وصار من المعلوم المقرر هنا انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة اما زوار جبل آتوس من اي جنس كانوا فيبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة ويبقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

(المادة الثالثة والستون) تبقى معاهدة باريس التي امضيت في ٣٠ مارس ١٨٥٦ ومعاهدة لندرة التي امضيت سنة ١٣ مارس ١٨٧١ مرعية الاجراء وذلك بما يتعلق بالمواد التي لم تنسخها ولم تعدلها هذه المعاهدة

(المادة الرابعة والستون) يقع التصديق على هذه المعاهدة بعد ثلاثة اسابيع او اقل ان امكن وللشهادة بذلك اثبت الموقعون اسماءهم على هذه المعاهدة بعد ان وضعوا عليها اختامهم

تحريرًا في برلين في اليوم الثالث عشر من شهر يوليه (تموز) سنة ١٨٧٨

الامضـــــــاء

فون بسمارك	صالسبري	هايمرل	شوفالوف
فون بولوى	اودروسل	وادنغطون	دوبريل
هوهنلوه	كورتي	سان فاليه	قره تيودوري
اندراسي	لاوني	ديبريس	محمد علي
كارولي	غورجيقوف	بكنسيفلد	سعد الله

وبعد لاجد في العمل تقتضي هذه المعاهدة طلبت روسيا عقد معاهدة نهائية تصحيح ما سم من معاهدة صان استيفانوس تخرج عساكرها من الاراضي العثمانية فاستقر لامر على معاهدة تعريبها

(المادة ١) يقع بعد هذا صلح ووداد بين السلطنتين

(المادة ٢) قد وقع لاتفاق بين الدولتين على ان تصرحا بان المواد التي تضمنتها معاهدة برلين التي صار حرائها بوجب توسط لدول السبع جرى العمل بها عوضاً عن شروط صلح معاهدة اياسطفانوس التي صار تعديلها او تبديلها في مؤتمر برلين

(المادة ٣) جميع مواد معاهدة ايا سطفانوس التي لم يحصل تبديلها و تعديلها او الغاؤها في معاهدة برلين جرت تسويتها في المواد الآتية من هذه المعاهدة تسوية قطعية

(المادة ٤) بعد اسقاط قيمة الاراضي التي سلمتها تركية الى الروسية بموجب معاهدة برلين يبقى مبلغ الغرامة الحربية المعين على الباب العالي اداؤه ٨٠٢٫٥٠٠٫٠٠٠ فرنك وكيفية اعطاء هذا المبلغ والضمان عليه تكون بالاتفاق بين دولة الحضرة العلية السلطانية ودولة قيصر الروسية ما عدا ما صرح به في الضبطة الحادية عشرة من معاهدة برلين فيما يتعلق بالغرامة الارضية والحقوق الاولوية المختصة بالذين لهم مطالب على الدولة العلية

(المادة ٥) مطالب رعية الروسية القاطنين في تركية بصفة تعويض عن الضرر الذي حصل لهم في مدة الحرب الاخيرة تعطى عند روئيتها وتسويتها بمعرفة سفارة الروسية بالاستانة واطلاع الباب العالي عليها وعلى كل حال لا يمكن ان تزيد على ٢٦٫٧٥٠٫٠٠٠ فرنك ويلزم تقديمها الى الباب العلي في ظرف سنة واحدة اعتباراً من يوم مبادلة هذه المعاهدة المصدق عليها وبعد مضي سنتين لا يقبل الباب العالي شيئاً منها

(المادة ٦) يعين من طرف الباب العالي ومن طرف دولة الروسية مأمورات مخصوصات لتسديد حساب تموين العساكر العثمانية الذين كانوا اسرى في الحرب الاخيرة وهذه المصاريف تعين الى يوم التوقيع على معاهدة برلين ويسقط منها المبلغ الذي صرفته الدولة العثمانية على مؤونة الروس الذين كانوا اسرى عندها وبعد تسوية هذا الحساب يدفع الباب العلي المبلغ الى الروسية في احد وعشرين قسطاً متساوية يكون دفع آخر قسط منها في ظرف سبع سنين

(المادة ٧) سكان الاماكن التي الحقت بالروسية الذين يريدون الاقامة في غيرها يسوغ لهم الخروج منها بحرية تامة كما انهُ يسوغ لهم ايضاً بيع املاكهم وعقاراتهم « الغير المنقولة » ولاجل هذه الغاية تعطى لهم مهلة ثلاث سنين اعتباراً من يوم التصديق على هذه المعاهدة فاذا انقضت هذه المدة ولم يخرجوا من الاماكن ولم يبيعوا عقاراتهم يصيرون رعية للروسية

(المادة ٨) قد تعهد الموقعون على هذه المعاهدة بان لا يعاقبوا او يمسوا معاقبة رعيَّة الدولتين الذين كان لهم علاقة او مشاركة مع عساكرها في الحرب الاخيرة واذا اراد احد من العثمانيين ان يتبع عساكر الروس عند خروجهم من ارض الدولة العلية فلا يسوغ لمأموري هذه الدولة ان يمنعوه

(المادة ٩) تحت رعيَّة الدولة العثمانية الذين اشتركوا في الانقلاب الاخير الذي وقع في ولاياتها بالروم ايلي الامان والعفو التام بحيث ان كل من حبس منهم لهذا السبب او نفي او ابعد من بلاده يعفى عنهُ ويحول الحريَّة التامة

(المادة ١٠) جميع المعاهدات والاتفاقات والتعهدات التي كانت حاصلة بين الموقعين على هذه المعاهدة فيما يتعلق بالاحكام وحال رعيَّة الروسية القاطنين في تركية ثم الغيت بسبب الحرب الاخيرة تصير معمولاً بها كما كانت سابقاً فتبقى علاقة كل من الدولتين من جهة تعهداتها وعلاقاتها التجارية وغيرها على الحالة التي كانت عليها قبل الاعلان بالحرب ما عدا ما صرح به في هذه المعاهدة او في معاهدة برلين

(المادة ١١) يتخذ الباب العالي الوسائط الفعالة لتسوية جميع الدعاوي و المنازعات الخاصة برعية الروسية الموقوفة منذ بعض سنين ويعطى لهم تعويض اذا اقتضتها الحال مع المبادرة الى انهاء جميع الدعاوي التي صدر بها لهم اعلامات وقرار من المجالس

(المادة ١٢) بعد التصديق على هذه المعاهدة يقع تبادلها في سانت بطرسبرج في ظرف اسبوعين او اقل اذا امكن

تحريراً بالاستانة العلية في ٨ شباط (فبراير) ١٨٧٩

فتلخص مما تقدم ان سائر الممالك العثمانية هي آمنة لوارد عليها واحكام الدولة العلية بها اكمل من حوتهُ ممالكها شرعيَّة سياسيَّة منظمة ولها مجلس شورى ومجلس اعيان

ومجلس مبعوثان (نواب) وان اعترض الآن من القلاقل الخارجية ما اوجب تأخير اجتماع المجلسين الاخيرين لاتمام اجراء الاصلاحات حقيقة واما تعيين قوها البرية والبحرية والدخل والخرج فقد تقدم ذكره مع بقية الدول

﴿ الى هنا وقف بالمؤلف رحمه الله القلم * وبذلك ختم هذا الكتاب وتم ﴾

———

تقاريظ

كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

مكتوب

وارد من حضرة ... الشريف السيد علوي ...

الحمد لله تعالى

حضرة العالم العلامة والحبر الفهامة الملاذ الاعظم والماجد الهمام الاكرم مولانا الشيخ محمد بيرم ادام الله النفع به امين

بعد اداء تحيات عاطرة . واشواق متكاثرة هو اني بعد ان تشرف ناظري بالمرور على جملة صالحة من تحريراتكم البديعة العلية المنار . وجدتها جديرة بما سميت به من صفوة الاعتبار . بمستودع الاقطار والامصار اخذت تسباحتي فيها ناظري ونزهة من الهموم بجولاني بها خاطري . كيف وهي خريدة غراء عربية الا انها غريبة في بلاد الروم . وعروس تجلت في منصتها الا انها لا يكافئها كل خاطب لها يروم . اشرقت فيها كواكب التدقيق . واضاءت في آفاقها شموس التحقيق . ابدعتم معانيها واحسنتم . واحكمتم مبانيها واتقنتم . فشكر الله تعالى لكم حسن هذا الصنيع . و سأله تعالى دوام النعم بكم لكل وضيع ورفيع . وها هي بيد الخادم عائدة اليكم . بعد ان عرفتنا هذه النائلة عنا في لثم اياديكم . ودمتم . في عز كما رمتم

في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٠٠

مستمد دعواتكم الصالحة

علوي بن احمد السقاف

ترجمة مكتوب

ورد عن لسان صاحب الحشمة ملك السويد ونورويج اوسكار الثاني من مدينة اوبسالا
بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٩

حضرة السيد

بأمر من جلالة الملك اتشرف بأن اخبركم بورود تأليفكم الموسوم بصفوة الاعتبار الذي تفضلتم بتقديمه الى مقامه السامي بصفة كونه حامياً ورئيس شرف للمؤتمر الثامن الدولي للمستشرقين وقد كلفني جلالته بان ابلغ سيادتكم جزيل شكره على هذه الهدية النفيسة وتفضل يا حضرة السيد بقبول فائق اجلالي واحترامي رئيس الكتّاب

﴿ دوسيلسنغ ﴾

واسم الكتاب مذكور في الصحيفة ٦٢ من فهرسة الكتب التي قدمت الى جلالة ملك السويد للمارابو بملك المناسبة

ترجمة مكتوب وارد باللغة التركية

من الكاتب الخصوصي للمرحوم سعد الله باشا سفير الدولة العثمانية في ويانه سابقاً
من مدينة ويانه بتاريخ ٤ مايس ١٨٨٨

فضيلتلو الخادم حضرتلري

وصلت ليد الاعزاز عيفتكم الكريمة واني لفي غاية الابتهاج مما تفضلتم باظهاره في حق هذا العاجز من آثار توجهاتكم الودادية وارجوكم قبول عذري لتأخري عن المبادرة بالاجابة. هذا واني ابتاهي بوقوفي بالخبر على ما كنت اسمعه بالخبر عن فضائل ذاتكم العالية وكمالاتكم المشهورة وانكم بحرير صاحب قلم اوقفتموه لخدمة الملة والمدنية الاسلامية واقبالها وترقيها وقد حفظت ذكرى ملاقاتنا التي تشرفت بها عند ما حضرتم الى اوربا لتبديل هواء واهنيكم على توفيقكم لتحرير رحلتكم المسماة بصفوة الاعتبار المشحونة بالفوائد العميمة التي اختصصتموني بنسخة منها لطفاً منكم ونكرماً « خير الناس من ينفع الناس » واني ارجو ان لا تنسوني من دوام توجهاتكم والامر لسيدي في كل حال ﴿ سعد الله ﴾

فهرست

﴿ الجزء الخامس من صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ﴾



ترجمة

المرحوم السيد محمد بيرم الخامس

هو السيد محمد بن مصطفى بن محمد الثالث بن محمد الثاني بن محمد الاول بن حسين بن احمد بن محمد بن حسين بن بيرام حضر الى تونس قائدًا على احدى فرق الجيش العثماني عند فتحه من يد الاسبانيول على يد الصدر الاعظم سنان باشا سنة ٩٨١ هجرية وقد تزوج بيرام بنتًا من آل ابي عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة وإعتاب الكتاب وهو الذي ارسلهُ صاحب بلنسية زيان بن ابي الحملات الى صاحب افريقية (تونس) ابي زكريا يحيى بن ابي حفص يستنجد به لما حاصرهُ ملك برشلونة الاسبانيولي فانشدهُ قصيدتهُ المشهورة التي اولها

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد قدر الله ان الاسطول الذي ارسلهُ صاحب تونس لم يصل في الوقت بسبب الاعداد الاندلسيين فرجع ابن الابار لتونس حيث استوطن بها سنة ٦٣٥ وقد امهرها بيرام اربعة آلاف ريال هذا هو المنشأ الاصلي لهذه العائلة

وقد ولد السيد محمد بيرم بمدينة تونس في المحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق لمارس سنة ١٨٤٠ ميلادية وامهُ بنت الفريق محمود خوجه وزير البحرية بالايالة التونسية وامها بنت العماد ذي الشرف المعروف ويتصل نسب آل بيرم

بالسادة لاشراف من جهات اخرى ايضاً اهمها جهة محمد بيرم لاول فان والدته بنت لسيدة الشريفة حسيبة بنت محمد بن ابي القاسم بن محمد بن علي بن حسن الهندي الشريف وهذا السيد قدم الى تونس واجمعت عامتها وخاصتها على لاعتقاد بنسبه الطاهر والتبرك به ونسله فيها بركة اهل تونس الى الآن اما نسبهُ فيتصل الى الحسين السبط عليه السلام وقد تولى محمد بيرم الثاني نقابة الاشراف في حياة ابيه مضافة الى خطة قضاء التي كانت بيده سنة ١٢٠٦ واستمرت النقابة في يد ولده محمد بيرم ثالث وحفيده محمد بيرم لرابع الى حين وفاته سنة ١٢٧٨ كما ان رئاسة مفتيين الحنفية المعبر عنها في تونس بمشيخة الاسلام استمرت في يدهم ويد ابيهم محمد بيرم الاول من ذي القعدة سنة ١١٨٦ الى ٤ جمادى لاولى سنة ١٢٧٨ اي احدى وتسعون سنة وستة اشهر ولم تنقطع الا مدة قليلة بين وفاة بيرم الاول وولاية بيرم ثاني وكان جميع آل بيرم منخرطين في سلك خدمة مفتخرين بخدمة العلم الا قليل منهم فقد دخل في الخدمة العسكرية فجمع لهذه العائلة خدمة الدين من طريقين طريق علم وطريق الجهاد حتى ان احمد بيرم توفي بجراحة اصابتهُ في محاربة الجزائر بين مراد باي امير تونس اذ ذاك سنة ١١١٢ وكان هذه الخدمة السياسية اثرت في صاحب الترجمة مع قرابته لوزير البحرية حينئذٍ فصار لهُ ميل كلي للتداخل في الامور ملكية ومعرفة احوال الحكومة وقد كان جدهُ محمود خوجه رام ادخالهُ في الخدمة عسكرية ولا ممانعة عمه شيخ الاسلام بيرم الرابع فدخل صاحب الترجمة الى جامع الزيتونة وقرأ على مشايخ الوقت معدودين ولم يمنعهُ ذلك عن اشتغال فكره بما يهواه من

امور الادارة مع تباعد اهل العلم عادة عن كل ما هو خارج عن دائرة دروسهم وقد جرت عادة الكثير من العلماء والادباء بتونس ان يكون لكل واحد منهم سفر يسميه بالسفينة يسمونه "كناشا" يجمعون فيه ما يحلو لديهم جمعه من انشائهم او انشاآت غيرهم عمية وادبية نظماً ونثراً متضمنة الفوائد المختلفة في فنون ومعانٍ شتى وقد حظي صاحب الترجمة على حطام وعمره سبعة عشر سنة واول ما افتتح به كتابة ما تجمع لديه من اوامر وقوانين ونظامات في شؤون الحكومة اصدرها اذ ذاك صورة الامير محمد باشا وهذا يدل دلالة واضحة لا شبهة فيها على ميل صاحب الترجمة وتعلقه باحوال السياسة وقد كان في حال صباه يرى العربان يفدون على والده وهو مشغول بالزراعة يتضجرون ويتوجعون مما يصيبهم من ظلم الحكام وتشديدهم في نهب الاموال بسائر الطرق التي اخترعوها في ذلك الوقت كما هو مبسوط في الكلام عن سياسة تونس الداخلية في صفوة الاعتبار فاثر فيه تجيبهم وبكاؤهم فوقف حياته من ذلك العهد على الانتصار للرعايا وتخفيف الاستبداد عليهم والسعي وراء نشر القوانين وتأسيس المجالس النيابية ومال بكل جوارحه للحرية مع ما جرت به العادة من تباعد ذوي البيوتات عن مثل ذلك حتى لقد بلغ به الولع بالحرية وحب المجالس الشوروية ان تخالف رأيا يوماً وهو صغير السن لا يتجاوز من العمر عشرين سنة مع ابيه وابن عمه عندما افتتح الامير الصادق باشا المجلس الاكبر واسس قوانين عهد الامان (كونستيتيبون) فكان صاحب الترجمة ينتصر لهذه المستحدثات ويتوسم فيها خيراً للبلاد وذانك يخالفانه مع ان احدهما كان من جملة اعضاء المجلس لما غرس في اذهان اصحاب

البيوتات من التنحي عن مثل هذه المستحدثات التي لا تروق في اعين حكامهم وبعد وفاة عمه الشيخ بيرم الرابع ولاه الامير مشيخة المدرسة العنقية في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ فباشر التدريس فيها ومن عادة علماء تونس من مشايخ المدارس ان يقرأوا فيها صحيح البخاري خصوصاً في الاشهر الثلاثة مكرمة واعتباراً من ١٥ رمضان يبتدئ كل واحد منهم بحسب الدور بختم ما قرأهُ وذلك بان يتلو الحديث الشريف الذي وقف عليه ويكتب عنهُ ما يعن لهُ من الشروح والتعليقات ويكون لذلك تجلي حفل يستمر من العصر الى قريب الغروب وتتوالى الاحتفالات المذكورة الى الليلة السابعة والعشرين من رمضان حيث يكون ختم جامع الزيتونة ودور المدرسة العنقية في اليوم الخامس والعشرين منهُ وقد حضر الامير بنفسه ذلك الختم في تلك السنة تشجيعاً للشيخ الجديد وكان حديث الختم قوله عليه الصلاة والسلام "ان امتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين فمن استطاع منكم ان يطيل غرتهُ فليفعل" وفي ٩ جمادى الثانية سنة ١٢٧٨ صار مدرساً في جامع الزيتونة من الطبقة الثانية وفي ١٥ رجب سنة ١٢٨٤ رقي مدرساً من الطبقة الاولى فاستمر مباشراً للتدريس مشغولاً بادارة املاكه وعقاراته واموره الخصوصية وتوفي والده الى رحمة ربه في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٨٠ وترك لهُ ثروة عظيمة وفي تلك الاثناء ظهرت الفتنة العمومية في الايالة التونسية متسببة عما كان يتوقعهُ ويخشاهُ من عاقبة ظلم الرعية واستبداد الحكام وقبيل ذلك اقفلت المجالس الشورويةُ التي كان صاحب الترجمة يتولع بها ويهواها ولا يتوسم خير المملكة سواها وكأن ذلك اثر عليه تأثيراً شديداً حتى انه كان احد

اصدقائي من امراء المسلمين مقيمين باوروبا بما يقص محل الحاجة منه" فيا لها من حال يرثي لها من رام النزال . وتغيّر نشأتها شمحات الجمال . الى ان قال فقد فاز من نجا بنفسه . واستراح من فتنة باطنه وحسه . اذ الآيات وردت على ذلك نصة . فقال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . ففر المخففون . وابتلي المتأهلون . ووالله العظيم . ونبيه الكريم . طالما نهضت عزائمي الى الترحال . فأثقلتني قيود العيال . مع ما انا عليه من الوحدة عن اخ شقيق . او قريب يخلفني فيهم عند الضيق . ولم استطع التخلص بكلي . اذ لا يخفى مما يثقل كلي . وقسم بالقرآن . وصفت الرحمن . اني عرضت لبيع املاكي . لاتخلص بها من اشراكي . واستعين منها بالاثمان . فلم اجد من يصرف لهذا الوجه اي عين . ولو من اعيان الاعيان . الخ" (والمكتوب كلهُ منشور في الصحيفة ٣٦ من الجزء الثاني من صفوة الاعتبار) ومن ذلك الحين اسند العمالة الوزير خير الدين باشا اذ كان هو رئيس المجلس الاكبر الذي الغي وكانت مناسبة الوصلة بينهما حبهما للحرية وتعميم الشورى في المملكة وهما كما لا يخفى عونان وحيدان لحفظ استقلال البلاد من التلاشي ولذلك فعندما تولى خير الدين باشا الوزارة الكبرى في تونس في رمضان سنة ١٢٩٠ كان صاحب الترجمة من اكبر انصاره ومعاضديه وتظاهر بذلك تظاهراً كلياً حتى نشر في الرائد التونسي الذي هو جريدة الحكومة الرسمية مكتوبين ادرج فيهما انبساط الاهالي من تغيير الوزارة وبين تسلط المتصرفين للحاكم السابق وانهم فئة قليلة لا تحب خير البلاد وكان بذلك اول تونسي جاهر بآرائه السياسية في الجرائد تحت امضائه على ما ادري وزاد

على هذا التظاهر الادبي ان سعى في اعمال تظاهر مادي وذلك بان اتفق مع علماء جامع الزيتونة على اقامة احتفالات في الجامع شكراً لله على انقاذ البلاد من عهد الجور وادخالها في عصر التمدن والرجوع لعهد الامن وحصل لفعل ذلك الاحتفال واعقبهُ كثير مثلهُ في جهات الحاضرة وبقية بلدان المملكة فكانت نهضة حقيقية وطنية صادرة عن اخلاص نية حباً في الحرية واستقامة الاحكام ولما استقرّ الوزير خير الدين في منصب ووجه عزيمته لاصلاح الادارة رأى ان الاوقاف متشتتة قد استولت عليها ايدي الخراب والاطماع فرأى ان جمعها في ادارة واحدة يكفل حفظها ويضمن ريعها فيصرف في اوجهه المشروعة وذلك على نحو الجاري في دار الخلافة سعيدة وقد رأى الوزير ان يعهد الى صاحب الترجمة امر هذه الادارة الجديدة لما يعهده فيه من معرفته بالاحكام الشرعية واطلاعه على مقتضيات الوقتية وامتنع المرحوم اولاً من قبول اي وظيفة كانت لانهُ لم يكن يميل الى التقييد بشيء ما يمنعهُ عن السعي وراء ضالته المنشودة وهي الحرية المرغبة ودخولهُ في الوصف يجعلهُ بلا ريب مقيداً مع الوزير بالآداب التي تقتضيها الوظيفة اما بقاؤه خارجاً عن دائرة الحكومة فيبقيه على حريته التي تمكنهُ من تذكير الوزير بما عساه ينساه من تتميم لما كان تعهد باجرائه هذا فضلاً عما كانت عليه شيمة صاحب الترجمة من الهمة واباءة النفس حتى كأن جدهُ حسين بيرم المتوفي سنة ١١٥٥ قد عبّر اليه بجوهر الغيب لما ذيل البيتين الشهيرين

شيآن لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما فقد شباب وفرقة الاحباب

بقوله

واشتدّ من هذين ان يلقى الفتي ذل السؤال ووقفة الابواب

ومع ذلك فقد تغلب اصحابهُ عليهِ وقبل ادارة الاوقاف في ١٧ صفر سنة ١٢٩١ ولم ينفرد مع ذلك بامرها بل شاركه معهُ مجلساً مؤلفاً من ثلاثة اعضاء احدهم من رجال الادارة والاثنان الآخران من اعيان الاهلي واتحدر وجعل نظرهم في الاوقف على قسمين الاول الاوقف الاهلية اي التي هي موقوفة على ذرية الواقف او قرابته والثاني الاوقف التي على اعمال البر مثل الجوامع وقراءة القرآن وغير ذلك فاما نظرهم في الاول فهو مجرد نظر ارشاد واما القسم الثاني فنظرهم عليه نظر تصرف مطلق والمباشر للاعمال هو الرئيس بعد اخذ رأي الاعضاء فيها وقد جمع الاوقف كل نوع منها لجهة واحدة بان ضم مثلاً جوامع الخطب كلها لجهة ومدارس كلها لجهة واوقاف القرآن لجهة وهكذا الى آخر انواع الموقوف عليه وجعل لكل قسم وكيلاً خاصاً يباشر العمل في ذلك تحت النظر الاصلي فيقبض الوكيل ويصرف في قيمة الشعائر وفي اصلاح الموقوف والموقوف عليهِ ولكنهُ لا يعمل شيئاً الا بعد الاستئذان من رئيس المجلس وجميع حساباته ترسم في دفترين مخصوصين بشهادة عدلين احد الدفترين للحسابات اليومية والثاني للحسابات العمومية وانما جمع كل نوع من الاوقاف تحت نظر وكيل واحد لان الموقوف عليه مختلف الريع بعضهُ غني وبعضهُ فقير فاذا كانت ادارتها جميعاً متحدة فيصرف من دخل الغني على الفقير لانهما من نوع واحد وبذلك تيسرت سهولة الاصلاح ثم انهُ في آخر كل اسبوع يقدّم الوكلاء حساباتهم ويوردون

قسمين احدهما مجاني للفقراء يسع مائة مريض والآخر للموسرين باجرة معينة زهيدة وافتتحهُ الامير بنفسه في موكب حافل حضره في يوم ١٠ فبراير سنة ١٨٧٩ (١٨ صفر سنة ١٢٩٦) واعلن الوزير عن لسان الحكومة بحسن مساعي صاحب الترجمة في تنظيم هذا المستشفى بقوله في خطاب القاهُ على مسامع الامير في ذلك الاحتفال وهو "بمقتضى الاذن العلي وعناية سيدنا ادام الله تعالى بقاءه بصالح بلاده وقع انجاز هذه المأثرة الجميلة التي هي احدى مآثر الحضرة العلية وهي هذا المستشفى الصادقي الذي شرفهُ سيدنا ايده الله تعالى بالحضور فيه هذا اليوم وقد اعتنى الشيخ السيد محمد بيرم ببذل الجهد في تحريره وترتيبه على الكيفية المشاهدة مما نرجو من الله تعالى ان يجعل ذلك من سيدنا محل الاستحسان" فاجاب الامير بالشكر والثناء واهدى الى صاحب الترجمة في ذلك اليوم علبة مرصعة ذات قيمة وافرة مكتوب عليها سمة الافتخار الكريمة. وفي اواسط تلك السنة تطاول احد اعوان الوزير على القاضي المالكي الشرعي بديوان الحكم وهو امر لم يعهد له مثيل في تونس حيث لا تزال الاحكام الشرعية وحكامها مرموقين بعين التبجيل والاحترام اللائقين فهاجت البلاد لذلك وماجت واتفق الحكام الشرعيون على تعطيل الاحكام الى ان يسترضيهم الامير بعزل الوزير وعقاب تابعه عقاب صارم واجراء القوانين ومجالس الشورية في البلاد لتكون ضمانة كافية على عدم العود لمثل هذا الحادث المكدر وعدم تسليم الادارة لمن لا يكون كفوءًا لها وبعد ان اتفقت كلمتهم على هذه المطالب وكادوا ان يحصلوا عليها دخل بين بعضهم داخل الغرور والتفرقة فتشتتت آراؤهم وانحلت جامعتهم ورضوا

بتبعيد التابع المتطاول لاحدى معاقل المملكة في قابس الواقعة على حدود طرابلس وبتشكيل الامير لمجلس سماه مجلس الشورى للنظر في مهمات امور الدولة وجعله تحت رئاسة الوزير نفسهِ واعضاؤه بقية وزراء المملكة ومستشاروها وبس فيهم الا اثنان من الاهالي والباقي كلهم من مماليك الجراكسة وزاد عليهم اثنين هما السيد محمّد بيرم والعربي باشا زروق رئيس المجلس البلدي وكانا من اشد المنتقدين لعزائم الحكام الشرعيين في مطالبهم التي طلبوها وكان ذلك في ١١ رجب سنة ١٢٩٦ ولا يخفى ما في رضاء المشايخ بمثل هذا المجلس خصوصاً بعد تعيين صاحبيهم فيهِ من الايقاع بهما والتقاصي عن صالح البلاد الحقيقي ولم تطل الايام حتى اختلق الوزير مأمورية لصاحب الترجمة وارسلهُ بها الى فرنسا وحاصلها السعي لدى كبراء القوم وخصوصاً غامبيتا رئيس مجلس النواب اذ ذاك وصاحب القول الفصل في بلاده لتغيير قنصلهم في تونس لانهُ اشتد على الحكومة اشتداداً لم يبق لها حرية للعمل في شؤونها الداخلية قط ولم يقف عند حدّ في القاء الدسائس والفتن وتوغير الصدور بين الراعي والرعية حتى انهُ لما طلب اعيان الاهالي التونسيين ما طلبوه من تأسيس الحرية والشورى في بلادهم كان الموسيو رستان نائب الجمهورية الفرنسوية ينصح الامير بعدم الاصغاء الى هذا الطلب وان العساكر الفرنسوية بالجزائر مستعدة لمعاضدتهِ وكسر شوكة الاهالي واذلالهم عند اللزوم وهي سياسة قديمة اتبعتها فرنسا في تونس نفسها فان قوانين عهد الامان السابق ذكرها المؤسسة في تونس سنة ١٢٧٤ كانت بمساعي فرنسا وانكلترا ظاهراً وتهديدهما للامير باسطوليهما اللذين حضرا لذلك الغرض

وكان ذلك لمجرد قتل يهودي في اقامة حدٍ اقتضته الشريعة ولما اجريت تلك لقوانين بالفعل سنة ١٢٧٧ وتوجه الامير لمقابلة الامبراطور نابليون الثالث في الجزائر واهدى اليه نسخة من تلك القوانين اقتبلها منهُ بالشكر ظاهرًا ولما اختلى الامبراطور بقنصله ليون روش وبخهُ توبيخًا شديدًا على ما رواه المرحوم الجنرال حسين وافهمهُ غلطه من مماضدة على اجراء القوانين الشوروية في تونس حقيقة وقال له ان العرب اذا تأسوا بالعدالة والحرية فلا راحة لنا معهم في الجزائر مطلقًا ومن ذلك الحين وجه القنصل همتهُ لاقناع الوزير مصطفى خزنه دار بالغاء تلك القوانين ووجد منهُ اذنًا صاغية فالغاها وبقيت كذلك الى هذا الوقت . وقد قبل السيد محمد بيرم مأموريته كما قبل المرحوم حسين باشا وزير المعارف اذ ذاك بتونس منها لدي البرنس بسمارك ولما توجه صاحب الترجمة للسلام على الامير سلام الوداع واجههُ بكلام اللوم والعتاب على ما جرى منهُ من تعضيد المطالب الاهلية فاجابهُ الشيخ بيرم بكلام اثر في نفسه تأثيرًا لم يزل يكرره بتوجع الى آخر مدته وهو انهُ قال له اننا نطلب الحريةُ التي قال سيدنا انهُ لا يعطيها لنا غيره فاجابهُ الامير اي اعطي الحريةَ للنجار والحداد امثالك او لهذا (واشار الى احد كبار الحاضرين) فان النجار والحداد اذا اعطيا الحريةَ اساءا التصرف بها ولم تبقَ لنا معهما راحة فقال له السيد بيرم ان الحريةَ التي يعطيها سيدنا للحداد والنجار تصيرهما مثلي انا ومثل هذا واشار الى ذلك الوجيه وسبب انزعاج الامير من هذا الجواب هو تكرار لفظة الحريَّة فيه ولم يعهد انهُ سمعهُ من قبل حتى ان امراء تونس قديمًا كانوا يعتقدون انهم يملكون البلاد بمن فيها من

الارزاق والادم والسكان املاكاً شرعياً لا ينازعهم فيه منازع واورد المؤرخ اللبيب الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه نادرة جرت له مع امير تونس حسين باي الثاني في هذا الموضوع كادت ان توردهُ حتفهُ رحمهُ الله . ولما وصل صاحب الترجمة هذه المرة الى باريس وكان ظاهر امره انهُ توجه للتداوي اجتمع بالموسيو غامبيتا وفاوضهُ في المسألة التي كلفهُ بها الوزير وسلمهُ تقريراً فيها هذه صورتهُ

" اني اقدم على وجه خصوصي غير رسمي الى حضرتكم العلية تقرير ما هو واقع في المملكة التونسية مما عساه ان يكدر صفاء القلوب حيث كنتُ أنا واهل بلادي على علم من ان الدولة العظيمة الحرة لا يلقها ما هو حاصل الآن من نائبها في تونس الذي اتخذ طريقة التشديد و تخويف ديدناً في كل شيء حتى صيَّر حكومتنا متعدية من اصدقائها عوضاً عن زيادة الالفة والركون الذي هو الواجب مع الامة الفرنساوية التي كل اهالينا يعلم انها وحدها هي التي تفيدنا ولهذا عند ما امتلأ وطاب من الكدر لم نقصد الا ابلاغ الحال الى رجالها المنصفين من غير ان نطرق باباً غير بابها وذلك ان موسيو رستان النائب المذكور بعد ان اوقع دولتنا في ارتباك وكاد يغير علينا الدولة الفرنساوية في نازلة موسيو دو صانسي التي لا تستحق تلك الاهمية حسبما يوضح ذلك التقرير الذي حررهُ مجلس التحقيق المعين من فرنسا وبعد ان اضطر حكومتنا الفقيرة التي لم تستطع دفع كيبونها (فوائد ديونها) ولا مرتبات متوظفيها الى دفع مبالغ مجاناً من المال والاملاك الى اناس لا فائدة بهم لكلا الدولتين لاسباب نتحاشى عن ذكرها امام فخامتكم حتى انهُ خسره

في مدة السنة اشهر الاخيرة فقط نحو مائة الف وستة واربعين الفاً فبعد هذا كله اذا هو الآن يتعرض رسمياً لتحسين ادارة البلاد التي بها تتمدن الاهالي ويدخلون في الحضارة وكانت الدولة الفرنساوية امالتنا اياها على يد نائبها سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) انتصاراً للانسانية والحق وعوضنا عن زيادة التقدم مع تقدم العام اذا هو الآن مضاد لذلك وقال الى سيادة سيدنا الباي لا تفعل مجلس الشورى الذي طلبته منك الاهالي وابق على حالتك العتيقة بل اوعز اليه مع بعض اعوانه المنكشف حالهم بان يقتل نحو ثلاثة اشخاص وينفي نحو سبعة ويلتجي الى حمايته ولا عليه في شيء فلولا مكارم سيادة سيدنا الباي لاوقع البلاد بل فرنسا ذاتها في ارتباكات مضادة للانسانية والعدالة المجبولة عليها الدولة الجمهورية الفرنساوية . فيا ايتها الحضرة الفخيمة هل ترضى الامة والدولة التي ترسل ابناءها الى اقصى المشرق والمغرب لحفظ الانسانية ان يكون نائبها مضاداً لذلك في بلاد هي جارة لها عندما كانت الدولة العظيمة تخرج اهل الجزائر من الحكم العسكري الى الحكم البلدي متستراً في دعواه بعدم التعرف بالمجلس بانه سمع ان المقصد منه هو التعرض لمصالح فرنسا مع انه على علم بان مصلحة الامة الفرنساوية يعتبرها ويراعيها كل من الآمر والمأمور في بلادنا لعلمنا بفوائدها بيد انه اذا كانت المصلحة ليست لفرنسا وانما هي مجرد فوائد شخصية فان مصلحة البلاد نقدم عليها وهو الذي نؤمل المعاضدة عليه من الرجال المشهورين في العالم من الدولة الفرنساوية ونثق بما ترقم مزينة صحف التاريخ فهذا انا انهي الى مسامعكم الشريفة اختصار ما هو حاصل ولحضرتكم ان تطلبوا الايضاح ممن يعلم حالة بلادنا من الذين لهم خبرة بها من الصادقين "

وقد بادر صاحب الترجمة بارسال تفصيل المقالة وما حصل فيها من الكلام الى الوزير بمكتوب مؤرخ في ١٢ شعبان سنة ١٢٩٦ من جملة ما قاله له فيه عن لسان غامبيتا " ان كنتم تريدون الارتياح من الرجل (اي رستان) فيجب ان تكتموا هذا الامر بل ولا اجتماعكم بي في تأنو والأ كان ذلك ينقض قصدكم " وما كاد يصل هذا المكتوب الى تونس حتى انتشر الخبر بسر المسألة ولم يعلم ان كانت الاشاعة حصلت من نفس الوزير او من المترجم الذي كان الواسطة في الكلام بين غامبيتا وصاحب الترجمة الذي لم يكن يتكلم اللسان الفرنساوي والحاصل ان القنصل انتهز هذه الفرصة الجديدة وارعد وابرق على الامير والوزير وزاد في ايغار صدورهما على صاحب الترجمة وساعده البخت او الصدفة بانه في الوقت الذي كان الاهالي في تونس يطلبون تأسيس الشورى في بلادهم كانت الدول مشغولة في مصر بخلع اسماعيل باشا وحصل ذلك على يد خير الدين باشا صاحب الصدارة حينئذٍ وارتباطات الباشا المذكور بتونس وخصوصاً بصاحب الترجمة مشهورة عند الجميع فاستنتجوا من ذلك ان طلب الشورى في تونس لم يكن القصد منه الأ احداث ارتباكات في المملكة تفتح الباب لمداخلة الباب العالي خصوصاً وكان صاحب الترجمة معارضاً شديد المعارضة في وصل سكة الحديد بين الجزائر وتونس وتعيين الحد الفاصل بينهما الأ بعد العرض للدولة العليَّة وزادوا في اقناع الباي بالتلغراف الذي ارسله خير الدين باشا يعلمه فيه بفصل اسماعيل باشا عن خديوية مصر وقد استعمل الصدر الاعظم في تلغرافه عبارات اشتم منها رائحة التهديد والوعيد للباي حتى التزم الحال للاستفهام من الباب العالي

بواسطة السفارة الفرنساوية عن الغرض من عبارات ذلك التلغراف مع انهُ في ذلك الوقت كانت الملاقات الخصوصية بين المرحوم وخير الدين باشا معكرة مكدرة من حين خروج الباشا المذكور من وزارة تونس ولم يصف ماؤها الا بعد ذلك التاريخ كما يدل عليهِ المكتوب الآتي

"الفاضل الزكي الثقة المعتمد الشيخ سيدي محمد بيرم حرس الله تعالى كمالهُ وبعد قد وصلنا مكتوبكم في ٢٢ من الشهر وعلمنا ما احتوى عليهِ من لذيذ الخطاب ونحن لله الحمد على ما يسر الاحباب من العافية التامة في امورنا الحسية والمعنوية واما ما اشرتم اليهِ من الاحوال السالفة عن قدومنا لدار الخلافة فجوابهُ عفى الله عما سلف والسلام من خير الدين في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٦"

ومن راجع تاريخ مكتوب صاحب الترجمة المذكور اعلاه وجواب المرحوم خير الدين باشا عنهُ وقرن بينهما وبين تاريخ انفصال الباشا المشار اليهِ عن الصدارة العظمى الواقع في ٩ شعبان سنة ١٢٩٦ يعلم علم اليقين انهُ في مدة صدارة الباشا المشار اليهِ لم تكن بينهُ وبين الشيخ بيرم ادنى علاقة وان كل ما بناه اذ ذاك المرجفون بتأثير على علاقاتهما الودادية القديمة هو محض اختلاق وكأن الوزير التونسي غفل او تغافل عن حقيقة المأمورية التي اناطها بعهدة صاحب الترجمة فارسل اليهِ تلغرافاً رسمياً الى باريس ص ترجمته

من باردو في ٧ اغسطس سنة ١٨٧٩ (الموافق ١٨ شعبان سنة ١٢٩٦)

"من الوزير الاكبر الى الشيخ سيدي محمد بيرم . شاعت الاخبار بانك متداخل في امور سياسية خصوصاً وانهُ لم يصدر لكم ادنى امر فيها ولذلك

فان سيدنا المعظّم يأمركم صريحاً بان لا تتداخلوا مطلقاً في هذه المسائل حيث انكم سافرتم لمعالجة صحتكم واذا انتهت مدّة التداوي فارجعوا الى تونس"

ثم بعد ذلك ورد له مكتوب من الوزير بتاريخ ٢٥ شعبان جواباً عن مكتوبهِ المؤرخ في ١٢ شعبان وفيه يقول " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد بلغنا مكتوبكم الخصوصي وعلمنا ما ذكرتم وما وقع مع موسيو عمبيتا فتلك من يعتمد عليه وعلى صداقتهِ واما كتمان السر فيكون مهمّاً لان نفعهُ لنا وانما الله يحقق الامل من اتمام الوعد لان القنصل في غاية القوّة الخ"

فلم يسع صاحب الترجمة بعد هذا الاضطراب في اقوال الوزير الا ان يستعفى من وظائفهِ فاجابهُ الوزير عن الاستعفاء بهذا المكتوب ونصهُ " الفاضل الزكي المدرس الشيخ السيد محمّد بيرم رئيس جمعيّة الاوقاف حرسهُ الله اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فان ما عرضتموهُ علينا من طلب الاعفاء من رئاسة جمعيّة الاوقاف عمدهُ ومن معلوماتكم انكم كنتم طلبتم هذا منا قبل سفركم على حين فلم نسعفكم لذلك والذي نعرفكم به انني لم ازل على رأيي في عدم اسعافكم لما ذكر ونرجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء مصطفى الوزير الاكبر عفا عنهُ في ٣ رمضان سنة ١٢٩٦"

وفي اليوم نفسهِ ارسل لهُ مكتوباً آخر نصهُ " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فانهُ بلغنا كتابكم المؤرخ في ٢٥ الشهر الفارط متضمناً ما عن

على ثقة منه من سلوككم طريق استقيم في اقوالكم واعمالكم وتحرزكم في الاجتماع من ان ينسب اليكم غيرما قصدتموه ولا يستغرب ذلك من مثلكم ونرجو الله ان يجمعنا بكم ونتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام"

وقد رجع صاحب الترجمة الى تونس بعد الالحاح الشديد عليه من اصدقائه فوجد الحال متغيرًا وملامح الوزير تظهر الشر ومع ذلك فقد ابلغه صاحب الترجمة ما رآه وسمعه في باريس بخصوص المسئلة التونسية وآراء رجال السياسة فيها ومن جملة ما بلغه ان لاحسن رائحة هناك ان القنصل اقنعه بمساعدة فرنسا على مرغوباتها من ضم تونس اليها وفي مقابلة ذلك تضمن للوزير ولاية العهد على الامارة واستيلاءه عليها بعد سيده ونصحه بان لا يغتر بهذه الترهات فان القنصل اذا حصل على مرغوبه لا يوفي وعده للوزير ولا تعود الخسارة الا على البلاد واهلها وقد حقق الزمن حدس السيد بيرم فانه لما دخلت فرنسا في تونس سنة ١٢٩٨ لم تطل مدتها فيها حتى عزلت مصطفى ابن اسماعيل عن الوزارة واخرجته من بلاد الامارة ولم توف له بوعدته به بل اطردته لبه بعد الغنى وكثيرًا ما تكلمت جرائدها وارباب الوجاهة فيها لتجريده عن نشان الجيون دونور الفرنساوي وهو حامل اول درجة منه وبقي يتقلب متغربًا في البلدان تتقاذفه امواج الذل والسؤال بعد ان صرف ما ادخره ايام عزه من الاموال بصلة واصبح

يوما يحذون ويوما بالعقيق وبالـ ـعذيب يوماً ويوماً بالخليصاء

الى ان جاءت به المقادير الى قسطنطينية حيث تغاضت الدولة العثمانية عن ذنوبه وبقيته يتمم بقية الحياة ويتحسر على ماضي عزه وغبن

صفقته . اما صاحب الترجمة فانهُ بعد عودتهِ الى تونس من مأموريتهِ توجه الى (مرسى) للسلام على ولي عهد الامارة الامير الحالي السابق ذكره فوجد الامير المشار اليهِ في مركبته امام محطة السكة الحديد فاركبهُ معهُ وسارا الى بستان الامير فكبر هذا الامر على مصطفى بن اسماعيل وامر صاحب الترجمة بالكف عن التردد على ولي العهد وكثرت الدلائل على سوء نية الوزير نحو السيد بيرم وتغلب دسائس موسيو رستان ضده حتى نصحهُ بعض الاصدقاء من خواص حاشية الباي بالسفر خارج المملكة لان بقاءه في البلاد فيه خطر عليهِ فطلب بعد عيد الفطر التوجه لاداء فريضة الحج خصوصاً وقد تهدَّدهُ الوزير بانهُ اذا شاع الخبر الذي كان اعلمهُ بهِ بخصوص مساعيه لولاية الامارة يلقيهِ تحت اعباء المسئولية الثقيلة فامتنع الوزير من اعطاء الرخصة بالسفر وقد توسط حينئذٍ السيد الشريف نقيب الاشراف السابق في تونس للحصول على تلك الرخصة وبين للوزير عدم جواز منع المسلمين من اداء فريضة الحج وزيارة النبي صلى الله عليهِ وسلم وللسادة الاشراف في تونس النفوذ الكبير والكلمة المسموعة فالتزم الوزير بالاجابة وقد سافر صاحب الترجمة من تونس في ٢٦ شوال سنة ١٢٩٦ ولم يعد اليها بعد وقصد مالطه ومنها للاسكندرية ومصر القاهرة وفيها تقابل مع الخديو المرحوم توفيق باشا وكان ذلك في ابتداء ولايته فقدَّم له قصيدة في التهنئة بالولاية وتاريخها وقد دار الحديث بينهما عن كيفية نظام اللجنة المالية الدولية المؤلفة في تونس لادارة اشغال الدين وعن النتائج التي انتجتها وهل البلاد متضررة منها ام لا وكان ذلك بسبب ما اقترحتهُ انكلترا وفرنسا اذ ذاك على الحكومة

المصرية من اقامة لجنة المراقبة المالية ثم ان المرحوم سار الى الحجاز وقد تقابل في مكة المكرمة مع المولى الشريف حسين الامير الاسبق واكرم وفادته ثم بعد اداء فريضة الحج والمناسك توجه للزيارة في المدينة المنورة حيث اقام ثلاثة ايام وكان مرضه العصبي مشتدًا عليه في الطريق وهناك توسل للحضرة النبوية بقصيدة طويلة طلبًا من الله الشفاء للبدن والعطف بالوطن ومطلع القصيدة

الى السدّة العظمى شددت عزائمي	الى سدّة الاجلال شمس المكارم
الى باب خير الخلق خصصت وجهتي	ومن فضل باب الله املت راحمي
اليك رسول الله قد جئت ضارعًا	وفضلك ممدود على كل قادم
فيا خير خلق الله جدلي بالرضا	وامن مخوفي من عقاب المآثم
ويا اكرم الامجاد هب لي توبة	واسس على التقوى قيام دعائمي
وانت ملاذي في اموري كلها	فعجل شفائي من سقامي الملازم
ألا يا رسول الله طهر بلادنا	فقد جار في الانحاء ظلماً غاشمي
يريد خلاف الحق في الخلق جائرًا	فنصحه رشدًا لذا كان ظالمي
فعجل بانقاذ البلاد من الذي	تأبط شرًا وارتدى بالمظالم
وفرج همومي والكروب وعلتي	وليس سواك يرتجى للعظائم
وللعدل ان ينقاد كل ملوكنا	لكيما يحل الدين اعلى العواصم

ومن المدينة المنورة توجه الى ينبع وسافر منها الى بيروت مارًا على خليج السويس وقد ذكر هذه الرحلة في اول هذا الجزء الخامس وما لاقاه في سفره من كرم واكرام صاحب السماحة السيد السند السيد سلمان افندي القادري نقيب اشراف بغداد

ولما وصل الى بيروت لاقاه والي سورية اذ ذاك اسعد المقام الجليل الذكر مدحت باشا بمزيد العناية الرعاية واحتفل به اعيان المدينة من مسلمين ومسيحيين بما ابقى لهم في نفسه الذكر الحسن والثناء المستطاب وكان المرحوم من جملة المشتركين المساعدين في جمعية المقاصد الخيرية التي تأسست في بيروت لانشاء مدارس خيرية وقد زار تلك المدارس ولاقى من احتفل الاساتذة والتلامذة وانشادهم القصائد ومقالات الرائقة بين يديه ما زاد ابتهاجه وقد هناه الشاعر المداكة البليغ المرحوم الشيخ ابراهيم الاحدب بقصيدة شائقة ذات اربعة وسبعين بيتا مطلعها

بدر العلى تاريخه (من غربه) في الشرق اشرق نوره لمحبه

ومنها

من اين هذا الطيب هل ريم النقا ليلاً سرى ليدير راحة صبه
او جاء بيروت مجدد بره من صيبة فدكت بوخ قربه
حيث الزمان على تلون طبعه ذي به كفارة عن ذنبه

وقد مدحه ايضاً الاديب الفاضل والمودعي الكامل الشيخ ابو حسن قاسم افندي الكستي البيروتي بقصيدة غراء منها

به تونس الغرب استعزت وحررت نصحته الفضل الذي ليس يجحد
يغار على الدين الحنيف لانه خبير به لا يعتريه التردد
عليه من اهل الشريف جلالة يقوم له الدهر الحسود ويقعد
وسيرته الحسناء في كل موطن بألسنة الايام تتلى وتنشد

وبعد ان اقام هناك اسبوعاً رام فيه التوجه لدمشق الشام لرؤية

معالمها العظام وملاقاة السيد الامير عبد القادر الجزائري غير ان الوقت لم يسعف بذلك لتراكم الثلج في الطريق وتعطيله للسكة فتوجه توًا الى القسطنطينيّة وهناك ورد عليه مكتوب من الامير المشار اليه نصهُ

بسم الله الرحمن الرحيم — الحمد لله حمد المتوسلين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه آمين . من خادم اهل الله عبد القادر بن محيي الدين الحسني الى جناب العلم الفاضل . والهمام الكامل . صاحب المقام السني . الشيخ السيد محمّد بيرم افندي المحترم . ادام الله عليه سوابغ النعم . اما بعد اهداء تحية مقرونة بالاخلاص والتكريم . وادعية منوبية بدوام نعمكم العميم . فالموجب لتحريره اولاً السؤال عن راحة وجودكم السعيد . والابتهاج بسماع حديثكم المجيد . وثانياً قد بلغنا من ولدنا عبد القادر افندي اهدانا سلامكم . ومزيد محبتكم ووددكم . وحصل لنا بذلك تمام السرور . زادكم الله نورًا على نور . ورغبة بربط اسباب المودة بحبكم . واستجلاب بدائع خطابكم . ومجاب دعائكم على الدوام تحررت لكم هذه الارقام . وعليكم السلام

في ١٦ جمادى الاولى سنة ٩٧ المخلص

عبد القادر الحسني

وكان المرحوم قبل توجههِ الى الاستانة ارسل مكتوبًا بواسطة بعض خواصهِ للوزير بتونس نصهُ "الصدر الهمام امير الامراء جناب الوزير الاكبر سيدي مصطفى اطال الله عمره اما بعد السلام التام فاني قضيت المناسك ولله الحمد ولم استطع المبادرة بالرجوع الى الوطن لاني في اضطرار الى اراحة البال والبدن للاسباب التي تعلموها حقًا فلزمني مراعاة الحال الى ان يدبر الله

الكرب لقوله تعالى ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة والله حفيظ وولي من يتوكل عليهِ والسلام في غرة صفر سنة ١٢٩٧ "الا ان هذا المكتوب لما بلغ تونس منعهُ احباء صاحب الترجمة وخواصهُ من الوصول ليد الوزير وبقي المرحوم في وظائفه الى حين وصوله للاستانة ولما ورد خبر وصوله اليها اسرعت الحكومة التونسية بتوجيه جميع وظائفه الى غيره وهو المرحوم الشيخ احمد الورتتاني ومما يجمل بي ذكره هنا ان عائلة صاحب الترجمة رأت من مكارم اخلاق هذا الخلف وحسن توددهِ وتلطفهِ بها ما يندر وجود مثلهِ في الاعصر السالفة فضلاً عن هذا الزمان في وقت اضطهاد الحكومة لسلفهِ ومراقبتها الشديدة لكل ما يتعلق بهِ ثم ان صاحب الترجمة لما استقر بدار الخلافة مدح الحضرة السلطانية بقصيدة مطلعها

النصر والتأييد والعمر المديد قد توجت في عرشها عبد الحميد

وارّخ سنة الجلوس الشاهاني بقوله

بشرى الولاية قد اتت تاريخها لخلافة يسنى بها عبد الحميد

ولم تطل الايام حتّى ارسل الوزير التونسي يطلب من الباب العالي ارجاع الشيخ بيرم الى تونس مدّعياً انهُ سافر بدون رخصة الحكومة ولم يقدم حساباً عن ادارتهِ في الاوقاف والواقع ونفس الامر انهُ لم يطلبهُ الا بالحاح فنصل فرنسا عليهِ من جهة لان فرنسا لا تحب حصول الارتباط بين تونس والدولة العلية باي وجه من الوجوه حتّى انها من بين سائر الدول لم تعترف بفرمان سنة ١٢٨٨ المقرّر لتابعية تونس للخلافة الاسلامية ومن جهة اخرى قد خشي الوزير من التحام صاحب الترجمة بخير الدين باشا وافسادهما مساعيه

لتولي الامارة واطلاع الدولة العثمانية على دسائسه وسوء سياسة الحكومة التونسية في مدة الصادق باي لانهُ سلم جميع الامور بيد وزيره القديم الخبرة وقد بذل مصطفى بن اسماعيل جميع مجهوده واغرى بعض كبار الرجال في الاستانة لمساعدته على اخراج الشيخ بيرم منها غير ان حكمة مولانا امير المؤمنين وعدالتهُ حالت بين صاحب الترجمة وبين اعدائه واصدر امره العالي بانهُ اذا كانت هناك دعوى على ناظر اوقاف تونس المقيم بالاستانة فلترفع فيها اذ ان تونس لم تخرج عن كونها من الولايات العثمانية التي تجمعها جامعة تخت السلطنة وبذلك سكت مصطفى بن اسماعيل عن دعواه الفاسدة اما اولاً فلانّ صاحب الترجمة لم يخرج من تونس الاّ بجواز (باسبورت) رسمي ممضي عليه من الوزير نفسه بصفة كونه وزير الخارجية لم يزل محفوظاً للآن وقد حضر لوداعه يوم السفر كثير من كبار رجال الحكومة بما فيهم وزير البحرية وأعدله بامر الوزير الاكبر زورق خصوصي من زوارق الباي لتوصيله للباخرة وقد اوصاه الوزير بمحضر جمهور عديد من التونسيين لاحضار بعض هدايا من الحرمين المحترمين هذا ما يتعلق بالسفر واما حساب الاوقاف فقد جرت العادة بنشره سنوياً في الجريدة الرسمية "الرائد التونسي" ولم يتأخر نشره قط وهو محفوظ في مجموعة الرائد يمكن مراجعتهُ ثم ان صاحب الترجمة قبل سفره للحجاز اخذ براءة من مجلس ادارة الاوقاف ممضى عليها مِنْ جميع الاعضاء ومن امين الصندوق وهي حجة قوية ناطقة بان لا شبهة في الحساب ولا شيء من اموال الاوقاف باقٍ في ذمة الناظر وتلك البراءة هي بنصها بالحرف الواحد

ل ا   ترجمة المرحوم

الحمد لله   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

ريالات فضه

٣٥٣٩٣٩ ١/٢١٠

٣٠٤٨٧٩ ٣/٤٠٤٢

٤٩٠٥٩ ٣/٤٠٥١/٢

٨٦٢ ٥٠٠٠٨

٤٠٤٣٤ ٣ ٤٠٥ ١ ٢

اطلعت الجمعية على حساب دخلها وخرجها سنة ١٢٩٦ التاريخ بانضمام حسابات السنين السابقة اليها فكانت جملة الدخل ثلاثمائة الف وثلاثة وخمسين الف ريال وتسعمائة وتسعة وثلاثين ريالاً ونصف ريال وعشرة نواصر فضة وجملة الخرج ثلاثمائة الف واربعة آلاف وثمانمائة ريال وثمانين ريالاً الا ثمانية نواصر ونصف ناصري فضة الذي بتذاكر الجمعية وكان الفاضل ما قدره تسعة واربعون الف ريال وستون ريالاً الا سبعة نواصر ونصف ناصري فضة اخرج منه الرئيس ثمانية آلاف ريال وستمائة ريال وخمسة وعشرين ريالاً فضة صرف خمسة آلاف فرنك صرفت في مصالح الدولة وخرجت فيها تذكرتين منها نقبضها يدفعها مصروفاً على يد الوزير الاكبر ولم يدفعها القابض الى الآن احداهما تذكرة مؤرخة في ٢٧ القعده من عام ١٢٩٣ عدد ٢٦١٩ بها الفا فرنك اثنن وثانيتها مؤرخة في ١٥ الحجة سنة ١٢٩٥ عدد ٣٥٦٩ بها ثلاثة آلاف فرنك ولما كان الفصل الواحد والعشرون من ترتيب الداخلية للجمعية قضى بابقاء المفتاح الثالث

للخزنة الثانية عند الرئيس والفصل السابع عشر من الترتيب المذكور قاض بان كاهية الجمعية يقوم مقام الرئيس عند غيبته وقد اراد الرئيس السفر الى اروبا فبمقتضى ذلك ابقيت تذكرتا الدولة المذكورتان بالخزنة الثانية المذكورة وسلم الى الكاهية مفتاحها الثالث بمحضر الجمعية بعد اطلاعها على الحساب المذكور وسلامة ذمة الرئيس مما في عهدته وكان الباقي تحت يد امين مال الجمعية اربعين الف ريال واربعمائة ريال وخمسة وثلاثين ريالاً الأسعة واصر ونصف ناصري فضة وكتب في ٢٠ يونيه الموافق لرجب الاصب ١٣ من عام ستة وتسعين ومائتين والف

صح احمد الورتاني		صح محمد بن الامين

صح محمد الشاذلي السنوسي		صح من محمود بن سالم

هذا وقد خرج صاحب الترجمة من القطر التونسي وترك وظائفه فيه ولم يكتسب منها شيئاً مع انه كان يسهل عليه كثيراً في تلك الاوقات الدخول في ابواب الكسب بلا معارض ولا مانع كما جرت به العادة عند الكثير محافظة منه على الاستقامة واحترام الحق لا سيما والاوقاف لم تكن في بادئ امرها مضبوطة ولا معلومة فامرها في الواقع موكول لذمته وطهارة نفسه فكان كثيراً ما يلتزم لبيع املاكه وعقاراته لتسديد مصاريفه الواسعة حتى ان مصاريف سفره الاخير لباريس حيث توجه بمأمورية من طرف الوزير التونسي تحمل بها من عنده وبلغت اربعة عشر الف فرنك مع ان الوزير المذكور وعده بتسديدها ولم يوف بعد. ولما استقرت اقامته في دار الخلافة وجد المرحوم خير الدين باشا مهتماً

بتقديم تقرير بشأن الاصلاحات المقتضي ادخالها في نظام الدولة العلية لزيادة سطوتها وتأييد عظمتها على حسب ما يفتكر وقد انهى التقرير المذكور بالفعل غير انهُ لم يحز محل القبول لانهُ لم يكن مطابقاً في بعض وجوهه لاحكام الشريعة الغراء فاخذ الشيخ بيرم في تطبيقه عليها ولما انتهى منهُ حصل تقديمهُ للحضرة السلطانية ومن ذلك الحين شملتهُ الانظار الشاهانية بعين ملاحظتها لدقة علومهِ وتساع معارفهِ ثم انهُ تفرغ لتدوين "صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار" وتمم الجزئين الاولين منهُ وكان يقصد تقديمه للحضرة المعظمة المشار اليها عند اتمامهِ خصوصاً وهو شارع في عمل خاتمة الكتاب المذكور على نحو مقدمتي ابن خلدون واقوم المسالك اي انها تتضمن ما يقتضيهِ الحال لاصلاح الاحوال في البلاد الاسلامية لعود عصر شبابها اليها كما هو غرضهُ الوحيد الذي يدأب لهُ منذ زمان ويتحمل في سبيله كل مشقة وعناء وقد تحسنت صحتهُ اذ ذاك واستراح من تعب المرض وكاد ان يشفى منهُ تماماً حتى ان استماله المرضين قل بحيث بلغ درجة تقرب العدم وبينما هو على ذلك الحال متمم البال منتظر الرحمة من الله ما فاذ لادهِ من حكومتها الجائرة اذ ذاك وقد اعتذر عن العمل بمقترحات اقترحها عليه الموسيو فورنيه سفير فرنسا في ذلك الحين حاصلها الرجوع الى تونس تحت كنف فرنسا او الاقامة بالجزائر او باريس اذ فاجأتهُ الاخبار بزحف العساكر الفرنسوية على الحدود التونسية وابتداء حركة "خمير" المفترعة . ثم ان الشيخ بيرم كان عالماً بما ستأول اليه البلاد من السقوط في يد فرنسا ولكنهُ لم يكن ينتظر حصول ذلك في العصر الحاضر وكانت في تلك

الاثناء ترد عليه مكاتبات من بعض احبائه التونسيين وغيرهم بما يحصل في تونس من تلاعب الوزير بين قنصلي فرنسا وايطاليا وارضائه احدهما يوماً واغضابه الآخر يوماً ثانياً وكان الشيخ ينصح مكاتبيه ومحبيه بتجنب هذه الالعاب المضرة خصوصاً تظاهر الوزير بالميل الفجائي لايطاليا واغضابه مرة واحدة عن فرنسا حتى انهُ اهان كرامتها لان ذلك لا تؤمن عوقبه ولم يمض على ذلك شهر حتى ابدت اوقع ما كان يخشاه وليس من غرضنا تكرار كتابة ما حصل في ذلك العهد لدخول فرنسا الى تونس واعلان حمايتها عليها اذ ان ذلك تكفلت به كتابات غيرنا ولكنا نقول ان الحضرة السلطانية اصدرت امرها لخير الدين باشا ولصاحب الترجمة بتقديم ما يريانه في هذه المسئلة لجانبها وقد كتب صاحب الترجمة في ذلك تقريراً مفصلاً لخص فيه بيان حقوق الدولة العلية على البلاد التونسية وارتباطها بها قديماً وحديثاً واستنهض همم الدولة لانقاذ تلك المملكة المسلمة حيث انها مرقد المجاهدين ومدفن الصحابة والتابعين من الوقوع في يد دولة اجنبية وختم التقرير بنتيجة ما يراه وهو انهُ اذا كانت الدولة تشغلها شواغل الحرب الروسية وعواقبها من انقاذ تونس بالقسر من مغتصبها فلا اقل من انهُ يلزمها لتحالف مع دولة اجنبية اخرى للتساعد بها على نيل ذلك المرام ولو اقتضى الحال لتنازل لها عن مدينة واحدة مثل مينا بيروت في مقابل هذا التحالف وكانت الدولة جرت على مثلهِ مراراً عديدة فان خسارة مدينة واحدة خير من خسارة مملكة برمتها وقد كان الشيخ بيرم يكتب هذا التقرير والدموع تقرح عينيه والالم العصبي الذي تحرك وتجدد يفتك بجسده وكان يكرر القول على جلسائهِ بان

لا حذر مما قدّر لا سيما وان الفرصة المسمة لدولة قد فتت وهذا الزمن زمن قتال لا وقت جدال وسيأتي ذكر هذا التقرير في مجموعة منشآته ورسائله ولما سمعت فدم فرنسا في البلاد يئس المرحوم من قرب العودة اليها ورام التقرب من عائلته لمخيرة في شؤون بيع ما بقي من املاكه ونقله لعائلته من تونس الى بلاد اخرى فسافر الى ايطاليا لذلك الغرض واقام في مدينة ليفورنو لقربها من تونس وكان مدة اقامته في الاستانة معاشراً لاهلها وخصوصاً ابناء العرب منهم معاشرة صفاء واخلاص متبعداً عن المزاحمة في طلب المناصب او التداخل فيما لا يعنيه ولم يرَ منهم الا ما يسره وكان السيد سلمان القدري رجع من القسطنطينية الى بغداد فلما استقر بها كاتب صاحب الترجمة بما نصهُ

"كتابي هذا وما بي من الاشواق . ومضطرب الما من الاحراق . كيف لا وحب ذلك المولى الاجل . والمحب الافضل . قد اخذ بمجامع القلوب . واحاط بالفكر على اتم اسلوب . لمزيد ما انطوى عليه من الاوصاف الحميدة . والمكارم العديدة . مع طبع رائق . وعلو جناب فائق . وشهامة كاملة . ونجابة فاضلة . وعلم وافر . وفضل متكاثر . فكل فضيلة به حرية . وكل مفخرة لهُ سجية . وليكن معلوماً لسيدي ادام الله تعالى بقاه . وانالهُ كل ما يتمناه . باني لم اخل ذكر ثنائهِ الجميل من لساني . ولم ينفك تخيل شخصه المنير لحظة عن جناني . بل لا زلت انساً بما ذكرتهُ من الذكر والخيال . مفتخراً بما حصلتهُ من محبة ذلك المولى النبيل بين الاحباب في جميع الاحوال . ثم اني وان قدمت من قبل هذا عريضة لم احظَ بجوابها من ذلك الجناب

الرفيع لكني ابدي عذراً لما وقع من القصور مدة من عدم ترديفه بكتاب آخر اذ ترادف الرغائب معدود لدي من جملة الفرائض . فلم يكن التأخير المذكور ناشئاً من قصور في المحبة . ولا عن تقصير في العلم بعلو الدرجة والمرتبة . بل ذلك نوع من التقدير . ووحد لك القوي عالم خبير . يصدق ما يدعيه هذا الخالص فقير . فالمرجو من بعد هذا ان تستمر المراسلات في البين . وينقطع بوجودها البين . افندم

الداعي

في ١٩ جمادي الاولى سنة ١٢٩٩ پوست نشين حضرت كيلاني

نقيب بغداد

﴿ السيد سلمان القادري ﴾

وقد كان صاحب الترجمة على عادة اهل تونس وعلى ما امتاز به من التشيع الكلي لآل البيت النبوي الكريم يميل ميلاً خاصاً للسيد المشار اليه لنسبه العالي وحسبه الجلي وقدره المتلالي حتى ان ذلك كان من جملة البواعث على الابقاع به تشفياً من سيادة السيد النقيب حرسه الله ومع ذلك فقد كان المرحوم يسعى جهده لحمل ملاقاته مع جميع من يعاشره من العرب وغيرهم في الاستانة على احسن ما يكون من المجاملة وحسن المعاملة وكان مع صاحبي سماحة السيد احمد اسعد افندي والسيد ابي الهدى افندي على قدم الوداد وحسن الاعتقاد كما يظهر من آثارهما المحفوظة لديه ونذكرها هنا تبركاً بهما وافتخاراً بودهما

"احدث بابهجة الفضلاء . وقرة عين العلماء .

كتابكم الكريم . وامركم المحترم الفخيم . واطلعت على رسالتكم الجميلة"[1]

(١) عقد الدرر والمرجان في سلاطين آل عثمان

اشاهدة لحضرتكم البادي امر الطويلة . واني بحمده تعالى ممن يحب ان يسدي بمعروف لاهل الفضائل . سيما لمثل حضرتكم من ارباب المزايا العلية و الفواضل . ود وفق المولى بقوة بتقديم عمرا . ودمتم ارباب المناقب واهلها "

الداعي

(ابو الهدى)

" قدوة الاماجد الكرام . ذو الفضل والاحترام . محبنا العزيز السيد محمّد بيرام . حفظهُ الله آمين

وبعد مزيد السلام . مع التحية و الاكرام . نعرف سيادتكم هو ان الساعة ثلاثة ونصف في يوما هذا لازم تشرفون في البيت مع عائلكم المكرم لاجل ان نتبرك بكم هذا مازم ودمتم . في عز وسرور . ونعم حضور

في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٠٠ "

الداعي

(احمد اسعد)

وبعد ان اتفق صاحب الترجمة مع عائلته على العود الى الاستانة وسكنى بها حيث لم ير محلاً انسب منها من بلاد الاسلام ولا تليق السكنى بعائلة مسلمة في بلاد اجنبية مع انهُ كان يخطر في بال بعض التونسيين ذلك التوجه في عدد كبير الى امريكا للاستيطان بها غير ان هذا الفكر لم يمكن تنفيذه لصعوبات حالت دونهُ فقصد المرحوم التوجه الى قسطنطينية وعرج على جنيفا من بلاد سويسره حيث ابقى كاتب هذه الاحرف في احدى مدارسها معتبرة ثم قصد فيانه وبلاد المجر والصرب وروماليا حيث اقام ليلة في بخارست ومنها توجه الى وارنه من اعمال البلغار

ومنها ركب الباخرة قاصداً دار الخلافة حيث لم تتصل السكة الحديد اذ ذاك بينها وبين اوروبا وقد قاسى في هذه السفرة آلام البرد واتعاب السفر الذي حق فيه ان يقول انه قطعة من العذاب خصوصاً ولم يكن صاحب الترجمة يتكلم بلغة اجنبية الا ببعض كلمات فرنساوية وليس في القسم ولا في البلاد التي عرج عليها كثيراً من يتكلم تلك اللغة وكان سريع السير للوصول قبل عائلته الى الاستانة لتحضير محل نزولها وقد وصل اليها قبل العائلة بنحو يومين او ثلاثة وبعد ان استراحوا قليلاً فاجأهم ذوو الدسائس والاغراض بوشايات اوغرت الصدور على صاحب الترجمة وكادت ان توقعه فيما لا تحمد عقباه وكان مبنى تلك الوشايات على حصول الحركة العرابية بمصر اثناء وجود الشيخ بيرم في اوروبا فبنى عليها صاحب الاغراض اقوالاً فاسدة ومرامي بعيدة منشاها تحقيق حزازات في صدورهم من الحسد له وبغية الايقاع برجال منصب من اصدقائه واحبائه فاراد والاشقام منهم بالاساءة الى صاحبهم وجعله محل تهمة يستخرجون منها ما يروج غرضهم في حكاية مؤنث الرجال ... بيرم منذ هاجر بلدته الى دار الخلافة الاسلامية ان يتروى في بيته ويلازمه مدة تقرب من الستة اشهر لا يخرج منه الا لقضاء الضروري او اداء فرض عين كصلاة الجمعة وقد رأى في تلك الاثناء من تودد الهمام الاثر الصالح الورع الشيخ محمد ظافر افندي المدني وتلطف الفريق الغيور الحاج حسن باشا محافظ مركز بشكطاش محل سكنه وكلاهما من اقرب المقربين لذات الشاهانية المخلصين لها في السر والعلانية ما اطلق لسانه بالشكر وقلبه بالدعاء لصالحهما والحق يقال ان

الحضرة الخاقانية لم تفتر عن شمول صاحب الترجمة بعين رعايتها وكثيراً ما
كان امير المؤمنين نصر الله به الدين يظهر علائم رضائه وصفائه عليه حتى انه
لما اراد يهدي الى امبراطور المانيا فريدريك الثالث وكان اذ ذاك ولي العهد
بعض جياد الخيل امر احد الاعوان ان يتوجه الى الشيخ بيرم ليكتب رسالة
عربية يصحبها المأمور السلطاني معه عند ذهابه الى برلين يقدمها مع الخيل
الى الامير الملك اليه وكان ذلك بعد صلاة يوم الجمعة ثالث و عشرين من
رجب سنة ١٢٩٩ وكان يصدق عليه عند ذكره من فرط العناية ما يستدل
به على قرب منزلته من خليفة المسلمين وبمجرد وصول جلالته الى قصره
الفاخر يلدز بعد صدور ذلك الامر جاءه الرسول بالكتابة المطلوبة فسر
بها كثيراً واثنى على كاتبها وتلك الرسالة هي " الحمد لله سيع الخلق كما شاء
واراد . جاعل الصافنات الجياد . عدة مستمرة من أهم آلات الاستعداد .
وصلاته وسلامه على رسوله متمم مكارم الاخلاق . الحاث على الفروسية
واقتناء الخيل العتاق . وعلى آله وصحبه فرسان ميادين السباق . اما بعد
فلا يعزب عن نباهة نبيه . ودراية خبير في المعرف وجيه . ما للخيل على
الاطلاق من المزية . في المدافعة البشرية . سائر الآفاق . حتى ورد في الخبر
الشهير " الخيل معقود بنواصيها الخير " لاسيما نوع العرب منها . الجامعة
لاشتات المحاسن فلا ممدوحة لاهل الفضل عنها . ألا تراها قد حوت جمال
الصورة . واستقلت بالحذق وتهذيب الاخلاق المشكورة . فكادت ان تشارك
النوع الانساني في الادراك وفضلت سائر انواع الحيوان بصفة الذات
والمزية في مواطن العراك . ألا وهي العاديات ضبحاً . المغيرات صبحاً .

متوسطة الجموع مستشرفت فروع . مسلفت الآمال . مقربات الشواسع لهم الرجب . فلذلك توجهت ليها عناية اهل الفضل . وتسابقت ليها الرعات في الخصب وعل . ولم تزل كرائمها محفوظة الانساب . متوارثة الخصال الحميدة من الاجداد الى الاعقاب . لا يأتلي اهل المدنية عن اقتنائها . ومعرفة اصلها ونسبتها واثمانها ويفوز عليها بالمزية ما صلح منها لاقتناء الملوك العظام . سيما ما اختص بان يحتلي صهوته خليفة الاسلام . لا زال تاجاً على هامة الايام . وما تختاره بيه العرب من صفوة جيدها الكرام . وعلى الخصوص ما تميز باهدائه . خلاصة اهل ولائه . من ملوك العجم . وكان منها هاته الخمس الجياد . المتيقنت الاعراق الامجاد ثلاثة منها عراب الآباء والامهات واثنان من خلاصة الاعاجم لوطن ومن كنت العراب في الصفات . وقد تعرضنا لتحرير في لتعريف اصولها . وما جمعت من سمت الكمال وفصولها . فاما الثلاثة العراب السابقة فقرين في العراقة والانتساب . فاولها اشقره المبارك الذي لا يديه في استجماع المحاسن مشارك واسمه المجلي . وقد طابق اسمه مسماه اذ هو لمفخر اجبل مجلي . وهو من جياد نجد عربية . شهيرة الصفات والمزية سقلاوى القبيلة شامل لما يحمد في امثاله من فضيلة . كل سلسلة اصوله من قبيلته المحمودة . وكلا ابويه متفرع من ذلك لقبيل الى جدود كثيرة معدودة مسماة احداده وجداته . خالصة من اشتباه نسب وكمالاته . وما ثانيها وهو الاشهب . حاجل اليد القصيرة اليمين الاقرب . واسمه السابق . فهو منكب متقدمه في جميع صفاته حتى عدى به لاحق . سوى انه استعوض عن نجدية . بان كان من عراق العربية

ولا يخفى ما لعتاقها من شهرة المزية . سيما في حفظ النسب من الاختلاط . واتساق عموده على اقوم صراط . لا جرم ان كان وحيد اقرانه نسبه تابه . واما ثالثها المسوّم . وهو ادهم استكمل التقوّم وسمهُ ابو ليلى . فقد جمع لما في جياد الخيل يتلى . اذ هو من صنف كحيل العجوز . الذي هو نصفات العتاق من العراب يحوز . وعلى من جاراهُ في ميادينها يفوز . فهو لا يجارى اذا ما ضمر . لانهُ من خلاصة خيل قبيلة شمر . فلعمري ان هاته الثلاثة وان اختلفت انسابها . فقد تحدت عراقتها واحسابها . وكل منها قد استكمل صفات الجودة والفضيلة . واستبان فيه محامد كل الخصال الجميلة فلا بدع ان تنعتها بما يكمل به عدد الخمس . مما تنبسط له الروح وتنشرح به النفس وهما الفرسان الاحمران . اللذان استكملا صفة العتق ولو انهما اعجميان وهما من جزيرة مدلي شهيرة ذات النقطة المهمة من البحر الابيض الفائزة بالخيل ذات المذاهب الخطيرة . وهما وان افترقا هيكلا . فقد تفردا مصدراً مجملا . اذ هما فرسا رهان . متحدا الاخلاق والسمات والالوان . فاستكملت هاته الخيل مزايا التناسب . وكانت ها جهة ملائمة بما تشاهدين من التوادد المتقارب *

وقد كان السلطان ارسل لهُ قبل ذلك ايضاً كتاب الشفاء لابن سينا في نسخة جميلة لتفحصه وتقديم كتابة بخصوصه وبعد مدة من الزمن صفا فيها الجوّ للشيخ بعدم من رمي الاعادي وحسد الحساد زاد السلطان في اكرامه باحتساب مصاريف اقامته في الاستانة على خزينة الدولة باعتباره ضيفاً من ضيوف الحضرة السلطانية وذلك بان تدفع نظارة المالية اجرة منزل ولوازم

بيت وقدرت في الشهر بخمس وعشرين ليرة عثمانية وقد استمر صرف هذ المرتب مدة ثمانية عشر شهراً اي لحين خروج صاحب الترجمة من الاستانة
وقد بادر المرحوم بكتابة المكتوب الآتي لاداء واجب الشكر على هذه العناية السلطانية ونصهُ
لمقام لدي انحت به مطي البيان واستقرت ۝ واعترفت البلاغة بانهُ وحيد عصره واقرت . وعقد لبراع اشهاده اذ كان بعد ان جست يدها استطاعته ونقرت . فلا بدع ان اصرت به عين الوزارة وقرت . وكان بين الخلافة المؤمن منها على ما نشا . الا وهو صاحب الدولة علي رضا باشا . باشكاتب الحضرة السلطانية اوصل الله عليه آلاءه القدسية . اما بعد سلام تحمله ايدي التعظيم وتحية دأب الاجلال والتفخيم فقد بلغ العبد ما حصل له من عناية مولانا صاحب الخلافة العظمى . والسلطنة الدوحة المجد المنمى . فوقع مني هذا الانعام الموقع الذي ليس وراءه حد في الاعجاب . وهزني السرور حتى اعجزني عن التلفظ بالخطاب . كيف لا وقد لاحت من ذلك الانعام فضل الله علائم اخلاصي فيما اقتحمته من مفارقة وطني وكسبي وعشيرتي وخواصي كما كنت مستطنه لدى جنابكم قبل ان تحدث على وطني الطامة الكبرى . المرجو من الله ان يبدل بأمير المؤمنين عسرها يسرا . من الي احد علي قربة الله جل وعلى . اذ في ذمتي ورقبتي بيعة لامير المؤمنين لا تبلى . ولا يجوز لي شرعاً ان ابتغي بعبد الحميد سلطاني بدلا . فقد ورد في صحيح البخاري " من خرج عن السلطان قيد شبر مات ميتة جاهلية " فلم ابالي لذلك بالمصادمات الوطنية والخارجية . واستقررت في ظل الخلافة

لاسلامية . إلى ن غمرتني لا نعمات الخاقانية . فكيف لا اطير هذا الاهام سرورًا . وهو علامة بردة سه على ان تنال النفس الرضى موفورًا فقت يا نفس قرّي عينًا . وردي من منهل امير المؤمنين عذبًا معينًا . فها انت شاهدت فسطاس عدله . واين انت من جوده وفضله . وفوق ذلك الطاف لعناية . التي ليس وراءها تنطلب من غاية . فحسبي حسبي . والمتوجه متضرعًا الى ربي بشرائر لبي . واخلاص قلبي . ونقول اللهم يا من تجلى بجلائل نعمائه . ويا من احتجب برداء كبريائه . يا من توجهت الى حضرته لاقدس عزائم لآمال ويا من تعلقت بميم جوده اطماع السؤال . نستوهبك من الصلوات والتسليمات . ما يدس من فضله على جميع المخلوقات . واترت به اقطار الارض والسموات . سيدنا ومولانا محمد خاتم الرسالة . ومنار الدلالة . وتنظم فيهما معه صحبة كرام وآله . ونتضرع اليك اللهم ان تكسو هذه الدولة العلية العثمانية حلة نصر . خفاقة نوبة عدلها الى آخر الدهر . مؤيدة اعلامها . مكتوبًا على صفحات الايام اجلالها وعظمها . بتأييد اسد غابها . وامام محرابها قرة اعين المسلمين . مولانا امير المؤمنين . المحفوف بالتأييد الرباني . الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد الثاني . اللهم وكما جعلته منخرطًا في سلك نمدح من وسوست عليه بصلاة وسلام لاصرائه القسطنطينية من آله الكرام حسبما هو في الصحيح المأثور . فاجعله اللهم مظهرًا لوعدك حيث قلت " ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور " واطل اللهم في طاعتك عمره . واجعل السداد

والصلاح فيما دبره . ممكنة اعداؤه على الاعقاب . مستبشرة احباؤه بعمله المستطاب . والسنتهم بالدعاء له صادحة . خاتمين تضرعاتهم بسرار الفاتحة . وبعد ان انعقدت دعواتنا بمشيئة الله في سمت الاجابة واحرزت من حظها موقع الاصابة . حان مصابة الشكر والحمد والثناء ان تكون لسدة امير المؤمنين ايده الله مصروفة . ومن اسعدني ان يقع موقع القبول لدى جلالته على حسن تمهيد مثل هذا الامر بعد الاعتماد على الله تعالى موقوفة . فلتدم له رفد الحمية . من تلك الحضرة الرصينة . لا زلتم صاعدين مدارج السعادة في العناية السلطانية "

وفي تلك المدة تفرغ الشيخ لتأليف الجزء الثالث من صفوة الاعتبار وتحرير رسالة سماها "التحقيق في مسألة الرقيق" بحث فيها عن كيفية معاملة الرق عند المسلمين بمقتضى الشريعة وبيان اسباب الرق ودواعيه واحكامه وذهب فيها الى ان العبيد الساعين الآن هم احرار من مع الحكومات الاسلامية فحرية العبيد هو شرعي محض لا يحتاج الحال فيه طلب الدول الاجنبية وقد حرر قبل ذلك جوابا عربيا لبعض فضلاء الانكليز عن سؤال وجهه اليه مضمونه هل ان التونسيين مسرورون من دخولهم تحت دولة اجنبية فوضح السيد بيرم في جوابه ان التونسيين ليسوا اقل الامم حبا في الاستقلال والتنعم بفوائده وغيرة على الوطن وانهم مسلمون يتمنون بكل جوارحهم دوام صلتهم بالجامعة الكبرى الاسلامية واستدل على ذلك بادلة عقلية ونقلية طويلة مقنعة وقد كانت من عادة صاحب الترجمة منذ كان في تونس ان يحتفل كل سنة بالمولد النبوي الشريف احتفالا

شائقة واظب عليه الحين ودونه حتى انه كان آخر اعماله في هذه الدنيا رحمه الله وفي كل سنة يكتب رسالة مخصوصة في موضوع من المواضيع العلمية يتخصص فيها لذكر مولد الشريف وقد ابت في الاستانة رسالتين لذلك الغرض احداهما فيما يجب لآل البيت النبوي الكريم من التبجيل والتعظيم مبيناً حقوقهم على المسلمين شرط ثبوت النسب الصلي حتى لا يدخل في هذه السلسلة النسبية دخيل تترتب له تلك الحقوق الواجبة وثاني الرسالتين فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم على سائر المسلمين وألف رسالة اخرى في سكنى دار الحرب وذلك عند ما رأى ما جرا على بلاد الاسلام من التقهقر المستمر بسائر انه مشغف والسلامة وقد ذهب في هذه الرسالة بعد شرح ما عليه بلاد الاسلامة لآن شرح الكافي وايراد الادلة والنصوص الشرعية الى ان الانسان حر فيما يختاره حسب مصلحته واجتهاده . وقد سأله بعض الافاضل عن رأيه في مسألة الاجتهاد والتقليد مستنداً على الرسالتين المطبوعتين في الاستانة المنسوبتين للمرحوم صديق حسن خان فشرع في الجواب غير انه لم يتمه ويظهر من فحوى كلامه وعمله بالخصوصية انه يرى تقليد احد الائمة الاربعة واجباً على حسب المشهور في مذهب اهل السنة . ولما تولى امير تونس الحالي منصب الامارة هنأه الشيخ بيرم بمكتوب مصدر بهذين البيتين

أَلا يهني ملك تونس سدّدا فلا زال فخراً للبلاد مؤيدا

ونجح دعائي بان دقت ارّخن أَلا بعلي ملك تونس سدّدا

وقد توجهت في ذلك الوقت آمال احبابه قبل هذين البيتين لرجوعه

الى تونس اذ ان نفوره الذاتي كان من الوزير مصطفى بن اسماعيل الذي افل نجمه بوفاة سيده الصادق باي ولم يبق من مانع له من العود الى بلاده ومسقط رأسه ومدفن اجداده خصوصاً وحمايتان (؟) دولة فرنسا استقبلت بغيره وصفا الوقت وزال المقت فكاتبه بعض المتشيعين للسفارة الفرنسوية بتونس بمناسبة الفرصة لا سيما وقد كان وعد الامير عند توديعه وهو اذ ذاك ولي العهد بالعود الى الوطن عند ولايته عليه فاعتذر صاحب الترجمة عن كل ذلك بأن السيرة المعهودة هناك لم تبق على الحالة المألوفة ثم ان صحته لم ترق في المقر في الاستانة لتأثره من الانفعالات العصبية المتسببة عن دسائس ذوي الاغراض السابق شرحها التي لا يكاد يخلو منها من كان له شأن بين الناس او فضل ميزه بين اقرانه ومعاصريه وعيب يلزم الكثير من ذلك ومع صاحب الترجمة جميع املاكه بتونس وصار يصرف من ثمنها في حاجاته وعوائده التي لم يغير منها شيئاً بحيث رأى نفسه في تأخر مالي مستمر لا مندوحة من الوقوع في مخالب الفقر وهو لم يحسن من العمل الاّ مباشرة عقد قلمه بمفرغ للاشغال العلمية وكان بعض كبار اصدقائه يعرض من ضرورة اظهار الهمة لاعداده الى وظيفة مخصوصة تليق بعلومه وما زال منتظراً حتى ضاق لذلك ذرعاً وزاد عليه اشتداد المرض العصبي اذ وجد عاملاً لتحريكه قوياً وهو الانفعال النفساني المستمر فنظر في امره فلم يجد من البلاد الاسلامية التي يمكنه الاقامة فيها براحة البال الا القطر المصري وهو مع حرارته التي يأباها مزاج صاحب الترجمة لانه اوفق من غيره من البلاد الاخرى . اما الولايات العثمانية فقد اشار عليه بعض المصيبين عن الحصول على ان طلبة

توجه اليه لا يجوز محل القبول خصوصاً وهو لم يكن له ميل الا للتوجه
الى المدينة المنورة المجاورة او الى الشام ويمنعه عن الاقامة في الحجاز
احتياجه المستمر للحكماء والملاحات وهما شيئان مفقودان تقريباً من تلك
الجهات المباركة فاستخار الله في القدوم الى مصر وساعدته المقادير بالحصول
على مكاتيب توصية من بعض ذوي النفوذ في هذه البلاد واراد طلب الرخصة
بالقدوم اليها ولكنه استشعر ان طلب الاذن بالتوجه اليها ربما لا يجوز قبولاً
خصوصاً وانه تعذر عليه وجود من يبلغ الحضرة السلطانية تفصيل امره
وشكوى حاله على الوجه الحقيقي ولا شك ان احترام الخليفة مثله من علماء
المسلمين كان يدفع شكواه ويرفع عنه ألم معيشته ولكن دون ذلك موانع من
عقبات الاشتغال بما يمنعهم عن الوقوف حيناً على مثل هذه الاحوال فاذا
فقد النصح الامين الذي يتيقظ لملاحظة هذه الامور ويحسن تبليغها الى مقام
الخلافة حصل الاهمال الذي وقع فيه صاحب الترجمة ومثاله فالتزم التمحل
بطلب العودة الى تونس وقد رد هذا الطلب الاخير بكتابة علي رضا باشا
باشكاتب المابين الهمايوني هذه البطاقة التركية وهذا نصها بالحرف الواحد
بخط يده

" العالم الفاضل والاديب الكامل محمد افندي بيرم سلمه الله

بعد التحية الوافية يبدى انكم ما عرضتم مادة عزيمتكم الى بلادكم فصدرت
الارادة السنية السلطانية على عزيمتكم الى ذلك الطرف ان شاء الله تكون
مصحوباً بالسلامة والمرجو منكم ان لا تنسونا من دعائكم الصالح في السفر
والاقامة ودمتم في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٠١ (علي رضا) "

ومما يذكر هنا مقرونا بمزيد الاسف ان قسطنطينية هي تشتمل على
نحو المليون نفس من السكان من اجناس مختلفة اقلهم شأنا العرب او
المنتسبون اليهم ومع ذلك لا ترى اشد منهم تهافتا على الايقاع فيما بينهم فبينما
ترى الروم والارمن واليهود يعاضدون بعضهم بعضا ويسعون في جنسهم
في الخير بحيث يصدق عليهم انهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ترى
اولاد العرب المسلمين يتنحون ويتهافتون على اختلاق الاسباب والمكايد
لابعاد بني جنسهم عن دار الخلافة وتنفير قلوبهم منها ولله في خلقه آيات .
فقد راجت فيهم سوق التحاسد والتباغض والتدابر والتشاحن حتى لا يكاد
يخلو حديث من احاديثهم او حركة من حركاتهم الا في ايذاء بعضهم والايقاع
لسوء انفسهم والتحاسد فيما بينهم لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير
والعظيم والحقير بل الداء واحد في الكل الا من وفقه الله ولا شك ان هذا
من سوء حظ الاسلام الذي كان ينبغي ان يصرفوا له اوقاتهم في خدمته بما
في يدهم من القدرة على نفعه نسأل الله ان يرفع من بينهم هذه الدسائس التي
يشوشون بها على انفسهم وعلى بلادهم ويسقطون بها شأن الامة العربية في
أعين الامة التركية

وقد غادر الشيخ مركز الخلافة والعين مغرورقة بالدمع والحشاء ممتلئ
بالاسى والصدر مفعم بالاسف ليس ذلك لمنصب فارقه او لرفاهة عيش
زايلها او لطمع في شيء من نعيم الدنيا الزايل وعيشها الفاني وانما كان يتحرق
فؤاده لما كان يرى عليه الامة الاسلامية من الانحلال والاخذ في اسباب
الضعف وكيف ان بلاده وقعت اولا في يد الاجنبي وخرج لاجل ذلك

مشفقاً بعائلته في البلاد ليسكن بها بلدة اسلامية فلم يرَ امامهُ مكاناً هو اولى ان يقصد لهذا الغرض وأليق بعالم مسلم مثلهِ من اولاد نقباء الاشراف ان يقيم بعائلته فيهِ سوى دار الخلافة وعلل النفس بأن ما يراهُ هناك من صولة الاسلام وتشييد الدين واستقامة أمور المسلمين واجتهاد امير المؤمنين ومن حولهُ من خاصتهِ وحاشيته ورجالهِ لانقاذ الاسلام واهله مما يسلي مصابهُ بفقد بلاده ومنّى النفس بانهُ لا ييأس على ضعفه وعجزه من القيام بخدمة تفيد الاسلام او نصيحة تشيد الدين او اشتراك في عمل يجمع به كلمة المسلمين او ما يماثل ذلك مما يجب على كل فرد من المسلمين القيام بهِ وخصوصاً من كان من طائفة العلماء فرأى لسوء الحظ من تلك الدسائس ودنايا السعايات ومسابقة الوشاة اصرارًا بكل من كان مثلهُ على رأيهِ حتى يخلو الجوّ لاولئك المسابقين ما اضطرهُ الى مبارحة دار الاسلام للتشتت مرة اخرى في البلاد بعائلته بعد ان يئس من العمل في حقهِ بمقتضى الآية الشريفة "قل لا أسألكم عليهِ اجرًا الاَّ المودة في القربى" والمرحوم يمت بحبل النسب الى البيت الطاهر النبوي من جهة ويتصل من الجهة الاخرى الى مجاهد في سبيل خدمة الدولة العليَّة اراق دمهُ في افتتاح البلاد التونسيَّة ولم تزل اعقابهُ تتوارث الولاء والاخلاص والصداقة المتينة للدولة العليَّة في كل زمان ومكان حتّى انهُ لما اهدى السلطان عبد المجيد كركاً من السمور الفاخر من ملبوساتهِ الذاتيَّة الى امير تونس احمد باشا لم يرَ الامير المشار اليهِ أليق بلبسه من الشيخ بيرم الرابع فاعطاهُ اياهُ ولم يزل محفوظاً يتبرك بهِ في بيت بيرم بتونس وصار لبس الكرك مزيَّة لهم لم يقدمهم فيها سواهم وقد اكتفى الشيخ

الرابع بذلك عن قبول نشان الافتخار التونسي لما عرضهُ الامير عليه واتبعهُ في ذلك صاحب الترجمة ايضاً سنة ١٢٩٥ اذ صارت العادة في تونس ان العلماء لا يتقلدون النياشين وفي حرب الدولة مع الروسية سنة ١٢٤٤ تقاعست الولاية التونسيةُ عن نصرة الدولة مادياً وادبياً فلم يجد شيخ الاسلام بالاستانة من يستعين به لحث المسلمين في تونس على مساعدة الدولة الأ جد صاحب الترجمة بيرم الثاني لما هو مشهور عن هذه العائلة منذ القدم انها متعلقة بخدمة الدولة لا تفترعن ذلك ابداً فجابهُ بالمكتوب الآتي نصهُ

" ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . ان احسن ما تشرفت بهِ الامة المحمديةُ . وتحملت بهِ العصابة الاحمديةُ . اتباع اوامر الله تعالى ونواهيه . وبذل الجهد في اعلاء هذ الدين وتشييد مبانيه . اقتداءً بصدرها الاول . وعملاً بسنة نبيهِ المرسل . ولعمري ان هذا في عبارة وان كان سهلاً بيناً . في ابرازه للوجود ليس هيناً . لتوقفهِ على امدادات الهية . وهداية ربانية . وداع الى هذا بلسانهِ . ورمحهِ وسنانهِ . وقد تطابقت حملة الانباء في سائر البلاد . من جميع العباد . ان القائم بهذا الشأن . والحائز قصب السبق في هذا الميدان . ومجدد الدين بعد الاندراس . ومظهر اعلامه اثر الانطماس . الدولة العثمانيةُ اعلى الله منارها . وضاعف اقتدارها . وانام الانام في ظلها . واعاد عليهم من فيض فضلها . فلم تخل والحمد لله من امام يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ولم يأل جهداً في رمي اعدائه بالعذاب الاليم . مؤيد من الله بعلماء . عاملين هم ورثة الانبياء ناصحين في نصح العباد مناهج الاصفياء . وقد ورد علينا من حضرة مولانا شيخ

لاسلام . وامام أئمة الاعلام . ومرجع الحكام في الاحكام . ومن بيده مقاليد النقض والابرام . لا زالت اقلامهُ في بحار العلوم سابحة . ومواعظهُ للقلوب جارحة . وتجارتهُ عند الله تعالى رابحة . كتاب كريم . هادٍ باوامره ونواهيه الى الصراط المستقيم لا بد له كل مؤمن الا بالقبول والتسليم . وكيف لا وقد جاء بالذكرى التي تنفع المؤمنين . المأمور به في الكتاب المبين . حاثًّا على الجهاد . والتشمير عن ساق الاجتهاد . وتعاطي اسبابه . وطرح الامور الصارفة عن بابه . فاجتمع لقراءته الاعيان من العلماء وغيرهم بحضرة الامير جمعًا . وفتحوا لهُ قلبًا وسمعًا . وتلقوه بالاذعان والقبول . والمبادرة لامتثاله بالفعل والقول . واميرنا مثابر على تنفيذ اوامر الدولة العلية . التي صعتها من طاعة رب البرية . وماهو الا ان يؤمر فيطيع . ويكاتف ويأتي بما يستطيع . والله تعالى يؤيد سلطاننا بمدد نصره . ويجعل اعداء الدين تحت قهره . ويعلي راياته الساطعة في البر والبحر . ويكتب على صفحاتها سورة الفتح والنصر . والسلام اللائق بعلاكم . من العبد الفقير محمد بيرم

وفي الحرب الاخيرة تأخرت الحكومة التونسية عن مساعدة الدولة ايضًا لخوفها من معارضة فرنسا وقام الشيخ بمقتضى ما ورثهُ عن ذويه من محبة الدولة العلية بحرض الوزير وينصح الامير ويحض المسلمين جميعًا على اعانة الدولة ولم يكتف بذلك فقط بل سعى سعيهُ حتى توصل لاستخراج فتوى شرعية بوجوب القيام بواجب المساعدة للدولة حتى لا يبقى هناك عذر لمتذر في ذلك التقاعس وهذه صورة السؤال الذي طلب عليه الفتوى

"علماء الاسلام . بعد اهداء السلام . والتحية والاكرام . ما قولكم .
رضي الله عنكم . في دولة صورتها ان امام المسلمين قد اخبر اهل قطر من
المسلمين ممن هم تحت طاعته . وداخلون تحت بيعته يخطب ائمتهم باسمه على
منابرهم بان العدو قد فجأ بلاد المسلمين مبادئاً بالحرب ووقعت منه المباشرة
بالفعل في حدود المملكة وكان الامام مستشعراً من العدو ما آل امره اليه
من مباشرته الحرب فهيأ من العساكر بحدود المملكة المدافعة عن بيضة
الاسلام نحو الستمائة الف وحين اطلاعه على جيوش العدو وعلم ما امكن
من اخبارهم رأى الامام ان الستمائة الف تحتاج الى ضم آخرين اليهم من
العدد الكثير الذي تحصل به مقاومة العدو ويمكن له به مدافعة العدو فاستنفر
كل من استطاع من اهالي ذلك القطر الى الانضمام الى حوزة العساكر ثم
الذي وقع في الخارج بعد استنفار الامام هو ان العدو قد استولى على
بلدان وقرى من مملكة ذلك الامام واهلها مسلمون حربية في تلك البلدان
والقرى شعائر الاسلام كما استولى على قسم من مملكة ذلك الامام سكانه
نصارى يؤدون الخراج ويذعنون طاعة للامام وهذا القسم له بال من
المملكة يبلغ عدد سكانه نحو الخمس ملايين وقد جعله العدو مركزاً لذخائره
وعدده بما فيه من الحصون ومع ذلك لم يقدر العدد الوافر ايضاً
من عساكر المسلمين على اخراج العدو منه بل تسلط عليه ثم حصلت للعدو مضرات
اخرى من غزو سفنه وثورة قسم ممن كان تحت سلطانه من مسلمين باعانة
الامام لهم فهل يجب والحالة ما ذكر على احاد ذلك القطر المستنفر اهله ممن
قدر على الزاد والكراع والسلاح ان ينفر للامام ويلبي دعوته سواء كان

بحث عن مواليا لموضع المحموم او بعيداً عنه وعلى تقدير ان يكون الموضع
موبي اهله تكاسلوا او عرض لهم مانع يتعلق الوجوب حينئذ بمن يلي من يليهم
وهكذا ثم لا يجب وان قلنا بوجوب ذلك على الافراد والاشخاص بذلك
الشرط فلو كان هناك من له معرفة عامة كمثل عالم لا اعلم منه في البلد
فصل عنه فهل يسقط الوجوب عنه ام لا جوابكم الشافي "

ومما فيه رحمه الله تعالى خدمة البيت العثماني عند كل فرصة وبكل
وسيلة حتى انه رأى رأياً ربما ينتج عنه نفع المسلمين وارتقاء شأنهم جميعاً من
جهة توثيق عرى الجامعة الاسلامية وائتلاف ممالك المسلمين وتنظيم احوالها
على ما يضمن قوة مركز وثبات الوجود ومن جهة اعتلاء شأن البيت
العثماني بتشييد امر الخلافة فيه على جميع المسلمين وممالكهم وذلك الرأي هو
ان تتحد الممالك المستقلة الاسلامية والولايات العثمانية المستقلة استقلالاً
داخلياً ثم يصير الجميع عصبة واحدة ومملكة واحدة تحت رئاسة الخليفة
السلطان العثماني ومن ضمن الامور التي اوصى بها في روابط هذه الجامعة
ان يجتمع امراء الممالك الاسلامية في بعض السنين بالكعبة المطهرة لتكون
شاهداً على قوة رابطتهم وفي ذلك من اعلاء شأن الممالك الاسلامية ما لا يخفى
على كل من امعن النظر في تقدم الممالك الالمانية التي كانت ضعيفة ضئيلة
لتفرقها ممالك صغيرة يسهل على طامع ابتلاعها كما حصل مراراً فلما اتحدت
جميع المقاطعات الالمانية على النمط الذي نراه الآن بمملكة بروسيا اصبحت
اعظم الممالك شأناً واشدها قوة وصارت مملكة بروسيا التي كانت تحت رحمة
كل طامع لضعفها وتفردها اقوى الممالك باتحادها مع بقية الممالك الالمانية وقد

كتب المرحوم في هذا الباب كلاماً طويلاً استشهد فيه بنصوص هذه الدينية والتاريخية كقول احد مشايخ الاسلام بالاستانة الاقدمين حين تعريبه هذا المشروع لمن كان يعارضه ان الاليق بمجد السلطان وفخر الدولة ان يكون السلطان سلطان السلاطين لا سلطان الولاة وبما دخله في ضمن ما استند من بعض كتاباته التي تركها عند وفاته

وقد خرج الشيخ على تلك الحال يقلب طرفه في البلاد علّه يجد بلدة اسلامية يشد اليها رحله فلم يجد من بلاد المسلمين بلدة يطمئن فيها الساكن على نفسه وعرضه ولا يكون عرضة لمثل تلك الدسائس الا البلاد المصرية وان كان دمعه يجري اسفاً على تلك البلاد بعد ان اصابها ما اصاب غيرها من سيطرة الاجنبي عليها ولكن رب ضارة نافعة وبعض الشر اهون من بعض وقد انكر عليه المتشدقون عمله هذا وقدومه على مصر في حالة وجود الانكليز وتضارب الاحوال فيها غير انه كان يجيب على ذلك "انه لا حق لاحد في الاعتراض علي" اذ ان الدولة رضيت لي الاقامة في تونس تحت حماية دولة حسب منشور الارادة السنية بصورة اعلان وتونس سلخت بمرة عن الممالك العثمانية ولا اثر لسلطة الدولة او المسلمين فيها. اما مصر فانها مع وجود الانكليز فيها فانها لم تزل ولاية من ولايات الدولة وسيطرة الحكومة العلية فيها قائمة وعلى فرض المساواة في المعاملة لا قدر الله فلا فرق بين الانكليز والفرنسيس"

وقد انتقل المرحوم بعائلته الى مصر معرجاً في طريقه على بلاد اليونان وذلك في المحرم سنة ١٣٠٢ (نوفمبر سنة ١٨٨٤) اي بعد الاحتلال الانكليزي

بسنتين وشهرين ومما استوطن بالقاهرة هنأه حضرة الصقع البليغ الشيخ حمزة افندي فتح الله بهذين البيتين البديعين

لئن اشرفت في الشرق مصر ببيرم   وضحت به تلك الكناسة تونس
فكم شاد مع آبائه من مكارم   اضاءت بها في غرب من قبل تونس

وبعد ان استراح ابتدأ قبل الجناب الخديوي التوفيقي المرحوم فظهر له مزيد العناية وانزله منزلة الثقة الامين فحكى له سموه جميع ما جرى في الثورة العسكرية وتفاصيله وكل ما يتعلق بها وختم كلامه بقوله "اني ذكرت لكم كل هذا لتتأكدوا من صدقي لكم" ثم اظهر له من علائم الاكرام ما جعله دائم الشكر له ومن ذلك انه امر ان تكون مصاريف الشيخ على نفقة الحكومة كما كان في ضيافة مولانا السلطان وفي ٢٥ ربيع الاول من تلك السنة اصدر جريدة الاعلام وهي جريدة علمية سياسية يومية غير ان صحة صاحب الترجمة وقلة احتماله الحر مع فطر مصري لم تساعداه على تولي اصدارها يومية فجعلها تظهر ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت اسبوعية واستمرت كذلك مدة طويلة بحيث ان اول عدد منها صدر في التاريخ المذكور وآخر عدد وهو ٢٦٩ صدر في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ ثم احتجبت الجريدة المذكورة عن الظهور بتولي صاحبها خطة القضاء في محكمة مصر الابتدائية الاهلية وكان في بيته عند تأسيسها مع فتح مطبعة مخصوصة به ان يشتغل نفسه بتحريرها وبطبع الكتب المفيدة جالبا النفع للعموم بما اكتسبه من الاختبار بالتجول في البلدان وبما يعلمه من العلوم الشرعية الاسلامية وتطبيقها على الاحوال السياسية التي ينتج عنها تحرير البلاد وانتظام امورها كما كانت تولع به نفسه منذ القديم

حتى قال خير الدين باشا عن هذه الجريدة انه لا تستحق ان تكون "تيمس العرب" ودفعه الى ذلك ايضاً ما كانت عليه سجيته من حب الاشتغال بالعلوم وفن التحرير والانشاء وما يتسع هذا الغرض لاني امل لاستعمال طبع الكتب وانشاء الصحف ولكن قد خاب جميع امله فان الجريدة لم تطل ايامها حتى رماها بعض الناس بانها تحث على الاتحاد بالاجنبي وهو امر لم نقله ابداً وغاية ما هنالك انها كانت تحث على الاستفادة من الانكليز ما داموا موجودين في البلاد اذ ان معاكستهم ومعاداتهم والبلاد والامة جميعاً في يدهم لا تحمد عقباها كما بينته التجربة ولدى خفاء الانتزاع هذا السلك ما فيه من حل الاستعداد وما رآه من وجود عوامل الحركة في مصر باغراء بعض الاحزاب لتوغير صدور الناس على حكامهم اذ ذاك وخشي من دوام الحال على ذلك ... ان يأتي بمصر ... ويعتدون على الصحافة الاسلامية والحاصل ان كثيراً من الناس لم يقدروا عمله حق قدره هذا زيادة على ان حال الجرائد في الشرق ليس هو على ما يشاهد في البلاد المرتقية في التمدن والحضارة بحيث ان الجرائد لا تنجح الا اذا كان لها مقصد قوي ولم يتعود الشرق لغاية الآن ان يبقى شيئاً ما لم تكن يد الحكام فيه والشيخ بيرم كان قليل المعرفة بالناس واحوالهم في مصر فلم يجن من جريدته ثمرة تذكر ثم ان الكتب التي طبعها تحمل خسارة مصاريفها ولم يكسب منها شيئاً وزد على ذلك انه تربى في ترف وعزة نفس وذمة عربية ومن تكن هذه اخلاقه فما ينجح في عمل تجاري ثم ان الخزن صرصر صحته وزاد في ... فزاد في استعمال ... زيادة مفرطة حتى صار يستعمل نحو ... وكسور

في اليوم وهو مقدار كاف لقتل عدة من الاجسام نظير شعوذة عيسه
والتزم بعد سنتين واصف من الاقامة بمصر ان يسافر الى اوربا وكان ذلك قرب
احتفال ملكة الانكلتر بمضي الخمسين سنة على توليها فتوجه اولاً الى
مدينة فلورنسا من اعمال ايطاليا للالتقاء بصديقه المرحوم الجنرال حسين
بشاتوسي حيث صحبه لتسوية شؤونه التي اعتبره مريض فاوقف جملة من
املاكه على نص احتسابه وخصصها بعدهم لجيوش المسلمين ومن هناك قصد
المرحوم مدينة باريس لاستشارة حكمائها في مرضه ثم سافر الى لندرة
عاصمة الانكليز وهناك قابل جملة من رجالها وكبراء اعيانها كاللورد سالسبوري
واللورد نورثبروك وقد تكلم مع من قدر الله ولا يخفى ان يكون بيدهم
زمام الاحوال المصرية بعد وفاة في جلالته وجنسه وحمى اقدامهم
ومشيئة في مستقبل عقدهم وكان ذلك لتقرر مشكلات بين رتب الانكليز
في مصر ومن رئيس مجلس عقد فيها فكان تقوم في حيرة من هذا
الامر خصوصا وهم يتحدثون بعضهم الوزارة في مصر فيلون حدة ومكر
القائم في اذهان بعضهم حينئذ ان يبعث به مكروه في بلاد مستندين على
ذلك بظهور امورة فيها مدة وزارته الاولى فبذل المرحوم جهده لصرف
هذا المكر وسعى بقدر استطاعته بما فيه علاء شأن المسلمين وبعد ان حضر
الاحتفال رجع الى باريس لاتمام معالجة ثم عاد الى مصر بعد ان تغيب عنها
نحو خمسة اشهر مر في طريقه على برلين وويانه وفي الاثناء المذكورة
سعى الساعون كثيراً لارجاعه الى الاستانة وكاتبه بعض اصدقائه
في ذلك حسب ما صدرت به الاوامر السلطانية فاجاب المرحوم كمال

استعداده للرجوع اليها فالآن بيعة امير المؤمنين لم تزل في عنقي واوقف رجوعه على تسوية احواله المالية ثم يقدم الى القسطنطينية ومع ذلك فلم تكن الاعداء تكف عنه الاذى في غيبته ايضا حتى انه لما طبع صاحب الترجمة احدى رسائله المذكورة آنفا المختصة بحقوق الاشراف دس ارباب الدسائس له في دار الخلافة انه صاحب المحررات مع الحكومة المصرية بشأن موضوع تلك الرسالة قبل ان تعرض فيها لمسألة الخلافة وهو امر لم يخطر له على بال ومن العبث ان يفكر فيه عاقل وحاشا لمثل الشيخ بيرم وقد وصل له وصل اليه من الادب المادي والمعنوي غيرة منه على بني جنسه وملته ان يتصور حدوث زيادة شقاق بينهم وزرع بذور الخلاف بمسألة استقر الرأي فيها منذ قرون وجميع المسلمون قد دانت في مشارق الارض ومغاربها عند عربها وتركها وعجمها بالاقرار فيها لبني عثمان منذ عهد السلطان سليم الاول ثم تغشموا ايضا فيما يكتب في جريدة الاسلام الى ان بشرته بقدوم الغازي مختار باشا الى مصر وظهر له بالعيان فساد تلك الوشايات

وفي اثناء سفره كاتبه العلامة المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الابياري من كبار علماء الجامع الازهر ومفتي المعية السنية بهذا المكتوب

بسم الله والسلام عليكم ورحمة الله

ورد الكتاب على غب حره　　فتعوذت من وحشة الهم المؤلم

قد شمت منه مذ شممت ريحه　　بشرا بصحة ذي السيادة بيرم

حيا فأحيا مهجة كانت بها　　قلاقل تسري في اشد تألم

وابيك ما دقت ثمرة سائغا | من بعد فرقته وراحة نائم
لا بل سرت مسرورا بما | ابداه من سريان برء محكم
لجناب مولانا الهمام فانه | ذو بهجة الدنيا ونور العالم
جمع الاله به الفضائل منها | جمع الزهور لروض تحت المزدم
من بين اخلاق كالدراري | ومحاسن تزهو بكل مخيم
بحماية وجلالة وحكمة | وسماحة موروثة عن حاتم
وسيادة وسعادة ابدية | وجميل تدبير برأي محكم
فالله يكمل صحة جنابه | ما غردت قمرية بترنم

استفتح الوكتي هذه بلطف تحيات تتسنم الاسعد فتتسك. واستفتح كلام رقيق نصرع في مقلب سم لى ربه تمسك. مبتهلا اليه تعالى ان يهم بال ويشرح صدر بكمال صحة. راج حضرة غرة وجه الايام. وغرة طلعة برمان وقرة اعين لانام. شمة لعيد نبي بم تارج. وشمس قلادة المدينه التي ما تبرح. علامة عصر بدي است محاسنه محاسن ابناء سلالة عصر. فما هو لا روح لاروح ولوح الفضائل التي تنابج في المساء والصباح وان تعاف جسمه شدة بكل عليل ورواهما كل نائل. فمهما صح مزاجه الشريف صح مزاج الايام ومهما حسن حال العافية فعلى الدنيا السلام. هذا وجنابي لا تنفسوا روحي سولي حيار صحتكم كلما ورد وافد. وتنعموا نفسي بورود اخبار صحتكم كلما ورد لهذا الطرف ورد ثم سعادة الهمام فكري باشا يتحف حضرتكم بلطف التحيات. احسن الله ما ويه ولحضرتكم النهايات

في ١٣ الحجة سنة ١٣٠٤ | عبد الهادي نجا الابياري

وعلى ذكر هذا المكتوب والشيء بالشيء يذكر نشر هنا بعضاً من محررات وردت على صاحب الترجمة عن لسان المغفور له توفيق باشا دلالة على معرفته لقدره ونموذجاً على معاملته له فمنها تلغراف جاءه جواباً على التهنئة التي قدمها يوم تذكار الجلوس الخديوي في ٢٦ يونيه سنة ١٨٨٨

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد بيرم بمصر

تلغراف حضرتكم الوارد بتهنئة الحضرة الخديوية على اليوم السعيد بعرضه قد صارت الممنونية لجنابه العالي من ذلك ولزم تبليغ الامر للمعلومية

سر تشريفاتي خديوي

برأس التين

ومنها مكتوب ورد له من محمد زكي باشا تشريفاتي اول خديوي اذذاك وهو

حضرة والدنا العزيز المحترم دام بالخير والنعم

تشرفنا بورود تذكرة حضرتكم ومتشكرين غاية التشكر وبوقته قدمنا للاعتاب الكريمة فحصلت ممنونية الذمة وامر بتبليغ ذلك لسيادتكم افندم

الداعي
محمد زكي

في ٦ شعبان سنة ١٣٠٦

وما كنا بصدد ذكر هذه المحررات فلنجعل ختمها مكتوباً ورد على المرحوم من صديقه الحميم . ملاذ الطالبين ذي القلب السليم . الاستاذ الاكبر مولانا الشيخ محمد ظافر دامت بركاته اذ انه بيان ما كانت عليه صلات صاحب الترجمة بمعاصريه ومعارفه ومخاطباته مع محبيه ونص المكتوب

الحمد لله

الى حضرة الهمام الفاضل والعمدة الكامل . جامع شتات الفضائل . وناظم
فرائد محاسن الشمائل . ومنبع المعارف . ومجمع اللطائف وقطب فلك السياسة
ومركز دائرة ارباب الرئاسة حضرة الاعز الاكرم . مولانا الشيخ سيدي محمد
بيرم . ادام الله عزه واقباله وبلغه مناه وآماله . آمين

بعد اهداء تحيات اطيب نفحا من روض الازهار . والطف من نسيم
الاسحار . فقد وصل كتابكم الكريم . مشتمل على الدر النظيم . الحري بالتبجيل
والتعظيم . وقرت به اعيننا سرورا وامتلأت به قلوبنا بهجة وحبورا . وما
اعلمتموه من الفرح والجذل . بحصول نشاط محبكم من عارض المرض الذي
حصل . فهو من علامات تمام الوداد . وخلوص محبتكم الاصيلة وكمال
الاعتقاد . ولكم عندنا من ذلك الحظ الاوفر . والقسط الاكبر . وما عطفتم
به على ذلك من الذكر الجميل والثناء والتبجيل على العبد فهو من
انطباع كمالاتكم الباهرة . التي تجلت في مرآت ذاتي واصبحت في عالم
الشهادة كالظاهرة . كما هو مصدق قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة اخيه
كما يشهد بذلك ذوق كل صديق وموفق وعلى كل فنحن معترفون بالقصور .
ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في جميع الامور . وان يجعل بركة دعاكم
مظهرا للخيرات . وواسطة لتوالي المبرات وان يجعل العاقبة للمتقين . وينجز وعده
بنزول نصر النصر على اعلام جيوش المؤمنين ونخص بالسلام كامل من
بحضرتكم وجناب اخينا الشيخ سيدي حمزة يسلم عليكم . وكذا كامل اولادنا
مقبلين يديكم . وهذا ما لزم . ودام مجدكم والسلام خادم الفقرا

١٣ شعبان سنة ١٢٩٤ محمد ظافر المدني

وقد تفرغ صاحب الترجمة في الاوقات التي يتركها له المرض لاتمام تأليف ابتدأه في استمبول سماه "تجريد السنان للرد على الخطيب رونان" وذلك ان العالم الفرنسوي المذكور وهو من مشاهير اهل بلاده تعرض في خطابة القاها بباريس تحت عنوان "الاسلام والعلم" الى ذكر الديانة الاسلامية وانها تمنع العلوم من الانتشار بين اتباعها فقصد صاحب الترجمة هذا الزعم برد مقنع اتى فيه على ذكر جميع العلوم والفنون التي استنبطها المسلمون او نقحوها وله رسالة في صورة سؤال حررها في جواز شراء اوراق الديون التي تصدرها [illegible] الاسلامية حتى تبقى اموال المسلمين في بلادهم ولا يحجبهم عنها شبهة الربا الذي لا ينطبق في هذه الحالة عليها وكتب تقريراً مسهباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى لزوم نشره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين العموم مستنداً في ذلك على عمل العرب في صدر الاسلام وعلى عمل الاوروبيين انفسهم فانهم لا يعلمون الا بلغاتهم وقد نجحوا اما مصر فهي تحت طريقة التعليم باللسان الاجنبي لم تنتشر فيها العلوم والفنون مع طول الزمن الذي مضى من حين تأسيس المدارس فيها وله ايضاً عدة كتابات على جملة احاديث نبوية شريفة وهي التي كان يحتفل بختمها في تونس على حسب العادة الجارية هناك في مدرسة العنقية التي كان شيخ علمها وفي مصر جرى ختمها عند جناب الامير الحالي وسننشر جميع هذه الرسائل والمنشآت والقصائد وغيرها من التحارير العلمية والسياسية التي كتبها في مجموعة خاصة بحول الله تعالى ولم نتركه ايضاً في مصر دسائس بعض الفرنسيس وتهمهم مخافة من ذلك ان جريدة لا نعرف

(مصباح) الباريسية نشرت خبراً عن مكاتبها في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٨٨٩ مفاده ان الشيخ بيرم سافر متوجهاً الى الشيخ السنوسي للاتفاق معه على مهاجمة نار الفتنة في السودان بواسطة المهدي وقصد من ذلك كله معاكسة فرنسا وصادف نشر هذا الخبر خروج صاحب الترجمة حقيقة من القاهرة ولكن لاستنشاق الهواء البارد على شاطئ البحر في جهة راس البر بدمياط وقد تجول المرحوم في كثير من انحاء القطر المصري وكان يكتب اثناء تجوله في ذهبية بقية صفوة الاعتبار فتم الجزء الرابع واول الخامس ولم يمهله الاجل لاتمامه وانه كان يقصد التوسع في الكتابة عن بلاد النمسا وسويسره والمانيا ورومانيا والبلغار والصرب واليونان وهي البلاد التي شاهدها ولكن ما كتبه اجمالاً عنها في الجزء الاول يمكن ان يغني القارئ عن التفصيل والاسهاب وكان ينوي كتابة خاتمة صفوة الاعتبار على نمط مقدمتي تاريخ ابن خلدون واقوم المسالك فلم تمكنه صحته ولا اجله من اخراجها من حيز الفكر الى قوة العمل ونحن نورد هنا بعض تعليقات كتبها ليتوسع البحث فيها في هذا الموضوع عسى ان يقيض الله من يمشي على خطاه اذ المقصود هو نفع ملتنا وايقاظنا من غفلتنا وكفى بما جرى بالامة في القرنين الماضيين من التقهقر والتلاشي والاضمحلال واعظاً في ديوان العبر واهم باب المبتدأ والخبر لمن يروم الاستفادة بالماضي ليدفع به نائبة المستقبل اما تعليقاته فهي فيما ينبغي لنا اتخاذه وتدبير نفوسنا عليه وفيه فصول الاول في زيادة نشر العلم الثاني في كيفية الحكم وانه ينبغي اتخاذ قول واحد من المذهبين (اي في تونس حيث الاحكام جارية بمقتضى المذهبين الحنفي والمالكي) . الثالث في كيفية ادارة

لسياسة وما هو عمل الملك وما هو عمل كل وزير وما هو عمل مجلس النواب الذي حقه ان ينتخب من الاهالي وان لا تعطى لكافة دفعة واحدة بل على قدر استطاعة الاهالي وقابليتهم وان ذلك يأتي في المسمين من الملك وهو المربي لرعيته والسبب في عدم اعطاء الحرية التامة في فرنسا كما هو جار في انكلترا ثم تعامل الدول مع دول الاسلام على خلاف التصرف في داخليتهم لضعفهم وعدم اتحادهم فعليهم بالوسائل . وحكم تذاكر السلوك شرعاً وليس هو من قبيل المنحة والعلاقة للدول والاحكام وفوائد الصحف وفوائد سكك الحديد والبريد والتكلم عليه وعدم تأخير المقصد في الكلام عند الزيارة لاثنين معاً . والنهي عن الغيبة بين الاخوان . اجتهاد اليهود في حل بكل بلاد واغلب الصناعات بأيديهم وعدم تفطنهم الدائم بجهدة . طرق الوجهة بالمغفرة بالتفصيل . اطلاع الشريعة على الكفر وحب ولو بدون حرب . اجتهاد الاجانب في العمل حتى وصلوا بين شطي امريكا والبحرين الاحمر والابيض وخرق السويس والخرق تحت البحر . اسباب عدم استواء الدول الاجانب في معاملة بلاد الاسلام على حسب مقاصدهم وقوتهم فامريكا مثلاً وان كانت رعيتها عدد الترك قدر رعية الانكليز فلا نجد منهم تعصباً ولا فدمة شحة مستمرة من سعيهم الوجوب على الحكومة وعناية فيمن يتوجه الى الحج تعليمه ما يجب عليه قبل السفر ولا يمنع

وفي ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ (١٤ ينير سنة ١٨٨٩) عين صاحب الترجمة قاضياً في محكمة مصر الابتدائية الاهلية في مدة وزارة رياض باشا الثانية وكان في وزارة نوبار باشا كلف المرحوم بكتابة ما يراه

عن القوانين المعمول بها في محاكم الاهلية من حيث مطابقتها للشريعة الغراء او القوانين الجارية في الدولة العثمانية الشامل ما كتاب المجلة والدستور فرام اولاً التوسع في الموضوع بتقسيم القوانين المصرية باباً باباً ومقارنتها بالمجلة او الدستور واذا لم يجد نصاً مطابقاً لما فيها فيطبقها بقدر الامكان على قول احد المجتهدين بدون تقيد بمذهب مخصوص غير ان عملاً مثل هذا يلزمه طول الوقت وكثرة الاعمال والزمن غير قاض بذلك فالتزم ان يصرف النظر عن هذا العمل وكتب عن القوانين ما نصه

" القوانين الاصول التي عليها مدار الحقوق في الحكومة المصرية هي القانون المدني وقانون التجارة البري وقانون التجارة البحري وقانون العقوبات وهاته القوانين الاربعة نظر مطابقتها للقوانين العثمانية وللشريعة المطهرة على التفصيل الآتي

فاما قانون العقوبات وقانون التجارة برية وبحرية فجميع ما يوجد من موادها في القوانين العثمانية مماثلة لما هو مطابق مطابقة كاملة وهو ايضاً لاكثر من مواد القوانين المصرية لكن قليل جداً من مواد هذه القوانين لا يوجد اصلاً في مثلها من القوانين العثمانية . واما القانون المدني المصري فهو مخالف للمجلة العثمانية التي هي قائمة مقامه مخالفة كثيرة كلية غير ان القانون المدني المصري مع ذلك اكثره مطابق للشريعة المطهرة على الاطلاق من غير نظر الى خصوص مذهب معين بل بالنظر الى اقوال الائمة المعمول باقوالهم في الديانة والقليل من هذا القانون المدني مخالف ايضاً لجميع تلك الاقوال غير ان تحويره بما يرجع به الى مطابقة احدها مما يقتضيه الحال امر سهل يسير بفطنة حذاق اهل الخبرة والعلم "

وكذلك كلفهُ الباشا المشار اليه تقديم تقرير بما يراه لاصلاح حال الاوقاف وقد فعل وكان موجهاً همتهُ في مدة توظفه بالمحاكم للسعي وراء تطبيق قوانينها على الشريعة الغراء ولما قدم ولي عهد الانكليز الى مصر كان صاحب الترجمة من الافراد القليلين الذين اجتمعوا به وفي تلك السنة انهى رياض باشا ترميم منزله بالحلمية فهنأهُ المرحوم بهذه الابيات

ان الوزير مصطفى في عصرهِ   لا زال عوناً لمليك بارهِ
ابدى من التدبير في الاصلاح ما   قد حقق المعهود منهُ بقطرهِ
فلقد اتى في قصره ما يبتغي   حسناً به ومتانةً مع وفرهِ
والقطر قصر واسع الارجاء قد   ابدى له انموذجاً من قصره
وكلاهما متأهل بعياله   وادارة مصبة من فكرهِ
فكما تشاهد في الصغير اجادة   فكذا لكبير ما صار بامرهِ
ذا فقي التحسين حتى ارّخوا   قصر رياض فيه جنة مصره

(سنة ١٨٨٩)

وقد عين عضواً في اللجنة التي تشكلت للنظر في تعميم المحاكم الاهلية بالوجه القبلي وعند هذا التعميم وكذلك انتخب عضواً في لجنة تشكلت في المحكمة بناء على طلب نظارة الحقانية لتقديم تقرير للنظارة بكل ما يرى لزوم تعديله في القوانين على حسب ما يلائم حالة البلاد وعين عضواً في لجنة بنظارة الداخلية لمراجعة الاحكام الصادرة من قومسيونات الاشقياء وبنى على عمل هذه اللجنة الافراج عن عدد عظيم من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة في طره وكان امضاؤه على تقرير هذه اللجنة آخر اعماله

لرسمية فتوجه الى مدينة حلوان لتغيير الهواء وهناك اشتد عليه مرض وبلغ به الضعف غاية منتهى وظهر في جهة صدره الايسر خراجان بسبب الحقن المرفين اعقبهما بعد فتح الطبيب لهما تكوّن غدة في الرئة وبعد ان لازم الفراش بالمرض المعروف بذات الجنب نحو الخمسة والعشرين يوماً فارق الحياة وذلك في ساعة الخمسة ونصف بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ (١٨ دسمبر سنة ١٨٨٩) وقد خلف ثلاثة بنين رزق بهم من بنت عمه التي تزوج بها في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧١ وكان قبل ملازمته للفراش محتفلاً بالمولد النبوي الشريف هناك بمحضر بعض الاصحاب وقد دخل الى الحرم من تلك الحفلة ولم يخرج حياً وفي مدة مرضه ورد عليه مكتوب من صديقه رياض باشا ونصه

"جناب الاستاذ

من صميم الفؤاد قد تكدرت من خبر ما طرأ على حضرتكم من انحراف المزاج الذي لم اعلم به الا من منذ كم يوم وادعو المولى سبحانه وتعالى ان يمنّ عليكم بالشفاء وكمال الصحة والعافية وبراكم معاً عن قريب وعلى اي حال اترجاكم ان لا تؤاخذوني وهذا عند كرام الناس مقبول

في ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧	محبكم المخلص

❊ رياض ❊

وقد حضر دولة الباشا المشار اليه الى حلوان وقصد عيادتهُ وارسل اليه نجله وكذلك كان المرحوم توفيق باشا كثير السؤال عنهُ يومياً بواسطة طبيبه عيسى باشا حمدي ولما توفي اظهر الاسف لانهُ جميل الطلعة تعمدهُ الله

ترجمته وقد شيع رياض باشا جنازة صاحب الترجمة صبيحة يوم الجمعة
وكانت موكبها صافية خاصة ودفنه في التربة المخصوصة التي شيدها
بقرب ضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وقد كتب على قبره هذه الابيات
وهي من انشاء الشاعر البليغ حفني بك ناصف

يا قبر انساه البكاء وتبسم ادريت ان الفضل فيك مخيم
أعلمت انك قد حويت محمداً وتركت اكباد الورى تتضرم
هذا الذي كانت بدائع فكره تثني البيان على يراع ويعلم
من عترة نوت علوم بدارهم فهم طلاب الهداية انجم
اولاه مولاه مواهب فضله ولله يعطي من يشاء ويرحم
واقام في دار النعيم فأرخوا في جنة الفردوس اسكن بيرم

سنة ١٣٠٧

وقد رثاه جملة من احبابه وكتبت الجرائد تنعيه ونقتصر منها على
ما قالته " الوقائع المصرية " جريدة الحكومة المصرية الرسمية الصادرة في
٢١ دسمبر سنة ١٨٨٩ عدد ١٤٥ " انا لله وانا اليه راجعون . في آخر ليلة
الخميس الماضي انتقل من هذه الدار الفانية الى الدار الآخرة الباقية المرحوم
الشيخ محمد بيرم احد قضاة المحكمة الابتدائية الاهلية بمصر وصاحب جريدة
الاعلام العربية وكانت وفاته رحمه الله بمدينة حلوان عقب اشتداد الداء
العصبي الذي مني به من عدة سنين ولم ينجع فيه علاج الاطباء

وفي صباح يوم الجمعة الماضي احتفل بنقل جسده من حلوان احتفالاً
يليق بمقامه وفضله وانتظر على محطة ميدان محمد علي عدد العديد من

رجال الحكومة سنية وكابرها وفي مقدمتهم صاحب الدولة رياض باشا
رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية ونائبة وكثير من العلماء وقضاة المحاكم
الاهلية ومشاهير المحامين وذوي الفضل من الوجوه والاعيان . ومما هو جدير
بالذكر في هذا المقام ما كان من صاحب الدولة رياض باشا من العناية بأمر
المرحوم و الاهتمام بشأنه والمساعدة في اكرام تشييع جنازته ودفنه وتعزية
اولاده وتشجيعهم على تحمل المصاب الى غير ذلك من الاحتفال والاكرام
ولما وصلت الجنازة الى محطة شبعت في مشهد حافل مشى فيه دولة رئيس
النظار ومن تقدم ذكرهم ومن حضروا من حلوان بغاية السكون والوقار وكان
في مقدمة المشهد الذاكرون ومرتلو البردة وغيرها من الاحزاب و الاوراد
ثم المشيعون مجردة فحملة السرير وكلهم آسفون مرتق هذا الرجل العظيم
الشان وقد دفن رحمة الله في المدفن الذي بناه صاحب الدولة رياض باشا
قرافة الامام الشافعي عليه الرضوان وفرقت صدقات على الفقراء والمساكين
ودعا الناس للمرحوم بالرحمة والغفران

اما الرجل رحمة الله فكان عالماً فاضلاً فقيهاً كاملاً متضلعاً من العلوم
الشرعية بأنواعها مطلعاً على احوال الامم وله الباع الطولى في فنون التاريخ
القديم والحديث وكان من ذوي الاقلام بليغة فيما يريد كتابته من موضوع
وقد ألف رسائل كثيرة في الحديث والاصول والاحكام الشرعية والجغرافيا
التاريخية والسياسية وغيرها وكلها تدل على غزارة مادته وسعة تفننه في
المعارف والعلوم وكان كثير الاستشهاد بأحوال الامم الغابرة والحاضرة في
كتاباته واقواله وله قوة حاضرة في اقامة الدليل والبرهان كما يشهد بذلك

المقامات الافتتاحية التي كان ينشرها في جريدة الاعلام رحمة الله رحمة واسعة وفرغ على آله وذويه جميل الصبر . وعزاهم على مصابهم فيه اكمل العزاء وثبتهم على الصبر عظيم الاجر آمين "

وهذا ما قالته جريدة الحاضرة الصادرة بتونس في ٢٤ دسمبر سنة ١٨٨٩ عدد ٧٤ " صباح يوم الخميس الفارط نشرت اخبار التلغراف من حلوان مصر القاهرة خبر وفاة علامة المحرير صاحب الصيت الشهير المؤلف الشيخ السيد محمد بيرم وعائلته من مفاخر البلاد التونسية تقوم الحاضرة بواجب رثائه وهي ادرى من غيرها بفضائل رجالها فقد ولد هذا العالم في بيت العلم الشهير سنة ست وخمسين ومائتين والف وتربى في مهاد العلم والتعليم وقرأ على ابن عمه الشيخ احمد بيرم وعلى عم جده الشيخ مصطفى بيرم وعلى شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية وقرأ على الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد شاهد والشيخ علي العفيف وغيرهم من فحول جامع الزيتونة الى ان حصل على رتبة عالية وتقدم للخدمة التدريس وقرأ كتبا مهمة بجامع الزيتونة وولي مشيخة مدرسة العنقية بعد وفاة عمه شيخ الاسلام الرابع وختم بها الاختتام مهمة وكان يعيدها كل سنة في بيت الحضرة العلية وكان عالما فاضلا عالي الهمة عزيز النفس رفيع الحسب متفننا فصيح اللسان جميل المحاضرة صاحب ادب ووقار خبيرا بالسياسات الشرعية والوقتية حسن التدبير واسع الادارة امتنع من قبول الخطط الشرعية عدة مرار متعللا بضعف بدنه وكان عضوا في عموم الجمعيات التي انعقدت لوضع التراتيب العلمية والتنظيمية اول الوزارة

الجبرية وهو الذي قام برئاسة جمعية الاوقاف عند تأسيسها فأسس اصولها بعد ان جمع شملها بما يقتضيه العلم والانصاف وولي نظارة المطبعة الرسمية واعترته امراض عصبية بمدته صعب سببها عدة مرار بباريز وايطاليا وحنكته الاسفار عما يريده في الاعتبار وباشارته كان انشاء مستشفى الصادقي ودبر اقامته على النمط الذي رآه بباريز ومن قبله كان مشاهد قبوله وشكره الامير يوم فتحه في الموكب العمومي وولي عضواً في مجلس الدولة الشوري على عهد وزارة ابن اسمعيل واشتد مرضه وبلغ في طلب الاسفار ولم تسمح الدولة بذلك وخرج لبيت الله الحرام اواخر سنة ست وتسعين ومائتين وألف ورجع على طريق الشام ولما رأت الدولة اختلال وضعه احالتها اميره في ثامن وعشرين من محرم سنة ١٢٩٧ وتنقل من الشام الى دار الخلافة العثمانية فنزل بمنزل التعظيم والتكريم وعرضت عليه نقابة الاشراف والفتوى بالشام فلم يقبل لضعف بدنه مع اتصال به الدواء وعائلته واجرت عليه الدولة جراية سلطانية وهناك ألف رحلته صفوة الاعتبار بمستودع الاقطار والامصار واودعها من الاصول السياسية والاصول العلمية ما يدل على كمال تضلعه وقوة عارضته وقام بالآستانة الى ان شق عليه مرضه العصبي واشار عليه الاطباء التنقل الى البلاد الحارة فتنقل بأهله واتباعه اول المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة والف ونزل الديار المصرية بالرحب والقبول ونزله الجناب الخديوي منزلة التكريم وجرى عليه جراية تليق بأمثاله وفتح بها مطبعته الاعلامية وافادت صحيفة "الاعلام" في سائر الجهات العربية الى ان ولي حاكماً بالمحكمة الاهلية وفي اثناء هذه الاسفار كان مجداً في الاعتناء بكرام

ابنائهِ في المدارس الى ان وصلوا الى قدم الكفاءة للمهمات وترقى اولهم لخطة كاتب بمجلس النظار بالديار المصرية نسأل الله ان يجعل منهم خلفاً محموداً وان يديم عليهِ في نعيم الجنان ظلاً ممدودا "

هذا وقد قيل ان قيمة المرء لا تقوم بمقدار مادحيهِ فقط بل بانضمام المنتقدين عليهِ ايضاً وعلى ذلك نقول انهُ من دون سائر الجرائد العربية والافرنجية قد انفردت احدى جرائد الاستانة العربية بنشر ما يخالف امره عليهِ الصلاة والسلام " اذكروا موتاكم بخير "

ولم يكن ذلك ليؤثر على حسن صيته وشهرتهِ فقد قيل — كلام العدى ضرب من الهذيان — ومن تأمل في تاريخ حياة المغفور لهُ علم انهُ كلما خفض الاعداء والحساد من شأنهِ ذراعاً ارتفع ميلاً وكلما اشتدت بهِ ملمات الحوادث وكوارث الزمن زاد قدره اعتلاء فقد خرج المرحوم من دياره مغرباً مشرداً فما زالت بهِ همتهُ حتى بلغت بهِ الى شرف المقابلة بالحضرة الشاهانية ونوال اقصى الرعاية السلطانية وخسر امواله واملاكه فقام له فضله وعلمه بعدم الحاجة لاحد فعاش ميسوراً ومات ميسوراً واجتهد بعض ذوي التقصير في الحط من سيرتهِ والطعن في شهرتهِ فما زاده ذلك الا اعتلاء في الصيت واحتراماً في النفوس وتوقيراً في الصدور فقضى حياتهُ حميد السيرة وانتقل الى رحمة ربهِ طاهر السريرة وعلى كل حال فنسأل الله ان يجازي الجميع خيراً ولا يريهم ضيراً هذا وقد كتبت ما كتبتهُ والله يعلم اني لم اقصد بهِ فخراً ولا حباً في الظهور وانما هي حقائق مثبوتة بمستنداتها القيتها تحت نظر القارىء ليرى في حياة هذا المؤلف وما طرأ عليهِ من

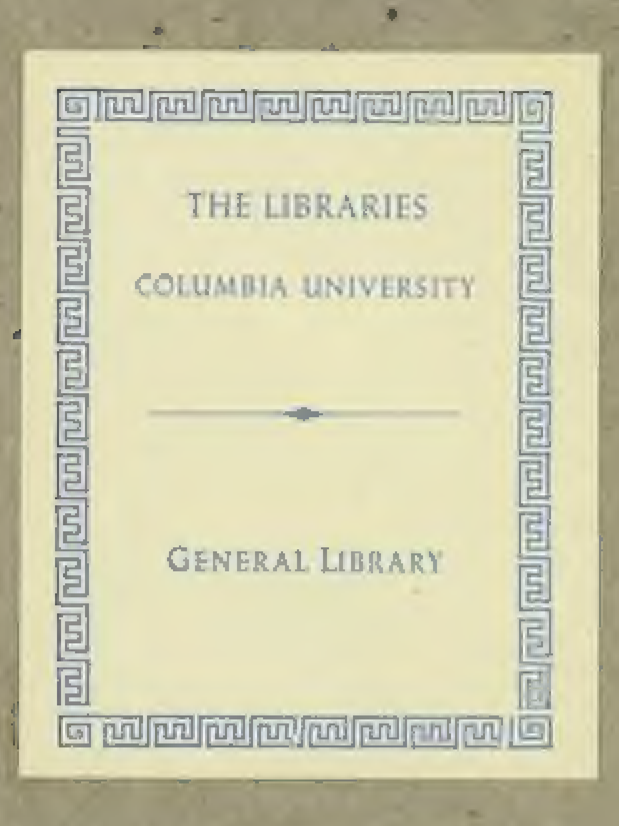
نعيم وبؤس العبرة التي يتوخاها وقياماً بحقوق الابوة والتربية واجابة لما كان كلفني به عند قدومه الى مصر ولكوني اعلم الناس بأحواله رحمه الله رحمة الابرار

وكلما تذكرت على قبره محاسن افعاله في حياته العمومية وجميل اخلاقه وشهامة نفسه في حياته الخصوصية أكاد انشد بيت المعرّي مخاطباً لقبر ابيه

لأطبقتَ اطباق المحارة فاحتفظ   بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخزن

٩ ذي الحجة سنة ١٣١١   ﴿ محمد بيرم ﴾




THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY

